مرآة الزمان في تواريخ الأعيان

تصنيف

شمس الدين أبي المظفر يوسف بن قزأوغلي بن عبد الله
المعروف بسبط ابن الجوزي
٥٨١ - ٦٥٤ هـ

الجزء الثالث عشر
١٨٠ - ٢٠٦ هـ

حقق هذا الجزء وعلق عليه

عمار ريحاوي رضوان مامو

الرسالة العالمية

بسم الله الرحمن الرحيم

مرآة الزمان
في تواريخ الأعيان
(١٣)

بسم الله الرحمن الرحيم





دار الرسالة العالمية

الطبعة الأولى

٢٠١٣م / ١٤٣٤هـ

شركة الرسالة العالمية م.م.

Al-Resalah Al-A'lamiah m.
Publishers

الإدارة العامة
Head Office

دمشق - الحجاز

شارع مسلم البارودي

بناء خولي و صلاحي

2625

(963)11-2212773

(963)11-2234305

الجمهورية العربية السورية

Syrian Arab Republic

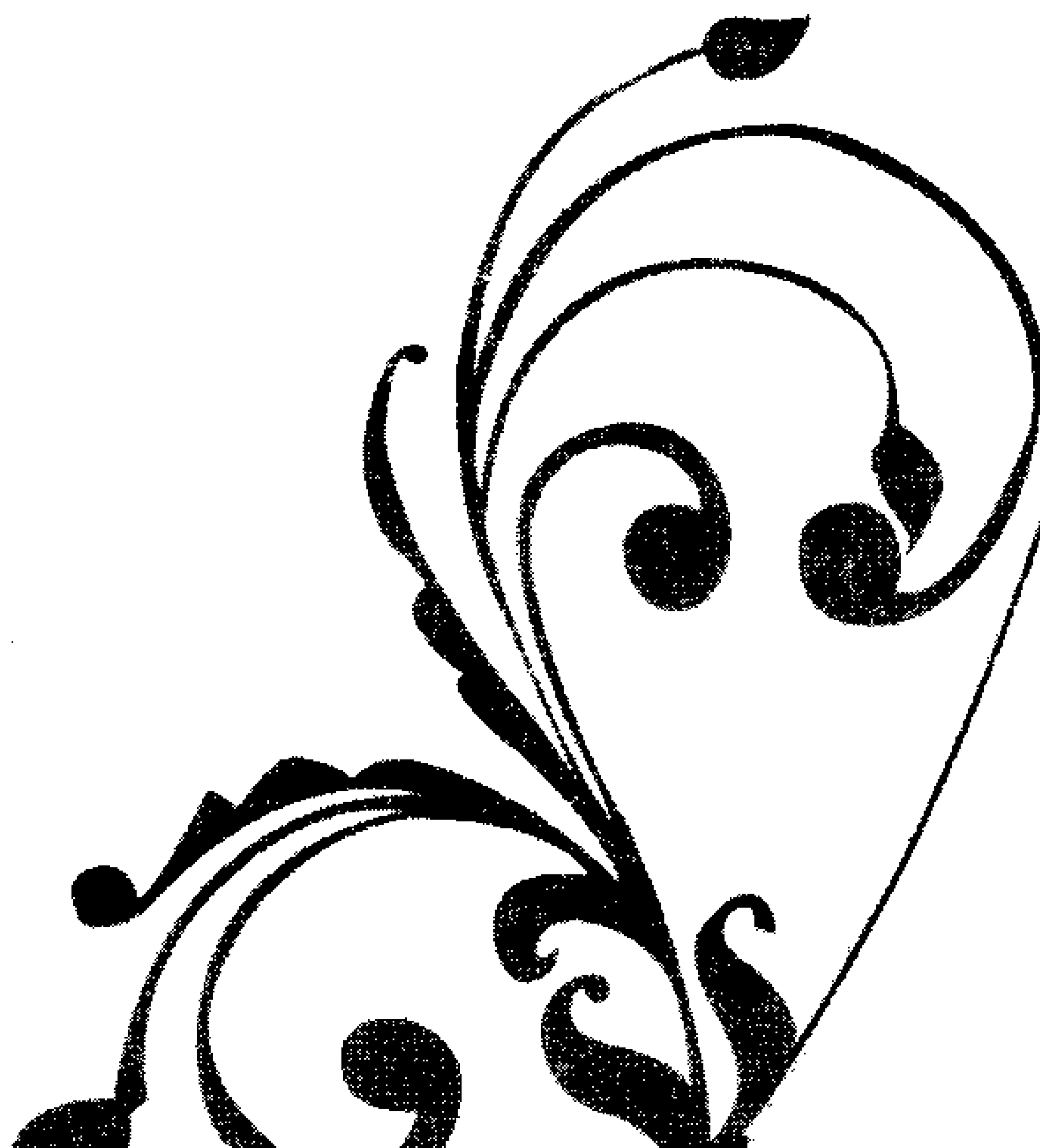


info@resalahonline.com

http://www.resalahonline.com

فرع بيروت

BEIRUT/LEBANON
TELEFAX: 815112- 319039- 818615
P.O. BOX:117460



السنة الثمانون بعد المئة

فيها هاجت الفتنةُ في الشام بين القيسيةِ واليمانية وتفاقم أمرُها، فعظُم ذلك على هارون، فخاف من انتقاضِ الحبل، فقال لجعفرِ بن يحيى: إمَّا أن تخرجَ أنت أو أنا[١]، فقال: بل أنا يا أميرَ المؤمنين. فتوجَّه إلى الشام بالجنود و القوَّاد، فأطفأ النَّائرة، وسكَّن الفتنة، وأَحسن إليهم، فاتَّفقوا، وصَلَحت الأحوال واستقامت الأمور. فعاد جعفرٌ إلى العراق، وولَّى على البلقاءِ صالحَ بن سليمانَ[٢] بن عليّ، واستخلف على الشام عيسى بنَ العَكِّي، فلمَّا عاد إلى بغدادَ ارتفعت منزلتُه عند هارون، وقال منصورٌ النَّمَري: [من الطويل]

لقد أُوقِدت بالشام نيرانُ فتنةٍ ... فهذا أوانُ الشأم تُخمَدُ نارُها
إذا جاش موجُ البحرِ من آل بَرْمَكٍ ... عليها خبت شُهبانُها[٣] وشَرارها
رماها أميرُ المؤمنين بجعفرٍ ... وفيه تلاقى صَدْعُها وانجبارها
رماها بميمون النَّقيبة ماجدٍ ... تراضى به قَحطانُها ونِزارها
لقد نشأت بالشام منه سحابةٌ ... يؤمَّل جَدواها ويُخشى دَمارها
فإنْ[٤] سالموا كانت سحابة نائلٍ ... وغيثٍ وإلَّا فالدماءُ قطارها
إذا ما ابنُ يحيى جعفرٌ قَصَدَت له ... مُلِمَّاتُ خطبٍ لم تَرُعْه كبارها
غدا بنجوم السَّعد مَن حلَّ رحلَه ... إليك وعزَّت عُصْبةٌ أنت جارها

من أبيات.

وفيها قدم هارون سُور المَوصل لئلَّا يغلبَ عليها الخوارج، وكان قد خرج منهم جماعة.

وفيها كانت بمصرَ والإسكندرية زلازلُ عظيمة، ووقع رأس مَنارة سَكندريةَ في البحر.

---

(١) في (خ): وأنا، والتصويب من المصادر.

(٢) في (خ): يحيى بن صالح بن سليمان.. وهو خطأ. انظر تاريخ الطبري ٨/ ٢٦٣، والمنتظم ٩/ ٤٦.

(٣) في (خ) شبباتها، والمثبت من الديوان ص٩٢، وتاريخ الطبري ٨/ ٢٦٢، والبداية والنهاية ١٣/ ٦٠٣.

(٤) في (خ): قد، والمثبت من المصادر.

وفيها ولَّى هارونُ جعفرَ بن يحيى خراسان وسِجِسْتان، فولَّى عليها جعفرٌ محمَّد[١] ابن الحسن بن قَحْطَبة، ثم عزل جعفراً عنها وولَّى عليها عيسى بنَ جعفر، فكانت ولاية جعفرِ بن يحيى عليها عشرين ليلة.

وفيها توفِّي

حسانُ بن سِنان

ابن أبي أَوفى[٢] بن عوف، أبو العلاء التَّنوخي.

ولد سنة ستِّين من الهجرة، وكان يكتب بالأقلام المختلفة، واستكتبه السفَّاح، فكان يَحُلُّ التراجم التي تَرِد عليه. ورأى جماعةً من الصحابة، ودعا له أنسُ بن مالك، فخرج من أولاده الفقهاءُ والقضاة والرؤساء والصُّلحاء والكتَّاب والزهَّاد. وعاش مئةً وعشرين سنة.

سَلمةُ بن صالح

أبو إسحاقَ الجُعفيُّ الكوفي القاضي، ويُعرف بالأحمر.

ولَّاه هارون قضاءَ واسط، فقدم إليه هُشيمُ[٣] بن بشير المحدِّثُ ومعه خصم له، فتعدَّى هُشيمٌ على الخصم ولَطَمه، فقال سلمة: ياهُشيم أَتظلم خصمَك في مجلس الحكم؟! ثم ضرب هُشيماً[٣] عشر دِرَر، فعزَّ ذلك على مشيخة واسط، فحجُّوا ولقُوا هارونَ في الطَّواف، وقالوا: لسنا نطعُن في سلمة، إلاَّ أنه ضرب شيخنا بالدِّرَّة، وسألوه عزلَه عنهم، فعزله، فقدم بغدادَ فأَقام بها حتى مات.

وقال المعافَى بن زكريا: لمَّا عُزل شريك عن القضاء، ركب يوماً ببغداد، فتعلَّق به رجلٌ فقال: يا أبا عبدِ الله، لي عندك ثلاثُ مئةِ درهم، قال: من أين؟ قال: ثمنُ هذا

(١) في (خ): جعفر بن محمّد، وهو خطأ.

(٢) في تاريخ بغداد ٩/ ١٧١، والمنتظم ٩/ ٤٩: ابن أوفى، وفي البداية والنهاية ١٠/ ١٧٥ (مكتبة المعارف): حسان بن أبي سنان بن أبي أوفى..

(٣) في (خ): هشام، في المواضع الثلاثة، والمثبت من المصادر، انظر تاريخ بغداد ١٠/ ١٨٩، والمنتظم ٩/ ٥٠، وتاريخ الإسلام ٤/ ٨٥٨.

البغلِ الذي تحتك. ومشى معه إلى الجسر وعنده الأعوان، فالتفت شريكٌ إليهم فقال: خذوا هذا فاحبسوه، وإنْ أطلقتموه لأُخبرنَّ صاحب الشُّرطة عبد الله بن مالك، فحبسوه، وقال له رجلٌ منهم: إن هذا تعلَّق بالأمس بالقاضي سلمةَ الأحمر فادَّعى عليه بأربع مئة درهم وأخذها، فقال: احتفظوا به. وأقام في الحبس مدَّة، فأرسل عبدُ الله صاحبُ الشرطة إلى شريكٍ يقول له: كم تحبس هذا الرَّجل؟ فقال: حتى يؤدِّيَ إلى سلمةَ أربع مئةِ درهم.فردَّها على سلمة، فجاء سلمةُ إلى شريكٍ يشكره، فقال له: يا ضعيف! كلُّ مَن سألك مالَك أعطيتَه إيَّاه؟!

عافيةُ بن يزيد

ابن قيس بن عافيةَ بن شدَّاد بن ثُمامة بن سَلَمة بن كعب بن أَوْد بن صَعْب بن سَعد العشيرة، الكوفيُّ، الأَودي[1].

كان من أصحاب أبي حنيفةَ الذين يجالسونه، وكان الذين يذاكرون أبا حنيفةَ جماعة، فإذا خاضوا في مسألةٍ وعافيةُ حاضر ووافقهم، أَمضَوها، وإنْ كان غائباً، يقول أبو حنيفة: لا ترفعوها حتى يحضرَ عافية، فإذا حضر فإنْ وافقهم أَثبتوها، وإنْ خالفهم يقول أبو حنيفة: لا تُثبتوها.

وقال ابن الأَعرابي: خاصم أبو دُلامَة رجلاً إلى عافيةَ في حكومة، فلم يتَّضح لعافيةَ فيها الحكم، فأقام سنةً يتأنَّى فيها، فقال أبو دُلامة: [من المتقارب]

لقد خاصَمَتْني دهاةُ الرِّجال ... وخاصمتُها سنةً وافيه
فما أدحض اللهُ لي حُجَّة ... وما غيَّب[2] اللهُ ليْ قافيه
ومَن خفتُ من جَوره في القضا ... فلستُ أخافك يا عافيه

وبلغ عافيةَ، فقال لأبي دلامة: هجوتَني لأشكونَّك إلى أمير المؤمنين، فقال له: لَئن شكوتني لَيعزلنَّك، قال: ولِم؟ قال: لأنَّك لا تعرف الهجوَ من المدح.

---

(١) في (خ): الأزدي، والمثبت من طبقات ابن سعد ٩/ ٣٣٣، وتاريخ بغداد ١٤/ ٢٥٤، والمنتظم ٩/ ٥١، وتهذيب الكمال، والسير ٧/ ٣٩٨.

(٢) في تاريخ بغداد، والمنتظم، وتهذيب الكمال: خيب.

وقال الأصمعيّ: كنت عند الرَّشيد، فرُفع إليه في عافية، فأُحضر، فجعل الرشيدُ يخاطبه ويوقفه على ما رُفع إليه، وطال المجلس، ثم إنَّ الرَّشيد عطس، فشمَّته مَن كان بالحضرة ممَّن قرب منه سواه، فقال له: ما بالُك لم تشمِّتني؟ فقال: يا أميرَ المؤمنين، إنَّك لم تحمد الله، وذكر حديثَ النبيِّ ﷺ أنَّه عطس عنده رجلان فشمَّت أحدَهما ولم يشمِّت الآخرَ، فقال: يا رسولَ الله، ما بالُك شمَّتَّ ذلك ولم تشمِّتني؟ فقال: «إنَّه حمد الله فشمَّتناه، وأنت لم تحمدْه فلم أُشمِّتك»[١]. فقال له الرشيد: اِرجع إلى عملك، فأنت لم تسامِح في عطسةٍ، تسامحُ في غيرها؟ وصرفه مُنصَرفاً جميلاً، وزَبَر القومَ الذي كانوا رفعوا عليه.

استعفاؤه من القضاء:

كان يتقلَّد القضاء للمهدي، وكان عالماً زاهداً، فصار إلى المهديِّ في وقت الظُّهر وهو خالٍ، فاستأذن عليه، فأذن له، فدخل ومعه قِمَطْره[٢]، فاستعفاه من القضاءِ واستأذن في تسليم القِمَطر إلى مَن يأمره، فظنَّ المهديُّ أن بعض الأولياء قد غضَّ منه وأضعف يدَه في الحكم، فسأله، فقال: ما جرى شيءٌ من ذلك، قال: فما سببُ استعفائك؟ فقال: تقدَّم إليَّ خصمان موسِران وجيهان منذ شهرين في قضيَّة مشكلة، وكلٌّ يدَّعي بيِّنةً وشهوداً، ويُدلي بحجَّة تحتاج إلى تأمُّل وتثبُّت، فرددتُ الخصوم رجاءَ أن يصطلحوا أو يعنَّ لي وجهُ فصلِ ما بينهما، فوقف أحدُهما من خبري على أنِّي أحبُّ الرُّطَب بالسكَّر، فعمد في وقتنا ـ وهو أوَّلُ أوقات الرُّطب ـ إلى أن جمع لي رُطباً سكراً لا يتهيَّأ في وقتنا جمعُ مثلِه، ورشا بوَّابي بجملة دراهمَ على أن يُدخلَ الطبق إليّ، فلمَّا دخل بالطبق ووضعه بين يدي، أنكرتُ وسألت بوَّابي، فصدقني فطردتُه، وأمرت بردِّ الطبق، فلمَّا كان اليومُ تقدَّم إليَّ مع خصمه، فما تساويا في قلبي ولا في عيني، هذا يا أميرَ المؤمنين ولم أقبل، فكيف يكون حالي لو قبلتُ! وقد فسد الناس، ولا آمَن أن يقعَ عليَّ حيلةٌ في ديني فأهلك، فأَقِلْني أَقالك الله، فأقاله.

ومات عافيةُ ببغدادَ، وكان ثقة.

(١) أخرجه البخاري (٦٢٢١ و ٦٢٢٥) ومسلم (٢٩٩١) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) القمطر والقمطرة: ما يصان فيه الكتب. مختار الصحاح (قمطر).

سيبويه النَّحوي

واسمه عَمرو بن عثمانَ بن قنبر[١]، أبو بِشر البصري.

وكانت أمُّه ترقِّصه وهو صغير وتقول: سيب وَيْه، ومعناه: يا رائحةَ التفاح[٢]، وكان طيِّب الرائحة. وقيل: سمِّي بذلك لأنَّ وَجْنَتَيه كانتا كأنَّهما تفاحتان.

وهو مولى بني الحارث بنِ كعب، وقيل: لآل الربيعِ بن زياد الحارثي.

وكان يصحب المحدِّثين والفقهاء ويطلب الآثارَ في أوَّل زمانه، وكان يستملي على حمَّاد بن سلمة، فلحن في حرف، فعابه حماد، فأَنِف ولزم الخليلَ بن أحمد.

وكان من أهل فارسَ من البيضاء.

وقال نَصر بن عليّ: برز من أصحاب الخليلِ أربعة: سيبويه، والنَّضر بن شُمَيل، وعليُّ بن نصر، والمؤرِّج السَّدوسي.

وقال ابنُ عائشة: كنَّا نجلس مع سيبويه في المسجد، وكان شابّاً جميلاً نظيفاً، قد تعلَّق من كلِّ علم بسبب، وضرب في كلِّ أدب بسهم، مع حداثة سِنِّه، وبراعتِه في النحو وغيرِه، فتذاكرنا حديثَ قتادة، فذكر حديثاً غريباً وقال: لم يروِه إلَّا سعيدُ بن أبي العَروبة ـ بألفٍ ولام ـ قيل له: ما هذا؟ فقال: مَن قال: عَروبة، فقد أخطأ، لأنَّ العَروبة يومُ الجمعة. قال ابن سلام: فذكرت ذلك ليونُس، فقال: لله درُّه فلقد أصاب.

وقال السِّيرافي[٣]: أخذ سيبويه اللغاتِ عن أبي الخطَّاب الأخفشِ وغيره، وعمل كتابَه الذي لم يَسبقه أحدٌ إلى مثله ولا يلحق به مَن بعده، وكان كتابُه لشهرته عند النُّحاة عَلَماً، فكان يقال بالبصرة: قرأ فلانٌ الكتاب، فيُعلم أنَّه كتاب سيبويه. وكان المبرِّد إذا أراد مريدٌ أن يقرأ عليه كتابَ سيبويه يقول له: هل ركبتَ البحر؟ تعظيماً له واستصعاباً لما فيه.

---

(١) بضم القاف وفتح النون وباء ساكنة، كذا قيده الذهبي في المشتبه ٥٣٥، وابن حجر في تبصير المنتبه ٣/ ١١٣٨، والزبيدي في تاج العروس (قنبر ١٣/ ٤٧٨ طبعة الكويت).

(٢) كذا في (خ)، ولفظة "يا" هنا مقحمة، وهي ليست في المصادر، انظر تاريخ بغداد ١٤/ ١٠٠، والمنتظم ٩/ ٥٤، ومعجم الأدباء ١٦/ ١١٤، وتاريخ الإسلام ٤/ ٦٣٧، والسير ٨/ ٣٥٢، والبداية والنهاية ١٣/ ٦٠٧ (طبعة دار هجر).

(٣) في كتابه أخبار النحويين البصريين ص٣٩، ٣٧.

وقال أبو عبد الله المرزُباني: اجتمع أربعون نَفْساً حتى عملوا كتابَ سيبويه، هو أحدُهم، وهو أصولُ الخليل بن أحمدَ ونُكَته، وإنَّ سيبويه ادَّعاه لنفسه.

ولمَّا قدم بغدادَ ناظر الكسائيَّ وأصحابه، فلم يظهرْ عليهم، فسأل: مَن يرغب من الملوك في النَّحو؟ فقيل: طلحةُ بن طاهر، فشخص إلى خراسان، فلمَّا انتهى إلى ساوةَ مرض مرضَ الموت، فتمثَّل: [من المتقارب]

يؤمِّل دنيا لتبقى له ... فمات المؤمِّل قبل الأمَلْ
حَثيثاً يروِّي أصولَ الفَسيل ... فعاش [الفَسيل] ومات الرَّجُل

وتوفِّي بساوةَ وعمره اثنتان وثلاثون سنةً رحمه اللهُ تعالى.

مبارك بن سعيدِ بن مَسْروق

أخو سفيانَ الثَّوري، من الطبقة السادسةِ من أهل الكوفة، وتوفِّي بها، وكانت عنده أحاديث، وكُنْيته أبو عبد الرحمن.

ولد بالكوفة وسكن بغداد، وذهب بصرُه، فكتب إلى أخيه سفيانَ يشكو ذهابَ بصره، فكتب إليه سفيان: وقفتُ على كتابك، وإذا فيه شكايةُ ربِّك، فاذكر الموتَ يَهُن عليك ذلك، والسَّلام.

حدَّث عن أخيه سفيانَ وطبقته، وروى عنه الحسنُ بن عَرَفة وغيرُه، وكان ثقة.

وحكى عن الشَّعبي أنه قال: المودَّة بين كرام الناسِ مثلُ الكوز من الفضَّة، بطيءُ الانكسار سريعُ الانجبار، ومَثَلُ المودَّة بين لئام الناسِ مثلُ الكوز من الفخَّار، سريعُ الانكسار بطيءُ الانجبار[١].

هشامُ بن عبد الرَّحمن الداخلِ

ابن معاويةَ بن هشامِ بن عبد الملكِ بن مروان. واسم أمِّه حَوراء[٢]، بربرية.

وَلِيَ في سنة اثنتين وسبعين ومئةٍ عند وفاة أبيه، وقام بالأندلس والياً سبعَ سنين

(١) تاريخ بغداد ١٥/ ٢٨٦-٢٩٠، وتهذيب الكمال، وتاريخ الإسلام ٤/ ٧٣١، والسير ٨/ ٤٨١.

(٢) في (خ): حوار، والمثبت من جذوة المقتبس ص١٠، والسير ٨/ ٢٥٣، وتاريخ الإسلام ٤/ ٧٦٠. وفي نفح الطيب ١/ ٣٣٤: اسمها حلل.

وتسعةَ أشهر، ومات في صفر بالأندلس وله تسعُ وثلاثون سنة. وكان من أحسن الناسِ وجهاً وأشرفِهم نفساً، كاملَ المروءة، عاملاً بكتاب اللهِ وسنَّة رسوله ﷺ، متصدِّقاً ظاهراً وباطناً، عادلاً في الرعيَّة، رَحوماً حليماً صالحاً، يعود المرضَى ويشهد الجنائز. ثم ولي بعده ولدُه الحكم بنُ هشام[1].



(١) انظر العقد الفريد ٤/ ٤٩٠.

السنةُ الحاديةُ والثمانون بعد المئة

فيها أَمَر هارونُ أن يصدَّرَ في مكاتباته بعد البسملةِ الصلاةُ على النبيِّ ﷺ. وغزا هارونُ بنفسه بلادَ الروم، فنازل حصناً يقال له: الصَّفصاف، ففتحه عَنوة، وقال مروانُ ابن أبي حفصة: [من الرجز]

إنَّ أميـر المـؤمنيـن المصطفـى قد ترك الصَّفصافَ قاعاً كالصَّفا[(١)]

وحجَّ بالناس هارونُ وفي صحبته وزيرُه يحيى بنُ خالد، وقد كان يختل من هارون، وبدت أَمارات تغيُّره عليه، فسأله في الكعبة أن يُعْفيَه من الوزارة وأن يجاورَ بمكَّة، فأَعفاه وأذن له في المجاورة، وردَّ الخاتمَ إلى هارون، وقفل راجعاً إلى العراق، وأقام يحيى بمكَّة.

فصل وفيها توفي

الحسنُ بن قَحْطَبة

ابنِ شَبيب الخُراساني، أخو حُميد، وهما وأبوهما من كبار قوَّاد بني العباس، ومَن اجتهدوا في إنشاء دولتِهم، وكان لهم عند أبي العباسِ وأخيه قدمُ صدقٍ ومكانةٌ عالية، وولَّوهم الولايات.

وكان الحسن شجاعاً جَوَاداً، وتوفِّي في هذه السنةِ وهو ابنُ أربعٍ وثمانين سنة[(٢)].

عبدُ الله بن المُبارك

ابنِ واضِح، أبو عبد الرَّحمن، المَرْوَزيُّ، الحَنْظَليّ مولاهم، من أهل مَرو[(٣)].

ولد سنةَ ثمان عشرة. وقيل: سنة عشرٍ ومئة. وطلب العلم، وروى رواياتٍ كثيرة،

---

(١) في (خ): مثل الصفا، والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ٢٦٨، والمنتظم ٩/ ٥٧، والبداية والنهاية ١٣/ ٦٠٩.

(٢) تاريخ الطبري ٨/ ٢٦٨، وتاريخ بغداد ٨/ ٤١٥، والمنتظم ٩/ ٥٨، وتاريخ الإسلام ٤/ ٨٣٣، والبداية والنهاية ١٣/ ٦٠٩.

(٣) تاريخ بغداد ١١/ ٣٨٨، والمنتظم ٩/ ٥٨، وتهذيب الكمال ١٦/ ٥، والسير ٨/ ٣٧٨، وتاريخ الإسلام ٤/ ٨٨٢، والبداية والنهاية ١٣/ ٦١٠، وفي حواشيها مصادر أخرى.

وصنَّف كتباً كثيرةً في أبواب العلم وصنوفه، حملها عنه قومٌ وكتبها الناسُ عنه. وقال الشِّعرَ في الزهد والحثِّ على الجهاد. وقدم العراقَ والحجاز والشام ومصرَ واليمن، وسمع علماً كثيراً.

وكان ثقة سيِّداً زاهداً عابداً ورِعاً شُجاعاً جَوَاداً إماماً حجَّة كثيرَ الحديث. وكان يَتَّجِر ويُنفق على الفقراء والمجاورين بالحَرَمين وغيرِهم، وأقام طولَ عُمره يحجُّ سنةً ويغزو سنة.

وكان أبوه تركيّاً مولًى لرجل تاجرٍ من بني حَنْظَلة، وهم بطنٌ من هَمَذان، وكان عبدُ الله إذا قدم الكوفةَ يخضع لولده(١) ويعظِّمهم، وكانت أمُّه خُوارِزْميَّة، قال: نظر أبو حنيفةَ إليَّ وإلى أبي فقال: أدَّت أُمُّ عبد الله الأمانة. وكان أشبهَ الناس بأبيه.

سئل عن أوَّل أمره فقال: كنت يوماً في بستان وأنا شابٌّ مع جماعة من أترابي، فأكلنا وشربنا، وكنت مولَعاً بضرب العود، فأخذت العودَ في الليل لأضربَ به، فنطق العودُ وقال: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد: ١٦] فضربت الأرضَ بالعود فكسرته، وصرفتُ ما كان عندي من الأمور التي تَشغلني عن ذِكر الله وعن الله تعالى، وجاء التوفيقُ من الله.

وكانت دارُه بمَرْوَ كبيرة، وكان صحنُها مقدارَ خمسين ذراعاً في مثلها، وكان يأوي إليها أربابُ المروءات والحوائجِ وطلَّابُ العلم، وما دخل حمَّاماً قطّ، ثم قدم الكوفةَ فنزل داراً صغيرة، فكان لا يأتيه أحد؛ لأنَّهم لم يكونوا يعرفونه، فكان يقول: ما العيشُ إلَّا ها هنا. وكان لا يجالس إلَّا كتبَه، فيقال له: ألا تستوحش؟! فيقول: كيف أستوحشُ وأنا أجالس اللهَ تعالى والملائكةَ والأنبياء والخلفاءَ والعلماء والأولياءَ والشُّهداء وغيرَهم؟ أفتراني أدع مجالسةَ هؤلاء وأجالسكم؟!

وقال ابن مَعين: كان ابنُ المبارك من الربَّانيين في العلم، الموصوفين بالحفظ، المذكورين بالزُّهد، قدم بغدادَ غير مرة، وأثنى عليه علماءُ الشرق والغرب، كأحمد بن

(١) أي: لولد ذلك التاجر. انظر تاريخ بغداد ١١/ ٣٨٩.

حنبل وسفيانَ الثوريِّ والفضيلِ بن عياض وبشرٍ الحافي، وربما فضَّلوه على الثوري، وكان سفيان الثوريُّ يقول: أَشتهي أن أكون مثل ابن المباركِ سنة، لا واللهِ ما أقدر ولا ثلاثةَ أيام، ابنُ المبارك أعلمُ أهل الشرِق والغرب.

وقال سفيان بن عُيَينة: نظرت في أمر الصحابةِ وفي أمر ابنِ المبارك، فما رأيتُ لهم عليه فضلاً إلَّا صُحْبَتَهم لرسول اللهِ ﷺ والغزوَ معه.

وقال ابن مَعين: ابن المبارك في كلِّ فنٍّ أمير المؤمنين، في الحديث وغيرِه.

وقال إسماعيل بن عيَّاش: ما على وجه الأرضِ مثلُ عبد الله بن المبارك، ولا أعلم خصلةً من خصال الخير إلَّا وقد جعلها اللهُ فيه، ولقد حدَّثني أصحابي أنَّهم صحبوه من مصرَ إلى مكةَ، فكان يطعمهم الخبيصَ[1] وهو صائمُ الدهر.

وقال أشعثُ بن شعبةَ المِصِّيصي: قدم هارونُ أميرُ المؤمنين الرَّقَّة، وقدم ابنُ المبارك، فانجفل الناسُ خلف ابن المبارك، وتقطَّعت النِّعال وارتفعت الغَبرة، وأشرفت أمُّ ولدٍ لهارونَ من قصر، فلمَّا رأت الناسَ قالت: ما هذا؟ قالوا: عالمٌ من أهل خراسانَ يقال له: عبدُ الله بن المبارك، فقالت: واللهِ هذا المُلك، لاملك هارونَ الذي لا يجمع الناسَ إلَّا بالشُّرَط والأعوان.

وكان عبدُ الله يقول: لولا خمسةٌ لما تاجرت: الفضيلُ بن عياض، وسفيان الثوريّ، وابن عُيينة، وابن عُلَيَّة، ومحمَّد بن السمَّاك.

وكان ينفق على الفقراء في كلِّ سنةٍ مئةَ ألفِ درهم.

وكان الثوريُّ وفُضيلٌ ومشيخةٌ جلوساً في الحرم، فطلع ابنُ المبارك، فقيل: هذا رجلُ أهل المشرق، فقال الفُضيل: وأهلِ المغرب وما بينهما جميعاً.

وقال ابن المبارك: استعرتُ قلماً بأرض الشام، فلمَّا قدمتُ مرو، نظرت فإذا هو في أقلامي، فرجعت إلى أرض الشَّام حتى رددتُه على صاحبه.

وقال الحسينُ بن الحسن: كنَّا جلوساً عند ابنِ المبارك، فجاءه سائل، فقال: يا غلام، أَعطِه درهماً، فأعطاه، فلما ولَّى السائل، قال له بعضُ أصحابنا: يا أبا عبدِ

(١) الخبيص: الحلواء المخبوصة من التمر والسمن. المعجم الوسيط (خبص).

الرحمن، هؤلاء السؤَّال يتغدَّون بالشِّواء والفالُوذج، كان يكفيه قطعة، فلمَ أَمرتَ له بدرهم؟ فقال: يا غلام، ردَّه، قد كنتُ أظنُّ أنَّهم يجتزئون بالخلِّ والبقل، فأمَّا إذا كان غداؤهم الشِّواءَ والفالُوذَج، فلا بدَّ من عشرة دراهم، يا غلام، ادفع له عشرةَ دراهم.

وقال الحاكمُ أبو عبد الله: سافر ابنُ المبارك فأطال السفر، فنزل على صاحبٍ له، فقال له: قد طالت علي العُزْبة، فاشترِ لي جاريةً من صفتها كذا وكذا، قال: فاشتريتها له، ودفعتها إلى أَهلي فأَصلحوها، وحملتها إليه، فأَقامت عنده تلك الليلة، ثم ردَّها عليَّ وقال: بِعها، وسألها أهلي فقالت: واللهِ ما وضع يده عليّ. قال: فقلت له: طلبتَ الجاريةَ فاشتريتُها وعرضتها عليك، فرضيتَها، وأمرتُ أمَّ بناتي فهيَّأتْها، ولم تضع يدَك عليها؟ قال: إنني محتاجٌ إليها، ولمَّا خلوت بها ذكرت إخواني، فتذمَّمت أن أنالَ شهوة لا ينالونها، وليس في يدي ما يَسعهم، أَخرجها فبعها. وفي معناه يقول الشاعر: [من الطويل]

وتركي مواساةَ الأخِلَّاءِ بالذي ... تنال يدي ظلمٌ لهمْ وعقوقُ
وإنِّي لأستحيي من الناس أن أُرى ... بحالِ اتِّساع والصديقُ مُضيقُ[1]

وقال أبو نُعيم الأصبهاني: كان ابنُ المبارك يَتَّجِر ويَقدَم كلَّ سنةٍ مكةَ، فيبعث بالصُّرر إلى أربابها، كفُضَيل بن عياض، وابن عُيينة، وابن عُلَيَّة، وغيرِهم. فقدم سنةً مكةَ فوجد ابنَ عُلَيَّة قد ولي الصَّدقات لهارون، فبعث بالصُّرر إلى أربابها ولم يبعث إلى ابن عُلَيَّة بشيء، وكان يعطيه في كلِّ سنةٍ خمسَ مئة درهم، فركب ابن عُلَية إليه فسلَّم عليه، فلم يرفعْ به رأساً ولم يكلِّمه، فكتب إليه: أَسعدك اللهُ بطاعته، وتولَّاك بحفظه، وحاطك بحياطته، قد كنتُ منتظرَ البرِّ والصِّلة منك لأتبرَّكَ بها، وجئتك مسلِّماً فلم تكلِّمني، فأيُّ شيءٍ بدا مني؟ فعرِّفني حتى أعتذرَ منه. فلمَّا قرأها ابنُ المبارك قال: يأبى هذا الرَّجل إلا أن أَقْشِرَ[2] له العصا، وكتب إليه: [من السريع]

ياجاعلَ العلم له بازياً ... يصيد أموالَ المساكينِ

---

(١) المنتظم ٩/ ٦٢.

(٢) في (خ): يا هذا الرجل الآن اقشر، وهو تحريف، والمثبت هو الصواب، انظر ميزان الاعتدال ١/ ٢١٩، وتهذيب التهذيب ١/ ١٤١.

احــتــلــتَ لــلــدُّنــيــا ولــذَّاتــهــا بــحــيــلــةٍ تــذهــب بــالــدِّيــن
فــصــرتَ مــجــنــونــاً بــهــا بــعــدمــا كــنــت دواءً لــلــمــجــانــيــن
أيــن روايــاتُــك فــي سَــرْدهــا عــن ابــن عــونٍ وابــن ســيــريــن
أيــن أحــاديــثُــك والــقــول فــي لــزوم أبــوابِ الــسَّــلاطــيــن
إنْ قــلــتَ أُكــرهــت فــمــا هــوْ كــذا زلَّ حــمــارُ الــعــلــم فــي الــطِّــيــن(١)

فلمَّا قرأ الأبياتَ بكى، ودخل على هارونَ فاستعفاه، فقال: لعلك التقيتَ ذاك المجنونَ المَرْوَزيّ، فقال له: اِرحم شيبتي، فأقاله، فبعث إليه ابنُ المبارك برسمه.

وقال عليُّ بن الحسن بن شَقيق: كان ابنُ المبارك إذا جاء العامُ الذي يحجُّ فيه، اجتمع إليه إخوانهُ من أهل مرو، فيقولون: الصُّحبةَ، فيقول: هاتوا نفقاتِكم، فيأخذها فيجعلها في صُندوق ويُقفل عليه، ثم يكتري لهم من ماله ويجهِّزهم بكلِّ ما يحتاجون إليه من مروَ إلى مكَّة [و] قال لهم: ما الذي طلب منكم عيالُكم من المتاع؟ فيقولون: كذا وكذا، فيشتري لهم من متاع مكَّة ما سمَّوه، فإذا قدم المدينةَ سألهم، فيذكرون له المتاع، فيشتريه، فإذا عادوا إلى بغداد، سألهم كذلك، فإذا قدموا مروَ وضع لهم طعاماً عظيماً، وأحضرهم فأكلوا، وفتح الصُّندوق وأخرج تلك الصُّررَ وعلى كلِّ صرَّةٍ اسمُ صاحبها، وأخرج لهم هدايا مكةَ والمدينةِ وبغداد، فيدفع الجميعَ إليهم، ويبيِّض أبوابَهم(٢).

وقال الحاكمُ أبو عبد الله: كان عبدُ الله بن المبارك يحجُّ ومعه أحمال وصناديقُ وخدم كثير، فنزلوا منزلاً عن مرو، وكان مع بعض خدمه قَبَجةٌ(٣)، فماتت، فألقاها الخادمُ على الكُناسة، وشرعوا في الرحيل وتجهيزِ الأثقال، وابنُ المبارك واقفٌ على دابَّة له ينتظر المسير، فنظر إلى جويريةٍ تُخرِج رأسَها من باب صغيرٍ وترجع لعلها ترى فرصةً لكي لا يراها أحد، فتغافل ابنُ المبارك عنها، فخرجت في إزارٍ ليس عليها

(١) صفة الصفوة ٤/ ١٤٠، والسير ٨/ ٤١١-٤١٢، وتاريخ الإسلام ٤/ ٨٩٧، وهي في روضة العقلاء لابن حبان ص٣٦-٣٧ باختلاف في بعض الأبيات.
(٢) في تاريخ بغداد ١١/ ٣٩٥: فإذا وصل إلى مرو جصَّص أبوابهم ودورهم.
(٣) القبجة: الحَجَل، تقع على الذكر والأنثى. القاموس (قبج)، وانظر الخبر في المنتظم ٩/ ٦٢-٦٣.

قميص ولا مِقْنَعة، فحملت القَبَجَة ودخلت الدارَ تعدو، فقال عبدُ الله لغلامه: اِذهب إلى هذا البابِ واسأل عن الجارية ولِمَ أخذت القبجة، فجاء الغلامُ فطرق الباب، فخرجت الجارية، فسألها، فسكتت، فألحَّ عليها، وجاء ابنُ المبارك فسألها، فقالت: أنا وأختٌ لي في هذه الدارِ ليس في منزلنا إلَّا إزارٌ واحد إذا لبستُ بَقِيَتْ أختي عُريانة، فهو كسوتُنا وفراشنا، فقال: ليس لكم قيِّم؟ قالت: لا والله، وكان أبونا رجلاً موسِراً، فظُلمنا وغُصبنا على أموالنا، وبقينا بحالٍ تحلُّ لنا الميتة، فرقَّ لها عبدُ الله، وقال لغلامه: اِلحق فردَّ الأثقال، وقال لوكيله: ما معك من النَّفقة؟ قال: ألفُ دينار؟ قال: اعزلْ منها عشرين ديناراً تكفينا إلى مروَ وصُبَّ الباقيَ في إزار هذه الجارية، ففعل الغلام، وعاد إلى مروَ، فقيل له: ما الذي ردَّك؟ فقال: استقبلَنا ما هو أفضلُ من الحجّ.

وقد رُويت هذه الحكايةُ على وجه آخرَ، فقال عليُّ بن الحسن بن شَقيق: توجَّه ابن المبارك من مَرْوَ إلى الكوفة للحجّ، فرجع بعد ذلك عن قُرب، فسألتُه عن سبب رجوعِه، فقال: خرجتُ إلى موقف الكوفةِ وفي كمِّي خمسُ مئة دينار لأشتريَ بها جِمالاً، فرأيت امرأةً تسارق الناسَ من بعيد، وتتقدَّم إلى مزبلةٍ هناك عليها بطَّة ميِّتة تريد أن تأخذَها، فإذا نظر إليها أحدٌ أمسكت، فغفل الناس عنها، فأخَذَتها وأنا أُسارقها بالنظر، فتبعتُها وقلت لها: أتأكلين الميتة؟ فقالت: يا عبدَ الله، لا تسألْني[1].

فوقع كلامُها في قلبي، قال: فألحجت عليها، فقالت: قد أحوجتَني إلى هتك سِتري وكشف سرِّي، أنا امرأةٌ شريفة، مات زوجي وترك أربعَ بناتٍ يتامى وليس يسترنا إلَّا الحيطان، ولنا أربعةُ أيام ما أكلنا شيئاً، فخرجت أتسبَّب لهنَّ في شيءٍ فلم أجد غيرَ هذه البطَّة، فأخذتها لأُصلحَها وأحملَها إلى بناتي فيأكلْنها. قال: فقلتُ: ويحَكَ يا ابن المبارك، وأين أنت عن هذه وبناتِها، فقلت: افتحي حِجْرَك، ففتحته، فصببتُ الدنانير فيه، ونزع اللهُ من قلبي شهوةَ الحجِّ في تلك السَّنة، وعدتُ إلى بلدي وأقمت حتى عاد الناسُ من الحجّ، فخرجت أتلقَّاهم، فجعلت كلَّ مَن أقول له: قَبِلَ اللهُ حجَّك، يقول: وأنت قبل الله حجَّك، وأكثر عليَّ الناس، فبتُّ متفكِّراً، فرأيت رسولَ الله ﷺ في المنام

(١) في (خ): ألا تسألني. ولايستقيم بها الكلام، وانظر الخبر في ترتيب المدارك ١/ ٣٠٤.

فقال لي: يا ابنَ المبارك، لا تعجبْ، فإنَّك أغثت ملهوفةً من ولدي، فسألتُ اللهَ أن يخلق على صورتك مَلَكاً يحجُّ عنك إلى يوم القيامة، فهو يحجُّ عنك، فإن شئتَ أن تحجَّ وإن شئتَ لا تحجّ.

وقال عَبْدَةُ[١] بن سليمان: كنا في سريةٍ مع ابن المباركِ في بلاد الرُّوم، فصادفنا العدوّ، فلمَّا التقى الصفَّان، خرج رجلٌ من العدوِّ فدعا إلى البِراز، فخرج إليه رجل ملثَّم، فطارده ساعة، فطعنه فقتله، ثم خرج آخَرُ من العدوّ، فطعنه فقتله، ثم خرج آخر وآخرُ وهو يقتلهم، فقتل أربعة، فازدحم عليه الناسُ وهو ملثَّم بكمِّه، فأخذتُ بطرف كُمِّه فمددته، فإذا هو عبدُ الله بن المبارك، قال: فقال: يا أبا عَمرو، وأنت ممَّن يُشَنِّع علينا؟

وقال ابنُ المبارك: حضرت بعضَ الغزوات، فبارزني عِلجٌ وطال القتالُ بيننا، وحضر وقتُ الصلاة، فقلت له: أريد أن أصلِّي، فقال: صلِّ فأنت آمن، فصلَّيت، فجاء وقتُ صلاته، فقال: أريد أن أصلِّي فأمِّنِّي، فقلت: أنت آمن[٢]، فأخذ في صلاته، وحانت لي منه فرصة، فرفعت السيفَ لأضربَه، فسمعت قائلاً من الهواءِ يقول: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ﴾ [النحل: ٩١] ﴿وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾[الإسراء: ٣٤] فوقع السيفُ من يدي، فلمَّا فرغ من صلاته قال: رأيتك رفعتَ السيف، فما أردتَ أن تفعلَ بعد الأمان؟ فقلت: أردت أن أقتلَك فسمعتُ قائلاً من الهواء يقول: ﴿وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ فبكى وقال: نِعمَ الربُّ ربٌّ يعاتب وليَّه في عدوِّه، ثم أسلم وعاد معي إلى العسكر، فاستُشهد في بعض المغازي.

وقال: خرجنا في بعض الغزواتِ ومعنا فتًى كثيرُ الصلاة والصيام، ففقدتُهُ مدَّة، ثم حاصرْنا حصناً، فبرز عِلجٌ من الزِّحام فقتل مسلماً، ثم برز إليه آخَرُ فقتله، حتى قتل عشرةً من المسلمين، فبرزتُ إليه، فتأمَّلته فإذا به ذلك الفتى، فقلت: فلان؟ قال: نعم،

---

(١) في (خ): عبد الله، والمثبت من تاريخ بغداد ١١/ ٤٠٦، والمنتظم ٩/ ٥٩، والسير ٨/ ٣٩٤، وتاريخ الإسلام ٤/ ٨٨٩ . وعبدة بن سليمان من رجال التهذيب، روى له أبو داود، وهو صاحب ابن المبارك، انظر تهذيب الكمال (٤٢٠٢).

(٢) في (خ): أمين، في الموضعين!

قلتُ: ويحك ما هذا؟ قال: بُليت بعشق امرأةٍ من الروم، ففعلَتْ فيَّ ما ترى، فقلت: ويحك عُدْ إلى الإسلام، فقال: بَعدَ ما وُلد لي أولادٌ منها، قلت: فالقرآنُ الذي كنت تقرؤه؟ قال: نسيتُهُ كلَّه غيرَ آية واحدة، وهي قولُه تعالى: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر: ٢] ثم انحرف، فطعنتُهُ فقتلته.

وقال: جاء أوانُ الحجِّ[1]، فقلت: أُجاهد في هذا العام، وقَوِيَ عزمي على الجهاد، فنمتُ، فرأيتُ في المنامِ قائلاً يقول: كم تُلِحّ؟ إن غزوتَ العامَ أُسرت، وإن أُسرتَ تنصَّرت.

وقال محمَّد بن عيسى: كان ابنُ المبارك كثيرَ الاختلاف إلى طَرَسُوس، وكان ينزل الرقَّة في خان، وكان يختلف إليه شابٌّ يقوم بحوائجه ويسمع عليه الحديث، فقدم الرقَّة مرَّةً فلم يره، فسأل عنه، فقيل: هو محبوسٌ بدَين، قال: وكم دَينُه؟ قالوا: عشرة آلافِ درهم، فدعا بصاحب الدَّين ليلاً ودفع إليه المال، وسأله ألَّا يُعلم الفتى.

وسافر ابنُ المبارك، وأَخرج الرجلُ الفتى مَن الحبس ولم يعلم مَن قضى دينه، وقيل للفتى: كان ابنُ المبارك هاهنا والبارحةَ سافر، فخرج خلفه فلحقه على مراحل، فقال له: يافتى، ماالذي أَبطأ بك؟ فقال: كنتُ محبوساً بدين فجاء رجلٌ فقضاه عنِّي، قال: مَن الرَّجل؟ قال: لا أعلم، فقال ابنُ المبارك: الحمد الله. ولم يَعلم الفتى أنَّ ابن المبارك قضاه، ولم يُخبر صاحبُ الدَّين أحداً بشيءٍ حتى مات ابنُ المبارك.

وكان إذا أقام ببغدادَ يتصدَّق كلَّ يوم بدينار.

وقال القاسم بن محمد[2]: قلت في نفسي: بأيِّ شيءٍ فُضِّل هذا الرجلُ علينا حتى اشتهر بين الناس هذه الشُّهرة؟! إنْ كنا لَنصلِّي كما يصلي، ونصوم كما يصوم، ونحجُّ كما يحجّ، ونغزو كما يغزو. قال: فدخلتُ عليه في بعض الليالي وإذا به في الظُّلمة، فخرجت وأتيتُه بسراج، وإذا وجهُه ولحيتهُ قد امتلآ من البكاء والدُّموع، فلعله ذكر ظُلمةَ القبر، فقلت في نفسي: بهذه الخشيةِ فضِّل علينا.

---

(١) في نسخة في هامش (خ): حجي.

(٢) في (خ): محمد بن القاسم، والمثبت من صفة الصفوة ٤/ ١٤٥، وهو الصواب إن شاء الله، فقد ذكره المزي في تهذيب الكمال (٣٥٠٨) في الرواة عن ابن المبارك، وأنه مروزي.

ذكر نُبذةٍ من كلامه:

كان يقول: خرج أهل الدُّنيا ولم يذوقوا طيِّبَ ما فيها، قيل: وما هو؟ قال: معرفةُ اللهِ تعالى.

وكان يقول: لَأن أَرُدَّ درهماً من شُبهةٍ أحبُّ إليَّ من أن أتصدَّقَ بمئة ألفِ درهم.

وقيل له: ما التواضع؟ قال: التكبُّر على الأغنياء. أخذ هذا المعنى شاعرٌ[1] فنظمه فقال: [من البسيط]

لم ألقَ مُستَكبِراً إلَّا تحوَّل لي ... عند اللقاءِ له الكِبرُ الذي فيهِ
ولا حَلَا لي من الدُّنيا ولذَّتِها ... إلَّا مقابلتي للتِّيه بالتِّيه

وسُئل: مَن الناس؟ فقال: العلماء، قيل: فمَن الملوك؟ قال: الزهَّاد، قيل: فمن السَّفِلة؟ قال: الذين يأكلون الدُّنيا بالدِّين.

وعطس رجلٌ عنده فلم يقل: الحمدُ الله، فقال له: إذا عطس الرجلُ أيشٍ يقول؟ فقال: الحمدُ لله، فقال له: يرحمكَ الله، فعجب الناسُ من لُطفه.

وقال له رجلٌ: كم تكتب؟! فقال: لعل الكلمةَ التي أنتفعُ بها وفيها نجاتي لم أسمعْها بعد.

وقال محمَّد بن إبراهيمَ البَهراني[2]: أملى عليَّ ابنُ المبارك وهو بطَرَسوسَ كتاباً إلى الفُضيل بن عياض وهو بمكَّةَ فيه يقول: [من الكامل]

يا عابدَ الحَرَمَين لو أَبصرْتَنا ... لَعلمتَ أنَّك في العبادة تلعبُ
مَن كان يَخضِب خدَّه بدموعه ... فنحورُنا بدمائنا تتخضَّب
أو كان يُتعِبُ خيلَه في باطلٍ ... فخيولُنا يوم الكَريهةِ[3] تتعب
ريحُ العَبير لكمْ ونحن عَبيرُنا ... رَهَجُ[4] السَّنابك والغبارُ الأطيب

(١) هو شهاب الدين سعد بن محمَّد الصيفي التميمي المعروف بـ: حيص بيص، والبيتان في ديوانه ص٤١٧.

(٢) في (خ): الزواني، وهو تحريف، والمثبت من طبقات الشافعية الكبرى ١/ ٢٨٦، وانظر سير أعلام النبلاء ٨/ ٤١٢، وتاريخ الإسلام ٤/ ٨٩٥، والنجوم الزاهرة ٢/ ١٠٣.

(٣) في (خ): العريكة، والمثبت من طبقات الشافعية ١/ ٢٨٧.

(٤) في (خ) وهج، والمثبت من المصادر. والرهج: الغبار.

ولـقـد أتـانـا فـي مـقـال نـبـيِّـنـا أخـبـارُ قـول صـادق لا يـكْـذب
لا يـسـتـوي وغـبـارُ خـيـلِ الله فـي أنـف امـرئٍ ودخـانُ نـارٍ تَـلْـهَـب[١]

قال: فأتيتُ بالكتاب إلى الفُضيل، فقرأه وبكى، وقال: صدق أبو عبد الرَّحمنِ ونصح.

ولابن المبارك أشعارٌ كثيرة في الزُّهد والحِلم وغيرِ ذلك.

وقد مدحه عمارُ بن الحسن[٢] فقال: [من الطويل]

إذا سـار عـبـدُ الله مـن مَـرْوَ لـيـلـةً فـقـد سـار عـنـهـا نـورُهـا وجـمـالُـهـا
إذا ذُكـر الأخـيـارُ فـي كـلِّ بـلـدةٍ فـهـم أنـجـمٌ فـيـهـا وأنـت هِـلالُـهـا

ذكر وفاته:

قال سعيد بن نعيم المَصِّيصي: خرج عبدُ الله بن المبارك من المصِّيصة في شعبانَ سنةَ إحدى وثمانين ومئة، فشيَّعه أبو إسحاقَ الفَزاريُّ ومَخلدُ بن الحسين وعلي بن بكَّار مشاةً إلى باب الشَّام يَبْكُون، ثم قدم علينا إسماعيلُ الجعفريُّ الكوفي، فقال لأبي إسحاق: شهدتُ عبدَ الله بن المبارك قد خرج من سفينةٍ بهِيت، فمات بها ليلةَ الثُّلاثاء لثلاثَ عشرةَ مَضَين من شهر رمضان، فبكى أبو إسحاقَ وعزَّاه الناس.

وقيل: مرض في السَّفينة ومات، وأخفى أصحابُه موتَه ليحملوه إلى مَرْوَ، فلمَّا كان نصفُ الليل، رأى أهلُ هِيتَ عموداً من نورٍ قد نزل من السَّماء على السفينة؛ فثار أهلُ هيت وقالوا: لا يُخرَجُ هذا الرجلُ الصالح من أرضنا، ونحن أحقُّ به، لأنَّ الله ساقه إلينا، فأخرجوه ودفنوه بهِيت، وقبرُه ظاهرٌ يُزار.

ولمَّا احتُضِر قال لنصرٍ غلامِه: ضعْ رأسي على التُّراب، فبكى، فقال: ما يُبكيك؟ فقال: ذكرتُ ما كنتَ فيه من النَّعيم، وها أنت تموت غريباً فقيراً، فقال: اسكُت، فإني سألت اللهَ أن يُحيِيَني حياةَ الأغنياءِ السُّعداء ويميتَني موتَةَ الشهداء، ثم فتح عينيه وضحك وقال: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الصافات: ٦١].

---

(١) إشارة إلى قوله ﷺ: «لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في منخري رجل مسلم» أخرجه أحمد (٧٤٨٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) في (خ): الحسين، والمثبت من تاريخ بغداد ١١/ ٤٠٢، وتهذيب الأسماء واللغات ١/ ٢٨٥، والسير ٨/ ٣٩٠، والطبقات السنية ٤/ ١٩٩ .

ومات وعُمره ثلاثٌ وستُّون سنة. وقيل: إنَّه مات سنةَ ستٍّ وسبعين ومئة.

وجاء البريدُ إلى الرَّشيد بوفاته، فقال: مات سيِّد العلماءِ والزهَّاد، ما رأيته قطّ، ولكن أَرعى له بيتاً قاله فينا: [من البسيط]

لولا الخلافةُ ما قامت لنا سُبُلٌ وكان أضعفُنا نَهْباً لأقوانا[1]

يا غلام، اِئذن للناس يعزُّوني في أبي عبدِ الرَّحمن.

وكان ابنُ المبارك قد قدم بغداد، فأتاه هارونُ الرشيد للزيارة، فقعد على باب البيتِ الذي هو فيه فلم يفتحْ له الباب، وقال: أنا عنه في غنىً، فقام هارونُ وانصرف، وبعث إليه يحيى بن خالد يستأذنه في زيارته، فقال له: يا يحيى، أَمَا يستحيي مثلُك يكون رسولَ مثله؟! ولم يأذنْ له.

وقال أبو حاتِم الفِرَبْري: رأيت ابنَ المباركِ في منامي واقفاً على باب الجنَّة وبيده مفتاح، فقلت: ما هذا؟ قال: مفتاحُ باب الجنَّة، دفعه إليَّ رسولُ الله ﷺ حتى أزورَ الربَّ سبحانه وقال: كن أميني في السَّماء كما كنتَ أميني في الأرض[2].

وقال صخرُ بن راشد: رأيت ابنَ المبارك في المنام، فقلت: ما فعل اللهُ بك؟ فقال: غفر لي مغفرةً أحاطت بكلِّ ذنب.

وقال صخرٌ[3] أيضاً: رأيت النبيَّ ﷺ في المنام، فقلت: يا رسولَ الله، ما فعل اللهُ بابن المبارك؟ فقال: ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [النساء: ٦٩] الآية.

وكان ابنُ المبارك قد طاف الدُّنيا شرقاً وغرباً، وبُعداً وقُرباً، وأَسند عن كبار الأئمَّة، منهم: هشامُ بن عروةَ وسعيدُ بن عبد العزيز وغيرُهما، وروى عنه جمٌّ غفير.

وقال فَضَالة النَّسوي: كنَّا أصحابَ الحديث إذا اختلفنا في مسألةٍ أو في حديثٍ قلنا: مرُّوا بنا إلى الطَّبيب، يعني ابنَ المبارك، وهو أعلمُ من الثوريِّ وأفضل.

---

(١) البيت من قصيدة طويلة، انظر حلية الأولياء ٨/ ١٦٤، وبهجة المجالس ١/ ٢٣٢، والسير ٨/ ٤١٤، وتاريخ الإسلام ٤/ ٨٩٦، وطبقات الشافعية الكبرى ١/ ٢٨٧.

(٢) في تاريخ الإسلام ٤/ ٨٩٩، والسير ٨/ ٤١٩: دفعه إلي محمد ﷺ وقال: حتى أزور الرب تعالى فكن أميني...

(٣) في تاريخ بغداد ١١/ ٤٠٩: الفريابي، بدل صخر.

وقال سويد بنُ سعيد: رأيت ابنَ المبارك أتى زمزم، فأخذ شَربةً من مائها وقال: اللهمَّ إن نبيَّك ﷺ قال: «ماءُ زمزمَ لما شُرب له»(١) وإنّي قد شربتُها لعَطَشِ يومِ القيامة.

واتَّفقوا على فضل ابنِ المبارك، وأَمانته، وصدقِه، وثقته، وزُهده، وجهادِه، واجتهاده، وحِكمته، وكرمِه، وسَخائه، وفصاحته، ونظمه، ونثره، وبلاغته، وأنَّه من أكابر المسلمين والأئمَّة المخلصين. وله التصانيفُ الكثيرة في فنون العلوم، منها كتاب «الزُّهد» وكتاب «الجهاد» وغيرُ ذلك، رحمه اللهُ تعالى.

عُفَيْرَة(٢) العابدة البصريَّة

كانت من العابدات الخائفات. قال محمَّد بن عبيد: دخلنا على عُفيرةَ بالبصرة، فسألناها الدُّعاء، فقالت: لو خَرِس الخاطئون ما تكلَّمت عجوزكم، ولكن المُحْسِن أمر المسيءَ بالدُّعاء، جعل اللهُ قِراكم الجنة، والموت منِّي ومنكم على بال.

وكان لها ابنُ أخٍ غائب، فبُشِّرت بقدومه، فبكت وقالت: أَذكرني قدومُه القدومَ على الله تعالى، فقيل لها: فهذا يومُ سرور، فقالت: ما أجد للسُّرور في قلبي موضعاً مع ذِكر الآخرة إذا قدمنا على الله تعالى.

وكانت لا تنام الليلَ ولا تهدأ، وتقول: قَطَعَ ذِكرُ العَرْضِ على الله أوصالَ الخائفين.



(١) أخرجه ابن ماجه (٣٠٦٢)، وأحمد (١٤٨٤٩) من حديث جابر ﷺ، والخبر في تاريخ بغداد ١١/ ٤٠٥.

(٢) في (خ): عفرة، والمثبت من المنتظم ٩/ ٥٦، وصفة الصفوة ٤/ ٣٣، والبداية والنهاية ١٣/ ٦٠٨. وقد ذكراها في سنة ثمانين ومئة.

السَّنةُ الثانيةُ والثمانون بعد المئة

فيها أخذ هارونُ البيعةَ لابنه المأمونِ بعد الأمين، وأَقطعه خُراسانَ، وضمَّه إلى جعفرِ بن يحيى. وبايعه بنوهاشم: موسى بن عيسى، وجعفرُ بن المنصور، وعبدُ الملكِ ابن صالح، وغيرُهم.

وقدم الشافعيُّ رحمةُ الله عليه بغداد، فوافق عقدَ الرشيد البيعةَ لابنه المأمونِ بعد الأمين، وجلس الناسُ في دار العامَّة ينتظرون الإِذن، وقالوا: كيف ندعو لهما؟! إنْ دعونا لهما بالبقاء كان دعاءً على أبيهما، وإن سكتنا كان تقصيراً، فأُذن للناس، فقام الشافعيُّ رحمةُ الله عليه فقال: [من الكامل]

لا قَصَّرا عنها ولا بَلَغَتْهما حتى يطولَ على يديك طِوالُها[1]

وغزا الصَّائفةَ عبدُ الرَّحمن بن عبد الملك فبلغ أُفْسوسَ[2] مدينةَ دقيانوس ومكانَ الكهف، وكان قُسطنطين بن أليون ملكُ الروم قد بدا منه جَوْرٌ وفساد، فسَمَلَتْه الروم[3]، وملَّكت أمَّه، واسمُها رينى[4]، وقدم يحيى بنُ خالد من مكةَ إلى الرقَّة.

وفيها: حُملت ابنة خاقان ملكِ الخَزَر إلى الفضل بنِ يحيى وهو بخُراسان، فماتت ببَرْذَعَة، وكان على إرْمِينِية سعيدُ بن سَلْم بن قُتيبةَ الباهليّ، وأُخبر ملكُ الخزر أنَّ ابنته قُتلت غِيلة، فاستعدَّ لحرب المسلمين.

---

(١) ذِكْر الشافعي في هذا الخبر وهمٌ تابع فيه المصنفُ جدَّه، إذ أورده في المنتظم ٩/ ٦٦-٦٧، والأذكياء ١٠٢، وقد ذكر خبر أخذ هارون البيعة لابنه: الطبري ٨/ ٢٦٩، وابن الأثير ٦/ ١٦١، والذهبي ٤/ ٧٨٠، وابن كثير ١٣/ ٦١٤ ولم يذكروا قدوم الشافعي، بل إن ابن كثير نصَّ في تاريخه ١٣/ ٦٢٠ على أن الشافعي إنما قدم بغداد في أول قدمة قدمها إليها في سنة أربع وثمانين

والبيت الذي نُسب إلى الشافعي هو لطُريح بن إسماعيل تمثل به عبد الله بن مصعب بن ثابت لما بايع الرشيد لولده، وانظر تاريخ الطبري ٨/ ٣٦٤، والمنتظم ٩/ ٩٧.

(٢) في (خ): أقسوس، وفي تاريخ الطبري ٨/ ٢٦٩: دفسوس، والمثبت من معجم البلدان ١/ ٢٣١، والمنتظم ٩/ ٦٧، والكامل ٦/ ١٦١.

(٣) سمل العين: فقأها بحديدة محماة. مختار الصحاح (سمل).

(٤) في (خ): دنيا، والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ٢٦٩، والكامل ٦/ ١٦١، والبداية والنهاية ١٣/ ٦١٤.

وحجَّ بالناس موسى بنُ عيسى بن موسى بنِ محمَّد بن عليّ.

فصل وفيها توفي

عامر بن عُمارة

ابن خُرَيْم الناعم، أبو الهَيْذام، من بني مُرَّة[١].

كان زعيم قيسٍ في الفتنة التي وقعت بين قيس واليمانيةِ وأطفأها جعفرُ بن يحيى بنِ خالد، وله فيها أشعارٌ كثيرة.

قال المَرزُباني: نزل أبو الهيذام الشاميُّ سِجِستان، فقتل عاملٌ لهارونَ بها أخاً لأبي الهَيْذام، فحزن عليه حُزناً كثيراً، وقال فيه الأَشعار، فمن ذلك: [من الطويل]

سأبكيكَ بالبِيضِ الرِّقاق وبالقَنا ... فإنَّ بها ما يُدرِكُ الطَّالبُ الوِتْرا

ولسنا كمَنْ يبكي أخاه بعَبْرَةٍ ... يُعَصِّرُها من ماء مُقْلَتِه عَصْرا

وإنَّا أُناسٌ ما تَفيض دموعُنا ... على هالكٍ منَّا وإنْ قَصَم الظَّهرا

ولكنَّنا نشفي الفؤادَ بغارةٍ ... تُلَهِّبُ في قُطْرَي كتائبها جَمْرا[٢]

ثم قوي أمرُ أبي الهيذام، واشتدَّت شوكتُه، وضَرَّب بين القيسية واليمانية، فأَعيت على هارونَ الحيلُ فيه، فاحتال عليه بأخٍ له وأرغبه، فاغتاله وقيَّده، وبعث به إلى هارونَ وهو بالرقَّة، فلمَّا دخل عليه قال: [من الطويل]

وأَحسِنْ أميرَ المؤمنين فإنَّه ... أبى اللهُ إلَّا أن يكونَ لك الفضلُ[٣]

فأطلقه وأَحسن إليه ومَنَّ عليه.

وقال المدائنيّ: كان سببُ هذه الفتنة أنَّ رجلاً من بَلْقَيْن مرَّ على مَبطَخةٍ بالبَلْقاء، فأخذ منها بِطِّيخة، فنهاه صاحبها، فشتمه، وكانت لرجل من جُذام، فقام إليه الجُذاميُّ فقتله،

---

(١) تاريخ دمشق (عاصم ـ عائذ) ٣٩٣، وتاريخ الإسلام ٤/ ١٠٢٠.

(٢) تاريخ دمشق ٣٩٤، تاريخ الإسلام ٤/ ١٠٢١، الأمالي ١/ ٢٦٧، زهر الآداب ٢/ ١٠١٠، الحماسة البصرية ١/ ٢٣٩، معاهد التنصيص ١/ ٢٥١. ونسب المرزباني في معجمه ص١٨٠ الأبيات للفضل بن عبد الصَّمد الرقاشي.

(٣) في (خ): يكون المفضل، والمثبت من تاريخ دمشق ٣٩٤، وتاريخ الإسلام ٤/ ١٠٢١، وسمط اللآلي ١/ ٥٩٣، ومعاهد التنصيص ١/ ٢٥١.

فهاجَت الحربُ سنين بين القيسية واليمانية، قُتل من الفريقين خلقٌ عظيم، وكانت الحربُ بالبَلقاء والرُّبَّة والبَثْنِيَّة(١)، وتَعَدَّوا إلى الغوطة، فأحرقوا ضِياعها، منها داريًّا، فكان رأسَ الفتنة أبو الهيذام، ثم اصطلحوا على يد جعفر.

ومن شعر أبي الهَيْذام: [من البسيط]

لـمَّـا رأيت حُـماةَ القوم قـد وَكَفوا(٢) ... وقـدَّمـوا رايـتَـي عَـنْـسٍ وخَـوْلانـا(٣)
وجـالـت الـخـيـلُ أم كـادت تـجـول بـنـا ... نـاديـتُ مُـسْـتَـنْـجِـداً يـا قـيـسَ عَـيـلانـا
فـبـات جَـمْـعُـهـمُ حـولـي كـأنـهـمُ ... غُـلْـبُ الأُسـود الـتـي تـعـدو بـخَـفَّـانـا(٤)
وقـلـت لا يَـغْـلِـبَـنْـكـمْ مَـعْـشـرٌ قُـزُمٌ ... صُـفـرُ الـوجـوه بـنـو الـشَّـيـطـان قـحـطـانـا
فـجـالِـدوهـم بـأسـيـافٍ مـصـفَّـحـةٍ ... وِراثـةً عـن أبـيـنـا الـشـيـخِ عَـدنـانـا

ومات أبو الهَيذامِ في هذه السَّنة.

عبدُ الله بن عبد العزيز

ابن عبدِ الله بن عبد الله بن عمر بن الخطَّاب ﵁، أبو عبد الرَّحمن العُمَرِيّ(٥).

من الطبقة السَّابعة من أهل المدينة، وأمُّه أَمَة الحميد بنتُ عبد الله بنِ عياض من الأَوس.

كان عبدُ الله ناسكاً عالماً عابداً، تعبَّد وسكن المقابر، وكان لا يُرى إلَّا وفي يده كتابٌ يقرؤه، وترك مجالسةَ الناس، فقيل له في ذلك، فقال: لم أرَ أوعظَ من قبر، ولا آنسَ من كتاب، ولا أسلمَ من الوَحْدة، فقيل له: قد جاء في الوحدة ما جاء، فقال: لا

(١) الرُّبَّة: قرية في طرف الغور بين أرض الأردن والبلقاء، والبثنية: اسم ناحية من نواحي دمشق، وقيل: هي قرية بين دمشق وأَذْرِعات. معجم البلدان، وقد اختصر المصنف هذا الخبر جداً، وانظره بتمامه في تاريخ دمشق ٣٩٥_٤١٥.

(٢) في تاريخ دمشق ٤١٩: دلفوا.

(٣) في (خ): عبس وذبيانا، وهو خطأ، والمثبت من تاريخ دمشق.

(٤) خفان، كعفان: مأسدة قرب الكوفة. القاموس المحيط (خفف).

(٥) طبقات ابن سعد ٧/ ٦١٣، المعارف ١٨٦، حلية الأولياء ٨/ ٢٨٣، صفة الصفوة ٢/ ١٨١، المنتظم ٩/ ٩٨، التبيين ٤١١، تهذيب الكمال (٣٣٨٣)، السير ٨/ ٣٧٣، تاريخ الإسلام ٤/ ٨٧٧.

تُفسد إلَّا جاهلاً.

وكان من الآمرين بالمعروف والنَّاهين عن المنكر؛ قال: إنَّ من غفلتك عن نفسك إعراضَك عن الله، بأن ترى ما يُسخِطُه فتُجاوزَه، ولا تأمرَ ولا تنهى خوفاً ممَّن لا يملك لك ضرّاً ولا نفعاً، ومَن ترك الأمر بالمعروف والنهيَ عن المنكر مخافةَ المخلوقين، نُزعت منه هيبةُ الله، فلو أمر ولدَه أو بعض مواليه بأمرٍ لاستخفَّ به.

وقال سعيد بن سليمان: كنت بمكَّة وإلى جانبي عبدُ الله بن عبد العزيز العُمريّ، وقد حجَّ هارون، فقال له إنسان: هذا أميرُ المؤمنين يسعى وقد أُخلي له السَّعْيُ[1]، فقال العمريُّ: لا جزاك اللهُ عني خيراً، كلَّفتَني أمراً كنت عنه غنيّاً. ثم علَّق نعليه وقام، فتبعتُه، وأقبل هارونُ من المروة يريد الصَّفا، فلمَّا نظر إليه صاح: يا هارون، فقال: لبَّيك يا عم، قال: اِرقَ الصفا، فلمَّا رَقِيَه قال: اِرمِ بطَرْفِك إلى البيت، فقال: قد فعلتُ، قال: كم هم؟ قال: ومَن يُحصيهم؟ قال: فكم في الناس مثلُهم؟ قال: خلق لا يُحصيهم إلَّا اللهُ تعالى، فقال: اِعلم أيها الرجل أنَّ كلَّ واحد منهم يُسأل عن خاصَّة نفسه، وأنت تُسأل عن كلِّ واحدٍ منهم، هؤلاء كلُّهم خُصماؤك يومَ القيامة، فانظر أيَّ رجل تكون. فبكى هارونُ وجلس، وجعلوا يعطونه منديلاً منديلاً للدُّموع.

قال: وأخرى أقولها لك، قال: قل يا عمِّ، قال: إنَّ الرجل لَيُسرع في ماله فيستحقُّ الحَجْرَ عليه، فكيف بمن أَسرع في مال المسلمين؟ وهارونُ يبكي، وهو يقول له: يا هارون، فعلتَ وفعلت، فقال له: فماذا تريد؟ قال: تفعلُ كذا وكذا، فقال له هارون: نَعَم يا عمّ، نعم يا عم. فكان هارونُ يقول: إنِّي لأُحبُّ أن أحجَّ في كلِّ سنة، ما يمنعني إلاَّ رجل من ولد عمر رضي الله عنه ثَمَّ يُسمعني ما أكره.

وذكر الطبريُّ أنَّ الرشيد أرسل إليه كيساً فيه ألفُ دينار[2] مع الأمينِ والمأمون، فاعترضاه بمكَّة وقالا: يا عمّ، أميرُ المؤمنين يقول لك: خذها وانتفع بها أو فرِّقها[3]، فقال: هو أعلمُ بمَن يفرِّقها لهم. ثم أخذ من الكيس ديناراً واحداً وقال: كرهتُ أن

(١) في المنتظم ٩/ ٩٩، وصفة الصفوة ٢/ ١٨٢: المسعى، وهو الأشبه.

(٢) في تاريخ الطبري ٨/ ٣٥٨: ألفا دينار.

(٣) في (خ): وفرقها.

أجمعَ على هارونَ سوءَ القول وسوءَ الفعل.

ثم إنَّ العُمريَّ بعد ذلك خرج إلى هارونَ ليَعِظَه، فلما نزل الكوفةَ رجف العسكر، حتى لو كان نزل بهم مئةُ ألفٍ من العدوِّ ما زادوا على هَيبته، ثم رجع ولم يَصِل إليه.

وقال الطبري: وبلغ الرشيدَ، فجمع العُمَريّين وقال: مالي ولابن عمِّكم؟! احتملتُه بالحجاز فشَخَص إلى دار مُلكي يريد أن يُفسد عليَّ أوليائي، ردُّوه عني، قالوا: ما يَقبل. فكتب إلى الكوفة إلى موسى بنِ عيسى أن يردُّوه برفقٍ، فدعا موسى ببُنيٍّ له صغيرٍ عشرِ سنين قد حفظ الخطبَ والمواعظ، فذكر ما لم يسمع العمريُّ بمثله، فأخذ نعلَيه وقام وهو يقول: ﴿فَٱعۡتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمۡ فَسُحۡقٗا لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١١﴾[1] [الملك: ١١].

وقال الطبريّ: قال الرشيد: واللهِ ما أدري ما آمرُ في أمر هذا العُمَريّ، أكره أن أقدَمَ عليه وله خَلَفٌ أكرههم، وإنِّي لأحبُّ أن أعرفَ طريقته ومذهبه، وما أثق بأحدٍ أبعثه إليه، فقال له عمرُ بن بَزيع والفضل بن الرَّبيع: فنحن، قال: فأنتما. وكانوا بطريق مكّة، وكان العمريُّ يسكن بالبادية بخَلْص[2]، فأتيا إليه في زِيّ الملوك والطِّيبُ يفوح من ثيابهم، وإذا به في مسجد، فدخلا عليه وسلَّما، وقالا: يا أبا عبدِ الرَّحمن، نحن رسلُ مَن خلفنا من أهل المشرق، يقولون لك: اِتَّقِ اللهَ ربَّك، وإذا شئتَ فقم.

فأَقبل عليهما وقال: ويحكما[3]، والله ما أحبُّ أن ألقى الله بمَحْجَمَةِ دمِ امرئٍ مسلم وأنَّ لي ما طلعت عليه الشمس. فلمَّا يئسا منه قالا: إنَّ معنا شيئاً تستعين به على دهرك، فقال: لا حاجةَ لي فيه، أنا في غنًى عنه، فقالا: إنَّها عشرون ألفَ دينار، قال: لا حاجةَ لي فيها، قالا[4]: فأَعطِها مَن رأيت، فقال: اِفعلا ذلك أنتما، فما أنا بخادمٍ ولا عَوْن. فلمَّا يئسا منه عادا إلى هارونَ فأخبراه، فقال: ما أبالي ما أَصنع بعد هذا.

وقال العمريُّ عند موته: بنعمة ربِّي أحدِّث، إنِّي أصبحتُ لا أملك سوى أربعةٍ أو

(١) تاريخ الطبري ٨/ ٣٥٨.

(٢) في (خ): خليص، والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ٣٥٤، وخَلْص: موضع بآرة بين مكة والمدينة، واد فيه قرى ونخل. معجم البلدان.

(٣) في (خ): ويحك.

(٤) في (خ): قال.

سبعة دراهم من لِحاء شَجَرٍ فَتَلْتُه بيدي، ولو أنَّ الدنيا أصبحت تحت قدمَيَّ لا يمنعني عن أخذها إلَّا أن أُزيل قدميَّ عنها ما أزلتُهما.

وقال له رجل: عِظْني، فأخذ حصاةً من الأرض وقال: زِنَةُ هذه من الوَرَع تدخل قلبَك خيرٌ لك من صلاة أهل الأرض، قال: زدني، قال: كما تحبُّ أن يكونَ اللهُ لك غداً فكن له اليوم. وكان يأكل من فتل الشَّريط بيده.

ومات في هذه السَّنة، وقيل: مات بالمدينة سنةَ أربعٍ وثمانين ومئةٍ[1] وهو ابنُ ستٍّ وستين سنة.

أَسند الحديثَ عن أبيه وإبراهيمَ بن سعد وغيرِهما، وأدرك خلقاً من التابعين، وكان سيِّداً لم يكن في عصره مثلُه رحمةُ الله عليه.

مروانُ بن سليمان

ابن يحيى بنِ أبي حَفْصَة، أبو السِّمْط، وقيل: أبو الهَيذام، الشاعر[2].

كان أبو حفصة مولى مروانَ بن الحكم، أعتقه يومَ الدار لأنَّه أبلى بلاءً حسناً في ذلك اليوم. ويقال: إنَّ أبا حفصةَ كان يهوديًّا أسلم على يد مروان، وقيل: على يد عثمان، ويُزْعَم أنَّه من موالي السَّمَوْءَل [بن] عادياء اليهودي، وقيل: إنَّه سُبي من إِصْطخر وهو غلام، فاشتراه عثمانُ ووهبه لمروان، فأَعتقه.

وُلد مروانُ في سنة خمسٍ ومئة، وفد على الوليد بن يزيدَ ومدحه، وكان شاعراً مُجيداً، مدح خلفاءَ بني أميَّة وغيرهم، ومن مديحه في الوليد بن يزيدَ وأهله: [من الخفيف]

إنَّ بالشام بالمُوَقَّر عِزًّا ... وملوكاً مباركينَ شهودا
سادةً من بني يزيدَ كراماً ... سبقوا الناس مَكرُماتٍ وجُودا
هانَ يا ناقتي عليَّ فسيري ... أن تموتي إذا لقيتِ الوليدا

(١) أجمعت مصادر ترجمته على هذا القول، ولم أقف على مَن قال بالأول غير المصنف.

(٢) الشعر والشعراء ٢/ ٧٦٣، والأغاني ١٠/ ٧١، ومعجم الشعراء ٣١٧، وطبقات الشعراء ٤٢، وتاريخ بغداد ١٥/ ١٨٢، وتاريخ دمشق ٦٦/ ٤٧٩، والمنتظم ٩/ ٦٩، والسير ٨/ ٤٧٩، وتاريخ الإسلام ٤/ ٩٧٠.

وكان مروانُ قد قدم بغدادَ ومدح المهديَّ وهارون، وكان يتقرَّب إلى هارونَ بهجو العَلَويَّة، وقد مدح مَعْنَ بن زائدةَ ورثاه بقصائد، ودخل على المهديِّ ولم يعرفْه، فمدحه، فقال: مَن أنت؟ فقال: شاعرُك مروان بن أبي حفصة، فقال: أَلست القائل:

أَقـمْـنـا بـالـيـمـامـة بـعـد مَـعْـنٍ   مُـقـامـاً لا نُـريـد بـه زِيـالا
وقـلـنـا أيـن نـذهـبُ بـعـد مـعـنٍ   وقـد ذهـب الـنَّـوالُ فـلا نَـوالا

وإذا ذهب النَّوال، فأيَّ شيءٍ جئتَ تطلب عندنا؟ جُرُّوا برجله، فجرُّوا برجله وأُخرج، فلمَّا كان في العام المقبل تلطَّف حتى دخل مع الشُّعراء، فلمَّا مَثُل بين يديه أنشده قصيدَته التي يقول في أوَّلها: [من الكامل]

طَـرَقَـتْـك زائـرةً فـحـيِّ خَـيـالَـهـا   بـيـضـاءُ تَـخـلِـطُ بـالـحَـيـاءِ دَلالَـهـا
هـل تَـطْـمِـسونَ من الـسـمـاء نـجـومَـهـا   بـأكـفِّـكـم أو تـسـتـرون هِـلالَـهـا
أو تـدفـعـون مـقـالـةً مـن ربِّـكـمْ   جـبـريـلُ أَبـلـغـهـا الـرسـولَ فـقـالـهـا
شَـهِـدَت مـن الأنـفـال أولَ[1] آيـةٍ   بـتـراثـهـمْ فـأردتـمُ إِبـطـالـهـا

فزحف المهديُّ من مصلَّاه حتى صار على البِساط إعجاباً بما سمع، ثم قال: كم الأبيات؟ قال: مئة، فأمر له بمئة ألفِ درهم، وهي أوَّل مئة ألف أُعطيت لشاعر في أيَّام بني العبَّاس، فلمَّا ولي هارونُ الرشيد دخل عليه مروانُ، فقال: ألستَ القائلَ في معن..؟ وذكر البيتين، وأخرجه. ودخل عليه بعد ذلك فأنشده قصيدة، فأمر له بعدد أبياتها ألوفاً، فمنها: [من الطويل]

لَـعَـمـرُك لا أنـسـى غـداةَ الـمُـحَـصَّـبِ   إشـارةَ سـلـمـى بـالـبَـنـان الـمُـخَـضَّـبَ
وقـد صـدر الـحُـجَّـاج إلَّا أقـلَّـهـمْ   مـصـادرَ شـتَّـى مَـوْكِـبـاً بـعـد مـوكـب

قال المصنِّف رحمه الله: وأوَّل القصيدةِ التي رثى بها معنَ بن زائدة: [من الوافر]

مـضـى لـسـبـيـلـه مَـعْـنٌ وأبـقـى   مـحـامـدَ لـن تَـبـيـدَ ولـن تُـنـالا
كـأنَّ الـشـمـسَ يـوم أُصـيـبَ مـعـنٌ   مـن الإظـلام مُـلْـبَـسـةٌ جِـلالا

(١) في الأغاني ١٠/ ٨٧، وتاريخ بغداد ١٥/ ١٨٤، وتاريخ دمشق ٦٦/ ٤٨٣، والمنتظم ٩/ ٧٠، وتاريخ الإسلام ٤/ ٩٧١: آخر آية، وهو الصحيح.

هوى الجبلُ[1] الذي كانت نزارٌ ... تَهُدُّ من العدوِّ به الجبالا
وكان الناس كلُّهمُ لمعنٍ ... إلى أن زار حفرتَه عِيالا
ولم يكُ طالبُ المعروف ينوي ... إلى غير ابنِ زائدةَ ارتحالا
وما نزل الوفودُ بمثل معنٍ ... ولا حَطُّوا بساحته رِحالا
مضى لسبيله مَن كنتُ أرجو ... به عَثَرات دَهْري أن تُقالا
فلستُ بمالكٍ عَبَراتِ عيني ... أَبتْ بدموعها إلَّا انْهِمالا
وفي الأحشاءِ منك عليك[2] حُزنٌ ... كحرِّ النَّار يَشتَعِلُ اشتعالا

من أبيات.

وقال لمَّا ولدت زبيدةُ محمَّداً الأمين: [من الكامل]

لله درُّكِ يا عَقيلَةَ جعفرٍ ... ماذا وَلَدتِ من النَّدى والسُّؤدَدِ
إنَّ الخلافة قد تبيَّن نورُها ... للنَّاظرين على جَبينِ محمَّد
إنِّي لأَعلم أنَّه لَخليفةٌ ... إنْ بَيعةٌ عُقِدت وإنْ لم تُعقَد[3]

فأعطاه هارونُ مئةَ ألفِ درهم، وحَشَت زبيدةُ فاه جوهراً قيمتُه مئةُ ألفِ درهم.

وقال[4]: [من الطويل]

ما بال مَن أسعى لأَجْبُرَ عَظْمَه ... حِفاظاً ويَنوي من سَفاهته كَسري
أعود على ذي الذَّنب والجهل منهمُ ... بِحلمي ولو عاقبتُ غرَّقهم بَحري
أناةً وحِلماً وانتظاراً بكمْ غداً ... فما أنا بالواني ولا الضَّرَعِ الغُمْر[5]
أظنُّ صروفَ الدَّهر والجهل منهمُ ... ستحملهم منِّي على مَرْكبٍ وَعْر

(١) في تاريخ بغداد ١٥/ ٣٢٣، وطبقات الشعراء ٥٢، وتاريخ دمشق ٦٦/ ٤٩١: هو الجبل. والمثبت موافق لمعجم الشعراء ٣١٨.

(٢) كذا في (خ) وثلاث نسخ من تاريخ دمشق ٦٦/ ٤٩٣ أشارت إليها محققته رحمها الله، وفي تاريخ بغداد ١٥/ ٣٢٤، ومطبوع تاريخ دمشق: غليل، وهي الأجود والأعلى، والغليل: الحرارة.

(٣) الأوائل للعسكري ١/ ٢٨٧، والعقد الفريد ١/ ٣١٤، ووفيات الأعيان ٢/ ٣١٥.

(٤) الأبيات الآتية رواها مروان وأنشدها عن ابن الذئبة الثقفي، وليست لمروان، كما في مجالس ثعلب ١٤٤، وتاريخ دمشق ٦٦/ ٤٨٠، ونسبت إلى غيره، انظر حاشية محقق مجالس ثعلب.

(٥) الضرع: الصغير من كل شيء، أو الصغير السن الضعيف. والغُمر: الرجل الذي لم يجرب الأمور.

أَلـم تـعـلـمـوا أنـي تُـخـافُ عَـزائـمـي   وأنَّ قـنـاتـي لا تَـلـيـن عـلـى الـقَـسْـر
وإنِّـي وإيَّـاهـم كـمَـن نـبَّـه الـقَـطـا   ولـو لـم تُـنـبِّـه بـاتـت الـطـيـرُ لا تَـسـري

ولم يكن لمروانَ علمٌ بالعربية، وكان مولَّداً، وقال الشعرَ وهو ابنُ عشرين سنة، وكان بخيلاً ساقطَ النفس، خرج يوماً من عند المهديِّ ومعه ثمانون ألفَ درهم، فمرَّ بفقير زَمِن، فسأله، فأعطاه ثلثَي درهم، فقيل له: هلَّا أعطيتَه درهماً؟! فقال: لو أُعطيت مئةَ ألفٍ لأَتممتُ له درهماً.

وكان لا يأكل اللحمَ بُخْلاً، فإذا قَرِمَ أرسل غلامَه فاشترى له رأساً فأكله، فقيل له في ذلك، فقال: أعرف سِعْرَه، وليس بلحم يطبخه الغلام فيأكلُ منه، ثم إنَّني آكل منه ألواناً: عينَيه لوناً، وأُذنيه لوناً، ولحمَ خدَّيه لوناً، ولسانَه لوناً، ودماغَه لوناً، وأُكفى مؤونةَ طبخه، فقد اجتمعت لي فيه مرافق.

وخرج يوماً يريد المهديّ، فقالت له امرأتُه: مالي عليك إنْ رجعتَ بجائزة؟ فقال: إنْ أعطاني مئةَ ألفِ درهم، أعطيتُك درهماً. فأعطاه ستِّين ألفاً، فدفع إليها أربعةَ دوانق.

وكانت وفاة مروانَ ببغداد، ودُفن في مقبرة عبدِ الله بن مالك[١].

هُشَيم بن بَشير

ابن أبي خازم القاسمِ بن دينار، أبو معاويةَ الواسطي، مولى بني سُليم، وهو بخاريُّ الأصل. وكان ثقةً كثير الحديث ثَبْتاً، يُدَلِّس كثيراً.

وكان أبوه سُوقيّاً صاحبَ صَحْناةٍ وكَواميخ[٢]، فطلب ابنه الحديث، فكان أبوه ينهاه، فجالس أبا شَيبةَ القاضي ، وكان يُناظره في الفقه، ومرض هشيم، فقال أبو شيبةَ: ما فعل ذلك الغلام؟ قالوا: مريض. فجاء القاضي ومعه أهلُ المجلس يعودونه، فقيل لبشير ويدُه في الصَّحناة والكامَخ: اِلحق ابنَك فقد جاء القاضي يَعودُه، فجاء فقال: يا بنيّ، قد كنتُ أمنعك من طلب الحديث، أمَّا إذا جاء القاضي إلى بابي، لا

(١) في معجم الشعراء ص٣١٨، وتاريخ بغداد ١٥/ ١٨٦، وتاريخ دمشق ٦٦/ ٤٩٤، والمنتظم ٩/ ٧١، ووفيات الأعيان ٥/ ١٩٣، والبداية والنهاية ١٣/ ٦١٥: نصر بن مالك.

(٢) الصحناة: إدام يتخذ من السمك الصغار، والكامَخ: نوع من الإدام. القاموس المحيط (صحن) (كمخ).

أمنعك، متى طلبتُ أنَّ القاضي يجيء إلى بابي!!

وقال الإمام أحمدُ رحمه الله: لزمتُ هشيماً خمسَ سنين، فما سألته عن شيءٍ هيبةً له، إلَّا مرتين، وكان هُشيمٌ يُكثر التسبيحَ بين الحديث ويقول: لا إله إلَّا الله، يمدُّ بها صوتَه. وأقام يصلِّي الفجرَ بوضوء العشاءِ الآخرةِ مدَّة سنين.

وتوفِّي ببغدادَ يومَ الأربعاءِ لعشرٍ مَضَين من رمضانَ أو شعبان، سنةَ اثنتين وثمانين ومئة[(١)].

وأسند عن كبار الأئمَّة، كعَمرو بن دينارٍ وغيرِه.

وروى عنه مالكُ بن أنسٍ والثوريُّ والإمام أحمدُ بن حنبل وابنُ المبارك وخلقٌ كثير من التابعين.

وكان ثقةً صدوقاً، لم يُعَب بشيء إلَّا بالتدليس.

القاضي أبو يوسفَ

يعقوبُ بن إبراهيم [بنِ حبيب[(٢)]] بن سعد بن بَحير[(٣)] بن معاويةَ الجُشَمي[(٤)]. وسعد ابن بَحير من الصحابة، أُتي به يومَ الخندق إلى النبيِّ ﷺ، فدعا له ومسح على رأسه، فتلك المَسْحةُ في أبي يوسفَ وولدِه إلى الآن.

وكان يحضر الحديثَ فيحفظ خمساً وستِّين حديثاً، ويقوم فيُمليها على الناس، ثم لزم أبا حنيفةَ وتفقَّه عليه، وغلب عليه الرأيُ، فجفا أصحابَ الحديث.

وكان يحفظ التفاسيرَ والفقهَ والأحاديثَ وأيَّام العرب والسِّيَر.

وكان وِرده في كلِّ يومٍ وليلة مئتَي ركعة. وهو أوَّل مَن دُعي بقاضي القضاةِ في الإسلام.

---

(١) الذي في المصادر أنه توفي لعشر مضين من شعبان سنة ١٨٣، انظر تاريخ بغداد ١٦/ ١٤٣، والمنتظم ٩/ ٩٠، وتاريخ الإسلام ٤/ ٩٩٤، والسير ٨/ ٢٨٧ والمصادر فيه.

(٢) زيادة من المصادر، انظر طبقات ابن سعد ٩/ ٣٣٢، والمنتظم ٩/ ٧١، وتاريخ بغداد ١٦/ ٣٦٠، وتاريخ الإسلام ٤/ ١٠٢١، والسير ٨/ ٥٣٥ والمصادر في هوامشه.

(٣) كذا ضبطه ابن خلكان في الوفيات ٦/ ٣٨٩، والعلامة الكوثري في حسن التقاضي ص٥.

(٤) انظر تلقيح فهوم أهل الأثر ص١٩٧.

وقال أبو يوسُف: مات أبي وأنا صغير، فلمَّا ترعرعت، كنت أحضر حلقةَ أبي حنيفةَ فأسمعُ ما يقول، فكانت أمِّي تأخذ بيدي وتذهب بي إلى قصَّار أَسلمتني إليه، وكان أبو حنيفة يُعنَى بي لما يرى من حرصي على التعلُّم، فلمَّا كَثُرَ ذلك على أمِّي، قالت لأبي حنيفة: ما لهذا الصبيِّ فسادٌ غيرك، هذا صبيٌّ يتيم لا شيءَ له، وأنا أُطعمه من مِغزل، وآمُل أن يكتسبَ دانقاً يعود به على نفسه، فقال لها أبوحنيفة: هوذا يتعلَّم أكل الفالُوذجِ بدُهن الفُسْتُق، فانصرفت وقالت: أنت شيخٌ قد ذهب عقلُك.

قال: فلزمتُ أبا حنيفة، فنفعني اللهُ بالعلم ورفعني حتى تقلَّدت القضاء، كنت أجالس الرشيدَ وآكل معه على مائدته، فلمَّا كان في بعض الأيَّام، قدَّم إليَّ فالوذجةً وقال: كُل يا يعقوبُ منها، فليس كلَّ يوم يُعمل لنا مثلُها؛ فقلت: يا أميرَ المؤمنين، وما هذه؟ فقال: فالوذجةٌ بدُهن الفستق، فضحكتُ، فقال: ممَّ ضحكت؟ فقلت: خيراً، فألحَّ عليَّ، فأخبرته بالقصَّة، فعجب وقال: لَعمري إنَّ العلمَ يرفع وينفع في الدُّنيا والآخرة، يرحم اللهُ أبا حنيفةَ فلقد كان ينظر بعقله ما لا يراه بعين رأسِه.

وقال المُحَسِّن التَّنوخي[1]: كان سببُ اتِّصال أبي يوسفَ بالرشيد أنَّه قدم بغداد، فحَنِث بعض القوَّاد في يمينٍ، فطلب فقيهاً يستفتيه، فجيء بأبي يوسُف، فأفتاه فيها أنَّه لم يَحْنَث، فوهب له دنانير، وأنزله بالقرب منه، فدخل القائدُ يوماً على الرَّشيد فوجده مغموماً، فسأله عن سبب غمِّه، فقال: شيءٌ من أمر الدِّين قد أحزنني، فاطلبْ لي فقيهاً أَستفتيه، فجاءه بأبي يوسف.

قال أبو يوسف: فلمَّا دخلت إلى ممرٍّ ما بين الدُّور، رأيت فتًى حسناً عليه آثارُ الملك، وهو في حُجرةٍ محبوس، فأومأ إليَّ بإِصبعه مستغيثاً، فلم أفهم إرادتَه، فأُدخلت إلى الرشيد، فلمَّا مثُلتُ بين يديه سلَّمت عليه، فقال: ما تقول في إمامٍ رأى رجلاً يزني هل يحدُّه؟ قلت: لا يجب ذلك، فحين قلتُها سجد الرَّشيد، فوقع أنَّه رأى بعضَ أهله على ذلك، وأنَّ الذي أشار هو الزَّاني.

ثمَّ قال الرشيد: ومن أين قلتَ هذا؟ قلت: من قول النبيِّ ﷺ «اِدرؤوا الحدود

---

(١) في نشوار المحاضرة ١/ ٢٥٢-٢٥٣، وعنه المنتظم ٩/ ٧٣.

بالشُّبهات»[1] وهذه شبهةٌ يسقط الحدُّ معها، فقال: وأيُّ شبهةٍ مع المعاينة؟ قلت: ليس توجب المعاينةُ لذلك أكثرَ من العلم بما جرى، والحدودُ لا تكون بالعلم، وليس لأحدٍ أخذُ حقِّه بعلمه، فسجد أُخرى وأمر لي بمالٍ جزيل، فلم أزل أترقَّى حتى ولَّاني القضاء.

وقال أبو يوسُف: مَنْ قال: إنَّ القرآنَ مخلوق، فحرامٌ كلامُه، وفرضٌ مباينتُه.

وخوصم موسى الهادي أميرُ المؤمنين إلى أبي يوسفَ في بستانٍ له، فكان الحكمُ في الظَّاهر للهادي، وكان الأمرُ على خلاف ذلك، فقال: يا أميرَ المؤمنين، إنَّ الخصم سألني أن أحلِّف شهودَ أميرِ المؤمنين أنَّهم شهدوا على حقّ[2]، فقال له: وترى ذلك؟ قال: كان ابنُ أبي ليلى يراه، قال الهادي: فأردُّ البستَانَ إليه. وإنَّما احتال أبو يوسفَ عليه.

وقال: ولِّيت هذا الحكمَ وانغمست فيه، وليس في قلبي منه شيءٌ، وأرجو ألَّا يسألَني اللهُ عزَّ وجلَّ عن جَور ولا ميلٍ منِّي إلى أحد، إلَّا يوماً واحداً، فإنَّ في قلبي منه بعضَ ما فيه. قيل: وما ذاك؟ قال: جاءني رجلٌ يوماً فقال: لي بستانٌ قد اغتصبني إيَّاه أميرُ المؤمنين.

فدخلتُ على أمير المؤمنين فأخبرتُه، فقال: هذا البستانُ اشتراه لي أبي المهدي، فقلت: إنْ رأيتَ أن تحضرَ بخصمك فأَسمعَ منكما الدَّعوى، قال: نعم. فدخل الرجل فادَّعى، فقلت: يا أميرَ المؤمنين، ما تقول؟ فقال: البستانُ لي وفي يدي، فقلت للخصم: ما تقول؟ فقال: خذ لي يمينَه، فقلت: أتحلِفُ؟ قال: لا، فقلت: أَعرض عليك اليمين ثلاثاً، فإنْ حلفتَ وإلَّا حكمت عليك، فعرضتُها عليه ثلاثاً، فأبى أن يَحلف، فقلت: يا أميرَ المؤمنين، قد حكمت عليك بردِّ البستان، قال: لا أسلِّمه،

---

(١) أخرجه أبو حنيفة في مسنده ص١٤٩ (٣١٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. وأخرجه الترمذي (١٤٢٤) من حديث عائشة رضي الله عنها بلفظ «ادرؤوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم ...» ورجح وقفه ثم قال: وقد روي نحو هذا عن غير واحد من أصحاب النبي ﷺ أنهم قالوا مثل ذلك .اهـ. وانظر المقاصد الحسنة ص٧٤.

(٢) في أخبار القضاة ٣/ ٢٥٤، وتاريخ بغداد ١٦/ ٣٦٨، والمنتظم ٩/ ٧٦: أن أحلف أمير المؤمنين أن شهوده شهدوا على حق.

وأَمر بالرجل فأُخرج. قال أبو يوسُف: فإني خائفٌ حيث لم أسألْه أن يقعدَ مع خصمه، أو يأذنَ لخصمه أن يقعدَ معه على السَّرير.

قال: بينا أنا قد أَويتُ إلى فراشي، وإذا بداقٍّ يدقُّ الباب دقّاً عنيفاً، فأَزعجني ومَن عندي، فخرجت، فإذا هَرْثَمَةُ بن أَعيَن، فقال: أَجِب أميرَ المؤمنين، فقلت: أَمهِلْني حتى أغتسلَ وأتحنَّط وأتكفَّن؛ فما طلبني في هذا الوقتِ لخير. ففعلتُ وخرجت معه، فأتينا دارَ الخليفةِ ومسرورٌ قائم، فقال: أُدخل، فدخلت، وإذا به جالسٌ وعن يمينه عيسى بنُ جعفر، فسلَّمت، فردَّ وقال: أظنُّنا روَّعناك، قلت: إِي والله، ولمَن خلفي، قال: اِجلس، فجلستُ وسكن رَوْعي، ثم قال: أتدري لِمَ دعوتك؟ فقلت: لا، قال: هذا ـ وأشار إلى عيسى بنِ جعفر ـ عنده جارية، وقد سألته أن يبيعَني إيَّاها أو يهبَها لي، واللهِ لئن لم يفعْل لأَقتلنَّه، فقلت لعيسى: وما قَدرُ جاريةٍ حتى تَمنعَها أميرَ المؤمنين؟ فقال: عجلتَ عليَّ بالقول قبل أن تعرفَ ما عندي، إنيِّ حلفت بالطلاق والعِتاق وصدقةِ ما أملك ألَّا أبيعَها ولا أهبَها، فقلت: تهبُ نصفَها وتبيع نصفَها، فتكون لم تبعْها ولم تهبْها، قال: أَوَ يجوز ذلك؟ قلت: نعم، قال: فإنِّي أُشهدك أنِّي قد بعتُه نصفَها بمئة ألفِ دينارٍ ووهبته نصفَها، قلت: فتحضر الجارية، فحضرت وحضر المال، فقبضه عيسى وانصرف.

فقال لي الرَّشيد: يا يعقوب، هي مملوكةٌ ولا بدَّ أن تُستبرأ، وواللهِ لئن لم أَبِت ليلتي معها إنِّي لأظنُّ أنَّ نفسي ستخرج، فقلت: أَعتقْها وتزوَّجها؛ فإنَّ الحرَّة لا تُستبرأ، قال: فإنِّي عتقتها، فمن يزوِّجني إيَّاها؟ فقلت: أنا. فدعا بمسرورٍ وحسين، وزوَّجته إيَّاها على عشرين ألفِ دينار، ودعا بالمال فدفعه إليها، وقال: انصرفْ، فانصرفت. فبعث في آثاري بمئتَي ألفِ درهمْ وعشرين تختاً[1] من الثِّياب، وبعثَتْ إليَّ الجاريةُ بعشرة آلافِ دينار، وقالت: واللهِ ما عندي غيرُها، والنصفُ الآخَر أصرفه فيما لا بدَّ لي، فقلت: أَخرجتُها من الرِّقِّ وزوَّجتها بأمير المؤمنين وتقابلني بمثل هذا؟! فلم تزل تشفع إليَّ حتى قبلتُها.

(١) وعاء تصان فيه الثياب.

وقال يحيى بن مَعين: كنت عند أبي يوسفَ وعنده جماعةٌ من أصحاب الحديثِ وغيرهم، فوافته هديةٌ من أمِّ جعفرٍ احتوت على تُخوت، دَبيقيٍّ[١]، ومُصْمَت[٢]، وطِيب، وتماثيلَ نِدٍّ[٣]، وغيرِ ذلك. فذاكَرَني رجلٌ بحديث النبِّي ﷺ: «مَن أتته هديةٌ وعنده قومٌ جلوس، فهم شركاؤه فيها»[٤] فسمعه أبو يوسفَ فقال: أَبِي تُعرِّض؟ إنَّما قال النبيُّ ﷺ ذلك والهدايا الأَقِطُ والتمر والزَّبيب، لا ما ترون، ارفعه إلى الخزائن.

وقتل مسلمٌ ذمِّيًّا عمداً، فحبسه أبو يوسفَ ليُقيدَه به، فرُفعت إليه رقعةٌ مختومة فيها:

يا قاتلَ المسلمِ بالكافر ... جُرْتَ وما العادلُ كالجائرِ
يا مَن لبغدادَ وأقطارِها ... مِن علماء الناسِ أو شاعر
جَارَ على الدِّين أبو يوسفٍ ... بقتله المسلمَ بالكافر
فاسترجِعوا وابكوا جميعاً معاً ... واصطبروا فالحكمُ للصَّابر[٥]

فدخل على هارونَ وأَخبره، فقال: اِذهب فاحتَلْ. فجلس أبو يوسف، وجاء وليُّ الدم وادَّعى وقامت البيِّنة، فقال لوليِّ الدم: أَقِم البينةَ عندي أنَّ صاحبك كان يؤدِّي الجزية، فلم يُقم بيِّنة، فامتنع القَوَد.

وحجَّ أبو يوسفَ معادلاً لهارون، فلمَّا دخل هارونُ الرشيد مكةَ صلَّى بالناس الظهرَ ركعتين، فلمَّا سلَّم قام أبو يوسفَ فقال: يا أهلَ مكَّة، أتمُّوا صلاتكم فإنَّا قومٌ سَفْر، أشار إلى الحديث[٦]، فقال رجلٌ من أهل مكةَ كان معهم في الصَّلاة: نحن أفقهُ من أن نُعلَّم مثلَ هذا، فقال له أبو يوسف: يا ابنَ أخي، لو كنت فقيهاً لما تكلَّمت في صلاتك.

---

(١) من دِقِّ ثياب مصر، تنسب إلى دبيق وهي بلد في مصر. انظر اللسان والقاموس (دبق).
(٢) الثوب المصمت: لا يخالط لونه لون. القاموس المحيط (صمت).
(٣) ضرب من الطيب يدخَّن به. اللسان (ندد).
(٤) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٧٦٢) من حديث الحسن بن علي رضي الله عنهما، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٤/ ١٤٨: فيه يحيى بن سعيد العطار وهو ضعيف. وأخرجه في الأوسط (٢٤٥٠)، والكبير (١١١٨٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وقال الهيثمي: فيه مندل بن علي، وهو ضعيف وقد وثق.
(٥) نسب الأبيات صاحب تاريخ بغداد ١٦/ ٣٧٣ لأبي المضرحي شاعرٍ ببغداد.
(٦) أخرجه بهذا اللفظ الطبراني في الكبير (٥١٧) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه. وهو عند أبي داود (١٢٢٩) بلفظ: «يا أهل البلد، صلوا أربعاً فإنا قوم سفر».

فطرب هارونُ وقال: ما يسُرُّني بها حُمْرُ النَّعم، ولم يُعِدْ في معادلته للرشيد حكايةً ولا خبراً، ولا وصل إلى مكانٍ إلَّا وأخبره باسمه.

وصل كتابٌ من بعض الأطرافِ أنَّ قاضياً اختصمت إليه جاريتان في جرَّتين، استقتا ماءً من تُرعةٍ ثم جلستا تستريحان، فسقطت إحدى الجرَّتين على الأخرى، فانكسرتا، فادَّعت كلُّ واحدةٍ أنَّ جرَّة الأخرى انكسرت، فلم يكن عند القاضي علمٌ من ذلك، فقال للقيِّم: اذهب واشترِ لهما جرَّتين وأَرِحني منهما.

ثم قال القاضي لصاحبٍ له بعد أيَّام: ما يقول الناس؟ قال: يقولون: إنَّ القاضي لا يُحسن أن يحكمَ في جرَّتين حتى غَرِمهما، فقال: سبحانَ الله! أَلَا ترضَون مني أن أحكمَ فيما أُحسن وأَغرمَ فيما لا أحسن. فقال هارونُ لأبي يوسف: ما تقول فيه؟ فقال: يا أميرَ المؤمنين، هذا رجلٌ عاقل، فزِدْه في رِزقه لأجل الغرامات، فزاده في كلِّ شهرٍ ألفَ درهم.

وكان يجلس إلى أبي يوسفَ رجلٌ فيطيل الصَّمت، فقال له: ألا تتكلَّم؟ فقال: متى يُفطر الصائم؟ قال أبو يوسُف: إذا غابت الشَّمس، قال: فإن لم تَغِب إلى نصف الليل، فضحك أبو يُوسُف وقال: أصبتَ في صمتك، وأخطأتُ أنا في استدعاءِ نُطْقِك، وأنشد: [من الطويل]

عجبتُ لإزراء العَييِّ بنفسه ... وصمتِ الذي قد كان بالقول أَعلَما
وفي الصَّمت سترٌ للعييِّ وإنَّما ... صحيفةُ لُبِّ المرء أنْ يتكلَّما[(١)]

وقال أبو يوسف: ثلاثةٌ لا يَسلَمون من ثلاثة: مَن طلب النجومَ لم يسلمْ من الزَّندقة، ومن طلب غرائبَ الحديثِ لم يسلم من الكذب، ومن طلب الكيمياءَ لم يسلم من الفقر.

وكان يكتب كتاباً وعنده رجل، فتطلَّع فيه، فلمَّا فرغ منه أبو يوسفَ قال للرجل: فيه خطأ؟ قال: لا ولا حرف، قال: كفيتنا مَؤونةَ النظرِ فيه، ثم أنشد: [من السريع]

(١) تاريخ بغداد ١٦/ ٣٦٦، والبيتان للخطفى جد جرير كما في أخبار القضاة ٣/ ٢٦٤، والتذكرة الحمدونية ١/ ٣٦٥ و٣/ ٣٤٨-٣٤٩، ومعجم الأدباء ١/ ٩٠، والتذكرة السعدية ص٢٥١-٢٥٢، ونسبهما صاحب العقد الفريد ٢/ ٢٦٦ للحسن بن جعفر.

كـــأنَّـــه مـــن ســـوءِ تـــأديـــبـــهِ أسـلـم فـي كُـتَّـاب سـوءِ الأدبْ[١]

ووقف على المزنيِّ رجلٌ فقال: ما تقول في أبي حنيفة؟ فقال: سيِّد أهلِ العراق، قال: فأبو يوسفُ؟ قال: أَتبعُهم للحديث، قال: فمحمَّد بن الحسن؟ قال: أشدُّهم تفريعاً، قال: فزُفَر؟ قال: أحدُّهم قياساً.

ذِكر وفاته:

قال أبو يوسف: صحبتُ أبا حنيفةَ سبعَ عشرةَ سنةً، ثم انصبَّت عليَّ الدنيا سبعَ عشرةَ سنة، فما أظنُّ أجلي إلَّا قد قَرُب. فما كان إلَّا القليلُ حتى مات.

وقال عند موتِه: يا ليتني لم أَدخلْ في القضاء، حتى إنِّي بحمد اللهِ ما تعمَّدت جَوراً، ولا حابيتُ خصماً على خصم، من سلطانٍ أو سُوقة. اللهمَّ إنَّك تعلم أنِّي لم أَجُرْ في حكمٍ حكمتُ به بين عبادك متعمِّداً، ولقد اجتهدتُ في الأحكام بما يوافق كتابَك وسنَّةَ نبيِّك ﷺ، وما أَشكل عليَّ جعلتُ أبا حنيفةَ فيه بيني وبينك، وكان أبو حنيفة ممَّن يعرف أمرَك ولا يخرج عن حكمك، اللَّهم إنَّك تعلم أني لم أطأْ فرجاً حراماً، ولم آكل درهماً حراماً.

وكان يومُ جنازتِه يوماً مشهوداً لم يتخلَّف عنه من أهل بغدادَ خاصٌّ ولا عامّ، ودُفن بمقابر قريش، وسنُّه تسعٌ وستُّون سنة. وقيل: إنَّه مات سنةَ إحدى أو اثنتين وثمانين ومئة. وقال عبَّاد بن العَوَّام: ينبغي لأهل الإِسلام أن يُعَزِّي بعضُهم بعضاً في أبي يوسف.

وبعث معروفٌ الكرخيُّ مع عبد الرَّحمن القوَّاس[٢] يسأل عن مرض أبي يوسف، فوافى جنازتَه وهي خارجة، فمشى معها حتى دُفن، ثم عاد فأَخبر معروفاً، فاشتدَّ حزنُه عليه، فسأله عن ذلك، فقال معروف: رأيتُ في المنام كأنِّي دخلت الجنَّة، فإذا بقصرٍ عظيم، ووصف من حُسنه، فقال: قلت: لمَن هذا؟ فقيل: لأبي يوسفَ القاضي، قلت: وبِمَ ذاك؟ قال: بتعليمه الناسَ الخيرَ وحرصِه عليه، وبأذى الناسِ له.

وقال محمَّد بن سَمَاعة: شهدت جنازتَه ـ أي جنازةَ أبي يوسف ـ فسمع الناسُ قائلاً

(١) أخبار أبي حنيفة وأصحابه ص٩٤، ووفيات الأعيان ٦/ ٣٨٣.

(٢) كذا في (خ) وحسن التقاضي ص٩٠، وفي تاريخ بغداد ١٦/ ٣٨١: عبد الرحيم القواس.

يقول: [من السريع]

يا ناعيَ الفقهِ إلى أهله ... أنْ مات يعقوبُ وما تدري
لم يمت الفقهُ ولكنَّه ... حُوِّل من صدرٍ إلى صدر
ألقاه يعقوب إلى يوسفٍ ... فزال من طُهرٍ(١) إلى طهر
فهو مقيمٌ فإذا ما ثوى ... حلَّ وحلَّ الفقهُ(٢) في قبر

قال المصنِّف رحمه الله: هذا الشِّعرُ لإسحاقَ بن حسانَ بن قوهي، وأصلُهُ من الشَّاهجان(٣)، قدم العراق، وكان شاعراً سهلَ المأخذِ حلوَ المنطق، قيل له: ما بالُ شعرِك لا يسمعه أحدٌ إلَّا استحسنه وقَبِله طَبْعُه؟ فقال: لأنِّي [لا] أجاذِبُ الكلامَ إلَّا أن يُساهِلَني عَفْواً، فمَن سمعه سَهُل عليه استحسانُه.

فمن شِعره في مرثيَّة في ولده(٤): [من الطويل]

ولو شئتُ أن أبكيْ دماً لبكيتُهُ ... عليه ولكنْ ساحةُ الصَّبرِ أوسعُ
وأَعددْتُهُ ذُخراً لكلِّ عظيمةٍ ... وسهمُ المنايا بالذَّخائر مولَع
وإنِّي وإنْ أظهرتُ منِّي جَلادةً ... وصانعتُ أعدائي عليك لَموجَع

وله فيه: [من الطويل]

أعاذلُ كم من مؤنسٍ(٥) قد رُزِئْتُه ... وفارقني شخصٌ عليَّ كريمُ
أرى الصبرَ منِّي جَمرةً مُسْتكنَّة ... لها لَهَبٌ في القلب ليس يَرِيمُ
وآثارُه في البيت حيث توجَّهَتْ ... بيَ العينُ حُزنٌ في الفؤاد مُقيم
خططتُ له في التُّرب بيتَ إقامةٍ ... إلى الحشر فيه والنشورِ مقيم

(١) كذا في (خ) وحسن التقاضي ص٩١، وفي باقي المصادر: من طيب، انظر الحاشية التالية

(٢) في (خ): وحل القبر، والمثبت من أخبار القضاة ٣/ ٢٥٧، وأخبار أبي حنيفة وأصحابه ص١٠١، وتاريخ بغداد ١٦/ ٤٣٥، ووفيات الأعيان ٦/ ٣٨٩، وتاريخ دمشق ٢/ ٧٥٠ (مخطوطة دار البشير).

(٣) في تاريخ دمشق ٢/ ٧٤٩ (مخطوط): مرو الشاهجان.

(٤) قال ابن عساكر في تاريخه ٢/ ٧٥١: هي في مولاه خريم بن عامر بن عمارة لا في ابنه .اهـ. وذكر الأبيات أيضاً أبو هلال العسكري في ديوان المعاني ٢/ ١٧٥، وابن حمدون في تذكرته ٤/ ٢٦٠ . وقال أبو علي القالي في ذيل الأمالي ص١٢٠: وأنشدنا الزبير لأعرابي... ثم ذكر الأبيات.

(٥) في تاريخ دمشق ٢/ ٧٥١ (مخطوط): منفس. والقصيدة فيه أطول مما هنا.

وكـان سـروراً لـم يَـدُم لـي وغـبـطـةً | وأيُّ سـرورٍ فـي الـحـيـاةِ يـدوم
علـى حينَ فـارقتُ الشبابَ وقـارَبَتْ | خُـطـاي قـيـودَ الـشَّـيـب حـيـن أقـوم
وفـارقـتُ حـلـوَ الـعـيـش إلَّا صَـبـابـةً | عـلـيـهـا خـطـوبُ الـحـادثـاتِ تـحـوم
أَلَا كـلُّ عـيـشٍ بـعـد فُـرقـة أحـمـدٍ | وكـلُّ سـرورٍ مـا حَـيِـيـتُ ذَمـيـم
فـهـل كـان يـعـقـوبُ الـنـبـيُّ بـحُـزنـه | مُـلـيـمـاً ومـا يُـزري عـلـيـه[1] حـكـيـم
كـوى قـلـبَـه حـزنٌ كـأنَّ لـهـيـبَـه | تـوقُّـد نـيـرانٍ لـهـنَّ ضَـريـم
فـمـا عـيَّـر اللهُ الـنـبـيَّ بـحـزنـه | أبـى ذاك ربُّ الـعـالـمـيـن رحـيـم
فـلـولا رجـاءُ الأجـرِ فـيـك وأنَّـه | ثـوابٌ وإنْ عـزَّ الـمُـصـاب عـظـيـم
وأنَّـك قـربـانٌ لـدى اللهِ نـافـعٌ | وحـظٌّ لـنـا يـومَ الـحـسـابِ جـسـيـم
لأضـعـف حـزنـي يـا بُـنـيَّ وأوشَـكَـتْ | عـلـيَّ الـبـواكـي بـالـرَّنـيـن تـقـوم

سمع أبو يوسفَ يحيى بنَ سعيدٍ وسليمانَ الأعمشَ وهشاماً وغيرَهم، وروى عنه محمَّد بن الحسن وبِشر بن الوليد والإمامُ أحمدُ رحمة اللهِ عليه وغيرُه.

وقال طلحةُ بن محمَّد بن جعفر: وأبو يوسفَ مشهورُ الأمرِ ظاهرُ الفضل، وهو صاحبُ أبي حنيفة، وأفقهُ أهلِ عصره، ولم يتقدَّمه أحدٌ في زمانه، وكان النهايةَ في العلم والحُكمِ والرِّئاسة و القَدر، وأوَّل مَن وضع الكتبَ في أصول الفقهِ على مذهب أبي حنيفةَ في أقطار الأرض، وكان صاحبَ سنَّة.

يزيد بن زُرَيْع

أبو معاويةَ العَيْشيّ، من بكر بنِ وائل. من الطبقة السادسةِ من أهل البصرة. كان ثقةً، كثيرَ الحديث، عالماً، فاضلاً، صدوقاً.

كان أبوه واليَ البصرة، مات فلم يأخذْ من ميراثه شيئاً؛ قال [أبو[2]] سليمانَ الأشقر: تنزَّه يزيدُ بن زُريع عن خمس مئةِ ألف درهمٍ من ميراث أبيه لم يأخذْ منها درهماً. وكان يتقوَّت من سَفِّ الخُوصِ بيده.

---

(١) في تاريخ دمشق: علي.

(٢) زيادة من المنتظم ٩/ ٨٢.

وكان الإمام أحمدُ رحمةُ الله عليه يُثني عليه ويقول: تنزَّه عن مال أبيه زُريع، وما أتقنَه وأحفظَه وأصدقَه.

سمع من أيوبَ السَّختيانيِّ[١] وابنِ أبي العَروبة وغيرِهما.

قال ابنُ سعد: توفِّي بالبصرة في شوَّال سنةَ اثنتين وثمانين[٢]. وقيل: سنةَ سبعٍ وسبعين ومئة.

يعقوبُ بن داود

ابن عمرَ بن طَهْمان، أبو عبدِ الله، مولى عبدِ الله بن خازمٍ السُّلمي.

قال: حبسني المهديُّ في بئر، وبُنيت علي قُبَّة، فمكثت فيها خمسَ عشرةَ سنة، وكان يُدلَى إليَّ كلَّ يوم رغيفٌ وكوزُ ماء، وأُوذَن بأوقات الصَّلاة، فلمَّا كان في رأس ثلاثَ عشرةَ حِجَّة، أتاني آتٍ في منامي فقال: [من البسيط]

حنا على يوسفٍ ربٌّ فأخرجهُ ... من قعرِ جُبٍّ وبيتٍ حوله غُمَمُ[٣]

قال: فحمدت اللهَ وقلت: أتاني الفَرَج، فمكثتُ حولاً لا أرى شيئاً، فلمَّا كان رأسُ الحولِ، أتاني ذلك الآتي فقال: [من الوافر]

عسى الهمُّ الذي أمسيت فيه ... يكون وراءه فَرَجٌ قريبُ
فيأمنَ خائفٌ ويُفكَّ عانٍ ... ويأتي أهلَه النائي الغريب
ألَا ليت الرِّياحَ مُسَخَّراتٌ ... لحاجتنا تُبَكِّر أو تؤوب
فتُخبِرَنا الشَّمال إذا أتتنا ... وتُخبِر أهلَنا عنَّا الجَنوب[٤]

فلمَّا أصبحتُ نوديت، فظننت أنِّي أُوذن بالصلاة، فدُلِّيَ[٥] لي حبلٌ أسود، وقيل لي: أُشدد به وسطَك، ففعلت، فأَخرجوني، فلما تأمَّلت الضوءَ عشا بصري، فانطلقوا بي فأَدخلوني على الخليفة، فقالوا: سلِّم على أميرِ المؤمنين، فقلت: السلامُ عليك يا

(١) في (خ): السجستاني، وهو خطأ، انظر تهذيب الكمال (٧٥٨٢)، وتاريخ الإسلام ٤/ ١٠٠٥.
(٢) الطبقات ٩/ ٢٩٠.
(٣) الفرج بعد الشدة ٢/ ٢٣٤، وتاريخ بغداد ١٦/ ٣٨٥، والمنتظم ٩/ ٨١.
(٤) الأبيات من قصيدة لهدبة بن خشرم في أمالي القالي ١/ ٧١، والبيتان الأولان في المصادر السابقة.
(٥) في(خ): فدخل، وهو تحريف، والمثبت من المصادر.

أميرَ المؤمنين المهديّ، فقال: لستُ به، فقلت: السلامُ عليك يا أميرَ المؤمنين الهادي، قال: لستُ به، قلت: الرَّشيد؟ قال: نعم يا يعقوب، إنَّه واللهِ ما شفع فيك إليَّ أحد، غيرَ أني حَملتُ الليلةَ صبيةً لي على عنقي، فذكرتُ حملَك إيَّاي على عنقك، فرثيتُ لك من المحلِّ الذي كنتَ فيه فأخرجتُك. ثم أكرمني وقرَّب مجلسي.

ثم إنَّ يحيى بن خالدٍ تنكَّر لي، كأنَّه خاف أن أَغلبَ على الرَّشيد دونه، فخفتُه، فاستأذنتُ في الحجّ، فأذن لي.

قال ابنهُ عبد الله بن يعقوب: فلم يزل مقيماً بمكَّة حتى مات سنةَ اثنتين وثمانين ومئة.

وقيل: إنَّ المهديَّ سلَّم مفتاحَ البيتِ الذي كان فيه يعقوبُ محبوساً إلى خادمٍ له، وأَوصاه ألَّا يُقرَّ لأحدٍ أنَّه في الحياة، فلمَّا ذكره الرشيدُ سأل عنه، فدُلَّ على الخادم، فأَحضره وسأله عن يعقوب، فأَنكره، فضربه بالمَقارع، فأَقرّ، فأُخرج من المَطْمورةِ وهو أعمى.

ذِكر طرفٍ من أخباره:

كان داودُ أبو يعقوبَ وولدُه كتَّاباً لنصر بنِ سيَّار، فلمَّا قُتل يحيى[1] وظهر بعد ذلك أبو مسلمٍ الخُراساني، جاءه داودُ مطمئناً إليه، فأمَّنه أبو مسلمٍ على نفسه، ثم أخذ أموالَ وعقارَه وما استفاده من نصرِ بن سيار.

ثم مات داود، فنظر يعقوبُ وإخوتُه فلم يجدوا لهم عند بني العبَّاس مكانة، فالتجؤوا إلى آلِ أبي طالب. فكان يعقوبُ يتقلَّب في الأمصار، تارةً مع إبراهيمَ بن عبدِ الله بن حسن، وتارةً مع محمَّد بن عبدِ الله بن حسنٍ، يأخذ البيعةَ لهما، فلمَّا ظهر محمَّد على المدينة واستولى عليها، كتب عليُّ بن داود ـ وكان أسنَّ من يعقوب ـ لإبراهيمَ بن عبد الله، فلمَّا قُتل محمَّد وإبراهيم، جدَّ أبو جعفرٍ في طلب آلِ داود، فأُخذ يعقوبُ وعليٌّ ابنا داودَ فحُمِلا إليه، فحبسهما في المُطْبق أيامَ خلافته، فلمَّا وَلِي المهديُّ مَنَّ عليهما وأَطلقهما، وكان معهما في الحبس إسحاقُ بن الفضل بنِ عبد الرَّحمن الهاشميّ، وكان إسحاقُ يقول: إنَّ الخلافةَ في صالحي بني هاشم، وهي للأكبرِ من ولد عبد المطَّلب، وإنَّه أحقُّ بها من المهديّ، فحبسه.

---

(١) هو يحيى بن زيد بن علي بن الحسين ﷺ. انظر تاريخ الطبري ٨/ ١٥٤، وتاريخ الإسلام ٤/ ٢٧٧.

وكان الحسنُ بن إبراهيمَ بنِ عبد الله وعيسى بنُ زيدٍ قد هربا من المهديِّ ويطلبهما، فقال المهديّ: لو وجدتُ مَن يدخل بيني وبينهما، فقيل له: هذا يعقوبُ بن داود خصيصٌ بآل أبي طالب، فاستدعاه فكلَّمه، فرآه كاملاً، فسأله عن [الحسن] بن[1] إبراهيمَ وعيسى، فوعده أن يدخلَ بينهما، وقال: عَدِّ عن ذِكرهما فإنَّهما قد خافاك. فاستوزره المهديُّ وفوَّض إليه أمورَه، وحجَّ المهدي، فتلطَّف يعقوبُ حتى جمع بينه وبين الحسنِ بن إبراهيم، فسُرَّ به وأعطاه مالاً وأَقطعه قطائع.

وقيل: إنَّه حبسه بعد ذلك، وبعث يعقوبُ إلى الزَّيدية، فجاؤوه من الأقطار، فولَّاهم الولاياتِ الجليلة، وكان قد غلب على المهديِّ بحيث إنَّه خلِّد في الدواوين توقيعٌ باسمه فيه أنَّه أخو أميرِ المؤمنين، فلمَّا استولى يعقوبُ وجمع الزيديةَ وولَّاهم الدُّنيا، حسده الموالي وشنَّعوا عليه عند المهديِّ وغيَّروه عليه، وكان لمَّا سلَّم الحسنَ ابن إبراهيم إلى المهدي، تغيَّرت عليه الزيديةُ وقالوا: إنَّما فعل ذلك تقرُّباً إلى المهديّ، وكثرت عليه الشَّناعاتُ أنَّه يريد أن يولِّي الخلافةَ إسحاقَ بن الفضل الهاشميّ، وقيل للمهدي: لا تأمنْ أن تثورَ الناسُ عليك في ساعةٍ واحدة.

ودخل يعقوبُ يوماً على المهديِّ فقال: يا أميرَ المؤمنين، إنَّك أمرتني أن ألتمسَ لك رجلاً تولِّيه مصر، وما أرى غيرَ إسحاقَ بن الفضل، فتغيَّر وجهُ المهدي، وقام يعقوبُ فخرج، فأَتبعه المهديُّ بصرَه وقال: قتلني اللهُ إن لم أقتلْك. وما زال الموالي يسعَون به إلى المهديِّ حتى نكبه.

وكان المهديُّ قد بنى قصراً بعيساباذَ أنفق عليه خمسين ألفَ ألفِ درهم، فقال يعقوب: أَتلفَ هذه الجملةَ من بيت المالِ لا لفائدةٍ إلَّا اللَّعب[2]. وبلغ المهديَّ فازداد حَنَقاً.

وقيل: إنَّ يعقوبَ أَنكر على المهدي [، وكان المهدي] لا يشرب النبيذَ لأنَّ مزاجَه لم يكن يقبله، فكان يُحضر النُّدماء فيشربون بين يديه، فقال يعقوب: ما على هذا وَزَرتُ لك، أَبعدَ الصلواتِ الخمسِ في المساجد وقراءةِ القرآن يُشرب النبيذُ بين

(١) زيادة من تاريخ الطبري ٨/ ١٥٦.

(٢) في الطبري ٨/ ١٥٧ أن قائل ذلك أحمد بن إسماعيل بن علي، وأن المهدي نسي ذلك وظن القائل يعقوب.

يديك؟! فحقد عليه، فقال بعضُ الموالي: [من الطويل]

فدعْ قولَ يعقوب بن داودَ جانباً وأَقبِلْ على صَهباءَ طيِّبةِ النَّشرِ[1]

والأصحُّ أنَّ سببَ نكبته ميلُه إلى آل أبي طالب. وقال أبو اليقظان: إنَّ المهديَّ جلس يوماً في مجلسٍ وفرش فيه الفُرُش والآلاتِ والأواني والجواهر مالم يُرَ مثلُه، وأحضر جاريةً فائقةَ الجمال، فقال: يايعقوب، ما تقولُ في هذا المجلس؟ فقال: أَمتعَ اللهُ أميرَ المؤمنين، فقال: هو لك بما فيه.

ثم قال له: لي إليك حاجةٌ وأنا أحبُّ أن تقضيَها، قال يعقوب: أنا عبدُ أمير المؤمنين، قال: تقوم تضع يَدك على رأسي وتحلف أنَّك تقضيها. ففعل ما أَمره به المهديُّ واستوثق منه، فأَخرج إليه شابّاً من ولد آلِ أبي طالبٍ وقال: هذا تريحني منه عاجلاً[2]، وأمر له بمئة ألفِ درهم.

قال يعقوب: فقمتُ وقد حمل معي ما كان في المجلس والمالِ وأتيتُ منزلي، ومن شَغَفي بالجارية تركتها في مِخدعٍ لأفرغَ من العلويّ وأعودَ إليها. قال: وجلست على كرسيٍّ وأحضرت السيفَ والنِّطع، فقال لي العلويُّ: يا يعقوب، اللهَ اللهَ في دمي؛ فإنَّ جدِّي رسولُ الله ﷺ، وعليٌّ أبي، وفاطمةُ أمِّي، وهما خصماؤك يومَ القيامة. فوقفتُ عليه وبكيت، وقلت: لا تخف، أيُّ الطرق أحبُّ إليك؟ فقال: الطريقُ الفلاني. وأحضرتُ جماعةً ممَّن أثق منهم وأعطيتُهُ من ذلك المال، وواعد أولئك الجماعةَ مكاناً يلتقي بهم فيه.

قال: وإذا الجاريةُ تسمع ما أقول ولم أعلم، فبعَثَتْ خادماً إلى المهديِّ فأَخبره، فأرسل جماعةً في الليل إلى ذلك المكانِ فأخذ العلويَّ والذين معه والمال، ثم استدعاني في الحال، وقال: ما فعل الرَّجل؟ فقلت: قد أراحك اللهُ منه، فقال: أُنظر ما تقول، فقلت: نعم، فقال: ضع يدَك على رأسي واحلف، ففعلت، وإذا قد فُتح بابٌ

---

(١) تاريخ الطبري ٨/ ١٦٠، ومابين حاصرتين منه، الكامل ٦/ ٧٢-٧٣، تاريخ الإسلام ٤/ ٢٧٩، البداية والنهاية ١٣/ ٥٢٩-٥٣٠.

(٢) قال ابن كثير في البداية والنهاية ١٣/ ٥٢٨: والظاهر أنه الحسن بن إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن حسن ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وأُخرج منه العلويُّ والرِّجال والمال، فأُسقط في يدي، فقال: قد أباح اللهُ لي دمَك، ولكن لا أُريقه، إلَّا أنني أَحبسك حبسَ الأبد، فحفر لي في المُطْبَق بئراً وأُلقيت فيها، وأقمتُ مدَّة لا أدري ما الناسُ فيه، وذهب بصري.

وبلغ المهديَّ أنَّ إسحاقَ بن الفضل بنِ عبد الرَّحمن الهاشميَّ يقول: أنا أحقُّ بالخلافة من المهديّ، فاستدعاه المهديُّ من المطبق وقال: تزعم أنَّكم الكُبْرُ من ولد عبدِ المطلب لأنَّ أباكم الحارثَ كان أكبرَ ولد عبدِ المطلب، فقال: إنْ صحَّ هذا عنِّي فاقتلني، فقال: حكاه لي عنك يعقوبُ بن داود. قال إسحاق: وقد بلغني أنَّ يعقوبَ قُتل في الحبس، فقلت: إنْ قال يعقوبُ هذا عنِّي فاقتلني، فأُحضر يعقوبُ في الحال، فلمَّا رأيته مقيَّداً مكبَّلاً بالحديد أيقنت بالقتل، ولم أشكَّ أن يَبهتني لعله يَخلص. فقال له: يا يعقوب، ألستَ القائلَ عن إسحاق كذا وكذا؟ قال: لا واللهِ ما قلت قطّ، قال: بلى، قال: لا والله، فغضب المهديّ، فقال يعقوب: يا أميرَ المؤمنين، الأمرُ على خلاف هذا، أَتذكر يومَ شاورتَني مَن تولِّي مصرَ فأشرتُ عليك بإسحاقَ فقلتَ: ذاك يزعم أنَّه أولَى بالخلافة مني. وقد كان مباركٌ التركيُّ حاضراً، فسأله فتذكَّر المهديُّ ذلك، فقال: صدقت.

وأقبل المهديُّ على يعقوبَ يوبِّخه ويعدِّد أفعالَه، فقال: يا أميرَ المؤمنين، أُذكر إذ أعطيتَني عهدَ اللهِ وميثاقَه وذمَّةَ الله ورسولِهِ وذمةَ آبائك أنَّك لا تؤذيني ولا تحبسني ولو قتلتُ موسى وهارون، فقال: يا يعقوب، قال: لبَّيك يا أمير المؤمنين تلبيةَ مَكروبٍ لمَوْجِدَتِك، [قال:] ألم أرفعْ من قَدرك إذ كنتَ وضيعاً؟ وأنوِّه بِذكرك إذ كنت خاملاً؟ فقال: إنْ كانت عقوبتي منك فبذنب مُعْتَرِف، وإن كانت من تخرُّص الوُشاة فالعبدُ عائذٌ بفضل مولاه، فقال: لولا سابقُ خدمتِك لأَلبستُك قميصاً من دمك لا تشدُّ عليه زِراً. ثم أَمر بإِعادته إلى حبسه، فانصرف وهو يقول: الوفاءُ كرم، والمودَّة رَحِم، وأنت يا أميرَ المؤمنين بهما جدير(١).

وقيل: إنَّه قال له: يا يعقوب، أَلم تُخبرني أنَّ هذا وأهل بيته يزعمون أنَّهم أحقُّ

(١) العقد الفريد ٢/ ١٤٧ـ١٤٨، وما بين حاصرتين منه.

بالخلافة منا؟ فقال: لا واللهِ ما قلتُه، فقال: أتكذِّبني؟! وأمر بضربه فضُرب اثني عشر سَوطاً، ثم قال المهديُّ لإسحاق: ما تقول أنت؟ قال: كيف أقولُ هذا وقد مات جدِّي في الجاهلية كافراً وأبوك الباقي بعد رسولِ الله ﷺ وهو وارثُه، فقال له المهديّ: صدقت. وأطلقه وردَّ يعقوبَ إلى محبسه.

وكان يعقوبُ سَمْحاً جواداً، كثيرَ البِرِّ والصَّدقة واصطناعِ المعروف؛ جاءت امرأةٌ من اليمامة جَعْديَّةٌ مملوكةٌ لبني جعدةَ يقال لها: وحشية، قد كاتبت على ولدها وأختِها وأهلِ بيتها بألف دينار، فوقَفَت بين يدي يعقوبَ بنِ داود وقالت: [من الوافر]

أَمَا ومعلِّمِ التوراةِ موسى ... ومُرسي البيتِ في حَرَمِ الإلالِ(١)

وباعثِ أحمدٍ فينا رسولاً ... يعلِّمنا الحرامَ من الحلال

لَشهراً نحو يعقوبٍ سَرَيْنا ... فأدَّاني له وقتَ الهلال

أَغِثْني يا فداكَ أبي وأمِّي ... وعمِّي لا أُحاشيه وخالي

يُبَشِّرني بنُجحي كلُّ طيرٍ ... جَرَتَ لي عن يميني أو شِمالي

فقال يعقوب: صَدَقَت طيرُك، وأعطاها ألفَ دينار وقال: اِذهبي فاشتري أهلَك وولدَك وأَقدِميهم عليّ، ففَعَلَت، فما زالت في عيال يعقوبَ هي وأهلُها حتى ماتت. وكان يعقوبُ ممدَّحاً، مدحه سَلْمٌ(٢) الخاسر وأبو الشِّيص وأبو حَنَش وغيرُهم.



(١) في (خ): الآل، والمثبت من تاريخ بغداد ١٦/ ٣٨٤: الإلال: العهود، واحدها إل.

(٢) في (خ): سالم، وهو خطأ، وانظر تاريخ بغداد ١٦/ ٣٨٤، والقاموس المحيط (خسر).

السَّنة الثالثةُ والثمانون بعد المئة

فيها خرج من الخَزَر خلقٌ عظيمٌ من باب الأبواب، وكانوا مئةَ ألف وملكهم، وكان قد زوَّج ابنتَه من الفضل بنِ يحيى[(١)]، فماتت في طريقها قبلَ وصولها، فقيل لخاقان: إنَّ المسلمين قتلوها غِيلة، فخرج بهذا السَّبب.

وقيل: إنَّ سعيد بن سَلْم[(٢)] بن قتيبةَ كان على إرمينية، فقتل المنجِّمَ السُّلمي، فدخل ابنُه إلى الخَزَر فاستنصرهم على سعيد، فخرجوا إلى سور بابِ الأبواب فثلموه، ودخلوا إلى بلادِ المسلمين، فأغاروا عليها، وقُتل من المسلمين وأهل الذِّمَّة مئة ألف، ونكحوا المسلماتِ وبقروا بطونَ الحَبَالى، وذبحوا الأطفالَ في المهود، وسَبَوا خلقاً عظيماً، وفعلوا فعلاً لم يُسمع في الإسلام بمثلِه، وهرب سعيدُ بن سَلْم، وبلغ الرَّشيد، فجهز الجيوشَ مع خزيمةَ بن خازم، وولَّى يزيدَ بن مَزْيَدٍ أرمينيةَ وأذربيجان، فساروا، فوجدوا العدوَّ قد رجع إلى بلاده بالغنائم والسَّبايا، فسدُّوا الثُّلْم وأَصلحوا ما أَفسد القوم، ورجع خزيمةُ فأقام بنصيبين رِدءاً ليزيدَ بن مَزْيَد، وحجَّ بالناس العباسُ بن موسى الهادي.

فصل وفيها توفي

إبراهيم بن سعد

ابن إبراهيمَ بن عبد الرَّحمنِ بن عوف، أبو إسحاقَ الزُّهري.

من الطبقة السادسةِ من أهل المدينة. وأمُّه أَمَةُ الرَّحمنِ[(٣)] من بني عبد بنِ زَمْعَة، من بني عامر بن لؤيّ.

---

(١) كذا، والخبر مفصل موضح في تاريخ الطبري ٨/ ٢٧٠، والكامل ٦/ ١٦٣، والمنتظم ٩/ ٨٣، وتاريخ الإسلام ٤/ ٧٨١.

(٢) في (خ): سالم حيثما وردت، وفي المنتظم ٩/ ٨٣، والبداية والنهاية ١٣/ ٦٢٢: مسلم. والمثبت هو الصحيح، انظر التاريخ الكبير ٤/ ١٥٨، وتاريخ الطبري ٨/ ٢٧٠، والثقات ٦/ ٤٢٠، وتاريخ بغداد ١٠/ ١٠٥، والأنساب للسمعاني ٢/ ٦٧، والكامل ٦/ ١٦٣، وبغية الوعاة ١/ ٥٨٤.

(٣) في (خ): عبد الرحمن، وهو خطأ. انظر طبقات ابن سعد ٧/ ٥٨٢، وانظر ترجمته في تاريخ بغداد ٦/ ٦٠١، والمنتظم ٩/ ٨٤، وتهذيب الكمال، وتاريخ الإسلام ٤/ ٧٩٦، والسير ٨/ ٣٠٤.

فوَلَدَ إبراهيمُ سعداً ومحمَّداً لأمِّ ولد، وإسماعيلَ لأمِّ ولد، ويعقوبَ.

وروى عن الزُّهريِّ، وصالحِ بن كَيْسانَ، والحارثِ وعبدِ الله ابني عكرمةَ وغيرِهم، وكان ثقةً كثيرَ الحديث، وسكن بغداد، وكان على بيتِ المال.

وقال الخطيب[1]: وُلد سنةَ ثمانٍ ومئة. وقَدِم العراقَ على هارون، فأكرمه، وسأله عن الغناء، فأفتاه بتحليله، وكان قد انفرد بأحاديثِ الزُّهري، فأتاه بعضُ أصحاب الحديثِ ليسمعَ منه، فوجده يغنِّي، فدخل عليه فقال: لقد كنتُ حريصاً أن أسمعَ منك، فأما الآنَ فلا أسمعُ منك حديثاً أبداً، فقال له إبراهيم: فإذن لا أفقد إلَّا شَخصَك، ثم حلف وقال: عليَّ كذا وكذا إنْ حدَّثتُ ببغدادَ - ما أقمت - حديثاً حتى أغنِّيَ قبله.

وبلغ الرشيدَ خبرُه، فاستدعاه وسأله عن المخزوميةِ التي قطعها رسولُ اللهِ ﷺ في سرقة الحُلِيّ[2]، فقال: عليَّ بعود، فقال هارون: عودُ المِجْمَر؟ قال: لا، عودُ الضَّرب، فتبسَّم الرشيد، فقال: لعلك يا أميرَ المؤمنين بلغك حديثُ السفيهِ الذي ألجأني إلى اليمين، قال: نعم، ودعا له بعُود، فأخذه ووضعه، وغنَّى فقال: [من البسيط]

يا أمَّ طلحةَ إنَّ البَينَ قد أَزِفا[3] ... قلَّ الثَّواءُ لئن كان الرَّحيلُ غدا

فقال له هارون: مَن كان من فقهائكم يكره السَّماع؟ فقال: مَن ربطه اللهُ تعالى، قال: فهل بلغك عن مالكِ بن أنسٍ فيه شيء؟ قال: لا، ولكن حدَّثني أبي أنَّهم اجتمعوا في دعوةٍ لبني يربوع، وهم يومئذٍ جِلَّة وفيهم مالك، فتغنَّى وقال: [من مجزوء الوافر]

سُليمى أجمعت بَيْنا ... فأَين لقاؤها أينا
وقد قالت لأَترابٍ ... لها زُهرٍ تلاقَيْنا
تعالَيْنَ فقد طاب ... لنا العيشُ تعالينا[4]

---

(١) في تاريخه ٦/ ٦٠٣، ٦٠٦.

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٤٨) و (٣٤٧٥)، ومسلم (١٦٨٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) كذا في (خ) وتاريخ الإسلام ٤/ ٧٩٧، وفي ديوان عمر بن أبي ربيعة - والبيت له - ص٣٩١، والأغاني ١/ ٢٠٨، وتاريخ بغداد ٦/ ٦٠٦: أَفِدا، وكلاهما بمعنى، غير أن الأخيرة أصح للتصريع.

(٤) الأبيات لمحمد بن عائشة كما في الأغاني ٢/ ٢٣٤-٢٣٥، ٢٣٧.

وضحك هارونُ ووصله بمالٍ عظيم.

أَسند إبراهيمُ عن أبيه سعد، وكان أبوه قاضياً على المدينة. وروى عنه شعبةُ بن الحجَّاج(١) وغيرُه. وأَجمعوا على أنَّه كان ثقة. ودُفن بباب التِّبْن.

عليُّ بن الفُضيل بنِ عياض(٢)

مات في حياة أبيه، وكان عالماً، ديِّناً، صالحاً، خائفاً على حداثة سِنِّه لم يبلغ عشرين سنة، وكان يدقِّق في الورع، ويبالغُ في المطعم، وكان يصلِّي حتى يزحفَ إلى فراشه زحفاً، ثم يلتفتُ إلى أبيه فيقول: يا أَبة، سبقني العابدون.

وبكى يوماً، فقال له أبوه: ما يُبكيك يابُنيّ؟ فقال: أخاف ألَّا تجمعَنا القيامةُ غداً.

وقال سفيانُ بن عُيينة: ما رأيت أخوفَ لله من الفضيل وابنِهِ عليّ.

وكان الفضيلُ إذا علم أنَّ ابنه عليًّا خلفه - يعني في الصَّلاة - مرَّ ولم يَخَف ولم يحزن، وإذا علم أنَّه ليس خلفه تنوَّق في القراءة وحزن وخوَّف. فظنَّ يوماً أنَّه ليس خلفه، فأَتى على هذه الآية: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ [المؤمنون: ١٠٦] فخرَّ مغشيًّا عليه، وقيل لأمِّه: أَدركيه، فجاءت فرشَّت الماءَ على وجهه، وجاء الفضيلُ فجلس عند رأسِه، فقالت له أُمُّه: قد علمت أنَّك قاتلُ هذا الغلام. فأَفاق، فمكث حيناً، فظنَّ يوماً أنَّه ليس خلفه، فقرأ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر: ١-٢] فخرَّ ميِّتاً.

وقال الخطيب: الآيةُ التي مات فيها هي قولُه تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا﴾ [الأنعام: ٢٧]الآيةَ. وفي رواية ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٧].

وخرج الفُضيل في جنازته وهو متبسِّم، ولم يُرَ متبسماً إلَّا في ذلك اليوم، فقيل له: يموت عليٌّ وتتبسَّم؟! فقال: إنَّ الله تعالى أراد أمراً فأحببتُه. وكانت وفاتهُ بمكَّة. أَسند عن أبيه وسفيانَ بن عيينةَ وعبدِ العزيز بن أبي روَّادٍ وغيرِهم.

---

(١) وهو من شيوخه.

(٢) حلية الأولياء ٨/ ٢٩٧، المنتظم ٩/ ٨٥، تهذيب الكمال (٤٧١٠)، تاريخ الإسلام ٤/ ٦٩٤.

محمَّد بن صَبِيح

أبو العباس المُذَكِّر، مولى بني عِجْل، ويعرف بابن السَّمَّاك[١]. من الطبقة السابعةِ من أهل الكوفة. له المقاماتُ عند الخلفاءِ وغيرهم.

كان يقول: يا ابنَ آدم، إنَّما تغدو وتروحُ في كَسْب الأَرباح، فاجعل نفسَك ممَّا تكسبه، فإنَّك لن تكسبَ مثلها.

وقال المغيرةُ بن شُعيب: حضرتُ يحيى بنَ خالدٍ البرمكيَّ [وهو يقول] لابن السمَّاك: إذا دخلتَ على هارونَ أميرِ المؤمنين، فأَوجِز ولا تُكثر عليه. فلمَّا دخل عليه، قام بين يديه وقال: إنَّ لك بين يدي اللهِ مقاماً، وإنَّ لك من مقامك مُنْصَرَفاً، فانظر إلى أين يُنصَرَفُ بك، إلى الجنَّة أم إلى النَّار؟ فبكى هارونُ حتى كاد أن يموت.

وقال ابن السمَّاك: مَن امتطى الصبرَ قَوِي على العبادة، ومَن أجمع اليأسَ استغنى عن الناس، ومَن أهمَّته نفسُهُ لم يولِّ مؤنتَها غيرَه، ومَن أحبَّ الخير وفِّق له، ومَن كره الشرَّ جُنِّبه، ومَن رضي الدنيا من الآخرة حظًّا فقد أخطأَ حظَّ نفسه.

وكتب إلى أخٍ له: أمَّا بعد، فإنِّي أُوصيك بتقوى اللهِ الذي هو نجيُّك في سريرتك، ورقيبُك في علانيتك، فاجعله من بالك [على[٢]] حالك، وخَفْه بقدر قُربِه منك وقدرتِه عليك، واعلم أنَّك بعينه ليس تَخرج من سلطانه إلى سلطان غيرِه، فلْيَعظُم منه حذرُك، وليكثر منه وَجَلُك، واعلم أنَّ الذنبَ من العاقل أَعظمُ منه من الأحمق، ومن العالم أَعظمُ منه من الجاهل، وقد أصبحنا بزعمنا أَدِلَّاء، والدَّليلُ لا ينام في المَفازة، وقد كان عيسى عليه السلامُ يقول: إلى متى تصفون الطريقَ للدَّالجين وأنتم تُقيمون في محلَّة المتحيّرين، تُصفُّون البعوضَ من شرابكم وتسترطون[٣] الجِمالَ بأحمالها. يا أخي، كم [من] مذكِّرٍ بالله ناسٍ لله، وكم من مخوِّف بالله جريءٌ على الله، وكم من داعٍ إلى الله فارٌّ من الله، وكم [من] تالٍ لكتاب الله مُنْسَلِخٌ من آيات الله. والسَّلام.

---

(١) حلية الأولياء ٨/ ٢٠٣، وتاريخ بغداد ٣/ ٣٤٧، والمنتظم ٩/ ٨٦، والسير ٨/ ٣٢٨، وتاريخ الإسلام ٤/ ٩٥٩.

(٢) زيادة من حلية الأولياء ٨/ ٢٠٦، وصفة الصفوة ٣/ ١٧٥ .

(٣) أي: تبتلعون.

وكان يقول: سَبُعُك بين لَحْيَيك، تأكل به كلَّ مَن مرَّ عليك، قد آذيتَ أهلَ الدُّور في دورهم، وأهلَ القبورِ في قبورهم، ما تَرثي لهم وقد جرى عليهم البِلى وأنت تَنْبُشُهم، إنمَّا نرى نبشَهم أخذَ الخِرَق عنهم، إذا ذكرتَ مساوئَهم فقد نبشتَهم، إنَّه ينبغي أن يدلَّك على ترك القولِ في أخيك ثلاثُ خِلال: أمَّا واحدة، فلعلك أن تذكرَه بأمرٍ هو فيك، فما ظنُّك بربِّك إذا ذكرتَ أخاك بأمرٍ هو فيك؟ ولعلَّك تذكره بأمرٍ هو فيك أعظم، فذلك أشدُّ استحكاماً لمقته إيَّاك. ولعلك تذكُره بأمرٍ قد عافاك اللهُ منه، فهذا جزاؤه إذ عافاك الله؟! أما سمعتَ: اِرحم أخاك واحمد الذي عافاك؟

وكان يقول: مَن أذاقته الدُّنيا حلاوتَها لميله إليها، جرَّعته الآخرةُ مَرارتها لتجافيه عنها.

ومات لهارونَ ولد، فحزن عليه حزناً شديداً حتى كاد أن يموتَ، وامتنع من الطَّعام والشَّراب، فدخل عليه ابنُ السَّماك فقال: [من مجزوء الكامل]

أَفنيتَ عُمْرَك باغترارِكْ ... ومُناك فيهِ بانتظارِكْ
ونسيتَ ما لا بدَّ منـ ... ـه وكنتَ أَوْلى باذِّكارك
لك ساعةٌ تأتيك من ... ساعاتِ ليلِك أو نهارِك
فاخترْ لنفسك قبل أن ... تقضيْ وتُزعَج من قرارك[1]

ثم قال: يا أميرَ المؤمنين، حدَّثني صديقٌ لي كان يسافر إلى بلاد الصِّين، وكان صديقَ ملكِ الصين، قال: جمعتُ له هديةً فاخرة وألطافاً كثيرة، ثم دخلت الصِّين، فوافيته قد مات ولدُه، فدخلتُ عليه، فلم أرَه يكترث ولا يُزعَج لموت ولدِه، فلمَّا خرجَت الجنازةُ إلى الصحراء، إذا بعشرة آلافِ وَصيفٍ ووَصيفة، على أيديهم أطباقُ الذهبِ والفضَّة مغطَّاة بالسُّندس، مُمَنْطَقين بمناطق الذهبِ والفضَّة، قد أحدقوا بالجنازة يُزَمْزِمون حولها، وإذا بعشرة آلافٍ من الرُّهبان والزهَّاد عليهم المُسوحُ والشَّعر، بأيديهم الأناجيلُ وهم يقرؤونها، فأَحدقوا بالجنازة، وإذا بعشرة آلافِ فارس، كلُّ واحدٍ يُعَدُّ بألوف، وهم على الخيول السَّوابق، مدرَّعين بأحسنِ العُدَد

(١) الأبيات الثلاثة الأولى في المدهش ص٥٢٢ دون نسبة.

والسِّلاح، فأَحدقوا بالجنازة.

وخرج الملكُ يمشي في خواصِّه وأصحابِهِ إلى المقابر، فلمَّا دُفن رجع الملكُ إلى قصره، فجلس واستدعاني، فقال لي: أرأيتَ ما رأيت؟ قلت: نعم، فقال: أما الوصائفُ والوصفاء، فحملوا ما في خزائني من الجواهر واليواقيتِ واللآلئ المثمنةِ التي لا توجد إلَّا في خزائني، فلمَّا أَحدقوا به، زمزموا وقالوا: يا سيِّدَنا، لو أنَّ الذي قبض روحك يقبل رِشوة، لكان فيما معنا من الجواهر واللآلئِ واليواقيتِ والأموالِ كفاية، ولكن الذي قبض روحَك لا يقبل الرُّشا. أرأيت أصحابَ المُسوحِ والشَّعر؟ أولئك عبَّاد بلادِنا ورهبانُهم وعلماؤنا، قالوا: يا ابنَ الملك، لو كان الذي قبض روحَك يقبل شفاعةً، لشفعنا إليه فيك، ولكنَّه لا يقبل، أرأيتَ أصحاب الدُّروع والسِّلاح؟ هؤلاء قوَّاد الملكِ وخواصُّهم، ركبوا خيولَهم وحملوا سلاحَهم وقالوا: لو كان الذي قبض روحَك ممَّن يحارب لَحاربناه، ولكن ممَّن لا يحارب. ثم قال لي: يا مسلم، هل أبقينا بقيَّة؟ قلت: لا.

قال ابن السمَّاك: فلمَّا فرغت من حديثي، قال هارون: لله درُّه من كافرٍ ما كان أحسنَ يقينَه! ثم بكى هارونُ حتى غُشي عليه، فقال بعض خواصِّه لابن السمَّاك: أُرفق بأمير المؤمنين، فقال: دَعْه فلْيمت حتى يقال: خليفةُ اللهِ مات من مخافة اللهِ تعالى.

ونظر ابنُ السمَّاك إلى أقوامٍ عليهم الصوفُ فقال: لَئن كان لباسُكم موافقاً لسرائركم، لقد أَحببتم أن يطَّلعَ النَّاسُ عليها، ولَئن كان مخالفاً لها، لقد هلكتم.

وكان يقول: الذُّباب على العَذِرة أحسنُ من القرَّاءِ على أَبواب الملوك.

وقال أحمدُ بن أبي الحَوَاري: مرض ابن السمَّاك، فحملنا ماءً إلى طبيب نصرانيٍّ بالحِيرة، فبينا نحن بين الكوفةِ والحِيرة، استقبَلَنا رجلٌ حسن الوجهِ طيِّب الرِّيح نقيُّ الثياب، فقال: أين تريدون؟ فأَخبرناه، فقال: سبحانَ الله! تستعينون بعدوِّ اللهِ على وليِّ الله! اِضربوا به الأرضَ وارجعوا إلى ابن السمَّاك وقولوا له: ضع يدَك على موضع الوجعِ وقل: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾ [الإسراء: ١٠٥] ثم غاب عنَّا. فعدنا إلى ابن السمَّاك فأخبرناه، فوضع يدَه على المكانِ وقرأ الآية، فعوفي من ساعته، فقلنا: مَن ذلك الرَّجل؟ فقال: الخَضِرُ عليه السلام.

ذِكر وفاتِه:

قال لمَّا احتُضر: اللهمَّ إنَّك تعلم أنِّي وإنْ كنت أَعصيك فإنِّي أحبُّ مَن يطيعك، اللهمَّ إنَّك تعلم أنِّي لم أجلسْ مجلساً إلَّا بدأت بالثَّناء عليك وبالصَّلاة على رسولك، وأُحبِّبك إلى خلقك.

قَدِم بغداد، فوعظ هارونَ ثم عاد إلى الكوفةِ فمات بها. وسببُ موته أنَّه رأى الحقَّ تعالى في منامه، فقال له: يا مشعث، إلى متى تدعو الناسَ إلى بابي ولا تحضُرُ أنت بنفسك؟! أمَا لولا أنَّك جلست يوماً فمرَّ بك وليٌّ من أوليائي فبكى ثم سألني فيك لعذَّبتك. فانصدع قلبهُ فمات.

أَسند عن عدَّة من التابعين، منهم هشامُ بن عروةَ والأعمشُ وغيرُهما، وروى عنه الإمام أحمدُ بن حنبلٍ ـ رحمةُ اللهِ عليه ـ وغيرُه، وكان ثقةً صالحاً.

موسى بنُ جعفر(١)

ابن محمَّد بن عليِّ بن الحسينِ بن عليٍّ عليه السلام، أبو الحسن، ويلقَّب بالكاظم، والطيِّب، والمأمون، ويُدعى بالعبد الصالح؛ لعبادته واجتهادِه، وأَشهرُ ألقابِه الكاظم؛ لأنَّه كان حليماً. وأمُّه أمُّ ولدٍ أندلسية، وقيل: بربرية، واسمُها حميدة.

وُلد بالمدينة سنةَ ثمانٍ أو تسعٍ وعشرين ومئة، وهو من الطبقة السابعةِ من أهل المدينة.

وكان سيِّداً عالماً فاضلاً، مجابَ الدَّعوة، جواداً، إذا بلغه عن أحدٍ أنَّه يؤذيه بعث إليه بمال، بلغه عن رجلٍ كلامٌ يؤذيه، فبعث إليه بألف دينار. وأَهدى له بعضُ العبيد عَصِيدة(٢)، فاشترى الضَّيعة التي فيها ذلك العبدُ والعبدَ بألف دينار، وأَعتقه ووهبها له. وكان كثيرَ العبادة والتهجُّد.

وقال شَقيقٌ البَلْخي: خرجت حاجًّا في سنة تسعٍ وأربعين ومئة، فنزلتُ القادسية،

---

(١) تاريخ بغداد ١٥/ ١٤، والمنتظم ٩/ ٨٧، وصفة الصفوة ٢/ ١٨٤، وتهذيب الكمال ٢٩/ ٤٣، والسير ٦/ ٢٧٠، وتاريخ الإسلام ٤/ ٩٨٤.

(٢) دقيق يضاف إليه ماء يطبخ به، ثم يضاف إليه سمن ولبن محلى بالسكر أو العسل.

فبينا أنا أَنظر إلى الناسِ في زينتهم وكثرتِهم، إذ نظرتُ إلى فتًى حسنِ الوجهِ شديدِ السُّمْرَة، فوق ثيابه ثوبٌ من صوف، مُشْتَمِلٍ بشَمْلَة، في رجليه نعلان، وقد جلس منفرداً، فقلتُ في نفسي: هذا الفتى من الصُّوفية يريد أن يكون كَلاًّ على الناسِ في طريقهم، والله لأَمضينَّ إليه ولأُوبِّخنَّه، فدنوتُ منه، فلمَّا رآني مُقبلاً قال: يا شقيق ﴿يَعْلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُۚ﴾ [البقرة: ٢٣٥] و ﴿ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾الآية [الحجرات: ١٢] ثم تركني ومضى.

فقلتُ في نفسي: قد تكلَّم على ما في نفسي ونطق باسمي، وما هذا إلَّا عبدٌ صالح، لأَلحقنَّه ولأَسألنَّه أن يحالَّني، فأسرعتُ في طلبه، فلم أره، وغاب عن عيني، فلمَّا نزلنا واقِصة[1]، إذا به قائمٌ يصلِّي وأعضاؤه تضطرب ودموعُه تجري، فقلت: هذا صاحبي أَمضي إليه وأَستحلُّه، فصبرتُ حتى جلس، وأقبلتُ نحوه، فلمَّا رآني مقبلاً قال: يا شقيق، أُتل: ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ [طه: ٨٢] ثم تركني ومضى. فقلت: إنَّ هذا الفتى لَمن الأَبدال، فقد تكلَّم على سرِّي مرتين.

فلمَّا نزلنا زُبَالة، إذا بالفتى قائمٌ على البئر وبيده رَكْوَةٌ يريد أن يستقيَ ماء، فسقطت الرَّكوةُ من يده في البئر وأنا أَنظر إليه، فرأيتُه قد رَمَقَ إلى السَّماء وقال: [من الخفيف]

أنـت ربِّـي إذا ظَـمِـئـتُ مـن الـمـا ... ءِ وقُـوْتـي إذا أردتُ الـطَّـعـامـا[2]

اللهمَّ سيِّدي مالي سواها، فلا تَعْدِمْنيها.

قال شقيق: فو اللهِ لقد رأيتُ ماءَ البئرِ وقد ارتفع، فمدَّ يَده فأخذ الرَّكوة فملأها ماء، وتوضَّأ وصلَّى أربعَ ركعات، ثم مال إلى كَثيبٍ من الرَّمل، فجعل يقبض بيده ويطرحه في الرَّكوة ويحرِّكه ويشرب، فأَقبلت إليه وسلَّمت عليه[3]، فردَّ السلام، فقلت: أَطعمني من فضل ما أَنعم اللهُ به عليك، فقال: يا شقيق، لم تزل نعمةُ اللهِ علينا ظاهرةً وباطنة، فأَحسِن ظنَّك بربِّك.

ثم ناولني الرَّكوة، فشربتُ منها، فإذا سَويقٌ وسُكَّر، فواللهِ ما شربت قطُّ أَلذَّ منه ولا

---

(١) منزل بطريق مكة، وهي دون زبالة- وسيأتي ذكرها- بمرحلتين. معجم البلدان.

(٢) صفة الصفوة ٢/ ١٨٦، وقد ذكر القصة بتمامها.

(٣) في (خ): إليه.

أطيبَ ريحاً، فشبعتُ ورَويت، وأقمت أيَّاماً لا أشتهي الطعامَ والشراب. ثم لم أره حتى دخلنا مكَّة، فرأيتُه ليلةً إلى جنب قُبَّة الشرابِ نصفَ الليل يصلِّي بخشوع وأنينٍ وبكاء، فلم يزل كذلك حتى ذهب الليلُ وطلع الفجر، فجلس في مصلَّاه يسبِّح الله، ثم قام فصلَّى الغَداة، وطاف بالبيت أُسبوعاً[١] وخرج، فتبعتُه، وإذا حاشيةٌ ومَوَالٍ، وهو على خلاف ما رأيتُه في الطريق، ودار به الناسُ من حوله يسلِّمون عليه، فقلتُ لبعض مَن رأيته تقرَّب منه: مَن هذا الفتى؟ قال: موسى بنُ جعفرِ بن محمَّد بن عليِّ بن الحسين ابن عليٍّ عليه السلام، فقلت: قد عجبتُ أن تكونَ هذه العجائبُ إلَّا لمثل هذا السيِّد.

وقال عبدُ الرَّحمن بنُ صالحٍ الأَزْدي: حجَّ هارون، فأتى قبرَ النبيِّ ﷺ زائراً له وحوله قريشٌ وأفياءُ القبائلِ وموسى بنُ جعفر، فلمَّا انتهى إلى القبر، قال هارون: السلامُ عليك يا رسولَ اللهِ يا ابنَ العمّ. افتخاراً على مَن حوله، فدنا موسى من القبرِ وقال: السلامُ عليك يا أَبَة، فتغيَّر وجهُ هارونَ وقال له: هذا هو الفخرُ يا أبا الحسنِ حقًّا. ثم اعتمر هارونُ في رمضانَ سنة تسعٍ وسبعين ومئة، وحمل موسى معه إلى بغداد، فحبسه بها، فتوفِّي في هذه السَّنة[٢].

وقال الزَّمخشري: كان هارونُ يقول لموسى: خذ فَدَكاً. وهو يمتنع عليه، فلمَّا كثَّر عليه قال: ما آخُذها إلَّا بحدودها، قال: وما حدودُها؟ قال: الحدُّ الأول من فَدَك إلى عَدَن، فتغيَّر وجهُ هارون، قال: والحدُّ الثاني؟ قال: سَمَرْقَنْد، فاربدَّ وجهُ هارون، قال: والحدُّ الثالث؟ قال: إفريقية، فاسودَّ وجهُ هارون، قال: والحدُّ الرابع؟ قال: سِيفُ البحرِ ممَّا يلي الخَزَرَ وإرمينيةَ والشام، قال هارون: فتحوَّلْ إلى مجلسي فلم يبقَ لنا شيء، فقال موسى: قد أَعلمتك بحدودها، فحينئذٍ أخذه وحبسه.

ولمَّا طال حبسُه كتب إلى هارون: إنَّه لن ينقضيَ عني يومٌ من البلاء إلَّا انقضى عنك معه يومٌ من الرَّخاء، حتى نُفضيَ جميعاً إلى يومٍ ليس له انقضاءٌ يخسر فيه المبطلون[٣].

---

(١) أي: سبعاً.

(٢) المنتظم ٩/ ٨٨.

(٣) في (خ): المطلوب، والمثبت من تاريخ بغداد ١٥/ ١٩، والمنتظم ٩/ ٨٨.

ذِكر وفاته:

توفِّي لخمسٍ بقين من رجب سنةَ ثلاثٍ وثمانين بالحبس ببغداد، ودُفن بمقابر قريش، وقبرُه ظاهرٌ يزار، وأهلُ العراق يسمُّون قبرَه بابَ الحوائجِ إلى الله تعالى.

وقال الحسنُ بن إبراهيم: ما أهمَّني أمرٌ فقصدت قبرَ موسى بنِ جعفرٍ فتوسَّلت به، إلَّا سهَّل اللهُ لي ما أُحبّ.

وقيل: مات سنةَ ثمانٍ وثمانين ومئة. والأوَّل أشهر.

ذِكر أولادِه:

كان له أربعونَ ولداً[١] ما بين ذكرٍ وأنثى: عليُّ بن موسى الرِّضا، والنَّسل له، وزيد، وهو الخارجُ على المأمون، فعفا عنه، وإبراهيم، وعقيل، وهارون، والحسن، والحسين، وعبدُ الله، وعُبيد الله، وإسماعيل، وأحمد، وعُمر، وجعفر، ويحيى، وإسحاق، والعبَّاس، وحمزة، وعبد الرَّحمن، والقاسم، وجعفر الأَصغر، ومحمَّد. ومن البنات: خديجة، وأمُّ فَروة، وأَسماء، وعُلَيّة، والفواطمُ أربع، وأمُّ كلثوم، وآمنة، وزينب: كُبرى وصُغرى، وأمُّ عبد الله، وأمُّ القاسم، وحليمة، وأسماءُ الصُّغرى، ومحمودة، وأُمامة. والكلُّ ـ الذكورُ والإناث ـ لأمَّهات أولادٍ شتَّى.

مات وسنُّه سبعٌ وخمسون سنة، وقيل: ستُّون، وقيل: إحدى وستُّون سنة، وقيل: ثلاثٌ وخمسون سنة[٢].

أسند الحديثَ عن أبيه وجدِّه[٣] عن آبائه الطَّاهرين ﵃ أجمعين.

موسى بنُ عيسى

ابن موسى بن محمَّد بن عليِّ بن عبد اللهِ بن عباس.

وَلِيَ الحرمين واليمنَ ومصرَ والكوفةَ ودمشق. وحجَّ بالناس سنةَ ثمانين أو اثنتين

---

(١) سيذكر المصنف أسماء تسعة وثلاثين ولداً، وانظر السير ٨/ ٢٧٤، وجمهرة أنساب العرب ٦١.

(٢) هذه الأقوال غير متطابقة مع ما ذكر من ولادته ووفاته، والراجح أنه عاش خمساً وخمسين سنة كما ذكر الذهبي في السير ٦/ ٢٧٤، وانظر تاريخ الإسلام ٤/ ٩٨٦ .

(٣) كذا، ولعلها: عن جده؛ لأن موسى بن جعفر لم يدرك جده محمَّداً الباقر رحمة الله عليهم.

وثمانين ومئة.

ووعظه ابن السمَّاك وقال: لَتواضُعُك في شَرَفك أحبُّ إلينا من شرفك.

وكانت وفاتُه في رجب هذه السنةَ وله خمسٌ وخمسون سنة. وقيل: مات سنةَ اثنتين وثمانين، وقيل: سنةَ تسعٍ[1] وثمانين ومئة، رحمه اللهُ تعالى.

يحيى بنُ حمزة بنِ واقِد

أبو عبد الرَّحمنِ الحَضْرَميّ. قاضي دمشق. أصلُه من بيت لَهْيا[2]. ولد سنةَ اثنتين أو ثلاثٍ أو ثمانٍ ومئة.

وهو من الطبقة الخامسةِ من أهل الشام، وكان كثيرَ الحديث صالحَه، ولمَّا قدم أبوجعفرٍ دمشقَ سنة ثلاثٍ وخمسين، استعمله على القضاءِ، وقال له: يا شابّ، إنِّي أرى أهلَ بلدك قد أَجمعوا عليك، فإيَّاك والهديَّة. فلم يزل قاضياً عليها حتى مات.

وقيل: تأخَّرت وفاتُه عن هذه السَّنة.

أسند عن الأوزاعيِّ والثوريِّ وغيرِهما، وروى عنه الوليدُ بن مسلم وهشامُ بن عمار وغيرُه، واتَّفقوا على صِدقه وثقتِه ووَرعه.



(١) صوابه: سبع، كما في تاريخ دمشق ١٧/ ٣٩٨ (مخطوط)، ومختصره ٢٦/ ٧.

(٢) وهي قرية بالقرب من دمشق، وانظر في ترجمته تاريخ دمشق ١٨/ ٥٧ (مصورة دار البشير)، والسير ٨/ ٣٥٤، وتاريخ الإسلام ٤/ ٩٩٨.

السنة الرابعةُ والثمانون بعد المئة

فيها قَدِم هارونُ إلى بغدادَ من الرَّقَّة في الفرات في السُّفن وأثقالُه وأصحابُه على البرّ.

وكان سببُ قدومِه خروجَ أبي عَمرٍو الشاري[١]؛ فإنه نزل شَهْرَزورَ، واستفحل أمرُه، ومال إليه الناس، فجهَّز إليه هارونُ زهيراً القصَّاب[٢]، فالتقَوا على شَهرزورَ واقتتلوا، فظهر الشاري، ثم كانت الدَّبَرة عليه، فقُتل ومعه جماعةٌ من أصحابه، وانهزم الباقون.

وكان عليُّ بن عيسى قد توجَّه لقتال أبي الخَصيب، فطلب من عليِّ بن عيسى[٣] الأَمان، فأمَّنه، وقدم عليه أبو الخصيبِ وهو بمَرْو، فالتقاه وأكرمه ووفى له.

وحجَّ بالناس إبراهيمُ بن المهديّ، وهو ابنُ شَكْلة[٤].

فصل وفيها توفي

أحمدُ بن هارونَ الرَّشيدِ المعروفُ بالسَّبْتي

قال عبدُ الله بن الفَرج العابد: احتجتُ إلى صانعٍ يصنع لي شيئاً من أمر الرُّوزْجاريين[٥]، فأتيتُ السُّوق، فإذا في آخرهم شابٌّ مُصْفَرٌّ بين يديه زِنْبيل كبير ومَرٌّ[٦]، وعليه جُبَّة صوف ومئزرُ صوف، فقلتُ له: تعمل؟ قال: نعم، قلتُ: بكم؟ قال: بدِرهمٍ ودانِق، قلت له: قُم حتى تعمل، فقال: على شريطة، قلتُ: وما هي؟ قال: إذا كانَ وقتُ الظُّهر وأذَّن المؤذِّن، خرجتُ فتطهَّرت وصلَّيت في المسجد جماعة ثم رجعت، فإذا كان وقتُ العصرِ فكذلك، قلتُ: نعم.

فقام معي، فجئنا المنزل، فوافقتُه على ما ينقله من موضع، فشدَّ وسطَه وجعل يعمل

(١) في (خ): الشيباني، والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ٢٧٢، والمنتظم ٩/ ٩٢، والكامل ٦/ ١٦٦، وتاريخ الإسلام ٤/ ٧٨٢، والبداية والنهاية ١٣/ ٦٢٦.

(٢) في (خ): القصار، والمثبت من المصادر.

(٣) في (خ): موسى، وهو خطأ. وانظر المصادر السابقة.

(٤) هي أمه.

(٥) أي الذين يعملون بأجر يومي.

(٦) المر: الحبل، والمسحاة، والزنبيل: القُفَّة أو الجراب أو الوعاء. المعجم الوسيط (مرر)، القاموس .

ولا يكلِّمني حتى أذَّن الظُّهر، فقال: يا عبدَ الله، قد أذَّن المؤذِّن، فقلت: شأنك. فخرج فصلَّى وعاد، فعمل عملاً جيِّداً إلى العصر، فلما أذَّن المؤذِّن، خرج فصلَّى ثم رجع، فعمل إلى آخر النَّهار، فوزنتُ له أُجرتَه، فانصرف.

فلمَّا كان بعدَ أيام، احتجنا إلى عمل، فقالت لي زوجتي: أُطلب لنا ذاك الصَّانعَ الشابّ؛ فإنَّه قد نصحنا في عملنا. فجئتُ إلى السُّوق فلم أرَه، فسألتُ عنه، فقالوا: تسأل عن ذاك المصفرِّ المشؤومِ الذي لا نراه إلَّا من سبتٍ إلى سبت، لا يجلس إلَّا وحده في آخِر الناس! فانصرفت. فلمَّا كان يومُ السبت، أتيتُ السوقَ فصادفته، فقلت له: تعمل معي؟ فقال: قد عرفتَ الأُجرة والشَّرط، فقلت: استَخِر اللهَ تعالى، فقام فعمل على النَّحو الذي كان يعمل، فلمّا وزنتُ له الأجرة زِدتُه، فأبى أن يأخذَ الزِّيادة، فأَلحَحْت عليه، فضَجِر وتركني ومضى. فغمَّني ذلك، فاتَّبعته وداريته حتى أخذ أُجرتَه فقط.

فلمَّا كان بعد مدَّة، احتجنا إلى صانع، فأتيت السوقَ يومَ السبت، فلم أصادفْه، فسألتُ عنه، فقيل لي: هو عَليل. وقال لي مَن يَخبُرُ أمرَه: إنَّما كان يجيءُ إلى السُّوق من سبتٍ إلى سبت، يعمل بدرهمٍ ودانق، يتقوَّت كلَّ يومٍ بدانق، وقد مرض، فسألتُ عن منزله، فأَتيته وهو في بيت عجوز، فقلت لها: الشابُّ الرُّوزجاري؟ قالت: هو عليلٌ منذ أيام. فدخلتُ عليه، فوجدتُه لِمَا به وتحت رأسه لَبِنة، فسلَّمت عليه وقلت: لكَ حاجة؟ قال: نعم إنْ قبلت، قلت: أَقبل إن شاءَ الله، فقال: إذا أنا متُّ، فبِعْ هذا المَرَّ، واغسل جبَّتي هذه الصوفَ وهذا المئزرَ وكفِّنِّي بهما، وافتُقْ جيبَ الجبَّة فإنَّ فيها خاتَماً، وانظر يوم يركب هارونُ الخليفة، فقِف له في موضعٍ يراك، فكلِّمه وأَرِه الخاتم؛ فإنَّه سيدعو بك، فسلِّم إليه الخاتم، ولا يكونُ هذا إلَّا بعد دفني، قلت: نعم.

فلمَّا مات: فعلتُ به ما أمرني، ثم نظرتُ اليومَ الذي يركب فيه الخليفة، فجلست له على الطريق، فلمَّا مرَّ ناديتُه: يا أميرَ المؤمنين، لك عندي وديعة، ولوَّحت بالخاتم، فأُخذت وحُملت إلى داره، ثم دعاني ونحَّى جميعَ مَن كان عنده وقال: مَن أنت؟ قلت: عبدُ الله بن الفَرج، قال: مِن أين لك هذا الخاتَم؟ فحدَّثته قصَّة الشاب، فجعل يبكي حتَّى رحمتُه، فلمَّا أَنِس قلت: يا أميرَ المؤمنين، مَن هو منك؟ قال: ابني، قلت:

كيف صار إلى هذه الحال؟ قال: وُلد لي قبل أن أُبتلَى بالخلافة، فنشأ نشوءاً حسناً، وتعلَّم القرآنَ والعلم، فلمَّا وليت الخلافة، تركني ولم ينَل من دنياي، فدفعتُ إلى أمِّه هذا الخاتمَ وهو ياقوتٌ يساوي مالاً كثيراً، فقلت: تدفعينه إلى ابنك ـ وكان بارّاً بها ـ وتسألينه أن يكونَ معه، فلعله أن يحتاجَ إليه يوماً من الأيّام فينتفعَ به، وتوفِّيت أمُّه، فما عرفتُ له خبراً إلَّا ما أخبرتَني به أنت.

ثم قال: إذا كان الليلُ فاخرج معي إلى قبره، فلمَّا كان الليلُ خرجت معه وحده، حتى أَتينا قبرَه وهو يمشي، فجلس فبكى بكاءً شديداً، فلمَّا طلع الفجرُ قمنا، فرجع ثم قال: تعاهدْني في هذه الأيامِ حتى أزورَ قبرَه. فكنت أَتعاهده في اللَّيل، فيخرج يزوره ثم يرجع.

قال عبدُ الله بن الفَرَج: ولم أعلمْ أنَّه ابنُ الرشيد حتى أَخبرني الخليفةُ أنه ابنُه(١).

وقيل(٢): إنَّ عبد اللهِ بنَ الفَرَج نقله إلى منزله، وإنَّه لمَّا احتُضر، دفع إليه الخاتَمَ وقال: إذا متُّ ودفنتني فخذ هذا الخاتَمَ وادفعه إلى أَمير المؤمنين هارون، وقل له: يقول لك صاحبُ هذا الخاتم: احذَر أن تموتَ على سَكرتك؛ فإنَّك إن متَّ عليها ندمتَ.

فلمَّا دفنته وقفت لهارونَ وأخرجت الخاتَم، فلمَّا نظر إليه عرفه وقال: مِن أين لك هذا؟ فقلت: دفعه إليَّ رجل طيَّان، فقال: طيَّان طيَّان؟! فقرّبني منه، وقلت: إنه أوصاني بوصيَّة وقال: إذا رفعتَ إليه الخاتم قل له: احذر أن تموتَ على سكرتك هذه؛ فإنَّك إن متَّ عليها ندمت. فلمَّا سمع ذلك، قام قائماً على رجلَيه وضرب بنفسه على البساط، وجعل يتقلَّب ويقول: يا بنيّ، نصحتَ.

ثم جلس، وجاؤوا بماءٍ فمسحوا وجهَه، وقال: هيه. فحدَّثته الحديثَ وهو يبكي، فقال: هذا أوَّل مولودٍ ولد لي، بَصُرت بأمِّه فتزوَّجتُ بها سراً من أبي، فأَولدتها هذا المولود، وأَحدرتُها إلى البصرة، وأعطيتُها هذا الخاتمَ وأشياء، وقلت: اكتُمي نفسك، فلمَّا وليت الخلافةَ سألت عنهما، فذُكر لي أنَّهما ماتا، ولم أعلم أنَّه باق، فأين دفنتَه؟

---

(١) التوابين ١٨٧ـ١٩٠، وانظر الغرباء للآجري ٦٩، وصفة الصفوة ٢/ ٣١٣.

(٢) هذه الرواية ذكرها ابن الجوزي في المنتظم ٩/ ٩٣.

فقلت: في مقابر عبدِ الله بن مالك، فقال: إذا كان وقتُ المغربِ فقف لي على الباب، فوقفتُ، فخرج لي مُتَنكِّراً، فجئت به إلى قبره، فما زال يبكي ليلَه ويُدير رأسَه ولحيتَه على قبره ويقول: يا بنيّ، نصحتَ أباك؛ حتى طلع الفجر، فقلت: أصبحتَ يا أميرَ المؤمنين، فقال: قد أمرتُ لك بعشرة آلافِ درهم، واكتُب عيالَك مع عيالي؛ فقد وجب عليَّ حقُّك بدفنك ولدي، وأخذ بيدي ومشينا إلى القصر، فلمَّا بلغ البابَ قال: انظر ما أُوصيك به، إذا طلعت الشمسُ فقِفْ لي حتى أدعوَك فتحدِّثَني حديثَه، قلت: إن شاءَ الله. فما عدتُ إليه بعد ذلك.

محمَّد بن يوسفَ بنِ مَعْدان(١)

أبو عبد اللهِ، الأَصفهاني. كان ابنُ المبارك يسمِّيه عروسَ الزُّهَّاد. وقال ابن مَهديٍّ ويحيى بنُ سعيد: ما رأينا مثلَه. وما كان يشتري حاجَته ـ زادَه وما يحتاج إليه ـ من خبَّازٍ واحد، ولا من بقَّال واحد، ويقول: لعلَّهم يعرفوني فيُحَابُوني، فأكونُ ممَّن يكون يعيش بدِينه. ولم يكن يضع جَنْبَه إلى الأرض، وإذا نام نام قاعداً.

وكان يسكن السَّواحلَ والمَصِّيصة، وكان عابداً ورعاً، خرج في جنازة بالمصِّيصة، فنظر إلى قبر أبي إسحاقَ الفَزاريِّ ومَخْلَدِ بن الحسينِ وبينهما موضعُ قبرٍ فقال: لو أنَّ رجلاً مات فدُفن بينهما، فما أتت عليه إلاَّ عشرةُ أيامٍ حتى توفِّي فدُفن بينهما، ولم يبلغ أربعين سَنَة.

أَسند عن الثوريِّ والأَعمش وغيرِهما، وشغلته العبادةُ عن الرِّواية.

المُعافى بنُ عِمران

أبو مسعودٍ، المَوْصليّ، الأَزْدي(٢). رحل إلى البلادِ في طلب الحديث، وجالس العلماءَ، وجمع بين الورعِ والعقل والسَّخاء والزُّهد في الدنيا ومحبَّة الصالحين

(١) حلية الأولياء ٨/ ٢٥٥، وصفة الصفوة ٤/ ٨١، والمنتظم ٩/ ١٠٠، وتاريخ الإسلام ٤/ ٩٦٨، والسير ٩/ ١٢٥.

(٢) تاريخ بغداد ١٥/ ٣٠٣، حلية الأولياء ٨/ ٢٨٨، والمنتظم ٩/ ١٠١، وصفة الصفوة ٤/ ١٨٠، وتاريخ الإسلام ٤/ ٩٧٦، والسير ٩/ ٨٠.

وزيارتِهم، لزم سفيانَ الثوريَّ وتفقَّه عليه وتأدَّب بآدابه، وكان يقول له: أنت معافًى كاسمك. وكان صاحبَ سُنَّة.

وكان بِشرٌ الحافي مغرًى به، ويزوره في بلدِه بالموصل ويغشاه. قال رجلٌ لبشر الحافي: أراك عاشقاً للمعافى بنِ عمران! فقال: وما لي لا أَعشقُه وقد كان سفيانُ يسمِّيه ياقوتةَ العلماء؟! ولقد قُتل ابناه بالموصل فما رأيتُه حلَّ حَبْوَته، وقال: ظالمَين أو مظلومَين؟ قالوا: مظلومَين، فحلَّ حَبوتَه وخرَّ ساجداً، وما رُئي عليه أثرُ الحزن، وما سُمع من داره صوت. كان صاحبَ كمدٍ، فجاء إخوانه يُعَزُّونه، فقال لهم: إنْ كنتم جئتم تعزُّونني فلا تعزُّوني، وإنْ كنتم تهنِّئونني فنَعم. فما برحوا حتى غدَّاهم وغلَّفهم بالغالية. وكان ابناه قُتلا في وقعةِ الموصل.

وطرق بابَه بِشرٌ، فقالت له ابنةٌ له خماسية: مَن بالباب؟ فقال: بشرٌ الحافي، فقالت: لو اشتريتَ نعلاً بدانِقَين لَذهبت عنك هذه الشُّهرة.

وكان المعافَى يقول: كتابةُ حديثٍ واحد أحبُّ إليَّ من قيام ليلة.

مات سنة أربعٍ وثمانين ومئة بالموصل. وقيل: سنةَ خمسٍ أو ستٍّ وثمانين. وصلَّى عليه عَمرو بنُ الهيثم.

أَسند عن الثوريِّ ومالكِ بن أنسٍ والليث بنِ سعد وخلقٍ كثير، وروى عنه ابنُ المبارك وغيرُه، وكان يقول: حدَّثني ذاك الرجلُ الصالح.

وصنَّف كتباً في الزُّهد والسُّنن والآداب. واتَّفقوا على صِدقه وثقتِه وورعه.



السَّنة الخامسةُ والثمانونَ بعد المئة

فيها خرج حمزةُ الشاري بخُراسان، فعاث بنواحي باذَغِيس، فخرج إليه عليُّ بن عيسى بنِ ماهان[١]، فقتل من أصحابه خلقاً كثيراً، فانهزم حمزةُ حتى بلغ كابُل وزابُلِستان.

وقد ذكرنا أنَّ أبا الخصيبِ طلب الأمانَ من عليِّ بن عيسى، فأمَّنه، وأنَّه غَدَر في هذه السَّنة، وغلب على طُوسَ ونَيْسابورَ ونازل مَرْوَ وأَحدق بها، فخرج إليه عليُّ بن عيسى فهزمه إلى سَرْخَس.

وفيها خرج الرشيدُ إلى الرقَّة على طريق المَوْصلِ والجزيرة، وحجَّ بالناس منصورُ بن المهديّ، وكان يحيى بنُ خالدٍ قد استأذن الرشيدَ في العُمرة، فخرج في شعبان، فأقام بمكَّةَ واعتمر في رمضان، وخرج إلى جُدَّة، فأَقام بها على نيَّة الرِّباط إلى زمن الحجّ، فحجَّ وعاد إلى العراق، ووقعت في المسجد الحرامِ صاعقةٌ فقتلت رجلَين.

فصل وفيها توفي

عبدُ الصَّمَد بن عليّ

ابن عبدِ الله بن عباس، أبو محمَّد الهاشمي[٢].

ولد بالحُمَيمة سنةَ خمسٍ أو ستٍّ ومئة[٣]. وأمُّه أمُّ ولد، ويقال: أمُّه كَثيرة التي شبَّب بها عُبيد الله بن قيس الرُّقَيات فقال: [من المنسرح]

عادَ له من كثيرةَ الطَّربُ ... فعينُهُ بالدُّموع تنسكبُ
كوفيّةٌ نازحٌ محلَّتُها ... لا أَمَمٌ دارُها ولا صَقَبُ[٤]

(١) كذا، والذي في المصادر أن الذي خرج إليه عيسى بن علي بن عيسى، انظر تاريخ الطبري ٨/ ٢٧٣، والمنتظم ٩/ ١٠٣، والكامل ٨/ ١٦٣، وتاريخ الإسلام ٤/ ٧٨٢، والبداية والنهاية ١٣/ ٦٣٠.

(٢) تاريخ بغداد ١٢/ ٣٠٠، تاريخ دمشق ٤٢/ ٢٧٣، المنتظم ٩/ ١٠٤، السير ٩/ ١٢٩، تاريخ الإسلام ٤/ ٩١١.

(٣) أو أربع ومئة، كما هو الأشهر.

(٤) الأمم والصقب: القرب، وانظر تاريخ بغداد ١٢/ ٣٠٣، وعنه تاريخ دمشق ٤٢/ ٢٨٦، والديوان ص١-٢.

وقيل: هي غيرُ هذه.

وولي إِمرةَ دمشقَ والموسمِ والمدينةِ والبصرةِ لأبي جعفرٍ والرشيد، وكان أَقعدَ الهاشميين في النَّسب. وكان فيه خِلالٌ لم تجتمع في غيره:

منها: أنَّ يزيدَ بن معاويةَ حجَّ بالناس سنةَ خمسين، وحجَّ عبدُ الصَّمد سنةَ خمسين ومئة، بينهما مئةُ سنة، وهما في القُعْدُد إلى عبد منافٍ[1] سواء؛ لأنَّ عبدَ الصَّمد ابنُ عليِّ بن عبد اللهِ بن عباس بن عبد المطَّلب بن هاشمِ بن عبد مناف.

ومنها: أنَّه أَدرك أبا العباسِ وهو ابنُ أخيه[2]، ثم أدرك المهديَّ وهو عمُّ أبيه، ثم أدرك الهاديَ وهو عمُّ جده، ثم أدرك الرشيدَ وهو عمُّ جدِّه.

ومنها أنَّه قال للرشيد: يا أميرَ المؤمنين، هذا مجلسٌ فيه أميرُ المؤمنين [وعمُّ أميرِ المؤمنين[3]] وعمُّ عمِّه وعمُّ عمِّ عمِّه؛ وذلك لأنَّ سليمانَ بن أبي جعفرٍ عمُّ الرشيد، والعباسَ بن محمَّد عمُّ سليمان، وعبد الصَّمد عمُّ العباس.

ومنها: أنَّه استخرج عمَّه حمزةَ ﵁ عامَ السَّيل، ووضع رأسَه في حِجْره، ووضع عليه أكفاناً وأَعاده إلى حُفْرَته.

ومنها: أنَّه مات وليس على وجه الأرضِ عباسيةٌ من بيت الخلافةِ إلَّا وهو مَحْرَمٌ لها.

ومنها: أنَّه كان هائلَ الخِلْقَة، عظيمَ الجُثَّة، كانت يداه ذراعاً، وأسنانُه وأضراسُه قطعةً واحدة، دخل القبرَ ولم يُثْغَر له سنٌّ قط، بل أُدخل القبرَ بأسنان الصِّبا.

ومنها: أنَّ ريشةً طارت إلى عينه فذهب بصرُه.

ومنها: أنَّه أعمى ابنُ أعمى ابنِ أعمى ابنِ أعمى ابنِ أعمى، خمسَ مرات، لأنَّه عمي هو وأبوه عليٌّ وجدُّه عبد الله والعباسُ وعبدُ المطلب.

وقال سيفُ بن محمَّد ابن أختِ سفيانَ الثوري: مرض خالي سفيانُ بمكَّة، فجاء عبدُ

(١) أي: في الانتساب إليه.

(٢) ثم أدرك أبا جعفر المنصور، وهو ابن أخيه. كذا في المصادر.

(٣) زيادة من تاريخ بغداد ١٢/ ٣٠٣، والمنتظم ٩/ ١٠٥ .

الصَّمد يعوده، فقال: لا تأذنوا له، قالوا: كيف يمكن؟! فدخل عبدُ الصَّمد، فحرَّك سفيانُ وجهَه إلى الحائط، فسلَّم عبد الصَّمد، فلم يردَّ عليه، فقال عبدُ الصَّمد: يا سيف، أظنُّ أبا عبد اللهِ نائماً، فقلت: أَحسبُ ذلك، فقال سفيان: لا تكذبْ، لستُ بنائم، فقال عبدُ الصَّمد: يا أبا عبدِ الله، هل من حاجة؟ قال: نعم، لا تَعُدني إذا مرضت، ولا تَشهدْني إذا متّ، وإذا ذُكرت عندك فلا تترحَّم علي، فخجل عبدُ الصَّمد فقام وخرج.

وذكر ابنُ عساكر[1] بمعناه، وفيه أنَّ سفيانَ لما استأذن عبدُ الصَّمد، قام فدخل مِخْدَعاً، فدخل عبدُ الصَّمد فقال: أين أبو عبدِ الله؟ قالوا: دخل لحاجة، وخرج سفيانُ فقعد، فقال عبدُ الصَّمد له: يا أبا عبد الله، بلغني قدومُك، وأنت عالمُ أهل المشرقِ ورَجلُهم، فأتيتُ إليك زائراً، قال: فقال له: أَلَا أدلُّك على خيرٍ مما جئتَ له؟ قال: وما هو؟ قال: تعتزلُ ما أنت فيه، فتغيَّر وجهُ عبدِ الصَّمد وقال: يا أبا عبدِ الله، إن أبا جعفرٍ ما يرضى منِّي بهذا. ثم قام فخرج.

ذِكر وفاتِه:

حبسه هارونُ في سِرْدابٍ فيه ريش، فطارت ريشةٌ فدخلت في عينيه فذهبتا، ثم ثار به جُدَريّ، فمات وله تسعٌ وسبعون سنة، وقيل: إحدى وثمانونَ سنة، وصلَّى عليه هارونُ ليلاً، ودُفن في مقبرة بابِ البَرَدان.

أَسند عن أبيه وغيرِه، وروى عنه المنصورُ وابنُه المهديُّ وغيرهما.

ومن مسانيده: قال محمَّد بن إبراهيمَ الإمام ـ وكان يجلس لولده وولدِ ولدِه في كلِّ خميسٍ يعظهم ويحدِّثهم ـ قال: أرسل إليَّ المنصورُ بكرةً واستعجلني الرَّسول، فدخلنا، فإذا الربيعُ واقفٌ عند السِّتر، والمهديُّ وليُّ العهد في الدِّهليز جالس، وإذا عبدُ الصَّمد بن عليٍّ وإسماعيلُ بن عليٍّ وجعفرُ بن محمَّد بن عليِّ بن الحسينِ بن عليِّ بن أبي طالبٍ وعبدُ الله بنُ حسنِ بن حسن، والعباسُ بن محمَّد، فقال الرَّبيع: اجلسوا مع بني عمِّكم، فجلسنا، فدخل الربيعُ وخرج، وقال للمهديّ: أُدخل أَصلحك الله،

(١) في تاريخه ١٠/ ٣٤١ (مخطوط)، وأخرج أيضاً رواية سيف ابن أخت الثوري السابقة، وقال الذهبي في تاريخ الإسلام ٤/ ٩١٣ بعد إيرادها: سيف تالف.

فدخل، ثم قال: أُدخلوا جميعاً، فدخلنا فسلَّمنا وأَخذنا مجالسَنا، فقال للربيع: دواةً وما يكتبون فيه، فوضع الربيعُ بين أيدي كلِّ واحدٍ منا دواةً وورقاً، ثم التفت إلى عبد الصَّمد بن عليّ فقال: يا عمّ، حدِّث ولدك وإِخوتَك وبني أخيك بحديث «البِرُّ والصِّلة لَيُطيلان الأَعمارَ، ويَعْمُران الدِّيار، ويُثريان الأموال، ولو كان القومُ فجَّاراً»[1].

ثم قال أبو جعفر: يا عمّ، الحديثَ الآخرَ. فقال عبدُ الصَّمد: حدَّثني أبي، عن جدِّي عبدِ الله بن عباسٍ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «البِرُّ والصِّلة لَيخفِّفان سوءَ الحسابِ يومَ القيامة» ثم تلا رسولُ اللهِ ﷺ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ [الرعد: ٢١]

فقال المنصور: يا عمّ، الحديثَ الآخرَ، فقال عبدُ الصَّمد: حدَّثني أبي، عن جدِّي عبدِ الله بن عبَّاس، عن النبيِّ ﷺ قال: «كان في بني إِسرائيلَ مَلِكان أَخوان على مدينتين، وكان أحدُهما بارًّا برَحِمه عادلاً على رعيَّته، وكان الآخَر عاقًّا برَحِمه جائراً على رعيَّته، وكان في عصرهما نبيّ، فأَوحى اللهُ إلى ذلك النبيِّ أَنَّه قد بقي من عُمر هذا البارِّ ثلاثُ سنين، وبقي من عُمر هذا العاقِّ ثلاثون قال: فأَخبر النبيُّ رعيةَ هذا ورعيةَ هذا، فأَحزن ذلك رَعية العادل، وأحزن ذلك رعيةَ الجائر قال: ففرَّقوا بين الأطفالِ والأمَّهات، وتركوا الطعامَ والشراب، وخرجوا إلى الصَّحراء يدعون اللهَ تعالى أن يمتِّعَهم بالعادل ويزيلَ عنهم الجائر، فأَقاموا ثلاثاً، فأَوحى اللهُ إلى ذلك النبيِّ أنْ أَخبِر عبادي أنِّي قد رحمتهم وأَجبتُ دعاءهم، فجعلتُ ما بقي من عُمر البارِّ لذلك الجائرِ، وما بقي من عمر الجائرِ لهذا البارّ قال: فرجعوا إلى بيوتهم، ومات العاقُّ لتمام ثلاثِ سنين، وبقي العادلُ ثلاثين سنةً فيهم» ثم تلا رسولُ اللهِ ﷺ: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾[2] [فاطر: ١١].

ثم التفت المنصورُ إلى جعفرِ بن محمَّد فقال: يا أبا عبدِ الله، حدِّث بني عمِّك وأخوتَك بحديث أميرِ المؤمنين عليٍّ عن النبيِّ ﷺ في البِرِّ والصِّلة، فقال جعفر:

(١) الكلام هنا مختصر، وفي تاريخ بغداد ٢/ ٢٦٨، وتاريخ دمشق ١٠/ ٣٣٧، والمنتظم ٩/ ١٠٦: فقال عبد الصَّمد بن علي: حدثني أبي، عن جدي، عن عبد الله بن عباس ﷺ، عن النبي ﷺ ... إلخ.

(٢) عبد الصَّمد راوي هذه الأحاديث قال عنه الذهبي في الميزان ٢/ ٦٢٠: ما عبد الصمد بحجة، ولعلَّ الحفاظ إنما سكتوا عنه مداراة للدولة.

حدَّثني أبي محمَّد، عن أبيه عليّ، عن أبيه الحسين، عن أبيه عليِّ بن أبي طالب، عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «ما من مَلِكٍ يصل رَحِمَه وذا قرابتِه ويعدل على رعيَّته، إلَّا شيَّد اللهُ مُلْكَه، وأَجزل له ثوابَه، وأَكرم مآبَه، وخفَّف حسابَه».

وكان عمرُ بن حبيبٍ القاضي على قضاء الشَّرْقية، فاستعدى إليه رجلٌ على عبد الصَّمد، فأَرسل إليه رسولاً، فلم يحضرْ إلى مجلس الحكم، فختم عمرُ قِمَطرَه وقعد في بيته، وبلغ هارونَ فقال: واللهِ لا مشى عبدُ الصَّمد إلى مجلس الحكم إلَّا حافياً[1]، وكان شيخاً كبيراً، فبُسطت له اللُّبود ومشى مسافةً بعيدة، وجعل يقول: أَتعبني أميرُ المؤمنين.

فلمَّا صار إلى مجلس القاضي، أراد أن يجلسَ إلى جانبه، فصاح عليه عمرُ بن حبيب: اِجلس مع خصمِك، فساواه وحكم عليه لخصمه، فقال عبدُ الصَّمد: لقد حكمتَ عليَّ بحكمٍ لا يجاوز أصلَ أُذنك، فقال له عمر: لقد طوَّقتُك بطوقٍ لا يفكُّه عنك الحدَّادون.

ومن مسانيده: عبدُ الصَّمد، عن أبيه، عن جدِّه، عن النبيِّ ﷺ قال: «أكرموا الشُّهود؛ فإنَّ اللهَ يستخرج بهم الحقوق، ويدفعُ بهم الظُّلم»[2].

محمَّد بن إبراهيمَ الإمام

ابنِ محمَّد بن عليِّ بنِ عبد اللهِ بن عباس، أبو عبدِ الله الهاشميّ.

ولِيَ إمرةَ دمشقَ للمنصور والمهديّ[3]، وأقام للنَّاس الحجَّ عدةَ سنين، ووُلد سنةَ اثنتين وعشرين ومئة. وكان عاقلاً جَوَاداً مُمَدَّحاً، جاءه العَنْبَرِيُّ الشاعر فقال: [من الرمل]

اقضِ عنِّي يا ابنَ عمِّ المصطفى ... أنا باللهِ من الدَّين وبكْ
من غريمٍ فاحشٍ يَرزؤني[4] ... أشوَهُ الوجهِ لعِرضي مُنْتَهِكْ

(١) في (خ): ماشياً، وهو تحريف، والمثبت من تاريخ بغداد ١٣/ ٣٠، وتاريخ دمشق ٤٢/ ٢٨٥.
(٢) أخرجه ابن عساكر ١٠/ ٣٣٦-٣٣٧. وقال الذهبي في الميزان ٢/ ٦٢٠: هذا منكر.
(٣) في تاريخ دمشق ٦٠/ ٣٤٢، وتاريخ الإسلام ٤/ ٩٥٣، والسير ٩/ ٨٨ أنه وليها للمهدي والرشيد، وانظر تاريخ بغداد ٢/ ٢٦٦، والمنتظم ٩/ ١٠٨.
(٤) في تاريخ دمشق ٦٠/ ٣٤٧: يقدر لي، وفي العقد الثمين ١/ ٤٠٢: يقذرني.

أنـا والـظـلُّ وهـو ثـالـثُـنـا ... أيـن مـا زِلـتُ مـن الأرض سَـلَـكْ

فقضى دَينَه ووصله.

وقال همَّام بن مسلم: مرض سفيانُ الثوريُّ بمكَّة، فجاءه محمَّد بن إبراهيمَ الإمامِ يَعوده، فما كلَّمه كلمة، فقام ومضى، فلمَّا كان من الغد، أَرسل إلى سفيانَ يقول: كيف تجدُك؟ لولا [أنِّي] أعلم أنَّه ليس بمكَّةَ أحدٌ أَبغضُ إليك منِّي لأَتيتك.

توفِّي لِإحدى عشرةَ بقيت من شوَّال هذه السنةَ ببغداد، وكان هارونُ قد توجَّه إلى الرقَّة، فصلَّى عليه الأمينُ وهو وليُّ العهد، ودُفن بمقبرة بابِ المَيْدان، ويُعرف بالعَبَّاسية، وله عَقِبٌ ببغداد.

أَسند عن عمِّه المنصورِ وجعفرِ بن محمَّد بن عليٍّ وغيرِهما، وروى عنه ابنُه موسى وغيرُه.

يزيدُ بن مَزْيَد

ابن زائدة، أبو خالدٍ الشَّيباني.

أحدُ الأمراءِ المشهورين والأجوادِ الممدَّحين، ولي إمارةَ اليمنِ في أيام هارونَ الرشيد، ومدحه الشُّعراء، فقال شاعر[(١)]: [من الخفيف]

ما مُقامي على الثِّماد[(٢)] وقد فا ... ضت بحورُ النَّدى بكفَّي يزيدِ
إنَّ لله في البريَّة سيفَيـ ... ـن يزيداً وخالدَ بنَ الوليد
ذاك سيفُ النبيِّ في سالف الدَّهـ ... ـرِ وهذا سيفُ الإمامِ الرشيد

وكانت وفاتُه ببَرْذَعَةَ من أرض أرَّان[(٣)].

ومدحه أبو الشَّمَقْمَق فقال: [من الكامل]

يوماهُ يومٌ[(٤)] للمَواهبِ والنَّدى ... خَضِلٌ ويومُ دَمٍ وخطفُ مَنيَّهْ
أَعني يزيداً سيفَ آلِ محمَّد ... فرَّاج كلِّ شديدةٍ مخشيهْ

(١) هو سَلْم الخاسر كما في تاريخ بغداد ١٦/ ٤٩٢، وتاريخ الإسلام ٤/ ١٠٠٨-١٠٠٩، وانظر السير ٩/ ٧١.
(٢) الثِّماد: الماء القليل لا مادة له. القاموس (ثمد).
(٣) في (خ): الزان، وهو خطأ، والمثبت من وفيات الأعيان ٦/ ٣٤٠.
(٤) في (خ): يوماً.

ولـقـد أتـيـتُـك واثـقـاً بـك عـالـمـاً أنْ لـسـتَ تـسـمـعُ مِـدحـةً بـنـسـيَّـهْ[١]

فقال: صدقتَ، وأعطاه ثلاثةَ آلافِ دينار.

ورثاه مسلمُ بن الوليدِ فقال: [من الكامل]

قـبـرٌ بـبَـرْذَعَـةَ اسـتَـسَـرَّ ضَـريـحُـه خـطـراً تـقـاصَـرُ دونـه الأَخـطـارُ

أَبـقـى الـزَّمـانُ عـلـى مَـعَـدٍّ بـعـده حُـزْنـاً لَـعَـمـر الـدَّهـرِ لـيـس يُـعـار

نـفـضَـتْ بـك الآمـالُ أحـلاسَ الـغِـنـى واسـتـرجَـعَـتْ نُـزَّاعَـهـا الأَمـصـار

فـاذهـبْ كـمـا ذهـبـتْ غـوادي مُـزْنَـةٍ أَثـنـى عـلـيـهـا الـسَّـهـلُ والأَوعـار[٢]



(١) تاريخ بغداد ١٦/ ٤٩٢، ووفيات الأعيان ٦/ ٣٣٦.

(٢) ذيل ديوانه ص٣١٣، والأغاني ١٩/ ٤٢-٤٣، وتاريخ بغداد ١٦/ ٤٩٣، ووفيات الأعيان ٦/ ٣٣٩، وتاريخ الإسلام ٤/ ١٠٨.

السَّنة السادسةُ والثمانون بعد المئة

فيها التقى عليُّ بن عيسى بنِ ماهانَ أبا الخصيبِ[1] على نَسَا، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فكانت الدَّبَرة على أبي الخصيب، فقتله عليُّ بن عيسى، وسبى نساءه وذراريه، وغَنِمَ أموالَه وما في عسكره، ومزَّقهم كلَّ مُمَزَّق، واستقامت خراسان. ومات جعفرُ بن أبي جعفرٍ والعباسُ بن محمَّد.

وفيها توجَّه الرشيدُ من الرقَّة إلى مكَّة في رمضانَ عازماً على الحجّ، واستخلف على الرقَّة إبراهيمَ بن عثمانَ بن نَهيك، وأَخرج معه ولدَيه الأمينَ والمأمون، وبدأ بالمدينة فأعطى أهلَها ثلاثةَ أَعطِية، [كانوا يَقدَمون إليه فيعطيهم عطاءً، ثم إلى محمَّد فيعطيهم عطاءً ثانياً، ثم إلى المأمون][2]، فيعطيهم عطاءً ثالثاً، ثم سار إلى مكَّةَ فأعطى أهلَها عطاء، فبلغ مقدارُ ما فرَّق في أهل الحَرَمين من العين ألفَ ألفِ دينارٍ وخمسين ألفَ دينار، وقد ذكرنا أنَّه عقد لابنه الأمينِ ولايةَ العهدِ في شعبانَ سنةَ ثلاثٍ وسبعين ومئة، وضمَّ إليه الشامَ والعراق، وبايع المأمونَ بالرقَّة في سنة ثلاثٍ وثمانين ومئة، وأَعطاه من هَمَذان إلى المشرق، فقال سَلْمٌ[3] الخاسر: [من السريع]

بـايَـعَ هـارونُ إمـامُ الـهُـدى ... لـذي الـحِـجَـى والـخُـلُـقِ الـفـاضـلِ
الـمُـخْـلِـفِ الـمُـتـلِـفِ أَمـوالَـه ... والـضَّـامـنِ الأثـقـالَ لـلـحـامـل
والـعـالـمِ الـنَّـافـذِ فـي عِـلـمـه ... والـحـاكِـم الـفـاضـلِ والـعـادل
والـرَّاتـقِ الـفـاتـقِ حِـلْـفَ الـهـدى ... والـقـائـلِ الـصَّـادقِ والـفـاعـل
فـتـمَّ بـالـمـأمـون نـورُ الـهُـدى ... وانـكـشـف الـجـهـلُ عـن الـجـاهـل

من أبيات.

(١) في (خ): بن ماهان بن أبي الخصيب، وهو خطأ. وانظر تاريخ الطبري ٨/ ٢٧٥، والمنتظم ٩/ ١١٠، والكامل ٦/ ١٧٤ وغير ذلك.
(٢) ما بين حاصرتين من تاريخ الطبري ٨/ ٢٧٥ .
(٣) في (خ): سالم، وهو خطأ، وستأتي ترجمته قريباً، وانظر الأبيات في تاريخ الطبري ٨/ ٢٧٦ .

وقال الحسنُ[١] بن قريش: وكان للرَّشيد ولدٌ اسُمه القاسمُ في حِجْر عبدِ الملك بن صالح، فكتب عبدُ الملك إلى الرَّشيد: [من مجزوء الكامل]

يا أيُّها المَلِكُ الذي ... لو كان نجماً كان سَعْدا
اِعقِد لقاسم بيعةً ... واقدحْ له في المُلْكِ زَنْدا
اللهُ فردٌ واحدٌ ... فاجعل ولاةَ العهدِ فَرْدا[٢]

فبايع هارونُ للقاسم بعد الأمينِ والمأمون، وأعطاه الجزيرةَ والثُّغورَ والعواصم، ولقَّبه المؤتَمن، فقال عبدُ الملك بنُ صالح: [من البسيط]

حبُّ الخليفةِ حبٌّ لا يَدين به ... مَن كان لله عاصٍ يعمل الفِتَنا
اللهُ قلَّد هاروناً سياستَنا ... لمَّا اصطفاه فأحيى الدِّينَ والسُّنَنا
وقلَّد الأمرَ هارونٌ[٣] لرأفته ... بنا أميناً ومأموناً ومؤتَمَنا

ولمَّا قلَّد هارونُ الأمرَ لبنيه الثلاثةِ وقسم الأرضَ بينهم، اختلف الناسُ في القول، فقال بعضُهم: قد أَحكم أمرَ المُلك. وقال بعضهم: بل أَلقى بأسَهم بينهم، وعاقبةُ ما صنع مَخُوفة. فكان كما قالوا وأبلغَ، وفي ذلك يقول الشَّاعر: [من الوافر]

أقول لغُمَّةٍ في النَّفس مني ... ودمعُ العينِ يَطَّرد اطِّرادا
خُذي للقول عُدَّته بحَزْم ... ستلقَي ما سيمنعُكِ الرُّقادا
فإنَّك إنْ بقيتِ رأيتِ أمراً ... يُطيل لك[٤] الكآبةَ والسُّهادا
رأى المَلِكُ المهذَّبُ شرَّ رأيٍ ... بقِسمته الخلافةَ والبلادا
برأيٍ لو تعقَّبه بعلمٍ ... لبيَّض مِن مَفارِقه السَّوادا
أَراد به ليَقطعَ عن بنيه ... خلافَهمُ ويَبتذلوا الوِدادا[٥]
فقد غرس العداوةَ غيرَ آلٍ ... وأورث بينهمْ إلفاً بَدادا[٦]

---

(١) في (خ): الحسين، والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ٢٧٦.
(٢) تاريخ الطبري، والمنتظم ٩/ ١١١، والبداية والنهاية ١٣/ ٦٣٤.
(٣) في (خ): هاروناً. والتصويب من تاريخ الطبري ٨/ ٢٧٦.
(٤) في (خ): له، والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ٢٧٧.
(٥) في (خ): الولادا؟!
(٦) كذا في (خ)، وفي تاريخ الطبري: وأورث شملَ أُلفتهم.

وأَلـقـح بـيـنـهـم حـربـاً عَـوَانـاً   وسـلَّـس لاجـتـنـابـهـم الـقِـيـادا
فـويـلٌ لـلـرَّعـيـة عـن قـلـيـلٍ   لـقـد أَهـدى لـهـا الـكُـرَبَ الـشِّـدادا
وأَلـبـسـهـا بـلاءً غـيـرَ فـانٍ   وأَلـزمـهـا الـتَّـضـعـضُـعَ والـفـسـادا
سـتـجـري مـن دمـائـهـمُ بـحـورٌ   زواخـرُ لا يَـرون لـهـا نَـفـادا
فـوِزْرُ بـلائـهـمْ أبـداً عـلـيـه   أغَـيَّـا كـان ذلـك أم رَشـادا

وحجَّ مع هارونَ في السَّنة أولادُه وأهلُه ووزراؤه والأمينُ والمأمون، وأَمر عبدَ الملك بنَ صالحٍ أن ينزلَ الجزيرةَ ومعه القاسم، وبعث معه الجندَ والقوَّاد، فلمَّا قضى هارونُ نُسُكَه، كتب بين محمَّد والمأمونِ كتابَين، أَجهد العلماء والفقهاء والقضاة آراءهم فيهما. ونسخةُ الكتابِ الذي كتبه الأمين:

بسم اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيم: هذا كتابٌ [لعبدِ الله هارون أميرِ المؤمنين][1] كتبه محمَّد ابن هارونَ أميرِ المؤمنين في صحَّةٍ من عقله وجوازٍ [من] أمره، طائعاً غيرَ مُكرَه، إنَّ أمير المؤمنين ولَّاني العهدَ من بعده، وولَّى أخي عبدَ الله العهدَ بعدي، وولَّاه خراسانَ وثغورَها وكُورَها وحربَها وجندَها وخراجَها وعشورَها وبيوتَ أموالِها ونحوَ ذلك، وعليَّ لأخي عبدِ الله الوفاءُ بما عقد له أميرُ المؤمنين من العهد والخلافةِ وأمورِ المسلمين بعدي، وما أَقطعه من قَطيعة وضَيعةٍ وحليٍّ ومالٍ وجواهرَ ومتاعٍ ودوابَّ وأثاثٍ وقليلٍ وكثيرٍ فهو لعبد اللهِ بن أميرِ المؤمنين، وليس لمحمَّد أن يعترضَ عليه في شيءٍ من ذلك، ولا يحوِّلَ عنه قائداً واحداً ممَّن ضمَّه إليه أميرُ المؤمنين.

وذكر ما يتعلَّق بهذا المعنى ثم قال: فإنْ أراد محمَّدٌ بن أميرِ المؤمنين خلعَ عبد اللهِ عن خراسانَ وأعمالِها، أو صرفَ أحدٍ من قوَّاده الذين ضمَّهم إليه أميرُ المؤمنين، أو تنقُّصَه قليلاً أو كثيراً[2]، فلعبد اللهِ بن أميرِ المؤمنين الخلافةُ بعد أَميرِ المؤمنين، وهو المقدَّم على محمَّد ووليُّ الأمرِ بعد أميرِ المؤمنين، وعلى جميع القوَّاد الطاعةُ له والجهادُ لمن خالفه، وهو في حِلٍّ من البَيعة التي في أَعناقهم لمحمَّد، وليس لمحمَّدٍ

(١) ما بين حاصرتين من تاريخ الطبري ٨/ ٢٧٨ .
(٢) أي: إن أراد محمَّد أن ينتقصه قليلاً أو كثيراً مما جعله أمير المؤمنين له بوجه من الوجوه. انظر تاريخ الطبري ٨/ ٢٨٠ .

وعبدِ الله أن يخلعا القاسمَ بن أميرِ المؤمنين، فإن أَفضت الخلافةُ إلى عبد اللهِ المأمون، فالأمرُ إليه في ذلك، إنْ شاء أَمضاه وإن شاء جعله فيمن يراه من ولده وإخوتِه، وعلى المسلمين الطاعةُ بما في هذا الكتاب، فإنْ خالف أحدٌ أو نكث أو غدر، فبرئت منه ذمَّةُ اللهِ وذمَّةُ رسولهِ والمسلمين، وكلُّ مالٍ هو له أو يستفيده إلى خمسين سَنة، فهو صدقةٌ على المساكين، وعليه المشيُ إلى بيت اللهِ الحرامِ خمسين حِجَّة، وكلُّ مملوكٍ له أو فيما يستقبل إلى خمسين سنةً فهو حُرّ، وكلُّ امرأةٍ له فهي طالقٌ ثلاثاً، وكذا كلُّ امرأةٍ يتزوَّجها إلى خمسين سنة[1]، لا مثنويَّةَ فيها. واللهُ شهيدٌ على ذلك، وملائكتُه والمؤمنون مِن خلفه، وكفى بالله حسيباً.

ونسخةُ كتابِ المأمونِ كتبه بيده في الكعبة: هذا كتابٌ لعبد اللهِ بن هارونَ الرشيدِ أميرِ المؤمنين، كتبه عبدُ الله ابنُه في صحَّةٍ من عقلٍ وجواز [من] أمر، إنَّ أميرَ المؤمنين ولَّاني العهدَ والخلافةَ بعد أخي محمَّد بن هارون، وولَّاني خراسانَ وأعمالَها، وشرط على أخي محمَّد الوفاءَ بما عقد لي من الأمر، وألَّا يعرضَ لي في خراسانَ وأعمالها، ولا فيما أعطاني أميرُ المؤمنين من الضِّياع والرِّباعِ والأموالِ والجواهرِ والمتاعِ والدوابِّ والأثاثِ والرَّقيقِ وغيرِ ذلك، ولا يعرضَ لأحدٍ من عمَّالي ولا كُتَّابي، ولا [مَن] ضمَّه أميرُ المؤمنين إليَّ.

وذكر بمعنى ما ذكر محمَّد الأمين: وإنْ أراد أخي أن يولِّيَ من بعدي العهدَ أحداً من ولده، فذلك له، وجعلت لمحمَّد عليَّ الوفاءَ بما شرطتُ على نفسي، وعليَّ بذلك عهدُ اللهِ وميثاقُه، وذمَّةُ اللهِ ورسولِه، وذمَّةُ أميرِ المؤمنين، وذِمَمُ المؤمنين، فإن نقصتُ شيئاً ممَّا شرطتُ عليَّ وسمَّيت في كتابي هذا أو غيَّرت أو بدَّلت أو نكثتُ أو غدرت، فبرئتُ من الله ومن دِين الله ودِين محمَّد ﷺ، ولقيت اللهَ يومَ القيامةِ كافراً، وكلُّ امرأةٍ لي اليوم أو أتزوَّجها إلى ثلاثين سَنة، طالقٌ ثلاثاً طلاق الحَرَج، وكلُّ مالٍ لي اليومَ أو أَملكه إلى ثلاثين سَنة صدقة، وكلُّ مملوكٍ لي أو أَملكه إلى ثلاثين سَنة حرٌّ لوجه الله، وعليَّ المشيُ إلى بيت اللهِ الحرام ثلاثين حِجَّة، نذراً واجباً، حافياً راجلاً، وكلُّ مالٍ أَملكه،

(١) نص الكتاب في تاريخ الطبري ٨/ ٢٧٨-٢٨١، والمنتظم ٩/ ١١٢-١١٥، وليس فيهما: وكذا كل امرأة يتزوجها إلى خمسين سنة.

هَدْيٌ بالغُ الكعبة[١].

وأشهد جماعةً منهم سليمانُ بن هارون، وكفى بالله طَليباً[٢] وهو حسبي ونِعمَ الوكيل. وكتب في ذي الحِجَّة سنةَ ستٍّ وثمانين ومئة، وأَشهد هارونُ في الكتابَين مَن شهد الموسمَ من أهله وقوَّاده وصحابتِه وقُضاته وأهلِ مكةَ وحَجَبةِ الكعبة، ومَن حضر من أهل الأَمصار.

ولمَّا أَنهى ذلك وهو في داخلِ الكعبة، جمع الناسَ بأَسْرهم، وأمر بتعليق الكتابَين في الكعبة، فلمَّا رُفعا ليعلَّقا وَقَعا، فقال الناس: هذا أمرٌ لا يتمّ، وينتقض سريعاً قبل إحكامِه. وتطيَّر هارونُ واسترجع وقال: أردنا أمراً وأراد اللهُ غيرَه.

ثم كتب هارونُ كتاباً إلى الولاة والعمَّال ـ وغيرِهم ـ بالأَقطار: أمَّا بعد، فإنَّ أميرَ المؤمنين أَكرمَ اللهُ بخلافته ونسأله إتمام عوائدِه الجميلة، وقد كان من نِعَم الله عليه وعنده ما تولَّى اللهُ من أمر محمَّد وعبد الله ابنَيه، وتبليغه أحسنَ ما مدَّت إليه الأمَّةُ أعناقَها، وقذف اللهُ محبَّتهما في قلوب العامَّة والخاصَّة... إلى أن قال: فعزم أميرُ المؤمنين على تفويض الأمرِ إليهما، وأكَّد عليهما العهودَ والمواثيق ـ نظراً منه لرعيَّته التي استرعاه اللهُ إيَّاها ـ والجهادَ لعدوِّ المسلمين. وذكر نحواً من هذا المعنى.

وقال إبراهيمُ الموصليُّ في البَيعة: [من مجزوء الكامل]

خيرُ الأمورِ مَغبَّةً وأحقُّ أمرٍ بالتَّمام
أمرٌ قضى إحكامَه الرَّحمنُ في البيتِ الحرام[٣]

وعاد المأمونُ إلى الرَّقَّة.

فصل وفيها توفي

---

(١) تصرَّف هنا في النقل فأوقع نفسه في التكرار، فقد ذكر المال مرتين. ولم يذكر الطبري وابن الجوزي أن ماله صدقة.

(٢) كذا في (خ)، وقوله: وأشهد جماعة... إلخ، ليس من نص الكتاب.

(٣) تاريخ الطبري ٨/ ٢٨٦، وتاريخ الإسلام ٤/ ٧٨٤، والبداية والنهاية ١٣/ ٦٣٥، والنجوم الزاهرة ٢/ ١١٩.

سالم[1] بن حمَّاد[2]

وقيل: سَالم بن عَمرِو بن حماد بن عطاءِ بن ياسر، الخاسر، الشَّاعر، البصري.

سمِّي الخاسر لأنَّه وَرِث من أبيه مُصحفاً؛ فباعه واشترى بثمنه طُنْبوراً، وقيل: شِعرَ امرئ القيس، وقيل: شِعرَ الأعشى.

وكان سالم من الشُّعراء المُجيدين من تلامذة بشَّار، وصار يقول أرقَّ من شِعره، وكان بشارٌ قد قال: [من البسيط]

مَن راقبَ الناسَ لم يَظْفَر بحاجته وفاز بالطَّيِّبات الفاتِكُ اللَّهِجُ[3]

فقال سالم الخاسر: [من مخلع البسيط]

مَن راقب الناسَ مات غمًّا وفاز باللذَّة الجَسورُ

فغضب بشارٌ وقال: ذهب إلى بيتي[4] وأخذ معانيَّ التي تعبتُ عليها، فيكسوها ألفاظاً أخفَّ من ألفاظي، لا أَرضى عنه. فما زالوا به حتى رضي عنه.

قدم سَالمٌ بغداد، ومدح المهديَّ والرشيدَ والبرامكة، واكتسب من البرامكةِ عشرين ألفَ دينار، ومن الرَّشيد مثلَها.

وقال اليزيديّ: ورث من أبيه مئةَ ألفِ درهم، وأَصاب من مدائح الملوكِ مِثلَها، فأَنفقها كلَّها على الأدب. وهو ابنُ عمِّ الجمَّازِ الشاعر.

ومدح المهديَّ: [من الكامل]

حضر الرحيلُ وشُدَّت الأَحداجُ وحدا بهنَّ مُشَمِّرٌ مِزْعاجُ
شَرِبَتْ بمكَّة في ذُرا بَطحائها ماءَ النُّبوَّة ليس فيه مِزاج[5]

---

(١) كذا هو عند المصنف: سالم، ومثله عند ابن خلكان في وفيات الأعيان ٢/ ٣٥٠، وعند غيرهما ممن ترجمه: سَلْم، انظر طبقات ابن المعتز ص٩٩، والأغاني ١٩/ ٢٦١، وتاريخ بغداد ١٠/ ١٩٨، والمنتظم ٩/ ١٢٠، ومعجم الأدباء ١١/ ٢٣٦، والسير ٨/ ١٩٣، وتاريخ الإسلام ٤/ ٦٣١، والبداية والنهاية ١٣/ ٦٣٦.

(٢) كذا؟! ولم أقف على من نسبه هكذا، وسيذكر المصنف أنه ابن عمرو بن حماد.

(٣) ديوانه ١/ ٤٣٨.

(٤) كذا في (خ)، والصواب: ذهب بيتي، انظر المصادر السالفة في أول ترجمته.

(٥) تاريخ بغداد ١٠/ ١٩٩، والمنتظم ٩/ ١٢٢، ووفيات الأعيان ٢/ ٣٥٠-٣٥١، وانظر الأغاني ١٩/ ٢٨٢، =

وكان المهديُّ[١] قد أعطى مروانَ بن أبي حَفْصَةَ على قصيدته التي يقول فيها:

طَـرَقَـتْـك زائـرةٌ فـحَـيِّ خـيـالَـهـا[٢]

مئةَ ألفِ درهم، فأراد المهديُّ أن يَنْقُصَ سالماً من المئةِ ألف، فحلف لا يأخذُ إلَّا مئةَ ألفٍ وألفَ درهم، وقال: تُطرح القصيدتان إلى أهل هذا الفنِّ ليُخْبروه بتقدُّم قصيدتي، فأعطاه المهديُّ مئةَ ألفِ درهمٍ وألف درهم، فلمَّا عاش إلى زمان الرَّشيد، قال قصيدتَه التي يقول فيها: [من الكامل]

قـد بـايـع الـثَّـقـلانِ مَـهْـديَّ الـهُـدى   لـمـحـمَّـد بـن زُبـيـدةَ ابـنـةِ جـعـفـرِ[٣]

فحشت زبيدةُ فاه جوهراً ودُرًّا، فباعه بعشرة آلافِ دينار.

ذكر وفاته:

مات وخلَّف مالاً بقيمة ستَّةٍ وثلاثين ألفَ دينار، وقيل: خمسون ألفَ دينار، ولم يكن له وارث، فأودعها أبا السَّمْراء الغسَّاني، فبقيت عنده، فغنَّى إبراهيمُ الموصليُّ الرشيدَ يوماً، فأطربه، فقال له: سَلْ ما شئت، فقال: أسألكُ شيئاً لا يَرْزَؤك، قال: وما هو؟ قال: مات سَالمٌ وله عند أبي السمراءِ كذا وكذا ديناراً، أُريدها، فدفعها إليه، وكان الجمَّاز وأبوه يدَّعيان أنَّهما وارثاه، فقدما بعد ذلك يطلبان الميراث.

العباسُ بن محمَّد

ابن عليِّ بن عبد اللهِ بن عباس، أبو الفضلِ، الهاشمي، أخو السفَّاح [و] المنصور لأبيهما، وأمُّه أمُّ ولد.

وُلد سنةَ ثماني عشرة. وقيل: سنةَ إحدى وعشرين، أو اثنتين وعشرين ومئة.

ولَّاه أبو جعفرٍ دمشقَ والشامَ كلَّه، ووَلِي المَوْسِمَ ومكةَ لهارون، وولَّاه الجزيرة، وكان من رجالاتِ بني هاشم.

= ٢٨٥-٢٨٦. والبيت الثاني سيذكره المصنف في ترجمة الأمين ضمن بيتين منسوبين لأبي الهول الحميري.

(١) في (خ): مروان، ولعله سبق قلم.

(٢) سلف في ترجمة مروان في وفيات سنة ١٨٢هـ، ص٣٠ من هذا الجزء.

(٣) الأغاني ١٩/ ٢٧٩، تاريخ بغداد ١٠/ ٢٠٠، المنتظم ٩/ ١٢٣، وفيات الأعيان ٢/ ٣٥١.

وكان هارونُ يثني عليه ويقول: عمِّي العباسُ يُعدُّ في أَسلافنا، وكان يعظِّمه ويبجِّله، وكان يقول لهارون: إنَّما مالُك ما تزرع به مَن أَصلحتْه نعمتُك، وسيفُك تحصد به مَن كَفرها.

وكان أَجودَ الناس، وفيه يقول ربيعةُ الرَّقي: [من الكامل]

لو قيل للعبَّاس يا ابنَ محمَّد ... قل لا وأنت مخلَّدٌ ما قالها

إنَّ السَّماحةَ لم تزل مَعْقولةً ... حتى حلَلْتَ براحتيك عِقالَها

وإذا الملوكُ تسايرت في بلدةٍ ... كانت كواكبَها وكنتَ هلالَها[(١)]

وغضب العباسُ على سعيدِ بن سليمانَ المُساحقيّ، فكتب إليه سعيد: [من البسيط]

أَبلِغْ أبا الفضلِ يوماً إن عرضْتَ له ... من دائم العهدِ لم يخشَ الذي صَنَعا

ما بالُ ذي حرمةٍ صافي الإخاءِ لكمْ ... أمسى بجَفْوَتكمْ[(٢)] من ودِّكم فَجِعا

من غير نائرةٍ إلَّا الوفاء لكمْ ... ما مثلُ حبلِك من ذي حُرمةٍ قُطِعا

ما تمَّ ما كنتُ أَرجو من مَودَّتكمْ ... حتى تبايَنَ شِعْبُ الوُدِّ فانصدعا

أَمَا وربِّ مِنًى والعامدين[(٣)] لها ... والدَّافِعين بجَمْعٍ يوضِعون معا

لو كان غيرُك يَطوي حبلَ خُلَّته ... دوني ويَلْبَس ثوبَ الهجرِ ما انتفعا[(٤)]

فرضي عنه.

وقال له رجل: أَتيتُك في حُوَيجة، فقال: أُطلب لها رُجَيلاً.

وتوفِّي بالعبَّاسية وله خمسٌ وستُّون سنةً وستةُ أشهرٍ وعشرون يوماً[(٥)]، وأهلُه يزعمون أنَّ الرشيد سمَّه، فسقى بطنُه فمات.

---

(١) الأغاني ١٦/ ٢٥٦-٢٥٧، تاريخ بغداد ١٤/ ٦، تاريخ دمشق ٣٢/ ٢٢٥، معجم الأدباء ١١/ ١٣٥، وانظر في ترجمته أيضاً المنتظم ٩/ ١٢٤، وتاريخ الإسلام ٤/ ٨٧٤، والسير ٨/ ٥٣٤.

(٢) في تاريخ دمشق ٣٢/ ٢٢٦: بحرَّته.

(٣) في تاريخ دمشق: والعامدات.

(٤) في تاريخ دمشق: ما اتبعا.

(٥) في تاريخ بغداد ١٤/ ٥، والمنتظم ٩/ ١٢٤: وستة عشر يوماً، وفي تاريخ دمشق ٣٢/ ٢٢٩: وبضعة عشر يوماً.

يزيدُ بن هارون

أبو خالد، مولى بني سُليم.

ولد سنةَ ثماني عشرةَ ومئة، وكان من العابدين الخائفين، وإذا صلَّى العَتمةَ لا يزال قائماً حتى يصلِّيَ الغداةَ بذلك الوضوءِ نيِّفاً وأربعين سنة.

وقال له رجل: كم جزؤك من اللَّيل؟ فقال: وأنام من اللَّيل شيئاً! إذن لا أَنامَ اللهُ عيني.

وقال الحسنُ بن عَرَفة: رأيت يزيدَ بن هارونَ بواسطٍ من أَحسن الناسِ عينين، ثم رأيته بعدُ بعينٍ واحدة، ثم رأيتُه وقد ذهبت عيناه، فقلت: يا أبا خالد، ما فعلت تلك العينانِ الجميلتان؟ فقال: ذهب بهما بكاءُ الأَسحار.

وقال يزيدُ بن هارون: مَن طلب الرِّئاسة في غير أَوانها، حرمه اللهُ إياها في أوانها.

ومات في سنة ستٍّ وثمانين. وقيل: سنة سبع، أو ثمانٍ وثمانين ومئة[١].

أسند عن يحيى بنِ سعيدٍ[٢] الأنصاريِّ وغيره، وروى عنه الإمامُ أحمد ﷺ وطبقتهُ.

وكان ثبتاً ثقةً صدوقاً، كثيرَ العلمِ والحديث، قال عليُّ بن المَديني: ما رأيت أحفظَ منه.

وقال أبو نافعٍ بنُ بنتِ يزيدَ بن هارون: كنت عند الإمامِ أحمدَ بن حنبلٍ وعنده رجلان، فقال أحدُهما: يا أبا عبدِ الله، رأيتُ يزيدَ بن هارونَ في المنام، فقلت: ما فعل اللهُ بك؟ قال: غفر لي وشفَّعني وعاتبني، قلت: بماذا عاتبك؟ قال: قال لي: يا يزيد، أَتحدِّث عن حَرِيز بن عثمان؟! قال: قلت: ياربِّ، ما علمتُ إلَّا خيراً، فقال: إنَّه كان يُبغض أبا الحسن عليَّ بن أبي طالب، أَبغضه الله.

وقال الآخَر: رأيت يزيدَ بن هارونَ في المنام، فقلت: هل أتاك مُنكر ونكير؟ قال:

---

(١) لم يختلف المؤرخون أنه توفي سنة ست ومئتين، انظر تاريخ بغداد ١٦/ ٥٠٤، والمنتظم ٩/ ١٥٨، وتهذيب الكمال (٧٦٥٦)، والسير ٩/ ٣٧١، وتاريخ الإسلام ٥/ ٢٣٠. وفي طبقات ابن سعد ٩/ ٣١٦، وصفة الصفوة ٣/ ٢٠ أنه توفي وهو ابن سبع أو ثمان وثمانين سنة. ولعله تسرب إليه الوهم من هنا، والله أعلم.

(٢) في (خ): عن سعيد، وهو خطأ.

إي والله، وسألاني: مَن ربُّك؟ وما دينُك؟ ومَن نبيُّك؟ فقلت: أَلِمثلي يقال هذا وقد كنتُ أعلِّمه الناسَ في الدُّنيا؟! فقالا: صدقتَ، فَنَمْ نومةَ العروس لا بؤسَ عليك.

يَقطين بنُ موسى[1]

أحدُ دعاةِ بني العبَّاس، ومَن قرَّر أمرهم، وكان داهيةً حازماً شجاعاً.

ولمَّا حبس مروانُ بن محمَّد إبراهيمَ الإمام، تحيَّرت الشيعةُ لا يدرون مَن الإمامُ بعده، فقال لهم: أنا أُخبركم. فغيَّر زِيَّه وأتى حرَّان، فوقف لمروانَ فقال: يا أميرَ المؤمنين، أنا رجلٌ غريبٌ تاجر، قدمتُ بمَتاع، فبعث إليَّ إبراهيمُ فاشتراه وماطلني بثمنه، وقد حبستَه، فإنْ رأيتَ أن تجمعَ بيني وبينه وتأخذَ لي بحقِّي منه، فقال مروانُ لبعض خدمِه: اِذهب معه إلى إبراهيمَ وقل له يَخرج من حقِّ هذا الرجل، فمضى معه، فلمَّا دخل عليه قال له: سبحانَ الله! إلى متى تَمْطُلني؟ وإلى مَن أوصيتَ أن يدفعَ إليَّ مالي؟ فقال: إلى ابن الحارثيَّة. فعاد إلى الشِّيعة فأَخبرهم أنَّ أبا العباسِ هو الإمامُ بعده.

وكان يقطينُ عظيماً عند بني العبَّاس، ولَّاه السفَّاح والمنصورُ والمهديُّ الولايات. واطلع المهديُّ[2] على ابنه عليِّ بن يقطين بالزَّندقة فقتله.



(١) المنتظم ٩/ ١٢٥، والبداية والنهاية ١٣/ ٦٣٧.

(٢) وكذا في المطبوع من الكامل ٦/ ٨٩، والصواب: الهادي، كما في حاشيته، وتاريخ الطبري ٨/ ١٩٠، والمنتظم ٨/ ٣٠٩، وتاريخ الإسلام ٤/ ٢٨٢، ولسان الميزان ٦/ ٣٩. وانظر المعرفة والتاريخ ١/ ١٧٣، والفهرست ص٢٧٩.

السَّنة السابعةُ والثَّمانون بعد المئة

فيها أَوقع الرشيدُ بالبرامكة، وقتل جعفرَ بن يحيى، وحبس يحيى وأهلَه.

واختلفوا في سبب ذلك على أقوال[1]:

قال ثُمامَةُ بن أَشْرَس: كتب محمَّد بن اللَّيث إلى هارونَ يَعِظُه ويقول: إنَّ يحيى لا يُغني عنك من اللهِ شيئاً، وقد جعلتَه فيما بينك وبين الله، فكيف بك إذا وقفتَ غداً بين يدي اللهِ تعالى فسألك عمَّا فعلت في بلاده وعبادِه، فتقول: ياربِّ، إنِّي استكفيتُ بيحيى في ذلك. مع كلامٍ كثيرٍ فيه توبيخٌ وتقريع.

فدعا الرشيدُ يحيى وقد علم، فقال: أَتعرف محمَّد بن الليث؟ قال: نعم، قال: أيُّ رجل هو؟ قال: متَّهم على الإسلام. فأمر بمحمَّد فحُبس في المُطْبَق دهراً، فلمَّا تنكَّر الرشيدُ للبرامكة ذكره، فأمر بإحضاره، وقال له: يا محمَّد، أَتحبُّني؟ قال لا والله، كيف أحبُّك وقد قيَّدتني وكبَّلتني بالحديد! وحُلتَ بيني وبين عيالي من غير ذنبٍ أتيتُ ولا حدثٍ أحدثت! سوى قولِ حاسدٍ يكيد الإسلامَ وأهلَه! فكيف أحبُّك؟! فأمر بإطلاقه، وأعطاه مئةَ ألفِ درهم، وقال له: انتقمَ الله لك ممَّن ظلمك، وأخذ بحقِّك ممَّن حملني عليك. فقال الناسُ في البرامكة فأكثروا، وكان ذلك أولَ ما ظهر من تغيُّر حالهم.

والثاني: أنَّه نُقل إلى هارونَ أنَّ البرامكةَ يرون رأيَ المجوس، وأنهم يُبطنون ذلك ويميلون إلى مذاهبهم.

والثالث: أنَّ الفضلَ بن الربيعِ كان عدوَّهم يَحْسِدهم ويُكثِّر عليهم عند هارون، دخل الفضلُ يوماً على يحيى بنِ خالدٍ في حاجة، فلم يرفعْ له رأساً، ولا قضى حاجتَه، فخرج مُغْضَباً، فقال يحيى لبعض خاصَّته: اِتْبعه واسمعْ مايقول، فتبعه الرَّجل، فلمَّا استوى على سَرجه عضَّ على شفتيه وقال: [من الطويل]

---

(١) انظر هذه الأقوال في تاريخ الطبري ٨/ ٢٨٧ـ٣٠٠، والمنتظم ٩/ ١٢٦ـ١٣٧، والكامل ٦/ ١٧٥ـ١٨٠، وتاريخ الإسلام ٤/ ٧٨٤ـ٧٨٩.

عسى وعسى يَثني الزَّمانُ عِنانَه بعَثْرَةِ دهرٍ والزمانُ عَثورُ
فتُدرَك آمالٌ وتُقضى مآربٌ ويَحدث من بعد الأمورِ أمورُ(١)

وأُخبر يحيى بقوله، فردَّه وقضى حاجتَه، فما مضت إلَّا أيامٌ يسيرةٌ حتى سَخِط هارونُ على البرامكة واستوزرَ الفضلَ بن الربيع.

والرابع: أنَّ هارونَ نُقل إليه أنَّ البرامكةَ يميلون إلى آل أبي طالبٍ، ويبعثون إليهم بخُمس أموالهم، وأنَّهم على عزم نقل الخلافةِ إليهم.

وقال جبريلُ المُتَطبِّب: أول ما بدا من أمر هارونَ في حقِّ البرامكةِ: أنَّ يحيى بن خالدٍ كان يدخل على هارونَ ولو كان في فراشه لا يُحجب عنه. قال جبريل: فدخل يحيى يوماً وأنا قاعدٌ عند الرشيد، فسلَّم، فردَّ عليه هارونُ ردًّا ضعيفاً، والتفت إليَّ هارونُ وقال: يا جبريل، أَيدخل عليك أحدٌ بغير إذن؟ قلت: لا، قال: فما بالُنا يُدخَل علينا بغير إذن؟! فقال له يحيى: قد كنت أدخل عليك وأنت متجرِّد في فراشك بغير إذن، وكنت أظنُّ أنَّ ذلك شيءٌ خصصتَني به، وأمَّا إذا كره أميرُ المؤمنين ذلك، فأكونُ في الطبقة الثانيةِ أو الثالثة، فخجل هارونُ منه وأطرق ما يرفع إليه طرفَه وقال: ما أَردتُ ما تكره، ولكنَّ الناس يقولون. ثم قام يحيى وخرج.

وقال محمَّد بنُ الفضل: دخل يحيى بعد ذلك على الرَّشيد، فقام إليه الغِلمان، فقال هارونُ لمسرورٍ الخادم: مُر الغلمانَ إذا دخل يحيى لا يقوموا له. فدخل فلم يَقُمْ إليه أحد، فارْبَدَّ لونُه. وكان الغلمانُ والحجَّاب إذا رأوه بعد ذلك أَعرضوا عنه، وكان إذا عطش يستسقي شربةً من ماءٍ فلا يسقونه، وبالحَرى أن يسقوه بعد أن يدعوَ بها مراراً. وما زال كذلك حتى قَتل هارونُ ولدَه جعفراً وقبض عليه.

وقال موسى بنُ يحيى: طاف أبي بالبيت في السَّنة التي أُصيب فيها وأنا معه دون ولدِه، فتعلَّق بأستارِ الكعبة، وجعل يردِّد الدُّعاء ويقول: اللهم إنْ كنتَ تعاقبني بذنوبي فهي جَمَّة لا يُحصيها غيرُك، فاجعل عقوبتي في الدنيا وإنْ أحاط ذلك بسمعي وبصري ومالي وولدي، حتى يبلغَ رضاك عَنِّي، ولا تجعلْ عقوبتي في الآخرة.

---

(١) الفرج بعد الشدة ١/٣٠٨، وفيات الأعيان ٤/٣٨.

وفيها[١] غزا هارونُ بلادَ الرُّوم، فأوغل فيها، وفتح هِرَقْلَة، وولَّى ابنَه القاسمَ الصَّائفة، وأَعطاه العواصم، فنازل حصنَ سنان، فبعث إليه قيصر، وسأله أن يرحلَ عنه ويعطيَه ثلاثَ مئةٍ وعشرين أسيراً من المسلمين، ففعل.

وفيها غضب هارونُ على عبد الملكِ بن صالحِ بن عليٍّ وحبسه، وكان قد سعى به كاتبُه وولدُه عبدُ الرَّحمن بنُ عبد الملكِ وقالا: إنَّه يروم الخلافة، فأحضره الرشيدُ وقال له: أكُفراً للنِّعمة وجُحوداً لجليل المِنَّة؟! فقال: يا أميرَ المؤمنين، لقد بُؤتُ بالنَّدم، وتعرَّضتُ لاستحلال النِّقَم، وما ذاك إلا بغيُ حاسد، نافَسَني فيك مودَّة القرابةِ وتقديمَ الولاية، إنَّك يا أميرَ المؤمنين خليفةُ اللهِ وخليفةُ رسولهِ في أمَّته، وأَمينُه على عِتْرَتِه، لك عليها فرضُ الطاعة وأداءُ النصيحة، ولها عليك العدلُ في حكمها، والتثبُّت في حادثها، والغفرانُ لذنوبها. فقال له الرَّشيد: أَتَضَعُ لي من لسانك وترفعُ من جَنانك؟! هذا كاتبُك قُمامةُ يُخبر بفعلك[٢]، فقال: إنَّه أعطاك ما ليس في عَقْده، ولعلَّه لا يقدر أن يبهتَني بما لم يعرفْه مني.

فأُحضر قُمامة، وقال له الرَّشيد: تكلَّم غيرَ هائبٍ ولا خائف، فقال: أَقول: إنَّه عازمٌ على الغدر بك والخلافِ لك، فقال: كيف لا يكذب عليَّ مِن خلفي وهو يَبهتني في وجهي؟ فقال له الرَّشيد: هذا ابنُك عبدُ الرَّحمن أيضاً، أَخبَرني بفساد نيَّتك، ولو أردتُ أن أحتجَّ عليك لم أجد أعدلَ من هذين، فقال: أمَّا عبدُ الرَّحمن، فهو إمَّا مأمورٌ أو عاقّ، فإن كان مأموراً فهو مَعْذور، وإنْ كان عاقّاً فهو فاجرٌ كفور، وقد أَخبر اللهُ بعداوته وحذَّر منه بقوله: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن: ١٤].

فنهض الرَّشيدُ وهو يقول: أمَّا أمرُك فقد وَضَحَ، ولكنِّي لا أَعجل حتى أعلمَ الذي يُرضي اللهَ فيك؛ فإنه الحَكَمُ بيني وبينك، فقال عبدُ الملك: رضيتُ بالله حَكَماً، وبأمير المؤمنين حاكماً؛ لعلمي أنَّه يؤثر كتابَ اللهِ على هواه، وأمرَه على رضاه.

وجرت لعبد الملكِ مع الرَّشيدِ مُناظرات، منها: أَمر بإِحضاره، فدخل عليه فسلَّم،

---

(١) في (خ): وقال، والمثبت من المنتظم ٩/ ١٣٧.

(٢) في تاريخ الطبري ٨/ ٣٠٣: بغلك.

فما ردَّ هارونُ وفاتَحه الكلام، فقال عبدُ الملك: هذا يومٌ لا أُجاذِبُ فيه منازعاً ولا خصماً، قال: ولم؟ قال: لأنَّ أولَه جرى على غير السُّنَّة، فأنا أخاف آخرَه، قال: وما ذاك؟ قال: لأنَّك لم تردَّ عليَّ فيه السَّلام، فقال الرشيد: السلامُ عليك، اقتداءً بالسنَّة، وإيثاراً للعدل، واستعمالاً لردِّ التحيَّة.

ثم التفت إلى سليمانَ بنِ أبي جعفرٍ وأنشد يقول: [من الوافر]

أُريـد حـيـاتَـه ويُـريـد قَـتْـلـي[1]

ثم قال: لكأنِّي واللهِ أنظر إلى شُؤبوبها[2] قد هَمَع، وإلى عارِضِها قد لَمَع، وكأنِّي بالوعيد قد أَورى ناراً تَسْطَع، فأَقْلَعَ عن بَراجِمَ بلا مَعاصِم، ورؤوسٍ بلا غَلاصِم، فمهْلاً مهلاً، فبي واللهِ سَهُل لكم الوَعر، وصفا لكم الكَدَرَ، وألقت إليكم الأمورُ أثناءَ[3] أزِمَّتها، ونَذارِ لكم نذار قبل حلولِ داهيةٍ خَبوطٍ باليد، لَبوطٍ بالرِّجل. فقال له عبدُ الملك: اتَّقِ اللهَ فيما ولَّاك، ولا تجعل الكفرَ موضعَ الشُّكر، ولا العِقابَ موضعَ الثَّواب، فقد نَخَلتُ لك النَّصيحة، ومَحَضْتُ لك الطاعة، وشَدَدْتُ أَواخيَ مُلكِك بأثقلَ من ركنِ يَلَمْلَم، وسهَّلت لك الوعور، وذلَّلت لك الأمور، وجمعتُ على طاعتك القلوبَ في الصدور، فكم ليلِ تَمامٍ فيك كابَدْتُه، ومَقامٍ ضَيِّق لك قُمتُه، كنتُ كما قال أخو بني جعفرِ بن كلاب[4]: [من الرمل]

ومَـقـامٍ ضَـيِّـقٍ فَـرَّجْـتُـه ... بـبَـيـانٍ ولـسـانٍ وجَـدَلْ
لـو يـقـوم الـفـيـلُ أو فـائـلُـهُ ... زلَّ عـن مـثـل مَـقـامـي وزَحَـل

فاللهَ اللهَ في رِيٍّ أن تقطعَه بعد أن بَلَّتْه، بسعي سباعٍ تَنْهَسُ اللَّحم، وبغي باغٍ يبالغ في الدَّم[5]. فقال الرَّشيد: أَمَا واللهِ لولا الإبقاءُ على بني هاشم لضربتُ عنقَك.

(١) عجزه: عَذيرُكَ من خليلك من مُراد. وهو لعمرو بن معد يكرب، وهو في ديوانه ص١١١.
(٢) في (خ): شونها، والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ٣٠٤. والشؤبوب: الدفعة من المطر.
(٣) أثناء الشيء ومثانيه: قواه وطاقاته، واحدها: ثِني ومِثناة. القاموس المحيط (ثني).
(٤) هو لبيد بن ربيعة، والبيتان في ديوانه ص١٩٣-١٩٤ ضمن قصيدة طويلة.
(٥) في تاريخ الطبري ٨/ ٣٠٤: فالله الله في ذي رحمك أن تقطعه بظن أفصح الكتاب لي بعضه، أو ببغي باغ ينهس اللحم، ويالغ الدم.

ومنها(١): أنه لمَّا حبس الرشيدُ عبدَ الملك، قال له عبدُ الله بن مالكٍ الخُزاعي ـ وكان على شرطته: يا أميرَ المؤمنين، ما علمتُ عبدَ الملك إلَّا ناصحاً، فلمَ حبستَه؟ قال: بلغني عنه ما أَوحشني، ولم آمنْه أن يضربَ بين ابنَيَّ الأمينِ والمأمون، فإنْ رأيتَ أن تُطلقَه أَطلقناه، فقال: أمَّا إذ حبستَه، فلستُ أرى إطلاقَهَ في قريب المدَّة، ولكن تحبسُه مَحْبَساً كريماً، يُشبه محبسَ مثلِك لمثله، قال: نعم. ودعا الفضلَ بن الربيع(٢) وقال له: اِمضِ إلى عبدِ الملكِ إلى محبسه، وقل له: انظر ما تحتاجُ إليه في محبسك فأْمُرْ به.

ومنها: أنَّ هارونَ قال له يوماً في بعض ما كلَّمه به: ما أنت لصالح، قال: فلمَن أنا؟ قال: لمروانَ الجَعْديّ، قال: ما أبالي أيُّ الفَحْلَين غلب عليّ، فحبسه الرَّشيد عند الفضلِ بن الرَّبيع، فلم يزل محبوساً حتى توفِّي الرشيد، فأَطلقه محمَّد وعقد له على الشَّام، فكان مُقيماً بالرقَّة، وجعل لمحمَّد عهدَ اللهِ وميثاقَه إنْ أُصيبَ محمَّد وهو حيٌّ لا يعطي المأمونَ طاعةً أبداً، فمات قبل محمَّد، فدُفن في دارٍ من دُور الإمارة بالرَّقة، فلمَّا خرج المأمونُ يريد الرُّوم، أَرسل إلى ابنٍ له: حوِّل أباكَ من داري، فنُبشت عظامهُ وحوِّلت.

ومنها: أنَّ الرشيدَ بعث إلى يحيى بنِ خالدٍ وهو محبوسٌ يقول له: إنَّ عبد الملكِ بن صالحٍ أراد الخروجَ عليّ، وأن يُنازعَني في الملك، وقد علمتَ ذلك، فأَخبرني واصدُقْني، فإنْ صدقتَني أُعدتَ إلى حالك، فقال يحيى: واللهِ ما اطَّلعتُ منه على شيءٍ من هذا، وكيف يكون ذلك وملكُك مُلكي وسلطانُك سُلطاني؟! وهل كان يفعل بي لو وافقتُه أكثرَ من فعلك؟! فأُعيذك بالله من ذلك أن تظنَّ بي هذا الظنّ، ولكنَّه كان رجلاً محتملاً، يسرُّني أن يكونَ في أهلك مثلُه، فولَّيتُه لِمَا حَمِدْتُ من مذهبه، وملتُ إليه لاحتماله وأدبِه.

فلمَّا أتاه الرسولُ بهذا قال له: إنْ أنت لم تقرَّ عليه قتلتُ ابنَك الفضل، فقال: قل له: أنت مسلَّط علينا فافعل ما بدا لك، فقال الرَّسول: لا بدَّ من إنفاذ [أمر](٣) أميرِ

(١) أي: من أسباب غضب الرشيد على عبد الملك بن صالح.

(٢) في (خ): المفضل بن يحيى، والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ٣٠٥، وسيأتي على الصواب قريباً.

(٣) ما بين معكوفين من تاريخ الطبري ٨/ ٣٠٦.

المؤمنين، ولم يشكَّ أنه قاتلُه، فودَّع الفضلُ أباه وقال: ألستَ راضياً عني؟ قال: بلى. فغاب عنه ثلاثةَ أيام، ثم أعاده إليه لمَّا لم يجد عندهما شيئاً من ذلك. وقيل: إنَّ الرسول كَان مَسْروراً الخادم.

ومنها: أنَّ الرشيدَ بينما هو يسير في مَوْكِبه وعبدُ الملك معه يسايره، هتف به هاتف: يا أميرَ المؤمنين، طأطِئْ من إشرافه، وقصِّر من عِنانه، واشدُد من شكائمه، وإلَّا فَسَدتْ عليك ناصيتُه. فقال الرشيدُ لعبد الملك: ما يقول هذا؟ فقال: يا أميرَ المؤمنين، مقالَ باغٍ ودَسيسَ حاسد، فقال هارون: صدقتَ، نَقَصَ القومُ وفَضَلْتَهم، وتخلَّفوا وتقدَّمتَهم، حتى برز شأوُك، وقَصَّر عنه غيرُك، ففي صدورهم جَمَراتُ التخلُّف، وحَزازاتُ النَّقص، فقال عبدُ الملك: لا أَطفأها الله[1]، وأَضْرَمَها عليهم حتى يورثَهم كَمَداً دائماً.

وكان عبدُ الملك يسكن مَنْبِج، فمرَّ به هارون، فقال له: هذا منزلُك؟ قال: هو لك يا أميرَ المؤمنين، وهو لي بك. فقال: كيف هو؟ قال: دون بناءِ أهلي، وفوق منازلِ مَنْبج، فقال: كيف ليلُها؟ فقال: سَحَرٌ كلُّه.

وفيها: نقض نقفورُ ملكُ الرومِ الصُّلحَ الذي كان بينه وبين المسلمين، كانت ملكةُ الرومِ التي يقال لها: ريني قد صالحت المسلمين على ما ذكرنا، وأنَّ الرومَ وثبت عليها فخلعتْها وملَّكت نقفور، والرومُ تزعم أنَّه من أولاد جَفْنَةَ من غسَّان. وماتت ريني بعد خمسةِ أشهرٍ من خلعها.

ولمَّا استقام أمرُ نقفورَ واستولى على البلاد، كتب إلى الرَّشيد كتاباً يقول في أوَّله: باسم الأبِ والابنِ ورُوح القُدس[2]، من نقفور ملكِ الرُّوم إلى هارونَ ملكِ العرب، أمَّا بعد: فإنَّ الملكةَ التي كانت قبلي أَقامتْك مقامَ الرُّخّ، وأقامت نفسَها مقامَ البَيْدَق، فحملَتْ إليك من أموالها ما كنتَ حقيقاً بحمل مثلِه إليها، ولكن ذاك ضعفُ النساءِ وحُمقُهنّ، فإذا قرأتَ كتابي هذا، فارْدُدْ ما حصل قِبَلك من أموالها، وافتدِ نفسَك بما

(١) في (خ): أطفأ الله، والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ٣٠٦.

(٢) قوله: باسم الأب والابن وروح القدس، لم يذكره من ذكر الخبر والكتاب، انظر تاريخ الطبري ٨/ ٣٠٧، والمنتظم ٩/ ١٣٨، والكامل ٦/ ١٨٥، وتاريخ الإسلام ٤/ ٧٩٠، والبداية والنهاية ١٣/ ٦٤٩.

تقع به المصادرةُ لك، وإلَّا فالسيفُ بيننا وبينك، والسَّلام.

فلمَّا قرأ هارونُ الكتاب، استشاط غضباً بحيث تفرَّق عنه جلساؤه، فلم يقدرْ أحدٌ أن يدنوَ منه، وكتب به على رأس الكتاب(١): بسم الله الرَّحمن الرَّحيم: من هارونَ أميرِ المؤمنين إلى نقفور كلبِ الروم، قد قرأتُ كتابك يا ابنَ الكافرة، والجوابُ ما تراه لا ما تقرؤه، والسلام.

ثم سار من يومه حتى أَناخ بباب هِرَقْلَة، ففتح الحصونَ، وغنم وسَبَى وقتل، فأَرسل إليه نقفورُ يطلب الموادَعَةَ على خراجٍ يؤدِّيه في كلِّ سنة، فصالحه ورجع إلى الرقَّة، فنقض نقفور العهدَ ونزل البَلْخ، فيئس من رجعة هارونَ إليه، ولم يتجاسرْ أحدٌ أن يُخبر هارونَ بما فعل نقفور، فاحتيل له بشاعرٍ من أهل جُدَّة(٢)، واسمُه عبدُ الله بن يوسف، فأَنشده: [من الكامل]

نَقَضَ الذي أَعطاكَه نقفورُ	وعليه دائرةُ البَوارِ تدورُ
أَبشِرْ أميرَ المؤمنين فإنَّه	غُنْمٌ أَتاك به الإلهُ كبير
فلقد تَباشَرَتِ الرَّعيةُ أنْ أتى	بالنَّقض عنهُ وافِدٌ وبَشير
أَعطاك جِزيتَه وطأطأَ خدَّه	حَذَرَ الصَّوارمِ والرَّدى مَحذور
فأَجَرْتَه من وَقْعِها وكأنَّها	بأكُفِّنا شُعَلُ الضِّرام تَطير
فصَرَفْتَ بالطَّول العساكرَ قافلاً	عنه وجارُك آمنٌ مسرور
نقفورُ إنَّك حين تَغدِر إن نأى	عنك الإمامُ لَجاهلٌ مغرور
أظننتَ حين غَدرتَ أنَّك مُفْلَتٌ	هَبِلَتْك أمُّك ما ظننتَ غُرور
ألقاك حَينُك في زَواخِرِ بحرِه	فطَمَت عليك من الإمام بُحور
إنَّ الإمام على اقْتِسارك قادرٌ	قَرُبَت ديارُك أم نأَتْ بك دُور
ليس الإمامُ وإنْ غَفَلْنا غافلاً	عمَّا يَسوسُ بحَزْمِه ويُدير

(١) في المصادر: وتفرق جلساؤه . . . واستعجم الرأي على الوزير من أن يشير عليه أو يتركه يستبدّ برأيه دونه، فدعا بدواة وكتب على ظهر الكتاب.

(٢) كذا في (خ) والمنتظم ٩/ ١٣٩، وفي مطبوع تاريخ الطبري ٨/ ٣٠٨: خُرّة، وفي نسخة منه أشار إليها المحقق: جنده، وكذا هي في تاريخ ابن الأثير ٦/ ١٨٥: جنده.

مَلِكٌ تجرَّد للجهاد بنفسه ... فعدوُّه أبداً به مَقهور
نصحُ الإمامِ على الأنام[1] فريضةٌ ... ولأهلها كفَّارةٌ وطهورِ

فلمَّا فرغ من إنشادها، قال: أَوَ قد فعلها؟! فكرَّ راجعاً من فوره، فأناخ على هِرَقْلَة، فأرسل إليه نقفورُ وصالحه على ما أراد هارون. وقال أبو العتاهية: [من الوافر]

أَلَا نادَتْ هِرَقْلَةُ بالخرابِ ... من المَلِك المُوَفَّق للصَّوابِ
غدا هارونُ يَرعُدُ بالمنايا[2] ... ويَبرُقُ بالمُذكَّرة[3] القِضاب[4]
وراياتٍ يَحُلُّ النصرُ فيها ... تمرُّ كأنَّها قِطَعُ السَّحاب
أميرَ المؤمنين ظَفِرْتَ فاسْلَمْ ... وأَبشِرْ بالغنيمةِ والإياب

فصل: وفيها قُتل إبراهيمُ بن عثمانَ بن نَهيك. كان بعد قتل هارونَ لجعفرِ بن يحيى يبكي عليه ويحزن لِمَا جرى على البرامكة، فكان إذا أخذ منه الشرابُ يقول لغلامه: هات سيفي ذا المنيَّة، فيسلُّه ويقوم قائماً، ويصيح: وا جعفراه، وا سيِّداه، واللهِ لآخذنَّ ثأرَك ولأقتلنَّ قاتلَك.

وكان له ابنٌ اسمُه عثمان، فجاء الفضلَ بن الربيعِ فأخبره، فأخبر الفضلُ الرَّشيد، فقال الرَّشيد: أَدخله، فدخل، فقال له: ماذا يقول [الفضل بن] الرَّبيع؟ قال: صدق، قال: فهل سمع منه هذا أحدٌ غيرك؟ قال: نعم، خادمُه نوال. فدعا نوالاً فسأله، قال: نعم قد قاله غيرَ مرَّة، فقال هارون: ما يحلُّ لي أن أقتلَ وليًّا من أوليائي بقولهما، ولعلَّهما تواصيا على هذا؛ بمنافسة الابنِ على المرتبة ومعاداةِ الخادمِ لطول الصُّحبة.

فترك ذلك أيَّاماً، ثم قال للفضل بنِ الربيع أريد أنْ أمتحنَ إبراهيمَ لأزيل الشكَّ عن خاطري، والوهمَ عن قلبي، فاستدعاه على الشَّراب، وقال للفضل: اذهب وخلِّني وإيَّاه، فلمَّا أخذ منه الشرابُ قال له: يا إبراهيم، كيف أنت وموضعُ السِّرِّ منك، فقال: إنَّما أنا عبدُك، فقال: إنَّ في نفسي أمراً أريد أن أُودِعَك إيَّاه، وقد ضاق صدري به

(١) في (خ): الإمام، والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ٣٠٩.
(٢) في (خ): للمنايا، والمثبت من تكملة الديوان ص٤٩٢، وتاريخ الطبري ٨/ ٣١٠.
(٣) في (خ): للمذكرة. والمذكر من السيف: ذو الماء. القاموس المحيط (ذكر).
(٤) جمع قضيب، وهو اللطيف من السيوف، والسيف القطَّاع. القاموس المحيط (قضب).

وسهرتُ له ليلي، فقال: إذن أُخفيه عن نفسي، فقال: قد ندمتُ على قتل جعفرِ بن يحيى ندامةً لا أَقدرُ أن أَصفَها، ووددت أنِّي خرجتُ من ملكي وأنَّه بقي، فما وجدت طعمَ النومِ ولا لذَّة العيشِ منذ قتلتُه.

فبكى إبراهيمُ وقال: رحم اللهُ أبا الفضلِ وتجاوَزَ عنه، فلقد أخطأتَ واللهِ في قتله، وأين يوجد في الدُّنيا مثلُه، فقال له الرشيد: قم لعنك اللهُ يا ابنَ اللَّخْناء، فقام وهو لا يَعْقِل، فدخل على أمِّه فقال: يا أُماه، ذهَبَتْ واللهِ نفسي. وأَخبرها الخبرَ وقال: إنَّ الرشيدَ قد امتحنني بمحنةٍ لو كان لي ألف نفسٍ لم أَنجُ منها بواحدة، فدخل عليه ابنُه بعد ليالٍ فقتله.

جعفرُ بنِ يحيى

ابن خالدِ بن بَرْمَك، أبو الفضلِ البرمكي.

كان من علوِّ القدر، ونفاذِ الأمرِ، وعِظَم المنزلة، وجَلالةِ المَحَلِّ عند هارونَ بحالةٍ لم يشاركْه فيها أحد، وكان جميلاً وسيماً، معتدلَ القامة، ذا وَفْرة، طويلَ العُنق جدًّا، وهو أوَّل مَن زاد في زِيْقه ليَستُرَ عُنُقَه، فقيل: زيقٌ برمكي.

وكان حسنَ الأخلاق، طلقَ الوجه، جودُه وعطاؤه أشهرُ من أن يخفَى، وكان من الفصاحة والبراعةِ والبلاغةِ على حظٍّ وافر.

وكان أبوه قد ضمَّه إلى القاضي أبي يوسُف، ففهَّمه وعلَّمه.

نظر بحضرة الرشيدِ ليلةً في ألف قصَّة، فوقَّع على جميعها، فعرضت على الحكَّام، فلم يجدوه أخطأ ولا في واحدةٍ منها، ولم يخرجْ عن الفقه.

ورُفعت إليه قصَّة من مُتَظَلِّم من عامل، فكتب عليها: بئس الزادُ ليوم المعادِ ظلمُ العباد.

وهو أوَّل مَن ضرب الدنانيرَ الجعفرية، ضرب أوَّلاً في كلِّ دينارٍ مئةَ دينارٍ ودينار[1]، فكان يُطلق المئةَ منها، وكان على أحد جانبَي كلِّ دينارٍ مكتوب: [من المتقارب]

---

(١) في الكلام هنا وما سيذكره بعد قليل من قوله: ثم ضرب في كل دينار ثلاثة مئة دينار: اضطراب. ففي تاريخ بغداد ٨/ ٣٤، ومختصر تاريخ دمشق ٦/ ١٠٢ وغيرهما: ولما غضب على البرامكة، وجد في خزانة لجعفر بن =

وأَصفرَ من ضَرْبِ دارِ الملوكِ ... يلوحُ على وجهه جعفرُ
يزيدُ على مئةٍ واحداً ... إذا ناله مُعْسِرٌ يوسِر[١]

ثم ضرب في كلِّ دينارٍ ثلاثَ مئةِ دينار، وكان يطلق المئةَ منها.

وأراد الركوبَ إلى دار هارونَ من داره على شاطىءِ دجلة، فأخذ الأَسطُرلاب، فمرَّ ملَّاحٌ على سفينةٍ وهو يقول: [من الوافر]

يدبِّر بالنُّجوم وليس يدري ... وربُّ النَّجم يفعلُ ما يشاءُ[٢]

فضرب بالأَسطرلاب الأرضَ، فكسره وركب.

وكان ينظر إلى الكاتب وهو يكتبُ من بعيد، فيعلم ما يجري به قلمُه، وكذا كان أبوه يحيى.

قال سليمانُ بن الحارث: كنتُ في موكب جعفرِ بن يحيى، إذ اعترضه بهلولُ هارباً من صبيان الكرخ وبيده حجران، فألقاهما وأخذ بلجام بغلةِ جعفرٍ وقال: [من البسيط]

يا جعفرَ الجودِ والمعروفِ والكرمِ ... يا كعبةَ الفضلِ والإفضالِ والنِّعمِ
يا مَن إذا السُّحب لم تَسمح بدِرَّتها ... كانت أناملُهُ أندَى من الدِّيَمِ
مالي إليك شفيعٌ أَستعين به ... إلَّا العلاءَ وطيبَ الأصلِ والشِّيَمِ
لله دَرُّك من حرٍّ أخي كرمٍ ... مُعطي الكثير بلا مَنٍّ ولا سأَمِ

فقال له جعفر: تمنَّ، فقال: تردُّ عليَّ عقلي، قال: لا أَقدر على ذلك، قال: فتؤمِّنِّي من الموت، قال: وهذه أَصعب، قال: فتكفيني أولادَ الزِّنى، فقال: هذا مُتَعَذِّر، فقال بُهلول: فما تظنُّ أَنَّني أطلب منك؟! كسوةً تفنَى وثوباً يَبلَى، وقد بذلتُ لك ما يبقى؟! إنِّي إذن لَقليلُ الخبرةِ بالتِّجارة. ثم ترك لجامَ بغلتِه ومضى وهو يقول: [من السريع]

ظنَّ ابنُ يحيى أنني راغبٌ ... في ماله مالي وللمالِ
واللهِ ما أَنصفَ مَدْحي له ... مَن لم يُبَلِّغنيَ آمالي

= يحيى في جرة ألف دينار في كل دينار مئة دينار ... كان جعفر بن يحيى أمر أن تضرب له دنانير في كل دينار ثلاث مئة مثقال وتصور عليها صورة وجهه... إلخ.

(١) انظر تاريخ بغداد، ومختصر تاريخ دمشق، والمنتظم ٩/ ١٤٣ والسير ٩/ ٦٣.

(٢) التذكرة الحمدونية ٩/ ٣٢١، وفيات الأعيان ١/ ٣٣٩-٣٤٠. وانظر نفح الطيب ٥/ ٢٩٧.

يـفـنَـى الـذي يُـعـطـي ويـبـقَـى لـه　　حُـسـنُ أمـاديـحـي وأقـوالـي

فأتبعه جعفرُ بصرَه وقال: صدقتَ يا أبا محمَّد.

ذِكر مقتله:

واختلفوا في سببه على أقوال:

قال الطَّبري[1]: كان الرشيدُ لا يصبر عن أخته العبَّاسةِ بنت المهديّ، وكان يُحضرها إذا جلس للشُّرب، فقال لجعفر: أُزوِّجك إياها ليحلَّ لك النظر، فزوَّجها منه، ثم كان يُحضرهما مجلسَ الشراب، ثم يقوم عن مجلسه ويخلِّيها فيه وهما ثَمِلان، فيجامعها جعفر، فحبلت منه وولدت غلاماً، فخافت على نفسِها من الرَّشيد، فبعثت بالغلام إلى مكَّةَ مع الحواضن من جواريها، وأرسلت معه بالأموالِ والجواهر، ولم يزل الأمرُ مستتراً عن هارونَ حتى وقع بين العباسة وبعضِ جواريها، فوشت بها إلى الرَّشيد ودلَّته على مكان الصبيِّ بمكَّة، فحجَّ هارون، وأرسل فأحضر الحواضن، وسألهنَّ فأخبرْنَه الخبر، فأراد قتلَ الصَّبي، ثم تخوَّف من ذلك، ولمَّا عاد من حجَّته قتل جعفراً.

وقال أحمدُ بن زهير: إنَّ الرشيدَ لمَّا زوَّج أختَه من جعفر، اجتنبها مدَّةً ومنع نفسَه عنها، وأحبَّته، فدخلت على أمِّه فشكته إليها، وحملت إليها الجواهرَ والهدايا، فوعدتها أن تجمعَ بينهما، فاحتالت عليه أمُّه وقالت: قد اشتريتُ لك جاريةً روميةً من بنات الملوك، ووصفَتْها له. فجاء وهو سكران، فواقعها ولم يعلم، فقالت له: كيف رأيتَ حيلَ بناتِ الملوك؟ وأخبرته أنَّها العبَّاسة. فأفاق من سُكره، ودخل على أمِّه وقال لها: لقد بعتيني بثمنٍ بَخْسٍ، وحملتيني على المركب الوَعْر، وسوف ترين. ووضعت العباسةُ غلاماً فبعثَتْ به إلى مكَّة.

وكان يحيى ينهى زُبيدةَ عن صحبة الخدَّام، فشكته إلى الرشيدِ وقالت له: هلَّا غار على حَرَمك، فقال: واللهِ ما أتَّهمه في حرمي، فقالت: بلى، قد حملَتْ أختُك من جعفرٍ بغلامٍ وبعثت به إلى مكَّة، فقال: اكتُمي هذا، وحجَّ في هذه السَّنة، فقتل الصبيَّ

(١) في تاريخه ٨/ ٢٩٤.

والحواضن، وكان يحيى وأولادُه معه، فلم يُظهرْ لهم شيئاً.

القولُ الثاني: قال أبو محمَّد اليزيدي(١): دفع الرشيدُ يحيى بنَ عبد اللهِ بنِ حسن بنِ حسنٍ إلى جعفر، فحبسه عنده، ثم دعا به ليلةً فسأله عن شيءٍ من أمره، فأَجابه، إلى أن قال له: اتّقِ اللهَ في أمري، ولا تتعرَّض لأن يكونَ خصمَك غداً محمَّد ﷺ، فوالله ما أحدثتُ حَدَثاً، ولا آويت مُحدِثاً. فرقَّ له جعفرٌ وقال: اذهب حيث شئتَ من بلادِ الله، فقال: كيف أَذهب ولا آمن أن أؤخذَ بعد قليل، فوجَّه معه مَن أدَّاه إلى مأمنه، وبلغ الخبرُ إلى الفضل بنِ الربيع، فأَخبر الرَّشيد، فزبره فقال: لا أمَّ لك، أين أنت وهذا الأَمر، فانكسر الفضل، وجاء جعفرٌ فدخل على الرشيد فتغدَّى عنده، ثم تفاوضا الحديث، فقال له: ما فعل يحيى بنُ عبدِ الله؟ قال: في الحبس والقيدِ الثَّقيل، قال: بحياتي؟ فأَحجم جعفرٌ وهجس في نفسه أنَّه قد علم بشيء، فقال: لا وحياتِك، ولكنِّي أَطلقته وعلمتُ أنَّه لا مكروهَ عنده، فقال: نِعمَ ما فعلت، ما عَدَوتَ ما كان في نفسي، فلمَّا خرج أَتبعه بصرَه وقال: قتلني اللهُ إنْ لم أقتلْك.

وقال إدريسُ بن بدر: فعرض للرَّشيد بعد هذه الواقعةِ رجلٌ وقال: عندي نصيحةٌ لأمير المؤمنين، فأَرسل إليه يقول: ما نصيحتُك؟ فقال: هي سرٌّ من أسرارِ الخلافةِ لا أَذكرها إلَّا له، فقال: عليَّ به، فأُدخل عليه، وقال: أَخلِني، فأُخلي المجلس، فقال: رأيتُ يحيى بنَ عبد الله بنِ حسنٍ بحلوانَ في خان، عليه دُرَّاعة صوفٍ وهو قائمٌ يصلي، ومعه جماعةٌ يُظهرون أنَّهم ليسوا معه، فقال: أَوَ تعرفه؟ قال: نعم، قال: صِفْه لي، قال: مَرْبوعٌ، أسمرُ رقيق السُّمْرَة، كبيرُ البطن، قال: صدقت. فأعطاه ألفَ دينارٍ وقال: اكتُم هذا.

والثالث: قال الهيثم: كان سببُ قتلِ جعفرٍ أنَّ الرشيدَ أخذ بيده يوماً، ثم اخترق به حُجَرَ نسائه حتَّى انتهى إلى باب مجلس، فأَخرج مفتاحاً من تِكَّته وفتح الباب، وإذا في صدره بابٌ صغير، فنقره، قال جعفر: فسمعتُ غناءً على عودٍ ما سمعتُ أَطيبَ منه، ثم قمنا وأغلق الباب، وقال لي: يا جعفر، أسمعتَ غناءً كذا، قلت: لا والله، قال: هذه

(١) في (خ): الزيدي، والتصويب من تاريخ الطبري ٨/ ٢٨٩، والمنتظم ٩/ ١٢٧ .

عُلَيَّة أختي بنتُ المهدي، واللهِ لئن نطقتَ بهذا لأَقتلنَّك، وجاء جعفرٌ فحدَّث أباه، فقال: واللهِ ليقتلنَّك، وكان هارونُ قد حجر على عُلَية، وأظهر أنَّها قد هلكت؛ لأجل معاشرتها للخدَّام، فتحدَّث بذلك جعفر، فقتله.

والرابع: قال الحسنُ بن عليٍّ بنِ عيسى: [الشَّرَهُ](١) قَتَلَ جعفراً، فقيل له: الناسُ يقولون: إنَّ ذَنْبه أمرُ بعضِ أَخوات الرشيد! فقال: هذا من رواية الجهَّال، مَن كان يَجسُر على الرشيدِ بهذا! إنَّما كان جعفرٌ قد حاز ضِياع الدُّنيا لنفسه، وكان الرشيدُ إذا سافر لا يمرُّ بضيعةٍ أو بستانٍ إلَّا قيل: هذا لجعفر، فبقي ذلك في نفسه، ثم جنى على نفسه بأن وجَّه برأس بعضِ الطالبيين في يوم نوروزَ من غير أن يأمرَه الرشيدُ بقتله، فاستحلَّ بذلك دمَه.

الخامس: أنَّ أحداً لم يعلم ذنبَ جعفر. قالت عُلَية بنت المهدي للرشيد: ما رأيتُ لك يومَ سرورٍ منذ قتلتَ جعفراً، فلأيِّ شيءٍ قتلته؟ فقال: لو علمتُ أنَّ قميصي يعلم السببَ الذي قتلتهُ لأجله لأحرقته، وكان يحيى بنُ خالدٍ يكره مداخلةَ جعفرٍ للرَّشيد وينهاه عن مُنادَمَته، ويقول: يا أميرَ المؤمنين، إنِّي واللهِ أكره ذلك، ولست آمن أن ترجعَ العاقبةُ عليَّ فيه منك، فلو أَعفيتَه، واقتصرتَ به على ما يتولَّاه من جسيم أعمالِك، كان ذلك واقعاً بموافقتي، فقال له الرَّشيد: ليس بكَ هذا، وإنَّما تريد أن تقدِّم عليه الفضلَ ابنَك. وكان يحيى يحبُّ الفضلَ حبّاً شديداً. فحكى الطبريُّ(٢) أنَّ يحيى حجَّ تلك السنة وتعلَّق بأستار الكعبةِ وقال: اللهمَّ إنْ كان رضاك في أن تسلبَني أهلي وولدي، فاسلبني إلَّا الفضل. وكان الرشيدُ عاتباً على الفضلِ لتركه الشُّربَ معه، وكان الفضلُ يقول: لو علمتُ أنَّ الماءَ يَنْقُص من مروءتي لَمَا شربته. وكان جعفرٌ يتوقَّى مخالفةَ الرشيد.

واختلفوا في كيفية قتله؛ فقال الفضلُ بن سليمانَ بنِ عليّ: لمَّا رجع الرشيدُ من

---

(١) ما بين معكوفين من المنتظم ٩/ ١٣٢.

(٢) في تاريخه ٨/ ٢٩٢.

الحجِّ نزل العُمْرَ بناحية الأنبار، فلمَّا كان ليلةُ السبتِ لانسلاخ المحرَّم، أَرسل مَسْروراً الخادمَ ومعه أبو عصمةَ وجماعةٌ من الجند، فأَحاطوا به، ودخل مسرورٌ وعنده ابنُ بختيشوع المتطبِّب، وأبو زكَّار الأعمى يغنِّيه، قال: [من الوافر]

فلا تَبْعَد فكلُّ فتًى سيأتي ... عليه الموتُ يَطْرُق أو يُغادي[1]

وقال مسرورٌ: فقلت: يا أبا الفضل، قد طرقك [و]اللهِ الذي جئتُ له، أَجب أميرَ المؤمنين. قال: فوقع على رِجلَيَّ يقبِّلهما ويقول: حتى أدخلَ أُوصي، فقلت: أمَّا الدخولُ فلا سبيلَ إليه، ولكن أَوصِ بما شئت. فأوصَى وأعتق مماليكَه، وأتتني رسلُ أميرِ المؤمنين تستحثُّني، فمضيت به إليه، وأَعلمته وهو في فراشه، فقال: ائتني برأسه.

فخرجتُ فأَخبرت جعفراً، فقال: يا أبا هاشم، اللهَ اللهَ في أمري، ما أَمرك إلَّا وهو سكران، فدافِعْ بي حتى يطلعَ الصَّباح، وآمِرهُ فيّ، فعدتُ إلى الرَّشيد لأُؤامرَه، فقال: يا ماصّ، ائتني برأسه. فخرجتُ إلى جعفرٍ فأخبرته، فقال: عاوِدْه بالله. فعاودتُه، فحذفني بعمودٍ ثم قال: نُفيتُ من المهديِّ لَئن لم تأتِني برأسه، لأُرسلنَّ إليك مَن يأتيني برأسك. فخرجتُ إليه فأتيتُه برأسه.

وقال أبو زكَّار: كنتُ [عند][2] جعفرٍ وهو يتغنَّى بهذا الشِّعر: [من الوافر]

فلا تَبْعَدْ فكلُّ فتًى سيأتي ... عليه الموتُ يَطْرُقُ أو يُغادي
وكلُّ ذخيرةٍ لا بدَّ يوماً ... وإنْ بَقِيت تصير إلى نَفادِ
فلو فُوديتَ من حَدَث الليالي ... فديتُك بالطَّرائف والتِّلاد

فقلت له: يا سيِّدي، ممن أخذتَ هذا الشِّعر؟ فقال: من أحسنِ الناسِ شعراً، مِن حَكَمِ الوادي[3]. فما قام من موضعه حتى جاءَ مَسْرورٌ غلام الرشيدِ فأخذ برأسه.

وقال أبو معشر: لمَّا نزل الرشيدُ بالعُمْر، نزل جعفرٌ عند المأمون، وخرج الرشيدُ في اليوم الذي قتل جعفراً في ليلته إلى الصَّيد وجعفرٌ معه، فجاءَ به وغلَّفه بالغالية بيده وعانقه وقال: قد عزمتُ الليلةَ على الجلوس مع النِّساء، فاخلُ أنت الليلةَ مع نسائك

---

(١) تاريخ الطبري ٨/ ٢٩٥، المنتظم ٩/ ١٣٣، الكامل ٦/ ١٧٧-١٧٨، البداية والنهاية ١٣/ ٦٤٢.
(٢) ما بين معكوفين من تاريخ الطبري والمصادر.
(٣) هو الحكم بن ميمون مولى الوليد بن عبد الملك. انظر ترجمته في الأغاني ٦/ ٢٨٠.

ولذَّ واطرب؛ لتكونَ مثلَ حالي. ومضى هارونُ إلى الصَّيد، وعاد إلى المنزلِ وجعل يبعث بالهدايا والألطافِ إلى جعفرٍ عامَّةَ الليل، ثم بعث إليه مسروراً في آخر الليلِ فقتله.

وقال أبو حسَّان الزِّيادي: إنَّما قتل جعفراً ياسرٌ الخادم، جلس هارون على كرسيٍّ وقال لياسر: اِذهب فأتِني بجعفر، فجاء وعنده أبو زكَّارٍ الأعمى وهو يغنِّيه: [من مجزوء الرمل]

ما يُريد الناسُ منَّا ما ينامُ الناسُ عنَّا
إنَّما همُّهمُ أنْ يُظهروا ما قد دفنَّا[1]

فهابه ياسر، فرجع إلى هارونَ، فقال: ويحك أَندُبك لأمرٍ ما ندبتُ إليه أعزَّ مَن عندي وتتوقَّف! واللهِ لَئن لم تأتِني برأسه لأقتلنَّك.

فرجع إلى جعفرٍ وجاء به إلى باب الدِّهليز، وقال لياسر: هو سكران، فشاوِرْه في حضوري بين يديه. فدخل فشاوره، فقال: إنْ حضر عندي لم أقتلْه، أُخرج فأتِني برأسه، وسمعه جعفر، فأَخرج منديلاً من كمِّه فعصب به عينَيه ومدَّ عنقَه، فضربه ياسرٌ فأبان رأسَه، ودخل به إليه، فقال هارونُ لبعض غِلمانه: اِضرب عنقَ ياسر؛ فإنِّي لا أَقدر أن أنظرَ إلى مَن قتل جعفراً، فضرب عنقَه.

وكان قتلُه ليلةَ السبتِ أولَ ليلةٍ من صفرٍ سنةَ سبعٍ وثمانين ومئة، هو ابنُ سبعٍ وثلاثين سنة، وكانت وِزارتُه سبعَ عشرةَ سنة.

وقال الأصمعيّ: كنت تلك الليلةَ في المعسكر، فاستدعاني هارونُ في تلك الساعةِ، فدخلتُ عليه وهو مُطرِقٌ واجمٌ قد ذهب نشاطُه، فرفع رأسَه إليَّ وقال: [من الكامل]

لو أنَّ جعفرَ خاف أسبابَ الرَّدى لَنجا بمُهْجَته طِمِرٌّ[2] مُلْجَمُ

(١) مروج الذهب ٦/ ٣٩٥، ووفيات الأعيان ١/ ٣٣٨، ومرآة الجنان ١/ ٤٢١.
(٢) في (خ): فنجا، والمثبت من مروج الذهب ٦/ ٣٩٩، ووفيات الأعيان ١/ ٣٣٩، ومختصر تاريخ دمشق ٦/ ١٠٧، والطمر: الفرس الجواد. القاموس (طمر).

ولَكان مِن حَذَرِ المَنون بحيث لا يرجو اللَّحاقَ به الغرابُ الأَعْصَم[(١)]
لكنَّه لمَّا تقارب يومُه لم يَدفع الحَدَثان عنه مُنَجِّم

ثم أمر بكشف الطَّشت، فإذا فيه رأسُ جعفرِ بن يحيى، فقال: انظره، ثم قال: قُمْ فاخرج.

وقال ثُمامَةُ بن أَشْرَس: بتُّ ليلةً عند جعفرِ بن يحيى، فبكى في منامِهِ ثم استيقظ، فسألتُه عن بكائه، فقال: أتاني الساعةَ آتٍ في منامي، فأخذ بعَضَادتَي البابِ وقال: [من الطويل]

كأن لم يكن بين الحَجون إلى الصَّفا أَنيسٌ ولم يَسمُرْ بمكَّةَ سامرُ

فقال مجيباً له:

بلى نحن كنَّا أهلَها[(٢)] فأَبادنا صُروفُ الليالي و الجُدودُ العَواثرُ[(٣)]

فما مضت الأيامُ حتى قُتل رحمه الله.

ولمَّا قُتل جعفر، أمر هارونُ في تلك الليلةِ أن يُحتاطَ على يحيى بنِ خالدٍ وولدِه ومواليه ومَن يلوذ به، ويُحْبَسَ هو وولدُه الفضل، وأخذ ما وجد لهم من مالٍ وضِياع ومتاعٍ ودوابَّ وغيرِ ذلك، ووجَّه من ليلته إلى الرقَّة فقبض ما كان لهم.

وقال سهلُ بن هارون: كنت قاعداً أكتب بين يدي يحيى بنِ خالد، وإذا برجلٍ قد دخل فقال: قَتل هارونُ جعفراً، فما زاد يحيى على أنْ رمى القلَم من يده وقال: هكذا تقوم الساعةُ بَغْتَةً.

وضمَّ هارون من وقته يحيى بنَ خالدٍ والفضلَ ومحمَّداً وخالداً بني يحيى، وعبدَ الملك ويحيى وخالداً بني جعفر، والعاص ومزيداً وخالداً بني الفضل، وجعفراً وزيداً ابنَي محمَّد بن يحيى، وإبراهيمَ ومالكاً وجعفراً وعُمرَ بني خالدِ بن يحيى، وبعث بهم إلى الرَّقة.

---

(١) في الوفيات ومختصر تاريخ دمشق: القشعم. والأعصم: الأحمر الرجلين والمنقار، أو الذي في جناحه ريشة بيضاء. والقشعم: الضخم. القاموس المحيط (عصم)، (قشعم).

(٢) في (خ): أهلنا، والمثبت من مختصر تاريخ دمشق ٦/ ١٠٥، والبداية والنهاية ١٣/ ٦٥٧.

(٣) في (خ): الغوابر.

قال سهل: واستدعاني هارونُ في الوقت، فدخلت عليه والسيفُ مَشْهُورٌ في يده، فقال: إيه يا سهلُ، مَن كفر نعمتي وجانب موافقتي أَعجلتُه عقوبتي. قال: فلم أُحِر جواباً، فقال: لِيُفْرِخ رَوْعُك، ويَسْكُن جأشُك، وتَطِب نفسُك، وتسكن حواسُّك؛ فإنَّ الحاجةَ إليك ماسَّة. فاقتصرَ على الإِشارة دون العبارة، ثم أَشار إلى مَصْرَع جعفرٍ وقال: [من مجزوء الكامل]

مَن لم يُؤدِّبْه الجميلُ، ففي عُقوبته صَلاحُهْ[1]

وبعث هارونُ بجيفة [جعفر] إلى بغدادَ مع هَرْثَمةَ بنِ أَعيَن، وقُطِّعت جثَّته، فنُصب رأسُه على الجسر الأَوسط، وقطعةٌ منه على الجسر الأعلى، وقطعةٌ منه على الجسر الأَسفل، وكتب هارونُ إلى السِّنْديِّ فتولى ذلك، وأمر بالنِّداء: لا أمانَ لمن آوى البرامكة، إلَّا لمحمَّد بن خالدٍ وولدِه وحَشَمه؛ لأنَّ محمَّداً لم يدخل فيما دخل فيه غيرُه من البرامكة، وحمل يحيى بنَ خالدٍ وولدَه الفضلَ وبعضَ أهلِه فحبسهم في الدَّير القائمِ بالرَّقة، وجعل عليهم حَفَظَة، وولي أمرَهم هَرْثَمَةُ ومَسْرور.

وقتل هارونُ لمَّا قدم الرقَّة أنسَ بنَ أبي شيخ، وكان أحدَ أصحابِ البرامكة، وكان يُرمى بالزَّندقة، ولمَّا قُتل قال هارون: [من البسيط]

تَلَمَّظ السيفُ من شَوقٍ إلى أنسٍ فالسيفُ يَلْحَظُ والأقدارُ تَنْتَظِرُ[2]

ولم يزل جعفرٌ مَصْلوباً حتى عزم هارونُ على الخروجِ إلى خُراسان، فأمر السِّنديَّ ابنَ شاهك أن يحرقَ جثَّته، فجمع حطباً وشوكاً وأحرقه.

وذكر الصُّولي فقال: اِفْتَصَد جعفرٌ في يوم الثُلاثاء، فخلع على نُدمائه وخواصِّه خِلَعاً بلغت سبعةَ عشرَ ألفَ دينار، فوجد ذلك في دفاتر الحسابِ، وتحته مكتوب: سبعةُ دراهمَ اشترى بها نفطاً لِإحراق جثَّته، فقال الناسُ: إنَّ في ذلك لَعِبرة.

وقال سهلُ بن هارون: دخل الرشيدُ بغدادَ بعد قتل جعفرٍ وصلبِه، وأنا عن يمينه

---

(١) العقد الفريد ٥/ ٥٩_٦٠.

(٢) تاريخ الطبري ٨/ ٢٩٧، والبيت لصريع الغواني مسلم بن الوليد، وهو في ذيل ديوانه ص٣١٤.

وعبدُ الملك بنُ الفضلِ عن يساره وجعفرٌ مصلوب، فاستقبلنا عينَ الشمس وكأنَّها طلعت من وجه جعفرٍ أو من حاجبه، فاربدَّ وجهُ هارون، فقال له عبدُ الملك: لقد عَظُم ذَنْبٌ لم يَسَعْه عفوُ أميرِ المؤمنين، فقال هارون: مَن وَرَد غيرَ مائه صدر بدائه، ومَن يعملْ على شاكلته يوشكْ أن يقومَ على راحلته(١). ثم أمر بالنِّفط، فأُحرق وهو يقول: لَئن ذهب أَثَرُك لقد بقي خَبَرُك، ولَئن حُطَّ قدرُك لقد علا ذِكرُك.

وقال هشام: ودخل أبو الهيثمِ على يحيى بنِ خالدٍ وهو يقرأ في المصحف، فوقف على رأسه وقال: إنَّه قتل ولدك، فقال: يُقتل ولدُه، فقال: قد أمر بخراب دارِك، قال: تُخْرَب دورُه. فهتك أبو الهيثمِ السُّتورُ وجمع المتاع، فقال يحيى: هكذا تقومُ الساعة. فعاد أبو الهيثمِ إلى هارونَ فأَخبره بما قال، فأطرق رأسَه مفكِّراً وقال: إنَّا لله، واللهِ ما قال شيئاً إلَّا ورأيتُه كما قال.

وقال أبو حسَّانَ الزِّيادي: كان هارونُ قد احتاط على آل برمكٍ ليلةَ قتل جعفراً، وأخذهم أخذةً رابيةً، وحبسهم بالرقَّة، وبلغ يحيى فقال: أنا بقضاءِ اللهِ راض، وبالخيرة منه عالم، ولا يؤاخذ اللهُ العبادَ إلَّا بذنوبهم، وما ربُّك بظلَّام للعبيد، وما يعفو عنه أكثرُ ولله الحمد.

ذِكر أقوالِ النَّاس في البرامكةِ ومراثيهم:

قال سعيدٌ الزُّهريُّ: لمَّا صُلب جعفرٌ وقف الرَّقاشيُّ الشاعر فقال(٢): [من الوافر]

هَذَا الخالونَ مِن شَجْوي فناموا وعيني ما يَلَذُّ لها المنامُ
وهذا جعفرٌ بالجِسْر تمحو مَحاسِنَ وجهِه ريحٌ قَتَامُ

(١) في العقد الفريد ٥/ ٦١: ومن أراد فهم ذنبه يوشك أن يقوم على مثل راحلته.

(٢) الأغاني ١٦/ ٢٤٨-٢٤٩، تاريخ بغداد ٨/ ٣٧، المنتظم ٩/ ١٣٦، الحماسة البصرية ١/ ٢٥٣، وفيات الأعيان ١/ ٣٤٠، مرآة الجنان ١/ ٤٢٢.

وقد نسبت الأبيات في تاريخ بغداد ٨/ ٣٦-٣٧، ومختصر تاريخ دمشق ٦/ ١٠٤-١٠٥ لأبي قابوس النصراني، ونسبها الطبري في تاريخه ٨/ ٣٠١ لأبي عبد الرَّحمن العطوي، ونسبها صاحب العقد الفريد ٥/ ٧٠ لسليمان الأعمى. وقال المرزباني في معجمه ص١٨١: وقد رويت لأبي قابوس الحيري، والصحيح أنها للرقاشي. اهـ.

أقولُ له[١] وقمتُ لديه نَصْباً ... إلى أنْ كاد يَفْضَحُني القِيام
أَمَا واللهِ لولا خوفُ واشٍ ... وعينٌ للخليفة لا تنام
لَطُفْنا حولَ جِذعِك واستلَمْنا ... كما للنَّاس بالحَجَر استلام
فما أبصرتُ قبلَك يا ابنَ يحيى ... حساماً فلَّه السَّيفُ الحُسام
أمرُّ به فيَغْلِبُني بُكائي ... ولكنَّ البكاءَ له اكْتِتام
على اللذَّات والدُّنيا جميعاً ... لدولة آلِ برمكٍ السَّلام

وبلغ الرشيد، فأَحضره وقال: ما حَمَلَك على ما صنعت؟ فقال: تحرَّكت نعمتُه في قلبي فلم أَصبر، فقال: كم أعطاك؟ فقال: كان يُعطيني في كلِّ سنة ألفَ دينار، فأَمر له بألفَي دينار.

وقال مصعبُ بن عبد الله: لمَّا قُتل جعفرٌ وصُلب بباب الجسر، جاءت امرأةٌ على حمارٍ فارِه، فوقفت عليه وقالت بلسانٍ فصيح: أَمَا واللهِ لَئن صرتَ اليومَ آية، لقد كنتَ في المكارم الغاية، ولَئن زال مُلكُك وخانَك دهرُك، لقد كنتَ المَغْبوطَ حالاً، الناعمَ بالاً، ولقد استعظم الناسُ فَقْدَك، حيث لم يجدوا بعدك مثلَك، فنسأل اللهَ الصبرَ على عظيم الفجيعة، وجليلِ الرزيَّة، فعليك منِّي السلام، وداعَ غيرِ قالٍ ولا ناسٍ لذكرِك. ثم أنشأتْ تقول: [من الطويل]

فلمَّا رأيتُ السيفَ خالط جعفراً ... ونادى مُنادٍ للخليفة في يحيى
بكيتُ على الدُّنيا وأيقنتُ أنَّما ... قُصارى الفتى يوماً مُفارقةُ الدنيا
وما هي إلَّا دولةٌ بعد دولةٍ ... تُخوِّل ذا نُعمى وتُعقِب ذا بلوى
إذا نزَّلَتْ هذا منازلَ رِفعةٍ ... من المُلْك حطَّت ذا إلى الغاية القُصوى[٢]

ثم حرَّكت حمارَها، فكأنَّها كانت ريحاً لم يُعرف لها أثر.

وفيه يقول الرَّقَاشيُّ الشاعر: [من الطويل]

---

(١) في (خ): لديه، وهو خطأ.

(٢) تاريخ بغداد ٨/ ٣٨، والمنتظم ٩/ ١٣٧. والبيتان الأولان لدعبل الخزاعي كما في العقد الفريد ٥/ ٧٠، والوافي بالوفيات ١١/ ١٦٢، وذيل ديوانه ص١٩٤. وقد جعلها كلها له ابن خلكان ١/ ٣٤٠-٣٤١.

أيا[١] سبتُ يا شرَّ السُّبوت صَبيحةً ... ويا صَفَرُ المشؤومُ ما جئتَ أشأما
أتى السبتُ بالأمر الذي هَدَّ رُكْنَنا ... وفي صفرٍ جاء البلاءُ مُصَمِّما

وله، ويقال إنَّها لأبي نُواس[٢]: [من الطويل]

الانَ[٣] استَرَحْنا واستراحت رِكابُنا ... وأمسكَ مَن يُجدي ومَن كان يَجتدي
فقل للمطايا قد أَمِنتِ من السُّرى ... وطَيِّ الفَيافي فَدْفَداً بعد فَدْفَدِ
وقل للعطايا بعد فَضْلٍ تعطَّلي ... وقل للرَّزايا كلَّ يومٍ تَجَدَّدي

وقال الرَّقَاشي: [من الكامل]

يا آلَ بَرْمَكَ كم لكُمْ من نائلٍ ... ونَدًى كعَدِّ الرَّمْلِ غيرَ مُصَرَّدِ[٤]
إنَّ الخليفةَ لا يُشَكُّ أخوكمُ ... لكنَّه في بَرْمَكٍ لم يولَدِ
نازعتموه رَضاعَ أكرمِ حُرَّةٍ ... مَخْلوقةٍ من جوهرٍ وزَبَرجد
كانت يداً للجود حتى غلَّها ... قَدَرٌ فأضحى الجودُ مَغْلولَ اليد[٥]

وقال أبو العتاهِيَة: [من المنسرح]

قولا لمَن يرتجي الحياةَ أَمَا ... في جعفرٍ عِبرةٌ ويَحْياهُ
كانا وزيرَي خليفةِ اللهِ ها ... رونَ هما ما هما خليلاه
فذاكمُ جعفرٌ برُمَّته ... في حالقٍ رأسُه ونصفاه
والشيخُ يحيى الوزيرُ أصبح قد ... نحَّاه عن نفسِه وأقصاه
شتَّت بعد التجميعِ[٦] شملَهمُ ... فأصبحوا في البلادِ قد تاهوا

(١) في (خ): يا، والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ٣٠٠.
(٢) كذا في تاريخ الطبري ٨/ ٣٠٠ على التردد، والأبيات ليست في ديوان أبي نواس، وقد نسبها للرقاشي صاحب ديوان المعاني ٢/ ١٧٩، والتذكرة الحمدونية ٤/ ٢٠٩-٢١٠، ووفيات الأعيان ١/ ٣٤٦، ونسبها المسعودي في مروج الذهب ٦/ ٤٠٢ لأشجع السلمي.
(٣) في (خ): لئن، وهو خطأ.
(٤) التصريد: التقليل. القاموس المحيط (صرد).
(٥) تاريخ الطبري ٨/ ٣٠١.
(٦) في (خ): الجميع، والمثبت من تكملة الديوان ص٦٦٧، وتاريخ الطبري ٨/ ٣٠٢.

كـذاك[١] مَـن يُـسـخـط الإلـهَ بـمـا يُـرضـي بـه الـعـبـدَ يَـجـزِه الله
سـبـحـانَ مَـن دانَـتِ الـمـلـوكُ لـه أشـهـد أنْ لا إلـه إلَّا هـو[٢]
طـوبَـى لـمَـن تـاب بـعـد[٣] غِـرَّتـه فـتـاب قـبـلَ الـمـمـاتِ طـوبـاه

ووُجد على قصر عليِّ بن عيسى بنِ ماهانَ بخُراسانَ صبيحةَ اليومِ الذي قُتل فيه جعفرٌ مكتوباً: [من السريع]

إنَّ الـمَـسـاكـيـن بـنـي بَـرْمَـكٍ صُـبَّـت عـلـيـهـم غِـيَـرُ الـدَّهـرِ
إنَّ لـنـا فـي أمـرهـم عِـبْـرَةً فـلْـيـتَّـعـظْ سـاكـنُ ذا الـقـصـر[٤]

ووُجد مكتوباً على قصر الفضلِ بن الربيع: [من الخفيف]

مـا رعـى الـدَّهـرُ آل بـرمـكَ لـمَّـا أنْ رمـى مُـلْـكَـهـم بـأمـرٍ فَـظـيـع
إنَّ دهـراً لـم يَـرْعَ حـقًّـا لـيـحـيـى لـم يـكـن راعـيـاً لآل الـرَّبـيـع[٥]

وقال أَشْرَسُ بن ثُمامَة: [من الكامل]

فـي آل بـرمـكَ عِـبـرةٌ لـكـمُ لـو كـان يَـعـمـل فـيـكـم الـفِـكـرُ[٦]
مَـنَـحَـتـهـم الـدُّنـيـا خـزائـنَـهـا واخـتـصَّـهـم بـصـفـائـه الـدَّهـر
حـتـى إذا بـلـغـوا الـسُّـهـا شَـرَفـاً عـزًّا[٧] وقـصَّـر عـنـهـم الـفـخـر
عـزَّ[٨] الـزمـانُ بـهـم فـجـعـفـرُهـمْ بـعـدَ الـحِـجـابِ مـحـلُّـه الـجِـسـر
وتـمـزَّقـوا مـن بـيـن مُـصـطَـلَـمٍ ومُـكَـبَّـل قـد ضـمَّـه الأَسْـر

---

(١) في (خ): كذا.
(٢) في (خ): إلا الله.
(٣) في (خ): لمن مات قبل، والمثبت من الطبري ٨/ ٣٠٢.
(٤) مروج الذهب ٦/ ٣٩٩-٤٠٠، والتذكرة الحمدونية ٩/ ٣٢٣، ووفيات الأعيان ١/ ٣٤٠، ومرآة الجنان ١/ ٤٢٢.
(٥) البيتان لأبي حزرة الأعرابي أو لأبي نواس كما في مروج الذهب ٦/ ٤٠٣-٤٠٤، ووفيات الأعيان ٤/ ٣٨، والوافي بالوفيات ٢٤/ ٣٩. وهما في البيان والتبيين ٣/ ٣٥٢ دون نسبة.
(٦) في مختصر تاريخ دمشق ٦/ ١٠٥:
فـي آل بـرمـك لـلـورى عـظـة لـو كـان يـعـمـل فـيـهـم الـفـكـر
(٧) في (خ): وعزًّا، وفي مختصر تاريخ دمشق: حقًّا.
(٨) في (خ): غير.

وقال إِسحاقُ الموصلي : خرج هارونُ ليلةً فوقف على الجسر، وأَومأَ إلى جثَّة جعفرٍ وقال: [من المتقارب]

تـقـاضـاكَ دهـرُكَ مـا أَسْـلَـفـا وكُـدِّر عـيـشُـك بـعـد الـصَّـفـا
فـلا تَـعْـجَـبَـنَّ فـإنَّ الـزَّمـانَ رَهـيـنٌ بـتـفـريـق مـا أَلَّـفـا[1]

قال إِسحاق: فلمَّا نظرتُ إلى جعفرٍ على تلك الحال، حرَّكتني أَياديه، فقلت: لَئِن أصبحتَ للناس آية، لقد كنتَ في الجود الغاية. فغضب هارون، ونظر وهو كالجَمَل الصَّؤول وقال: [من السريع]

مـا يَـعْـجَـبُ الـعـالَـمُ مـن جـعـفـرٍ مـا عـايَـنـوه فـبـنـا كـانـا
مَـن جـعـفـرٌ أو مَـن أبـوه ومَـن كـانـت بـنـو بَـرْمـكَ لـولانـا[2]

وكان هارونُ إذا ذكر قولَ جعفرٍ: [من الخفيف]

فـاغـتـبِـقْ واصـطَـبِـحْ فـقـد صـانـنـي الـلـهُ إذ صُـنـتَـنـي مـن الـحَـدَثـانِ[3]

يقول: واللهِ ما صانه من الحَدَثان، ولقد كَمَنتُ له كُمونَ الأُفْعُوانِ في أُصول الرَّيحان، حتى إذا جاءه الشَّمُّ تلقَّاه بالسَّمّ.

وقال سهلُ بن هارون: استصفى الرشيدُ أموالَ البرامكة، وأُحصيت فكانت ثلاثين ألفَ ألفٍ وستَّ مئة وستِّين ألفاً، غيرَ الجواهرِ والمتاع والحُليِّ والثيابِ والدوابّ، وصار حَرمُهم يعيشون في صدقات مَن عاش في صدقاتهم.

وقال أبو الفضلِ ميمونُ بن هارون: حَدثتني أميةُ البرمكيةُ قالت: الناسُ يُكثرون في قصَّة البرامكة، وأَوكد الأسبابِ فيما نالهم أنَّ جعفرَ بن يحيى اشترى جاريةً مغنيةً يقال لها فنفنة[4]، لم يكن لها في الدُّنيا نظيرٌ في الغناء وحُسنِ الخلق وسخاوةِ النَّفس، وكان

(١) مختصر تاريخ دمشق ٦/ ١٠٦ . وقد نسبهما المرزباني في معجمه ص٣٥٥ لمحمد بن يحيى اليزيدي، ونقله عنه الصفدي في الوافي٥/ ١٨٣-١٨٤. ونسبهما الصولي في أشعار أولاد الخلفاء من كتاب الأوراق ص٨٤ لعبد الله بن موسى الهادي.

(٢) مختصر تاريخ دمشق، والبداية والنهاية ١٣/ ٦٥٧ .

(٣) غرر الخصائص الواضحة ص٤٤٤، والوافي بالوفيات ١١/ ١٦٤ باختلاف في الرواية.

(٤) في (خ): فتنة، وفي مطبوع المنتظم ٩/ ١٣٠ : فتينة، والمثبت موافق لنسخة الأصل منه، وللبداية والنهاية ١٣/ ٦٤٥ .

ابنُ جامعٍ إذا سمعها بكى ما دامت تغنِّي، وكان شراؤها على جعفرٍ مئةَ ألفِ دينار، فطلبها الرشيدُ منه، فلم يدفعْها إليه. فلم يكن إلَّا قليلٌ حتى نزل بهم ما نزل، وأُخذت الجاريةُ في جملة مَن أُخذ وجُمع الجواري العوامل.

قالت أمية: ثم إنَّ الرشيدَ جلس لنا، فأُدخلنا عليه وبيد كلٍّ واحدةٍ منَّا ما تعمل به، فأَقبلَ يأمر كلَّ واحدةٍ واحدِة فتغنِّي، حتى بلغ إلى فنفنة، فقال لها: غنِّي، فامتنعت وقالت: أمَّا بعد السادةِ فلا، فقلنا لها ونحن نُرْعَد من الخوف: ويحكِ غنِّي، فأَسْبَلَتْ دَمْعَها، فنظر هارونُ إلى أقبحِ مَن على رأسه ـ وهو الحارثُ بن سحر[1] ـ وقال: خذها فقد وهبتُها لك، فأخذ بيدها وأَقامها. فلما ولَّى الحارث، دعاه فأسرَّ إليه سرًّا ألَّا يَقربَها، عَلِمنا بعد ذلك، ومكثنا أيَّاماً، فاستحضرنا وقال للحارث: أين فلانة؟ فأَحضرها، وقال لها: غنِّي، قالت: أمَّا بعد السَّادة فلا. فأمر بإِحضار السيفِ والنِّطع، وقال للسيَّاف: إذا أشرتُ إليك فاقتلها، وقال لها: غنِّي، فبكت وقالت: أمَّا بعد السادةِ فلا، ولم يبقَ إلَّا أن يشيرَ إلى السيَّاف، فقلنا لها: ويحك غنِّي، وناشدناها اللهَ في نفسها، فأَخذت العودَ واندفعت تقول: [من المنسرح]

لـمَّـا رأيـتُ الـدِّيـارَ قـد دَرَسَـت   أيـقـنـتُ أنَّ الـنَّـعـيـمَ لـم يَـعُـدِ

قال: فوثب الرشيدُ قائماً وأخذ العودَ من يدها، وأَقبل يضرب وجهها ورأسَها حتى تفتَّت، وجرت الدِّماءُ على وجهها وثيابِها، وحُملت من بين يديه، فمكثت ثلاثاً ثم ماتت رحمها اللهُ تعالى.

وقال محمَّد بن عبد الرَّحمنِ الهاشمي: دخلتُ على أمِّي في يومِ أَضحى وعندها امرأةٌ بَرْزَةٌ في أثوابٍ رَثَّة، فقالت لي: أَتعرف هذه؟ قلت: لا، قالت: هذه عُبادةُ أمُّ جعفرِ بن يحيى. فسلَّمتُ عليها ورحَّبت بها، وقلتُ لها: حدِّثيني ببعض أمرِكم، فقالت: أَذكر لك جملةً كافية [فيها][2] اعتبار لمَن اعتبر، وموعظةٌ لمن فكَّر، لقد هجم عليَّ مثلُ هذا العيدِ وعلى رأسي أربعُ مئةِ وصيفةٍ، وأنا أَزعم أنَّ ابني جعفراً لي عاقّ، وقد أتيتُكم اليومَ أسألكم جِلدَ شاتَين أجعل أَحدَهما شِعاراً والآخَر دِثاراً.

---

(١) كذا في (خ)، وفي المنتظم ٩/ ١٣٠: بسيحر.
(٢) زيادة من مختصر تاريخ دمشق ٦/ ١٠٥.

وكان جعفرٌ مُحْسِناً إلى العلماءِ؛ مثلِ سفيانَ بن عيينةَ والفضيلِ بن عياضٍ والأصمعيّ، ولمَّا قُتل جعفر، بكى سفيانُ بن عيينةَ وقال: اللهمَّ كان قد كفاني مؤونةَ الدُّنيا فاكفِه مؤونةَ الآخرة.

وقال العُتْبي: قال الرشيدُ بعد البرامكة: وَدِدتُ واللهِ أنِّي شوطرتُ عُمري، وغَرِمت نصفَ مُلكي؛ وأنِّي تركتُ البرامكةَ على أمرهم، لعن اللهُ مَن أغراني بهم؛ فإنِّي واللهِ ما وجدتُ راحةً بعدهم ولا رأيت خيراً.

وكان هارونُ قد ولَّى الفضلَ بن يحيى خراسان، ثم عزله بعليِّ بن عيسى بنِ ماهان، وكان عليٌّ زوجَ ابنةِ يحيى بنِ خالد، وكان عدواً للفضل بنِ يحيى وإخوتِه، فجمع عليٌّ أموالَ خراسانَ واتَّخذ أكياساً حُمْراً وصُفراً وخُضراً، وجعل في كلِّ كيسٍ ألفَ درهمٍ وألقاها في دار العامَّة، وخرج هارونُ فنظر إليها فأَعجبته، فقال ليحيى: يا أبي، أين كان أخي الفضلُ عن هذه الأموال؟ فقال له يحيى: إنَّ الفضل وفَّر هذه الأموالَ على أَربابها وأعطاهم أموالَه زيادةً عليها ليتمسَّكوا بطاعتك، ويكونوا عُدَّةً لك على عدوِّك، وهذه أموالُ قومٍ قد ظلموا وعَدَوا، واللهِ لَتُنفقنَّ مكانَ كلِّ درهمٍ ديناراً، ثم لا يُغنيك ذلك حتى تباشرَ الأمرَ بنفسك، ولا يُغني ذلك.

فلمَّا خرج رافعُ بن الليثِ على هارونَ بعدما نكب البرامكة، بعث إليه الجيوشَ ورافعٌ يهزمها، وأَنفق مكانَ كلِّ درهمٍ دنانيرَ ولم يُفِده ذلك شيئاً، حتى خرج بنفسِه إلى خراسان، فمات في تلك اللَّيلة، فكان يتأسَّف على البرامكةِ ويقول: لعن اللهُ مَن أَغراني بهم.

الفُضَيْل بن عِياضٍ رحمةُ اللهِ عليه

أبو عليٍّ، التَّميميُّ، اليَرْبوعيّ[1]. من الطبقة الخامسةِ من أهل مكَّة.

وُلد بخراسان بكُورة أَبِيْوَرْد، وقدم الكوفةَ وهو كبير، فسمع بها الحديثَ من منصور ابنِ المعتمر وغيرِه، ثم انتقل إلى مكَّة، فأقام يتعبَّد بها إلى أن مات في أوَّل سنةِ سبعٍ

(١) طبقات ابن سعد ٨/ ٦١، طبقات الصوفية ٦، حلية الأولياء ٨/ ٨٤، تاريخ دمشق ٥٨/ ١١٩، المنتظم ٩/ ١٤٨، صفة الصفوة ٢/ ٢٣٧، مناقب الأبرار ١/ ٤١، تاريخ الإسلام ٤/ ٩٤٢، السير ٨/ ٤٢١.

وثمانين ومئة.

وكان ثقةً ثبتاً فاضلاً عابداً وَرِعاً كثيرَ الحديث، وهو أحدُ العلماءِ الزهَّاد والفتيان.

ويقال: إنَّه وُلد بسَمَرْقَنْد، ورأيتُ[1] فيها عشرةَ آلافِ جَوزةٍ بدرهم.

ويقال: نهرُ عياض منسوبٌ إلى أبيه عياضِ بن مسعودِ بن بِشر، وبينه وبين مَرْوَ نصفُ فَرْسَخ.

وكان الفضيلُ شاطراً يقطع الطريقَ بين أَبِيْوَردَ وسَرْخَس.

ذِكر توبتِه:

قال ابنُ خميس[2]: كان يَهوَى جارية، فبينا هو ذاتَ ليلةٍ يرتقي إليها الجُدْران، إذ سمع قارئاً يقرأ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ﴾ الآية [الحديد: ١٦] فقال: بلى قد آن. ورجع، فآواه الليلُ إلى خَرِبة، فإذا فيها رُفْقَةٌ يقولون: إنَّ أمامَكم رجلاً يقطع الطريقَ يقال له: الفُضيل، فسمع الفُضيل، فأُرعِد وقال: يا قوم، أنا الفُضيل، جُوزوا، وواللهِ لأَجهدنَّ ألَّا أعصيَ اللهَ أبداً. ورجع عمَّا كان عليه.

وقيل: إنَّه سمع امرأةً تقول لابنها في القافلةِ وهو يبكي: أُسكت، لا يسمعْك الفضيل، فقال: ويلي! وبلغ من أمري أنَّ النساءَ يعيِّرن أولادهنَّ بي. فتاب ونَسَكَ.

ذِكرُ طَرَفٍ من أخبار الفضيل:

قال إبراهيمُ بن الأَشعث: سمعت الفضيلَ ليلةً يقرأ سورةَ محمَّد، ويبكي ويردِّد هذه الآية: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ﴾ [الآية ٣١] ويقول: إنْ بلوتَ أخبارَنا فضحْتَنا وهَتَكْتَ أستارَنا، إنْ بلوتَ أخبارَنا أهلكتنا وعذَّبتنا.

وسمعته يقول: تزيَّنتَ للناس وتصنَّعتَ لهم وتهيَّأت، ولم تزل تُرائي حتى عرفوك، فقالوا: رجلٌ صالح، فقضَوا لك الحوائج، ووسَّعوا لك المجالس، وعظَّموك، سَوءةً لك ما أسوأَ حالَك إنْ كان هذا شأْنَك.

وسمعته يقول: إنْ قدرتَ ألَّا تُعرفَ فافعل، وما عليك ألَّا تُعرف، وما عليك إنْ لم

---

(١) القائل هو الفضيل. انظر طبقات السلمي ص٨، وتاريخ دمشق ٥٨/ ١٢٥ .

(٢) في مناقب الأبرار ١/ ٤١.

يُثْنَ عليك، وما عليك أن تكونَ مَذْموماً عند الناسِ إذا كنت عند اللهِ محموداً.

وقال الفيضُ بن إسحاق: سمعتُ الفضيلَ يقول: لو قيل لك: يا مُرائي، لغضبتَ وشقَّ عليك، وعساه قال حقاً، تزيَّنتَ للدنيا من حبِّك لها، وتصنَّعتَ حتى عرفوك الناسُ فأكرموك، وإنَّما عرفوك بالله، ولولا ذلك لَهُنتَ عليهم، تَزَيَّنْتَ لهم بالصُّوف فلم ترهم يرفعون بك رأساً، فتزيَّنت لهم بالقرآنِ فلم ترهم يرفعون بك رأساً، فتزيَّنْت بشيءٍ بعد شيءٍ، كلُّ ذلك إنَّما لحبِّ الدنيا.

وقال منصورُ بن عمار: تكلَّمتُ في المسجد الحرامِ فذكرتُ شيئاً من صفة النَّار، فصاح الفضيلُ بن عياضٍ ووقع مغشيًّا عليه.

وكان الفضيلُ يقول: لو خُيِّرتُ بين أن أعيشَ كلباً وأموتَ كلباً لاخترتُه.

وقال مِهران بن عمر(١) الأَسدي: سمعتُ الفضيلَ عشيةَ عرفةَ بالمَوْقف يقول وقد حال البكاءُ بينه وبين الدُّعاء: واسوأتاه منكَ وإنْ عفوتَ أو غَفرتَ.

وقال سعدُ بن زنبور(٢): كنَّا على باب الفضيلِ بن عياضٍ، فاستأذنَّا عليه، فلم يؤذنْ لنا، فقيل لنا: إنَّه لا يخرج إليكم أو يسمعَ القرآن، وكان معنا رجلٌ مؤذِّن، وكان صبيًّا، فقلنا له: اِقرأ، فقرأ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ①﴾ ورفع صوتَه، فأَشرف علينا الفضيلُ وقد بكى حتى بلَّ لحيتَه بدموعه، فقال: [من المتقارب]

بلغتُ الثَّمانينَ أو جُزْتُها ... فماذا أُؤمِّل أو أَنتظرْ

أَتى لي ثمانونَ من مولدي ... وبعدَ الثمانين ما يُنْتَظر

عَلَتْني السِّنون فأبْلَيْنني

ثم خنقته العَبْرة، وكان معنا عليُّ بن خَشْرَم، فأتمَّه لنا فقال:

فرقَّتْ عظامي وكلَّ البَصَرْ

وأخذ الفضيلُ بيد سفيانَ بنِ عُيينةَ وقال: إنْ كنتَ تظنُّ أنَّه قد بقي على وجه الأرضِ شرٌّ مني ومنك، فبئس ما تظنّ.

---

(١) في صفة الصفوة ٢/ ٢٣٩: عمرو.

(٢) في (خ): سعيد بن زهور، والمثبت من تاريخ دمشق ٥٨/ ١٨٦، وصفة الصفوة ٢/ ٢٣٩.

وكان يقول: إني لأَعصي الله فأَعرف ذلك في خُلُق حماري وخادمي.

ذِكرُ عبادتِه رحمةُ اللهِ عليه:

كان يُلقَى له حَصيرٌ باللَّيل في مسجد، فيصلِّي ويغلبه النَّوم، فينام ساعة، ثم يقوم فيتوضَّأ ويصلِّي، فيغلبه النَّوم، فيتوضَّأ ويصلِّي، فلا يزال كذلك حتى يُصبح. وكان يختم القرآنَ في كلِّ ليلة.

ذِكر قصَّته مع هارونَ الرشيد(١):

قال الفضلُ بن الرَّبيع: حجَّ أميرُ المؤمنين، فأتاني، فخرجتُ إليه مُسْرعاً وقلت: يا أميرَ المؤمنين، لو أرسلتَ إليَّ لأَتيتُك، فقال: وَيْحَكَ يا عبَّاسي، قد دخل في نفسي شيءٌ لا يُخرجه من قلبي إلَّا عالمٌ بالله؛ فالتمسْ لي رجلاً أسأله، فقلت: ها هنا سفيانُ ابن عُيينة، فقال: امضِ بنا إليه، فأتيناه، فقرعتُ بابه، فقال: مَن ذا؟ قلت: أَجِب أميرَ المؤمنين، فخرج مُسْرعاً فقال: يا أميرَ المؤمنين، لو أرسلتَ إليَّ لأَتيتك، فقال له: خُذْ لِمَا جئناك له رحمك الله. فحدَّثه ساعةً ثم قال له: عليك دَين؟ قال: نعم، فقال لي: يا عباسيُّ اقضِ دَينَه.

فلمَّا خرجنا قال: ما أَغنى عني صاحبُك شيئاً، ولم يُزِل عن قلبي مما حلَّ فيه قليلاً ولا كثيراً، فانظر لي رجلاً أسألُه، فقلت: هاهنا الفضيلُ بن عياض، فقال: امضِ بنا إليه، فأتيناه فإذا به قائمٌ يصلِّي في غرفةٍ له، يتلو آيةً من كتاب اللهِ يردِّدها ويبكي، فقرعتُ الباب، فقال: مَن هذا؟ قلت: أَجِب أميرَ المؤمنين؟! فقال: مالي ولأمير المؤمنين؟! فقلت: سبحانَ الله! أَمَا عليك طاعة؟! فنزل ففتح الباب، ثمَّ ارتقَى إلى الغرفة فأَطفأَ المصباح، ثم التجأَ إلى زاويةٍ من زوايا البيت، فدخلنا، فجعلنا نجولُ عليه بأيدينا، فسبَقَتْ يدُ هارونَ إليه قبل كفِّي، فقال: ما أَلينَها من كفٍّ إنْ نجت غداً من عذابِ الله! فقلتُ في نفسي: لَيكلِّمنَّه الليلةَ بكلامٍ نقيٍّ من قلبٍ نقيّ.

فقال له: خذ لِمَا جئناك له يرحمك الله، فقال الفضيل: إنَّ عمر بنَ عبدِ العزيز لمَّا ولي الخلافةَ، دعا سالمَ بن عبدِ الله بن عمرَ ومحمَّد بن كعبٍ القُرَظيَّ ورَجاءَ بن حَيْوَةَ

(١) حلية الأولياء ٨/ ١٠٥، وتاريخ دمشق ٥٨/ ١٧٣، والمنتظم ٩/ ١٤٩، وصفة الصفوة ٢/ ٢٤٢.

فقال لهم: إنِّي ابتُليت بهذا البلاءِ فأشيروا عليّ، فعدَّ الخلافةَ بلاءً، وعَدَدْتَها أنت وأصحابُك نعمة، فقال له سالم: إنْ أردتَ النجاةَ من عذاب الله، فليكن كبيرُ المسلمين عندك أباً وأوسطُهم أخاً وأصغرُهم ولداً، فوقِّر أباك وأكرِم أخاك وتحنَّن على ولدك[١]، وقال له رجاء: إنْ أردتَ النجاةَ من عذاب الله، فأحبَّ للمسلمين ما تحبُّ لنفسك، ثم مُتْ إذا شئت، وإنِّي أخاف عليك أشدَّ الخوفِ يوماً تَزِلُّ فيه الأقدام، فهل معك رحمك الله ممَّن يشير عليك بمثلِ هذا[٢]؟ فبكى هارونُ بكاءً شديداً حتى غُشي عليه.

قال الفضل: فقلت: يا أبا عليّ، أُرفُق بأمير المؤمنين، فقال: يا ابنَ الربيع، تقتلُه أنت وأصحابُك وأَرْفُقُ به أنا؟ ثمَّ أفاق وقال له: زِدني رحمك الله، فقال: بلغني أنَّ عاملاً لعمرَ بنِ عبد العزيزِ شكي إليه منه، فكتب إليه عمرُ يقول: أمَّا بعد، فإني أذكِّرك طولَ سهرِ أهل النارِ مع خلودِ الأبد، وإيَّاك أن يُنصرفَ بك غداً من بين يدي اللهِ تعالى، فيكون آخرَ العهدِ وانقطاعَ الرجاء، والسلام. فلمَّا قرأ عاملُه الكتاب، طوى البلادَ حتى قدم على عُمر، فقال له: ما الذي أَقدمك؟ فقال: خلعتَ قلبي بكتابك، لا عُدتُ إلى ولايةٍ حتى ألقى اللهَ تعالى.

فبكى هارونُ بكاءً شديداً ثم قال: زدني رحمك الله، فقال: إنَّ العباسَ عمَّ رسولِ الله ﷺ سأل رسولَ اللهِ ﷺ فقال: أمِّرني على إمارة، فقال له النبيُّ ﷺ: «إنَّ الإمارةَ حَسْرةٌ ونَدامةٌ يومَ القيامة، فإن استطعتَ ألَّا تكونَ أميراً فافعل»[٣]. فبكى هارونُ بكاءً شديداً، ثم قال: زدني، فقال: يا حسنَ الوجه، أنت الذي يسألك اللهُ غداً عن هذا الخَلقِ يومَ القيامة، فإن استطعتَ أن تقيَ هذا الوجهَ من النار فافعل، وإيَّاك أن تُمسيَ وتصبحَ وفي قلبك غشٌّ لأحدٍ من رعيَّتك؛ فإنَّ النبيَّ ﷺ قال: «مَن أصبح لهم غاشًّا لم يَرَحْ رائحةَ الجنة»[٤]. فبكى هارونُ وقال له: زدني، فقال: لو سألتَ جميع مَن معك أن يحملوا

(١) في المصادر أن هذا كلام محمد بن كعب، وقد جعله المصنف من كلام سالم؟!

(٢) في (خ): بمثل هارون، والتصويب من المصادر.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٣٣٢١١) والبيهقي ١٠/ ٩٦ عن محمَّد بن المنكدر مرسلاً بلفظ: «يا عباس، يا عم رسول الله، نفس تنجيها خير من إمارة لا تحصيها» وأخرجه البيهقي أيضاً موصولاً عن ابن المنكدر عن جابر ﷺ، وصحح المرسل.

(٤) أخرجه البخاري (٧١٥٠) و(٧١٥١) ومسلم (١٤٢) من حديث معقل بن يسار ﷺ.

عنك خطيئةً من خطاياك لم يفعلوا، وإنَّ أشدَّهم لك حبًّا أشدُّهم منك هرباً، فقال له: زدني، فقال: إنَّ في حكمة آلِ داودَ عليه السلام: وعلى العاقل ألَّا يغفُلَ عن ثلاثِ ساعات: ساعة يُناجي فيها ربَّه، وساعة يُحاسب فيها نفسَه، وساعة يخلو فيها بإخوانه الذين يَصدقونه فيها عن عيوبه.

فقال له: هل عليك دَين؟ قال: نعم، لربِّي لم يحاسبني عليه، فالويلُ لي إنْ سألني، والويلُ لي إنْ ناقشني، والويلُ لي إن لم أُلهَم حجَّتي، فقال هارون: إنَّما أَعني دَينَ العباد، فقال: إنَّ ربِّي لم يأمرْني بهذا، وأمرني أن أوحِّدَه وأُطيعَ أمره، فقال عزَّ وجلّ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ الآية [الذاريات: ٥٦] فقال: هذه ألفُ دينار، خذها فأَنفِقها على عيالك وتقوَّ بها على عبادتك، فقال: سبحانَ الله! أنا أدلُّك على طريق النَّجاةِ وأنت تُقابلُني بمثلِ هذا، سلَّمك الله ووفَّقك.

ثم صمت ولم يكلِّمنا، وخرجنا من عنده، فلمَّا صرنا على البابِ قال هارون: يا عبَّاسي، إذا دللتَني على رجلٍ فدلَّني على مثلِ هذا، هذا سيِّد المسلمين.

قال: فدخلت عليه امرأةٌ من نسائه فقالت: يا أبا عليّ، قد ترى ما نحن فيه من ضيقِ الحال، فلو قبلتَ عطيةَ هذا المال فتفرَّجنا به، فقال: مَثَلي ومثلُكم كمثل قومٍ لهم بعيرٌ يأكلون من كَسْبه، فلمَّا كبر نحروه وأكلوا لحمَه.

فلما سمع هارونُ هذا قال: ندخل فعسى أن يقبلَ المال، فدخل، وخرج الفضيلُ فجلس في السَّطح على باب الغرفة، وجاء هارونُ فجلس إلى جنبه، وجعل يكلِّمه وهو لا يُجيبه، فبينما نحن كذلك، إذ خرجت جاريةٌ سوداءُ فقالت: يا هذا، قد آذيتَ الشيخَ منذ الليلةِ فانصرف، قال: فانصرفنا.

وقال سفيانُ بن عُيينة: حجَّ هارونُ فقال لي: أريد أن أَلقَى الفضيلَ لعل اللهَ أن يُحدِثَ لي عظةً أنتفعُ بها، فقلت: واللهِ إن ذلك لَحبيبٌ إليّ، ولكنه رجلٌ قد أخذ نفسَه بخدمة الله، فما لأحدٍ فيه حظّ، وأكرهُ أن تراه مشغولاً بنفسه فتتوهَّمَ فيه جفاء، وواللهِ إنه الرجلُ الكريمُ العِشرةِ الحسنُ الخلُق، فقال: واللهِ ما عزمتُ على لقائه حتى وطَّنت نفسي على احتمال أخلاقِه، ويحك يا سفيان، إنَّ شرفَ التقوى شرفٌ لا يُزاحَم عليه بإمرةٍ ولا خلافة.

قال سفيان: فأتينا الفُضيل، فأَبلغته ما قال، فقال: إنَّه يُحسن العقلَ لولا ما مُني له من فتنة هذه العاجلة، وإنِّي لَيسرُّني أن ألقاه ويسوءُني أيضاً، أمَّا ما يسرُّني من لقائه؛ فلِمَا أرجو أن يكونَ فيه بعضُ [فائدة][1] كنجاته عن غَيِّه، وأمَّا ما يسوءُني، فإنِّي لم أرَ مثلَه يرفلُ في سوابغ النِّعم وهو عُريانٌ من الشُّكر، ثم قطَّب بين عينيه وقال: وما قَدْرُ مَن كان عاصياً لله حتى أراه، لا حاجةَ لي في لقائه.

قال: فلم أزل أرفُق به حتى أَذِن، فأخبرتُ هارون، فجاءَ ومعه مسرور، فدخلنا ووقف مسرورٌ بالباب، وسلَّم هارون، فوجد منه رائحةَ المسك، فقال: اللهمَّ إنِّي أسألك رائحةَ الخلدِ التي أَعددتَها لأوليائك المتَّقين في جنَّات النَّعيم، ثم تَبادَرَت دموعُه على لحيته وهارونُ واقف، فقلت: يا أبا عليّ، هذا أميرُ المؤمنين واقفٌ يسلِّم عليك، فرفع رأسَه وقال: وإنَّك لَهُوَ يا حسنَ الوجه؟ قال: نعم، قال: اِعلم أنَّ الأحكامَ قد سُلبت فضيلةَ العدل، وظهر في المِلَّة عدوان الأميرين، والكلُّ في صحيفتك يُدْرَج معك في كَفَنك إلى يوم النُّشور.

ثم نهض واستقبل القِبلةَ وقال: اللهُ أكبر، فقلت: يا أميرَ المؤمنين، أمَّا إذا دخل في الصَّلاة، فليس فيه لأحدٍ مَطْمَع. وخرجنا، فقال لي هارون: لولا خَجَلي منك لقبَّلْتُ ما بين عينَيه، فقلت: لَوددت واللهِ أنَّك فعلت ذلك.

وقيل: إنَّ هارونَ لمَّا دخل على الفضيل، قال لابن عُيينة: مَن هذا؟ قال: هو من بني هاشم، وكان ابنُ عيينةَ قد قال لهارون: إنْ علم بك لم يأذنْ لك في الدُّخول عليه، فلمَّا وجد منه رائحةَ الطِّيب عرفه، ثم قال الفضيل: حدَّثني عُبيدٌ المُكْتِب عن مجاهدٍ في قوله تعالى: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ [البقرة: ١٦٦] قال: هي القراباتُ والمَودَّات التي كانت بينهم في الدُّنيا، فبكى هارون.

ولمَّا امتنع الفضيلُ من قَبول المال، قال له هارون: يا أبا عليّ، ما أَزهَدك! قال: أعرف مَن هو أزهدُ مني، قال: ومَن هو؟ قال: أنت، قال: ولِمَ؟ قال: لأنِّي أنا زهدتُ في دنيا فانية، وأنت زهدتَ في الأُخرى الباقية.

---

(١) زيادة يقتضيها السياق، وانظر مناقب الأبرار ١/ ٤٧.

ذِكر نُبذةٍ من كلامه رضي الله عنه:

كان يقول: لو عُرِضت عليَّ الدُّنيا بحَذافيرها على ألَّا أُحاسَبَ عليها، لَتقذَّرتُها كما يتقذَّر أحدُكم الجيفةَ إذا مرَّ بها أن تصيب ثوبَه.

وقال: لو حلفتُ أنِّي مُراءٍ أحبُّ إليَّ من أن أحلفَ أنِّي لست بمراء.

وقال: تركُ العملِ لأجل الناسِ هو الرِّياء، والعملُ لأجلهم هو الشِّرك.

وقال: مَن جلس مع صاحبِ بِدعة، لم يؤتَ الحكمة.

وقال: أحقُّ الناس بالرِّضا عن الله أهلُ المعرفةِ به.

وقال: لا ينبغي لحاملِ القرآنِ أن يكونَ له حاجةٌ إلى أحدٍ من الناس؛ الخلفاءِ فَمن دونَهم، بل ينبغي أن تكونَ حوائجُ الناسِ كلِّهم إليه.

وقال: ما أدرك عندنا مَن أدرك بكثرة صلاةٍ ولا بصيام، ولكن بسخاء النَّفْس، وسلامةِ الصدر والنُّصح للأمَّة.

وقال: مَن عرف الناسَ استراح.

وقال: أَشتهي مرضاً بلا عُوَّاد.

وقال: تباعَدْ من الناس، فإنَّهم إن أحبُّوك مدحوك بما ليس فيك، وإنْ مقتوك شهدوا عليك بما ليس عندك.

وقال: مَن كان بطاعته من اللهِ قريباً، كان بين الخلقِ غريباً، ومَن كان لنفسه في صحَّته طبيباً، كان في مرضه لطبيب الأطبَّاءِ حبيباً.

وقال: جعل الله الشرَّ كلَّه في بيت، وجعل مفتاحهَ حبَّ الدنيا؛ وجعل الخيرَ كلَّه في بيت، وجعل مفتاحَه الزُّهدَ في الدنيا، لأنَّ الراضي لا يتمنَّى فوق منزلتِه منزلة، والزاهد أخير.

وقال: الفُتوَّة: الصَّفحُ عن عَثَرات الإخوان.

وقال: إذا أراد اللهُ أن يُتحفَ عبداً، سلَّط عليه مَن يَظلمه.

وقال: لو أنَّ العبدَ أحسن كلَّ الإحسانِ وعنده دجاجةٌ لم يُحسن إليها، لم يُكتَب من المحسنين.

وقال: لَأَن يصحبَني فاجرٌ حسن الخُلقِ أحبُّ إليَّ من أن يصحبَني عابدٌ سيِّئُ الخلق.

وقال: ليست الدُّنيا دارَ إقامة، وإنَّما أُهبط آدمُ إليها عقوبةً له، أَلَا ترى إلى ما جرى عليه وعلى ذرِّيته إلى يوم القيامة، تارةً بالعُري، وتارةً بالجوع، وتارة بالحاجة إلى الناس، فاللهُ سبحانه مرمرها عليهم، وجعلها دارَ نَصَب، واللهُ سيصنع بذرِّية آدمَ ما يشاء، كما تصنع الوالدةُ بولدها، تارةً تَسقيه صَبِراً[1]، وتارةً دواءً غير مُرّ، وإنَّما تريد بذلك ما هو الأنفعُ له.

وقال: مَن استحوذت عليه الشَّهوات، انقطعت عنه موادُّ التوفيق.

وجلس إليه رجل، فقال: ما الذي أَجلسك إليّ؟ قال: رأيتُك وحدك فجئت لأُؤانسَك، فقال له الفضيل: أنا منذ أربعين سنةً أَستأنس بالوحدة، فإمَّا أن تقومَ عني أو أقومَ عنك، فقال له الرجل: أَوصِني، فقال: أَخفِ مكانَك واحفظ لسانَك.

وقيل له: ما لنا لا نرى خائفاً؟! فقال للسَّائل: لو كنتَ خائفاً لرأيتَ الخائفين، إنَّ الثَّكلى هي التي تحبُّ أن ترى الثَّكالى.

وقال أبو العباسِ خادمُه: احتبس بولُ الفضيل، فرفع يديه وقال: بحبِّي لك إلَّا أَطلقتَه عني، فما بَرِحْنا حتى شُفي.

وقال الفضيل: أَقمتُ ثلاثاً لم أَطْعَم، فدخلتُ مسجداً من مساجدِ الكوفة، فإذا مجنونٌ قد دخل وفي عنقه سلسلةٌ وبيده حَجَرٌ، فقصدني، فخفتُ منه، فقال: [من الطويل]

محلُّ بيانِ الصَّبر منك غريزةٌ[2] فيا ليت شِعري هل لصَبْرك من أَجرِ

قال: فقلت: لولا الرجاءُ لم أصبرْ، فقال: أين محلُّ الصبرِ ومستقرُّ الرجاءِ منك؟ فقلت: موضعُ مستقرِّ همومِ العارفين، فصاحَ وقال: صدقت، ثم قال: أَلَا تسألني عن حالي؟ قلت: بلى، فقال: عرفتُه فاستأنستُ به، وأحببته فارتحلتُ إليه، ثم قال: أَمَا

---

(١) الصبر: الدواء المر، وانظر أقواله في مناقب الأبرار ١/ ٤٢ـ٤٥.

(٢) في (خ) ومناقب الأبرار ١/ ٤٨: عزيزة، وفي طبقات الأولياء لابن الملقن ص٢٦٩: عزيز، والمثبت من تاريخ دمشق ٥٨/ ١٣٦.

علمتَ أنَّ لله عباداً قطعهم الجَزَعُ عن كَلَف الألْسُن، فكَلَّت من غير عِيٍّ عن مجالس الوصفِ خوفاً من العقاب، وإنَّ حاجةَ أحدِهم لَتتردَّد في صدره لا يذكرها مخافةَ شرِّ نفسِه، فأصبحوا في الدُّنيا محزونين، وإلى حبيبهم مشتاقين، عقولٌ صحيحة، وأَلْسُنٌ ذاكرة، وقلوبٌ بالحبيب متعلِّقة، وأرواحٌ في المَلَكوت الأعلى سارحة، ثم ولَّى وهو يقول: [من البسيط]

أَحسنتَ ظنَّك بالأيَّام إذ حَسُنت ... ولم تَخَف شرَّ ما يأتي به الحَذَرُ[(١)]

وسالَمَتْكَ الليالي فاغتَرَرْتَ بها ... وعند صفوِ الليالي يَحْدُث الكَدَرُ

وقال الفضيل: رأيتُ شابًّا بعرفةَ والناسُ يبكون ويتضرَّعون وهو ساكت، فقلت له: أهذا مَوضعُ السُّكوت؟! فقال: يا شيخ، وَحْشَة، فقلت: هذا موضعُ العفوِ عن الذُّنوب، فبسط يَده ووقع ميِّتاً.

ومات لبعض العلماءِ ولد، فعزَّاه الناس، فلم يقبل عزاءً، فجاءه الفضيلُ فقال له: ما تقول في رجلٍ كان له ولدٌ محبوسٌ فأُخرج من السجن، أَيفرح أبوه[(٢)] أم يحزن؟ قال: بل يفرح، قال: فإنَّ ولدَكَ كان محبوساً، وقد أُخرج من السِّجن، وأنت محبوس، فقال: الرجل: تعزَّيتُ واللهِ يا أبا عليّ.

ذِكرُ وفاتِه رحمه الله:

مات في أوَّل سنةِ سبعٍ وثمانين ومئة. وقيل: سنةَ ثمانٍ وثمانين[(٣)]. وقال سفيانُ بن عُيينة: اليومَ مات الحُزنُ من الأرض، ودفن بالمعلَّى، وقبرُه ظاهرٌ يزار.

أسند عن جماعةٍ من التابعين، منهم سفيانُ الثوريُّ، وابن عُيينةَ، والإمام الشافعيُّ، وبِشْرٌ الحافي، وغيرُهم[(٤)].

---

(١) في مناقب الأبرار وطبقات الأولياء: سوء ما يأتي به القدر. والقصة في تاريخ دمشق، إلا أنه روى بيتين آخرين هنا.

(٢) في (خ): أباه.

(٣) لم أقف على هذا القول، وانظر تاريخ دمشق ٥٨/ ١٨٨، والوافي بالوفيات ٢٤/ ٨٠.

(٤) هؤلاء ليسوا بتابعين، وليسوا من شيوخه، بل هم رواة عنه، إلا سفيان الثوري فقد روى عنه وهو من شيوخه، وانظر تهذيب الكمال (٥٣٥٢)، ومصادر ترجمته.

وقال ابنُ المبارك: رأيتُ أعبدَ الناس وأَورعَ الناس، وأعلمَ الناس، وأَفقهَ الناس، أمَّا أعبدُ الناس فعبدُ العزيز بنُ أبي روَّاد، وأما أورعُ الناس فالفضيلُ بن عياض، وأمَّا أعلم الناس فسفيانُ الثوري، وأما أفقهُ الناسِ فأبو حنيفة.

وكان سفيانُ بن عيينةَ يقبِّل يدَ الفضيلِ بن عياض.

واتَّفقوا على صِدقه وثقتِه وأَمانته وزَهادته وعبادته.

وقال محمَّد بن حسَّان: شهدتُ الفضيلَ بن عياضٍ وقد جلس إليه سفيانُ بن عُيينة، فتكلَّم الفضيل فقال: كنتم معاشرَ العلماءِ سُرُجَ البلادِ يُستضاء بكم، فصرتم ظُلمة، وكنتم نجوماً يُهتدَى بكم فصرتم حَيرة، ثم لا يستحيي أحدُكم أن يأخذَ مالَ هؤلاء الظَّلمةِ ثم يُسندَ ظهرَه ويقول: حدَّثني فلانٌ عن فلان، فقال سفيان: هاه هاه، واللهِ لَئن كنا لسنا بصالحين فإنَّا نحبُّهم. ثم طلب منه سفيانُ الحديث، فأَملى عليه ثلاثين حديثاً.

وكان للفضيل من الولد عليّ، اشتهر بالزُّهد ومات في حياةِ أبيه. ومحمَّد، وعمر، وأبو عبيدةَ بنُ الفضيل، كوفيٌّ سكن مكَّة وقدم مصرَ وحدَّث بها، ورجع إلى مكَّة فتوفِّي بها في صَفَرٍ سنةَ ستٍّ وثلاثين ومئتين، رحمةُ اللهِ عليه ونفعنا به في الدُّنيا والآخرة.



السَّنة الثامنة والثمانونَ بعد المئة

فيها أغزى الرشيدُ إبراهيمَ بن جبريلَ الصَّائفة، فدخل الدَّربَ من ناحية الصَّفْصاف، وخرج إلى لقائه نقفورُ على قوم، فورد على نقفورَ من ورائه أمرٌ صرفه عن لقاءِ إبراهيم، ومرَّ نقفور على قومٍ من المسلمين فقاتلوه، فجُرح ثلاثَ جراحاتٍ وانهزم، وقُتل من الرُّوم ـ على ما قيل ـ أربعون ألفاً وسبعُ مئةِ رجل، وأخذ المسلمون منهم أربعةَ آلافِ دابَّة. ورابط القاسمُ بن هارونَ بدابِق. وقال أبو الشِّيص: [من الطويل]

شددتَ أميرَ المؤمنين عُرَى المُلكِ ... صَدَعْتَ بفتح الرومِ أفئدةَ التُّركِ
قريْتَ بسيف[1] اللهِ هامَ عدوِّه ... وطأطأتَ بالإسلام ناصيةَ الشِّرك
فأصبحتَ مسروراً ولا زلتَ[1] ضاحكاً ... وأصبح نقفورٌ على مُلكه يبكي

وفيها حجَّ الرشيدُ بالناس، وهي آخر حجَّةٍ حجَّها، وكان الفضيلُ بن عياضٍ قال له: استكثِرْ من زيارة هذا البيت؛ فإنَّه لا يحجُّه خليفةٌ بعدك.

وقال أبو بكر بن عيَّاش: لمَّا مرَّ عليه الرشيدُ بالكوفة مُنْصَرفاً من الحجَّ قال: لا يحجُّ الرشيدُ بعد هذه الحجَّة، ولا يحجُّ بعده خليفةٌ أبداً، نجد ذلك في بعض الكتبِ القديمة.

وفي هذه وعظه بهلول؛ قال الفضلُ بن الرَّبيع: حججتُ مع هارون، فمرَّ بالكوفة، فإذا بهلولٌ المجنون يَهذي، فقلت: اُسكت فقد أقبل أميرُ المؤمنين، فسكت، فلمَّا حاذاه الهَوْدَجُ قال: يا أميرَ المؤمنين، حدَّثني أَيمن بنُ نابل، حدثنا قدامةُ بن عبدِ الله العامريِّ قال: رأيتُ رسولَ اللهِ ﷺ [بِمنَى][2] على جملٍ وتحته رَحْلٌ رثّ، ولم يكن ثَمَّ طَرْدٌ ولا ضَرْبٌ، ولا إليك إليك.

قال الفضل: فقلت: يا أميرَ المؤمنين، إنَّه بهلولٌ المجنون، فقال: قد عرفتُه، قل يا بهلول، فقال: يا أميرَ المؤمنين

---

(١) في المنتظم ٩/ ١٥٤ : ولا تَعيَ، وتصحفت في تاريخ بغداد ٣/ ٣٩٥ إلى: ولا يغى.

(٢) زيادة من تاريخ دمشق ٢/ ١٩٥ (مخطوط)، والمنتظم ٩/ ١٥٥، والبداية والنهاية ١٣/ ٦٦٥.

هَبَ انَّك قد ملكتَ [الأرض][١] طُرًّا ... ودان لـك الـعـبـادُ فـكـان مـاذا
ألـيـس غـداً مـصـيـرُك جـوفَ قـبـرٍ ... ويـحـثـو الـتُّـربَ[٢] هـذا ثـم هـذا

فقال: أَجدتَ يا بهلول، أفغيره؟ قال: نعم يا أميرَ المؤمنين، مَن رزقه اللهُ جَمالاً ومالاً وسلطاناً، فعفَّ في جماله، وواسى في ماله، وعدل في سلطانه، كُتب في ديوان المقرَّبين الأَبرار. فظنَّ الرشيدُ أنَّه يريد شيئاً فقال: قد أمرنا بقضاءِ دَينك، فقال: لا تفعلْ يا أميرَ المؤمنين، لا يُقضَ دَين بدَين؛ فإنَّ الذي أعطاك لا ينساني، أَجرى عليَّ الذي أَجرى عليك، لا حاجةَ لي في جرايتك.

ثم ولَّى وهو يقول: اُردد الحقَّ إلى أهله واقضِ دَينَ نفسك، ثم قال: توكَّلت على الله، وما أَرجو سوى الله، وما الرِّزقُ من الناس، بل الرِّزقُ من الله.

فصل وفيها توفي

أبو إسحاق إبراهيمُ بن محمد

ابن الحارث بن أسماءَ بن خارجةَ بن حِصْنِ بن حُذَيفةَ بن بدرٍ الفَزاري[٣].

كان عالماً، صاحب سنَّة وغَزْو، عظيمَ الشأن، صاحبَ حالٍ ولسان، وآياتٍ وكراماتٍ وغزوات، ثقةً فاضلاً.

وقال الفضيلُ بن عياض: رأيت النبي ﷺ في المنام وإلى جانبه فُرْجَة، فذهبتُ لأجلسَ فيها، فقال: هذا مجلسُ أبي إسحاقَ الفَزاري. وكان الفضيلُ يقول: إنِّي لأَشتاق إلى المِصِّيصة، و ما بي فضلُ الغزوِ ولا الرِّباط، ولكن لأرى أبا إسحاقَ الفَزاري.

وكان إبراهيمُ بن أدهمَ وسفيانُ الثوريُّ وابنُ المبارك وغيرُهم يسافرون إلى المِصِّيصة لأجل زيارته، وكان يقول: إنَّ من الناس مَن يَحْسُن الثناءُ عليه وما يساوي عند اللهِ جناحَ بعوضة.

---

(١) زيادة من المصادر.

(٢) في (خ): التراب. وهو خطأ.

(٣) طبقات ابن سعد ٩/ ٤٩٤، وتاريخ دمشق ٢/ ٤٩٨ (مخطوطة دار البشير)، والمنتظم ٩/ ١٥٦، والسير ٨/ ٥٣٩، وتاريخ الإسلام ٤/ ٧٩٨.

وتوفِّي بالمَصِّيصة في هذه السَّنة. وقيل: في سنة خمسٍ وثمانين ومئة. فلمَّا خرجوا بجنازته، خرج اليهودُ والنَّصارى وراءَ جنازته يَحثُون الترابَ على رؤوسهم ويصرخون ممَّا نالهم عليه.

أَسند عن الأعمشِ وهشامٍ وغيرِهما، وروى عنه الثوريُّ وغيره. وروى الأوزاعيُّ حديثاً، فقيل له: مَن حدَّثك بهذا؟ فقال: الصادقُ المَصدوقُ أبو إسحاق الفَزاري.

وقال إسماعيلُ بن إبراهيم: أخذ هارونُ زنديقاً ليقتلَه، فقال له: لِمَ تقتلني؟ فقال لأُريحَ العبادَ منك، فقال له: فأين أنت من ألفِ حديثٍ وضعتُها على نبيِّك؟ فقال له: أين أنت يا عدوَّ الله من أبي إسحاقَ الفَزاريّ وابن المبارك؟ فإنهما يتصفَّحانها فيُخرجانها حرفاً حرفاً.

واتفق العلماءُ على صِدقه وثقتِه وأَمانته وفضلِه وزَهادته.

أبو إسحاقَ إبراهيمُ بن ماهانَ

ابن بَهْمَنَ الأرَّجاني، المعروفُ بالمَوْصِلي، ويُعرف بالنَّديم[1].

أصلُه من الفُرس، وهو مولى الحَنْظَليِّين، وإنَّما سمِّي الموصليَّ لأن أباه سافر بأمِّه من أرَّجانَ وهي حاملٌ به في سنة خمسٍ وعشرين ومئة، فقدم الكوفة، فوَلَدته، فنشأ بها، وطلب صنعةَ الغِناء، فبرع فيها بالعربية والعجميَّة، وسافر إلى الموصلِ في طلب الغِناء، ثم عاد إلى الكوفة، فقال له أخوالُهُ: مرحباً بالفتى المَوصليّ.

وكان فاضلاً أديباً شاعراً، وبرع في فنِّه. وصحب الخلفاءَ والملوك، واكتسب مالاً عظيماً، فيقال: إنَّه وُجد له لمَّا مات من المال أربعةٌ وعشرون ألفَ ألفِ درهم.

ولمَّا مرض مَرَضَ الموتِ قال: [من مجزوء الرمل]

مَلَّ واللهِ طَبيبي ... من مقاساةِ الذي بي
سوف أُنعَى عن قريب ... لعدوٍّ وحبيبِ

ومات في هذه السَّنة. وقيل: في سنة ثلاثَ عشْرةَ ومئتين.

---

(١) الأغاني ٥/ ٢٥٣، وتاريخ بغداد ٧/ ١١٦، والمنتظم ٩/ ١٥٨، والسير ٩/ ٧٩، وتاريخ الإسلام ٤/ ٨٠٢، والبداية والنهاية ١٣/ ٦٦٧.

السَّنة التاسعةُ والثمانونَ بعد المئة

فيها توجَّه الرشيدُ إلى الرَّيِّ بسبب عليٍّ بن عيسى بنِ ماهان، وكان الرشيدُ قد استشار يحيى بنَ خالدٍ في توليته خُراسان، فأشار ألَّا يفعل، فخالفه وولَّاه، فعَسَف الناسَ، وظَلَم وفَتَك، وجمع أموالاً عظيمةً وبعث بها إلى هارون، وكان فيها الخيلُ العِتاقُ والرَّقيق والطِّيب والمَتاع، فلم يُرَ هديةٌ أعظم منها، فعُرضت على هارونَ فاستعظمها، وكان يحيى جالساً عنده، فقال: هذا الذي أشرتَ ألَّا نولِّيَه، فقال له يحيى: ما أَحسنَ هذا لو لم يكن وراءَه ما تكره، قال: وما هو؟ قال: إنَّ هذه الهدايا ما اجتمعت له حتى ظلم الناسَ، وأخذ أموالَ الأشرافِ وغيرِهم، وأنا قادرٌ أن أجمعَ لك في هذه الساعةِ من الأموال أكثرَ من هذا، عند فلانٍ سَفَطٌ فيه جوهرٌ يساوي سبعةَ آلافِ ألف، خذه ولا تعطِه شيئاً، وعند فلانٍ كذا وكذا، وعدَّد أشياء، قال: وسترى غِبَّ هذا.

وعاث عليُّ بن عيسى بخُراسان، واستخفَّ بأشرافهم وأخذ أموالَهم، فكتب إلى الرَّشيد وجوهُ خُراسانَ يشكون سوءَ عِشرته، ورداءةَ مذهبه، ويسألونه الاستبدالَ به، فاستشار يحيى بنَ خالدٍ مَن يولِّيه خراسان، فأشار عليه بيزيد بن مَزْيَد، فلم يقبل مشورتَه.

وقيل للرَّشيد: إنَّ عليَّ بن عيسى على عزمِ الخلاف، فسار يُريد الرَّي، وعسكر بالنَّهْرَوَان ومعه ابناه المأمونُ والقاسم، ولمَّا وصل إلى قَرْمِيْسِين استدعى القُضاةَ والشُّهود، وأشهدهم أنَّ جميعَ ما في عسكره من الأموال والسلاحِ والكُراع وغيرِه لعبد الله المأمون، وبعث هَرْثَمَةَ بن أَعْيَن إلى بغداد، فجدَّد البَيعةَ على الأمين لأخيه المأمونِ والقاسمِ بعده على ما تقرَّر بمكَّة.

وسار الرشيدُ فنزل الرَّي، فأَقام أربعةَ أشهر، حتى قدم عليه ابنُ ماهانَ بالأموال والطُّرَف، والتُّحَف، والهدايا، والجواهرِ وأواني الذهبِ والفضَّة، والخيلِ والسِّلاح، وغيرِ ذلك، وأَهدى إلى جميع مَن كان معه من ولده، وأهلِ بيته، وكتَّابه، وخدَّامه،

وقوَّاده على قَدْر طبقاتهم، فرضي عنه هارون، وظنَّ به غيرَ ما كان يظنُّ ممَّا نُقل إليه عنه، فأَعاده إلى خُراسانَ والياً، وخرج معه فشيَّعه.

وقدم عليه خُزَيمةُ بن خازم ـ وقيل: سعيدٌ الحَرَشِيّ ـ بأربع مئةِ رجلٍ من الكفَّار من أهل طَبَرِسْتان، فأسلموا على يد هارون.

وولَّى الرشيدُ وهو بالرَّي عبدَ اللهِ بنَ مالكٍ طَبَرِسْتانَ والرَّيَّ ودُنْباوَنْد وقُومس وهَمَذَان، وولَّى عيسى بنَ جعفرِ بن سليمانَ عُمان، فغزا في البحر، ففتح حصونَ الكفار. وقيل: إنَّه قطع البحرَ من ناحية جزيرةِ ابنِ كاوان[1]، ففتح حصناً وحاصر آخَر، وعقل عن نفسه وما احترز، فهجم عليه ابنُ مَخلَد الأزديُّ وهو غارٌ، فأَسره وحمله إلى عُمان.

حديث نَخْلَتَي حُلْوان:

قال إِسحاقُ بن إبراهيمَ المَوْصِليّ: لمَّا خرج هارونُ إلى خراسانَ في سنة تسعٍ وثمانين ومئة، وهي أوَّل خرجاتِه إليها، نزل بحُلْوان، ومرض بطَرْح الدَّم، وكان على عَقَبة حُلوانَ نخلتان من أَحسن النَّخيل، فوصف له الأطباءُ الجُمَّار[2]، فقطعوا إحداهما، وكانتا توأَمَتَين، وأَطعموه من جُمَّارها، فبرئ، فلمَّا عاد من الرَّي، مرَّ على التي لم تُقْطَع، فوجد عليها مكتوباً وهي قائمةٌ وحدها: [من الخفيف]

أَسعِداني يا نخلَتَي حُلْوانِ ... وفِيَا لي إنْ كنتما تَفِيَانِ[3]
أَسعِداني وأَيقِنا أنَّ نَحْساً ... سوف يأتيكما فتَفْتَرقانِ

فبكى الرشيدُ وقال: واللهِ لو علمتُ أنِّي نَحْسُهما لَمَا قطعتُهما ولو مُتُّ. والشِّعر لمطيعِ بن إياسٍ في جاريةٍ فارَقَها، وهو: قال:

أَسعِداني يا نخلتَي حُلْوانِ ... وابْكيا لي من رَيْبِ هذا الزَّمانِ
أَسعِداني وأَيقِنا أنَّ نحساً ... سوف يأتيكما فتفترقان

---

(١) في (خ): واكان، والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ٣١٧.

(٢) هو شحم النخل.

(٣) الشطر الثاني في المصادر -وكذا سيذكره بعد قليل-: وابكيالي من ريب هذا الزمان. انظر المضاف والمنسوب للثعالبي ص٥٨٩، والأغاني ١٣/ ٣٣١-٣٣٢، ومعجم الشعراء ص٤٥٥، ومختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ٣٧، ومعجم البلدان (حلوان)، والوافي بالوفيات ٢٥/ ٦٤٧.

فلَعَمْري لو ذُقْتُما حُرْقَةَ الفُرْ ... قةِ أبكاكُما الذي أبكاني
كم رَمَتْني صروفُ هذي الليالي ... بفِراق الأحبابِ والخُلَّان

وهذا الشِّعر قديم؛ فإنَّ المهديَّ مرَّ بهما ونزل عندهما، وقال لجاريته حَسَنة: غني، فغنَّت: [من الطويل]

أَيَا نخلتَي وادي بُوَانةَ حبَّذا ... إذا نام حرَّاسُ النخيلِ جَناكُما[١]

فقال المهديّ: أُريد أن أقطعَ هاتين النَّخْلَتين، فقالت له حَسَنة: أُعيذك بالله أن تكونَ الذي أَشار إليه مُطيع، وأنشدت البيتين، فقال: لله درُّك، واللهِ لا تعرَّضت. ووكَّل بهما مَن يَحفظهما ويقوم بأمرهما.

وقد أكثر الشعراءُ في نخلَتي حُلوانَ، قال حمَّاد بنُ إسحاق: [من الخفيف]

أيُّها العاذِلانِ لا تَعْذُلاني ... ودَعاني من المَلامِ دعاني
وابكيا لي فإنَّني مُسْتَحِقٌّ ... منكما بالبكاءِ أن تُسعِداني
وأنا منكما بذلك أوْلى ... من مُطيع بنخلَتَي حُلْوانِ
فهما تجهلانِ ما كان يشكو ... من جَواه وأنتما تعلمان[٢]

وقال آخر[٣]: [من الخفيف]

جَعل اللهُ سِدْرَتَي قصرِ شِيريـ ... ـنَ فداءً لنخلتَي حُلْوانِ
جئتُ مُسْتَسْعِداً[٤] فلم يُسعداني ... ومُطيعٌ بكَتْ له النَّخلتان

وفيها رجع الرشيدُ إلى بغدادَ من الرَّيِّ بعد أن أَحسنَ إلى أهلها؛ لأنَّه وُلد بالرَّيّ. وقال أبو العَتاهِية: [من السريع]

إنَّ أمينَ اللهِ في أرضه ... حنَّ به البِرُّ إلى مولدِهْ
ليُصلحَ الرَّيَّ وأقطارَها ... ويُمطرَ الخيرَ بها من يدِه[٥]

(١) الأغاني ١٣/ ٣٣٣، ومعجم البلدان (حلوان).
(٢) المضاف والمنسوب ص٥٨٩-٥٩٠، والأغاني ١٣/ ٣٣٤، ومعجم البلدان (حلوان).
(٣) هو حماد عجرد، انظر المصادر السابقة.
(٤) في (خ): مستعدياً، والمثبت من المصادر.
(٥) تاريخ الطبري ٨/ ٣١٧.

ولمَّا انصرف الرشيدُ من الرَّي، أَدركه الأَضحى بقصر اللُّصوص، فضحَّى به، ثم دخل بغدادَ لليلتين بقيتا من ذي الحِجَّة، فلمَّا مرَّ بالجِسْر أَمر بإِحراق جثَّةِ جعفر ـ وقيل: إنَّه كان أَمر بذلك عند توجُّهه إلى خُراسان ـ ولم ينزل بغداد، وسار يطلب الرقَّة، فنزل بالسَّيْلَحِين ، فقيل له: يا أميرَ المؤمنين، طويتَ بغدادَ فلم تنزلْها! فقال: والله إنِّي لأَعلم أنَّ ما في الشَّرق والغربِ مدينةً مثلَها، وإنَّها لَوطني ودارُ ملكِ بني العباس، وما نال أَحداً من آبائي بها سوء، لَنِعم الدارُ هي، ولكن لا بدَّ من المُناخ على ناحية أهلِ النِّفاق والشِّقاقِ خوفاً منهم، ولولا ذلك ما خرجتُ منها أبداً. وفي ذلك يقول العباسُ ابن الأَحنف: [من الخفيف]

ما أَنخْنا حتَّى ارتحَلْنا فما نَفْـ ... رُقُ بين المناخِ والارتحالِ
ساءَلونا عن حالنا إذ قَدِمنا ... فَقَرَنَّا وداعَهمْ بالسُّؤال[١]

وفي هذه السَّنةِ بعث نقفورُ إلى الرَّشيد يطلب الصُّلحَ والفداء، فأَجابه، فلم يبقَ بأرض الرُّومِ من الأُسارى مسلمٌ إلَّا فُودي به، وقيل: إنَّهم بلغوا أربعةَ آلافِ مسلم، فقال مروانُ بن أبي حَفْصَة: [من الطويل]

وفُكَّت بك الأَسرى التي شُيِّدت لها ... مَحابسُ ما فيها حَميمٌ يَزورُها
على حينَ أعيا المسلمين فِكاكُها ... وقالوا سجونُ المشركين قبورُها[٢]

وحجَّ بالناس العباسُ [ابن موسى][٣] بنِ عيسى بن موسى بنِ محمَّد بن عليِّ بن عبدِ الله بنِ عباس.

إسحاق بنُ عبدِ الرَّحمن

ابنِ المغيرةِ بن حُميد بن عبدِ الرَّحمن بنِ عَوفٍ الزُّهري[٤].

من الطبقة الخامسةِ من أهل المدينة، وأبوه عبدُ الرَّحمن هو الذي يقال له: غُرَير.

---

(١) تاريخ الطبري ٨/ ٣١٧، والكامل ٦/ ١٩٢، والبداية والنهاية ١٣/ ٦٦٨.

(٢) وقع في (خ): عدة تحريفات في البيتين، أصلحتها من الديوان ص٤٠، وتاريخ الطبري ٨/ ٣١٨، والمنتظم ٩/ ١٦٣.

(٣) زيادة من تاريخ الطبري والمنتظم.

(٤) تاريخ بغداد ٧/ ٣٢١، والمنتظم ٩/ ١٦٣، وتاريخ الإسلام ٤/ ٨٠٧.

سكن بغداد، وكان في صحابة المهديِّ والهادي والرَّشيد، وكان جواداً ممدَّحاً، وفيه يقول الشاعرُ[(١)] وفي أخيه يعقوب: [من الطويل]

نفى الجوعَ عن بغدادَ إسحاقُ ذو النَّدى ... كما [قد] نفى جوعَ الحجازِ أَخوهُ
وما يكُ من خيرٍ أَتَوه فإنَّما ... فِعالُ غُرَيرٍ قبلَهم وَرِثوه
فأُقسمُ لو ضاف الغُرَيْريَّ بَغْتَةً ... جميعُ بني حوَّاءَ ما حَفَلوه
هو البحرُ بل لو حلَّ بالبحرِ رِفدُه ... ومَن يَجتديه ساعةً نَزَفوه

وكان إسحاقُ مُعجَباً بعَبَّادة جاريةِ المُهَلَّبية، وكانت مُنْقَطِعةً إلى الخَيزُران[(٢)]، ذاتَ منزلةٍ عندها، فركب عبدُ الله بنُ مُصْعبِ بن الزُّبير وإسحاقُ إلى المهديّ، وكانا يأتيانه في كلِّ عشيةٍ فيقيمان عنده حتى ينقضيَ سَمَرُه، فلقيا في طريقهما عبَّادة، فساق إسحاقُ دابَّته ومضى فنظر إليها ثم عاد، ودخلا على المهديّ، فأخبره مصعبٌ بخبر إسحاقَ وما كان منه، فقال المهديّ: أنا أَشتريها لك.

وقام من وقتِه فدخل على الخَيزُران، فقال: أين المُهَلَّبية؟ فجاءت، فقال: تبيعيني عَبَّادةَ بخمسين ألف درهم؟ فقالت: إنْ كنتَ تريدها لنفسك، فبها فداكَ الله، فقال: إنَّما أُريدها لإسحاقَ بن غُرير، فبكت الجارية، وقالت الخيزران: ما يُبكيك؟! واللهِ لا يقدر عليكِ ابنُ غُرير أبداً، وصار ابنُ غُريرٍ يتعشَّق جواريَ الناس؟! فخرج المهديُّ فأَخبر إسحاق، وأَمر له بخمسين ألف درهم، فأَخذها، وقال أبو العتاهية: [من المنسرح]

حبُّك المالَ لا كحبِّك[(٣)] عَبَّا ... دةَ يا فاضحَ المُحبِّينا
لو كنتَ أَخلصتَها الوفاءَ كما ... قلتَ لمَا بعتَها بخمسينا

وكانت وفاة إسحاقَ ببغدادَ في هذه السَّنة، ورثاه مِكْنَفٌ من ولد زهيرِ بن أبي سُلمى فقال: [من الكامل]

---

(١) هو الصهيبي كما في نشوار المحاضرة ٦/ ٢٦، وتاريخ بغداد ٧/ ٣٢٢، والمنتظم ٩/ ١٦٤ (على تحريف فيه)، والتبيين ٢٩٨ . وما يأتي بين حاصرتين منها.

(٢) يعني أن المهلبية منقطعة إلى الخيزران، كما في المصادر.

(٣) في (خ): كحب، والمثبت من ذيل الديوان ص٦٤٨، ونشوار المحاضرة ٦/ ٢٩، وتاريخ بغداد ٧/ ٣٢٣، والمنتظم ٩/ ١٦٥.

فلَئن بَكَت[١] جَزَعاً عليه لقد بكت جَزَعاً عليه مكارمُ الأخلاقِ
يا خيرَ مَن بكت المكارمُ فَقْدَه لم يبقَ بعدَك للمكارم باقِ
لو طاف في شرق البلادِ وغربها لم يَلْقَ إلَّا حامداً للَّاقي
ما بِتَّ من كرم الطبائعِ ليلةً إلَّا لِعرضِك من نَوالِك واقي
بَخِلَت بما حوت الأكفُّ وإنَّما [خَلَقَ][٢] الإلهُ يديك للإنفاق

سعيدُ بن سليمانَ

ابن نوفلِ بن مُساحِق[٣]. ولي قضاءَ المدينةِ للمهديِّ، ووفد على الرَّشيد.

قال نَوْفلُ بن مَيمون: جاء سعيدُ بن سليمانَ إلى عبد اللهِ بن محمَّد بن عمرانَ القاضي، فشهد عنده في شيء، فردَّ شهادته، فلمَّا عُزل عبدُ الله عن القضاءِ وولي سعيد، جاء عبدُ اللهِ فشهد عنده بشهادة، فأخذ شهادتَه، فنظر فيها ساعةً، ثم رفع رأسَه وقال: المؤمنُ لا يَشفي غيظَه، ثم وقَّع على شهادته. وكانت وفاتُه بالمدينة.

سليمان[٤] بن حَيَّان

أبو خالدٍ الأَزْدي، ويُعرف بالأحمر. وُلد سنةَ أربعَ عشرةَ ومئة. وكان صديقاً لسفيانَ الثوري، وكان سفيانُ يثني عليه، فلمَّا خرج محمَّد بن عبدِ الله بنِ حسن، خرج معه[٥]، فهجره سفيان. وكان رجلاً صالحاً.

قال عثمانُ بن أبي شيبة: دخلتُ على الأحمر عند موتِهِ وليس في بيته إلَّا مِخَدَّةٌ تحت رأسِهِ، وهو يقول: أُخرجي يا نفس، أُخرجي، فواللهِ لَخروجُك أَحبُّ من بقائك في بَدَني.

(١) أي العيون كما في البيت الذي قبل هذا في تاريخ بغداد ٧/ ٣٢٤، والمنتظم ٩/ ١٦٦.
(٢) زيادة من تاريخ بغداد، والمنتظم.
(٣) تاريخ بغداد ١٠/ ٩٤، والمنتظم ٩/ ١٦٧.
(٤) في (خ): سليم، وهو خطأ. صوابه من تاريخ بغداد ١٠/ ٢٨، والمنتظم ٩/ ١٦٧، وتهذيب الكمال، وتاريخ الإسلام ٤/ ٨٥٩، والسير ٩/ ١٩ .
(٥) كذا، والذي في المصادر أنه خرج مع إبراهيم بن عبد الله.

سمع يحيى بنَ سعيدٍ القطَّان[١]، وامرأتَه[٢]، وروى عنه الإمامُ أحمدُ بن حنبلٍ رحمةُ اللهِ عليه وغيرُه، وكان ثقة.

العبَّاس بن الأَحْنَف

ابنِ الأَسود بن طَلْحة، أبو الفضلِ الشاعر[٣]. من ولد الدِّيل من عَرب خُراسان، ومنشؤه بغداد.

كان حُلواً، ظريفاً، مقبولاً، حسنَ العِشْرة، ومعظمُ شعرِه في الغزل والمديح.

وله أخبارٌ مع الخلفاء، قال: حُملْتُ إلى دار الخلافةِ وإذا بيحيى بنِ خالدٍ جالس، فقال: يا عبَّاس، إنَّ ماردةَ الغالبةَ على أمير المؤمنين قد تجنَّت عليه، فهي بدالَّة المعشوقِ تأبى أن تعتذرَ إليه، وهو بعزَّة الخلافةِ يأبى أن يبتدئَها، فقُلْ شعراً يسهِّل الأمرَ بينهما، فأخذتُ الدَّواةَ وكتبت: [من الكامل]

العاشقانِ كلاهما مُتَعَنِّتٌ ... وكلاهما متوجِّد متغضِّبُ
صدَّت مُغاضبةً وصدَّ مُغاضباً ... وكلاهما ممَّا يُعَالِجُ مُتْعَب
راجع أحبَّتك الذين هجرتَهم ... إنَّ المتيَّم قلَّ ما يتجنَّبُ
إنَّ التجنُّب إنْ تطاول منكما ... دبَّ السُّلوُّ له فعزَّ المَطْلَب[٤]

ودفعت الرُّقعة إلى يحيى، فأخذها ودخل على الرَّشيد، فلمَّا قرأها قال: واللهِ ما رأيت شعراً أَشبهَ بما نحن فيه من هذا. ثم أَمَرَ لي بمالٍ عظيم، وبَعَثَت إليَّ ماردةُ بمثله.

وقال عبدُ اللهِ بن الربيع: قال هارونُ بيتاً ورام يَشْفَعه بآخَرَ، فامتنع القولُ عليه، فقال: عليَّ بالعبَّاس بنِ الأحنف، فلمَّا طُرق فزع وذُعِر أهلُه، فلمَّا وقف بين يديه قال: وجَّهتُ إليك لبيتٍ قلتُه ورُمت أن أشفعَه بمثله فامتنع القولُ عليّ، فقال: ياأميرَ

(١) كذا، والصواب: الأنصاري.

(٢) كذا وردت هذه الكلمة، ولم أتبينها.

(٣) انظر ترجمته في الشعر والشعراء ٢/ ٧٢٨، طبقات الشعراء ٢٥٤، الأغاني ٨/ ٣٥٢، تاريخ بغداد ١٤/ ٨، المنتظم ٩/ ٢٠٦، معجم الأدباء ١٢/ ٤٠، تاريخ الإسلام ٤/ ١١٣٤، السير ٩/ ٩٨.

(٤) العقد الفريد ٦/ ٣٨٦، والوافي بالوفيات ١٦/ ٦٤٢، وطبقات ابن المعتز ص٢٥٦ إلا أنه لم يذكر البيت الثالث.

المؤمنين، دعني حتى ترجعَ إليَّ نفسي، فقد طرقني وعيالي حالٌ اللهُ أعلمُ بها، فانتظر هُنيَّةً ثم أَنشد هارون: [من مجزوء الوافر]

جـنـانٌ قـد رأيـنـاهـا فـلـم نـرَ مـثـلَـهـا بـشـرا

فقال العبَّاس:

يـزيـدُك وجـهُـهـا حُـسـنـاً إذا مـا زدتَـه نـظـرا

فقال هارونُ: زدني، فقال:

إذا مـا الـلـيـلُ مـال عـلـيـك بـالإظـلام واعـتـكـرا
ودَجَّ فـلـم تـرى قـمـراً فـأبـرِزْهـا تـرى قـمـرا[1]

فقال له هارون: قد ذعرناك وأفزعنا عيالَك، وأقلُّ الواجبِ أن نعطيَك دِيَتَك، فأمر له بعشرة آلافِ درهم.

ومن شِعر العبَّاس: [من البسيط]

قد سَحَّب الناسُ أذيالَ الظُّنون بنا وفرَّق الناسُ فينا قولَهم فِرَقا
مكاذب قد رمى بالظنِّ غيرَكمُ وصادقٌ ليس يدري أنَّه صَدَقا[2]

أخذه من قول العُقيلي: [من الطويل]

أَلَا يا سرورَ النَّفسِ ليس بعالمٍ بك الناسُ حتى يعلموا ليلةَ القدرِ
سوى رَجْمِهم بالظنِّ والظنُّ مخطئٌ مِراراً ومنهم مَن يُصيب ولا يدري[3]

وقال[4]: [من البسيط]

أَفدي[5] الذين أَذاقوني مودَّتَهمْ حتى إذا أَيقظوني في الهوى رَقَدوا

(١) الأبيات مع القصة في تاريخ بغداد ١٤/ ١١-١٢، والمنتظم ٩/ ٢٠٦-٢٠٧.
(٢) الأغاني ٨/ ٣٦٧، وتاريخ بغداد ١٤/ ٩، والمنتظم ٩/ ٢٠٦.
(٣) تاريخ بغداد ١٤/ ١٠.
(٤) نسبت الأبيات أيضاً لبشار بن برد، انظر ديوانه ٢/ ٢٢٨، وعيون الأخبار ٣/ ٧٨، وطبقات ابن المعتز ص٢٥٥، والأغاني ٨/ ٣٦٥، ووفيات الأعيان ٣/ ٢٠، والوافي ١٦/ ٦٣٨.
(٥) في المصادر: أبكي، وفي بعضها: أشكو.

واستنهضوني فلمَّا قمتُ نحوهمُ[١] بثِقْلِ ما حمَّلوني منهمُ[٢] قعدوا
لأَخرجنَّ من الدنيا وحبُّهمُ بين الجوانحِ لم يَشْعُرْ به أحدُ

وقال[٣]: [من المنسرح]

إنْ تَشْقَ عيني بهمْ فقد سَعِدت عينُ رسولي وفُزْتُ بالنَّظرِ[٤]
وكلَّما جاءني الرسولُ لهمْ رددتُ شوقاً في طَرْفه بصري
تظهرُ في وجهه محاسنهمْ قد أثَّرت فيه أحسنَ الأَثر
خذ مُقْلَتي يا رسولُ عاريةً فانظرْ بها واحتكمْ على بصري

ذِكر وفاتِه:

قال عمر بن شَبَّة: مات العباسُ بن الأحنفِ في اليوم الذي مات فيه محمَّد بن الحسن والكسائيُّ سنةَ تسعٍ وثمانين[٥] ومئة، وقيل: سنةَ ثمانٍ وثمانين، وقيل: إنَّ وفاتَه تأخَّرت بعد وفاةِ الرشيد.

وقال محمَّد بن يزيدَ الثُّمالي: مات العباسُ وإبراهيم الموصليُّ في يومٍ واحد، فرُفع خبرُهم إلى الرشيد، فأمر المأمونَ بالصَّلاة عليهم، فوافاهم في موضعِ الجنائز، فقال: مَن قدَّمتم؟ قالوا: إبراهيم، قال: أَخِّروه وقدِّموا العباس، وصلَّى عليهما. فلمَّا فرغ اعترضه بعضُ الطاهريةِ[٦] فقال: أيها الأميرُ، لمَ قَدَّمت عباساً؟ فقال: يا فضوليُّ؛ لقوله: [من الكامل]

---

(١) في المصادر: منتصباً.

(٢) في (خ): من حبهم، ولا يستقيم به الوزن، وفي الديوان: ودهم.

(٣) نسب الأبيات للعباس بن الأحنف الطبري ٨/ ٦٥٨، وتابعه ابن الأثير ٦/ ٤٣٧، ونسبها صاحب الوفيات ٣/ ٢٢ للرشيد، وصاحب محاضرات الأدباء ٣/ ٢٠٩ لمحمَّد بن أمية، وهي في المدهش ص١٠٥ دون نسبة، وهي أيضاً في ديوان أبي نواس ص٢٨٦.

(٤) في المدهش: وفاز بالنظر، وفي بقية المصادر: وفزت بالخبر.

(٥) الذي في تاريخ بغداد ١٤/ ١٤، ووفيات الأعيان ٣/ ٢٥ عن عمر بن شبة: مات إبراهيم الموصلي في سنة ثمان وثمانين ومئة، ومات في ذلك اليوم الكسائي النحوي وعباس الأحنف.
فإقحام محمد بن الحسن في هذا الخبر وهم، والله أعلم. وانظر المنتظم ٩/ ٢٠٨.

(٦) في وفيات الأعيان ٣/ ٢٥، والوافي بالوفيات ١٦/ ٦٣٩ أنه هاشم بن عبد الله بن مالك الخزاعي.

أَسـمـاكِ لـي قـومٌ وقـالـوا إنَّـهـا ... لَـهـي الـتي تـشـقـى بـهـا وتـكـابِـدُ
فـجَـحَـدتُـهـمْ لـيـكـونَ غـيـرَك ظـنُّـهـم ... إنِّي لَـيـعـجبـني الـمحِـبُّ الـجـاحـد[1]

قلت: والبيتان من أبياتٍ أوَّلُها:

قـالـت مَـرِضْـتُ فـعُـدْتُـهـا فـتـبَـرَّمَـت ... فـهـي الـصَّـحـيـحـةُ والـمـريـضُ الـعـائـدُ
تـالله لـو أنَّ الـقـلـوبَ كـقـلـبـهـا ... مـا رقَّ لـلـولـد الـضـعـيـفِ الـوالـد
كـتـبـتْ بـأن لا تـأتِـنـا فـهـجـرتُـهـا ... لـتـذوقَ طـعـمَ الـهَـجْـرِ ثـم أُعـاود
مـاذا عـلـيـهـا أن يُـلِـمَّ بـرَبْـعـهـا ... ذو خُـلَّـةٍ بـسَـلامـةٍ مُـتـعـاهـد
إنْ كـان ذَنْـبـي فـي الـزِّيـارة فـاعـلـمـي ... أنِّـي عـلـى كـسـب الـذُّنـوب لَـجـاهـد
أَسـمـاكِ لـي قـومٌ وقـالـوا إنَّـهـا ... لَـهـي الـتـي تَـشـقـى بـهـا وتُـكـابِـدُ
فـجَـحَـدْتُـهـمْ لـيـكـونَ غـيـرَكِ ظـنُّـهـمْ ... إنِّـي لَـيُـعـجـبـني الـمُـحِـبُّ الـجـاحـد
إنَّ الـنـسـاءَ حَـسَـدْنَ وجـهَـكِ حُـسـنَـه ... حُـسنُ الـنـساءِ لـحُـسن وجـهِـك سـاجد
جـالَ الـوِشـاحُ عـلـى قـضـيـبٍ زانَـه ... رُمَّـان صـدرٍ لـيـس يُـقـطَـفُ نـاهِـدُ
لـمَّـا رأيـتُ الـلـيـلَ سـدَّ طـريـقـه ... عـنِّـي ولازمـنـي الـظـلامُ الـرَّاكـد
والـنـجـمُ فـي كَـبِـد الـسـمـاءِ كـأنَّـه ... أعـمـى تَـحَـيَّـر مـا لـديـهِ قـائـد
نـاديـتُ مَـن طَـرَد الـرُّقـادَ بـنَـومـه ... عـمَّـا أُكـابِـدُ وهـو خِـلْـوٌ هـاجـد
يـا ذا الـذي صَـدَع الـفـؤادَ بـصَـدِّه ... أنـت الـبـلاءُ طـريـفُـه والـتَّـالـد
ألـقـيـتَ بـيـن جـفـونِ عـيـنـي فُـرْقَـةً ... فـإلـى مـتـى أنـا سـاهـرٌ يـا راقـد
أُردد فـؤادي ثـم نَـمْ فـي غِـبـطـةٍ ... إنِّـي امـرؤٌ سَـهَـري لـنَـوْمِـكَ حـاسـد[2]

قلت: وفي هذا نظر؛ لأنَّ وفاةَ العباسِ كانت بالبصرة[3]، قال الأصمعي: بينا أنا ذاتَ يوم قاعدٌ في مجلسٍ بالبصرة، إذا بغلامٍ من أحسنِ الناسِ وجهاً، وأنظفِهم ثوباً، واقفٌ على رأسي، فقال: إنَّ مولاي يريد أن يوصيَ إليك، فقمتُ معه، فأخذ بيدي

---

(١) قال الخطيب في تاريخه ١٤/ ١٣: في هذا الخبر نظر، لأن وفاة العباس كانت بالبصرة، واختلف في الوقت الذي مات فيه.

(٢) انظر بعض هذه الأبيات في زهر الآداب ٢/ ٩٤٧، والعقد الفريد ٢/ ٤٥٣، وتاريخ بغداد ١٤/ ١٠-١١، ومحاضرات الأدباء ٢/ ١٤٥ .

(٣) هذا القول للخطيب لا للمصنف أو المختصر، انظر تاريخ بغداد ١٤/ ١٣.

وأَخرجني إلى الصَّحراء، فإذا بالعبَّاس بنِ الأحْنَف مُلْقًى على فراشه وهو يجودُ بنفسه ويقول: [من المديد]

يا بعيدَ الدارِ[1] عن وَطَنِهْ مُفرَداً يبكي على شَجَنِهْ
كلَّما جدَّ النَّحيبُ بهِ زادت الأَسقامُ في بَدَنِهْ

ثم أُغمي عليه، وانتبه بصوت طائرٍ يغرِّد على شجرة، فقال:

ولقد زاد الفؤادَ جَوًى طائرٌ يبكي على فَنَنِهْ
شاقَه ما شاقني فبكى كلُّنا يبكي على سَكَنِهْ

ثم أُغمي عليه، فظننتُها مثلَ الأولى، فحرَّكته فإذا هو ميِّت.

وقال هاشمُ[2] بن عبدِ الله الخزاعي: كنَّا بالرقَّة مع هارون، فكتب إليه صاحبُ الخبرِ بموت الكسائيِّ وإبراهيمَ الموصليِّ والعباسِ بن الأحنفِ في يومٍ واحد، فقال لابنه المأمون: أُخرج فصلِّ عليهم. فخرج في وجوه أهلِه وخاصَّته وقوَّاده وقد صفُّوا له، فقالوا للمأمون: مَن ترى أن نقدِّم؟ قال: الذي يقول:

يا بعيدَ الدارِ عن وطنهْ مُفرَداً يبكي على شَجَنِهْ

وأَشار إلى العبَّاس، فقدَّموه، فصلَّى عليه.

قلت: وهذا خَلَل؛ لاجتماع أَربابِ السِّيَر على أنَّ الكسائيَّ ومحمَّدَ بن الحسن ماتا بالرَّيِّ في هذه السَّنة، والعباس مات بالبصرة في قولِ الخطيب، ثم كان الكسائيُّ إماماً وفيه من كلِّ فنّ، وكان يعلِّم المأمونَ والأمين، فكيف يقدَّم عليه شاعر؟! واللهُ أعلم.

عليُّ بن حَمْزَةَ

ابنِ عبد اللهِ بن بَهْمَن بنِ فَيروز، مولى بني أسد، أبو الحسن، المعروفُ بالكِسائي[3]؛ لأنَّه أَحرم بكِساء. وقيل: إنَّه دخل مسجدَ السَّبيعِ بالكوفة وهو ملتفٌّ بكساء، فسمِّي من

(١) في (خ): الديار، والمثبت من تاريخ بغداد ١٤/ ١٣، والمنتظم ٩/ ٢٠٧، والوفيات ٣/ ٢٦.
(٢) في (خ): هشام، وهو خطأ، والمثبت من وفيات الأعيان ٣/ ٢٥، والوافي ١٦/ ٦٣٩.
(٣) تاريخ بغداد ١٣/ ٣٤٥، والمنتظم ٩/ ١٦٨، وتاريخ الإسلام ٤/ ٩٢٧، والسير ٩/ ١٣١ وفيه مصادر أخرى.

ذلك اليوم.

وكان أحدَ الأئمَّة في القراءة والنحوِ والعربية، واستوطن بغداد، وكان يعلِّم الرشيد، وبعده الأمينَ والمأمون، وكان إماماً في كلِّ فنّ.

وقال أبو حاتم السِّجستاني: قدم علينا عاملٌ من أهل الكوفةِ لم أرَ في عمَّال السلطانِ بالبصرة أبرعَ منه، فدخلتُ مسلِّماً عليه، فقال: يا سِجِستاني، مَن علماؤكم بالبصرة؟ قلت: الزِّيادي أعلمُنا بعلم الأصمعي، والمازنيُّ أعلمنا بالنَّحو، وهلالٌ أفقهنا، والشَّاذَكوني أعلمُنا بالحديث، وأنا[1] ـ رحمك الله ـ أُنسَب إلى علم القرآن، وابنُ الكلبيِّ من أكْتَبنا للشُّروط.

فقال لكاتبه: إذا كان غدٌ[2] فاجمعْهم لي، فجمعنا، فقال: أيُّكم المازني؟ قال أبو عثمان: ها أنا ذا يرحمكَ الله، قال: هل يُجزئُ في كفَّارة الظِّهار عتقُ عبدٍ أعور؟ فقال المازنيّ: لست بصاحب فقهٍ أنا صاحبُ عربية، فقال: يا زياديّ، كيف تكتب بين رجلٍ وامرأةٍ خالعها زوجُها على الثُّلث من صَداقها؟ فقال: ليس هذا من علمي، هذا من علم هلال، فقال: ياهلال، كم أسند ابن عَون عن الحسن؟ قال: ليس هذا من علمي، هذا من علم الشاذكوني، قال: يا شاذكوني، مَن قرأ: ﴿ألا إنهم تَثْنَوْني صدورهم﴾[3]؟ [هود: ٥]. قال: ليس هذا من علمي، هذا من علمِ أبي حاتم، قال: يا أبا حاتم، كيف تكتب كتاباً إلى أميرِ المؤمنين تصف فيه خَصاصةَ أهلِ البصرة وما أَصابهم في الثَّمرة من الجَوائح، وتسأله النَّظِرةَ لهم؟ فقال: لستُ صاحبَ بلاغةٍ وكتابة، أنا صاحبُ قرآن، قال: وما أقبحَ بالرَّجل يتعاطى العلمَ خمسين سنةً لا يعرف إلَّا فنًّا واحداً، حتى إذا سئل عن غيرِه لم يَجُلْ فيه ولم يَحر، لكنَّ عالمَنا الكسائيَّ بالكوفة لو سُئل عن كلِّ هذا لَأَجاب.

وقال الفرَّاء: لقيت الكسائيَّ يوماً، فرأيتُه كالباكي، فقلت: ما الذي بك؟ فقال:

(١) في (خ): وأنت، والمثبت من تاريخ بغداد ١٣/ ٣٥٠، وعنه المنتظم ٩/ ١٧١ .

(٢) في (خ): غداً.

(٣) قرأ بها ابن عباس -بخلاف- ومجاهد ونصر بن عاصم وغيرهم. انظر القراءات الشاذة ص٥٩، والمحتسب ١/ ٣١٨.

هذا يحيى بنُ خالدٍ يسألني عن الشيء، فإن أبطأت عيَّبَ عليّ، وإنْ بادرتُ لم آمَن الزَّلل، فقلت ممتحناً له: يا أبا الحسن، مَن يَعترض عليك! قل ما شئتَ فأنت الكسائيّ. فأخذ لسانَه بيده وقال: قطعه اللهُ إذن إن قلتُ ما لا أعلم.

ذكر وفاته:

مات بالرَّيِّ في قريةٍ يقال لها رَنْبَويه سنةَ تسعٍ وثمانين ومئة، ومات في ذلك اليومِ محمَّد بن الحسن، فقال هارون: دفنتُ الفقهَ والعربيةَ بالرَّي. وبلغ الكسائيُّ سبعين سنة.

وقال أبو مِسْحَل: رأيت الكسائيَّ بعد موتِه في النوم وكأنّ وجهَه البَدْر، فقلت: ما فعل اللهُ بك؟ فقال: غفر لي بالقرآن، فقلت: فما فعل حمزةُ الزيَّات؟ قال: ذاك في عِلِّيين، وما نراه إلَّا كما يُرى الكوكبُ الدُّرِّي. قال أبو مسحل: فلم يدع قراءتَه حيًّا وميِّتاً.

أَسند الكسائيُّ عن أبي بكر بنِ عيَّاش وسليمانَ بنِ أرقمَ وغيرِهم، وروى عنه القاسمُ ابن سلَّام وغيرُه.

محمَّد بن الحسنِ بن فَرْقَدٍ الشَّيباني

صاحبُ أبي حنيفة، ويُكنى أبا عبدِ الله، مولى بني شَيبان[(١)].

والحسنُ من حَرَسْتا قريةٍ بغوطة دمشق، ثم انتقل إلى العراق وسكن واسِطاً، فولد محمَّد بها، وكان أبوه موسِراً جُنديًّا. قال محمَّد: ترك أبي ثلاثين ألفاً، فأنفقتُ خمسةَ عشرَ ألفاً على النَّحو والشِّعر، وخمسةَ عشر ألفاً على الفقهِ والحديث.

وكان محمَّدٌ إماماً في جميع العلوم. ولمَّا وُلد حمله أبوه تلك الليلةَ فأسمعه الحديث، وتفقَّه على أبي حنيفة، وتوفِّي أبو حنيفةَ وهو ابنُ ثماني عشرةَ سنة.

كان أبو حنيفةَ يتكلَّم في مسألة الصبيِّ إذا صلَّى العشاءَ الآخرةَ ثم بلغ قبل طلوعِ الفجر، ومحمَّد قائمٌ في الحلقة وهو صبيّ، فقال أبو حنيفة: يجب الإعادةُ عليه؛ لبقاءِ الوقت في حقِّه، فمضى محمَّد واغتسل، وعاد فوقف مكانَه، فاستدعاه أبو حنيفة

---

(١) طبقات ابن سعد ٩/ ٣٣٨، تاريخ بغداد ٢/ ٥٦١، المنتظم ٩/ ١٧٣، السير ٩/ ١٣٤، تاريخ الإسلام ٤/ ٩٥٤.

وقال: اِلزمنا فيوشك أن يكونَ لك شأن، فلَزِمه.

وكان لمحمَّد في مسجد الكوفةِ حلقةٌ وهو ابنُ عشرين سنة. وكان حسنَ الصلاةِ كثيرَ الخشوع، يقرأ القرآنَ في ثلاثة أيَّام، مشغولاً بنفسه عن مخالطة الناس، حافظاً لوقته، مستغرقَ الزمانِ في تصانيف الكتبِ وشرحها.

وكان الإمام الشافعيُّ رحمه الله يُثني على محمَّد بنِ الحسن ويقول: ما رأيتُ أحداً أعلمَ بالحلال والحرامِ والناسخِ والمنسوخِ من محمَّد، ولولاه ما انفتق لي من العلمِ ما انفتق، وما رأيتُ أعقلَ منه.

وكان محمَّدٌ إذا ذُكر عنده الشافعيُّ يقول: مرحباً بمَن يملأ الأُذن سَمْعاً، والقلبَ فَهْماً، والعينَ رَوْنقاً، وقال الشافعيُّ رحمه الله: أخذتُ عن محمَّد بن الحسنِ حِملَ بعيرٍ ذَكَر، وما رأيتُ سميناً أخفَّ روحاً منه ولا أفصحَ منه.

وقال رجلٌ للشافعي: خالفك الفقهاءُ في المسألة الفلانية، فقال: ومَن الفقهاء؟ وهل رأيت فقيهاً قطّ؟ اللهمَّ إلَّا أن يكون محمَّد بن الحسن، فإنَّه كان يملأ العينَ والقلب.

وكان محمَّد يقول لأهله: لا تسألوني حاجةً من حوائج الدُّنيا فتشغلوا قلبي، وخذوا ما تحتاجون إليه من وكيلي؛ فإنَّه أقلُّ لهمِّي وأفرغُ لقلبي.

قال إبراهيمُ الحَرْبي: قلت لأحمدَ بن حنبل: من أين لك هذه المسائل الدِّقاق؟ فقال: من كتب محمَّد بن الحسن.

وقال هارونُ لمحمَّد: إنَّ عمرَ بن الخطَّاب صالح بني تَغْلِبَ على ألَّا ينصِّروا أولادَهم، وقد نصَّروا أولادَهم [وحلَّت بذلك دماؤهم، فما ترى؟ قال: قلت: إنَّ عمرَ أمرهم بذلك وقد نصَّروا أولادَهم][1] بعد عمرَ في أيَّام عثمان، واحتمل لهم ذلك، وهو مذهبُ ابن عمِّك عليِّ بنِ أبي طالب، وكان من العلم بمكانٍ لا يخفى، ورأيُك أَعلى. فقال: إنَّ اللهَ أمر رسولَه بالمشورة فقال: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. ونحن نُجريهم على ما كانوا عليه، ولا نتعرَّض لهم.

وكان محمَّد لا يرى صحبةَ السُّلطان وينهى عنها، وكان هارونُ يعترف بفضله ويُثني

(١) ما بين حاصرتين من تاريخ بغداد ٢/ ٥٦٤ .

عليه، ويقول: هو أجدرُ بالقضاءِ من غيره، وولَّاه قضاءَ الرقَّة مُكْرَهاً برأي أبي يوسف، فقال لأبي يوسف: إنَّما أشرتَ عليه بذلك حَسَداً لي، فقال: إنِّي نظرت، فإذا اللهُ قد بثَّ علمَنا في الدنيا إلَّا الجزيرةَ والشامات، فأحببتُ أن تكونَ بها حتى ينشرَ اللهُ بك العلم.

ذِكر وفاتِه:

خرج مع هارونَ إلى الرَّيِّ في سنة تسعٍ وثمانين ومئة، فتوفِّي هو والكسائيُّ في يومٍ واحدٍ ومحمَّدٌ ابن ثمانٍ وخمسين سنة، فقال هارون: دفنتُ الفقهَ والعربيةَ بالرَّي.

وقال هلالٌ الرَّازي: دخلتُ على محمَّدٍ وهو يبكي، فقلت: أتبكي مع العلم! قال: لا، وإنَّما أبكي على صُحبة هذا الرَّجل، أرأيتَ لو أوقفني اللهُ بين يديه وقال لي: ما الذي أَقدمك إلى الرَّي، الجهادُ في سبيلي وابتغاءُ مرضاتي؟ فما الذي كنتُ أقول له.

أَسند عن أبي حنيفَة وغيرِه، وحدَّث عنه الإمام الشافعيُّ وغيرُه.

وكان محمَّدٌ إذا قيل له: إنَّ أُناساً يَقَعون فيك، ينشد يقول: [من البسيط]

مُـحَـسَّـدون وشـرُّ الـنـاسِ مـنـزلـةً ... مَن عاش في الناسِ يوماً غيرَ محسودِ[1]

وقال محمَّدُ بن حمُّويه -وكان من الأبدال- رأيت محمَّد بن الحسنِ بعد موتِه في منامي، فقلتُ له: ما فعل اللهُ بك؟ فقال: غفر لي وقال لي: لم أجعلْك وعاءً للعلم وأنا أريد أن أعذِّبَك، فقلت: فما فعل أبو يوسُف؟ قال: فوقي بدرجات، قلت: فأبو حنيفة؟ قال: فوقي وفوقَ أبي يوسفَ بطبقات.

وممَّن اسمُه محمَّد بن الحسنِ:

محمَّد بن الحسنِ

ابن الحسين أبو عبدِ الله الدِّمشقي. ومن شِعره: [من الطويل]

فـإنْ عَـزم [2] الـعُـذَّال يـومَ لـقـائـنـا ... ومـا لـهـمُ عـنـدي وعـنـدك مـن ثـارِ

(١) انظر أخبار أبي حنيفة وأصحابه ص٥٦، وتاريخ بغداد ١٥/ ٥٠٣.

(٢) كذا في (خ)، والمحمَّدون من الشعراء ص٣١٨، والوافي ٢/ ٣٥٦. وفي تاريخ دمشق ٦١/ ٣٠٥: غرم. بالغين المعجمة والراء المهملة.

وشنُّوا على أَسماعنا وتكاثروا ... وقلَّ جنودي عند ذاك وأنصاري
لقيناهمُ من ناظرَيْك ومُهجتي ... وأَدْمُعِنا بالسَّيف والسَّيل والنار

محمَّد بنُ الحسن بنِ شعبة[1] الحُسَيني[2]

شاعرٌ فصيح، سكن طرابلسَ الشام، ارتجل في صديقٍ له ركب البحرَ إلى الإسكندرية في طرابلسَ فقال: [من الخفيف]

شرعوا في دمي بتشريع شُرْعٍ[3] ... تركوني من شَدِّها في وَثاقِ
قرَّبوا للنَّوى القواربَ كيما ... يقتلوني ببينِهم والفِراق
قَلَعوا حين أَقلعوا بفؤادي ... ثم لم يَلْبَثوا كقَدْر الفُوَاق[4]
ليتهم حين ودَّعوني وساروا ... رَحموا عَبرتي وطولَ اشتياقي
هذه وِقفةُ الفراقِ فهل أَحـ ... ـيا ليومٍ يكون فيه التَّلاقي

محمَّدُ بن الحسنِ بن الكَفَرْطابي الأديب

خلَّف له أبوه عشرةَ آلافِ دينار، فأَنفقها في الأصدقاءِ والصِّلات. وكان من أولاد الشُّهود، وقيل: القُضاة، ومن شعره: [من البسيط]

قد عبَّرَتْ عَبرتي عن سرِّ أَجفاني ... وحاوَرَتْ حَيرتي من قبل إعلاني
لا تسألوا كيف حالي بعدَ بُعدِكمُ ... قد خبَّرَتْكمْ شؤونُ العينِ عن شاني[5]

وتوفِّي بدمشقَ سنةَ ثمانٍ وتسعين وأربعِ مئة.



(١) كذا في (خ) والوافي ٢/ ٣٥٦ . وفي تاريخ دمشق ٦١/ ٣٤٢: معية.

(٢) في تاريخ دمشق والوافي: الحسني.

(٣) في تاريخ دمشق ٦١/ ٣٤٣: بتشديد شرع. والشرع جمع شراع. والأبيات أيضاً في الوافي بالوفيات.

(٤) الفواق: ما بين الحلبتين من الوقت. القاموس المحيط (فوق).

(٥) تاريخ دمشق ٦١/ ٣٤٤، والمحمدون من الشعراء ص٣٧١، والوافي ٢/ ٣٥٦ .

السَّنة التِّسعون بعد المئة

فيها خلع رافعُ بن الليثِ بنِ نصرِ بن سيَّارٍ هارونَ بسَمَرْقَنْدَ وخرج عن الطَّاعة.

وسببُه: أنَّ يحيى بنَ الأشعث الطائيَّ كان قد تزوَّج ابنةَ عمٍّ له بسمرقند، ثم قدم بغدادَ فأَقام بها مدَّة، وبلغها أنَّه قد تسرَّى ببغداد، فطلبت الخلاصَ منه، وكان رافعُ بن الليثِ مقيماً بسمرقند، فطمع في مالها وجمالِها، فدسَّ إليها من قال لها: لا سبيلَ لك إلى الخلاص منه حتى ترتدِّي عن الإسلام، فتَبِينينَ منه ثم تحلِّين للأزواج، فارتدَّت ثم أسلمت، فتزوَّجها رافع، وبلغ يحيى بنَ الأشعث، فأَخبر الرشيد، فكتب إلى عليِّ بن عيسى بنِ ماهانَ بأن يفرِّقَ بينهما، وأن يطافَ برافعٍ على حمارٍ مقيَّداً في سمرقند؛ ليكونَ نَكالاً لغيره، ففعل ذلك عليُّ بن عيسى وحبس رافعاً، فهرب من الحَبْس، وتبعه جماعةٌ ممَّن صادرهم عليُّ بن عيسى، فسار إليه عليُّ بن عيسى من مَرْو[1]، فالتقيا على سمرقند، فهزمه رافع، فعاد إلى مروَ وأقام يجمع العساكر.

وفيها أَسلم الفضلُ بن سَهْلٍ على يد المأمون.

وفيها دخل الرشيدُ بلادَ الرُّوم في مئةٍ وخمسةٍ وثلاثين ألفاً من الجند ممَّن يأكل الدِّيوان سوى المطَّوِّعة، وبثَّ العساكرَ في الرُّوم، ونازل هِرَقْلَة، فافتتحها في شوَّال، فهدمها وقتل أهلها، وافتتح شَراحيلُ بنُ معنِ بن زائدةَ حصنَ الصَّقالِبَة ودَبْسَة[2]، وافتتح يزيدُ بن مَخْلَدٍ الصَّفصاف، وسَبَوا خلقاً عظيماً من الرُّوم ومن جزيرة قُبْرُص، فبلغ عددُهم ستَّةَ عشر ألفاً، فقدم بهم الرقَّة[3]، وتولَّى بيعَهم القاضي أبو البَختري، فبلغ أُسْقُفُّ قبرصَ ألفَي دينار.

---

(١) الذي سار إليه ابنه عيسى بن علي. انظر تاريخ الطبري ٨/ ٣٢٠، والمنتظم ٩/ ١٧٨، والكامل ٦/ ١٩٥، وتاريخ الإسلام ٤/ ٧٩٣.

(٢) في (خ): دليسة، والمثبت من الطبري ٨/ ٣٢٠، والمنتظم ٩/ ١٨٢، ونسخة من الكامل ٦/ ١٩٦ أشار إليها محققه.

(٣) في المصادر عدا تاريخ الإسلام ٤/ ٧٩٣: الرافقة. والرافقة بلد متصل البناء بالرقة، كما في معجم البلدان (الرافقة).

واتَّخذ هارونُ في هذه الغَزاةِ القَلَنْسُوة، وكتب عليها: حاجٌّ غازٍ، فكان يَلبَسها، وقال أبو المعلَّى[١] الكلابي: [من الوافر]

فـمَـن يَـطـلُـبْ لـقـاءَك أو يُـرِدْهُ فـبـالـحَـرَمَـيـن أو أَقـصـى الـثُّـغـورِ
فـفـي أرض الـعـدوِّ عـلـى طِـمِـرٍّ وفـي أرض الـبَـرِيَّـة[٢] فـوقَ كُـورِ

ولمَّا عاد الرشيدُ من الرُّوم، بعث إليه نقفورُ بالجزية عن رأسه ورؤوسِ أهله وبَطارِقَتِه وسائرِ أهله وبلدِه خمسين ألفَ دينار، عن رأسه أربعةَ دنانير، وعن ابنه إستبراقَ[٣] دينارين، وعن كلِّ رأسٍ من بطارقته ديناراً[٤]. وكانت جاريةٌ من أهل هِرَقْلَةَ قد سُبيت، فكتب نقفورُ إلى الرَّشيد: أمَّا بعد: أيُّها الملك، فإنَّ لي إليك حاجةً لا تضرُّك في دِينك ودُنياك، هيِّنةً يسيرة، أن تهبَ لي جاريةً من بنات هرقلةَ كنتُ خطبتُها على ابني، فإن رأيتَ أن تُسعِفَني بحاجتي فعلتَ. واستهداه سُرادقاً وطيباً ودِرياقاً[٥]. فجهَّز الرشيد الجاريةَ في سُرادق كان نازلاً فيه، وأعطاها الحُلِيَّ والحُلَلَ والجواهر والفُرش والطِّيب والدِّرياق، وبعث إليه هدايا وألطافاً، وشرط عليه ألَّا يَعْمُرَ هِرَقْلَة، وأن يبعثَ إلى الرشيد في كلِّ سنة ثلاثَ مئة ألفِ دينار.

وقال الهيثم: نازل هرَقْلةَ فاستصعب أمرُها، فقال في نفسه: الحربُ خَدْعَة، فنادى في الناس: اِقطعوا الصخورَ وابنُوا فهذه دارُ مُقام، فشرعوا في ذلك، فلمَّا رأى أهلُ هرقلةَ ذلك، جعلوا ينزلون من السُّور في الليلِ في الجبال، فلما قلَّ أهلُها، نصب عليها المَجانيق، وجدَّ في القتال، ففتحها عَنوة، ووجد بها جاريةً فائقةَ الجمال، فاتَّخذها لنفسه، فلمَّا عاد إلى الرَّافِقَةِ، بنى لها حِصْناً بين الرافقةِ وبالِس[٦]، وسمَّاه هرقلة،

(١) كذا في تاريخ الإسلام ٤/ ٧٩٣، والبداية والنهاية ١٣/ ٦٧٤، وفي تاريخ الطبري ٨/ ٣٢١: أبو المعالي. وفي تاريخ بغداد ١٦/ ٩: أبو السعلى، وفي مختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ٦: أبو السعلي.

(٢) كذا في تاريخ الإسلام وبعض النسخ الخطية لتاريخ الطبري كما بهامشه وفي مطبوع تاريخ الطبري والبداية والنهاية: الترفه، وفي الوافي ٢٧/ ١٩٨: الثنية، والصواب: البنية، كما في تاريخ بغداد ومختصر تاريخ دمشق. والبنية الكعبة.

(٣) في (خ): استبراب، والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ٣٢١.

(٤) في الكامل ٦/ ١٩٦: وعن بطارقته كذلك .اهـ. أي: دينارين.

(٥) الدرياق والترياق: دواء مركب. القاموس المحيط (ترق، درق).

(٦) بلدة بالشام بين حلب والرقة. معجم البلدان.

يحاكي به هرقلة، وقد دَثَر. ولمَّا بعث نقفورُ يطلبها، جهَّزها إليه، فبعث نقفورُ بجزيته وجزيةِ أهلِ بلده، وقال أبو العتاهية: [من الطويل]

إمامَ الهُدى أصبحتَ بالدِّين مَعْنيّا وأصبحتَ تَسقي كلَّ مُسْتَمْطِرٍ رِيّا
إذا ما سَخِطتَ الشيءَ كان مُسخَّطاً وإن ترضَ شيئاً كان في الناس مَرضيّا
لك اسمانِ شُقّا من رشادٍ ومن هُدى فأنت الذي تُدعى رشيداً ومَهدِيّاً
بَسَطتَ لنا شرقاً وغرباً يدَ العُلا فأوسعتَ شرقيًّا وأوسعتَ غربيّا
ووشَّيتَ وجهَ الأرضِ بالجود والنَّدى فأصبح وجهُ الأرضِ بالجود مَوشيّا
وأنت أميرُ المؤمنين فتى التُّقى نَشَرتَ من الإحسان ما كان مَطويّا
قضى اللهُ أنْ صفَّى لهارونَ مُلكَه وكان قضاءُ اللهِ في الخلق مَقضيّا
فأصبحت الدُّنيا مقرًّا لمُلكه وأصبح نقفورٌ لهارونَ ذِمِّيّا[(١)]

[وفيها حجَّ بالناس عيسى بنُ موسى الهادي.

وفيها توفي][(٢)]

سَعْدون المَجْنون

[من عُقَلاء المجانين ببغداد. روى أبو نُعيم الحافظُ بإسناده عن] الفَتْح بنِ شَخْرَف [قال][(٣)]: كان سعدون صاحبَ محبَّة لله تعالى، صام ستِّين سنةً حتى خفَّ[(٤)] دماغُه، فسمَّاه الناسُ مجنوناً لتردُّد قولِه في المحبَّة، فغاب عنَّا زماناً، فبينا أنا قائمٌ على حلقة ذي النُّون المصريِّ، وإذا به عليه جبَّةُ صوفٍ مكتوبٌ عليها: لا تُباع ولا تُشترى، فسمع كلامَ ذي النُّون، فصرخ وقال: [من الطويل]

ولا خيرَ في شكوى إلى غيرِ مُشْتَكًى ولا بدَّ من شكوى إذا لم يكن صبرُ

[وحدَّثنا غيرُ واحدٍ عن محمَّد بنِ أبي منصورٍ بإسناده إلى يحيى بنِ أيوب قال:]

---

(١) تاريخ الطبري ٨/ ٣٠٩، والمنتظم ٩/ ١٨٤، وتكملة الديوان ص٦٧٤-٦٧٥ باختلاف يسير.

(٢) من بداية هذه السنة بدأت النسخة (ب)، وأحداث هذه السنة فيها مقتصرة على ما بين حاصرتين.

(٣) في (خ): قال الفتح بن شخرف.

(٤) في (خ): جف. والمثبت من (ب) وهو الموافق لحلية الأولياء ٩/ ٣٧١، والمنتظم ٩/ ١٨٥، والبداية والنهاية ١٣/ ٦٧٥.

خرجتُ يوماً إلى مقابر [باب][(١)] خراسانَ، فإذا رجلٌ قد دخل المقابرَ وهو مُقَنَّع، فجعل كلَّما رأى قبراً مُنْخَسِفاً وقف عليه، فتأمَّلته، فإذا به سعدون، كلَّما وقف على قبرٍ بكى، وكان يكون في كوخٍ في مقابر عبدِ الله بنِ مالك، فقلت له: يا سعدون، ما تصنع ها هنا؟! فقال: يا يحيى، هل لك أن تجلسَ فتبكيَ على هذه الأبدانِ قبل أن تبلَى فلا يبكي عليها باك.

ثم قال: يا يحيى البكاءُ على القدومِ على الله أَولى من البكاءِ عليها، ثم قال: ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ [التكوير: ١٠]. ثم صاح صيحةً عظيمةً وقال: واغوثاهُ مما يقابلني في الصُّحف. قال يحيى: فغُشي عليّ، وأَفقتُ وهو جالسٌ يمسح وجهي بكمِّه ويقول: يا يحيى، مَن أشرفُ منك لو مُتَّ في هذا المقام؟

[وروى ابنُ باكويه الشيرازيُّ عن ذي النُّون المصريِّ قال:][(٢)] خرج الناسُ يَستسقون بالبصرة، فكنت ممَّن خرج، فبينا أنا مع الناس، إذا بيدَين قد قبضتا على رِجلي، فقلت: مَن أنت؟ خلِّ عنِّي، فقال: أنا سعدون، أين تريد يا أبا الفَيْض؟ قلت: أريد المُصَلَّى أَدعو الله، فقال: بقلبٍ سماويٍّ أو بقلب خاوٍ، قلت: بقلبٍ سماوي، قال: أُنظر ما تقول، لا تُبَهْرِجْ؛ فإنَّ النَّاقدَ بَصير. ثم قال: تدعو وأؤمِّن على دعائك، أو أدعو وتؤمِّن على دعائي؟ قلت: بل تدعو وأؤمِّن على دعائك، فصفَّ قدمَيه ثم قال: إلهي بحقِّ البارحة إلَّا أَمطرتَنا.

قال ذو النُّون: فواللهِ لقد رأيت الغيومَ قد ارتفعت عن اليمين والشِّمال حتى التقت، وجاء المطرُ كأفواه العَزَالي[(٣)]، فقلت له: بحقِّ مَعبودِك، أيُّ شيءٍ كان بينك وبين محبوبِك البارحة؟ قال: لا تدخل بيني وبين قُرَّة عيني، فقلت: لا بدَّ أن تُخبرَني، فأنشأ يقول: [من الوافر]

أَنِستُ به فلا أَبغي سواه ... مخافةَ أن أَضِلَّ فلا أَراهُ
فحسبُك حَسْرةً وضنىً وسُقماً ... بطَرْدِك عن مجالسِ أولياهُ

(١) ما بين حاصرتين من (ب).

(٢) في (خ): وقال ذي النون المصري، والمثبت من (ب)، وأخبار سعدون في صفة الصفوة ٢/ ٥١٢ـ٥١٦.

(٣) جمع عزلاء، وهو مصب الماء من الراوية ونحوها. القاموس المحيط (عزل).

[حدَّثنا جدِّي عن عمرَ بنِ ظفرٍ بإسناده إلى] ذي النُّون [قال][١]: رأيت سعدونَ في المَقبُرة في يومٍ حارّ، وهو يُناجي ربَّه بصوتٍ عالٍ ويقول: أَحَدٌ أحد، فسلَّمت عليه وقلت: بحقِّ مَن تناجيه إلَّا ما وقفتَ لي، فوقف وقال: قل وأَوجز، قلت: أَوصِني بوصيَّة [أَحفظها عنك، أو تدعو لي بدعوة] فقال: [من المنسرح]

يا طالبَ العلمِ من هنا وهنا ومَعدِنُ العلمِ بين جنبَيكا
إنْ كنت تبغي الجِنانَ تسكنُها فاذْرِفِ الدَّمعَ فوق خدَّيكا
وقُمْ إذا قام كلُّ مُجْتَهِدٍ وادعُ لكيما يقولَ لبَّيكا[٢]

ثم مضى وقال: يا غياثَ المستغيثين أَغِثني، فقلت له: أُرفقْ بنفسك، فلعلَّه يَلْحَظُك لَحْظةً فيغفر لك، فنفض يدَه من يدي وقال:

أَنِستُ به فلا أَبغي سواه

[وذكر البيتين وقال: أواه.

وروى الخطيبُ عن] الأصمعيّ [قال][٣]: مررتُ بسعدون، وإذا هو جالسٌ عند رأس شيخٍ سكرانَ يَذُبُّ عنه، فقلت: ما لي أراك جالساً عند رأسِ هذا؟! فقال: إنَّه مجنون، فقلت: أنت أو هو؟ قال: بل هو، قلت: ولِمَ؟ قال: لأنِّي صلَّيت الظهرَ والعصرَ جماعة، وهذا ما صلَّى جماعةً ولا فُرادى، قلت: فهل قلتَ في هذا شيئاً؟ قال: نعم، ثم قال: [من المتقارب]

تركتُ النبيذَ لأهلِ النَّبيذ وأصبحتُ أشرب ماءً قَراحا
فإنَّ النبيذَ يُذلُّ العَزيزَ ويكسو الوجوه النّضار الصباحا[٤]
فإنْ كان ذا جائزاً للشَّباب فما العُذرُ فيه إذا الشَّيب لاحا

فقلت: صدقت.

---

(١) في (خ): وقال ذي النون. وما بين حاصرتين من (ب).

(٢) صفة الصفوة ٢/ ٥١٤ .

(٣) في (خ): وقال الأصمعي.

(٤) كذا في صفة الصفوة ٢/ ٥١٥، ولعل الصواب: ويكسو بذاك الوجوه الصِّباحا، كما في المنتظم والبداية والنهاية ١٣/ ٦٧٦، أو: ويكسو السواد الوجوهَ الصِّباحا، كما في نسخة من البداية والنهاية (طبعة مكتبة المعارف) ١٠/ ٢٠٤ . ووقع في مطبوع المنتظم ٩/ ١٨٦ : ويكسو سواد الوجوه الصباحا، وهو خطأ.

[وروى الخطيبُ عن] صالح المُرِّي [قال]: قرأتُ بين يدي سعدون: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٥٨] فصفَّق وقال: مِلاحٌ والله، ثم قال: [من مجزوء الخفيف]

إنَّ في الخُلْدِ جاريه ... هي حُسْنٌ كما هيه
لو تراها على النَّما ... رِقِ بالغُنْجِ ماشيه
لتمنَّيتَ أنَّها ... لكَ ما عشتَ باقيه
كَتَبَتْ في شقائق الـ ... ـخدِّ سطراً بغاليه
أنا للزَّاهد الذي ... عينُه الدهرَ باكيه[1]

[وذكر جدي في «المنتظم» أنه مات في هذه السنة، ولم أقف على تاريخ وفاته في غير «المنتظم». وفيها توفيِّ]

يحيى بنُ خالد بنِ بَرْمَك

أبو جعفر، وقيل: أبو الفضل، وقيل: أبو عليّ[2] [وقد ذكرنا ترجمةَ أبيه خالدٍ وجدِّه برمك وبدايةَ يحيى. وذكره الخطيبُ فقال:] كان المهديُّ قد ضمَّ إليه هارونَ وجعله في حِجْره، ومات المهديُّ ولقي من الهادي ما ذكرنا، فلمَّا استخلف هارون، فوَّض إليه الأمور، وكان يسمِّيه أبي، ثم نكبه، وقتل ابنَه جعفراً، وحبس يحيى وأهلَه حتى مات في حبسه.

[ذكر طرفٍ من أخباره:

قال علماءُ السِّيَر:] كان [يحيى] من عقلاءِ الرِّجال، الموصوفين بالجُود والنَّوال، والإحسان والإفضال، معدوداً في الأجواد المُمَدَّحين، والوزراءِ المُحْسنين، حسنَ التأتِّي، ميمونَ النَّقيبة، فصيحَ الكلام، حليماً متجاوزاً سيِّداً، عديمَ النظيرِ في الدنيا.

[وحكى الصوليُّ أنَّه] لم يُطلِق أحدٌ وهو راكبٌ على دابَّته ألفَي ألفِ درهمٍ سواه[ركب يوماً إلى دار الخليفة إلى منزله وقد اجتمع ببابه أربابُ الرواتبِ والقُصَّاد،

(١) صفة الصفوة ٢/ ٥١٥-٥١٦.
(٢) (ب): أبو يحيى. وهو تحريف، وانظر ترجمته في تاريخ بغداد ١٦/ ١٩٥، والمنتظم ٩/ ١٨٨، والسير ٩/ ٨٩، وتاريخ الإسلام ٤/ ٩٩٩.

فقاموا إليه، فقال: مَن هؤلاء؟ فقالوا: أربابُ الرواتب، تأخَّرت الرواتب، قال: ومَن أخَّرها؟ قيل: البوَّاب، فاسترجع، قال: تُطلَق] وتسمَّى إطلاقَ الهُوِيّ؛ لأنَّه أَطلقها وهو يَهوي من دابَّته للنزول [فكانت ألفَي ألفِ درهم](١).

[وحكى الصوليُّ أيضاً قال: مدح شاعرٌ يحيى بنَ خالد] فقال(٢): [من الطويل]

سألتُ النَّدى هل أنت حرٌّ فقال لا ... ولكنني عبدٌ ليحيى بنِ خالدِ
فقلت شراءً قال لا بل وراثةً ... توارثني من والدٍ بعدَ والد(٣)

فأعطاه مئةَ ألفِ درهم، وكان كلَّما مرَّت بخاطره أعطاه مئةَ ألفٍ حتى نُكب.

[وحكى الخطيبُ(٤) عن إسحاقَ بنِ إبراهيمَ قال: كانت صلةُ يحيى بنِ خالد] إذا ركب(٥) لمن يتعرَّض له مئتي درهم، فركب ذاتَ يوم، فتعرَّض له [أديب] شاعرٌ فقال:

ياسَمِيَّ الحَصورِ يحيى أُتيحت ... لك من فضل ربِّنا جنَّتانِ
كلُّ من مرَّ في الطريق عليكمْ ... فله من نوالكمْ مئتان
مئتا درهمٍ لمثلي قليلٌ ... هي منكمْ للقابس العَجْلان

فقال له يحيى: صدقت، وأمر بحمله إلى داره، فلمَّا رجع من دار الخليفةِ سأله عن حاله، فقال: تزوَّجتُ امرأة، وقد خيِّرت بين أن أؤدِّيَ مهرَها وهو أربعةُ آلافِ درهم، وإمَّا أن أطلِّق، وإمَّا أن أقيمَ بالمرأة حتى يتهيَّأ نقلُها إلى منزل، وليس لي منزل. فأَمر له يحيى بأربعة آلافٍ للمهر، وأربعة آلافٍ لشراء منزل، وأربعةِ آلافٍ لما يحتاج إليه المنزل، وأربعةِ آلافٍ للدُّخول بها، وأربعةِ آلافٍ يستظهر بها، فانصرف وقد أعطاه عشرين ألفاً.

وقال إسحاقُ الموصليّ: أضقتُ إضاقةً شديدة، فأتيتُ يحيى بنَ خالد، فذكرتُ له ذلك، فقال: ما حضر عندي في هذا الوقتِ شيء، ولكن قد جاءني خليفةُ صاحبِ

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب).
(٢) في (خ): ومدحه شاعر فقال.
(٣) العقد الفريد ١/ ٢٦٨، والبداية والنهاية ١٣/ ٦٨٠ دون نسبة.
(٤) في تاريخه ١٦/ ١٩٦.
(٥) في (خ): وكانت صلته إذا ركب، وما بين معكوفين من (ب).

مصرَ يسألني أن أستهديَ صاحبَه شيئاً، وأَبيتُ عليه، وقد لحّ، وقد جاءك يطلب منك جاريتَك، فلا تَنقصْها من ثلاثين ألفَ دينار، فإنِّي سأستهديه إيَّاها. قال: فخرجتُ من عنده، فما شعرت إلَّا بالرَّجل قد جاءني وساومني الجارية، فقلت: لا أَنقصها عن ثلاثين ألفَ دينار، فاشتراها بعشرين ألفَ دينار، وكانت تساوي ألفَ دينار. ثم حملها إلى يحيى، فاستدعاني وقال: كم دفع لك في الجارية؟ قلت: بعتُها بعشرين ألفَ دينار، فقال: إنَّك لَخسيس، خذ جاريتَك، فهذا خليفةُ صاحبِ فارسَ قد جاء[في] مثل هذا، فلا تنقصْها من خمسين ألفَ دينار. فأخذتُها وخرجت، وإذا خليفةُ صاحبِ فارسَ قد جاء فساومني إيَّاها، فبعتها منه بثلاثين ألفَ دينار، ثم أتيتُ يحيى فأخبرته، وقال: ويحك، ألم تؤدِّبك الأولى عن الثانية! خذ جاريتَك، فقلت: جاريةٌ أَفادتني خمسين ألفَ دينارٍ ثم أملكها! لا والله، أُشهدك أنها حرَّة وقد تزوَّجتُها.

ولما تنكَّر الرشيدُ للبرامكة، بعث صالحاً صاحبَ الموصلِ[(١)] إلى منصور بنِ زيادٍ يقول له: قد وجب عليك عشرةُ آلافِ ألفِ درهم، فاحملها إليَّ اليوم، فإنْ فعل إلى قبلَ غروبِ الشَّمس وإلَّا فأْتِني برأسه من غيرِ مراجعة. قال صالح: فخرجتُ إلى منصورٍ فعرَّفته، فقال: ذَهَبَتْ واللهِ نفسي، واللهِ ما أَملك ثلاثَ مئةِ ألفِ درهم فضلاً عن عشرة آلافِ ألف درهم. ثم قال: يا صالح، اِحملني إلى أهلي حتى أُوصي، فلمَّا دخل على الحَرَم، أَوصى، وارتفع صُراخ الحرمِ والجوار.

ثم قال منصورٌ لصالح: امضِ بنا إلى يحيى بن خالدٍ لعل اللهَ أن يأتي بالفَرَج على يده، فدخلا على يحيى، فبكى منصور، فقال: ما لَك؟! فقصَّ عليه القصَّة، فأطرق مفكِّراً، ثم دعا جاريتَه فقال: كم عندكِ من المال؟ فقالت: خمسةُ آلافِ ألفِ درهم، فقال: أعديها[(٢)]، ثم بعث إلى ابنه الفضلِ قال: يا بُنيّ، كنتَ أَخبرتني أنَّك تريد أن تشتريَ ضيعةً بألفَي ألفِ درهم، وقد وجدتُ لك ضيعةً تُغِلُّ الشُّكر، وتبقى على ممرِّ الدهر، فابعث إليَّ بالمال، فبعث به إليه، وبعث إلى جعفرٍ فقال: يا بنيّ، ابعث لي

(١) في المنتظم ٩/ ١٩٠، والتذكرة الحمدونية ٢/ ١٩١: صاحب المصلى.

(٢) كذا، ولعلها: أعيريها. والله أعلم.

بألفِ ألفِ درهمٍ[١] لحقٍّ قد لزمني، فبعث به إليه، ثم فكَّر ساعة، ثم قال لخادمٍ على رأسه: أُدخل إلى دنانيرَ فقل لها: هاتِ العِقدَ الذي وهبه لك أميرُ المؤمنين، فجاءَ به فقال: هذا عقدٌ ابتعتُه لأمير المؤمنين بمئة ألفِ دينارٍ وعشرين ألفِ دينار، فوهبه لدنانير، وقد قوَّمناه عليك بألفَي ألفِ درهمٍ ليتمَّ المال، فخلٍّ عن صاحبنا.

قال صالح: فأخذتُ المالَ ورددتُ منصوراً معي، فلمَّا صرنا إلى الباب تمثَّل منصورٌ وقال: [من الوافر]

فـمـا بُـقْـيـا عـلـيَّ تـركـتـمـانـي ... ولـكـن خِـفْـتُـمـا صَـرَدَ الـنِّـبـالِ

قال صالح: فقلتُ في نفسي: ما أحدٌ أكرمَ من يحيى، ولا أحدٌ أردأَ من هذا النَّبَطي؛ إذ لم يشكرْ مَن أَحيا نفسَه، وصرتُ إلى الرشيد، فعرَّفته ما جرى إلَّا إنشادَ البيت؛ خوفاً على منصورٍ أن يقتلَه، فقال الرشيد: قد علمتُ أنَّه لا يَسلم إلَّا بأهل هذا البيت، فاقبض المالَ وردَّ العِقد، فما كنت لأهبَ هبةً ثم أرتجعها.

قال صالح: وحملني غيظي من منصورٍ أنَّني عرَّفت يحيى ما أَنشد، فأَقبل يحيى يتحمَّل له العُذرَ ويقول: إنَّ الخائفَ لا يبقَى له لُبّ، وربَّما نطق بما لا يعتقد. فقلت: واللهِ ما أدري من أيِّ فعلَيك أَعجب، من فعلك معه أو من اعتذارِك عنه؟ لكنِّي أعلم أنَّ الزمانَ لا يأتي بمثلك أبداً.

وقال بعضُ عمومةِ الرشيدِ ليحيى قبل نَكْبتِه: إنَّ هارونَ قد أحبَّ جمعَ المالِ لولده، وقد كثَّروا عليك وعلى أولادك وأصحابِك عنده، فلو نظرتَ إلى ضِياع أصحابِك وأموالِهم فتقرَّبتَ بها إلى ولده أَمِنتَ غائلَتَه، فقال: هيهاتَ هيهات، والله لَأَن تزولَ نعمتي عني أحبُّ إليَّ من أن أُزيلَها عن قومٍ كنتُ سبباً في إيصالها إليهم، وكلُّ كائنٍ مَقضيّ. وفيه يقول أبو قابوس الحِميَري: [من البسيط]

رأيـتُ يـحـيـى أتـمَّ اللهُ نـعـمـتَـه ... عـلـيـه يـأتـي الـذي لـم يـأتِـه أَحـدُ
يَـنـسـى الـذي كـان مِـن مـعـروفـهِ أبـداً ... إلـى الـرِّجـال ولا يـنـسـى الـذي يَـعِـدُ[٢]

(١) في (خ): بألف ألف ألف درهم. والمثبت من المنتظم ٩/ ١٩١، والتذكرة الحمدونية، والبداية والنهاية ١٣/ ٦٧٩.
(٢) تاريخ بغداد ١٦/ ١٩٧، ووفيات الأعيان ٦/ ٢٢٥.

وقال العُتْبي: مرض يحيى، فكان إسماعيلُ بن صبيحٍ إذا عاده جلس عند رأسِه، ودعا له، ثم يخرج فيسأل الخادمَ عن نومه وأكلِه وشرابِه ولا يسأل يحيى، فلمَّا برئ قال: ما عادني[1] إلَّا إسماعيلُ بن صبيح.

[وحكى الخطيبُ[2] عن محمَّد بنِ يحيى النَّديمِ قال:] قال يحيى: ثلاثةُ أشياءَ تدلُّ على عقول أربابِها: الهديَّة، والكتاب، والرسول. [قال:] وقال لولده: اكتبوا أحسنَ ما تسمعون، واحفظوا أحسنَ ما تكتبون، وتحدَّثوا بأحسنِ ما تحفظون.

و[قال عليُّ بن عيسى:] كان يقول: إذا أَقبلت الدنيا فأَنفق؛ فإنَّها لا تفنى، وإذا أَدبرت فأَنفِق؛ فإنَّها لا تبقى.

وقال: حاجبُ الرجلِ عاملُه على عِرضه. ومَن بلغ رتبةً فتاهَ بها، كان محلُّه دونها.

وقال: يدلُّ على حِلم الرجلِ سوءُ أدبِ غلمانه. وقال لابنه: خذ من كلِّ شيءٍ طرفاً؛ فإنَّ مَن جهل شيئاً عاداه.

وقال [الأصمعيّ: كان يحيى يقول][3]: الدنيا دُوَل، والمالُ عارية، ولنا بمَن كان قبلَنا أُسوة، وبمن بعدنا عِبرة.

واختطَّ جعفرٌ داراً، فقال له أبوه: يا بُنيّ، هي قميصُك، فإن شئتَ فضيِّق، وإن شئت فوسِّع.

وكتب إلى هارونَ من الحبس رُقْعةً يقول فيها: لأمير المؤمنين وخليفة ربِّ العالمين، من عبدٍ أَسلمتْه ذنوبُه، وأَوْبَقتْه عيوبُه، وخذله شقيقُه، ورفضه صاحبُه ورفيقه، فعَثَر به الزَّمان، ونزل به الحَدَثان، فحلَّ في الضِّيق بعد السَّعة، والبؤسِ بعد الدَّعة، ولبس البلاءَ بعد الرَّخاء، وافترش السخط بعد الرِّضا، واكتحل السُّهادَ وعَدِمَ الرُّقاد، فساعتُه شهر، وشهرُه دهر[4]، جَزَعاً يا أميرَ المؤمنين -قدَّمني اللهُ قَبلَك- على ما فات من قُربك، لا على شيءٍ من المواهب؛ لأنَّ الأهلَ والمالَ كانا عارية، والعارِيَّةُ

(١) في (خ): ما دعاني. والكلام ليس في (ب).

(٢) في تاريخه ١٦/ ١٩٥ . وما بين حاصرتين من (ب).

(٣) ما بين حاصرتين من (ب).

(٤) في العقد الفريد ٥/ ٦٨، والمحاسن والمساوئ للبيهقي ص٥٣٥: وليلته دهر.

مردودة، وأمَّا ولدي فأُصيب بذنبه وحقِّه، وما أخشى عليك الخطأ في أمره، ولا أنَّك جاوزتَ به فوق حدِّه، فتفكَّر في أمري، واذكرْ حالي، واعفُ عن ذنبٍ مِن صاحبه الزَّللُ ومنك الإقالة، وإنَّما أعتذر إليك حتى ترضى، فإذا رضيتَ، لم يتعاظمْ ذنبي عندك غفرانُه. ثم كتب في أسفلها: [من مجزوء الكامل]

قُلْ لِلخليفة ذي الصَّنا ئعِ والأيادي العاليهْ
وابنِ الخلائفِ من قُريـ شٍ والملوكِ الهاديه
مَلِكَ الملوكِ وخير مَن ساسَ البرايا الماضيه
إنَّ البرامكةَ الذيـ ن رُموا لديك بداهيه
عمَّتهمُ لك سَخطةٌ لم تُبقِ منهمْ باقيه
فكأنَّهمْ في حالهم أعجازُ نخلٍ خاويه
صُفْرُ الوجوه عليهمُ خِلَعُ المذلَّة باديه
بَعدَ الوِزارة والإما رةِ والأمورِ الساميه
أضْحَوا وجُلُّ رضاهمُ[(١)] منك الرِّضا والعافيه
يا لَهْفَ نفسي حَسْرةً ما للزَّمان ومالِيه
يا عطفةَ المَلِكِ الرِّضا عُوديْ علينا ثانيه

فلمَّا وقف هارونُ عليها، وقَّع على رأسها: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ﴾ الآية[النحل: ١١٢]، وكتب في أسفلها:

يا آلَ برمكَ إنَّكمْ كنتمْ ملوكاً عاتيهْ
فطَغيتمُ وبَغيتمُ وكفرتمُ نَعمائيَه
أَجرى القضاءُ عليكمُ ما خنتموه علانيه
مِن تركِ نصحِ إمامكمْ عند الأمورِ الباديه
هذي عقوبةُ مَن عصى مَعبودَهُ[(٢)] وعصانيه

---

(١) في العقد الفريد ٥/ ٦٩، والمحاسن والمساوئ ص٥٣٦: مناهم.

(٢) في المحاسن والمساوئ ص٥٣٨: من فوقه.

وقال الفضلُ لأبيه(١): يا أَبَة، بعد الأمرِ والنَّهي والأموالِ العظيمةِ أَصارنا الدهرُ إلى القيود ولُبسِ الصوفِ والحبوس! فقال له: يا بُني، دعوةُ مظلومٍ، سَرَت بليل، غَفَلْنا عنها ولم يغفُل اللهُ عنها، ثم قال يُنشد: [من الرمل]

ربَّ قومٍ قد غدَوا في نعمةٍ ... زَمَناً والدَّهرُ ريَّانُ غَدَقْ

سكت الدهرُ زماناً عنهمُ ... ثم أَبكاهم دماً حينَ نَطَقْ

[ذكر دخول زوجة يحيى على هارون]:

حكى العُتبيُّ والهيثمُ بن عَديٍّ عن] الفضلِ بن الرَّبيع [قال](٢): كانت أمُّ جعفرِ بن يحيى، وهي فاطمةُ بنت محمَّد بن الحسين بن قَحْطَبة، وقيل: اسمُها عُبادة، وليست أمَّ الفضل [التي أَرضعت الرشيدَ بلِبانها] وكان هارونُ يُكرمها كما يفعل بأمِّه الخَيزُران، ويتبرَّك برأيها ولا يحجبها عنه، ويسمِّيها: أمِّي، فلمَّا نكب البرامكةَ حجبها عنه، فطلبت الإذنَ عليه، فحُجِزَت عنه، فلمَّا طال ذلك عليها، خرجت كاشفةً وجهَها، حاسرةً حافية، واضعةً لِثامها، فوقفت ببابه، فأعظم الناسُ ذلك، فدخل الحاجبُ فقال: أمُّ أميرِ المؤمنين في حالٍ تَسرُّ الشامتَ وتسوء الصَّديق، فأَذن لها، فدخلت، فلمَّا رآها على تلك الحال، قام حافياً فتلقَّاها من باب المجلس، وأكبَّ يقبِّل رأسَها ومواضعَ يديها، وأَقعدها معه في فراشه، فبكت وقالت: يا أميرَ المؤمنين، أَيعدو علينا الزَّمان، ويخوِّفنا الأعوان(٣)، ونجرُّ ذيل الهوان، وقد ربَّيتك في حِجري، وأخذتُ بذلك الأمانَ من دهري!؟ فقال: وما ذاك يا أمَّاه؟ قالت: ظِئرُك يحيى وأبوك بعد أبيك، فقال لها: أمرٌ سبق وقضاءٌ نفذ، فقالت: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ۝٣٩﴾ [الرعد: ٣٩] قال: فهذا أمرٌ لم يمحُه، فقالت: الغيب محجوبٌ عن النبيِّين، فكيف عنك يا أميرَ المؤمنين. فأَطرق ساعةً ثم رفع رأسَه وقال: [من الكامل]

---

(١) في تاريخ بغداد ١٦/ ١٩٨، والمنتظم ٩/ ١٩١ أن القائل جعفر بن يحيى. وفي حاشية الأصل من المنتظم أنه الفضل. وأبهمه الذهبي في تاريخ الإسلام ٤/ ١٠٠٠، وابن كثير في البداية والنهاية ١٣/ ٦٧٩. ونسب القول الذهبي في السير ٩/ ٩٠ لأولاده.

(٢) في (خ): قال الفضل بن الربيع، وما بين معكوفين من (ب).

(٣) في العقد الفريد ٥/ ٦٣: ويجفونا خوفاً لك الأعوان.

وإذا المنيَّةُ أنشبت مِخلابَها ... ألفيتَ كلَّ تميمةٍ لا تَنفعُ[(١)]

فقالت: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]الآية، [فأطرق هارونُ مليًّا، ثم][(٢)] أَنشد: [من الطويل]

إذا انصرَفَت نفسي عن الشيءِ لم تَكَدْ ... إليه بوجهٍ آخِرَ الدهرِ تُقْبِلُ

فقالت: وهو القائل:

ستُقطَع في الدُّنيا إذا ما قطعتَني ... يمينُك فانظر أيَّ كفٍّ تبدَّلُ[(٣)]

فقال: قد رضيت. فلم تزل تُرَقِّقه[(٤)]، وأنشدت: [من الكامل]

وإذا افتَقَرْتَ إلى الذَّخائر لم تجدْ ... ذُخراً يكون كَصالح الأعمالِ[(٥)]

فقال: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾ [الروم: ٤] فلمَّا آيسها، أخرجت حُقًّا[(٦)] من زمرُّد أخضر، فوضعته بين يديه وفتحت عنه قُفلاً من ذهب، فأخرجت منه ثناياه وذؤابتَه وخَفْضَتَه، وقد غَمَست الجميعَ في المِسك، وقالت: هذه ثناياك وذؤابتُك، وأنا أتشفَّع بها إليك في يحيى، فلثمه هارونُ واستعبر باكياً، وبكى أهلُ المجلس، ولا يُظنُّ ذلك البكاءُ إلا رحمةً ليحيى، وسبق البشيرُ إلى يحيى، ثم أعاد هارونُ الجميعَ إلى الحُقِّ وقال لها: بحسن ما حفظتِ الوديعة، فقالت: وأنت أهلٌ للخير والمكافأة، فأعاد إليها الحُقَّ ثم قال: أَشتريه منك؟ قالت: نعم، قال: بكم؟ قالت: بعفوك عمَّن لم يُسخطْك قطّ، فقال: أما لي عليك من الحَقِّ مثلُ الذي لهم، قالت: بلى، لكن أنت أعزُّ عليَّ منهم وهم أحبُّ إليَّ منك، قال: فتسلِّي بثمن الحُقِّ مهما أردتِ عنهم، فوَجَمَتْ، ورَمَت الحُقَّ بين يديه وقالت: قد وهبتُه لك، وقامت فخرجت، وبقي مبهوتاً لا يُحير جواباً.

---

(١) البيت لأبي ذؤيب الهذلي، وهو في ديوان الهذليين ص٣، وروايته: أنشبت أظفارها.

(٢) ما بين معكوفين من العقد ٥/ ٦٣.

(٣) البيتان من قصيدة لمعن بن أوس. انظر معجم الشعراء ص٣٢٣، والخزانة ٨/ ٢٩٢ .

(٤) من قوله: وأنشد: إذا انصرفت، إلى هنا ليس في (ب).

(٥) البيت للأخطل، وهو في ديوانه ص١٥٨.

(٦) الحقة: الوعاء من خشب. القاموس المحيط (حقق).

قال: فو اللهِ ما عادت إليه، ولا سُمعت لها أنَّة، ولا رُئيت لها عَبرة.

و[قال سهلُ بن هارون:](١) كتب يحيى إلى هارونَ ورقةً وأرسلها إلى زبيدة، فناولَتْه إيَّاها وقتَ لذَّته، فكتب في أسفلها: عِظَمُ ذنبِك أمات خواطرَ العفوِ عنك. فلمَّا قرأها يئس منه.

ذِكر وفاتِه:

[قال الخطيب:](٢) توفِّي [يحيى بنُ خالد] في حبس هارونَ بالرَّافقة لثلاثٍ خَلَون من المحرَّم سنة تسعين ومئة، وهو ابنُ سبعين سَنَة، وصلَّى عليه ابنُه الفضل، ودُفن على شاطئ الفراتِ في رَبَض هَرْثَمَة. ووجدوا في جُبَّته رقعةً فيها مكتوبٌ بخطِّه: قد تقدَّم الخصمُ، والمدَّعى عليه على الأثر، والقاضي هو الحاكمُ العَدْلُ الذي لا يَجور ولا يحتاج إلى بيِّنة(٣)، فحُملت الرُّقعة إلى الرَّشيد، فقرأها، فلم يزل يبكي يومه، وبقي أياماً يتبيَّن الأسى في وجهه [وفي رواية: وفي آخرها: وستعلم فتندم].

و[يقال: إنَّ الرشيد] لمَّا قرأ الرقعةَ قال [وكتب]: الحاكمُ الذي رضيتَ به في الآخرة هو الذي أعدى عليك الخصمَ في الدنيا، وهو ممَّن لا يُتَّهم في قضائه. [قالوا: وليس هذا بجوابٍ ليحيى، لعدم التَّساوي في الدنيا](٤).

وكان ليحيى من الولد الفضلُ وجعفرٌ وموسى ومحمَّد وغيرُهم، فولَّى المأمونُ موسى بنَ يحيى المدينة، وهو شقيقُ جعفر، وولَّى الفضلَ دمشق.

وكان المأمونُ محسناً إلى أولاد يحيى [وسنذكر ذلك]، ويُثني عليهم وعليه ويقول: أهلُ بيتٍ خُصُّوا بالفضل والجودِ ومكارمِ الأخلاق ما لم يوجدْ ذلك في غيرهم، وينشد: [من الطويل]

إذا قَدِموا بطحاءَ مكَّةَ أَشرقت ... بيحيى وبالفضل بنِ يحيى وجعفرِ

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب).

(٢) في تاريخه ١٦/ ١٩٩ . وما بين حاصرتين من (ب).

(٣) بعدها في (خ): وستعلم فتندم، وستأتي قريباً.

(٤) ما بين حاصرتين من (ب).

فـمـا خُـلـقـتْ إلَّا لـجـودٍ أكـفُّـهـمْ وأَقـدامُـهـمْ إلَّا لأعـوادِ مـنـبـر[١]

و[حكى القاضي يحيى بنُ أكثمَ قال:] كان [المأمون][٢] يقول: لم يكن كيحيى وولدِه في الكفاية والجودِ والبلاغة والشَّجاعة نظير، ولقد صدق القائل: [من مجزوء الرجز]

أولادُ يـــحـــيـــى أربـــعٌ كـــالأربـــع الـــطـــبـــائـــعِ
فـــهـــم إذا اخـــتـــبـــرتَـــهـــم طـــبـــائـــع الـــصَّـــنـــائـــع

فقال له ابن أكثم: الكفايةُ والجودُ والبلاغة [نعرفها]، ففيمن[٣] الشَّجاعة؟ فقال: هي واللهِ في الكلّ، خصوصاً في موسى، وقد عزمتُ على أن أولِّيَه ثَغْرَ السِّند.

وكان يحيى يُجري على سفيانَ بنِ عيينةَ في كلِّ شهرٍ ألفَ درهم، فسُمع سفيان يقول في سجوده: اللهمَّ إنَّ يحيى قد كفاني أمرَ دنياي فاكفِه أمرَ آخرته. فلمَّا مات يحيى، رآه بعضُ إخوانه في المنام، فقال: ما صنع اللهُ بك؟ فقال: غفر لي بدعوة سفيان. [وقد ذكرناه بمعناه في ترجمة جعفرِ بن يحيى، إلَّا أنَّه ليس فيه ذِكرُ المنام][٤].

حكايةٌ جرت في أيَّام المأمون [تتعلق بالبرامكة]:

حدَّثنا غيرُ واحدٍ عن محمَّد بنِ عبد الباقي البزَّاز بإسناده عن] مَسْرورٍ الخادم قال[٥]: استدعاني المأمونُ فقال لي: قد أكثر عليَّ أصحابُ [أخبار] السِّرِّ أنَّ شيخاً يأتي خرابَ البرامكة، فيبكي وينتحبُ طويلاً، ثم يُنشد شعراً يَرثيهم وينصرف، فاركب أنت ودينارُ ابن عبد اللهِ واستترْ بالجدران، فإذا جاء وشاهدتماه وسمعتما ما يقول، فأْتياني به.

فركبنا مُغَلِّسين، وأتينا المكان فاختفينا، فلمَّا طلع الفجر، جاء خادمٌ أسودُ وبيده كرسيٌّ من حديد، فطرحه، وجاء على أَثَره كَهْل، فجلس عليه وتلفَّت فلم يَر أحداً، فبكى وانتحب، حتى قلتُ: فارق الدُّنيا، وأنشد: [من الطويل]

---

(١) البيتان لمحمد بن مناذر، انظر طبقات الشعراء ص١٥٢، والأغاني ١٨/ ٢٠١، ووفيات الأعيان ٦/ ٢٢٤.

(٢) ما بين حاصرتين من (ب).

(٣) في (خ): ففيم، والمثبت من تاريخ بغداد ١٦/ ١٩٧ وما بين معكوفين منه، ووفيات الأعيان ٦/ ٢٢٢.

(٤) ما بين حاصرتين من (ب).

(٥) في (خ): قال مسرور الخادم.

ولـمَّـا رأيـتُ الـسـيـفَ خـالـطَ جـعـفـراً

الأبيات المتقدمة[١]. فلمَّا قام قبضنا عليه، فقال: ما تريدان منِّي؟ قلنا: أميرُ المؤمنين يستدعيك، وهذا دينارُ بن عبدِ الله وأنا مسرور، فأبلس وقال: إنِّي لا آمنه على نفسي، فأَمهِلني حتى أُوصي، قلت: شأنك. فسرنا معه، فوقف على دُكَّان رجلٍ واستدعى دواةً وبيضاء، وكتب فيها وصيَّته ودفعها إلى خادمه، وسرنا به، فلمَّا مَثُل بين يدي الخليفة زَبَره وقال: مَن أنت؟ وبم استحقَّ البرامكةُ منك ما تصنع؟ فقال غيرَ هائبٍ ولا مُحْتَشِم:

يا أميرَ المؤمنين، إنَّ للبرامكة عندي أياديَ خَضِرة، فإنْ أمر أميرُ المؤمنين حدثتُه ببعضها، فقال: هات، فقال: أنا المنذرُ بن المغيرةِ الدِّمشقي، نشأتُ في نعمة، فزالت عني حتى أَفضيتُ إلى بيع داري، وأَمْلَقتُ إلى الغاية، فأُشير عليَّ بقصد البرامكة، فخرجتُ إلى بغدادَ ومعي نيِّفٌ وعشرون امرأةً وصبياً، فدخلتُ بهم إلى مسجد ببغداد، ثم خرجت وتركتهم جِياعاً لا نفقةَ لهم، فمررتُ بمسجدٍ فيه جماعةٌ عليهم أحسنُ زِيّ، فجلست معهم أُردِّد في صدري ما أُخاطبهم به، فتجد نفسي عنده ذلَّ السؤال[٢]، وإذا خادم قد أزعج القوم، فقاموا وقمت معهم، فدخلوا داراً كبيرَّة ودخلت، فإذا بيحيى بن خالدٍ جالسٌ على دَكَّةٍ وسطَ بستان، فجلسنا، وكنا مئةَ رجلٍ ورجل، فخرج مئةُ خادمٍ وخادم، في يد كلِّ واحدٍ مِجْمَرةٌ من ذهبٍ فيها قطعةُ عَنْبَر، فسَجَروا العود، وأقبل [يحيى] على القاضي وقال: زوِّج ابنَ عمِّي هذا بابنتي عائشة، فخطب وعقد النِّكاح، وأخذ بالنُّثار من فُتات المسكِ وبنادقِ العنبر وتماثيلِ النَّدّ، والتقط الناسُ ولقطت، ثم جاءنا الخدمُ في يد كلِّ واحدٍ صينيةٌ فيها أَلفُ دينارٍ مخلوطةٌ بالمسك، فوضع بين يدي كلِّ واحدٍ صينية، فأَقبل كلُّ واحدٍ يأخذ الدنانيرَ في كمِّه والصينيةَ تحت إبطه ويخرج، وبقيتُ أنا وحدي لا أَجسر أَفعلُ ذلك، فغمزني بعضُ الخدمِ وقال: خذها وقم، فأَخذتها وقمت، وجعلت أمشي وأَلتفت خوفاً من أن تؤخَذَ مني، ويحيى يلاحظني من حيث لا أَفطُن.

---

(١) ص٩٩، وانظر الخبر في المنتظم ٩/ ١٤٦.

(٢) في المنتظم ٩/ ١٤٦: فتحيد نفسي عن ذل السؤال.

فلمَّا قاربت السِّتر، رُددتُ، فيئستُ من الصينية، فجئت، فأمرني بالجلوس وسألني عن حالي، فحدَّثته بقصَّتي، فبكى ثم قال: عليَّ بموسى، فجاءه، فقال: يا بُنيّ، هذا رجلٌ من أولاد النِّعم قد رمته الأيامُ بصرفها، فخذه واخلطْه بنفسك، فأخذني فخلع عليّ، وأمرني بحفظ الصِّينية، فكنتُ في العيش يومي وليلتي، ثم استدعى أخاه العباسَ وقال: إنَّ الوزير سلَّم إليَّ هذا وأريد الرُّكوبَ إلى دارِ أميرِ المؤمنين، فلْيكن عندك اليوم، فكان يومي مثلَ أمسي، وأَقبلوا يتداولوني وأنا قَلِقٌ بأمر عيالي، ولا أتجاسر أن أذكرَهم، فلمَّا كان اليومُ العاشر، أُدخلت على الفضل، فأقمتُ عنده يومي وليلتي، فلمَّا أصبحت جاءني خادمُه فقال: قم إلى عيالك وصبيانك، فقلت: إنَّا لله، ذَهَبَت الصينيةُ وما فيها، فليت هذا كان من أوَّل يوم، وقمت مع الخادمِ أمشي، فأخرجني من الدار، فازداد يأسي، ثم أَدخلني إلى دارٍ كأنَّ الشمسَ قد طلعت من جوانبها، وفيها من صنوف الآلاتِ والفُرُش، فلما توسَّطتها، رأيت عيالي يرتعون في الدِّيباج والحريرِ وفنونِ الأَطعمة، وقد حملت إليهم مئة ألفِ درهمٍ وعشرة آلافِ دينار، وسلَّم إليَّ الخادمُ صكًّا بضيعتَين جليلتين وقال: هذه الدارُ وما فيها والضَّيعتان لك.

فأقمتُ مع البرامكة في أَخفضِ عيشٍ إلى الآن، ثم قصدني عَمرو بنُ مَسعدةَ في الضَّيعتين، وأَلزمني من خَراجهما مالا يفي [به] دخلُهما، فكلَّما لحقتني نائبة، قصدتُ دورَهم فبكيتُهم، فاستدعى المأمونُ عَمرَو بن مسعدةَ وأمره أن يردَّ عليه ما استخرج منه، ويقرِّرَ خراجه على ما كان عليه في أيَّام البرامكة، فبكى الرجلُ بكاءً شديداً، فقال له المأمون: أَلم أستأنفْ بك جميلاً! قال: بلى، ولكن هذا من بركةِ البرامكة، فقال(١): امضِ مصاحَباً؛ فإنَّ الوفاءَ مبارك، وحسن العهدِ من الإِيمان [انتهت ترجمته واللهُ أعلم، والحمدُ لله وحده، وصلَّى اللهُ على محمَّد].



(١) في (خ): وأنشد.

السَّنة الحاديةُ والتِّسعون بعد المئة

فيها استفحل أمرُ رافعِ بن اللَّيثِ بسَمَرْقَنْد، فكتب إليه أهلُ نَسَفَ يعطونه الطاعةَ، ويسألونه أن يبعثَ إليهم مَن يُعينهم على عيسى بنِ علي، فوجَّه صاحب الشاشِ في عسكره، فقُتل عيسى بنُ عليٍّ بن ماهان، وكان والياً عليهم.

ولمَّا بلغ الرشيدَ قتلُ عيسى وتفريطُ عليٍّ في أمر خراسان، عزله وولَّى هَرْثَمةَ بن أَعْيَن، وكان عليُّ بن عيسى لمَّا قُتل ابنُه عيسى ببَلْخَ خرج[1] منها، فأتى مَرْوَ خوفاً أن يقصدَه رافعُ بن الليث، وكان عيسى بنُ عليٍّ قد دَفن ببلخ في بستان دارِه أموالاً عظيمة، قيل: مبلغُها ثلاثون ألفَ ألفِ درهم، ولم يُعلِم بها عيسى سوى جاريةٍ كانت له، فلمَّا شخص عليٌّ عن بلخ، أَطلعت الجاريةُ بعضَ الخدم، وتحدَّث به الناسُ وشاع الخبر، فاجتمع أهلُ بلخ ودخلوا البستانَ واستخرجوا الأموال، ونهبها العامَّة، وبلغ الرشيدَ الخبر، فقال: خرج عليٌّ من بلخ بغير أمري وبها هذه الأموالُ، وهو يزعم أنَّه باع حُلِيَّ نسائه وأَنفقه في محاربة رافع! فعزله وولَّى هرثمة، فاستصفى أموالَ عليٍّ بن عيسى، فبلغت ثمانين ألفَ ألفِ درهم.

وحكى بعضُ موالي الرشيدِ فقال: كنَّا بجُرْجان مع الرشيدِ وهو يريد خُراسان، فوصلت خزائنُ عليٍّ بن عيسى على ألفٍ وخمس مئةِ بعير.

ولمَّا عزم الرشيدُ على عزل عليٍّ بن عيسى، دعا هَرْثمةَ مُسْتَخلياً فقال: إنِّي لم أشاورْ فيك أحداً ولم أُطلعه على سِرِّي فيك، وقد اضطرب عليَّ ثَغْرُ المشرق، وإنَّ عليَّ بن عيسى أمرهُ مختلف، وقد نبذ عهدي وراءَ ظهره، وقد خالف أمري، وقد كتب إليَّ يستمدّ، وأنا كاتبٌ إليه، أخبره بأنِّي قد بعثتك مَدداً له، وأنِّي قد بعثت معك من الأموال والسِّلاح والعددِ ما يطيب به قلبُه ويطمئنُّ إليه، وقد كتبتُ كتاباً بخطِّ يدي، فلا تَفُضَّه حتى تصلَ إلى نَيْسابور، فإذا نزلتَها فاعمل بما فيه ولا تجاوزْه، وإنِّي موجِّه معك رجاءَ الخادمَ بكتابٍ أكتبه إلى عليٍّ بن عيسى بخطِّي ليتعرَّفَ ما يكون منك ومنه، فتأهَّبْ

---

(١) في (خ): فخرج، والكلام غير موجود في (ب). وانظر تاريخ الطبري ٨/ ٣٢٤.

للمسير، وأَظهِر أنَّك إنَّما وجَّهتُك مدداً لعليِّ بن عيسى.

ثم كتب كتاباً بخطِّه إلى عليِّ بن عيسى يشتمه ويقذف أمَّه ويقول: رفعتُ من قدرك، ونوَّهت باسمك، وأوطأتُك سادةَ العرب، وجعلت أبناءَ الملوكِ العجم خَوَلك وأتباعَك، فكان جزائي أن خالفتَ عهدي، ونبذتَ وراءَ ظهرِك أمري، حتى عِثْتَ في الأرض وظلمتَ الرَّعية، وقد ولَّيتُ هَرْثَمةَ بن أَعيَنَ مولاي ثغرَ خراسان، وأمرتُه أن يشدَّ وطأتَه عليك وعلى ولدك وكتَّابك وعمَّالك، ولا يتركَ وراء ظهرِكم درهماً واحداً، ولا حقًّا لمسلمٍ ولا معاهدٍ إلَّا أخذكم به، حتى يردَّ الحقَّ إلى أهله. وذكر كلاماً هذا معناه.

وكان أهلُ خراسان قد كتبوا إلى هارونَ أنَّ رافعاً لم يَخلع ولا خرج عن الطاعة، وإنَّما السببُ الموجبُ لخروجه وخروجِ أهل خراسانَ معه ظلمُ عليِّ بن عيسى، فإنَّه قد سامهم العَسف.

ولما سار هرثمة، شيَّعه هارونُ إلى النَّهروان وأوصاه بما يعتمد عليه.

وفيها وقع الثلجُ بمدينة السلامِ[وحكاه جدِّي في «المنتظم»[١] وزاد بأن قال: فكان] مقدارَ أربعِ أصابعَ مفرَّجة. [قلت: وإنَّما يُستعظم هذا ببغدادَ لأنَّ الثلجَ قليلُ الوقوعِ بها، وإلا فهو في غيرها قامات.

وحجَّ بالناس الفضلُ بن العباسِ بنِ محمَّد بنِ عليٍّ وهو أميرٌ على مكَّة][٢].

فصل وفيها توفي

عيسى بنُ يونسَ

ابنِ أبي إسحاقَ السَّبيعي، أبو عَمرٍو الكوفي[٣].

من الطبقة السابعةِ من أَهل الكوفة. انتقل إلى الشَّام ونزل ثَغرَ الحَدَث، فأَقام به

---

(١) ٩/ ١٩٤ . وما بين حاصرتين من (ب).

(٢) بعدها في (ب): والحمد لله وحده وصلى الله على أشرف خلقه محمد وآله وصحبه وسلم. اهـ. وتنتهي السنة بها.

(٣) تاريخ بغداد ١٢/ ٤٧٣، المنتظم ٩/ ١٩٥، تاريخ الإسلام ٤/ ٩٣٩، السير ٨/ ٤٧٣، تهذيب الكمال (٥٢٦٢).

مرابطاً.

وكان زاهداً عابداً، تُعرض عليه الأموالُ فلا يقبل شيئاً.

حجَّ الرشيد ومعه الأمينُ والمأمون، فلمَّا نزل الكوفة قال لأبي يوسفَ القاضي: قل للمحدِّثين يحدِّثونا. فجاؤوا، فلم يتخلَّف من شيوخ الكوفةِ إلَّا اثنان: عبدُ الله بنُ إدريس، وعيسى بنُ يونس.

فركب الأمينُ والمأمونُ إلى ابن إدريس، فحدَّثهما بمئة حديث، فقال له المأمون: يا عمّ، أتأذنُ لي أن أُعيدَها عليك من حفظي؟ قال: نعم، فأَعادها كما سمعها، فعجب ابنُ إدريسَ من حفظه، فقال له المأمون: يا عم، إنَّ إلى جانب مسجدِك داراً، أتأذن لي أن نشتريَها وتوسِّع بها مسجدَك؟ قال: لا، قد أَجزأَ هذا مَن كان قبلي، وهو يُجزئني.

فنظر المأمونُ إلى قَرحٍ في ذراع ابنِ إدريسَ فقال: يا عمّ، أتأذن لي أن أبعثَ إليك مَن يداويك؟ قال: لا، قد ظهر بي مثلُ هذا وبرئ، فأمر له بمالٍ فلم يقبلْه.

ثم صارا إلى عيسى، فحدَّثهما، فأمر له المأمونُ بعشرة آلافِ درهم، فردَّها، فظنَّ أنَّه استقلَّها، فأَمر له بعشرين ألفاً، فقال: لا واللهِ ولا شربة ماءٍ على حديث النبيِّ ﷺ.

وقال جعفرُ بن يحيى بنِ خالد[1]: ما رأينا مثلَ عيسى بنِ يونس، أَرسلنا إليه، فأتانا بالرقَّة، فاعتلَّ قبل أن يرجع، فقلت: يا أبا عَمرو، قد أُمر لك بخمسين ألفاً، فقال: لا حاجةَ لي فيها، فقلت: هي مئةُ ألف، فقال: لا واللهِ لا يتحدَّث أهل العلمِ أنِّي أكلت للسُّنَّة ثمناً، أَلَا[2] كان ذا قبل أن تُرسلوا إليّ، فأمَّا على الحديث فلا واللهِ ولا شربة ماءٍ ولا إهلِيلَجة[3].

ومات بالحَدَث في هذه السَّنة، وقيل: مات سنةَ تسع[4] وثمانين، وقيل: سنةَ إحدى وثمانين، وقيل: سنةَ ثمانٍ وثمانين ومئة. وغزا خمساً وأربعين غَزاة، وحجَّ خمساً

(١) وهو البرمكي: انظر النجوم الزاهرة ٢/ ١٣٦.

(٢) في (خ): لا، والمثبت من تاريخ بغداد ١٢/ ٤٧٥، وتاريخ دمشق ١٤/ ١٢٢ (مخطوط).

(٣) في (خ): هليلجة. والإهليلج: شجر ينبت في الهند وكابل والصين، ثمره على هيئة حب الصنوبر الكبار. المعجم الوسيط (الإهليلج).

(٤) لعلها: سبع، كما في المصادر، ولم يذكر هذا التاريخ أحد.

وأربعين حجَّة.

أَسند عن هشام بنِ عروةَ وغيره، وروى عنه الإمامُ أحمدُ رضي الله عنه وغيرُه. وكان ثقةً ثبتاً صَدوقاً حجَّة، أخرج عنه البخاريُّ ومسلمٌ وغيرهما.

مَخْلَد بنُ الحسين(١)

أبو محمَّد البصريّ. تحوَّل من البصرة فنزل المَصِّيصة، فأَقام بها مرابطاً.

وكان عالماً، زاهداً، وَرِعاً، خائفاً، حافظاً للسانه، لا يتكلَّم فيما لا يَعنيه، قال: منذ خمسين سنةً ما تكلَّمت بكلمةٍ أريد أن أعتذرَ منها.

أَسند عن هشام بنِ حسَّان وغيرِه.



(١) طبقات ابن سعد ٩/ ٤٩٥، حلية الأولياء ٨/ ٢٦٦، المنتظم ٩/ ١٩٦، تاريخ الإسلام ٤/ ١٢٠٣، السير ٩/ ٢٣٦.

السَّنة الثانيةُ والتِّسعون بعد المئة

فيها نزل هَرْثَمَةُ بن أَعيَن نيسابورَ ومعه الأموالُ والسِّلاح والخِلَع، وأَظهر أنَّه إنَّما جاء مُوِدًّا لابن ماهان، وكتب عهودَ جماعةٍ على كُوَر خراسانَ ونَسَا وسَرْخَسَ وجُرْجان وغيرِها، واستكتمهم الحالَ إلى يومٍ معلوم، وسار إلى مَرو، فلمَّا بقي بينه وبينها مرحلة، كتب أساميَ أولادِ عليٍّ وأهلِه وأصحابِه وخواصِّه وعمَّاله في رِقاع، ودفع إلى كلِّ رجلٍ من ثقاته رقعةً وقال: احتفظ بمَن اسمُه معك، خوفاً أن يهربوا.

فلمَّا صار على ميلَين من مروَ، تلقَّاه[1] عليُّ بن عيسى في ولده وأهلِ بيته وقوَّاده وخواصِّه، فلمَّا وقعت عينُ هرثمةَ عليه، أَومأ إلى النُّزول خدمةً لعليِّ بن عيسى، فصاح به عليّ: واللهِ لَئن نزلتَ لأَنزلنّ، فاعتنقا وقَبَّل كلٌّ واحدٍ منهما صاحبَه، وسارا يتحدَّثان حتى وصلا إلى قنطرةٍ لا يجاوزها إلَّا فارس، فتأخَّر هرثمةُ وقال لعليّ: سِر على بركة الله، فامتنع، فأَقسم عليه هرثمة، فسار، ودخلا مروَ ونزلا منزلَ عليّ، ورجاءٌ الخادمُ مع هرثمةَ لا يفارقه، وقُدِّم لهم الطعام، فأكلوا، ثم دفع رجاءٌ الخادمُ كتابَ الرشيدِ إلى عليِّ بن عيسى، فلمَّا قرأ أوَّله سُقِط في يده، وتيقَّن أنَّه قد حلَّ به ما كان يتوقَّعه، ثم أمر هرثمةُ بتقييده وتقييدِ ولده وكتَّابه وعمَّاله، فلمَّا استوثق منهم، صعد المنبرَ في جامع مروَ، وأخبر الناسَ بإنكار أميرِ المؤمنين لِمَا بدا من عليِّ بن عيسى، وأنَّه لم يأمرْه بالظُّلم بل بالعدل، وقرأ عليهم عهدَه وطيَّب قلوبَهم، فعلت أصواتُهم بالتكبير والدعاءِ للرَّشيد.

ثم نزل ونادى في المسلمين وأهلِ الذِّمَّة: مَن كانت له مطالبةٌ أو وديعةٌ فلْيَحْضُر، فحضر الناسُ وأَحضروا الودائع، إلَّا رجلاً من أبناء مجوسِ مروَ يقال له: العلاءُ بن ماهيار[2]، وكان لعليٍّ عنده مال، فأَرسل إليه سِرّاً يقول: لكَ عندي مال، فإن أمرتَني بحمله حملتُه، وإلَّا صبرتُ للقتل فيك؛ إيثاراً للوفاء، وطلباً لجميل الثَّناء، فقال: لو

---

(١) في (خ): وتلقاه. وانظر تاريخ الطبري ٨/ ٣٣٤ . وقد ذكر هذه الأحداث سنة ١٩١ خلافاً لغيره.

(٢) في تاريخ الطبري ٨/ ٣٣١: ماهان.

اصطنعتُ مثلَك ألفَ رجل ما طمع فيَّ السُّلطان، ثم قال: احفظْه عندك، فإنْ هلكتُ فهو لك، وإن بقيتُ رأيتُ فيه رأيي، وكان مالاً عظيماً، فيه جواهرُ وطيبٌ كثير، فاستصفى هَرْثمةُ جميعَ أموالِ عليّ، حتى نسائهم وسقوف منازلهم، وكان الرجالُ يفتِّشون بواطنَ النساء، ويجعلون ذلك وسيلةً إلى أغراضهم.

ولمَّا فرغ هرثمةُ من استصفاءِ الأموال، أقام عليًّا وولدَه وكتَّابه لمظالمِ الناس، فكلُّ مَن ادَّعى عليه بمالٍ أو بحقّ يقول له هرثمة: أُخرج من حقِّه، ثم يقول لصاحب الحقّ: ترى أن تؤجِّلَه؟ فيقول: نعم. ولم يَسلَم لعليٍّ من المال سوى ما كان عند المجوسيّ، فكان المجوسيُّ يجتمع بصاحب الحقِّ ويُرضيه من ذلك المال، وزعم رجلٌ أنَّ عليًّا أخذ منه دَرَقةً قيمتها ثلاثةُ آلافِ درهمٍ ومَطَلَه، فوقف له يوماً يطلب ثمنَها، فقذف أمَّه وشتمه، فطلب قَذْفَ أمِّه وثمنَ دَرَقته، فقال له هرثمة: ألك بيِّنة؟ قال: نعم، وأَحضر شهوداً، فقال هرثمةُ لعليّ: وجب عليك الحدّ، فقال له عليٌّ: هذا من فهمك وعلمِك! أَشهد أنَّ أمير المؤمنين قذفك غيرَ مرَّة، وأَشهد أنَّك قذفت أولادَك غيرَ مرة، فمَن يأخذ لهؤلاء بحدودهم منك! ومَن يأخذ من مولاك! فقال هرثمةُ لصاحب الدَّرقة: أُطلب ثمنَ دَرَقتِك الآن، ودعْ قذفَ أمِّك.

وكتب هرثمةُ إلى هارونَ يُخبره بما صنع، فكتب إليه يشكره ويصوِّب آراءه فيما فعل.

وفيها قدم الرشيدُ من الرقَّة إلى بغدادَ في السُّفن لخمسٍ بقين من ربيعِ الأوَّل، واستخلف ابنَه القاسمَ على الرَّافقة، وضمَّ إليه خُزَيْمةَ بن خازم، وسار من بغدادَ لخمسٍ خلونَ من شعبان، فنزل النَّهروان، واستخلف على بغدادَ محمَّداً الأمين.

وقال ذو الرِّياستين: قلتُ للمأمون لمَّا عزم هارونُ على المسير إلى خراسانَ لحرب رافعِ بن الليث: لستَ تدري ما يحدث بأبيك، فإنْ أقمت ببغداد، فأَحسنُ ما يُصنع بك أن تُخلعَ من العهد؛ لأنَّ محمَّداً ابنُ زبيدة، وأخواله بنو هاشم، وقد عرفتَ زبيدةَ وأموالَها. فسأله أن يكونَ معه، فأذن له بعد امتناعٍ منه(١).

وقال ابنُ الصباح الطبريُّ مولى عيسى بنِ جعفرٍ الهاشمي: شيَّع أبي هارونَ حتى

---

(١) تاريخ الطبري ٨/ ٣٣٨.

خرج إلى خراسانَ، ومضى معه إلى النَّهروان، فجعل يحادثه في الطَّريق، إلى أن قال له: يا صباح، لا أَحسبك تراني بعدها أبداً، قال: فقلت: بل ردَّك الله سالماً قد فتح اللهُ عليك، وأَراك في عدوِّك ما تحبّ، فقال: يا صباح، لعلك لا تدري ما أَجد، قلت: لا والله، قال: تعالَ حتى أُريَك، فعدل عن الطريق قدرَ مئةِ ذراعٍ واستظلَّ بشجرة، وأَومأَ إلى خدم الخاصَّة فتنحَّوا، ثم قال: بأمانة اللهِ يا صباحُ أنْ تكتمَ عليّ، فقلت: أنا عبدُك، فكشف عن بطنه، فإذا عِصابةٌ من حريرٍ حوالي بطنِه وظهرِه قد عَصَبها، وكلُّ بَدَنه نِقاباتٌ وقروحٌ عليها المَراهم، فقال: هذه حالي الباطنةُ منذ سنةِ تسعٍ وثمانين، واللهِ ما علم بها إلَّا ابنُ بختيشوع عينٌ عليَّ لمحمَّد، ومسرورٌ عينٌ عليّ لعبد الله، وقد بلغني أنَّهما أَخبراهما بمرضي، وليس فيهم إلَّا مَن يُحصي أنفاسي، ويعدُّ أيَّامي، ويستطيل دَهري، فإن أردتَ أن تعرفَ ذلك فالساعةَ أدعو بدابَّة فيجيؤونني ببِرذونٍ أَعجفَ قَطُوف[1]؛ ليزيدَ في عِلَّتي. ودعا ببِرذون، فجاؤوه ببرذونٍ كما وصف، فركب ونظر إليَّ وقال: أَلَمْ أقلْ لك؟ فدعوتُ له، فقال: اِرجع إلى أشغالك غيرَ مودَّع، فنزلت فقبَّلت رِكابَه، فكان آخرَ العهدِ به.

وفيها توفِّي

إسماعيلُ بن جامعٍ

ابن إسماعيلَ بن عبدِ الله بن المطَّلب بنِ وَداعة، أبو القاسم المكِّي.

كان قد قرأ القرآنَ وسمع الحديث، فترك ذلك وتعلَّم الغناءَ.

[وقد ذكره أبو الفَرَجِ الأصبهانيُّ وذَكَرَ من أخباره] قال: لحقتني ضائقةٌ شديدةٌ بمكَّة، فانتقلت إلى المدينة، فخرجتُ ذاتَ يومٍ وما أملك إلَّا ثلاثةَ دراهم، وإذا بجاريةٍ على رقبتها جرَّةٌ تريد الرَّكِيَّ[2] وهي تقول: [من الطويل]

شَكَونا إلى أَحبابِنا طولَ ليلِنا[3] فقالوا لنا ما أَقصرَ الليلَ عندنا

(١) القطوف: التي ضاق مشيها. القاموس المحيط (قطف).

(٢) الركية: البئر. وما سلف بين حاصرتين من (ب).

(٣) في (خ): ليلتنا، والمثبت من الأغاني ٦/ ٣١١، والمنتظم ٩/ ١٩٩، والبداية والنهاية ١٤/ ١٢ .

وذاك لأنَّ النومَ يَغشى عيونَهمْ سِراعاً ولا يَغشى لنا النومُ أَعيُنا
إذا ما دنا الليلُ المُضِرُّ بذي الهوى جَزِعنا وهم يستبشرون إذا دنا
فلو أنَّهمْ كانوا يُلاقون مِثلَما نلاقي لَكانوا في المَضاجع مِثلَنا

[قال]: فأخذ الغناءُ بقلبي، فلم يَدُرْ لي منه حرف، فقلت: يا جارية، ما أدري أوجهُك أحسنُ أم غناؤك! فلو شئتِ أعدتِ، فقالت: مرحباً وكرامة، ثم أَسندتْ ظهرَها إلى جدارٍ، وابتعثت تغنِّيه، فما دارَ لي منه حرف، فقلت: لو تفضَّلتِ مرَّةً أخرى، فَقطَّبت وكَلَحت، وقالت: ما أعجبَ أمرَكم! يجيءُ الواحدُ منكم إلى الجارية عليها الضريبةُ فيشغلها عن ضريبتها، فرميتُ إليها بالثَّلاثة الدراهم، فأخَذَتْها وقالت: أَحسبك تأخذ بهذا الصوتِ ألفَ دينارٍ وألفَ دينارٍ وألفَ دينار، [ثم افترقنا وقد حفظتهُ، وعنَّ لي الخروجُ إلى بغداد، فدخلتها ولا أدري أين آخُذ، فدخلتُ مسجداً قريباً من دار الفضلِ بن الربيع، وإذا رجل يصلِّي آخرَ الناس والخدمُ ينتظرونه، فلمَّا فرغ من صلاته، نظر إليَّ وقال: أَحسبك غريباً، قلت: نعم، قدمتُ الساعةَ ولا أعرف أحداً، ولا صناعتي ممَّا يرغب فيها أهلُ الخير، فقال: وما صناعتُك؟ قلت: مغنٍّي، فوثب ووكَّل بي رجلاً ومضى، فقلت للرجل: مَن هذا؟ قال: سَلَّام الأبرش.

ثم حُملت إلى دار الضيافة وأُحضر لي طعام، فأكلت، وخِلعةٌ فلبست، وجيء بي إلى دارٍ فيها أسِرَّة، فأجلسوني على سريرٍ منها، وهناك جَوارٍ في حجورهنَّ العيدان، وستارةٌ مضروبة، ورجلٌ جالس بين الجوراي في حجره عود، فخرج خادم، فقال الرَّجل للجواري: غنِّين، فغنَّين بصوت لي، فغيَّرنه، فقال لي الخادم: غنِّ، فغنَّيت بصوت لي: [من الكامل]

عوجِي عليَّ فسلِّمي جَبْرُ فيم الوقوفُ وأنتمُ سَفْرُ
ما نلتقي إلَّا ثلاثَ مِنًى حتى يفرِّقَ بيننا الدهرُ

فتزلزلت الدار، وخرج الخادمُ وقال: ويحك لمن هذا الصَّوت؟! قلت: لي. فدخل ثم خرج فقال: كذبتَ، هذا لابن جامع، فقلت: أنا ابنُ جامع، فما أحسستُ إلَّا بالرشيد وقد خرج من وراء السِّتارة ومعه جعفرُ بن يحيى وقال: ابنُ جامع؟ فقلت: نعم، قال: ومتى قدمتَ؟ فحدَّثته الحديث، فعجب وأمر لي بدار، وقال: أَبشِر وابسُط أَمَلَك، غنِّ،

فغنَّيته بأبيات الجارية، فدعا بكيسٍ فيه ألفُ دينارٍ فأعطاني إياه، ثم قال: أَعِدْه، فأَعدته، فأعطاني ألفَ دينار، ثم قال أَعِده، فأعدته، فأَعطاني ألفاً أخرى، فتبسَّمت، فقال: ممَّ تبسَّم؟ فحدَّثته الحديث، فعجب، وأمر لي بدارٍ وفرس وخيلٍ وخدم وأثاثٍ ووصائف، فأصبحت أغنى الناس. قلت: حكايةٌ طويلة اختصرتُها][1].

بُهلول المجنون[2]

من أهل بغداد، كان يأوي إلى المقابر [ووعظ الرشيدَ في سنة ثمانٍ وثمانين وهو يريد الحجّ، وقد ذكرناه.

وكان له كلامٌ حسن وإشاراتٌ عجيبة. حدثنا جدِّي رحمه الله بإسناده عن] سريٍّ السَّقطي قال[3]: خرجتُ يوماً إلى المقابر، فرأيتُ بُهلولاً قد دلَّى رجلَيه في قبرٍ وهو يلعب بالتُّراب، فقلت له: أيَّ شيءٍ تصنع هاهنا؟ فقال: أنا عند قومٍ لا يؤذونني، وإن غبتُ عنهم لا يغتابونني، فقلت له: لا تكون جائعاً؟ فقال: [من الطويل]

تجوَّع فإنَّ الجوع من عَلَم التُّقى ... وإنَّ طويل الجوعِ يوماً سيشبعُ

فقلت له: إنَّ الخبز قد غلا، فقال: واللهِ ما أبالي ولو بلغَتْ كلُّ حبةٍ مثقالاً، علينا أن نعبدَه كما أَمر، وعليه أن يرزقَنا كما وعد، ثم ولَّى وهو يقول: [من الرمل]

أُفٍّ للدُّنيا فليست لي بدارِ ... إنَّما الراحة في دار القرارِ
أبَتِ الساعاتُ إلَّا سرعةً ... في بِلَى جسمي بليلٍ أو نهار

وفي رواية: أَنشد[4]: [من البسيط]

يا مَن تمتَّع بالدنيا وزينتِها ... ولا تنام عن اللذَّات عيناهُ
أَفنيتَ عمْرك فيما ليس تدركهُ ... تقول لله ماذا حين تلقاه

[وفيها توفِّي

---

(١) وهي مختصرة جداً في (خ)، والمثبت من (ب)، وانظرها بطولها في الأغاني ٦/ ٣١١ فما بعد، والفرج بعد الشدة ٣/ ٥ فما بعد.

(٢) المنتظم ٩/ ٢٠٢، صفة الصفوة ٢/ ٥١٦، تاريخ الإسلام ٤/ ٨١٦.

(٣) في (خ): قال سري السقطي.

(٤) في (خ): وقال. وكلا الروايتين في صفة الصفوة ٢/ ٥١٦-٥١٧.

صَعْصَعَةُ بن سلَّام

(ويقال:)[1] ابنُ عبدِ الله، أبو عبدِ الله الدِّمشقي.

ذكره أبو عبد الله الحُميديُّ في تاريخ الأندلس[2] وقال: هو أندلسي. والأصحُّ أنَّه دمشقي

دخل الأندلس، وهو أوَّل مَن دخلها من الفقهاء أصحابِ الأوزاعي، وهو أوَّل مَن غرس الشجرَ بجامع قُرْطُبة، وكان في زمان هشامِ بن عبد الرحمن الدَّاخلِ مقيماً بها إلى أن مات بها في هذه السَّنة. وقال الحُميديُّ: مات في سنة اثنتين وتسعين ومئة.

وذكره أبو سعيد بنُ يونسَ فيمن قدم مصر، قال: وتوفِّي في سنة ثمانين ومئة[3]، ودُفن بجزيرة الأندلسِ في ولاية الحكمِ بن هشام بنِ عبد الرحمن].

عبدُ الله بن إدريسَ

ابنِ يزيدَ بن عبدِ الرَّحمن، أبو محمَّد الأَوْدي[4]. من الطبقة السابعةِ من أهل الكوفة.

ولد سنةَ خمسَ عشرةَ ومئة، وقيل: سنةَ عشرين. وتوفِّي بالكوفة في عشر ذي الحِجَّة.

وكان ثقةً إماماً عالماً زاهداً عابداً وَرِعاً مأموناً حجَّة، كثيرَ الحديث، صاحبَ سنَّة وجماعة، لا يستقضي أحداً يسمع عليه الحديثَ حاجة.

قال الحسنُ بن ربيع: كنت عند عبد الله بنِ إدريس، فلمَّا قمت قال لي: سل عن سعر الأُشنان[5]، فلمَّا مشيت ردَّني وقال: لا تسأل؛ فإنَّك تكتب مني الحديث، وأنا أكره أن أسألَ من سمع مني الحديث.

وكان الإمام أحمدُ رحمة اللهِ عليه يقول: عبدُ الله بن إدريسَ نَسيجُ وَحْدِه.

---

(١) ما بين حاصرتين من تاريخ دمشق ٨/ ٣٠٣ (مخطوط)، وتاريخ الإسلام ٤/ ١١٣٠، والبداية والنهاية ١٤/ ١٥ . والترجمة غير موجودة في (خ).

(٢) المسمى بجذوة المقتبس، والكلام في ص٢٤٤.

(٣) في (ب): ثمان وثمانين ومئة. والتصويب من المصادر، والتراجم الآتية ليست في (ب).

(٤) في (خ): الأزدي، والتصويب من المصادر. انظر طبقات ابن سعد ٨/ ٥١١، وتاريخ بغداد ١١/ ٦٩، والمنتظم ٩/ ٢٠٢، وغير ذلك .

(٥) نوع من الشجر يستعمل في غسل الثياب والأيدي.

وأقدمه هارونُ إلى بغدادَ ليولِّيه القضاء، فامتنع وعاد إلى الكوفة، فأَقام بها حتى توفِّي.

وقال فلان[١]: سألتُ وكيعاً عن مَقدَمه هو وابنُ إدريس وحَفْصُ بن غياثٍ على الرشيد، فقال: ما سألني عن هذا أحدٌ قبلك، قَدِمنا على هارونَ فأَقعدنا بين السَّريرين، وكان أوَّل مَن دعا به أنا، فقال: يا وكيع، قلت: لبَّيك يا أميرَ المؤمنين، قال: إنَّ أهل بلدِك طلبوا مني قاضياً وسمَّوك لي فيمن سمَّوه، وقد رأيت أن أشركَك في أمانتي وصالحِ ما أَدخل فيه من أمر هذه الأمَّة، فخذ عهدَك وامض، فقلت: أنا شيخٌ كبير، وإحدى عينَيَّ ذاهبة والأخرى ضعيفة، فقال هارون: اللهم غُفراً، خذ عهدَك أيها الرجلُ وامض، فقلت: واللهِ لئن كنتُ صادقاً إنه لينبغي أن تقبلَ مني، ولئن كنتُ كاذباً فما ينبغي لك أن تولِّي القضاءَ كاذباً، فقال: اخرج، فخرجت ودخل ابنُ إدريس، وكان قد وُسِمَ له منه وَسْم، أي: خُشونة، فسمعنا صوتَ رُكبتَيه على الأرض حين بَرَك، وماسمعناه يسلِّم إلَّا سلاماً خفيفاً، فقال له هارون: أتدري لِمَ دعوتك؟ قال: لا، قال: إنَّ أهل بلدِك طلبوا مني قاضياً، فقال ابنُ إدريس: لا أَصلح للقضاء، فنكت هارونُ بإصبعه وقال: وددت أنِّي لم أكن رأيتك، فقال له ابنُ إدريس: وأنا واللهِ وددت أنِّي لم أكن رأيتك، فقام وخرج، ودخل حفصُ بن غياث، فقال له كما قال لنا، فقبل عهدَه وخرج، وأتانا خادمٌ ومعه ثلاثةُ أكياسٍ في كلِّ كيس خمسةُ آلافِ درهم، فقال: أميرُ المؤمنين يُقرئكم السَّلام ويقول: قد لزمتكم مؤنةٌ في شخوصكم، فاستعينوا بهذه على سفركم.

قال وكيع: فقلت له: أَقرِئ أميرَ المؤمنين السلامَ وقل له: قد وَقَعَتْ مني بحيث يحبُّ أمير المؤمنين، وأنا عنها مُسْتَغنٍ، وفي رعيَّة أميرِ المؤمنين مَن هو أحوجُ مني إليها، فإنْ رأى أميرُ المؤمنين أن يصرفَها إلى مَن أحبّ. وأمَّا ابن إدريس، فصاح به: مُرَّ من ها هنا. وأمَّا حفص، فقبلها. وخرجت الرقعةُ لابن إدريسَ من بيننا: عافانا اللهُ وإياك، سألناك أن تدخلَ في أعمالنا فلم تفعل، ووصلناك من أموالنا فلم تقبل، فإذا

(١) في تاريخ بغداد ١١/ ٧٠، والمنتظم ٩/ ٢٠٣، وصفة الصفوة ٣/ ١٦٧: شيخ على باب بعض المحدثين.

أتاك ابني المأمونُ فحدِّثه إن شاء الله. فقال للرسول: إذا جاءنا مع الجماعةِ حدَّثناه إن شاءَ الله.

ثم مضينا، فلمَّا سِرنا إلى الياسرية[١] حَضَرَت الصلاة، فنزلنا نتوضَّأ. قال وكيع: فنزل إليَّ شرطيٌّ محمومٌ نائم في الشمس عليه سوادُه، فطرحت كسائي عليه وقلت: يدفأ إلى أن أتوضَّأ، فجاء ابنُ إدريس فاستلبه ثم قال لي: رَحِمتَه لا رحمك الله! في الدنيا أحدٌ يرحم مثلَ هذا! ثم التفت إلى حفصٍ فقال: يا حفص، قد علمتُ حين دخلتَ إلى سوق أَسَدٍ، وتهيَّأتَ، ودخلت الحمَّام، وخَضَبتَ لِحيتك؛ أنَّك ستلي القضاء، واللهِ لا أكلِّمك حتى تموت، فما كلَّمه حتى مات.

وقال الإمام أحمدُ ﷺ: رأيتُ على عبد اللهِ بن إدريس جُبَّةَ لُبُودٍ وقد أتت عليها الدُّهور والسِّنون.

وكان ابنُ إدريس يقول: لو انقطع رجلٌ إلى رجل لَعرف له ذلك، فكيف بمَن له السماواتُ والأرض.

ولمَّا نزل الموتُ به بكت ابنتُه، فقال: لا تبكي، فقد ختمتُ القرآنَ في هذا البيتِ أربعةَ آلاف ختمة.

أَسند عن أبيه وعن الأعمش وغيرِهما، وجمع بين العلم والزُّهد، وروى عنه مالكُ ابن أنس[٢] وغيرُه، وأثنَوا عليه الأئمَّة.

وقال له ولدُه[٣]: إنَّ هذا البقَّال الذي في المَحَلَّة يُغلي علينا الحوائج، أَفلا نشتري لك[٤] من السُّوق؟ قال: لا، إنَّما جاوَرَنا ليربحَ علينا، رحمةُ الله عليه.

عليُّ بن ظَبْيان

أبو الحسن العَبْسيُّ الكوفي. كان عالماً، متواضعاً، جليلاً، نبيلاً، زاهداً، عابداً،

(١) قرية كبيرة على ضفة نهر عيسى بينها وبين بغداد ميلان. معجم البلدان.

(٢) وهو من شيوخه.

(٣) في (خ): والده، والمثبت من تاريخ بغداد ١١/ ٧١.

(٤) في (خ): له.

عارفاً بالفقه على مذهب أبي حنيفة.

وكان حَسَناً في الحكم، تقلَّد الشرقية[١]، ثم تقلَّد قضاءَ القضاة عن الرشيد، وكان يجلس على باريَّة[٢]، فقيل له: قد كان مَن قبلك من القضاة يجلسون على الوِطاء ويتَّكئون، فقال: إني لأَستحيي من الله أن يجلسَ بين يدَيَّ حُرَّان مسلمان على باريَّة وأجلسَ أنا على وطاء، واللهِ لا جلست إلَّا على ما يجلس عليه الخصوم.

وكان الرشيد إذا سافر يُخرجه معه، فلما خرج إلى خراسان في هذه السنة، أخرجه معه، فتوفِّي بقَرْمِيسين.

حدَّث عن عُبيد الله[٣] بنِ عمر العُمريِّ وغيره، وروى عنه داودُ بن رُشَيد وغيره، وكان ثقة، وضعَّفه بعضهم[٤].

الفضلُ بن يحيى بنِ خالد البَرْمَكيّ

كان متكبِّراً جدّاً، عَسِرَ الخُلق، وكان أجودَ من جعفرٍ وأندى راحة، ومولدُه في ذي الحِجَّة سنَة سبع وأربعين ومئة، ومولد هارونَ أوَّل يوم من المحرَّم سنةَ ثمانٍ وأربعين، فأَرضعت الخَيْزُرانُ الفضلَ، وأرضعت أمُّ الفضل هارونَ أياماً، وأمُّ الفضل زُبيدةُ بنت منين[٥]، بربريةٌ من مولَّدات المدينة.

وفي الرَّضاع يقول مروانُ بن أبي حَفْصَةَ يمدح الفضلَ من قصيدة: [من الطويل]

كفى لك فضلاً أنَّ أفضلَ حُرَّةٍ ... غَذَتْك بثدي والخليفةَ واحدِ

لقد زان[٦] يحيى في المشاهد كلِّها ... كما زان يحيى خالداً في المشاهد

(١) في (خ): الشريعة، والمثبت من تاريخ بغداد ١٣/ ٤٠٤، والمنتظم ٩/ ٢٠٥.

(٢) البارية: الحصير المنسوج. القاموس المحيط (بور).

(٣) في (خ): عبد الله، والتصويب من المصادر.

(٤) هو ضعيف باتفاق المحدثين، ولم أرَ من وثقه، انظر تهذيب الكمال (٤٦٨١)، وتاريخ الإسلام ٤/ ١١٦٩.

(٥) اضطرب هذا الاسم في (خ) والمصادر. انظر تاريخ بغداد ١٤/ ٢٩٢ (طبعة الدكتور بشار معروف) وطبعة دار الكتاب العربي ١٢/ ٣٣٤، والمنتظم ٩/ ٢٠٨، والبداية والنهاية ١٤/ ١٩، وتاريخ الإسلام ٤/ ١١٨٢، والسير ٩/ ٩١.

(٦) في تاريخ بغداد ١٤/ ٢٩٢، والمنتظم ٩/ ٢٠٨، والوفيات ٤/ ٢٧، والبداية والنهاية ١٤/ ٢٠: زنت.

ووهب الفضلُ لطبَّاخه مئةَ ألف درهم، فعوتب في ذلك، فقال: إنَّ هذا صَحبني ولم يكن لي شيء، واجتهد في خدمتي ونُصحي، وقد قال الشاعر: [من البسيط]

إنَّ الكرامَ إذا ما أيسروا ذَكَروا مَن كان يَعتادهم في المنزل الخَشِنِ[1]

ووهب لبعض الأدباءِ عشرة آلاف دينار، فبكى الأديب، فقال: أتبكي استقلالاً لها؟ فقال: لا والله، ولكن أبكي كيف تواري الأرضُ مثلَك.

وقال الجَهْم: أضَقْتُ إضاقةً شديدة، فأصبحتُ ذات يومٍ وليس عندي ما آكل، لا أنا ولا غلامي ولا دابَّتي، فقلت للغلام: أسرِج لي الدابَّة، فأسرجها وركبت، فلمَّا صرت بسوق يحيى، إذا بالفضل في مَوكبٍ عظيم، فسرت معه، فبينا نحن كذلك، إذا بغلام على رأسه طَبَق، فوقف على بابٍ وصاح: يا فلانة، باسم جارية، فوقف الفضلُ طويلاً يرتاح إلى صوت الغلام، ثم سار وقال: تدري ما سببُ وقفتي؟ قلت: لا، قال: كانت لأُختي جارية، وكنت أحبُّها حبًّا شديداً، وأستحيي من أختي أن أطلبَها منها، فلمَّا كان في هذا اليوم، زيَّنَتْها أختي، وألبستها أحسنَ الثياب والحُلِيِّ، وبَعَثَتْ بها إلي، فكنتُ معها في ساعة ما مرَّ من عمري ألذُّ منها، فجاءني رسولُ أمير المؤمنين يطلبني، فقطع عليَّ لذَّتي، فركبت، ولمَّا صرت إلى هذا المكان، دعا هذا الغلامُ باسم تلك الجارية، فارتحتُ لندائه. فقلتُ: أصابك ما أصاب أخا بني عامرٍ[2] حيث يقول: [من الطويل]

وداعٍ دعا إذ نحن بالخَيف من مِنى فهيَّج أشجانَ الفؤادِ وما يدري
دعا باسم ليلى غيرَها فكأنَّما أطار بليلى طائراً كان في صدري

فقال: اكتب لي هذين البيتَين، ولم يكن معي ورق، فعدلتُ إلى بعض البقَّالين، فرهنتُ خاتَمي عنده على ورقةٍ وكتبت له البيتين ولحقتُه بهما، فقال: اِرجع إلى منزلك، فرجعت، فقال لي غلامي: هاتِ الخاتمَ حتى أرهَنَه على ما نأكل، فقلت: قد رهنته. فما أمسيتُ حتى بعث إليَّ الفضلُ بثلاثين ألفَ درهمٍ جائزةً، وعشرةِ آلافٍ سلفاً من رزقٍ رُزقته في كلِّ شهر أجراه لي.

---

(١) نسب البيت لدعبل وأبي تمام وإبراهيم الصولي. انظر ديوان دعبل ص١٩٢، والشعر والشعراء ٢/ ٨٥٢، والعقد الفريد ٢/ ١٦٨، وبهجة المجالس ٢/ ٧١٦، ومعجم الأدباء ١/ ١٩٢.

(٢) هو مجنون ليلى، والبيتان في ديوانه ص١٦٣، وهما أيضاً في ديوان نصيب بن رباح ص٩٤.

وقال عبدُ الله بن الحسن[١] العلوي: أتيتُ الفضلَ بن يحيى، فكلَّمته في دَين عليَّ ليكلِّم لي أميرَ المؤمنين، فقال: كم دَينك؟ قلت: ثلاثُ مئة ألفِ درهم، فقال: نعم. فخرجتُ من عنده وأنا مغمومٌ لضعف ردِّه، فمررت ببعض إخواني مستريحاً له، فما وصلتُ إلى منزلي إلا والمالُ قد سبقني.

ومرَّ الفضل بعَمرو بنِ جَميلٍ[٢] التَّميميِّ وهو في مضربه يُطعم الناسَ، فقال: ينبغي لنا أن نُعينَ عَمراً على مروءته، فبعث إليه بألف ألفِ درهم.

وكان أبانُ بن عبد الحميدِ كاتبُ الفضل فيه تِيهٌ شديد، فكتب إلى الفضل: [من الخفيف]

أنا من نعمة[٣] الأميرِ وكنزٌ ... من كنوز الأميرِ ذو أرباحِ
كاتبٌ حاسب أديب خطيب ... ناصحٌ زائد على النُّصَّاح
شاعرٌ مُفلِق أخفُّ من الرِّيـ ... ـشةِ ممَّا يكون تحت الجَناح
ليَ في النَّحو فطنةٌ وذكاء[٤] ... أنا فيه قلادةٌ لِوشاح
لو رمى بيْ الأميرُ أصلحه اللـ ... ـهُ رماحاً صَدَمتُ حدَّ الرِّماح
ثم أَروي من ابن سيرينَ في الفِقـ ... ـهِ[٥] بقولٍ منوَّرِ الإيضاح[٦]
كم وكم [قد] خَبَأتُ عندي حديثاً ... هو عند الأمير كالتُّفَّاح
لو دعاني الأميرُ عايَن منِّي ... شَمَّرِيًّا كالجُلْجُل الصيَّاح[٧]

من أبيات.

---

(١) في المنتظم ٩/ ٢١٠: الحسين.
(٢) في تاريخ بغداد ١٤/ ٢٩٤: جمل، وهو الصواب، انظر الإكمال لابن ماكولا ٢/ ١٢١.
(٣) في المصادر: بغية.
(٤) في العقد الفريد ٤/ ٢٠٤، وتاريخ بغداد ١٤/ ٢٩٦: ونفاذ. وقد ذكر صاحب الأغاني ٢٣/ ١٦٠، والخزانة ٨/ ١٧٥ أربعة أبيات من القصيدة.
(٥) في (خ): للفقه.
(٦) في العقد الفريد: الإفصاح.
(٧) الشَّمَّري والشِّمِّري والشُّمُّري والشِّمَّري والشِّمِّير والمشمِّر: الماضي في الأمور المجرب. والجلجل: الجرس الصغير. القاموس المحيط (شمر) (جلل).

فأعطاه الفضلُ مالاً عظيماً، ففرَّقه في الشعراء، وبعث منه إلى أبي نُواسٍ بدرهم واحدٍ ناقص، فقيل له في ذلك، فقال: أعطيت كلَّ واحد على قَدْر شعره، وبلغ أبا نُواس فهجاه، وكان قصيراً طويلَ اللحية كبيرَ الأنف: [من الخفيف]

كان أَوْلى بقلَّة الحظِّ مني ... المسمَّى بالجُلْجُل الصيَّاحِ

لِحيةٌ جَعْدة وأنفٌ طويل ... وسوى ذاك ذاهبٌ في الرِّياح

باردُ القولِ مظلمُ القلبِ تيًّا ... هُ معيدُ الحديثِ[1] سَمجُ المُزاح

فبعث إليه أَبانٌ بألف درهمٍ وقال: لا تُظهرْها، فقال: واللهِ لو أعطاني مئةَ ألف درهمٍ ما أخفيتُها، ولا بدَّ من إظهارها، وبلغ الفضلَ فقال: أعطيناه ألفَ ألفِ درهم، فكانَ حظُّ أبي نُواسٍ منها أقلَّ من درهمٍ مع طول لسانه! فقيل له: كذب عليه، فقال: أليس قد قيل؟! وقد رماه بخمسٍ لا يتَّصف بواحدةٍ منها إلَّا جاهل، يعني البيتَ الأخير، وأَبعده عنه.

ذِكر وفاته:

لمَّا عزم الرشيدُ على خراسان، أَحضر الفضلَ بالرقَّة من الحبس وقال له: ويحك يا فضل، لقد كسبتْ يداك شرًّا طويلاً، وجنى عليك جهلُك[2] عذاباً وبيلاً، ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ [هود: ١٠١] فقال له: قتلتَ أخي، ومات أبي في حبسك، وأنا على الأَثر، مع تعزيزِنا لسلطانك، وتشييدِنا لملكك، وبراءةِ ساحتنا، وسترد فتَعلم، وتندم حيث لا ينفعك النَّدم. فردَّه إلى الحبس، فمات في رمضان قبل موتِ هارونَ بشهور.

وقيل: مات سنةَ ثلاثٍ وتسعين في المحرَّم قبل موتِ الرشيد بيسير، أصابه ثِقَلٌ في لسانه وشفتِه، وقلَّ نظره. وكان يقول: ما أحبُّ أن يموتَ هارون؛ فإنَّ أمري يَقربُ من أمره[3]. وكانت وفاتُه يومَ السبت، فأُخرجت جنازتُه، فكان يوماً عظيماً، بكى الناسُ

---

(١) في (خ): تيهاً يقبل الحديث. ولا يستقيم به الوزن. والمثبت من العقد الفريد وطبقات ابن المعتز ص٢٠٤.

(٢) في (خ): جهلاً، ولعله سبق قلم.

(٣) كذا في تاريخ الطبري ٨/ ٣٤١، وابن الأثير ٦/ ٢١٠، وفي وفيات الأعيان ٤/ ٣٦ أن القائل هو الرشيد، قاله عندما بلغه موته.

عليه وحزنوا وصلَّوا عليه.

وكان يعطي السجَّانين في كلِّ شهرٍ عشرةَ آلاف درهم.

قال صالحٌ[1] في بني بَرمَك: [من الرمل]

يا بني بَرْمَكَ واهاً لكمُ ... ولأيَّامكم المقتَبَلَهْ

كانت الدُّنيا عَروساً بكمُ ... وهي اليوم ثَكولٌ أَرْمَلَه



(١) هو صالح بن طريف، كما في ثمار القلوب ص٢٠٢، ووفيات الأعيان ١/ ٣٤١.

السَّنة الثالثة والتِّسعون بعد المئة

فيها وصل الرشيدُ إلى جُرْجان في صفر، وحُملت إليه أموالُ عليٍّ بن عيسى بنِ ماهانَ على ألفٍ وخمسِ مئة جمل، وكان قد مرَّ في طريقه على شِعب بَوّان، وهو من عجائب الدُّنيا [وكان قد رأى بدمشقَ ديرَ مُرَّان، وكان][1] على تلٍّ وحوله رياضُ الزَّعْفَران، والمياهُ تخترق البساتين، فأعجبه وقال: أربعة منازلَ ليس في الدنيا مثلُهنّ: دير مُرّان بدمشق، والرقَّة، وشِعبُ بَوّان، وسَمَرْقَند، وقد رأيتُ ثلاثةً وبقي الرابع، وهي سمرقند، فلم يصلْ إليها.

ولمَّا نزل بطُوْس، بدأ به المرض، وكان قد اتَّهم هَرْثَمة برافع بن الليث، فوجَّه ابنَه المأمونَ قبل وفاتِه إلى مروَ بثلاثٍ وعشرين ليلة، ومعه جماعةٌ من القوَّاد: عبدُ الله بن مالك، ويحيى بنُ معاذ، وأَسَد بن يزيدَ بنِ مزيدَ، والعباسُ بن جعفرِ بن محمَّد بن الأشعث، والسِّندي، وغيرُهم. وكان هارونُ ضعيفاً عن المسير، فساروا مع هرثمة، وقطعوا النَّهر، وجرت بينهم وبين رافعٍ وقَعاتٌ ظهروا عليه فيها، وافتتحوا بخارى، وأَسروا بشيرَ بن الليث أخا رافع، وعاد رافعٌ إلى سمرقند، وبعث هرثمةُ ببشيرٍ إلى طوسَ وقد ثقل هارونُ في مرضه، فدخلوا به على هارونَ وهو على سريرٍ ينظر في المرآة ويقول: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، ثم قال لأخي رافع: يا ابنَ اللَّخْناء، إنِّي لَأرجو ألا يفوتَني خامل -يعني رافعاً- كما لم تفتْني أنت، فقال: يا أميرَ المؤمنين، قد كنتُ لك حرباً، وقد أظفرك الله، فافعل ما يحبُّ اللهُ أكن لك سِلماً، ولعل اللهَ أن يليِّنَ لك قلبَ رافعٍ إذا علم أنَّك قد مننتَ عليَّ، فغضب هارونُ وقال: واللهِ لو لم يبقَ من أجلي إلَّا أن أحرِّكَ شفتي بكلمةٍ لَقلت: اقتلوه.

ثم دعا بقصَّاب فقال: لا تشحذْ مُدَاك، دعها على حالها، وفصِّل هذا الفاسقَ بنَ الفاسقِ أخا الفاسق، وعجِّل لا يحضرني أجلي وعضوٌ[2] من أعضائه في جسمه،

(١) ما بين حاصرتين من (ب).

(٢) في تاريخ الطبري: وعضوان.

ففصَّله حتى جعله أَشلاء، فقال: عُدَّ أعضاءه، فعدَّها، فإذا هي أربعةَ عشرَ عضواً، فرفع يديه وقال: اللهمَّ كما مكَّنتني من هذا فمكِّني من أخيه، وغُشي عليه، فتفرَّق مَن كان حوله.

وقيل: إنَّه فعل ذلك بابن عمِّ رافعٍ أيضاً، فقال القاضي التَّنوخي[١]: لمَّا سار هارونُ إلى طوسَ واشتدَّت علَّته وبلغ خبرُه إلى ولده الأمين، استدعى بَكْرَ بن المُعْتَمرِ، ودفع إليه كتاباً ظاهراً إلى هارونَ يتضمَّن عيادته والسؤالَ عنه، وكتباً باطنةً إلى الفضل بنِ الربيع وإسماعيلَ بن صَبيح وغيرِهما من القوَّاد، يأمرهما إنْ حَدَث بأبيه حدثٌ أن يقفُلوا إلى بغدادَ بما في العسكر من الأموال وغيرِها، وكان هارونُ قد أَشهد عليهم أنَّ الجميع لابنه المأمون، فلمَّا دخل بكر بنُ المعتمر على هارونَ ودفع إليه الكتاب، وقف عليه وقال: وأين الكتبُ التي معك؟ فأنكر، فحبسه، ثم جلس في مَضرِب خزٍّ أسودَ استدارتُه أربعُ مئةِ ذراع، في أركانه قِبابٌ مغشَّاة بخزٍّ أسودَ والحبال من الإبريسَم الأسود، والأوتادُ سود، وهو جالسٌ في مرتبةٍ سوداء، وخادمٌ من خلفه يمسكه، وعليه قَباء خزٍّ أسود، وقد أذن للناس عليه، والفضلُ بن الربيع جالسٌ بين يديه، فقال: عليَّ ببكر بنِ المعتمر، قال: فحضرت، فقال: واللهِ لئن لم تُحضر الكتبَ التي جاءت معك لأقتلنَّك، فقلت: ما جاء معي غيرُ كتابِ أمير المؤمنين.

وأَحضر هارونُ أخا رافعِ بن الليث ومعه قرابتُه، فقال هارون: أيتوهَّم رافعٌ أن يغلبَني، فواللهِ لو كان معه عدد نجوم السماءِ لقتلتهم، فقال له أخو رافع: اللهَ اللهَ فيَّ يا أمير المؤمنين؛ فإنَّ الله يعلم وأهلَ خراسان أنَّني بريءٌ من أخي منذ عشرين سنة، ملازمٌ لمسجدي ومنزلي، فاتَّقِ اللهَ فيَّ وفي هذا الرجل، فقال له قرابتُه: قطع اللهُ لسانك، أنا واللهِ منذ كذا وكذا أسأل اللهَ الشهادة، فلمَّا رُزقتُها على يد شرِّ خلقِه أخذتَ في الاعتذار، فاغتاظ هارونُ وأمر بتفصيلهما، ففُصِّلا والرجلُ يقول: يا هارون، نحن قد رُزقنا الشَّهادة، وأنت بين يدي اللهِ في آخر مدَّة، وستعلم. قال: فو اللهِ ما فرغ منهما حتى كأنَّه ذُبالةٌ طفئت.

---

(١) في الفرج بعد الشدة ٣/ ٣٥٨ فما بعد.

قال بكر: ورُددت إلى الحبس، ولم أعلمْ بموته، وأقمت أتوقَّع القتل، فبينا أنا كذلك، إذ بعث إليَّ أبو العتاهيةِ غلامَه وقد كتب في راحته: [من مجزوء الوافر]

هـــي الأيـــامُ والـــعِـــبَـــرُ وأمـــرُ الله يُـــنـــتـــظـــرُ
أتـــيـــأسُ أنْ تـــرى فَـــرَجـــاً فـــأيـــن اللهُ والـــقَـــدَر
فـــلا تـــجـــزعْ وإنْ عَـــظُـــم الـــبـــلاءُ ومـــسَّـــك الـــضَّـــرر[١]

قال: فوثقتُ بالله وقَوِيَت نفسي، ثم سمعت واعية، وإذا بالفضل بنِ الربيع قد دخل عليَّ وقال: قم، فقمتُ معه، فأدخلني على هارونَ وهو مسجًّى، فكشف عن وجهه، فإذا هو ميِّت، فقال: هاتِ الكتب، فأخرجتها من صناديقِ المطبخ، وخلع عليّ، وعدتُ إلى بغدادَ بالأجوبة.

الباب السادس
في خلافة محمَّد بن هارونَ

ابن [محمَّد بن عبد اللهِ بن محمَّد بن][٢] عليِّ بن عبد الله بن عباس. ويلقَّب بالأمين على دِين الله، ويُكنى أبا موسى، وقيل: أبا عبدِ الله.

وليس في الخلفاء مَن اسمُه محمَّد[٣] بن هارون سوى ثلاثة: هذا، وأخوه المعتصم، والمهتدي. وليس في الخلفاء مَن أبوه وأمُّه هاشميان سوى عليِّ بن أبي طالبٍ رضوانُ الله عليه والأمين.

[وقال الصولي:][٤] وفيه يقول أبو الهول الحِميَري: [من الكامل]

مَـلِـكٌ أبـوه وأمُّـه مـن نـبـعـةٍ مـنـهـا سـراجُ الأمَّـةِ الـوهَّـاجُ
شـربـوا بـمـكَّـةَ فـي ذُرى بـطـحـائـهـا مـاءَ الـنـبـوَّة لـيـس فـيـهِ مِـزاج[٥]

وأمُّه زُبيدة، وكُنيتها أمُّ جعفر، وهي بنتُ جعفرِ بن أبي جعفرِ المنصور، ولقِّبت

(١) لم يذكر التنوخي البيت الثالث، ولا هو في الديوان ص٥٣٨ .
(٢) ما بين حاصرتين من (ب).
(٣) لفظة: محمد، ليست في (ب).
(٤) ما بين حاصرتين من (ب).
(٥) الأوائل للعسكري ١/ ٢٨٥، والوافي بالوفيات ٥/ ١٣٩ .

زبيدة لأنَّ المنصورَ كان يرقِّصها لمَّا كانت صغيرةً، وكانت سمينة، فكان يقول: ما أنت إلَّا زبيدة.

[ذِكر مولده وصفتِه:

قال الصُّوليُّ في كتاب الأوراق:][1] وُلد محمَّد الأمينُ سنةَ إحدى وسبعين ومئةٍ برُصافة بغداد، وكان أبيضَ بضًّا سميناً سَبطاً، صغيرَ العينين، عظيمَ الكراديس، ولم يكن في زمانه أحسنُ وجهاً منه، ولا أَحلى شمائل، ولا أشجعُ ولا أقوى، هجم عليه يوماً أسدٌ وهو في بستانٍ وليس عنده سلاح، فوثب على الأسد من خلفه ورَكِبَه وعصر فخذَيه، فأقعى وانقطع ظهرُه فمات.

[قال الصُّولي:] إلا أنه كان سيِّئ السيرة، سفَّاكاً للدماء، ضعيفَ الرأي، مشغولاً بلذَّاته عن النظر في أمور الرَّعيَّة، حتى إنَّه كان يقول: لا أعرف الإيرادَ والإصدار، ولكن أشرب الكاسَ، وأَشَمُّ الآس، وأَستلقي من غير نعاس، وذلك أحبُّ إلي من مداراة الناس. [قال:] وكان فصيحاً بليغاً، حتى إنَّ الرشيدَ كان يقول للمأمون: وددتُ أنَّ لك بلاغة محمَّد وأنَّ عليَّ من الغُرم كذا وكذا.

ذِكر بَيعته:

[قال الصولي وغيره:][2] بويع بالخلافة في عسكر أبيه بطوسَ صبيحةَ الليلةِ التي توفِّي فيها أبوه، وذلك يومَ السبت لأربعٍ خلونَ من جُمادى الأولى[3] سنةَ ثلاثٍ وتسعين ومئة، وهو ابنُ ثلاثٍ وعشرين سنة، أو اثنتين وعشرين، والمأمون يومئذٍ بمرو، ولم يكن مع هارونَ من ولده إلَّا أبو عيسى وصالح، فتولَّى صالحٌ بيعةَ الأمين، وكتب حمُّويه مولى المهديّ -وكان صاحبَ الخبر- إلى سلام مولاه ببغدادَ يخبره بوفاة هارون، فدخل على الأمين فعزَّاه وهنَّأه، وهو أوَّل مَن فعل ذلك، ثم قدم بعد ذلك رجاءُ الخادمُ يومَ الأربعاء لأربعَ عشرةَ ليلةً خلت من جُمادى الآخرة من عند صالح بنِ

(١) ما بين حاصرتين من (ب).
(٢) ما بين حاصرتين من (ب).
(٣) وكذا في المنتظم ٩/ ٢١٨، وفي تاريخ الطبري ٨/ ٣٤٥ و ٣٦٥، وتاريخ ابن الأثير ٦/ ٢١١ و ٢٢١، والبداية والنهاية ١٤/ ١٠٢: الآخرة.

الرشيد إلى الأمين، فوافاه بالخُلْد قصرِ أبي جعفر، فأخبره، فتحوَّل إلى قصر أبي جعفرٍ بالمدينة، وأمر الناسَ يومَ الجمعة بالحضور إلى جامع المنصور، وصعد المنبرَ فنعى هارونَ، وخطب فقال:

أيُّها الناس، إنَّ المَنون تراصد ذوي الأنفاسِ حتماً من الله تعالى، لا يُدفع حلولُها، ولا يُنكر نزولُها، فاسترجِعوا قلوبَكم عن الجَزَع على الماضي إلى النَّهج الباقي، تُعطَوا أجورَ الصابرين وجزاءَ الشاكرين.

ووعد الناسَ خيراً وقال: إنَّما ولِّينا لنُفَرِّجَ عن المَكْروبين، ونزيلَ هموم المَهمومين، ونُحسنَ إلى المحسنين، ونتجاوزَ عن المسيئين.

وبايعه الخاصَّة والعامَّة، وأعطى الجندَ رزق سنتين، واستوزر الفضلَ بن الربيع، وجعل العباسَ بن الفضلِ على حجابته. وأوَّل مَن أنشده أبو نُواسٍ فقال[1]: [من المنسرح]

جَرَت جوارٍ بالسَّعد والنَّحسِ فالناسُ في وَحْشةٍ وفي أُنْسِ
العينُ تبكي والسِّنُّ ضاحكةٌ فنحن في مَأتَم وفي عُرْس
يُضحكها القائمُ الأمين ويُبـ كيها وفاةُ الرشيدِ في أمس
بدرانِ بدرٌ أَضحى ببغدادَ في الـ خُلْد وبدرٌ بطوسَ في الرَّمْسِ

وولَّى إسماعيلَ بن صَبيحٍ على ديوان الرَّسائل والتوقيعات، وولَّى عيسى بنَ عليٍّ بنِ ماهانَ على شرطته، وقيل: عبدُ الله بن خازم، وأوَّل ما بدأ به الأمينُ أنَّه أطلق عبدَ الملك بنَ صالح بن عليٍّ من الحبس، وكان حَبَسه هارونُ على ما تقدَّم.

ذِكر بدءِ الخلاف بين الأمينِ والمأمون:

كان الأمينُ شديدَ البغضِ للمأمون، وقد ذكرنا إنفاذَه بكرَ بن المعتمرِ وما جرى له، فلمَّا كانت الليلةُ التي مات فيها هارون، قال للفضل بنِ الربيع: قرِّرْ بكرَ بن المعتمر، فإن أقرَّ وإلَّا فاضرب عنقه، فقرَّره الفضل، فلم يُقرَّ بشيء، وغُشي على هارون،

(١) كذا قال الطبري ٨/ ٣٦٤، وأحمد بن يوسف فيما أخرجه عنه ابن الجوزي في المنتظم ٩/ ٢١٩، والأبيات لأبي الشيص الخزاعي كما في الشعر والشعراء ٢/ ٨٤٣، وطبقات ابن المعتز ص٧٥، والعقد الفريد ٣/ ٢٩٧.

فأمسك الفضلُ عن قتله، ثم أَفاق هارونُ وقد شُغل بنفسه عن بكرٍ وغيرِه، وعاد الفضل إلى هارونَ ليخبرَه، وإذا بالصِّياح قد ارتفع، فكتب ابنُ المعتمر إلى الفضل يقول: لا تعجلوا بأمر؛ فإنَّ معي أشياءَ تحتاجون إلى علمها، وكان بكرٌ محبوساً عند حسينٍ الخادم، فاجتمع الفضلُ وحسينٌ به، فأخبرهم بالكتب، وأخرجها من قوائم الصناديقِ وسلَّم إلى كلِّ واحدٍ كتابه، وكان فيها كتابٌ إلى المأمون، وكتابٌ إلى صالح بنِ الرشيد، وكتابٌ إلى الفضل بنِ الربيع، وكتابٌ إلى حسينٍ الخادم، وغيرِهم.

فأمَّا كتاب المأمون، ففيه: من محمَّد بن هارونَ إلى أخيه عبدِ الله المأمون، سلامٌ عليك، أمَّا بعد؛ فإذا ورد عليك كتابُ أخيك -أعاذه اللهُ من فقدك عند حلولِ مالا مردَّ له ولا مدفع، مما نُعِيَتْ عليه الأممُ[١] الماضيةُ والقرونُ الخالية- فعزِّ نفسك بما عزَّاك الله به، واعلم أنَّ الله قد اختار لأمير المؤمنين أفضلَ الدَّارَيْن، وأجزلَ الحَظَّين، فقبضه اللهُ طاهراً زكيًّا، قد شكر سعيَه وغفر ذنبَهُ إن شاء الله، فقم في أمرك قيامَ ذي العزمِ والحزم، والناظرِ لأخيه وسلطانهِ ونفسه وعامَّة المسلمين، وإيَّاك أن يغلبَكَ الجزع؛ فإنَّه يُحبط الأجر، ويُعقِب الوِزر، وصلواتُ الله على أمير المؤمنين حيًّا وميِّتاً، وإنَّا إليه راجعون، فخذ البيعةَ على مَن قِبَلك من القوَّاد والجندِ والخاصَّة والعامَّة، لأخيك ثم لنفسك ثم للقاسم ابنِ أمير المؤمنين، على الشَّرائط التي جعلها لك[٢] أميرُ المؤمنين، فإنك مقلَّد من ذلك ما قلَّدك الله وأميرُ المؤمنين، ومَن أنكرتَ طاعتَه واتَّهمته، فابعث إليَّ برأسه، واكتب بذلك إلى عمَّالك وولاةِ ثغورك.

وذكر كلاماً طويلاً في معناه، وذكر في آخره: فإنَّ أخاك يعرف حُسنَ اختيارك، وصحَّة رأيك، ودقَّةَ نظرك، وهو يسأل اللهَ أن يشدَّ بك عَضُدَه، ويجمعَ بك أمرَه إن شاءَ الله.

وكتب إلى صالح: إذا ورد عليك كتابي هذا عند وقوعِ ما قد سبق من علم الله، ونفذ من قضائه في خَلقه[٣] وأوليائه، وجرَت به السُّنَّة في الأنبياءِ والمرسلين والملائكةِ

---

(١) في تاريخ الطبري ٨/ ٣٦٧: مما قد أخلف وتناسخ في الأمم ...

(٢) في (خ): جعلها الله لك. وهو خطأ.

(٣) في تاريخ الطبري ٨/ ٣٦٨: خلفائه.

المقرَّبين فقال: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨]. فاحمد اللهَ على ما صار إليه أميرُ المؤمنين من عظيم ثوابِه ومرافقةِ أنبيائه، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، فشمِّر في أمرك، وإيَّاك أن تلقيَ بيديك؛ فإنَّ أخاك قد اختارك لما استنهضك له، فحقِّق ظنَّه فيك، وخذ البيعةَ على مَن قِبَلك من ولد أميرِ المؤمنين وأهلِ بيته ومواليه وخواصِّه وعامَّته لأخيك محمَّد بن أميرِ المؤمنين(١)، ثم لعبد الله بنِ أمير المؤمنين، ثم للقاسم بنِ أمير المؤمنين، على الشريطة التي جعلها أميرُ المؤمنين؛ فإنَّ السعادة واليُمنَ في الأخذ بعهده، والمضيِّ على منهاجه، واعلم أنَّ مَن قِبَلك من الخاصَّة والعامَّة قد رأى(٢) في استصلاحهم، وردِّ مظالِمهم، وإدرار رزقهم، واضممْ إلى الفضل بنِ الربيع ولدَ أميرِ المؤمنين وخدمَه وأهله، ومُرْه بالمسير معهم، وصيِّر إلى عبد اللهِ بن مالكٍ أمرَ العسكر؛ فإنَّه ثقة على مايلي، مقبولٌ عند العامَّة والخاصَّة، وأقِرَّ حاتم بنَ هرثمةَ على ما هو عليه، وتوجَّه إليَّ بما في العسكر من الأموال والأثاثِ وغيره.

وذكر كلاماً بمعناه، وكتب إلى الفضل بنِ الربيع وحُسينٍ الخادمِ بمثل ذلك.

وكان المأمونُ قد خرج من مروَ إلى قصر خالدِ بن حمَّادٍ على فرسخٍ من مروَ يريد سَمَرْقَند، فقدم عليه إسحاقُ الخادم بنَعْي الرشيد، فرجع إلى مرو، ودخل دارَ الإمارة دارَ أبي مسلم، وصعد المنبر، ونعى الرشيدَ وشقَّ ثوبَه وبكى، وعزَّى نفسه والناسَ واسترجع، وبايع لمحمَّد ولنفسه، وأعطى الجندَ رزقَ سنة.

وأما الفضلُ ومَن كان في عسكر الرشيد، فإنَّهم لمَّا قرؤوا كتبَ الأمين تشاوروا في اللَّحاق بالمأمون أو بمحمَّد، فقال الفضلُ بن الربيع: لا أدع ملكاً حاضراً لآخَرَ لا ندري ما يكون منه.وأمر الناس بالرَّحيل إلى بغداد، وأَنفق فيهم الأموال، وكانوا قد اشتاقوا إلى أهليهم ببغدادَ ومنازلِهم، فساروا، ونسوا العهودَ التي كانت أُخذت عليهم،

(١) في تاريخ الطبري: محمد أمير المؤمنين.

(٢) كذا في (خ)، وليس في (ب) لاختصار شديد، وفي تاريخ الطبري ٨/ ٣٦٨، والمنتظم ٩/ ٢٢٢: وأعلم مَن قبلك من الخاصة والعامة رأيي.

وكان ذلك أوَّلَ ما بدا من الأمينِ من الغدر بأخيه المأمون.

ولمَّا رحلت العساكر عن طوسَ قال قائل: [من السريع]

منازلُ العسكرِ مَعْمورةٌ والمنزلُ الأعظم مهجورُ
خليفةُ الله بدار البِلَى تَسفي على أجداثه المُور[1]
أَقبلت العِيْرُ تُباهي بهِ وانصرفت تَندبه العِيْر

ولمَّا بلغ المأمونَ رحيلُ العسكرِ إلى بغدادَ بالأموال أُسقِط في يده، وجمع خواصَّه وقوَّاد أبيه: يحيى بنَ معاذ، وشبيبَ بن حُمَيدِ بن قَحْطَبة، والعلاءَ مولى هارون وكان على حِجابته، والعباسَ بن المسيَّب بنِ زهير وهو على شُرطته، وأيوبَ بن [أبي][2] سمير، وهو على كتابته، وغيرَهم، وفيهم ذو الرِّياستين، وكان عظيمَ القدرِ عنده، فاستشارهم، فأَشاروا[3] عليه أن يتجهَّزَ بنفسه خلفهم في ألفَي فارسٍ جريدةٍ[4] يردُّهم، فقال له ذو الرِّياستين: إن فعلتَ ما أشاروا عليك، جعلوك طُعمةً وهديةً لمحمَّد، قال: فما الرأي؟ قال: أن تكتب إليهم كتاباً وتبعثَ رسولاً يذكِّرهم البَيعة، ويسألهم الوفاءَ بالعهد، ويحذِّرهم الحِنْثَ وما يَلزمهم من ذلك في الدِّين والدنيا، فكتب إليهم كتاباً مع سَهْل بنِ صاعد ونَوفلٍ الخادم، وبعث معهما جماعةً من أهل الرأيِ والعقل، فلحقوهم على ثلاث مراحلَ من نَيْسابور.

قال سهلُ بن صاعد: فأوصلتُ كتابَ المأمون إلى الفضل بنِ الربيع، فقرأه وقال: إنَّما أنا واحدٌ من القوم. قال سهل: وشدَّ عليَّ عبدُ الرحمن بنُ جَبَلَةَ الأنباريُّ بالرمح فأمرَّه على جنبي، ثم قال: قل لصاحبك: واللهِ لو كنت حاضراً لوضعتُ هذا الرمحَ في فيك، هذا جوابي. ونال من المأمون، فرجعوا إليه وأَخبروه، فقال له ذو الرِّياستين: اِحمدْ ربَّك، فقد أراحك اللهُ من أَعدائك، والرأيُ عندي ما أذكره لك، فافهمه واعملْ به، وأنا زعيمٌ لك بالخلافة، قال: وما هو؟ قال: قرأتَ القرآن، وسمعتَ الحديث،

(١) المور: الغبار المتردد، والتراب تثيره الريح. القاموس المحيط (مور). والأبيات في مختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ٣٨، والبداية والنهاية ١٤/ ٤٧، إلا أنها في رثاء الرشيد.
(٢) زيادة من تاريخ الطبري وابن الأثير ٦/ ٢٢٣.
(٣) في (خ): فاستشاروا.
(٤) الجريدة: خيل لا رجَّالة فيها. القاموس المحيط (جرد).

وفقهت في الدِّين، والرأيُ أن تبعثَ إلى مَن بالحضرة من الفقهاء، فتدعوهم إلى الحقِّ والعملِ به وإحياءِ السنَّة، وتقعدَ على اللُّبود، وتردَّ المظالم، وتكرمَ القوَّاد وأبناءَ الملوك، وتحطَّ عن خراسانَ رُبعَ الخراج، فقال: أَفعل ذلك، ففعله، فحسنت حالُه، وسُرَّ به الناس، وقالوا ابنُ أُختنا وابن عمِّ نبيِّنا ﷺ، نفوسُنا دونه. ومعنى ابن أُختِنا أنَّ أمَّه مراجل كانت تركيةً من أهل خراسان.

وقيل: إنَّ رسلَ المأمون لمَّا عادوا من عسكر هارونَ آيسين، قال له الفضلُ بن سهل: اصبر واثبُت لتنال ما تحب، ثم خلا بالقوَّاد الذين كانوا عند المأمون، مثل يحيى بنِ معاذ ومَن سمَّينا، وعرض عليهم البيعةَ للمأمون، وقال: قد غدر به محمَّد وأخذ ما كان أَوصى له به الرَّشيد، فبايعوا له، فأغلظوا له في الكلام، وقالوا: مَن يدخل بين الخليفةِ وأخيه؟ فدخل الفضلُ على المأمون وقال له: إذا كان هؤلاء كذا، فكيف لو رجع الفضلُ بمن معه! قال: فما الحيلة؟ قال: أَظهِر النُّسك، والزم المسجد، وافرش اللُّبود، وصلِّ الصلواتِ الخمس، ودُم على قراءة القرآنِ والصَّدقة على الفقراءِ والمساكين، وأَزِل المنكر، ومُر بالمعروف، وأَحْيِ معالمَ الشريعة. ففعل، فمالت قلوبُ الناس إليه، وأشار عليه ألَّا يقطعَ مكاتباتِ محمَّد، فكتب إليه، وبعث بالهدايا النفيسة، من الطِّيب والرقيقِ والأَمتعة الجليلةِ وطُرَف السِّند والهند.

وكان هارونُ بفراسته يعلم ما يريد أن يجريَ بينهما، فكان يقول: [من الطويل]

محمَّد لا تُبغِضْ أخاك فإنَّه ... يعود عليك البغيُ إن كنتَ باغيا
فلا تعْجَلَنْ فالدهرُ فيه كفايةٌ ... إذا مالَ بالأقوام لم يُبْقِ باقيا(١)

ولم يجاهر المأمونُ أخاه، بل أَقام على طاعته والأمرُ بينهما مستور.

وأمَّا الأمين، فلمَّا أَفضت إليه الخلافة، تشاغل باللَّهو واللعب، وأمر ببناء مَيْدانٍ حول قصرِ أبي جعفرٍ في المدينة للَّعب بالصَّوالجة، وأمر بعمل خمس حَرَّاقات(٢) في دجلة، واحدة على خِلقة الأسد، والثانيةُ على خلقة الفيل، والثالثة على خلقة العُقاب، والرابعةُ على خلقة الفرس، والخامسة على خلقة الحيَّة، وأمر الشعراءَ فمدحوها،

(١) الوافي بالوفيات٥/ ١٣٨-١٣٩ .
(٢) الحراقات: ضرب من السفن فيها مرامي نيران يرمى بها العدو في البحر. المعجم الوسيط (حرق).

وأطلق لهم خمسَ مئة ألفِ دينار، وأمر بشاعرٍ أنشده قصيداً بثلاث مئةِ ألف دينار، وأسرف إسرافاً كبيراً.

وفيها جهَّز المأمونُ الجيوشَ إلى رافع بنِ اللَّيث مع هَرْثَمة، فنازله بسَمَرْقَند، وأخرب سورَها الظاهر، ولجأ رافعٌ إلى المدينة الداخلة، وراسل رافعٌ التُّرك، فوافوه، وبقي المأمونُ بين رافعٍ والتُّرك يقاتل الفريقين، ثم انصرف التركُ إلى بلادهم، وبقي رافعٌ محصوراً، فضعفَ أمرُه.

وفيها قُتل نقفورُ ملك الرومِ في حرب بُرْجان[1]، وكان ملكُ نقفورَ تسعَ[2] سنين، وملك بعده ولدُه إستبراقُ بن نقفور، وكان قد خرج مع أبيه، فمات بعده بشهرين، وملك ميخائيل بن جُرجس، وكان خَتَنَه على أخته.

وأقرَّ الأمينُ أخاه القاسمَ في هذه السَّنة على ما كان عليه من أعمال الجزيرةِ وقِنَّسرين والعواصم، ثم صرفه عن الجزيرة وولَّى عليها خُزَيْمَةَ بن خازم، وأقرَّ القاسمَ على الثُّغور والعواصم. وهذا ثاني أمرٍ خالف فيه الأمينُ وصيةَ أبيه، عزلُه لأخيه عن الجزيرة.

وفي شعبانَ قدمت زُبيدة [أمُّ الأمين][3] من الرقَّة بجميع ما كان فيها من الأموال والخزائن، فخرج الأمينُ لاستقبالها في وجوه الناسِ والأشراف والعلماء، فلَقِيها من الأنبار.

وحجَّ بالناس داودُ بن عيسى بنِ [موسى بن] محمَّد بن عليٍّ بن عبد الله بنِ عباس، وهو والي مكَّة، فمات بعد الموسم.

فصل وفيها توفي

صالحُ بن محمَّد

ابنِ عَمرو بن حَبيب بن حسَّان، أبو عليٍّ البغدادي، مولى أسدِ بن خُزَيْمَةَ، ولقِّب

(١) بعدها في (خ): الرومي.

(٢) كذا في (ب) و (خ) وتاريخ الإسلام ٤/ ١٠٣٢، ونسخة من الطبري ٨/ ٣٧٣، ونسخ من البداية والنهاية ١٤/ ٥٢ . وفي مطبوع الطبري والبداية والنهاية والمنتظم ٩/ ٢٢٤، والكامل ٦/ ٢٢٦: سبع.

(٣) ما بين حاصرتين من (ب).

جَزَرَة -بجيم وزايٍ معجَمة وراءٍ مهمَلة- لأنَّه قرأ يوماً على شيخٍ من شيوخ الشام أنَّه كان لأبي أُمامَة خَرَزةٌ يرقي بها المرضى، فصحَّف.

وُلد سنةَ عشرٍ ومئة[١] بالكوفة، وكان أحدَ أئمَّة العلمِ والحفَّاظ، وممن يُرجَع إليه في علم النَّقل، سافر إلى الأمصار، فسافر وسمع بخُراسانَ والعراقَين والشامِ ومصرَ والحجاز، واستوطن بُخارى، وكان يحدِّث من حفظه، ولم يستصحبْ معه كتاباً، وكان ثقةً صدوقاً حافظاً عارفاً، وكان فيه دُعابة.

اجتاز يوماً ببغدادَ شاعران، أحدُهما صاحب حديثٍ والآخَر مُعْتَزليّ، فقال له المعتزليّ: كم تكتب! يذهب بصرُك، ويَحْدَودب ظهرُك، ويزداد فكرك، ثم أخذ كتاباً من يده وكتب عليه: [من مجزوء الكامل]

إنَّ القراءةَ والتفقُّه والتشاغلَ بالعلومِ
أصلُ المذلَّة والإضاقةِ والمهانةِ والهمومِ

ثم ذهب وجاء الآخَر، فقرأ البيتَين وقال: كذب عدوُّ الله، بل يُرفع ذِكرُك، ويُنشر علمُك، ويبقى اسمُك مع اسم رسولِ الله ﷺ إلى يوم القيامة، وكتب على ظهرِ الكتاب:

إنَّ التشاغلَ بالدَّفا ترِ والكتابةِ والدِّراسهْ
أصلُ التَّفَقُّه والتزهُّدِ والرِّئاسةِ والسِّياسه[٢]

توفِّي صالحٌ سنةَ ثلاثٍ وتسعين ومئةٍ ببخارى، وقيل: سنَة أربعٍ وتسعين[٣].

أَسند عن عليِّ بن الجَعْد وغيرِه، وروى عنه الجَمُّ الغَفير، واتَّفقوا على صدقه وثقتِه.

[فصل وفيها توفي]

(١) كذا؟! وهذا وهم من المصنف رحمه الله، فقد ولد صالح سنة عشر ومئتين، أو خمس ومئتين، وتوفي سنة ٢٩٣، أو ٢٩٤، فإيراده في وفيات هذه السنة وهم، لم أجد من تابع فيه المصنف، انظر تاريخ بغداد ١٠/ ٤٤٥، والمنتظم ١٣/ ٥٢، وتاريخ دمشق ٨/ ٢٢٢ (مخطوطة دار البشير)، وتاريخ الإسلام ٦/ ٩٥٣، والسير ١٤/ ٢٤ وفي حواشيه مصادر أخرى، ولم ترد هذه الترجمة في (ب).

(٢) تاريخ بغداد ١٠/ ٤٤١ .

(٣) انظر التعليق أول الترجمة.

غُنْدَر

واسمه محمَّد بن جعفر، مولى هُذيل، بصري، أبو عبدِ الله [صاحب سعيدِ بن أبي العَروبة][١]، من الطبقة السادسة [من أهل البصرة.

سمع غندرٌ الكثير، وسافر إلى الأمصار. وقال البخاريّ: توفِّي سنةَ ثلاثٍ وتسعين ومئة[٢].و] سمع يحيى بنَ سعيدٍ والثوريَّ وحُميداً الطويلَ وغيرَهم[٣].

[وقال الخطيب: جالس شعبةَ نحواً من عشرين سنة] وروى عنه الجَمُّ الغَفير، وكان إماماً ثقةً سليمَ الصدر.

[وروى محمَّد بن المَرْزُبان قال: قيل لغندر:][٤] إنَّ الناس يُعَظِّمون أمرَ السلامة التي فيك، قال: يَكذِبون، فقيل له: حدِّثنا منها بشيء، قال: صمتُ يوماً، فأكلت ثلاثَ مرَّات ناسياً، ثم أتممت صومي.

وقال ابن مَعين: اشترى غندرٌ يوماً سَمَكاً، وقال لأهله: أَصلِحوه، فأَصلحوه وهو نائمٌ وأكلوه، ولطَّخوا يدَه وفمَه منه، فلمَّا انتبه قال: قدِّموا السمك، فقالوا: قد أكلتَ منه، قال: لا، قالوا: فشمَّ يدك، ففعل، فقال: صدقتم ولكن ما شبعت.

[واختلفوا في وفاته، فروينا عن البخاريِّ أنَّه] مات سنةَ ثلاثٍ وتسعين ومئة، وقيل: سنةَ أربعٍ وتسعين بالبصرة، وكان ثقةً إن شاءَ الله.

[وفيها توفِّي]

هارونُ بن محمَّد

ابن عبد الله بن محمَّد بن عليِّ بن عبد اللهِ بن عباس، أميرُ المؤمنين الرشيد[٥]. [وقد

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب)، وانظر ترجمته في طبقات ابن سعد ٩/ ٢٩٧، والمنتظم ٩/ ٢٢٧، وتهذيب الكمال (٥١٢٠)، وتاريخ الإسلام ٤/ ١١٨٨، والسير ٩/ ٩٨ وفي حواشيه مصادر أخرى.

(٢) التاريخ الكبير ١/ ٥٧ . ومابين حاصرتين من (ب).

(٣) الذي روى عن يحيى بن سعيد وحميد الطويل هو محمد بن جعفر الزرقي، لا غندر.

(٤) في (خ): وقيل له.

(٥) تاريخ الطبري ٨/ ٣٤٧، مروج الذهب ٦/ ٢٨٧، تاريخ بغداد ١٦/ ٩، المنتظم ٨/ ٣١٨ و٩/ ٢٣٠، تاريخ الإسلام ٤/ ١٢٢٣، السير ٩/ ٢٨٦.

ذكرنا اختلافَ العلماءِ في مولده، فقال الطبريّ[١]: سنةَ خمسٍ وأربعين ومئة، وقال ابنُ أبي الدنيا: سنةَ تسعٍ وأربعين ومئة.

ذِكر طرَف من أخباره:

قد ذكرنا منها جملةً متفرِّقة في الكتاب، رُوي عن الجاحظ أنَّه كان يقول:] اجتمع له ما لم يجتمعْ لغيره من الخلفاء [من جدٍّ وهزل]: وزراؤه البرامكة لم يُرَ مثلُهم شَرَفاً وسخاء، وقاضيه أبو يوسفَ وحفصُ بن غياثٍ ونوحُ بن درَّاج، وشاعرُه مروان بن أبي حَفْصة [كان في عصره مثلَ جَرير]، ونديمُه عم أبيه العباسُ بن محمَّد [صاحبُ العبَّاسية] وكان عظيماً، وحاجبُه الفضل بنُ الربيع، أشدُّ الناس حزماً، ومغنِّيه إبراهيمُ الموصلي، أوحدُ زمانه في صناعته، وزوجتُه زُبيدة بنت جعفر، أرغبُ الناس في خيرٍ وأسرعُهم إلى كل بِرّ، وواعظه محمَّد بن السمَّاك ومنصورُ بن عمار، وأولادُه: الأمين، والمأمون، والمؤتَمَن، والمعتصم.

وقال إبراهيمُ بن محمَّد [بن عَرَفة][٢]: كان هارونُ يصلِّي كلَّ يوم وليلةٍ مئةَ ركعةٍ نافلة، ويتصدَّق من صُلب ماله كلَّ يومٍ بألف درهم، وكان إذا حجَّ حجَّ معه بثلاث مئةٍ من العلماء والأعيان، وفي العام الذي لا يحجُّ فيه يحجُّ أيضاً بثلاث مئة، ولم يَفُتْه الحجُّ إلَّا أعواماً يسيرة.

[ذِكر حجَّاته:

قال خليفة:] حجَّ [هارونُ في] سنة سبعين، وسنةِ ثلاث وسبعين، وأربعٍ وسبعين، وخمس وسبعين، وتسعٍ وسبعين، وسنةِ ثمانين[٣]، وسنة ستٍّ وثمانين ومئة.

وحُفظ عنه مِن بعض حجَّابه أنَّه دخل البيتَ، وقام على أصابعه وقال: يا مَن يملك حوائجَ السائلين، ويعلم ضمائرَ الصامتين، لكلِّ سائل منك ردٌّ حاضر أو إجابة، ولكلِّ صامت منك علمٌ محيط بباطن حالِه، يا ذا المواعيدِ الصادقة، والأَيادي الفاضلة، والرحمةِ الواسعة، صلِّ على سيِّدنا محمَّد وعلى آل محمَّد، واغفر لنا ذنوبَنا، وكفِّر عنا

---

(١) في تاريخه ٨/ ٢٣٠ . وما بين حاصرتين من (ب).

(٢) مابين حاصرتين من (ب)، وانظر تاريخ بغداد ١٦/ ١٠ .

(٣) كذا في (ب) و (خ)، والصواب: إحدى وثمانين، كما في تاريخ خليفة ص٤٥٦.

سيئاتِنا، يا مَن لا تَضرُّه الذنوب، ولا تخفى عنه الغيوب، اللهمَّ خِر لي في جميع أمري، يا مَن خشعت له الأصواتُ بفنون اللغات، يسألونك الحاجات، إنَّ من حاجتي عندك أن تغفرَ لي إذا توفَّيتني وصرتُ في لحدي، وتفرَّق عني أهلي وولدي، اللهمَّ أَحينا سعداءَ مرزوقين، ولا تجعلْنا أشقياءَ محرومين.

وقال الفضل بنُ الربيع: حججنا مع هارون، فقيل له: في جبال تهامة عابدٌ مجاب الدَّعوة قد اعتزل الناس، فقال: اِعدل بنا إليه، فجئناه، وإذا به جالسٌ على الأرض، فسلَّم عليه، وجلس بين يديه، وقال له: أَوصِني، فو اللهِ لا عصيتُك أبداً. فلم يردَّ عليه جواباً، فلمَّا انصرف هارون، قيل للعابد: ما منعك أن تأمرَه بتقوى اللهِ وقد قال لك: أوصِني بمهما شئت، وحلف لك. فخطَّ في الرمل خطًّا، فإذا هو: إنِّي أعظمت اللهَ أن يأمُره بأمرٍ فيعصيَه ويطيعَني.

وغزا بلادَ الروم فأَوغل فيها، فكتب إليه ملكُ الروم: لآتينَّك بكلِّ صليبٍ في مملكتي، فكتب على رأس كتابه: وسيعلم الكافرُ لمن عُقبَى الدار. ودخل بلادَ الروم غيرَ مرَّة، وغزا عدَّةَ غزوات، وأَناخ على خليج القُسطنطينية.

وكان جَوَاداً سَمْحاً، يحبُّ أهلَ العلم والأدبِ والفقه، ويُجيز بمئة ألفٍ وألفِ ألف، وكان يتقفَّى آثارَ المنصور إلَّا في العطاء؛ فإنَّه لم يكن خليفةٌ قبله ولا بعده أكرمَ منه، ثم المأمونُ بعده.

وقال منصورُ بن عمار: ما رأيتُ أسرعَ دمعةً من هارونَ عند الذِّكر(١).

[وروى الخطيبُ(٢) بإسناده عن عليِّ بن المَديني قال:] قال أبو معاويةَ الضَّرير: أكلتُ مع هارونَ يوماً طعاماً، فصبَّ على يدي رجلٌ لا أعرفه، فلمَّا فرغ قال لي: يا أبا معاوية، هل تدري مَن صبَّ على يدك؟ قلت: لا، قال: أنا، فاسترجعت، فقال: لا بأسَ عليك، إنَّما فعلته إجلالاً للعلم.

---

(١) عبارته في تاريخ بغداد ١٦/ ١٣، ومختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ١٩: ما رأيت أغزر دمعاً عند الذكر من ثلاثة: فضيل بن عياض، وأبو عبد الرحمن الزاهد، وهارون الرشيد.

(٢) في تاريخه ١٦/ ١٢، وما بين حاصرتين من (ب).

قال: وما حدَّثته بحديثٍ عن النبيِّ ﷺ إلَّا وقال: صلى اللهُ على سيِّدي محمَّد ﷺ.

وحدَّثته يوماً بحديث أبي هريرةَ، وأنَّ موسى لقي آدمَ فقال له موسى: أنت الذي أخرجتَنا من الجنة، وعنده بعضُ عمومته، فقال: أين التقيا؟ فأمر هارونُ بقتله، ثم حبسه، [قال:] فدخلتُ عليه الحبسَ ولُمْته، فقال: واللهِ ما سمعتُه من أحد، وإنَّما هو شيءٌ جرى على لساني، قال: فأخبرت هارون، فقال: خفت أن يكونَ بعضُ الزنادقةِ ألقى إليه هذا الكلام، وإلَّا فأنا أعلم أنَّ القرشيَّ لا يتزَنْدَق، وأطلقه.

[قلت: وأيُّ إشكالٍ في هذا السؤال، أليس قد ثبت أنَّ الله تعالى أخرج ذريَّة آدمَ مثل الذَّرِّ بأرض نَعمانَ وقال لهم: «ألست بربكم» قالوا: بلى. وأخذ ميثاقَ الأنبياءِ على تصديق نبيِّنا ﷺ وقد كان موسى في الجملة، فقد عاتبه موسى على اعتبار[1]، ويحتمل أنَّ روحَ موسى وآدمَ اجتمعا بعد المماتِ فعاتبه موسى، وليس في سؤال عمِّ هارونَ ما يُنكَر عليه، وإنَّما عظَّم القصة سدًّا لهذا الباب على مَن لم يفهم الجواب.]

وقال [أبو معاويةَ الضرير:][2] قال لي هارونُ يوماً: ما أجلُّ المراتب؟ فقلت: ما أنت فيه، قال: أجلُّ مني رجلٌ في حلقةٍ يقول: حدَّثنا فلانٌ عن فلان عن النبيِّ ﷺ.

[وكان هارونُ كثيرَ الخوفِ من الله والبكاء] وقال ابنُ المبارك: عشق هارونُ جارية، فراودها عن نفسها، فقالت: إنَّ أباك ألمَّ بي، فتركها، وشُغف بها حتى قال: [من الوافر]

أرى ماءً وبي عَطَشٌ شديدٌ ولكن لا سبيلَ إلى الورودِ[3]

وأخبر أبا يوسفَ القاضيَ بشدَّة شغفه بها، فقال: أَوكلَّما قالت جاريةٌ كذا تصدِّق! فقال هارون: ما فوق الخلافةِ مرتبة.

ثم قال ابنُ المبارك: ما أدري مم أعجب، من عِفَّة الجارية ورغبتِها عن الخلافة، أو من امتناع هارونَ عنها مع شدَّة الشغفِ والعشق والقدرةِ والشَّباب والملك، أو من جرأة أبي يوسفَ حيث أمره بالهجوم عليها؟!

(١) حديث المعاتبة المذكور أخرجه البخاري (٣٤٠٩)، ومسلم (٢٦٥٢).
(٢) في مختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ١٣ أن القائل يحيى بن أكثم. وما بين حاصرتين من (ب).
(٣) هي ثلاثة أبيات في مختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ٢٩ . وانظر تاريخ بغداد ١٦/ ١٧ .

وقال الأصمعّي: عارضه بعض الزهَّاد فقال له[١] في الطريق: يا هارون، اتقِ الله، فوقف عليه وقال: ما أنصفتَني، قال الزاهد: ولِم؟ قال: لأنَّ فرعونَ كان أخبثَ مني حيث قال: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨] ولا أنت خيرٌ من موسى، ولمَّا بعثه اللهُ إلى فرعونَ قال له: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ [طه: ٤٤] أي: كنِّياه، قال: صدقت، قال: فلمَ عرَّضتَ نفسَك للهوان فخاطبتَني بأغلظِ الألفاظِ، أأمِنْتَ عقوبتي؟! فقال الزاهد: أخطأتُ وأستغفرُ الله، وحلمُك يسعني، فقال هارون: غفر اللهُ لك، وأمر له بعشرين ألف درهم، فأبى أن يقبلَها وقال: مالي واللهِ إليها من حاجة، وانصرف ولم يقبلْها.

و[قال الأصمعيّ:][٢] اجتاز هارونُ بالبادية، وإذا بكوخٍ فيه عجوز، فسلَّم عليها وقال: ممَّن العجوز؟ فقالت: من طيِّئ، فقال: ما منع طيِّئاً أن يكونَ فيهم مثلُ حاتم، فقالت: الذي منع الخلفاءَ أن يكونَ فيهم مثلُك، فأعطاها مالاً عظيماً كان معه، فاستكثره بعضُ مَن حضر، فقال: واللهِ لو أعطيتُها الخلافةَ ما أوفيتُها.

وقال الأصمعيّ: دخلتُ عليه يوماً فقال لي: كيف بتَّ؟ فقلت: بليل النَّابغة، فقال: لعلك تريد قولَه: [من الطويل]

فبتُّ كأنِّي ساوَرَتْني ضَئيلةٌ ... من الرُّقْش في أنيابها السُّمُّ ناقعُ[٣]

قلت: نعم.

وقال إسحاقُ الموصلي: كان الخلفاءُ إذا عطسوا شُمِّتوا، فعطس هارونُ يوماً، فشمَّته جلساؤه، فقال لهم الفضلُ بن يحيى: لا تكلِّفوا أميرَ المؤمنين بعدها جواباً. فمُحيت هذه السُّنَّة.

وكان الخلفاءُ إذا مَرِضوا دخل عليهم جلساؤهم فسألوهم عن حالهم، فقال الفضلُ ابن يحيى: اِرفعو هذا عن أمير المؤمنين، واجعلوا سؤالَكم عنه دعاءً له.

---

(١) في (خ): لي، والقصة غير مذكورة في (ب).
(٢) ما بين حاصرتين من (ب).
(٣) المنتظم ٨/ ٣٢٣، والبيت في ديوان النابغة الذبياني ص٨٠.

وقال الأصمعي: خاطبتُ هارونَ يوماً مخاطبةَ مُدِلّ، فقال لي: يا عبدَ الملك، الدالّة تُفسد الحُرمة، وتُسقط المنزلة.

وقال المُفَضَّل الضَّبِّي: استدعاني هارونُ يوماً، فدخلتُ عليه، والأمينُ جالس عن يمينه والمأمونُ عن شماله والكسائيُّ عنده، فقال: يا مفضَّل، كم في قوله تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٣٧]اسم؟ فقلت: ثلاثةُ أسام: الكافُ لرسول اللهِ ﷺ، والهاءُ والميمُ للكفار، والياء، وهي لله تعالى. فقال: صدقتَ يا مفضَّل، هكذا أفادنا هذا الشيخ، يعني الكِسائي. ثم قال: يا مفضَّل سَلْ، فقلت: ما معنى قولِ الفرزدق:

أَخَـذْنـا بـآفـاقِ الـسَّـمـاءِ عـلـيـكـمُ   لـنـا قَـمـراهـا والـنُّـجـومُ الـطَّـوالِـعُ[(١)]

فقال: أراد بقوله: لنا قمراها، أي: الشمس والقمر، كما قالوا: سنَّة العُمَرَين [: سُنَّةَ أبي بكر وعمر][(٢)]. قال المفضَّل: فلمَ استحسنوا هذا؟ يعني قولَهم: سنَّة العُمَرين، فقال: لأنَّه متى اجتمع شيئان من جنسٍ واحد وكان أحدُهما أخفَّ على اللسان، غلَّبوه وسمَّوا الثانيَ باسمه، ولمَّا كانت أيامُ عمرَ أكثرَ من أيام أبي بكرٍ، وفتوحُه أكثَر، واسمُه أخفَّ، غلَّبوه وسمَّوا أبا بكرٍ باسمه. وقال: وأمر لي بمئتَي ألفِ درهم.

وقد اختلفوا في قولهم: سيرةُ العمرين، قال معاذُ الهَرَّاء: لقد قيل: سيرةُ العمرين قبل عمرَ بن عبدِ العزيز؛ لأنَّهم قالوا لعثمانَ يومَ الدار: نسألك سيرةَ العمرين. وسُئل قتادةُ عن عتق أمَّهات الأولاد [فقال: أَعتق العُمَرَان فما بينهما من الخلفاءِ أمهاتِ الأولاد][(٣)]. ففي قول قتادةَ أنه عمرُ بن الخطاب وعمرُ بن عبد العزيز؛ لأنَّه لم يكن بين أبي بكرٍ وعمرَ رضوانُ الله عليهما خليفة.

وقال الفضلُ بن الربيع: أحضر هارونُ رجلاً ليولِّيَه القضاء، فقال له: ما أنا فقيه، فقال: فيك ثلاثُ خصال: شرف، والشرفُ يمنع صاحبَه من الدَّناءة، ولك حِلم، وهو يمنعك من العَجَلَة والسَّفَه، ومَن لم يعجل ولم يَسفَه قلَّ خطؤه، وأنت رجلٌ تشاور في

---

(١) الديوان ١/ ٤١٩.

(٢) ما بين معكوفين من تاريخ الطبري ٨/ ٣٦١.

(٣) ما بين حاصرتين من إصلاح المنطق ص٤٤٥.

أمرك، ومَن شاور كثر صوابه، وأمَّا الفقه، فسنضمُّ إليك رجلاً تتفقَّه به. ثم ولَّاه، فلم يجدْ فيه مَطْعَناً.

وجاء رجلٌ يوماً يطلب من الرشيد حاجة، فوافاه وهو يصلِّي ويتضرَّع ويدعو اللهَ تعالى، فخرج الرجلُ وكان قد لَمَحه، فلما سلَّم قال: عليَّ بالرجل، فجيء به، فقال: ما الذي أتى بك، وما الذي أَعجَلَك؟ قال: جئتُك في حاجة، فوجدتك تسأل غيرَك وتتضرَّع إليه، فقلت: كلُّنا في هذا سواء، ومالي لا أسأل مَن يسأله هذا! فانصرفت لأسألَ الذي سألتَه. فبكى هارونُ وسأله عن حاجته، فامتنع الرجلُ من ذِكرها، فقال: لا بدّ، فأَخبره، فقضاها له.

ودخل عليه ابنُ السمَّاك يوماً وهو يأكل بملعقة فضَّة فقال: أُخبرنا عن جدِّك عبدِ الله ابن عباسٍ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠]. أنَّه أكلُ الرجلِ بيده. فرمى هارونُ بالملعقة وأكل بيده.

[وقال إسحاقُ الموصلي: ما رأى أحدٌ هارونَ يشرب النَّبيذ، وإنما كان يجلس من وراء السِّتارة. وهو أوَّل مَن رتَّب المغنِّين والندماءَ طبقاتٍ ومنازل.

ذِكر قصَّته مع الشيخ الأُموي:

ذكرها القاضي التنوخيُّ شيخ الخطيبِ في كتاب «الفرج بعد الشدَّة»(١) مطوَّلةً، وقد اختصرتُها، فقال التَّنوخي:] رُفع إلى هارونَ أنَّ رجلاً بدمشقَ من بقايا أولادِ الخلفاءِ بني أمية، رفيعَ القدر، عظيمَ الجاه، كثيرَ المال والأولادِ والغلمان، يركبون الخيل، ويحملون السَّلاح، ويغزون الروم، وهو في حالٍ يضاهي بها الخلفاءَ والأمراء، جَوَاداً سخيًّا، كثيرَ الصنائع، وافرَ العطاء، [وكتب أصحاب الأخبار إلى هارون أنه] لا يؤمَن منه فَتْقٌ يتعذَّر رَتْقُه، وهارونُ يومئذٍ بالكوفة.

قال منارةُ صاحبُ الخلفاء: فدعاني [هارون] وقال لي: يا منارة، قد كثَّر عليَّ أصحابُ الأخبار أنَّ بدمشقَ رجلاً من صفته كذا وكذا، وقد أهمَّني أمره، وقد نَدَبْتُك إليه، فانظر كيف تكون، فإنِّي قد مُنعت النوم، فاخرج الساعةَ على البريد، وخذ هذه القيود، فإذا نزلتَ بالرَّجل، فقيِّده واحمله إليّ، وإنْ أبى، فهذا كتابٌ إلى عامل دمشقَ

(١) ٢/ ٣٤. وما بين حاصرتين من (ب).

بقبضه، واجعله في شِقِّ مَحْمِلٍ وأنت في الشقِّ الآخَر، وقد أجَّلتك ثلاثةَ عشرَ يوماً: ستَّةً لرَواحك، وستَّةً لعودك، ويوماً لمقامك. واحفظ ما يقول حرفاً حرفاً، وما يصنع، إلى أن تَقدمَ به عليّ.

قال منارة: فخرجتُ على البريد أسير ليلاً ونهاراً، حتى قدمت دمشقَ في اليوم السابعِ، فسألتُ عن داره، فدُللت عليها، فأتيتها، وإذا بحاشية عظيمة، وغاشيةٍ كثيرة، وحِشْمةٍ مثل حشمةِ الملوك، فدخلتها بغير إذن، فقال أصحابهُ لبعض مَن معي: مَن هذا؟ قالوا: منارة رسولُ أمير المؤمنين إلى صاحبكم، فكفوا، فلمَّا صرت في صحن الدار، رأيتُ مجلساً بَهْواً فيه قومٌ جلوس، فقاموا إليَّ ورحَّبوا بي وأكرموني، فقلت: أفيكم فلان؟ قالوا: نحن أولادُه وهو في الحمَّام، فقلت: استعجلوه، فمضى بعضُهم فأخبره، وجعلت أتفقَّد أحوالَ الدار والحاشيةِ وهي تموج بأهلها، وإذا بالشيخ قد أقبل بعد أن أطال وارتبت به وقلت: ربَّما توارى، وإذا حوله كهولٌ وصبيان، وهم أولادُه، وغلمانٌ كثيرة، فجاء فسلَّم سلاماً خفيًّا[1]، وسألني عن أمير المؤمنين، فأخبرتُه بما يجب، وجاؤوا بأطباق الفاكهة، فقال لي: تَقدَّم يا منارةُ فكل، فقلت: مالي إلى الأكلِ من حاجة، فلم يعاودْني، وأقبل هو يأكل والحاضرون، ثم غسل يدَه، وجاؤوا بالموائد التي لم أرَ مثلَها إلَّا للخلفاء، فقال: تقدَّم يا منارةُ فكل، فقلت: مالي إلى الأكل، فتأمَّلتُه، وإذا به يأكل أكلَ الخلفاء، ولا يُرفع من بين يديه شيءٌ إلَّا وُهب[2]، فقلت في نفسي: هذا جبَّار عنيد، لا يدعوني إلَّا باسمي كما يدعوني الخلفاء، وقد تهاون بي، وربَّما امتنع من الشُّخوص معي، وكيف أَصنع وأنا في منزله!

ثم غسل يدَه، وجاؤوا بالبَخُور، فتبخَّر وقام إلى الصلاة، فأَطال، ودعا واستغفر وابتهل، وصلَّى صلاةً حسنة، ثم انفتل من محرابه وقال: يا منارة، ما الذي أَقدمك؟ فأخرجت إليه كتابَ أمير المؤمنين، فلمَّا قرأه، دعا أولادَه وأهله وخَدَمه وحاشيته، فلم أشكَّ أنَّه يريد أن يوقعَ بي، فلمَّا تكاملوا، حلف بالأَيمان المغلَّظة ألَّا يجتمعَ منهم اثنان في موضع، وأن ينصرفوا إلى منازلهم، ثم قال لهم: هذا كتابُ أمير المؤمنين

(١) في الفرج بعد الشدة: خفيفاً.

(٢) في (خ) ونسخة من الفرج بعد الشدة: نهب. وفي هذا الموضع سقط في (ب).

يدعوني بالمَصير إليه، ولست أُقيم بعد نظري فيه لحظةً واحدة، فاستوصُوا بالحُرَم خيراً، ولا يتبعْني منكم أحد، هاتِ يا منارة قيودَك، فدعوت بها، فمدَّ رجليه، فقيَّدته، ثم أمرتُ أصحابي فحملوه فألقَوه في شِقِّ محمل، وركبت في الشقِّ الآخر، وسرنا وليس معه أحدٌ من غلمانه، فشرع يحدِّثني بانبساط، وكلَّما مررنا على بستانٍ يقول: هذا لي وفيه من غرائب الأشجارِ والثِّمار كذا وكذا، فاغتظتُ منه وقلت: قد اشتدَّ تعجُّبي منك، ألستَ تعلم أنَّ أمير المؤمنين قد أهمَّه أمرُك حتى أرسلَ إليك مَن انتزعك من بين أهلِك وولدك وحَشَمك ومالِك ومن جميع ما كنتَ فيه، وقد بقيتَ فرداً وحيداً مقيَّداً ما تدري ماذا تصير إليه، وأنت فارغُ القلب تصف بساتينَك وضِياعك، لقد كنتَ عندي شيخاً فاضلاً!

فاسترجع وقال: لقد أخطأتْ فِراستي فيك، ظننتك رجلاً كاملَ العقل، وأنَّك ما حللت من الخلفاء هذا المحلَّ إلَّا بعد أن عرفوك بذلك، وكلامُك يشبه كلامَ العوامّ، وعقلُك يشبه عقولَهم، واللهِ إنِّي على ثقةٍ من الذي ناصيةُ أمير المؤمنين بيده، وأنَّه لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرًّا ولا لغيره إلَّا بإذن الله، ولا ذنبَ لي عنده أخافه، وإذا عرف سلامتي وطاعتي، وأنَّ الحسَّاد سَعوا بي إليه بالأباطيل، لم يستحلَّ دمي، وردَّني إلى أهلي مكرَّماً، وإنْ كان قد سبق في علم اللهِ تعالى أن تبدرَ منه إليَّ بادرة وقد حضر أجلي، فلو اجتهد أهلُ السماءِ والأرض أن يصرفوا ذلك عنِّي ما استطاعوا، فلمَ أتعجَّل الهمَّ وأتسلَّف الفكرَ فيما قد فُرغ منه، وإنِّي حسن الظنِّ بالله، وأين الرِّضا والتسليمُ والتفويض لأوامر الله الخالق الرازقِ الضارِّ النافع.

ثم صمت فلم يكلِّمني بعدها كلمة، وأقبل على العبادة وقراءةِ القرآن والذِّكر والتسبيح، حتى وصلنا الكوفةَ في اليوم الثالثَ عشر، وإذا النُّجب قد استقبلتني على فراسخَ يتحسَّسون خَبري، فتقدَّمتُه ووصلت إلى أمير المؤمنين، فقال: هيه، حدِّثني حديث الرجلِ كأني حاضر، فحدَّثته الحديثَ، وما خاطبني به لمَّا خرجنا من دمشقَ، وسكوتَه عني وعدمَ اكتراثه، ووجهُه يتربَّد والغضبُ يلوح عليه، حتى حدَّثته بمخاطبتي له وما أجابني به واشتغالِه بالعبادة، فرقَّ وقال: صدق والله، هذا رجلٌ محسود على النِّعمة مكذوبٌ عليه، لقد آذيناه وأزعجناه وروَّعناه وأهلَه، بادر فحُلَّ قيودَه وأتني به مسرعاً.

قال: فخرجتُ فنزعت قيودَه وأدخلتُه، فسلَّم عليه بالخلافة، فما هو إلَّا أن رآه حتى رأيت ماءَ الحياة يجول في وجه أميرِ المؤمنين، وردَّ عليه ردًّا جميلاً، ورحَّب به وأدناه وأمره بالجلوس، وسأله عن حاله وقال: بلغنا عنك فضلٌ وهيبة، وأمورٌ أحببنا معها أن نراك ونسمعَ كلامَك ونُحسنَ إليك، فاذكر حاجتَك، فأجاب جواباً جميلاً، وشكر شكراً كثيراً، وقال: حاجتي أن تردَّني إلى أهلي وولدي وبلدي، فقال: نفعل ذلك، ولكن سَلْ ما تحتاج إليه من مصالح جاهِك ومعاشك، فقال: عمَّال أمير المؤمنين عادلون منصفون، وقد استغنيت بعدله عن سؤالي غيرَ ذلك، وأموري منتظمة، وأحوالي مستقيمة، وأنا وأهلي وولدي إنَّما نعيش في ظلِّ أميرِ المؤمنين، فأمر له بمال، فقال: أَوَ يعفيني أميرُ المؤمنين؛ فإنِّي عنه في غنًى، فقال: يا منارة، سِرْ به مكرَّماً إلى بلده كما أتيتَ به، فإذا أوصلتَه إلى المجلس الذي أخذتَه منه، فدعْه وارجع، فقلت: سمعاً وطاعة، وفعلت ذلك.

ذِكر مقامات العلماءِ بين يديه:

[قد ذكرنا اجتماعَه بالفُضَيل بن عياض، وكان الفضيلُ يدعو له ويقول: لو كانت لي دعوةٌ مستجابة لادَّخرتها له أو للإمام][(١)].

وقال عبدُ الرَّزاق بن همَّام الصَّنْعاني[(٢)]: كنا يوماً عند الفضيل، فمرَّ هارونُ في الطَّواف، فقال الفضيل: الناسُ يكرهون هذا وما في الدنيا أعزُّ عليَّ منه، وددتُ أنَّ الله زاد من عُمري في عمره، فشقَّ ذلك على أصحاب الفضيل، ولم يتجاسروا أن ينطقوا بكلمة، فلمَّا مات هارونُ، وظهرت الفتنُ بعده، والقولُ بخلق القرآنِ، وحملُ المأمون الناسَ على ذلك، قالوا: كان الفضيلُ أعلمَ بما يَحدُث بعده.

[مقام لمنصور بن عمار:

حكى الفضْل بن الربيع قال: دخل عليه منصور فأدناه، حتى ألزق رُكبتيه بركبتيه، فقال له منصور: لَتَواضُعك في شَرَفك أحبُّ إلينا وأحسن من شرفك، فقال: يا أبا

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب).

(٢) في (ب): وروى ابن عن عبد الرزاق الصنعاني، والمثبت من (خ)، والخبر أخرجه الخطيب في تاريخه ١٦/ ١٧ عن ابن الفضل بإسناده إلى عبد الرزاق، وجمع المصنف أو المختصر هنا بين خبرين ذكرهما الخطيب متتابعين.

السَّريّ، عِظْني وأوجز، فقال: مَن عَفَّ في حاله، وواسى من ماله، وعدل في سُلطانه؛ كتبه الله من الأبرار، فبكى هارون وقال: زدني، فقال: يا أمير المؤمنين، لو طلبتَ شَربة ماء فلم توجد إلا بنصف الدنيا أكنتَ تشتريها؟ قال: نعم، قال: فلو تعذّرت أكنت تشتري خروجها بالنصف الآخر، قال: نعم، فقال: قبَّح الله دنيا تُباع وتشترى بشربةٍ من ماء وبَوْلة، فبكى هارون.

وقيل: إن ابن السَّمَّاك هو الذي قال له هذا.]

وقال الفضل بنُ الربيع: دخل ابن السمَّاك على الرشيد فقال له: اتَّقِ الله، واعلم أنَّك موقوفٌ غداً بين يدي الله، ثم مَصروفٌ إلى إحدى منزلَتَين لا ثالثةَ لهما، وهما جنَّة أو نار. فبكى هارونُ حتى اخضلَّت لحيتُه. قال الفضل: فقلت له: سبحانَ الله! وهل يتخالج في سرِّ أحدٍ أنَّ أمير المؤمنين مَصروفٌ إلَّا إلى الجنَّة إن شاءَ الله؛ لقيامه بحقِّ الله، وعدلِه في عباده! قال: فلم يحفِل ابن السمَّاك بقولي وقال: إن هذا -وأشار إليّ- ليس معك ولا عندك في ذلك اليوم، فاتَّقِ اللهَ وانظر لنفسك.

فبكى هارونُ حتى أَشفقوا عليه، وأُنكست فلم أنطقْ بكلمة.

واستسقى الرشيدُ ماء، فأُتي بشربةٍ من ماء، فأَهوى إليها ليَشْرَبَها، فقال له ابنُ السمَّاك: على رِسلك، بقرابتك من رسول اللهِ ﷺ، لو مُنعت من هذه الشَّرْبةِ بكم كنتَ تشتريها؟ قال: بنصف ملكي، فقال: اشرب، فلمَّا شربها قال: بقرابتك من رسول اللهِ ﷺ، لو مُنعت خروجَها من بَدَنك بماذا كنت تشتريها؟ قال: بجميع ملكي، فقال: إنَّ مُلكاً قيمتُه شَربة ماءٍ لَجدير ألَّا يُنافَسَ فيه، فبكى هارون[(١)].

[مقام لمالك بن أنس الفقيه:]

وقال إبراهيمُ النَّهاوندي[(٢)]: قدم هارونُ المدينة حاجًّا، فأرسل إلى مالك بنِ أنسٍ مع البرمكيِّ يقول: احمل «الموطَّأ» لنسمعَه عليك، فقال مالكٌ للبرمكي: قل له: العلمُ يؤتَى ولا يأتي. فجاء البرمكيُّ فأخبره وعنده القاضي أبو يوسف، فقال له: يا أميرَ

(١) انظر تاريخ الطبري ٨/ ٣٥٩، ومختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ١١، وما بين معكوفين من (ب).

(٢) في (ب) وما بين معكوفين منها: روى إبراهيم النهاوندي قال؟

المؤمنين، يبلغ أهلَ العراق أنَّك بعثت إلى مالكٍ في أمرٍ فخالفك فيه! اعزم عليه.

فبينما هم على ذلك، إذ جاء مالكٌ فدخل وسلَّم وجلس، فقال هارون: يا ابنَ أبي عامر، أَبعث إليك في أمرٍ فتخالفني فيه! فقال مالك: أَخبرَني الزُّهري، عن خارجةَ بنِ زيد بن ثابت، عن أبيه قال: كنت أكتب الوحيَ بين يدي رسولِ الله ﷺ، فنزل قولُه تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَـٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ٩٥] وابنُ أمِّ مكتوم حاضر، فقال: يا رسولَ الله، إنِّي رجلٌ ضريرٌ لا أقدر على الجهاد، وقد أنزل اللهُ هذه الآية، قال زيد: وقلمي رَطْبٌ ما جفّ، فأخذ رسولَ الله ﷺ ما كان يأخذه عند نزولِ الوحي، فلمَّا سُرِّي عنه قال: يا زيد، اكتب: ﴿غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ﴾[1]، يا أميرَ المؤمنين، فمن أجل حرفٍ واحدٍ بعث إليه جبريلَ من مسيرة خمسين ألفَ عامٍ أو خمسةِ آلاف عام، أفلا أُجِلُّ أنا العلمَ وأرفعه وقد رفعك اللهُ بحديث ابن عمِّك [رسولِ الله ﷺ، فلا تكن أوَّل مَن وضعه. فقام هارونُ وأتى بيتَ مالك][2] فلمَّا دخل جلس في مَرْتَبة مالك، فقال مالك: أدركنا الخلفاءَ يُعزُّون العلم، فنزل هارونُ وقعد بين يديه وسمع منه الموطَّأ.

[وفي رواية عبدِ الله بن عبدِ الحكم قال: حجَّ هارون، فدخل عليه مالك، فقال له: ينبغي أن تختلفَ إلينا حتى تَسمعَ صبيانُنا منك الموطَّأ، قال: فقال له مالك: إنَّ هذا العلمَ منكم خرج، فإن أعزَزْتُموه عزّ، وإن أذللتموه ذلَّ، قال: قال: فاخرج إلى المسجد ليسمعوه منك أو عليك، قال: فخرج مالكٌ، وجاؤوا إليه فسمعوه عليه][3].

وقال الأصمعي: حجَّ هارون، فأتى مالكاً ليسمعَ منه الموطَّأ، فحجبه ساعة، فغضب هارون، فلمَّا دخل عليه قال: يا أميرَ المؤمنين، عاهدت الله ألَّا أحدِّث إلَّا على وضوء، وإني كنت أتوضَّأ، فسُرِّي عن هارون. وقال مالك: لو أرسلتَ إليَّ لأتيتك، فقال هارون: العلمُ يؤتَى ولا يأتي. فأحضر مالكٌ الموطَّأ، فقرأه ابنُ أبي وهب، فأراد هارونُ أن يحملَ الناسَ عليه، فقال له مالك: إنَّ السلطان إذا حمل الناسَ على مذهبٍ تجافاه العوامّ، فسكت هارون.

---

(١) أخرجه بنحوه البخاري (٢٨٣٢) ومسلم (١٨٩٨).

(٢) ما بين حاصرتين من (ب)، والخبر في تاريخ دمشق ٤٢/ ٣٤٣.

(٣) ما بين حاصرتين من (ب).

[مقام الشافعي عنده:

حكى الفضل بنُ الربيع قال:][١] رُفع إلى هارونَ أن الشافعيَّ يمنِّي نفسَه الخلافة، فاستدعاه وأراد أن يمتحنَه، فقال له: ما علمُك بكتاب الله؟ قال: عن أيِّ علمٍ يسأل أميرُ المؤمنين؟ عن تأويله أم عن تفسيره؟ أم عن علم مكِّيِّه أو مدنيِّه؟ أم علمِ ناسخِه أو منسوخه؟ ونحو ذلك. فقال له: ما علمُك بالأحكام؟ فقال: عن أيِّ الأحكامِ تسأل؟ عن الطَّهارة، أو الصلاة، أو الصوم، أو الزَّكاة، أو الحجّ، أو النِّكاح، أو الطلاق، أو البيوع، أو الجنايات، أو الوصايا؟ وعدَّد الأحكام. فقال: ما علمُك بالعربية؟ فقال: تسأل عن فروعها أو أصولِها؟ أو مذاهب العربِ فيها؟ قال: ما علمك بالطِّب؟ فقال: طبِّ الرُّوم أو اليونانِ أو العرب؟ فعجب هارونُ منه وقال: قد ادَّعيتَ دعاوى عريضةً فعِظْني، فقال: على شرط رفعِ الحِشْمة، وتركِ الهَيبة، وقَبول النصيحة، قال: نعم، قال: اعلم أنَّ مَن أطال عِنانَ الأمل في الغِرَّة، طوى عِنانَ الحَذَر في المُهلة، ومَن لم يعوِّل على طريق النَّجاة، خسر يومَ القيامة، إذا امتدَّت إليه يدُ الندامة. فبكى هارونُ ووصله بمال.

وقال الأصمعي: سُعي بالشافعيِّ إلى هارونَ أنَّه لا يرى إمامته، وأنَّه يرى إمامةَ آل أبي طالب، وكان الشافعيُّ بمكَّة، فأرسل إليه فاستدعاه، فلمَّا دخل عليه قال: بلغني كذا وكذا، فقال: يا أميرَ المؤمنين، واللهِ لأَن أكونَ مع قومٍ يظنُّون أني من أنفُسهم، أحبُّ إليَّ من أن أكونَ مع قومٍ يرون أني عبدٌ لهم.

فاستحسن كلامَه وولَّاه القضاءَ على اليمن، فلبث هناك مدَّة، ثم قدم مكَّة ومعه عشرةُ آلافِ دينار، فضرب خيمةً بذي طُوى خارجَ مكةَ ففرَّقها في فقراء الحرم، فقام ولم يبقَ معه دينارٌ ولا درهم [وسنذكر معنى قول الشافعيِّ: أحبُّ إليَّ من أن أكونَ مع قومٍ يرون أني عبدٌ لهم، في ترجمة الشافعي.

(١) في (خ): وقال الفضل بن الربيع، والمثبت من (ب)، والخبر في تاريخ دمشق ٦٠/٤٠٦ و٤٤٠ مطولاً من طريق ليس فيه ذكر الفضل.

مقام رجل من الأبدال:

حكى الفضلُ بن الربيع قال:][1] خرج خادمٌ من دار سليمانَ بنِ أبي جعفرٍ المنصورِ وبيده عودٌ ليدخلَ به دار هارونَ لجاريةٍ لسليمان، فمرَّ على شيخ يلقط النَّوى، فكسر العود، وتعلَّق به الخادم، وبلغ هارونَ فقال: اقتلوه، فقال له سليمان: أَلَا تسمع كلامه[2]؟ فقال: أَحضِروه، فدخل وفي يده كيسٌ فيه نوًى يلتقطه ويتقوَّت بثمنه[3]، فقال له هارون: ما حملك على ما صنعت؟ فقال: رأيتُ منكراً فغيَّرته، وأنت وآباؤك تقولون على المنابر: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ [النحل: ٩٠] الآية، وقد قال عليه السلام: «مَن رأى منكراً فليُزِلْه....»[4] الحديثَ، فهابه هارونُ ولم يكلِّمه، فقام الرجلُ وخرج، فقال هارون للخادم: الحقه بِبَدرة[5]، فلحقه بها، فقال: قل له يردُّها على من أخذها منه، ثم ولَّى وهو يقول: [من الوافر]

أرى الدُّنيا لمن هي في يديهِ ... بلاءً كلَّما كَثُرت لديهِ
تُهين المُكرِمين لها بصُغرٍ ... وتُكرم كلَّ مَن هانت عليه
إذا استغنيتَ عن شيءٍ فدعْهُ ... وخذ ما أنت محتاجٌ إليه[6]

ذِكر مقامات الشُّعراء بين يديه:

قال أحمد بن سيَّار الجُرْجاني: دخلت أنا وأبو محمَّد التيميُّ[7] وابن رَزين الخُزاعي[8] وأشجعُ بن عمرٍو السُّلَميّ[9] على الرشيد بالرقَّة وهو في القصر الأبيض، وقد ضرب أعناقَ قومٍ في تلك الساعة، فتخلَّلنا الدمَ حتى صرنا إليه، فأنشده أشجع:

---

(١) في (خ): وقال الفضل بن الربيع، والمثبت من (ب).
(٢) في إحياء علوم الدين ٢/ ٣١٦ أن هارون هو الذي تمهل بأمره وطلب مناظرته.
(٣) في (خ): به وبثمنه، والمثبت من (ب)، وانظر الإحياء.
(٤) أخرجه مسلم (٤٩) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ بلفظ: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ...» ولم نقف عليه بلفظ: فليزله.
(٥) البدرة: عشرة آلاف درهم. مختار الصحاح (بدر).
(٦) الأبيات لأبي العتاهية، وهي في ديوانه ص٤١٠-٤١١، ومن هنا إلى ص٢٠٤ ليس في (ب).
(٧) في (خ): التميمي، والمثبت من مجالس ثعلب ص٣٧٩، والأغاني ١٨/ ٢١٤.
(٨) كذا في (خ) ونسخة من الأغاني، وفي مطبوعه: الخراساني، وفي مجالس ثعلب: الحراني.
(٩) في (خ): الأسلمي. وهو خطأ.

قـصـرٌ عـلـيـه تـحـيـةٌ وسـلامُ نَـشَـرَت عـلـيـه رداءها الأيـامُ
قـصـرٌ سُـقـوفُ الـمُـزن دون سُـقـوفـه فـيـه لأعـلام الـهُـدى أعـلام
يُـثـنـي عـلـى أيَّـامـك الإسـلامُ والـشـاهـدان الـحِـلُّ والإحـرام

فلمَّا بلغ إلى قوله:

وعـلـى عـدوِّك يـا ابـنَ عـمِّ مـحـمَّـد رَصَـدان ضـوءُ الـصُّـبـحِ والإظـلامُ
فـإذا تـنـبَّـه رُعْـتَـهُ وإذا هـدا سـلَّـت عـلـيـه سـيـوفَـك الأحـلام

وكان هارونُ متّكئاً، فجلس وقال: أحسنت واللهِ، هكذا تُمدَح الملوك، وكان عنده سعيدُ بن سالم[1] الباهليُّ حاضراً، فأومأ إلى أشجعَ أن اقطع؛ لعلمه أنَّه لا يأتي بمثل هذين البيتَين، فلم يقطع وأنشد ما بعدهما، ففتر هارونُ وبَطَل طَرَبُه، وأومأ إلى النَّمَري فأنشده، فقال سعيد بنُ سالم: يا أميرَ المؤمنين، لو خَرِس بعدهما لَكان أشعرَ الناس، وأمر له بمئتي ألفِ درهم.

وقال أشجع: لمَّا فتح الرشيدُ هرقلةَ وذلك في عيد رمضان، أنشدتُه وقلت: [من البسيط]

لا زلـتَ تَـنْـشُـر أعـيـاداً وتَـطـويـهـا تـمـضـي بـهـا لـك أيـامٌ وتَـثـنـيـهـا
الـعـيـدُ والـعـيـد والأيـامُ بـيـنـهـمـا مـوصـولـةٌ لـك لا تَـفـنـى وتُـفـنـيـهـا[2]
ولْـيَـهْـنِـكَ الـفـتـحُ والأيـام مُـقْـبِـلَـةٌ إلـيـك بـالـنَّـصـر مَـعْـقـودٌ نَـواصـيـهـا
أمـسـتْ هِـرَقْـلَـةُ تَـهـوي مـن جـوانـبـهـا ونـاصـرُ اللهِ والأيـامِ[3] يـرمـيـهـا
مَـلَـكْـتَـهـا ومـلـكـتَ الـنـاكـبـيـن بـهـا[4] بـنـصـرِ مَـن مـلـك الـدنـيـا ومَـن فـيـهـا
مـا روعـي الـدِّيـن والـدُّنـيـا عـلـى قَـدَم[5] بـمـثـل هـارونَ راعـيـه وراعـيـهـا

---

(١) في (خ): سلمة. وسيأتي بعد قليل على الجادة.

(٢) في (خ): ولا تفنيها. وهو خطأ. والقصيدة في الأغاني ١٨/ ٢٤٦، وليس في مطبوعه هذا البيت، وهو في نسخة منه كما أشار محققه. وانظر الشعر والشعراء ٢/ ٨٨٤، وطبقات ابن المعتز ص٢٥٣، وديوان المعاني ص٩٢، والتذكرة الحمدونية ٤/ ١٤٠

(٣) في المصادر: والإسلام.

(٤) في الأغاني والتذكرة الحمدونية: ملكتها وقتلت الناكثين بها. وهو غير موجود في باقي المصادر.

(٥) كذا في الأغاني، وفي التذكرة الحمدونية: قدر. وفي ديوان المعاني: ما قارع الدين والدنيا عدوهما.

وكان أبو نُواس يَحْسُد أشجَع ويدَّعي أنَّه دَعيّ، وهو القائلُ فيه: [من الخفيف]

قل لمن يَدَّعي سُليماً سَفَاهاً لستَ منها ولا قُلامةَ ظُفْرِ
إنَّما أنت مُلْصَقٌ مثل واوٍ أُلصِقتْ في الهجاءِ ظُلماً بعَمروِ[1]

ومن شعر أشجع: [من المتقارب]

أتَصبِرُ يا قلبُ أم تَجزَعُ فإنَّ الديارَ غداً بَلْقَعُ
غداً يتفرَّق أهلُ الهوى ويصنع ذو الشَّوق ما يصنع
فها أنت تبكي وهم جِيرةٌ فكيف يكون إذا وَدَّعوا
أتطمَعُ في العيش بعد الفراقِ مُحالٌ لَعَمرُك ما تطمع
لَعَمْري لقد قلتَ يومَ الفراق فأسمعتَ صوتَك مَن يسمع
فما عرَّجوا حين ناديتَهم وقد قتلوك وما ودَّعوا
ألا إنَّ بالغَور لي حاجةً تؤرِّق عيني فما تَهْجَع
إذا الليلُ ألبَسَني ثوبَه تقلَّب فيهِ فتًى مُوجَع
لقد زادني طَرَباً بالعراقِ بوارقُ غوريَّةٌ تلمع
إلى جعفرٍ بلغت هِمَّتي فأيُّ فتًى نحوه تَنْزعُ
وما لامرئٍ دونه مَطلَبٌ وما لامرئٍ دونه مَقْنَعُ
يريد الملوكُ مدى جعفرٍ وهم يَجمعون ولا يَجمع
وكيف ينالون غاياتِهِ وما يَصنعون كما يَصنع
وليس بأوسعِهِم في الغنى ولكنَّ معروفَه أوسع
يَلوذُ الملوكُ بأبوابه إذا نابَها الحَدَثُ المُفْظِعُ
إذا همَّ بالأمر لم يَثْنِهِ هُجوعٌ[2] ولا شادِنٌ أفرع

---

(١) في الديوان ص٣٣٥:

إنما أنت من سليم كواو ألحقت ...

(٢) في (خ): هجون، والمثبت من الأوراق ٨٣ (أخبار الشعراء المحدثين)، وتاريخ دمشق ٣/ ٣١ (مخطوط دار البشير)، ومختصره ٤/ ٤٠٥، والشعر والشعراء ٢/ ٨٨٣. والقصيدة طويلة ذكر بعضها ابن قتيبة في الشعر والشعراء، والأصبهاني في الأغاني ١٨/ ٢٢٤-٢٢٥، والبغدادي في الخزانة ١/ ٢٩٦-٢٩٧.

وللجود في كفِّه مَطْلَبٌ ... وللسِّرِّ في صدره مَوْضِع
كأنَّ أبا الفضلِ بدرُ الدُّجى ... لعَشْرٍ خلَتْ بعدها أربَعُ

من أبيات.

ومنهم **منصور بنُ سلمة** [بنِ][1] الزِّبْرِقان النَّمَري.

قدم بغدادَ ومدح هارون، فلم يمدح من الخلفاء غيرَه، فمن مدحه له: [من البسيط]

أيُّ امرئٍ بات من هارونَ في سَخَطٍ ... فليس بالصَّلوات الخمسِ يَنتفعُ
إنَّ المكارم والمعروفَ أوديةٌ ... أحلَّك اللهُ منها حيث تجتمع
إذا رَفعتَ امرأً فاللهُ يرفعه ... ومَن وَضعتَ من الأقوام يَتَّضِع
نفسي فداؤك والأبطالُ مُعْلِمةٌ ... يومَ الوغى والمنايا بينهمْ شُرَع[2]

من أبيات.

وقد أجاز العتَّابيُّ هذه الأبياتَ بأبياتٍ يمدح فيها هارون، منها:

إنْ أَخلف الغيثُ لم تُخلِف مخائلُه ... أو ضاق أمر ذكرناهُ فيَتَّسعُ

ثم التقى النَّمريُّ العتابيَّ وهو قَلِق، فقال: ما الذي بك؟ فقال: تركتُ امرأتي تُطْلَق وقد تعسَّرت الولادةُ عليها، فقال له: أخطأتَ الطريق، قال: وكيف؟ قال: اكتب على فَرْجها: هارون، وقد وضعت، ألست القائلَ:

أو ضاق أمرٌ ذكرناه فيتَّسع؟

وبلغ هارون، فأَمر بقتله، فمات قبل ذلك[3].

ومنهم: مسلمُ بن الوليد، أبو الوليد الأنصاريّ، مولى سعدِ بن عبادة.

أوَّل ما لقي هارونَ أنشده: [من الطويل]

أديرا عليَّ الكأسَ لا تشربا قبلي ... ولا تطلُبا من عند قاتلتي ذَحْلي[4]

---

(١) ما بين حاصرتين من الأغاني ١٣/ ١٤٠، وتاريخ بغداد ١٥/ ٧٣.
(٢) في الأغاني ١٣/ ١٤٧، وتاريخ بغداد ١٥/ ٧٦: قرع.
(٣) القصة في الأغاني ١٣/ ١٤٨، وتاريخ بغداد ١٥/ ٧٧ أطول مما هنا.
(٤) الذحل: طلب الدم. شرح ديوان صريع الغواني ص٣٣.

فما حَزَني أنّي[(١)] أموت صَبابَةً ... ولكن على مَن لا يحلُّ له قتلي
فَدَيتُ التي صدَّت وقالت لتِرْبها ... دعيه الثُّريَّا منه أقربُ من وَصْلي

إلى أن قال:

هل العيشُ إلَّا أن تَروحَ مع الصِّبا ... وتغدو صَريعَ الكأسِ والأعيُن النُّجْلِ

فاستحسنها هارونُ وأعطاه لكلِّ بيت ألفَ دينار، وقال: أنت صَريعُ الغَواني.

وقد عارض صاحبُ «العِقد»[(٢)] هذه الأبياتَ فقال:

أتقتُلُني ظُلماً وتَجْحَدني قتلي ... وقد قام من عينيك لي شاهدا عَدْلِ
أغارَ على قلبي فلمَّا أتيتُه ... أُطالبُه فيه أغارَ على عقلي
بنفسي التي ضنَّت بردِّ سَلامها ... ولو سألتْ روحي أَبَحْتُ لها قَتْلي
إذا جئتُها صَدَّت حَياءً بوَجْهها ... وتَهْجُرني هَجْراً ألذَّ من الوَصْل
وإن حَكَمَتْ جارت عليَّ بحُكْمها ... ولكنَّ ذاك الجَورَ أحلى[(٣)] من العَدْل
كتمتُ الهوى جُهدي فأظهره الأسى ... بماء البُكا هذا يَخُطُّ وذا يُملي
وأحببتُ فيها العَذْلَ حبًّا لذِكرها ... فلا شيءَ أشهى في فؤادي من العَذْلِ
أقول لقلبي كلَّما ضامَه الهوى ... إذا ما أبيتَ العزَّ فاصبر على الذُّلِّ
وجدتُ الهوى نَصْلاً من الموت مُغْمَدَاً ... فجرَّدتُه ثم اتّكأتُ على النَّصل
فإن كنتُ مقتولاً على غير ريبةٍ ... فإنِّي الذي عَرَّضتُ نفسي إلى القتل[(٤)]

وقال أبو بكرٍ محمَّد بن الأنباري: ثلاثةُ أبياتٍ لصَريع الغَواني أَحسنَ فيها وزاد، وهي أمدحُ بيت، وأهجى بيت، وأرثَى بيت، فالمدح: [من البسيط]

يجود بالنفْس إذ ضَنَّ البخيلُ بها ... والجودُ بالنفس أقصى غايةِ الجودِ

والهجاء: [من الكامل]

قَبُحَت مَناظرُه فحين خَبَرتُه ... حَسُنت مَناظِرُه لقُبْحِ المَخْبَرِ

(١) في (خ): أن، ولا يستقيم بها الوزن.
(٢) ٥/ ٣٩٨.
(٣) في العقد الفريد: أشهى.
(٤) في العقد الفريد: فأنت التي عرضت نفسي للقتل.

والرِّثاء: [من الطويل]

أرادوا[١] ليُخفوا قبرَه عن عدوِّه ... فطِيبُ ترابِ القبر دلَّ على القبرِ

أوَّل ما بدأ الشَّيب بالمأمون كان يتمثَّل بقول صريعِ الغواني، وهو قولُه: [من البسيط]

نام العواذلُ واستَكفَيْنَ لائمتي ... وقد كَفاهنَّ نهضُ البيض في السُّودِ

أمَّا الشبابُ فمَفْقودٌ له خَلَفٌ ... والشَّيبُ يذهب موجوداً بمفقود[٢]

وقال الفضل بنُ الربيع: دخل على الرشيد أعرابيٌّ والأمين عن يمينه والمأمونُ عن يساره، فأنشده شعراً حَسَناً، فكأنَّه أنكره أن يكونَ نظمَه، فقال: هذان ولداي، فأَنشدَ فيهما بديهةً البيتين: [من الطويل]

بنيتَ بعبد الله بعد محمَّد ... ذُرى قُبَّة الإسلامِ فاخضرَّ عودُها

هما طُنُباها بارك اللهُ فيهما ... وأنت أميرَ المؤمنين عمودُها

فقال له: احتكم، فقال: الهُنَيدة[٣]، قال: هي لك، وزاده مئةَ ألفِ درهم.

وقال أبو محمَّد اليزيدي[٤]: دخلتُ على الرشيد، وإذا به ينظر في ورقةٍ فيها مكتوبٌ بالذهب، فلمَّا رآني تبسَّم، فقلت: أصلح اللهُ أميرَ المؤمنين، فائدة؟ قال: نعم، وجدت هذين البيتين في بعض خزائنِ بني أمية، فاستحسنتهما، وأضفتُ إليهما بيتاً ثالثاً، وأنشدني يقول: [من الطويل]

إذا سُدَّ بابٌ عنك من دون حاجةٍ ... فدعْهُ[٥] لأخرى ينفتحْ لك بابُها

فإنَّ قُرابَ البَطْن يكفيك مَلؤه ... ويكفيك سَوءاتِ الأمور اجتنابُها

فلا تكُ مِبذالاً لعِرضك واجتنبْ ... ركوبَ المعاصي يجتنبْك عقابها[٦]

---

(١) في (خ): أراد، والمثبت من الديوان ص٣٢٠، والبيتان الآخران في ص٣٢١، ١٦٤.

(٢) في الديوان ص٣١١: مفقوداً بمفقود.

(٣) الهنيدة: اسم للمئة من الإبل. القاموس المحيط (هند). والقصة في طبقات الشعراء لابن المعتز ص١٤٩، وتاريخ الطبري ٨/ ٣٦٣، والعقد الفريد ١/ ٣١٠. وقد سماه ابن المعتز أبا الغول.

(٤) كذا في بهجة المجالس ٣/ ٣١٠، وفي مختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ٢٥: الزيدي.

(٥) في (خ): فدع. وهو خطأ.

(٦) اضطربت المصادر في نسبة البيتين الأولين، انظر إضافة إلى المرجعين السابقين كتاب الحيوان١/ ٣٨٢-٣٨٣، وعيون الأخبار ٢/ ١٨٣-١٨٤، وحماسة البحتري ص٣٧٥.

ومدحه داود بنُ رَزين فقال: [من الطويل]

بهارونَ لاح البدرُ في كلِّ بلدة ... وقام به في عَدْل سيرته النَّهْجُ
إمامٌ بذات اللهِ أصبح شُغْلُه ... وأكثرُ ما يُعنَى به الغزوُ والحجُّ
وإنَّ أميرَ المؤمنين بفضله[1] ... يُنيل الذي يرجوه أضعافَ ما يرجو

وغنِّي بين يدي أميرِ المؤمنين يوماً بهذا الشِّعر: [من الطويل]

ألا هل إلى شمِّ الخُزَامى[2] ونظرةٍ ... إلى قَرْقَرى[3] قبل المماتِ سبيلُ
ويا أَثَلاتِ[4] القاع من بَطْن تُوضِحٍ[5] ... حَنيني إلى أَطلالِكُنَّ طويل
ويا أثلات القاعِ قد ملَّ صُحبتي ... رفيقي[6] فهل في ظِلِّكنَّ مَقيل
أريد رجوعاً نحوكم فيصدُّني ... إذا رُمتُه دَينٌ عليَّ ثَقيلُ
أُحدِّث نفسي عندكمْ فيَصُدُّني ... غَرامٌ وحُزْنٌ في الفؤاد دَخيل[7]

فبكى هارونُ بكاء شديداً، وقال: لمن هذا الشِّعر؟ فقيل: ليحيى بنِ طالب[8] الحنفيِّ اليَماميِّ[9]، فقال: وأين هو؟ أحيٌّ أم ميِّت؟ فقال بعض الحاضرين: هو حيٌّ كميِّت، هرب من اليمامة لدَينٍ عليه إلى الرَّي، فهو فيها بأسوأ حال، فكتب الرشيدُ إلى عامل اليمامةِ بقضاء دَينه كائناً ما كان، وإلى عامل الرَّيِّ أن يدفعَ إليه عشرةَ آلاف درهمٍ، ويحملَه على البريد إلى اليمامة، فلمَّا عاد إلى اليمامة، قال هارون لجلسائه: قد

---

(١) في تاريخ الطبري ٨/ ٢٣٤، والمنتظم ٨/ ٣٢٥، والبداية والنهاية ١٣/ ٥٦٣: وإن أمين الله هارون بالندى.
(٢) الخزامى: نبت زهره أطيب الأزهار نفحة. القاموس المحيط (خزم).
(٣) أرض باليمامة. معجم البلدان.
(٤) جمع أثلة، وهو شجر.
(٥) من قرى قرقرى. معجم البلدان.
(٦) كذا في (خ)، وفي الأغاني ٢٤/ ١٣٥: وقوفي، وفي الأمالي ١/ ١٢٣، ومصارع العشاق ١/ ٢٩٤، ومعجم البلدان ٤/ ٣٢٧: مسيري، وفي الفرج بعد الشدة ٤/ ٢٦٩: صحابي، وفي الأزمنة والأمكنة ٢/ ٣٢٦: ثوائي.
(٧) روايته في المصادر:
أحدث عنك النفس أن لست راجعاً ... إليك فحزني في الفؤاد دخيل
(٨) في (خ): أبي طالب، والمثبت من المصادر.
(٩) في (خ): اليماني، والمثبت من المصادر.

قضينا دَينَ اليمامي، ووصلناه وأَعدناه إلى وطنه من غير سعيٍ منه في ذلك[(١)].

وقال صَدقة بنُ أبي صَدقة: دعانا الرشيدُ يوماً، فدخلنا، [فأشار] إلى [ابن][(٢)] جامعٍ وقال: غنِّ، فغنَّى: [من الكامل]

قِفْ بالمنازل ساعةً فتأمَّلِ ... هل بالدِّيار لرائدٍ من منزلِ

أم لا ففيمَ توقُّفي وتحيُّري ... وَسْطَ الدِّيار كأنَّني لم أعقل

ما بالدِّيار من البِلى ولقد أرى ... أنْ سوف يَحْمِلُني البِلى[(٣)] في مَحْمِلِ

وأحقُّ مَن يبكي بكلِّ محلَّةٍ ... عَرَضَت له في منزلٍ للمُعْول[(٤)]

عانٍ بكلِّ حمامةٍ سجعت له ... وغمامةٍ بَرَقت بنَوء الأعْزَلِ

يبكي فتفضحه الدُّموع وعينُه ... ما عاش دافقةٌ كفَيْض الجَدْوَل

فلم يطرب الرشيد، فقال خادم السِّتارة للمغنِّين: غنُّوه، فغنَّوه، فلم يطرب، فقال لي الخادم: غنِّ، فغنَّيته، فطرب.

ثم أمر بإدخالي عليه في السِّتارة، فأُدخلت عليه، وكلَّما غنَّيت طرب، ويقول: أحسنتَ يا صدقة، فلمَّا رأيت ما منحني اللهُ تعالى من استحسانه، قلت: يا أميرَ المؤمنين، لهذا الصوتِ خبرٌ عجيب، ألا أحدِّثك به؟ قال: بلى، فقال: كنت عبداً لآل الزُّبير، خيَّاطاً أخيط القميصَ بدرهمين والسَّراويلَ بدرهم، وكان لسيِّدي عليَّ كلَّ يومٍ درهمان، فكنت أؤدِّيهما وأخرج إلى العَقيق، إذا بجارية سوداءَ، على رقبتها جرَّةٌ تريد أن تملأَها من العقيق، وهي تغنِّي بهذا الصوتِ أحسنَ غناء، فأخذني من الطَّرب ما لا أقدر أن أصفَه، وقلت لها: جُعلتُ فِداك، ألقي عليَّ هذا الصوت، فقالت: وصاحبِ القبر لا أُلقيه إلَّا بدرهمين، قلت: هذان درهمان، ودفعتهما إليها، فحَدَرت الجرَّةَ عن كتفها ووضعتْها على الأرض، واندفعت تغنِّي وتوقع [على] الجرَّة حتى أخذته منها، وقامت وملأت الجرَّةَ وانصرفت.

---

(١) كذا في الفرج بعد الشدة، وفي سائر المصادر أنه توفي قبل قضاء دينه.

(٢) ما بين حاصرتين من الفرج بعد الشدة ٢/ ٣٩٧، والقصة فيه بسياقة أخرى.

(٣) في الفرج بعد الشدة: الهوى.

(٤) في (خ): للمعزل. والمعول: من يرفع صوته بالعويل والصياح.

فحين غابت أُنسيته كأن لم أكن أسمعه قطّ، فبقيت كئيباً حزيناً وعُدت إلى المدينة. فقال لي سيِّدي: هاتِ ضَريبتك، فتلَجْلَج لساني، فقلت: أَصدُقُك الحديث، كان من خبري كذا وكذا، فبَطَحني وضربني مئةَ مِقرَعة، وحلق رأسي ولحيتي، ومنعني القُوت، ولم يكن ذلك عليَّ أشدَّ من ذهاب الصوتِ عني، فلمَّا أصبحتُ خرجتُ في طَلَبها، وإذا بها قد أَقبلت، فلمَّا رأت ما بي من الوَلَه قالت: مالك، أنسيتَ الصوت؟ قلت: نعم وضُربت مئةَ مقرعة، وحُلق رأسي ولحيتي، ومُنعت القوت. فقالت: دعْ عنك هذا، فواللهِ لا سمَّعتُه لك إلَّا بدرهمين، فرَهَنْتُ مِقَصِّي على درهمين ودفعتهما إليها، فأَخَذَتهما ووضعتهما في فيها واندفعت تغنِّي، فذكرتُه، فقلت: قد ذكرتُه رُدِّي عليَّ الدِّرهمين، فقالت: أيْ أحمق، واللهِ لئن لم أُعِدْه عليك مئةَ مرة لا حفظتَه أبداً، فردَّدته عليَّ مئة مرة، فحفظتُه وأتيت إلى دار سيِّدي، فقال: هاتِ الضَّريبة، فتوقَّفت، فقال: ما كفاك ما جرى عليك أمس، فاندفعت أغنِّي بالصوت، فقال: ويحك وأنت تُحسن مثلَ هذا، قد أسقطتُ عنك ضريبتَك، ورددتُ عليك قوتَك، وأَحسنَ إليّ.

فعجب هارونُ من ذلك، وأطلق للمغنِّين لكلٍّ واحد ألفَ دينار، وكان فيهم إبراهيمُ وابنه إسحاقُ المَوْصِليّ وإسماعيلُ بن جامع وسليمانُ بن سلام[١]، وأعطاني ألفي دينار، وقال: ألفٌ واسيتك بها، والألفُ الأخرى لضربك مئةَ مقرعة، لكلٍّ مقرعة عشرةُ دنانير.

جفا الرشيدُ العَتَّابيَّ، فكتب إليه: [من الطويل]

أَخِضْني المقامَ الغَمْرَ إن كان غرَّني ... سَنا خُلَّبٍ أو زَلَّتِ القَدَمانِ
أَتَتْرُكُني جَدْبَ المَعيشَةِ مُقْفِراً[٢] ... وكفَّاك من ماء النَّدى تَكِفَانِ
وتَجْعَلُني سَهْمَ المَطامعِ بعدما ... بَلَلْتُ يديَّ بالنَّدى وبَناني

فرضي عنه.

ودخل ابنُ أبي حَفْص الشِّطْرنجي ـ و اسمهُ عمر بن عبدِ العزيز[٣] -على هارون

(١) في الفرج بعد الشدة: مسلم بن سلام.
(٢) في الأغاني ١٣/ ١١٣، والفرج بعد الشدة ١/ ٣٨١: مقتراً.
(٣) هو اسم أبيه أبي حفص. انظر الأغاني ٢٢/ ٤٤ .

وعنده جماعةٌ من الشعراء، فقال: مَن أتى ببيتٍ في خاطري فله عشرةُ آلاف درهم، فقال ابنُ أبي حفصٍ: [من الخفيف]

مَـجْـلِـسٌ يـألَـفُ الـمَـسَـرَّة والـشَّـو ... قَ مُـحِـبٌّ رَيْـحـانُـه ذِكْـراكِ[1]

فقال: أحسنتَ والله، يا فضلُ أعطه عشرةَ آلاف درهم، فقال ابنُ أبي حفص: قد حضر بيتٌ آخَر، قال: قل، فقلت:

كـلَّـمـا دارت الـزُّجـاجـة زادَتْـ ... ـه حَـنـيـنـاً ولَـوْعَـةً فـبَـكـاكِ

فقال: أحسنتَ والله، يا فضلُ أعطِه عشرة آلافِ درهمٍ أخرى، فقال ابنُ أبي حفص: قد حضر بيتٌ آخر، فقال له: قل، فقلت:

لـم يَـنَـلْـكِ الـمُـنى بـأنْ تَـحْـضُـريـني ... وتَـجـافَـتْ أُمـنـيَّـتـي عـن سـواكِ

فقال: أَعطِه عشرةَ آلاف أخرى، ثم قال هارون: قد حضر بيتٌ رابع، فأنشد:

فـتـمـنَّـيـتُ أن يُـغـشِّـيَـنـي اللهُ نـعـاسـاً لـعـلَّ عَـيـنـي تـراكِ

فقال ابنُ أبي حفص: يا أميرَ المؤمنين، أنت واللهِ أشعرُ مني، فخذ الجائزة، فقال: خذ جائزتك.

وغنَّى بين يدي الرشيدِ إسحاقُ بن إبراهيمَ الموصليُّ وهو يقول[2]: [من الطويل]

ألـم تـرَ أنَّ الـشَّـمـسَ كـانـت مَـريـضـةً ... فـلـمَّـا أتـى هـارونُ أشـرق نُـورُهـا

تـلـبَّـسـت الـدنـيـا جَـمـالاً بـمُـلْـكـه ... فـهـارونُ والـيـهـا ويـحـيـى وزيـرهـا

فأعطاه مئة ألف درهم، وأعطاه يحيى بنُ خالدٍ خمسين ألفَ درهم.

وقال الأصمعيّ: قال الرشيدُ لإسحاق: أنشِدني من شعرك، فأنشده: [من الطويل]

وآمِرَةٍ بـالـبُـخـل قـلـت لـهـا اقـصُـري ... فـذلـك شـيءٌ مـا إلـيـه سـبـيـلُ

أرى الـنـاسَ خُـلَّانَ الـجَـوَاد ولا أرى ... بـخـيـلاً لـه فـي الـعـالَـمـين خـلـيـل

---

(١) روايته في تاريخ بغداد ١٦/ ١٤، ومختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ٣٢: السرور إليه لمحب ريحانه ذكراك
ولم يذكر البيت صاحب الأغاني.

(٢) في الأغاني ٥/ ٢٤٢ أن المغني والقائل هو إبراهيم الموصلي. ونسب البيتين له أيضاً الطبري ٨/ ٢٣٣، وابن الأثير ٦/ ١٠٨. وتردد ابن خلكان في وفيات الأعيان ٦/ ٢٢١ في نسبتهما له أو لابنه إسحاق.

عطائي عطاءُ المكثِرين تجمُّلاً ... ومالِيْ كما قد تعلمين قليل
وكيف أخاف الفقرَ أو أُحرَمُ الغنى ... ورأيُ أميرِ المؤمنين جميل[(١)]

فطرب الرشيدُ وقال له: لله درُّ هذه الأبياتِ ما أحسنَ أصولَها، وأوقعَ نصولَها، وأجوَد فصولَها، وأقلَّ فضولها. وأمر له بعشرين ألفِ درهم، فقال له: يا أميرَ المؤمنين، كلامُك واللهِ أحسنُ من شعري. فأمر له بمئة ألفِ درهم، قال الأصمعي: فعلمت أنَّه أَصيدُ لدراهمهم مني.

ودخل على الرشيد العباسُ بن الأَحْنَف، فقال له: أَنشدني أرقَّ بيتٍ قالت العرب، فقال: قد أكثر الناسُ في بيت جَميلٍ حيث قال: [من الطويل]

أَلَا ليتني أعمى أصمُّ تَقودُني ... بُثينةُ لا يَخفى عليَّ كلامُها[(٢)]

فقال له هارون: أنت والله أرقُّ حيث تقول: [من البسيط]

[طاف الهوى في عباد اللهِ كلِّهم ... حتى إذا مرَّ بي من بينهمْ وَقَفا

قال العباس: أنت يا أميرَ المؤمنين أرقُّ قولاً منِّي ومنه حيث تقول]: [من الوافر]

أما يَكفيكِ أنك تَملكيني ... وأنَّ الناس كلَّهمُ عَبيدي
وأنَّكِ لو قطعتِ يدي ورجلي ... لَقلتُ من الهوى أحسنتِ زيدي

فأمر له بمئة ألفِ درهم[(٣)].

وكانت عِنانُ جاريةُ النَّاطِفيِّ أديبةً شاعرة حاذقة ظريفة، عارفةً بأصوات الغناء، استعرضها الرشيدُ ثم لها عن شرائها، ثم جلس ليلةً معنا، فغنَّاه بعضُ مَن حضر أبياتَ جرير: [من الكامل]

إنَّ الذين غَدَوا بلُبِّك غادروا ... وَشَلاً بعينِكَ لا يزال مَعينا
غيَّضن[(٤)] من عَبَراتهنَّ وقلْنَ لي ... ماذا لقيتَ من الهوى ولَقِينا

(١) الأغاني ٥/ ٣٢٢، وتاريخ بغداد ١٦/ ٥، ومختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ٢٧.

(٢) ديوانه ص١٩٦.

(٣) في تاريخ بغداد ١٦/ ١٧، ومختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ٢٩: فأعجب بقوله وضحك، وليس فيهما: فأمر له... وما بين حاصرتين منهما.

(٤) في (خ): قبضن، والمثبت من الديوان ١/ ٣٨٦، والعقد الفريد ٦/ ٣٤. والوشل: الماء السائل شيئاً بعد شيء، والمعين: الظاهر. قاله شارح الديوان.

فطرب وقال: أيُّكم يُجيزه بمثله وله عشرةُ آلاف درهم؟ فما أَجازه أحد، وكان على رأسه خادمٌ واقف، فدخل على عنانَ فأخبرها، فقالت في الحال:

هيَّجتَ بالقول الذي قد قلتَه ... داءً بقلبي لا يزال دَفينا
قد أينَعتْ ثَمرَاتُه وتضاعفَتْ ... وسُقينَ من ماء الهوى فرَوينا
كذَبَ الذين تقوَّلوا يا سيِّدي ... إنَّ القلوبَ إذا هَوِينَ هوينا

فقال: قد أجازه شخص، وأَنشده الأبيات، فقال: وَيْحَك لمن هذا؟ قال: لعِنان، فبعث فاشتراها في الحال بمئة ألفِ درهم[1].

وكان الرشيدُ قد هجر عنان، فكتبت إليه تقول: [من الخفيف]

كنتُ في ظلِّ نعمةٍ بهواكا ... آمِناً منك ما أخاف جَفاكا
فسعى بيننا الوُشاةُ فأقْرَرْ ... تَ عيون الوشاةِ بي فهَناكا
ولَعَمري بغير ما كان أولى ... بك في الحقِّ ما جُعلتُ فداكا

فرضي عنها.

ومن شِعر الرشيد: [من السريع]

ملكتُ مَن أصبح لي مالكاً ... لكنَّه في مُلْكه ظالمُ
لو شئت لاجتاحَتْه[2] لي قُدرةٌ ... لكنَّ حكمَ الحبِّ لي لازم
أحببتُه من بين هذا الورى ... وهو بحبِّي عارفٌ عالم

ودخل أبو العَتاهِية على الرشيد، فقال له: يا أبا العتاهية، أنشِدني، فأنشده: [من البسيط]

لا تأمَنِ الموتَ في طرفٍ وفي نَفَسِ ... ولو تستَّرتَ[3] بالحجَّاب والحَرَسِ
واعلمْ بأنَّ سهام الموت قاصِدَةٌ ... لكلِّ مُدَّرِع منَّا و مُتَّرِس
ترجو النجاةَ ولم تَسْلُكْ مسالكَها ... إنَّ السفينة لا تجري على اليَبَس

---

(١) في العقد الفريد ٦/ ٥٨: فاشتراها منه بثلاثين ألفاً.
(٢) الديارات للشابشتي ص٢٢٦: لاستاقته. وهي أنسب في المعنى.
(٣) في الديوان ص١٩٤: تمنعت.

فبكى هارونُ وأدخل رأسَه في قميصه.

ودخل عليه يوماً فأنشده: [من البسيط]

أفـنـيـتَ عُـمْـرك إدبـاراً وإقـبـالاً   تَبغي البَنين وتبغي الأهلَ والمالا
لِلموت أنت فكن ما عشتَ مُلْتَمِساً   من حيلةٍ يا أخي إنْ كنت محتالا[1]
ولستَ حقًّا بهَوْل الموتِ مُنْقَلباً   حتى تُعايِنَ بعد الموتِ أهوالا

[وقد ذكر له الطبري صاحب التاريخ حكايات وواقعات، منها ما حكاه[2] أن العباس بن محمد أهدى له غالية وكان عنده ابن أبي مريم الذي قال له لما قرأ الرشيد: ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ [يس: ٢٢] فقال ابن مريم: ما أدري والله! وكان خَصيصاً به، فلما قدّم العباس بن محمد الغالية ـ وكانت في بَرْنِيَّة من فضَّة ـ فقال ابن أبي مريم: يا أمير المؤمنين هَبْها لي، فقال: خذها، فاغتاظ العباس وقال: ويلك، عَمَدتَ إلى شيء منعتُه نفسي، وخَصَصْتُ به أمير المؤمنين فأخذتَه؟! فقال ابن أبي مريم: أمُّه فاعلة إن دَهَن به إلا استَه، ثم وثب فألقى قميصه على رأسه، وأدخل يده في البَرْنيَّة، وجعل يُخرج منها ويطلي استَه وأرفاغه ومثانته ويُسوِّد بها وجهه، والرشيد يضحك، ثم قال لغلامه: اذهب بهذه البرنية إلى فلانة امرأته، وقل لها: ادهني بها حِرَك إلى أن آتي فأفعل وأصنع، وذكر النون. ثم ذكر في آخر هذه الحكاية أن الرشيد وصل ابن أبي مريم بمئة ألف درهم.

ومنها ما حكاه ابن أبي مريم هذا قال: أراد الرشيد أن يشرب دواء فقلتُ: هل لك أن تجعلني غداً حاجبك وكل شيء أكسبه بيني وبينك؟ قال: نعم. فأرسل هارون إلى الحاجب: الزم غداً منزلك فإني وَلَّيتُ حجابتي اليوم ابن أبي مريم، وشرب الدواء، وجلس ابن أبي مريم على الباب، وجاء رسول أم جعفر ورسول يحيى بن خالد ورسول جعفر والفضل بن يحيى، فأخبرهم أن هارون ولّاه حاجباً، فأرسلوا إليه بأموال وصِلات بلغت ستين ألف دينار، فلما فرغ الرشيد من شرب الدواء استدعاه وقال: ما

---

(١) روايته في الديوان ص٣٠٢:

للموت غول فكن ما عشت ملتمساً   من غوله حيلة إن كنت محتالاً

(٢) في تاريخه ٨/ ٣٤٩ـ٣٥٠.

صنعتَ في يومك؟ [قال: يا سيدي] حصل لي ستون ألف دينار، فقال: وأين حاصلي؟ قال: مَعْزول، قال: قد سَّوغناك الجميع[١].

ومنها أن الرشيد] مرض مرضاً شديداً، فعالجه الأطبَّاء، فلم يُفِق من علَّته، فوُصف له رجلٌ بالهند يقال له: مَنْكه، وكان من أحذق الأطبَّاء، مع دينٍ وعبادة وفلسفة، فبعث الرشيدُ من جاء به إليه، فعالجه فبرئ، فأقام عنده مدَّة، وأجرى عليه رزقاً واسعاً وأموالاً كثيرة، فخرج يمشي يوماً في بغداد، وإذا برجلٍ قد بسط كساءه على الأرض وألقى عليه عقاقيرَ كثيرة، وقام يصف دواءً عنده مَعْجوناً ويقول: هذا دواءٌ للحمَّى الدائمة والرِّبْع والغِبِّ والمُثَلَّثة[٢]، ولوَجَع الظَّهر والرُّكَب والمفاصل، والبواسير، ووجعِ العينين والبطن، والصُّداع، وقطرِ البول، والفالج، والارتعاش.

فلم يدعْ علَّة في البدن إلَّا ذكر أنَّ في ذلك الدواءِ شفاءً منها، فقال مَنكَه لتَرجُمانه: ما يقول هذا؟ فترجم له ما سمع، فتبسَّم مَنْكَه وقال: على [كلٍّ][٣] حال ملكُ العرب جاهل؛ وذاك لأنَّه إن كان الأمرُ على ما قال هذا، فلمَ حَمَلني من بلادي، وقطعني عن أهلي، وتكلَّف لي مؤنةً، وهو يجد هذا نُصبَ عينيه؟! فإنْ كان الأمرُ بخلاف هذا، فلمَ لا يقتله؟! لأنَّ الشريعة قد أباحت دمه ودمَ مَن أشبهه، لأنَّه إذا قتله، فإنَّما هي نفسٌ يحيا بقتلها خلقٌ كثير، فإنَّه إن تُرك بهذا الجهل قتل كلَّ يومٍ نفساً أو اثنين أو ثلاثةً أو أربعة، وهذا فسادٌ في التدبير ووَهْنٌ في المملكة.

وسأل الرشيدُ عبدَ الله بن مصعبٍ الزُّبيريَّ[٤] عن الذين طعنوا على عثمانَ رضوان الله عليه، فقال له: طعن عليه ناسٌ وكان معه ناس، فأمَّا الذين طعنوا عليه فتفرَّقوا، فمنهم أنواعُ الشِّيع والخوارج، وأما الذين كانوا معه، فأهلُ الجماعةِ إلى اليوم، فقال له: ما أحتاج أن أسألَ عنها أحداً بعدك. وسأله عن منزلة أبي بكرٍ وعمرَ رضوانُ الله عليهما كيف كانت من رسول اللهِ ﷺ، فقال: كانت منزلتُهما في حياته مثلَ منزلتهما في مماته[٥].

---

(١) تاريخ الطبري ٨/ ٣٥٠-٣٥١ وما بين حاصرتين منه، والقصة الآتية فيه ٣٥٢.

(٢) الحمى الربع: أن يُحَمَّ يوماً ويُترَكَ يومين لا يحم ويحم في اليوم الرابع. الغب: أن تأخذ يوماً وتدع آخر. والمثلثة: التي تقلع يومين وتعود في الثالث. لسان العرب (ربع) (غبب) ومعجم متن اللغة (ثلث).

(٣) ما بين حاصرتين من (ب)، والخبر في تاريخ الطبري ٨/ ٣٥٢.

(٤) في (خ): اليزيدي، والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ٣٥٣.

(٥) فقال: كفيتني ما أحتاج إليه. كذا في تاريخ الطبري.

وقال العباسُ بن الحسن بنِ عبد الله بن العبَّاس بن [عليِّ بن] أبي طالب: قال لي الرشيد: أراكَ تُكثر من ذِكر يَنْبُع، فصِفْها لي وأَوجِزْ، فقلت: [بكلامٍ أو بشعر؟ فقال:][1] بكلامٍ وبشعر، فقلت: جِدَتُها[2] في أصل عِذْقِها، وعِذْقُها مُسَرَّح بانِها[3]، فتبسَّم، فقلت: [من البسيط]

ياواديَ القصرِنِعْمَ[القصر][4] والوادي في منزل حاضرٍ إن شئتَ أو بادي
تُرفَى[5] قَراقيرُه[6] والعِيْسُ واقِفَةٌ والضَّبُّ والنُّون والملَّاح والحادي

[حديث الرجل الذي ادَّعى النبوة:

حكى محمَّد بنُ غياث قال:][7] رأيت بالرقَّة رجلاً يدَّعي النبوَّة، فأُحضر إلى هارون، فقال له: أنت نبيّ؟ قال: نعم، فقال الفضل بنُ الربيع: ما علامة نُبوَّتك؟ قال: أنَّك ولد زِنى، فضربه الفضلُ بقائم سيفِه فشجَّه، فرفع رأسَه إلى السماء وقال: ما فعلتَ معي خيراً حيث أرسلتَني إلى أولاد الزِّنى. فضحك هارونُ واستتابه وأَطلقه.

[حكايةٌ ذكرها القاضي التنوخيُّ في كتاب «الفرج بعد الشدَّة»[8]

وقال: أمر هارونُ بعضَ خَدَمه وقال: إذا كان الليل فصِر إلى الحُجْرَة الفلانية، فافتحها وخذ مَن فيها فأتِ به موضعَ كذا وكذا من الصحراء، فإنَّ ثَمَّ قَليباً مَحفوراً،

---

(١) ما بين حاصرتين من تاريخ الطبري ٣٥٦/ ٣٥٧، وهذا الخبر والذي قبله ليس في (ب).

(٢) في (خ): حوتها. والمثبت من تاريخ الطبري.

(٣) في تاريخ الطبري: شأنها. والبان ضرب من الشجر.

(٤) ما بين حاصرتين من المصادر.

(٥) رفأ السفينة: أدناها من الشط. القاموس المحيط (رفأ).

(٦) في (خ): جواريه، والمثبت من تاريخ الطبري، والأغاني ٢٠/ ٩١، وديوان المعاني ٢/ ١٣٨، ومعجم البلدان (قصر عيسى)، والقراقير: السفن الطويلة، وفي كتاب الحيوان ٦/ ٩٩: ترى به السفن كالظلمان واقفة، وفي عيون الأخبار ١/ ٢١٧: ترفا به السفن والظلمان واقفة، وفي الأزمنة والأمكنة ٢/ ٣٧٤: يرقى بها السفن والظمآن واقفة. والظُّلمان: جمع ظليم، وهو الذكر من النعام. واختلفت المصادر في نسبة البيتين بين الخليل بن أحمد وأبي المنهال بن أبي عيينة.

(٧) في (خ): وقال محمد بن عتاب، والمثبت من (ب).

(٨) ١/ ٢٧٠ . وهذه الحكاية والتي بعدها ليستا في (خ).

فارمِ به فيه وطُمَّه بالتراب، وليكن معك فلانٌ الحاجب، فجاء الخادمُ ففتح الحُجرة، وإذا فيها غلامٌ كأنه الشمسُ الطالعة، فجذَبَه جَذْباً عَنيفاً، فقال له: اتَّقِ اللهَ في دمي؛ فإني ابنُ رسولِ الله ﷺ، فاللهَ اللهَ أن تلقى الله بدمي. فلم يلتفت إليه، فأخرجه إلى الصَّحراء ومعه الحاجب، وجاء به إلى القَليب المحفور، فلمَّا أيقن الغلامُ بالتلف قال: دعْني أصلِّ ركعتين، قال: صلِّ، فصلَّى ومجَّد وقال: يا خفيَّ اللُّطف، أَغثني في وقتي هذا والْطُف بي بلُطفك الخَفيّ.

قال الخادم: فو اللهِ ما استتمَّ حتى هبَّت ريحٌ عاصف أَلقتنا على وجوهنا، وكدنا نَتْلَف، واشتَغَلْنا بحالنا عن الغلام، ثم سكنت الريحُ وظهرت الكواكب، وطلبنا الغلامَ فلم نجده، ورأينا قيودَه مُلْقاة، فقال الحاجب: هلكنا، سيقع له أنَّا أطلقناه، وإنْ حَلَفنا له لم يصدِّقنا، ولكنَّ الصدقَ أَنجى، فجاء الخادمُ والحاجب فدخلا على هارون، فقال: فعلتما ما أمرتكما؟ فحدَّثاه الحديث، فقال: لقد تداركه اللُّطفُ الخَفيّ، لأَجعلنَّها في مُقدِّمات دعائي.

حديث الحكماء:

قال إسحاقُ المَوْصِليّ: اجتمع عند هارونَ أربعةٌ من الحكماء: عراقي، ورومي، وهندي، ويوناني. فقال لهم: ما الدواءُ الذي لا داءَ معه؟ فقال العراقي: حَبُّ الرَّشاد الأشقر، وقال الرومي: الماء الحارّ، وقال الهندي: الإهلِيلَج[1] الأسود. فقال اليوناني -وكان أطبَّهم-: حَبُّ الرشاد يولِّد الرطوبَة في المَعدة، والماء الحارُّ يُرخيها، والإِهلِيلَج الأسود يُرِقُّها، ولكن الدواءَ الذي لا داء معه أن تقعدَ على الطعام وأنت تشتهيه].

ذِكر وفاة الرشيد:

[واختلفوا فيها][2] فقال الفضلُ بن الربيع: نَغِلَ[3] جسمُه من النِّقابات[4] التي كانت

(١) في (ب): الهليلج. وتقدم في الصفحة ١٥٣.

(٢) ما بين حاصرتين من (ب).

(٣) أي: فسد. مختار الصحاح (نغل).

(٤) النَّقْب: قرحة تخرج في الجنب، والجَرَب، أو القطع المتفرقة منه. القاموس المحيط (نقب).

فيه، فتقطَّع ومات.

وقال الأصمعيّ: كان حارَّ المِزاج، وكان يُكثر الحركةَ في الصيف، ويُكثر من الجِماع، فنحَل جسمُه وتَلِفَ.

وقال ابن بَخْتيشوع: كنت مع الرشيد بالرقَّة، وكنت أوَّل مَن يدخل عليه في كلِّ غَداة، فأتعرَّف حاله في ليلته، فإن كان أنكر شيئاً وَصَفَه، ويحدِّثني بحديث جواريه وما كان في ليلته، فدخلتُ عليه ذات يوم فسلَّمت عليه، فلم يكد يرفع طرفَه، ورأيته عابساً مفكِّراً مَهموماً، فوقفت بين يديه مليّاً من النَّهار وهو على تلك الحال، فلمَّا طال عليَّ [أقدمتُ عليه و][1] قلت: يا سيِّدي، جعلني اللهُ فداك، أَخبِرْني بحالك، فإن كانت علَّةً فلعل يكون عندي دواؤها، أو من حادثٍ في بعض مَن تُحبّ، فذلك لا مَدْفَعَ له إلا بالرِّضا والتَّسليم، وإن كان من فَتْقٍ وَرَد عليك في مُلكك، فلم تَخْلُ الملوكُ من هذا، فقال: وَيْحك يا جبريل، ليس غمِّي من شيءٍ مما ذكرت، ولكن لرؤيا رأيتُها في ليلتي قد أفزعَتْني، وملأَتْ صدري رُعْباً، وأَقرَحَتْ قلبي، قلت: أَوكلُّ هذا الفكرِ لرؤيا لعلها من بخاراتٍ رديئة أو من تهاويل السَّوداء، وإنَّما هي أضغاثُ أحلام، قال: رأيت كأنِّي جالسٌ على سريري هذا في بستان، إذ بدت من تحتي ذراعٌ وكفٌّ أعرِفُهما، إلَّا أنِّي لا أفهم اسمَ صاحبهما، وفي الكفِّ تربةٌ حمراء، وقائلٌ أسمع صوته ولا أرى شخصَه يقول: هذه التُّربة التي تُدفن فيها، قلت: وأين هي؟ فقال: بطُوْس، وغابت اليدُ وانقطع الكلامُ وانتبهت. قال: فقلت له: لعلك بتَّ مفكِّراً في خراسانَ وحروبِها وانتقاضِ أمرها، فولَّد لك الخَلْطُ هذه الرؤيا. وما زلت أُسَكِّنه وأُسَلِّيه حتى سكن وانبسط، ومرَّت الأيام ونسي ونسينا [وما خطرت تلك الرؤيا لأحدٍ منا على بال].

ثم قُدِّر خروجُه إلى خراسانَ لَمَّا تحرَّك رافع، فلمَّا صِرنا في بعض الطريق، ابتدأت به العلَّة، فلم تزل تتزايد حتى دخلنا طوس، فنزل في منزلٍ لحميد بن عبد الحميد[2] في ضيعةٍ له تعرف بسَنَاباذ، فبينا هو يُمَرَّض في بستانٍ في ذلك القصر، إذ ذكر تلك الرؤيا، فوثب متحاملاً يقوم ويسقط، فقلت: يا سيِّدي مالَك؟ قال: يا جبريل، تذكر رؤياي

(١) ما بين حاصرتين من (ب) وتاريخ الطبري ٨/ ٣٤٣.

(٢) في تاريخ الطبري ٨/ ٣٤٣-٣٤٤: الجنيد بن عبد الرحمن.

بالرقَّة؟ ثم رفع رأسه إلى مَسرورٍ وقال: جئني من تُربة هذا البستان، فمضى [مسرورٌ] وأتى بالتُّربة في كفِّه حاسراً عن ذراعه، فلمَّا نظر إليه قال: هذه واللهِ الذراعُ التي رأيتها في منامي، وهذه الكفُّ بعينها، وهذه التُّربة الحمراء، ما خَرَمَت شيئاً، ثم أقبل على البكاء والنَّحيب، ثم مات واللهِ بعد ثلاثةٍ ودُفن في ذلك البستان.

[وروي أنَّه رأى في المنام امرأةً وقفت عليه، وأخذت كفًّا من ترابٍ وقالت: هذه تربتُك عن قليل، فأصبح فَزِعاً، فقصَّ رؤياه على أصحابه، فهوَّنوا عليه. فبينما هو يسير يوماً، إذ نظر إلى امرأةٍ قائمة تنظر إليه، فقال: هذه واللهِ المرأةُ التي رأيت، ولو رأيتها من بين ألف امرأةٍ ما خَفِيَتْ عليّ، ثم أمرها أن تأخذَ كفًّا من تراب فتُناولَه[1]، فضربت بيدها الأرضَ وناولته، فقال: هذه واللهِ التربةُ التي رأيتها، وهذه المرأةُ بعينها. ومات هناك].

وقيل: إنَّ جبريلَ بن بختيشوع غلط عليه [في عِلَّته] في علاجٍ كان سبب منيَّته، فهمَّ الرشيد أن يفصِّلَه كما فصَّل أخا رافع، فقال له جبريل: يا أميرَ المؤمنين، أَنظرني إلى غد؛ فإنَّك ستصبح في عافية، وسقاه دواءً في الليل، فمات من ليلته [وخلص منه جبريل.

وقال الصُّولي: حدَّثني الحسين بنُ يحيى، قال: سمعت هبةَ الله بنِ إبراهيمَ بن المهدي يحدِّث عن أبيه قال:][2] أحبَّ الرشيد أن يعلمَ حقيقةَ علَّته، وعلم أنَّ [ابن] بختيشوع يكتمه، فواطأَ إنساناً من أهل طوس، وسأله أن يلاطفَ ابنَ بختيشوع، ففعل، ثم أعطى الرجلَ ماءه وقال: اذهب به إلى ابن بختيشوعَ وقل له: هذا ماءُ مريضٍ عندي، فلما رآه، قال [ابن بختيشوع] لبعض من معه: كأنه واللهِ ماءُ الرجل، ففطن الذي جاء بالماء[3]، وقال لابن بختيشوع: اتَّقِ الله، فإنَّ بيني وبين هذا الرجلِ معاملات، فإنْ كان يعيش لم أستقصِ عليه، وإن كان يموت فرغت ممَّا بيني وبينه، فقال: تريد أن أَصدُقَك؟ قال: نعم، قال: صاحب هذا الماءِ لا يعيش إلَّا أياماً. فرجع الرسولُ فأخبر هارون، وعلم ابن بختيشوع بالأمر بعد ذلك، فاختفى إلى أن مات الرَّشيد.

---

(١) في (ب): فأخذت كفًّا من تراب فناولته إياه. والمثبت من المنتظم ٩/ ٢٣٠ .

(٢) في (خ): وقال إبراهيم بن المهدي. وانظر المنتظم ٩/ ٢٣١ .

(٣) في البداية والنهاية ١٤/ ٤٦: هذا مثل ماء ذلك الرجل، ففهم صاحب القارورة من عنى به.

وقال مسرور: لمَّا سار هارونُ إلى خُراسان، مرَّ في طريقه على قصرٍ خَراب، فنزل يَستظِلُّ به، فإذا على حائطه مكتوبٌ [هذه الأبيات][1]: [من الكامل]

هـل أنـت مُـعْـتَـبِـرٌ بـمَـن خَـرِبَـتْ ... مـنـه غَـداةَ مـضـى دَسـاكِـرُهُ[2]
وبـمَـن خَـلَـت مـنـه أَسِـرَّتـه ... وبـمَـن خَـلَـت مـنـه مَـنـابـره
وبـمَـن أذلَّ الـدَّهـرَ مَـصْـرَعُـه ... فـتَـبـرَّأت مـنـه عَـسـاكـره
يـا مـؤثِـرَ الـدُّنـيـا لـلَـذَّتِـه ... والـمُـسْـتَـعِـدَّ لـمَـن يُـفـاخِـرُه
أيـن الـمـلـوكُ وأيـن جُـنـدُهـمُ ... صـاروا مَـصـيـراً أنـت صـائـره
نَـلْ مـا بـدا لـك أن تَـنـالَ مـن الـدُّنـيـا فـإنَّ الـمـوتَ آخِـرُه

فبكى وانكسر وقال: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الإسراء: ٨١] فمات بعد أيَّام.

[وقال الهيثم:][3] لمَّا احتُضِرَ قال للعبَّاس بنِ موسى بنِ عيسى: يا عباس، إنِّي أجد في علمنا المُنْدَرِس: [من المجتث]

إنِّـي بـطُـوسٍ مُـقـيـمُ ... مـالـي بـطـوسٍ حَـمـيـمُ
أرجـو إلـهـي لِـمَـا بـي ... فـإنَّـه بـي رَحـيـم
لـقـد أتـى بـيَ طـوسـاً ... قـضـاؤه الـمَـحْـتـوم
ولـيـس إلَّا رضـائـي ... والـصَّـبـرُ والـتَّـسـلـيـم[4]

ثم قال: اِحفروا لي قبراً قبل أن أموت، فحفروا له في البستان وحملوه في مِحَفَّة[5]، فجلس على شفيره، ونظر في قعره وقال: ويحك يا ابنَ آدمَ تصير إلى هذا! ثم أمر قوماً فختموا فيه القرآن.

[وفي رواية:] أَلبِسوني المُسوح، فألبسوه، فقال: يا مَن لا يزول مُلْكُه، ارحم مَن

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب). والأبيات لأبي العتاهية، وهي في ديوانه ص١٨٠-١٨١.
(٢) الدَّسكرة: بناء كالقصر حوله بيوت، وبيوت الأعاجم يكون فيه الشراب والملاهي. القاموس المحيط (دسكر).
(٣) ما بين حاصرتين من (ب).
(٤) المنتظم ٩/ ٢٣١، والبداية والنهاية ١٤/ ٤٦-٤٧ دون نسبة.
(٥) مركب للنساء كالهودج. القاموس المحيط (حفف).

قد زال ملكه. ثم جعل يبكي ويقول: واسوءتاه من رسول الله ﷺ، وجعل يقبِّل أكفانه ويبكي ويقول: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٨-٢٩] اللهمَّ ارحم غُربتي، وأَعنِّي على صَرعتي، وأنشد يقول: [من الخفيف]

أنا مَيْتٌ وعزَّ مَن لا يموتُ ... قد تيقَّنتُ أنَّني سأموتُ
ليس مُلْكٌ يُزيلُه الموتُ مُلْكاً ... إنَّما المُلك مُلكُ مَن لا يموت[1]

وقال سَهْلُ بن صاعد: كنت عند الرشيدِ وهو يَجود بنفسه ويقاسي ما يقاسي، فنهضت، فقال: اقعُدْ يا سهل، فقلت: يا أميرَ المؤمنين، ما يتَّسع قلبي أن أرى أميرَ المؤمنين يعاني ما يعاني، فقال: إنِّي لأَذكر في هذا الحالِ قولَ الشاعر: [من الطويل]

وإنِّي لمن قومٍ كرامٍ يَزيدهم ... شِماساً وصَبْراً شِدَّةُ الحَدَثانِ[2]

وحضر وفاتَه الفَضْلُ بن الربيع وإسماعيلُ بن صَبيح، ومِن خدمه مَسرورٌ وحسينٌ ورشيد، وصلَّى عليه ابنُه صالح، ودُفن في بستان حميد[3]، ويقال للمكان: المثقَّب.

[واختلفوا في وفاته، فقال الواقدي:][4] ليلةَ السبت لثلاثٍ خَلَون من جُمادى الآخرةِ سنة ثلاثٍ وتسعين ومئة. [وقال هشام:][5] ليلةَ الأحد غُرَّةَ جُمادى الآخرة. وقيل: غُرَّةَ جمادى الأولى.

[واختلفوا في سِنِّه على أقوال: أحدُها: أنَّه] عاش سبعاً وأربعين سنة [وخمسةَ أشهرٍ وخمسة أيام. والثاني خمساً وأربعين سنة. والثالث: ستةً وأربعين سنة. والرابع: تسعاً وأربعين سنة] والاعتماد في هذه الأقوالِ على تصحيح مولِده. [وقد ذكرناه عند ولايتِه الخلافة.

---

(١) المنتظم ٩/ ٢٣١، والبيتان لعمر بن عبد العزيز كما في البداية والنهاية ١٢/ ٧٠٧.

(٢) تاريخ الطبري ٨/ ٣٤٥، وابن الأثير ٦/ ٢١٣، والبيت لعبد الرحمن بن حسان كما في شرح المرزوقي ٢/ ٦٨٥.

(٣) في (ب): بستان بن حميد بن غانم، والمثبت من (خ). وهو حميد بن أبي غانم كما في تاريخ الطبري ٨/ ٣٤٥، والبداية والنهاية ١٤/ ٢٧.

(٤) في (خ): وكانت وفاته.

(٥) في (خ): وقيل. وما سيأتي بين حاصرتين من (ب).

واختلفوا في مدَّة خلافته على أقوال: أحدها: أنَّه أقام خليفةً ثلاثة وعشرين سنةً وستة أشهر وثمانيةَ عشرَ يوماً. والثاني: ثلاثاً وعشرين سنةً وشهرين وستةَ عشر يوماً. والثالث: ثلاثاً وعشرين سنة وستةَ أشهر][1].

ورثاه أبو الشِّيص فقال: [من مجزوء الرمل]

غَـرَبـت فـي الـشَّـرق شـمـسٌ فـلـهـا الـعـيـنـانِ تَـدْمَـعْ
مـا رأيـنـا قـطُّ شـمـسـاً غَـرَبـت مـن حـيـث تَـطْـلُـعْ[2]

[قلت: واسمُ أبي الشِّيص محمَّد بن رَزين[3]، وكُنيته أبو سليمان[4]، وله ديوانٌ مشهور، وذهب بصرُه قبل موته، وكانت وفاتُه في سنة ستٍّ وتسعين ومئة. وقال الجوهري[5]: الشِّيص: التَّمر الذي لم يشتدَّ نواه].

ذِكر ما خلَّف من المال:

مات[6] وفي بيت المالِ تسعُ مئة ألفِ ألف دينار، ومن الدراهم أضعافُها، ومن الجواهر واليواقيتِ مئةُ حِمْل لا تُقَوَّم، ومن الدوابِّ ثلاثون ألفَ رأس[7]، ومن الموالي والجواري عشرون ألفاً.

وقال هشام: خلَّف من العَين والجواهرِ والدوابِّ والأثاثِ ما قيمتُه -سوى الضِّياع- مئةُ ألفِ ألف دينارٍ وخمسةٌ وثلاثون ألفَ ألف دينار.

---

(١) في (خ): وأقام خليفة ثلاثاً وعشرين سنة وشهرين وثمانية عشر يوماً، وقيل: وشهراً ستة عشر يوماً، وقيل: وستة أشهر. وكل هذه الأقوال مقول بها، وانظر تاريخ الطبري ٨/ ٣٤٥، وتاريخ بغداد ١٦/ ١٨، والمنتظم ٩/ ٢٣٢، والكامل ٦/ ٢١٤.

(٢) الشعر والشعراء ٢/ ٨٤٨، وطبقات ابن المعتز ص٨٠، وتاريخ الطبري ٨/ ٣٦٤، والمنتظم ٩/ ٢٣٢.

(٣) في (ب): زريق، وليست في (خ)، والمثبت من المصادر، ورزين جده، وهو محمد بن عبد الله بن رزين. انظر الشعر والشعراء، وطبقات ابن المعتز، والأغاني ١٦/ ٤٠٠، وتاريخ بغداد ٣/ ٣٩٤.

(٤) في الأغاني، وتاريخ بغداد: كنيته أبو جعفر.

(٥) في الصحاح: (شيص).

(٦) في (ب): ذكر ما خلف من الأولاد وغيرها، قال علماء السير: لم يخلف أحد من الخلفاء مثل هارون مات. والمثبت من (خ).

(٧) في (خ): فرس.

وحكى [الحافظُ ابن عساكرٍ في تاريخه عن أبي زُرعَة الدمشقيِّ][١] عن أبيه قال: كنا بالرقَّة وبيوتُ الأموال تُنقل إلى هارون، فعددناها أربعةَ آلاف حِملٍ، وستَّ مئة حمل، منها ألف وستُّ مئة حمل ذهبٍ وثلاثةُ آلاف وَرِق.

ذِكر أزواجه:

[قال علماء السِّيَر:] تزوَّج هارونُ سبعاً من الحرائر: زُبيدة، وهي أمُّ جعفرٍ بنتُ جعفرِ بن المنصور، دخل بها في زمن المهديِّ سنةَ خمسٍ وستِّين [ومئة]، وقيل: سنةَ ستٍّ وستين ومئة[٢]، في دار محمَّد بن سليمانَ ببغداد، [وهذه الدارُ انتقلت إلى العبَّاسة[٣] ثم إلى المعتصم بالله]، وتزوَّج أَمَةَ العزيز أمَّ ولد موسى الهادي بعد الهادي. وتزوَّج أمَّ محمَّد بنتَ صالحِ المسكين[٤]، ودخل بها بالرقَّة في ذي الحجَّة سنة تسعٍ[٥] وثمانين ومئة، وأمُّها أمُّ عبد الله بنتُ عيسى بنِ علي، وكانت قد تزوَّجت إبراهيمَ بن المهدي، فاختلعت منه قبلَ أن يدخلَ بها، فتزوَّجها هارون. وتزوج العبَّاسة بنت سليمانَ بنِ أبي جعفرٍ المنصور، ودخل بها في ذي الحِجَّة سنةَ سبعٍ وثمانين ومئةٍ بالرقة. وتزوَّج عزيزةَ بنت الغطريف، وكانت قبله عند سليمانَ بنِ أبي جعفر، فطلَّقها، فخلف عليها هارون، وهي ابنةُ أخي الخَيزُران[٦]. وتزوَّج العثمانيةَ، وهي ابنةُ عبدِ الله بن محمَّد بن عبد الله بن [عَمرو بن][٧] عثمانَ بن عفانَ ﷺ، وتسمَّى الجُرَشية، لأنَّها ولدت بجُرَش اليمن، وجدَّة أبيها فاطمةُ بنت الحسين بنِ علي، وعمُّ أبيها عبدُ الله بن حسنِ بن حسن، وجدُّها محمَّد بن عبد الله الدِّيباج.

فتوفِّي هارونُ عن أربعٍ من الحرائر: زبيدة، وأمُّ محمَّد بنتُ صالح، وعبَّاسة بنت

---

(١) في (خ): وحكى ابن زرعة الدمشقي.

(٢) في (ب): سنة ستين ومئة.

(٣) في (ب): العباسية، والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ٣٥٩.

(٤) في(خ): المسلمين، والتصويب من تاريخ الطبري، والكلام غير موجود في (ب).

(٥) في تاريخ الطبري: سبع.

(٦) في (خ): والغطريف هو ابن أخي الخيزران، وهو خطأ لأن الغطريف أخو الخيزران والمثبت من تاريخ الطبري، وابن الأثير ٦/ ٢١٦، وابن كثير ١٤/ ٤٩.

(٧) ما بين حاصرتين من المصادر.

سليمان، والعثمانيَّة.

وأمَّا من الإِماء، فقد تسرَّى -على ما قيل- بألوف، والمشهوراتُ منهن: هيلانة، وعِنان جارية الناطفي، وضياء. وهنَّ مشهوراتٌ بالأدب والغناء. وماتت ضياء، فخرج هارونُ في جنازتها، فدنا منه إسماعيلُ بن الأزرق المَديني، وكان [ماجناً] مِضحاكاً، فقال لهارون: يا سيِّدي، لِمَ تجزعُ هذا الجزع؟ فقال له: ويحك ما ترى ما ابتُليتُ به، ما أحببتُ أحداً إلَّا ومات، فقال له: يا سيِّدي، فأحِبْني، فقال: إن الحبَّ ليس بشيء يُصنع، ولكن تهيِّجه الأسباب، فقال: قل: إني أحبُّك، فقالها، ومضى إسماعيل فحُمَّ ومات.

ذِكر أولاده:

[قال علماء السير:] كان له من الولد ثمانيةٌ وعشرون: أربعةَ عشرَ ذَكَراً، وأربعَ عشرةَ أنثى، فالذُّكور: محمَّد الأمين، ومحمَّد المعتصم، ومحمَّد، وكُنْيته أبو عيسى، وأمُّه أم ولدٍ يقال لها: عرابة، والرابع محمَّد، وكُنيته أبو يعقوب، وأمُّه شذرة أمُّ ولد، والخامس محمَّد، وكنيته أبو العبَّاس، وأمُّه خُبْث أم ولد، والسابع محمَّد، وكُنيته أبو علي، وأمُّه سِدر[1] أمُّ ولد، فهؤلاء المحمَّدون[2]، وكان الرشيد لحبِّه هذا الاسمَ يسمِّي أولاده به. وعبدُ الله المأمون، والقاسم المؤتَمَن، وأمُّه قصف أمُّ ولد، مات في سنة ثمانٍ ومئتين[3]، قال له الرشيد: قد أوصيتُ بك محمَّداً وعبدَ الله، فقال: أمَّا أنت يا أميرَ المؤمنين، فقد تولَّيت النظر لهما، ووكَّلت النظر إليَّ غيرَك. وعليّ، وأمُّه أَمَة العزيز أمُّ ولد الهادي، وصالح، وأمُّه رئم أمُّ ولد، وأحمد، وهو السَّبتي، مات في حياة أبيه، وقد ذكرناه آنفاً، وأبو محمَّد، هو اسمُه وكنيته، ويلقَّب بكريب، وأمه سَحَرُ أمُّ ولد، وأبو أحمد[4]، وأمُّه كتمان أمُّ ولد.

وأما البنات، فكلُّهن لأمهات أولاد شتى: فسُكينة، أمُّها قصف، وهي شقيقةُ القاسم، وأمُّ حبيب، أمُّها ماردة، وهي شقيقةُ المعتصم، وأروى، أمُّها حَلوب، وأم

---

(١) في الطبري ٨/ ٣٦٠: ومحمد أبو علي وأمه أم ولد يقال لها: دواج.

(٢) أسقط المختصر اسم السادس، وهو: محمد أبو سليمان وأمه أم ولد يقال لها: رواح.

(٣) في (خ): وثمانين، ولعله سبق قلم، أو هو من الناسخ، وليس في (ب) أسماء أولاده.

(٤) واسمه محمد كما في تاريخ الطبري.

الحسن، أمُّها عرابة، شقيقةُ أبي عيسى، وأمُّ محمَّد، يقال لها: حَمْدونة، وفاطمة، أمُّها غُصَص، وأمُّ أبيها [وأمها] سكر[1]، وأمُّ سلمة، أمُّها رحيق، وخديجة، أمها سَحَر[2]، وهي شقيقةُ كُريب، وأمُّ القاسم، أمُّها خزق،ورَملة، وتُكنى أمَّ جعفر، أمُّها حلي، وأمُّ علي [أمها] أنيق، و[أمُّ] الغالية، أمُّها سَمندل، ورَيْطة، أمُّها زينة[3].

أَسند هارونُ الحديثَ عن أبيه المهديِّ والمباركِ بن فَضالة، وروى عن مالك بن أنسٍ الموطَّأ، وعن إبراهيمَ بنِ سعد الزُّهري، وغيرِهما، وروى عنه ولداه الأمينُ والمأمون وغيرهما.

أبو بكر بن عيَّاش بنِ سالمٍ القارئ

[واختلفوا في اسمه على أقوال: أحدُها: شعبة، ذكره سفيانُ الثوري. والثاني: محمَّد، ذكره النَّسائي. والثالث: سالم، ذكره أبو بكر الجَوْزَقي. والرابع: مطرِّف، ذكره الهيثم بن عَدي. والخامس: رؤبة، ذكره دُحَيم. والسادس: عَتيق، ذكره سفيانُ بن عُيينة[4].

وقال الخطيب عن عمرَ بنِ هارون: سألتُه عن اسمه فقال: لا أدري، الغالبُ على اسمي كنيتي. وقد نصَّ أبو داودَ على أنَّ اسمه كنيتُه. وقال البخاري: أبو بكر بن عيَّاش] مولى واصلِ بن حَيَّان الأَسَدي[5].

[وذكر ابن سعدٍ[6] أبا بكر بن عيَّاش] في الطبقة السابعة من أهل الكوفة [في أوَّلها وقال: وهو من الطبقة التي قبلها -يعني السادسة- ولكنَّه بقي حتى عُمِّر وكتب عنه

---

(١) في (خ): وأم ابنها سكن؟! والمثبت من الطبري ٨/ ٣٦٠.

(٢) في تاريخ الطبري: شجر.

(٣) في (خ): دنيا، والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ٣٦٠ ومابين معكوفين منه.

(٤) في تاريخ بغداد ١٦/ ٥٤٤: سفيان بن بشير. وانظر هذه الأقوال فيه، وانظر المنتظم ٩/ ٢٣٢، وتهذيب الكمال (٧٨٤٧)، وتاريخ الإسلام ٤/ ١٢٦١، والسير ٨/ ٤٩٥ .

(٥) في التاريخ الكبير ٩/ ١٤، والصغير ٢/ ٢٧٣: مولى بني كاهل من أسد، الكوفي الحناط، وقال بعضهم: اسمه شعبة ولا يصح.

(٦) في طبقاته ٨/ ٥٠٨ .

الأحداث، و] كان من العبَّاد [قال: و] نظر إليه وكيعٌ يصلِّي يومَ الجمعةِ فقال: أعرفُ هذا الشيخَ بهذه الصلاةِ منذ أربعين سنة.

[واختلفوا في مولده على أقوال: أحدُها] سنة سبعٍ وتسعين، وقيل: سنةَ أربع وتسعين، وقيل: سنةَ خمسٍ وتسعين، وقيل: سنةَ ستٍّ وتسعين [في أيام سليمانَ بنِ عبد الملك].

[وذكر الخطيب[١] بإسناده عن] يزيدَ بنِ هارون [وذُكر عنده أبو بكر بن عياشٍ فقال]: كان أبو بكرٍ خيِّراً فاضلاً، لم يضع جنبَه على الأرض منذ أربعين سنة.

[وروى الخطيبُ[٢] بإسناده عن أبي هاشمٍ الرفاعيِّ قال: سمعتُ أبا بكر بنَ عياش يقول:] لي غرفةٌ قد عجزت عن الصُّعود إليها، وما يمنعني من النُّزول منها إلَّا أني أختم فيها القرآنَ كلَّ يومٍ وليلةٍ منذ ستِّين سنة.

[وروى الخطيبُ أيضاً وقال:] نزل الماءُ في عينيه، فمكث عشرين[٣] لم يعلمْ به أهله. [قال:] وصام ثمانين رمضاناً. [قال:] ولمَّا كبر، كان يأخذ إفطارَه، فَيغْمِسه في جَرَّة في بيت مُظلمٍ ويقول: يا مَلاكَيَّ، قد طالت صُحبتي لكما، فاشفعا لي إنْ كانت لكما عند اللهِ شفاعة. [قال:] وكان له عُكَّاز ينحني عليه إلى الصَّباح.

[وقال أبو جعفر بنُ أبي شيبةَ عن أبيه قال: استقدم هارونُ أبا بكر بنَ عيَّاش] من الكوفة[٤] إلى بغداد، وكان قد ضعف بصرُه، فدخل عليه ووكيعٌ يقوده، فرحَّب به وأدناه، وقال له: يا أبا بكر، قد أدركتَ أيامَ بني أميةَ وأيامنا، فأيُّنا كان أخيَر؟ قال وكيع: فقلتُ في نفسي: اللهمَّ ثبِّت الشيخ، فقال: يا أميرَ المؤمنين، أولئك كانوا أنفعَ للناس، وأنتم أقومُ بالصلاة. ثم خرجا، فبعث إلى ابن عيَّاش بستَّة آلاف درهم، وإلى وكيعٍ بثلاثة آلافِ درهم، ورجعا إلى الكوفة.

---

(١) في تاريخ بغداد ١٦/ ٥٥٢.

(٢) في تاريخ بغداد ١٦/ ٥٥٥.

(٣) أي: عشرين سنة، كما في تاريخ بغداد ١٦/ ٥٥٣. وما بين حاصرتين من (ب).

(٤) في (خ): واستقدمه هارون من الكوفة ...

ودخل ابن عياشٍ على موسى بنِ عيسى وهو عاملُ الكوفة وعنده عبدُ الله بن مصعب الزُّبيري، فأدناه موسى وقرَّبه، وأتكأه متَّكأً، [فاتَّكأ] وبسط رجلَيه، فقال الزبيريُّ لموسى: مَن هذا؟! [قال: هذا فقيه الفقهاءِ والمرأَّس عند أهل المصر أبو بكر بنُ عياش، قال الزُّبيري: فلا كثيرٌ ولا طيِّب، ولا مستحقٌّ لكلِّ ما فعلتَه به، فقال أبو بكر: يا أيها الأمير، مَن هذا الذي سأل عني بجهلٍ، ثم تتابع في جهله بسوء قولٍ وفعل؟ فنسبه له][1] فقال له ابنُ عياش: أُسكت يا زبيري لا سكتَّ، فبأبيك غُدِرَ ببيعتنا، وبقول الزُّبير خرجت أمُّنا، وبابنه هُدمت كعبتُنا واستُحلَّ حَرَمُنا وقُتلت كُماتنا، وبك أَحرى أن يخرجَ الدجَّال فينا، فضحك موسى حتى فَحَص برجلَيه الأرض.

[وحكى الخطيبُ[2] عن] ابن عياشٍ [قال:][3] أتيتُ زمزمَ ليلةً، فاستقيتُ منها دَلْواً لَبناً وعَسَلاً.

[وروى أبو نُعيم[4] عنه أنَّه قال:] قال لي رجل: [خلِّص] رقبتَك[5] ما استطعتَ في الدنيا من رِقِّ الآخرة؛ فإنَّ أسير الآخرةِ غيرُ مفكوك أبداً. فواللهِ ما نسيتها.

ذكر وفاته:

[حكى الخطيبُ عن ابنه] إبراهيمَ بنِ أبي بكر بن عيَّاش [قال:][6] شهدتُ أبي عند الموت، فبكيت، فقال: يا بُنيّ، ما يُبكيك؟ فو اللهِ ما أتى أبوك فاحشةً قطّ[7]، [وفي رواية:] صمتُ ثمانين رمضاناً، وختمت القرآنَ ثمانين سنة، ولم أُفطر في نهارها.

و[قال ابنُ سعد:][8] توفِّي في جُمادى الأولى [سنةَ ثلاثٍ وتسعين] في الشَّهر الذي مات فيه هارون. وقيل: توفِّي سنة اثنتين وتسعين ومئة بالكوفة وقد جاوز تسعين سنة.

---

(١) ما بين حاصرتين من تاريخ بغداد ٦/ ٥٤٦ـ٥٤٧.
(٢) في تاريخه ١٦/ ٥٥٢ .
(٣) في (خ): وقال ابن عياش.
(٤) في حلية الأولياء ٨/ ٣٠٤ .
(٥) في (خ): وقال: قال لي رجل رقبتك.
(٦) في (خ): وقال إبراهيم بن أبي بكر.
(٧) تاريخ بغداد ١٦/ ٥٥٥ .
(٨) في طبقاته ٨/ ٥٠٨ . وما بين حاصرتين من (ب).

و[روى أبو نُعيم(١) الحافظ عن] الهيثم بن خارجةَ [قال:](٢) رأيت ابن عيَّاش في منامي بعد موتِه وبين يديه طَبَقٌ [فيه] رُطَب وسكَّر، فقلت: ألا تدعونا إليه وقد كنتَ سخيّاً على الطعام! فقال: هذا طعامُ أهل الجنةِ لا يأكله أهلُ الدنيا، فقلت: فبمَ نلتَ هذا؟ فقال: تسألني عن هذا وقد مضت عليَّ ستٌّ وثمانون سنةً أختم فيها القرآنَ كلَّ ليلة!

أَسند عن خلقٍ كثير من التابعين، منهم الأعمش، وهشامُ بن عروة، وغيرُهما، وروى عنه ابنُ المبارك، والإمام أحمدُ رحمه الله، وغيرُه.

[وأجمعوا على ثقته ودينه وعبادته وورعه واجتهاده، وإنما تكلَّم بعضُهم في حفظه، فقال ابنُ سعد(٣): كان ثقةً صدوقاً عارفاً بالحديث والعلم، إلَّا أنه كان كثيرَ الغَلَط. وكذا قال أحمد بنُ حنبل: إنه كثيرَ الخطأ.

وقال بِشرٌ الحافي: كان شيخاً قديماً صاحب قرآنٍ وسنَّة، إلا أنَّ في حديثه اضطراباً.

وقال أبو بكرٍ البيهقيّ: لا خلافَ في عدالته وثقته، وإنَّما لمَّا كبر سنُّه كثر خطؤه، لا أنه كان متَّهماً. وهذا القول أصحّ.

وفي الرُّواة مَن يُكنَى بأبي بكر بن عيَّاش ثلاثة: أحدُهم هذا، والثاني حِمصيّ، والثالث سُلَميّ، حدَّث عن جعفر بن بُرْقان.](٤)



(١) في الحلية ٨/ ٣٠٣.

(٢) في (خ): وقال الهيثم بن خارجة.

(٣) في طبقاته ٨/ ٥٠٨.

(٤) ما بين معكوفين من (ب).

السَّنة الرابعةُ والتِّسعون بعد المئة

فيها عزل الأمينُ أخاه القاسمَ عن الثُّغور والعواصم [وما ولَّاه أبوه من الشام] وولَّى مكانه خُزيمةَ بن خازم، واستدعاه إلى بغدادَ وأمره بالمُقام عنده.

وفيها عصا أهلُ حمص، وكان العاملَ عليهم إسحاقُ بن سليمان، فخرج عنهم فأقام بسلَمْيَة، فاستضعفه الأمينُ، وولَّى عليهم عبدَ الله بن سعيدٍ الحَرَشي، فسار إليهم فحصرهم، وضربها بالنِّيران من جوانبها، فسألوه الأمان فأمَّنهم.

وفيها أمر الأمين بالدُّعاء لابنه موسى على المنابر.

وفيها ظهر الفسادُ بين الأمينِ والمأمون[١]، وكان السببُ في ذلك أنَّ الفضل بن الربيع لما ردَّ المالَ والمتاع الذي أَوصى به هارونُ للمأمون إلى بغداد، قال في نفسه: متى أفضى الأمرُ إلى المأمون لم يُبقِ عليّ، فسعى في الوقيعة بين الأمينِ والمأمون، وأَغرى الأمين، وأشار عليه بصرفه عن ولاية العهدِ إلى ابنه موسى، ولم يكن ذلك رأيَ الأمين، واتفق معه عليُّ بن عيسى بنِ ماهان والسِّنديُّ وغيرُهما موافقةً للفضل، فأزال محمَّداً عن رأيه الأوَّل، وأجاب الفضلَ إلى خلع المأمونِ والدُّعاءِ لابنه موسى، ثم توقَّف، فحمله الفضل، فكتب إلى الأمصار، فدعا له وبعد المأمونِ لموسى، وأسقط القاسم، ولما بلغ المأمون ذلك، قطع البريد عن محمَّد، وأسقط اسمه من دار الضَّرْب والطِّراز[٢].

وكان رافعُ بن الليث -لَمَّا انتهت إليه أخبارُ المأمون وحسنُ سيرته- رغب في طاعته، وبعث إلى هَرْثَمَةَ وهو محاصرُه بسَمَرْقَنْدَ يطلب الأمان، فكتب هرثمةُ إلى المأمون يُخبره، فكتب له أماناً، وسار رافعٌ من سمرقندَ إلى مَرْو، فقدمها على المأمون، فأكرمه وأدناه وأحسنَ إليه، وأعطاه الأموالَ وغيرها، فأقام عنده بمرو، وأقام هرثمةُ بسمرقندَ على حاله، ومعه في عسكره طاهرُ بن الحسين، ثم استأذن هرثمةُ

---

(١) بعدها في (ب): وحج بالناس داود بن عيسى. واختصر بهذا الأحداث الآتية كلها.

(٢) الطراز: الموضع الذي تنسج فيه الثياب الجيدة. القاموس المحيط (طرز).

المأمونَ في القدوم عليه، فأذن له، فسار إلى جَيْحون، فوجده جامداً، فعبر عليه بعسكره، ووصل إلى مرو، فتلقَّاه الناس، وأكرمه المأمون وولَّاه حَرَسه، وكتب عيونُ محمَّد إليه بذلك فأنكره، وشرع في التدبير على المأمون، وكتب كتاباً إلى العباس بنِ عبد الله بنِ مالك عاملِ الرَّيِّ من قِبَل المأمون يأمره أن يبعثَ إليه بغرائب غَرْسِ الريِّ على اختلاف أنواعه، وكان قصدُه امتحانَه، فأرسل إليه العباسُ بما طلب، وكتم ذلك عن المأمون وذي الرياستَين، وبلغ المأمون فعزل العباسَ عن الرَّيِّ، وولَّى الحسنَ بن عليٍّ المأموني.

ثم إنَّ محمَّداً أرسل إلى أخيه المأمونِ رسلاً ثلاثة: أحدُهم العباس بنُ موسى بنِ عيسى، وصالحٌ صاحب المُصَلَّى، ومحمَّد بنُ عيسى بن نَهيك. وكتب معهم كتاباً يسأله تقديمَ[1] موسى عليه، ويخبره أنه سمَّاه الناطقَ بالحقّ، وما نطق حينئذٍ قطُّ لا بحقٍّ ولا بباطل، وكان ذلك برأي الفضلِ وابن ماهانَ والسِّندي.

ولمَّا بلغ ذا الرياستين مسيرُهم، كتب إلى العمَّال بالرَّي وقُومِسَ ونَيْسابورَ وسَرْخَسَ وغيرِها أن يتلقَّوهم بالعُدَد والفرسان، والسلاحِ التامّ، وإظهارِ الزِّينة، ففعلوا، ثم قدموا مَرْو، فدخلوا على المأمون، فناولوه كتابَ أخيه، وأبلغوه الرِّسالة، فردَّ ذلك المأمون، فقال العباسُ بن موسى للمأمون: وما عليك أيها الأميرُ من ذلك؟! فهذا جدِّي عيسى بنُ موسى قد خُلع وما ضرَّه، فصاح به ذو الرياستين: أُسكت؛ فإن جدَّك كان في أيديهم أسيراً، وهذا بين أخوالِهِ وشيعته ورجالِه وأمواله وبلاده، فقاموا، وأنزل ذو الرياستين كلَّ واحدٍ منهم منزلاً، ثم جاء إلى العبَّاس ليلاً وخلا به، وأرغبه في طاعة المأمون، وقال: أين ذُهب بك في نسبك وفضلِك عن المأمون؟! وأعطاه ولايةَ الموسم، وأقطعه بمصرَ وغيرِها أموالاً، فأجاب وبايع المأمون، فكان بعدُ يطالعهم بأخبار محمَّد، ويشير عليهم بما يعتمدونه.

ولمَّا عاد الرسلُ إلى محمَّد وأخبروه بجواب المأمون، ألحَّ عليه الفضلُ وابن ماهانَ بالبَيعة لابنه موسى وخلعِ المأمون، ففعل، وأحضنَ ابنَه موسى عليَّ بن عيسى بن ماهان

---

(١) في (خ): بقدوم، والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ٣٧٦، والمنتظم ١٠/ ٤، وانظر الكامل٦/ ٢٢٩.

بالبيعة وولَّاه العراق، وكان الأمين يشاور قوَّاده وخواصَّه في خلع المأمونِ فيأبون عليه، وقال له خُزيمةُ بن خازم: لا تجرِّئ القوَّادَ على الخَلْع فيخلعوك، ولا تَحْمِلهم على الغَدْر ونَقْضِ العهود فينقضوا عهدَك ويغدروا بك. فلم يقبل، وخلع أخاه، وبعث إلى الأمصارِ بذلك، وبعث إلى الكعبة وأخذ الكتابَين فمزَّقهما، وأجاز بني شيبةَ بمال كثير، فقال الناس: مُزِّق ملكُه.

وكان محمَّد قد كتب إلى المأمون قبل مكاشفتِه يسأله أن ينزلَ له عن كُوَرٍ من خُراسانَ سمَّاها له، وأن يكونَ بها بريدٌ من قِبَله يكتب إليه بأخباره، فشقَّ ذلك على المأمون، واستشار الفضلَ والحسن ابنَي سهل، فأما الفضلُ فقال: الأمر خَطِر، ولك من شيعتك وأهلِ ولايتك بِطانةٌ لهم أُنسٌ بالمشاورة، وفي قطع الأمر دونهم وَحشة، وظهورُ قلَّةِ ثقة، فَرَ رأيك في ذلك. وقال الحسن: شاوِرْ في رأيك مَن تثق بنصيحته، وتألَّف العدوَّ فيما لا اكتتامَ له بمشاورته.

فأحضر المأمونُ خاصَّته، وشيعته، وأهلَ مودَّته، وأخبرهم الخبر، فقالوا: أيها الأمير، قد سألتَ عن أمرٍ خطير، فاجعل لبديهتنا حظًّا من الرَّوِيَّة والنَّظَر، فقال: هذا هو الحَزْم، وأجَّلهم ثلاثاً، فتروَّوا، ثم اجتمعوا عند المأمونِ والفضلُ بن سهل حاضر، فكلُّهم أشار بأن يعطيَ للأمين ما سأل، إلَّا أن عباراتِهم اختلفت، فقال بعضُهم: كان يقال: إذا كان الأمرُ خطراً، فإعطاؤك مَن نازعك طرفاً من بُغيته مع قدرته أمثلُ من أن تصيرَ[1] بالمنع إلى مُكاشفته. وقال آخر: لا تأمن أن يكونَ فسادُ يومِك راجعاً بفساد غدِك. وقال آخَر: لا أرى مفارقةَ مَنزلة سَلامة، لعل أن تُعطى منها العافية.

فقال لهم ذو الرِّياستين: قد اجتهدتم في النصيحة والرأي، غير أنَّ رأيي مخالفٌ لرأيكم، قالوا: ولِم؟ قال: ألستم تعلمون أنَّ محمَّداً تجاوز إلى طلب شيءٍ ليس له بحقّ؟ قالوا: نعم، قال: فهل أنتم على بيِّنة وثقةٍ أنه لا يتجاوز إلى طلب شيءٍ آخر؟ قالوا: لا.

ثم قال للمأمون: هل تأمن أن يكونَ أخوك طلب ما طلب ليستظهرَ به غداً عليك

(١) في (خ): يضر، والمثبت من تاريخ الطبري.

ويتقوَّى على مخالفتك؟ قال: لا، قال: فانظر ماذا ترى، فقال: يا فضل، أُكتب إليه: وَرَدَ كتابُ أمير المؤمنين يسألني التجافيَ عن مواضعَ سمَّاها الرشيدُ في عَقده وعَهده، وجعل أمرَها إليّ، ولو لم يكن ذلك مبيَّناً في عهوده، وأنا على الحال التي أنا عليها من مجاورة الأعداءِ، وجندٍ لا يطيعون إلَّا بالمال؛ لقد كان يجب على أمير المؤمنين أن يقسمَ لي حظًّا من عنايته، ويقطعَ لي طَرفاً من ماله، وإنِّي أعلم أنَّ أمير المؤمنين لو علم ما أنا فيه [لما][1] كتب إليَّ بما كتب، والسلام. وذكر كلاماً بمعناه.

ثم إنَّ المأمون احترز على الطُّرق، وأقام الطَّلائع والبُرُد، وبثَّ الحَرسَ في الأماكن بحيث لا يصل إلى أحدٍ من خراسانَ كتابٌ ولا جواب، فأمن ناحيتَهم، وحَصَرهم من أن يُستمالوا برغبةٍ أو رهبة، وبعث محمَّد جماعةً ليناظروا المأمونَ في منعه ما كان سأله، فلما وصلوا إلى الريِّ وجدوا الحرسَ والطلائع، ومُنعوا من المسير إلى مَرْو، وكتب عاملُ الرَّي إلى المأمون يخبره بهم، فجاء كتابٌ بحملهم إليه، فحُملوا وقد أُحيط بهم واحتُرز عليهم، فلا يصل إليهم خبرٌ ولا يخرج من عندهم خبر، وكان في نيَّتهم بَذْلُ الأموال والولايات للفارقين، فوجدوا ذلك ممنوعاً، فحُملوا إلى المأمون ومعهم كتابُ الأمين، وفيه:

أما بعد، فإنَّ الرشيد وإن كان أَفردك بما ضمَّ إليك من كُور الجبال[2] تأييداً لأمرك، فإنَّ ذلك لا يوجب لك فَضْلَةَ المالِ عن كفايتك، وقد ضمَّ إليك كوراً لا حاجةَ لك إليها، والواجب أن تكونَ مردودةً في أهلها.

فكتب إليه المأمون: لا تبعثني يا ابنَ أبي على مُخالفتك وقطيعتِك، وأنا مُذْعِنٌ بطاعتك، وعلى ما كنتُ من صِلَتك، وارضَ بما حكم به الحقُّ في أمرك، أكُن في المكان الذي أنزلني الحقُّ فيما بيني وبينك، والسلام.

ثم قال للرسل: أَبلِغوه أنِّي لا أزال على طاعته، إلَّا أن يضطرَّني بترك الحقِّ الواجب إلى مخالفته. فذهبوا يقولون، فقال: أَحسنوا تأديةَ ما سمعتم، ففي مكاتبتي إليه كفاية،

(١) زيادة يقتضيها المعنى، وانظر تاريخ الطبري.
(٢) في تاريخ الطبري ٨/ ٣٨٠: الجبل.

فرجعوا خائبين ما أمَّلوه، ولقُوا جدًّا غيرَ مَشُوبٍ بهَزْل.

وقيل: إنَّ المأمون قال لذي الرياستين: إنَّ ولدي وأهلي ومالي بحضرة محمَّد، وكان [مئة][1] ألفِ ألفِ درهم[2]، وأنا مُحْتاجٌ إلى ذلك، فما ترى؟ فقال: إنْ أنت كتبت إليه فمنعك، صار إلى خلع عهدِه، فاضطرَّك إلى محاربته، وإنِّي أكره لك أن تكون المُفْتَتِحَ بابَ الفُرقة، ولكن اكتب إليه بتوجيه أهلِك، ومطالبته بحقِّك على وجهٍ لا يتطرَّق إليه المَنْع، فإنْ أجاب فهو العافية، وإن أبى لم يكُنْ سبباً للحرب. فقال: اكتب إليه، فكتب:

أمَّا بعد، فإنَّ نظرَ أمير المؤمنين للعامَّة نظرُ مَن لا يقتصر على إعطاءِ النَّصفة من نفسه حتى يتجاوزَها إليهم ببرِّه وصِلَته، وإن كان ذلك رأيه في عامَّته، فأَحرى أن يكونَ في خاصَّيتِه، وقد علم أميرُ المؤمنين ما أنا عليه من ثغور حَللت بين لَهَواتها، وعساكرَ لا تزال مُوقنةً بنَشْر غَيِّها، وبنَكْث آرائها، وقلَّةِ الخراج قِبَلي، والأهلُ والولد والمال قِبَل أمير المؤمنين، والأهلُ وإن كانوا في كفاية من برِّه وهو لهم كالوالد، غير أنِّي محتاجٌ إلى وصولهم إليَّ؛ لأؤدِّيَ حقَّ الله فيهم، ورأيُ أمير المؤمنين مستخرجٌ في المساعدة على حَمل ذلك إليَّ على يد فلان ـ رجل سمَّاه ـ غيرُ مُحرجٍ له إلى ضيقٍ يقع بمخالفته، أو حاملٍ برأي[3] يكون على غير موافقته، والسلام.

وكان للمأمون بالرقَّة مئةُ ألف دينار، وأهلُه وولده وعياله بالرقَّة، فكتب إليه محمَّد: أما بعد، فقد بلغني كتابُك يذكر كذا وكذا، فأمَّا المال، فالأَولى ردُّه في مواضعِ حقِّه، فإنَّ الواجبَ على أمير المؤمنين أن يَستظهرَ لدينه، وهذا مالُ المسلمين، وأما الأهلُ والولد، فأسيِّرهم إليك مع الثِّقة من رُسُلي. وذكر كلاماً حاصلُه أنه ما أجابه إلى شيءٍ من ذلك.

ولمَّا قرأ المأمون كتابَه قال: لَأَظَ[4] دون حقِّنا، فقال له الفضل: الرأي التمسُّك

---

(١) ما بين حاصرتين من تاريخ الطبري ٨/ ٣٨١ .

(٢) لفظة: درهم، ليست في تاريخ الطبري.

(٣) في تاريخ الطبري ٨/ ٣٨٢: حامل له على رأي.

(٤) اللَّأْظُ كالمَنْع، أي: مَنَعَنا حقَّنا. تاج العروس: (لأظ) .

بعُرْوَة الثِّقة، وحَسْمُ مَوادِّ الفُرقة، وعدم المكاشفة، والثباتُ إلى حين.

وعلم المأمونُ أنَّه سيحدث بعد هذا أمور، وأنَّه لا بدَّ من مكاتبة الخاصَّة، وأهلِ القَدْر والنَّباهة من الشِّيعة الذين ببغداد، فكتب إليهم كتباً سرًّا وكتاباً ظاهراً إلى محمَّد، وانتدب لذلك رسولاً، وقال له: إنْ خَلَعني محمَّد فأوصِل هذه الكتبَ إلى أربابها، وإن لم يفعل فأَمسِك عن إيصالها.

وكان في كتاب المأمونِ إلى محمَّد: أما بعد: فإنَّ أَمْرَ المؤمنين كأعضاء البَدَنِ، تحدث العلَّة في بعضها فيكون ذلك سبباً مؤلماً لجميعها، وكذلك الحَدَثُ في بعض المسلمين يسري إلى الكلّ، وما اختلف مختلفان وكان أحدُهما مع الله والحقِّ إلَّا تولَّى اللهُ معونته والمسلمون، وأنت -يرحمك الله- من الأمر بمَرأًى ومَسْمَع، وبمكانٍ إن قلتَ استُمع لقولك، وقد أوجب اللهُ علينا طاعتَك والإحسان، ولن يضيِّعَ الله ذلك، والسلام.

وقدم الرسولُ بغداد، فوافق قدومُه قطعَ الدعاءِ للمأمون على المنابر، فأوصل الكتبَ إلى أربابها، فمنهم مَن أجاب ومنهم مَن سكت، فكتب رسولُ المأمون إليه: أما بعد: فإنِّي قدمت البلدةَ وقد أعلن خَليطُك بتنكُّره، وأمسك عما يجب ذِكرُه بحضرته، ودفعتُ كتبك إلى أربابها، فوجدت أكثرَهم [وُلاةَ السَّريرة] بُغاة العَلانية، [ووجدت المُشرِفين بالرعيَّة] ما يبالون ما احتملوا [فيها][1]، والقوم على ما وصفت، فلا تجعل للتَّواني في أمرك نصيباً، والسلام.

وكان الأمينُ قد استشار يحيى بنَ سليم الكاتبَ في خلع المأمون، فقال له: كيف بذلك مع ما قد وكَّد له الرشيدُ من البَيعة، وتوثَّق له بالعهود والأيمانِ والشرائط في الكتاب المعلَّق في الكعبة؟! فقال له محمَّد: كان رأيُ الرشيد فيه خطأً، حمله عليه جعفرُ بن يحيى بسحره، واستماله برُقاه، فغَرس لنا غَرْساً مَكروهاً، لا يُنتفع بما نحن فيه إلَّا بقطعه، ولا تستقيم لنا الأمورُ إلَّا باجتثاثه.

فقال له يحيى: أما إذا كان هذا في عَزْمك، فلا تجاهرْه بذلك، فيستنكره الناسُ

---

(١) ما بين حاصرتين من تاريخ الطبري ٨/ ٣٨٤ .

ويستشنعه العامَّة، ولكن استدعِ القائدَ بعد القائد، وآنِسه بالألطاف والهدايا، وأَرغبهم ومَن معهم بالأموال، فإذا استملتَهم وَهَنَت قُوَّته، وضَعُف حالُه، وأجابك رجاله، فمُرْه بالقدوم عليك، فإن قدم كان الذي تريد منه [وإن أبى، كنتَ قد تناولتَه][1] وقد كلَّ حَدُّه، وضَعُف رُكنُه، وانقطع عِزُّه.

فقال محمَّد: أنت خطيب مِهذار، ولستَ بذي رأيٍ مُصيب، فعدِّ عن هذا الرأيِ إلى الشيخ المُوَفَّق والوزيرِ الناصح -يعني الفضلَ بن الربيع- قم فالحقْ بمِدادك وأقلامك. فقام وهو يقول: ستعلم.

ودسَّ الفضلُ بن سهل إلى بغدادَ أقواماً يطالعونه بالأخبار يوماً بيوم، وقد بعث طاهرَ ابن الحسين إلى الرَّيِّ في جُنْد، وبعث محمَّد عصمةَ بن سالم[2] إلى هَمَذان في جُند، وولَّاه حربَ الجبال والرَّي، فأقام بهمذان، وحفظ طاهر الطُّرق، وأقام مَن يُفَتِّش النساءَ خوفاً من غائلة الكتب، وبعث طلائعَه واحترز، فقال بعضُ شعراء خراسانَ في طاهر: [من الوافر]

رمى أهلَ العراق ومَن عليها إمامُ العَدْل والمَلِكُ الرَّشيدُ
بأحْزَمِ مَن مَشَى رأياً وحَزْماً وكَيْداً نافِذاً فيما يَكيد
وعَزْمٍ ثاقِبٍ وعظيمِ بأسٍ[3] يَشيبُ لهَوْل صَولَته الوَليدُ

واستشار المأمونُ الفضلَ بن سهل وأخاه الحسنَ فيما يفعل، فقالا له: أمسِكْ مَوضعَك، فقال: كيف أقدر على ذلك ومع محمَّد الدنيا والأموالُ والرجال والسِّلاح، وليس معي شيءٌ من ذلك، وحولي الأعداءُ من كلِّ جانب؟! فقالا: الصَّبرَ الصَّبر؛ فإنَّه عُدَّة في النوائب، وقد غَدَر بك وسلَّ سيف البَغْي، وسوف يُقتَل به، فاثبت.

وحجَّ بالناس داودُ بن عيسى بنِ موسى بن محمَّد بن عليّ، وكان والياً على المدينة ومكَّة. وقيل: حجَّ بهم عليُّ بن الرشيد.

(١) ما بين حاصرتين من تاريخ الطبري ٨/ ٣٨٥.
(٢) في تاريخ الطبري ٨/ ٣٨٧: عصمة بن حماد بن سالم.
(٣) في تاريخ الطبري، والكامل ٦/ ٢٣٥: بداهية نآد خَنْفَقيق.

فصل وفيها توفي

حَفْصُ بن غياث

ابنِ طَلْق، أبو عبد الله[(١)] القاضي النَّخَعي [الكوفي.

ذكره ابنُ سعد] في الطبقة السابعةِ من أهل الكوفة [وروى أنَّ حفصاً] ولد سنةَ سبعَ عشرةَ ومئةٍ [في خلافة هشامِ بن عبد الملك، وكان يُكَنى أبا عمر][(٢)]، وولَّاه هارون القضاءَ ببغداد بالشَّرقية، ثم ولَّاه قضاءَ الكوفة، فلم يزل قاضياً عليها إلى أن مرض مرضاً شديداً، ومات بها في عشر ذي الحِجَّة [سنة أربع وتسعين ومئة في خلافة محمَّد ابن هارون] وكان ثقةً مأموناً ثبتاً، إلَّا أنه كان يُدَلِّس.

[وروى الخطيبُ عن] حُميد بنِ الربيع [قال][(٣)]: لمَّا جيء بعبد اللهِ بن إدريسَ وحفصِ بن غياث ووكيع بن الجرَّاح إلى هارونَ ليولِّيهم القضاء، دخلوا عليه، فأمَّا [ابن] إدريسَ فإنَّه قال: السلامُ عليكم، وطرح نفسَه كأنه مفلوج، فقال هارون: خذوا بيد الشيخ؛ فإنَّه لا فضلَ فيه. وأما وكيع، فوضع إصبعَه على عينه وقال: واللهِ ما أبصرتُ بها منذ سنين[(٤)]، وعنى إصبعَه، فأعفاه. وأما حفصٌ فقال: واللهِ لولا الدَّين والعيالُ لَما وليت. فلما ولي كان يقول بعد ذلك: لَأَن يُدخِلَ الرجل إصبعَه في عينه فيقلعَها ثم يرميَ بها خيرٌ له من أن يكونَ قاضياً.

و[قال أحمد بنُ كامل:][(٥)] طلب هارونُ يوماً حفصَ بن غياث وهو في مجلس الحكم، فقال: أنا أجيرُ المسلمين، إذا فرغت من أمورهم جئت. فلم يقم حتى تفرَّق الخصوم.

---

(١) كذا في (ب) و (خ)، والصواب: أبو عمر، وانظر التعليق الآتي.

(٢) في (ب): عمرو، والتصويب من طبقات ابن سعد ٨/ ٥١٢، وانظر تاريخ بغداد ٩/ ٦٨، والمنتظم ١٠/ ٢٩، وتهذيب الكمال، وتاريخ الإسلام ٤/ ١٠٩٤.

(٣) في (خ): وقال حميد بن الربيع. والخبر في تاريخ بغداد ٩/ ٦٩ .

(٤) في تاريخ بغداد: سنة.

(٥) ما بين حاصرتين من (ب).

وقال غنَّام بن حَفْص: مرض أبي خمسةَ عشرَ يوماً، فدفع إليَّ مئةَ درهم وقال: امضِ بها إلى العامل وقل له: هذه رزقُ خمسة عشر يوماً لم أحكمْ فيها بين المسلمين، فدفعتها إليه.

وقال يحيى بنُ الليث: باع رجلٌ من مَرْزُبان المجوسيِّ وكيلِ زُبيدةَ جِمالاً بثلاثين ألفِ درهم، فمَطَله ولم يُعطِه شيئاً، فجاء الرجلُ إلى بعض أصحابِ حفصٍ فأخبره الخبر، فقال: اِذهب إليه وقل له: أَعطِني ألفَ درهم وأُحيل عليك بالباقي، فأعطاه ألفَ درهم، وأتى الرجلَ فأخبره، فقال له: اذهب إليه وقل له: اِجعل طريقَك غداً على القاضي حتى أوكِّلَ بقبض[1] المال. فمضى إلى المجوسيِّ وقال: أَفعل، وحضر مجلسَ حفص، فادَّعى عليه الرجلُ بتسعةٍ وعشرين ألفَ درهم، فاعترف، فقال له حفص: أدِّ المال، فقال: هو على السيِّدة، فقال: وأنت أحمق! تُقِرُّ ثم تقول: على السَّيدِّة! فأمر بحبسه، وبلغ أمَّ جعفر، فأرسلت إلى السِّندي فأَخرج المجوسي، وبلغ حفصاً فقال: أَحبس أنا ويُطلِق السِّندي! [لا جلستُ مجلسي هذا أو يردَّ مرزبانُ إلى الحبس] فأرسل إلى[2] زبيدةَ يقول: اللهَ اللهَ فيَّ؛ فإنَّه حفص بن غياث، وأخاف أميرَ المؤمنين.

فردَّته إلى الحبس، ودخلت على هارونَ فقالت: قاضيك أحمق، فعل بوكيلي كذا وكذا، مُرْه لا ينظر في الحكم، وتولِّي أمرَه أبا يوسف، فكتب لها كتاباً بذلك، وبلغ حفصاً، فقال للرجل: أَحضِر لي شهوداً لأسجِّلَ على المجوسيِّ بالمال، ففعل، وجاء الخادمُ بالكتاب فقال: هذا كتابُ أمير المؤمنين، فقال له حفص: مكانَك، نحن في شيءٍ حتى نفرغَ منه، ولم يأخذ الكتابَ حتى سجَّل بالمال، ثم أخذ الكتابَ ووقف عليه وقال له: قل لأمير المؤمنين: قد أَنفذت الحكم، فقال الخادم: قد علمتُ واللهِ ما صنعتَ، أَبيتَ أن تأخذَ الكتاب حتى تفرغَ مما أردت، واللهِ لأُخبرنَّ أمير المؤمنين،

(١) في (خ): ببعض، والمثبت من تاريخ بغداد ٩/ ٧١.
(٢) في تاريخ بغداد: فجاء السندي إلى ...، وما بين حاصرتين منه، وهذا الخبر ليس في (ب).

فقال: أخبره، فجاء الخادمُ فأخبر هارون، فضحك وقال: احملْ إلى حفصٍ ثلاثين ألفَ درهم، وبلغ أمَّ جعفر، فقالت: لا أنا ولا أنت حتى تعزلَ حفصاً، فقال: لا أَعزلُه، فألحَّت عليه، فعزله عن الشَّرقية وولَّاه قضاءَ الكوفة، فأقام ثلاثَ عشرةَ [سنة] قاضياً عليها، وعلى بغدادَ سنتين.

[وكان حفصٌ يقوم الليل][1] ومات وعليه سبعُ مئة درهمٍ دَين، وكان يقول: واللهِ [الذي لا إله إلَّا هو] ما وليت القضاءَ حتى حلَّت لي المَيتة.

ولمَّا ولي القضاءَ قال أبو يوسفَ لأصحابه: اكسروا دفتراً واكتبوا فيه نوادرَ[2] حفص، فمرَّت قضاياه في أحكامه مثل القِدح[3]، فقيل لأبي يوسفَ في ذلك، فقال: ما أصنع بقيام الليل، إنَّ حفصاً أراده اللهُ فوفَّقه. يعني أنَّ حفصاً كان يقوم الليل.

[ذِكر وفاته:

قد حكينا عن ابن سعدٍ أنَّه مات في سنة أربعٍ وتسعين ومئة[4]. وصلَّى عليه الفضلُ بن العباس وهو يومئذٍ على الكوفة.

وروى الخطيب[5] عن عمرَ بنِ حفص بن غياثٍ قال:] لمَّا حضرت أبي الوفاةُ أُغمي عليه، فبكيت عند رأسه، فأَفاق فقال: ما يُبكيك؟ قلت: أبكي على فراقك ولِمَا دخلتَ فيه من هذا الأمر، يعني القضاء، فقال: لا تبكِ؛ فإنِّي ما حَلَلْتُ سَراويلي على حرامٍ قطّ، وما جلس بين يديَّ خصمان فباليتُ على مَن توجَّه الحقُّ بينهما.

[وقال خليفة[6]: مات حفصٌ سنةَ أربعٍ وتسعين ومئة. وقيل: سنةَ خمسن وتسعين ومئة] أسند حفصٌ عن عبيد الله بن عمرَ العُمريِّ وغيره، وروى عنه الإمامُ أحمد رحمةُ الله عليه وغيرُه، واتَّفقوا على صدقه وأمانتِه وورعه رحمةُ الله عليه.

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب).
(٢) في (خ): نوال، والمثبت من تاريخ بغداد ٩/ ٧٤ .
(٣) القدح: السهم قبل أن يراش وينصل. القاموس المحيط (قدح).
(٤) في (خ): وقيل: إنه مات سنة خمس أو ست أو تسع وستين ومئة، والمثبت من (ب).
(٥) في تاريخه ٩/ ٧٠ . وما بين حاصرتين من (ب).
(٦) في طبقاته ص١٧٠. وما بين حاصرتين من (ب).

[سَلم بن سالم

أبو محمَّد، وقيل: أبو عبدِ الله(١)، البَلْخي.

قال الخطيب: قدم بغدادَ وحدَّث بها، وكان مذكوراً بالعبادة والزُّهد، مكث أربعين سنةً لم يُفرَش له فراش، ولم يُرَ مفطراً إلا يومَ فطر أو أضحى، ولم يرفع رأسَه إلى السماء حياءً من الله أكثرَ من أربعين سنة، وحجَّ مراراً فلم يستند إلى مَحمِلٍ ولا غيرِه.

وحكى الخطيب(٢) أيضاً عن أبي مُقاتلٍ السَّمَرْقَنْديِّ أنه قال: سلمٌ عينٌ من عيون الله تعالى في الأرض، وهو في زماننا كعمرَ بن الخطابِ في زمانه.

وكان آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، صارماً في ذلك، قدم بغدادَ فرأى فيها المُنكَرات، فشنَّع على هارون، فأخذه وحبسه، وقيَّده باثني عشرَ قيداً، فكلَّمه فيه أبو معاوية الضَّرير، وقال: تقيِّد مثل هذا الرجلِ باثني عشرَ قيداً! فقال هارون: أليس هو القائلَ في المسجد الحرامِ: لو شئتُ لضربت هارونَ بمئة ألفِ سيف؟ فخفَّف عنه وبقي أربعةُ قيود.

وكان مجابَ الدَّعوة، وكان يدعو ويقول: اللهمَّ لا تُمتني في حبس هارونُ. فمات هارون فأخرجه محمَّد، وقيل: زبيدة، وكانت وفاته في سنة أربعٍ وتسعين ومئةٍ عند أهله.

قال الخطيب: قال ابن خراش: كان أسلمُ ظاهرَ الخُشوع، يلْبَس الصوفَ، ويركب الحمار، ويَعِظ ويحدِّث(٣)، فكان يقول في حبسه: اللهمَّ لا تُمتني في حبس هارون، واجمع بيني وبين أهلي، فلمَّا مات هارون أُخرج، فأتى مكةَ فوافى أهلَه بها قد حجُّوا، فمرض، فاشتهى الجَمَدَ أبو البَرَد، فمطرت السماءُ بَرَداً، فأكل، ومات في ذي الحِجَّة بين أهله.

(١) كذا في (ب)، وفي تاريخ بغداد ١٠/ ٢٠٢، والمنتظم ١٠/ ٨: أبو عبد الرحمن، وانظر تاريخ الإسلام ٤/ ١١٢٠، والسير ٩/ ٣٢١. والترجمة غير موجودة في (خ) وكذا التي بعدها.

(٢) في تاريخه ١٠/ ٢٠٤.

(٣) أخرجه في تاريخه ١٠/ ٢٠٨ بنحوه عن كتاب أحمد بن أبي علي، وأخرج عن ابن خراش قوله: سلم بن سالم ليس بشيء.

شَقيق بن إبراهيمَ البَلْخي

أبو عليٍّ الأزديّ[(١)]. أحد مشايخ الصُّوفيةِ بخُراسان. كان له لسانٌ في التوكُّل، وهو أول من تكلَّم في علوم الأحوالِ بخراسان، صحب إبراهيمَ بن أدهمَ وأخذ الطريقةَ عنه، ولقي سفيانَ الثوريَّ وعبَّاد بن كثيرٍ وغيرَهم، وهو أستاذ حاتمٍ الأصمّ.

ذِكر سببِ توبة شقيق:

روى أبو نُعيم الحافظُ بإسناده[(٢)] إلى عليِّ بن محمَّد بن شَقيق قال: خرج جدِّي شقيقٌ إلى بلاد الترك في تجارةٍ وهو حَدَث، فدخل بيتَ الأصنام، فقال لعالِمِهم: إنَّ هذا الذي أنتم فيه باطل، ولهذا الخلقِ خالقٌ ليس كمثله شيء، وهو رازقُ كل شيءٍ. فقال له العالم: ليس يوافق قولَك فعلُك، قال: ولم؟ قال: زعمتَ أنَّ لك خالقاً رازقاً وقد تَعَنَّيتَ إلى هاهنا لطلب الرِّزق! قال شقيق: فوقع في قلبي كلامُه، فرجعت فتصدَّقت بجميع ما أملك وطلبت العلم.

قال عليُّ بن محمَّد: وكان لجدِّي شقيقٍ ثلاثُ مئة قرية، ولم يكن له يومَ مات كفن، قدَّم ذلك كلَّه بين يديه، وسيفُه إلى الساعة معلَّق يتباركون به.

وذكر ابنُ خميسٍ في «مناقب الأبرار» معنى هذه الحكايةِ وقال: كان شقيقٌ من أبناء الأغنياء، خرج إلى بلاد التُّرك في تجارة، فدخل بيتَ الأصنام، فرأى خادمَها قد حلق رأسَه ولحيته، ولبس ثياباً أُرجوانية، فقال له: ما هذا! وذكر الحكايةَ وقال: قال شقيق: فنفعني اللهُ بكلام التُّركي. فكان سبب تزهُّده[(٣)].

ذكر طرف من أخباره:

حكى أبو نُعيم[(٤)] عنه أنه قال: خرجت عن ثلاث مئةِ ألف درهم، وكنت مرابياً، ولبست الصوفَ عشرين سنة وأنا لا أعلم، فلقيت عبدَ العزيز بن أبي رَوَّاد، فقال لي: يا

---

(١) تفردت نسخة (ب) بهذه الترجمة كما سلف التنبيه على ذلك في ترجمة سلم، وقد تقدمت ترجمته مطولة في سنة (١٥٣هـ) مثبتة عن نسخة (خ) فقط، وذكرنا هناك أنه تابع في إثباتها جدَّه، وانظر طبقات الصوفية ٦١، حلية الأولياء ٨/ ٥٨، تاريخ دمشق ٨/ ٩٤ (مصورة دار البشير)، المنتظم ٨/ ١٧٠، صفة الصفوة ٤/ ١٥٩، مناقب الأبرار ١/ ١٧٩، تاريخ الإسلام ٤/ ١١٢٧، السير ٩/ ٣١٣.

(٢) في حلية الأولياء ٨/ ٥٩، وعنه التوابين ١٧٩ .

(٣) مناقب الأبرار ١/ ١٧٩.

(٤) في الحلية ٨/ ٥٩.

شقيق، ليس الشأنُ في أكل الشعير، ولا في لُبس الصوف، إنما الشأنُ في المعرفة، وأن تعبدَ الله خالصاً، ثم قرأ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ [الكهف: ١١٠]الآية. وفي رواية: يا شقيق، إنَّما الشأن في معرفة الله، فاعبده ولا تشركْ به شيئاً، ثم كن راضياً عنه، ثم كن أوثقَ بما في يديه من يد المخلوقين.

وقال السُّلمي: قال شقيق: لقيت سفيانَ الثوريَّ وأخذت لباس الدُّون منه، كان عليه إزارٌ قدرَ أربعة أذرع، ثمنه أربعةُ دراهم، إذا جلس جلس متربعاً[١] مخافةَ أن تبدوَ عورته، وأخذت الخشوعَ من إسرائيلَ بنِ يونس، كان لا يعرف يمينَه من شِماله، ولا تُذكَر الدنيا بين يديه، وأخذت التقلُّل من ورقاءَ بنِ عمرَ المدائني، كان يسمع عليه تفسير القرآن، فيتغدَّى بخبز الشعيرِ والخلِّ والزيت، وأخذت الزهدَ من عبَّاد بن كثير، كان يدخل بيته وفيه القدور تغلي بالحامِض والحلو، فأنكرت ذلك، فقال لي خادمٌ له: واللهِ إنَّه منذ سبعِ سنين لم يأكل لحماً، وإنما يُطعم هذه القدورَ الفقراءَ والمساكين والزَّمنى ومَن لاحيلة له، وأخذت التوكُّل من إبراهيمَ بن أدهم، كان يُهدَى إليه الشيءُ فيتصدَّق به، فيقال له: هلَّا ادَّخرت منه شيئاً لإفطارنا، فيقول: أَمَا تخافون من عقوبة المولى؛ لطول آمالكم وسوء ظنِّكم بربِّكم؟! فثقوا به وأَحسِنوا الظنّ، فما عندكم يَنفَد وما عند اللهِ باق، وأخذت الفقهَ من زُفرَ[٢] بن الهُذَيل، ما ناظره أحدٌ إلا رحمناه

وحكى أبو نُعيم[٣] عن حاتم الأصمِّ قال: كنَّا مع شقيقٍ في مصافِّ الترك، في يومٍ لا أرى فيه إلَّا رؤوساً تَندُر[٤] وسيوفاً تقطع، فقال لي ونحن بين الصفَّين: يا حاتم، كيف ترى نفسَك في هذا اليوم؟ مثلَ الليلة التي زُفَّت فيها إليك امرأتُك؟ فقلت: لا والله، فقال: ولكني واللهِ أرى نفسي مثلَ تلك الليلة، ثم ألقى دَرَقَته[٥] تحت رأسه ونام حتى سمعتُ غطيطَه.

---

(١) في (خ): مربعاً، والمثبت من تاريخ دمشق ٨/ ٩٧ (مخطوط)، وقد أخرجه من غير طريق السلمي.

(٢) تحرف في (خ) إلى: زين، وانظر سير أعلام النبلاء ٩/ ٣١٥.

(٣) في الحلية ٨/ ٦٤.

(٤) أي: تسقط.

(٥) الدرقة: الترس من جلد ليس فيه خشب ولا عقب. المعجم الوسيط (درق).

وحكى ابنُ خميسٍ في «المناقب» أنَّه كان يعاشر الفتيان، وكان عليُّ بن عيسى بنِ ماهان أميراً على خراسان، وكان يومئذٍ ببَلْخ، وله كلابُ صيد، وكان مغرًى بهنّ، ففقد كلباً من كلابه وفي عنقه قِلادةٌ من ذهب، فسُعي برجل من جيران شقيقٍ أنه عنده، فطُلب الرجل، فدخل دارَ شقيقٍ مستجيراً به، فمضى شقيقٌ إلى الوالي وقال: [خلُّوا][١] عن الرجل، إنَّ الكلب في ضماني، أردُّه إليكم بعد ثلاثة أيام، فلمَّا ذهب يومان من الثلاثة، قدم رجلٌ من تجَّار بلخ من سفر، فرأى الكلبَ في البرية وفي عنقة القِلادة، وكان صديقاً لشقيق، فبعثه إليه، فسُرَّ به وبعث به إلى الوالي، فبرئ الرجل، فانتبه شقيقٌ وسلك طريقَ الزهد.

وحكى عنه أبو نُعيمٍ أنه قال: بلغني عن رجلٍ من المنقطعين بالبصرة، قال: فدخلت عليه، فقال: مَن أنت؟ قلت: شقيقٌ البلخي، قال: مؤدِّب أهلِ خراسان المتوكِّل في التوكُّل؟ قلت: كذا يقال، قال: فما بلغ من توكُّلك؟ قال: استوى عندي العِمران والخراب، فنظر إليَّ كالمُنكِر عليَّ وقال: إنَّما يَشكُّ في الرِّزق مَن يشكُّ في الخالق، فلو كنتُ طيراً لمَا[٢] استحللتُ أن أطيرَ فوق دارٍ أنت ساكنها.

وحكى السُّلمي عنه قال: حججت، فبتُّ ليلةً في المسجد الحرام حيالَ الكعبة، ونزل مَلَكان من السماء فوقفا عليّ، فقال أحدُهما للآخر: كم حجَّ العام، فقال له الآخَر: ثلاثة أنفس، فقال: هذا فيهم؟ وأشار إليّ، قال: لا، قال: ولم؟ قال: له ثوبان. قال: فلمَّا كان العامُ المقبل، حججت في عَباءٍ ونمت في ذلك المكان، وإذا بهما قد نزلا، فقال أحدهما للآخَر مثلما قال في العام الماضي، فقال له: وشقيقٌ فيهم؟ قال: نعم، وقد شفَّعه اللهُ في جميع مَن حجّ[٣].

ذِكر نُبذةٍ من كلامه:

حكاه عنه أبو نُعيم والسُّلمي وابن خميسٍ في «المناقب»[٤] وغيرُهم، روى عنه حاتمٌ

(١) زيادة يقتضيها المعنى، وفي تاريخ دمشق ٨/ ٩٦، ومناقب الأبرار ١/ ١٨١: خلوا سبيله.

(٢) في (ب): لم.

(٣) هذا الخبر وسابقه في مناقب الأبرار ١/ ١٨٤، ١٨٥.

(٤) انظر حلية الأولياء ٨/ ٥٨ فما بعد، وطبقات الصوفية ص٦١ فما بعد، ومناقب الأبرار ١/ ١٨٤ وما قبلها وبعدها.

الأصمُّ قال: قال شقيق: قرأت أربعةً وعشرين كتاباً في التوحيد، فوجدت معانيهَا في قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢].

وقال حاتم: حجَّ شقيق، فقدم الكوفة، فلقيه سفيانُ الثوريُّ فقال له: أنت الذي تدعو إلى التوكُّل وتمنع من المكاسب؟ فقال شقيق: ما قلت، قال: فقال له: فكيف قلت؟ قال: قلت: حلالٌ وحرام [و] فيما بين ذلك، وإنَّما دخلت الآفةُ من الخاصَّة على العامة، وهم خمسُ طبقات: العلماء، والزهَّاد، والغزاة، والتجَّار، والملوك.

فأما العلماءُ، فهم ورثة الأنبياء، والأنبياءُ لم يورِّثوا ديناراً ولا درهماً، وإنَّما ورَّثوا العلم، فإذا كان العالِمُ طامعاً جامعاً، فالجاهل بمَن يقتدي! وأما الغُزاة، فهم الذين يَذبُّون عن الدِّين، فإذا كان الغازي يقعد عن الجهاد ويحبُّ الراحة، فمن يغزو! وأمَّا التجار، فهم أمناءُ الله في أرضه، فإذا كان الأمينُ خائناً، فبمن يقتدي المودع(١)! وأمَّا الملوك، فهم الرُّعاة، فإذا كان الراعي هو الذئبُ، فالذئب كلُّ ما وجده يأكله، فقد فسدت المكاسبُ وانسدَّت طرقها. فقال له سفيان: صدقت.

وقال حاتم: دخل شقيقٌ الرَّي، فأتاه فيها محمَّد بن مقاتل الرازي، فقال له: إن رأيتَ أن تجعلَ مقامك عندي أنت وأصحابُك إلى أن ترحلَ فافعل، فقال شقيق: أخاف أن تظهرَ مني على عيبٍ فتبعدني، ثم أرجع إليك فلا تقبلني، فدعني مع مَن أنا معه على العيوب، وهو يرزقني، وإذا اطَّلع مني على زلَّة سترني.

وقال حاتم: سأل شقيقٌ جعفرَ بن محمَّد الصادقَ عن التوكُّل، فقال: ما تقول أنت يا شقيق؟ فقال: إن أُعطينا شكرنا، وإن مُنعنا صبرنا، فقال جعفر: وكلابُ المدينةِ عندنا كذلك، فقال: فما تقول أنت يا ابنَ رسولِ الله ﷺ؟ فقال: إن مُنعنا صبرنا، وإن وجدنا آثرنا.

وقال شقيق: قرأت القرآن عشرين سنةً أميِّز بين الدنيا والآخرة، فوجدته في حرفين: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾(٢) [النحل: ٩٦].

---

(١) في تاريخ دمشق ٨/ ٩٩: فالخائن بمن يقتدي.

(٢) في طبقات الصوفية ص٦٤، والحلية ٨/ ٦٠، ومناقب الأبرار ١/ ١٨٠ مكانَ هذه الآية قولُه تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [القصص: ٦٠].

وقال: احذر الأغنياء؛ فإنَّك إن ملتَ إليهم بقلبك فقد اتَّخذتهم أرباباً من دون اللهِ تعالى.

وقال: ليس شيءٌ أحبَّ إليَّ من الضيف؛ فإنَّ رزقَه على الله، وأجره لي.

وقال: طهِّر قلبَك من أعراض الدنيا ليدخلَ فيه حبُّ الآخرة.

وقال: إذا شئت أن تكونَ في راحة، فكُلْ ما أصبت، والبَس ما وجدت، وارضَ بما قضى اللهُ عليك.

وقال: جعل اللهُ أهلَ طاعته أحياءً في مماتهم، وأهلَ معصيته أمواتاً في حياتهم.

وقال: لو أنَّ رجلاً عاش ألفَ سنةٍ ولم يعرف هذه الأربعةَ أشياء استحقَّ إعراضَ الله عنه: معرفةُ الله، ومعرفة نفسِه، ومعرفة علمِ الله، ومعرفة عدوِّه، فأمَّا معرفة الله، فإنَّه يعرفه في السِّر والعلانية، وأنَّه لا مانعَ ولا معطيَ سواه، وأما معرفةُ نفسه، فإنَّه يعرفها في ضعفه وعجزِه، وأنَّه لا يستطيع أن يردَّ عنها شيئاً قضاه اللهُ تعالى، وأما معرفة علمِ الله، فأن يعرفَ أنَّ اللهَ لا يقبل من الأعمال إلَّا ما كان خالصاً لوجهه، وعلامة الإخلاص ألَّا يطمعَ في أحدٍ من الناس، ولا يريدَ محمدتَهم، وأما معرفة عدوِّه، فهو إبليس، فيخالفه في جميع ما يأمره لينصرَه اللهُ عليه.

وقال: الفقر يقارنه ثلاثةُ أشياء: تعب النفْس، وشغلُ القلب، وشدَّة الحساب. والزُّهد يقارنه ثلاثة: فراغ القلب، وخفَّة الحساب، وراحةُ النفس. وقال: العبادة عشرةُ أشياء، تسعة منها في الهرب من الناس، وواحدةٌ في السكوت.

وحكى أبو نُعيم[١] عن حاتم قال: قال لي شقيق: اصحب الناسَ كما تصحب النار، خذ منفعتَها واحذر أن تحرِقَك.

ذِكر وفاتِه:

قال السُّلمي: استُشهد شقيقٌ في غَزاة كُولان[٢] في سنة أربعٍ وتسعين ومئة.

وحكى عن إبراهيمَ بن أدهم، وقد ذكرناه في ترجمته، وعن سفيان الثوريِّ وغيره].

---

(١) في الحلية ٨/ ٧٧.

(٢) في (ب): كولاب، والمثبت من تاريخ دمشق ٨/ ١٠٢، والسير ٩/ ٣١٦. وكولان: بليدة طيبة في حدود بلاد الترك من ناحية بما وراء النهر. معجم البلدان، وانظر التعليق أول الترجمة.

أبو نَصْرٍ الجُهَيْني المُصاب

من أهل المدينة. [ذكر له الخطيبُ حكايةً عن] محمَّد بن إسماعيلَ بنِ أبي فُدَيك المدني [قال][١]: كان [عندنا بالمدينة رجلٌ مُصاب من جُهينةَ يقال له: أبو نصر] يجلس مكانَ أهل الصُّفَّة من مسجد رسولِ الله ﷺ لا يكلِّم أحداً، فإذا سئل عن شيءٍ أجاب بجوابٍ حسن، [قال:] فقلت له يوماً: يا أبا نصر، ما الشَّرَف؟ فقال: حملُ ما ناب العشيرة، أدناها وأقصاها، والقبولُ من محسنها، والتجاوزُ عن مسيئها، قلت: فما المروءة؟ فقال: إطعام الطعام، وإفشاء السلام، وتوقِّي الأدناس، قلت: فما السَّخاء؟ قال: جهد المُقِلّ، قلت: فما البخل؟ فقال: أفّ، وحوَّل وجهه عني، فقلت: أما تجيبني؟ فقال: قد أجبتك.

قال: وقدم علينا هارون حاجًّا، فأُخلي له المسجد، فوقف على قبر رسول الله ﷺ وعلى منبره وفي موقف جبريل، واعتنق أُسطوانة التوبة[٢] ثم قال: قِفوا بي على أهل الصُّفَّة، فأتاهم، فحرِّك أبو نصر وقيل له: هذا أميرُ المؤمنين، فرفع رأسَه إليه وقال: أيها الرجل، إنَّه ليس بين عبادِ الله وأمَّة نبيِّه وخلقِه غيرُك، وإنَّ اللهَ سائلك، فأعدَّ للمسألة جواباً، وقد قال عمرُ بن الخطاب: لو ضاعت سَخْلةٌ[٣] بشاطئ الفرات لَخفت أن أُسألَ عنها، [قال:]وهارون واقفٌ يبكي، ثم قال: يا أبا نصر، إن رعيَّتي ودهري غيرُ رعيةِ عمر ودهرِه، فقال له: هذا واللهِ غير مُغْنٍ عنك، فانظر لنفسك، فإنَّك وعمرَ تُسألان عمَّا خوَّلكما الله فيه.

فدعا هارونُ بثلاث مئةِ دينار وقال: اِدفعوها إلى أبي نصر، فقال: لا أريدها، فقال: فرِّقها في أهل الصُّفَّة، فقال: اِدفعها إلى غيري يفرِّقْها، وإنَّما أنا رجلٌ منهم.

وكان أبو نصر يمشي[٤] كلَّ يوم في أزقَّة المدينةِ ويَعِظُ الناس، ثم يُلازم المسجدَ إلى الليل.

---

(١) في (خ): وقال محمد بن إسماعيل، والمثبت من (ب)، والحكاية أخرجها ابن الجوزي في المنتظم ١٠/ ٩-١٠ من طريق الخطيب، وذكرها في صفة الصفوة ٢/ ١٩٩ أيضاً.

(٢) تحرفت في المنتظم إلى: النبوة.

(٣) السخلة: ولد الغنم من الضأن والمعز ساعة وضعه ذكراً كان أو أنثى. مختار الصحاح (سخل).

(٤) في (ب): وذكر الحكاية وأنه كان يمشي.

السنة الخامسة والتِّسعون بعد المئة

فيها أمر محمَّد بإبطال الدراهمِ والدنانيرِ التي ضربها المأمونُ بخراسان[(١)]، وأَظهر خَلعَ المأمون والوقيعةَ فيه، وكان ذلك عن رأي الفضلِ وبكر بنِ المُعْتَمر، فقال شاعر[(٢)]: [من المتقارب]

أَضــاعَ الــخــلافــةَ غِــشُّ الــوزيــر ولَـعْـب[(٣)] الأمـيـرِ وجـهـلُ الـمُـشـيـر

فــفــضــلٌ وزيــر وبَــكــرٌ مُــشــيــر يُـريـدان مـا فـيـه قَـصْـمُ الـظُّـهـور[(٤)]

ومــا ذاك إلَّا طــريــقٌ[(٥)] غــرورٍ وشــرُّ الـمَـســالـك طُـرْقُ الـغُـرور

وأَعــجــب مــن ذا وذا أَنَّــنــا نُـبـايـع لـلـطِّـفـل فـيـنـا الـصَّـغـير

ومــا ذاك إلَّا انــقــلابُ الــزَّمــان أفـي الـعِـيـر هـذا [ن] أم فـي الـنَّـفـير

من أبيات

ولمَّا بلغ المأمونَ أنَّ الأمين سمَّى موسى الناطقَ بالحق، تسمَّى بإمام المؤمنين[(٦)]، وخُطب له بذلك.

وكان الأمينُ قد كتب إلى المأمون كتاباً قبل ذلك وأردفه بكتب مترددةٍ يحذِّره الخلاف، ويتوعَّده على ذلك، فكتب إليه المأمون: أما بعد: فإنَّك أردتني على خلاف

(١) بعدها في (ب): لأن المأمون كان أسقط اسم محمد منها. وفيها قتل علي بن عيسى بن ماهان، وفيها ظهر السفياني بدمشق.
وسيأتي خبر السفياني بعد تسع صفحات.

(٢) هكذا ذكره مبهماً الطبري في تاريخه ٨/ ٣٨٩، ٣٩٦ وابن الأثير في الكامل ٦/ ٢٤٥، والذهبي في تاريخه ٤/ ١٠٣٤، وسماه صاحب مروج الذهب ٦/ ٤٣٨ علي بن أبي طالب رجلاً أعمى، وسماه صاحب الوافي بالوفيات ٢٤/ ٤١ يوسف بن محمد الحربي شاعر طاهر بن الحسين.

(٣) في تاريخ الطبري وابن الأثير والمسعودي: وفسق، وفي الوافي: وحمق.

(٤) في المصادر: حتف الأمير.

(٥) في (خ): طريقا، والمثبت من المصادر.

(٦) كذا في المنتظم ١٠/ ١١، وتاريخ الإسلام ٤/ ١٠٣٤، والبداية والنهاية ١٤/ ٦١، وفي تاريخ الطبري ٨/ ٣٨٩: إمام الهدى.

ما تعلم من الحقّ، ولَعمري لو أنصفتَ لانبسطتْ بالحجَّة مطالعُ مقالتك، ولكنتُ مَحْجوجاً بمُفارقتك وما يجب من طاعتك، وأنا مُذْعِنٌ بها، فأَولى بك أن تأخذَ بالحقِّ في أمري، وإن أَبيت، قام الحقُّ بمَعْذِرَتي، وهل أحدٌ فارق الحقَّ فأبقى فعلُه مَوضعَ ثقةٍ لقوله.

وكتب إلى ابن ماهان: من عبد الله المأمونِ إلى عليِّ بن عيسى: أما بعد: فإنَّك في ظلِّ دعوةٍ لم تزل أنت وسَلَفُك بمكان ذَبٍّ عن حريمها، والعنايةِ بحفظها ورعاية حقِّها، توجبون ذلك لأئمَّتكم، وتعتصمون بحبل جماعتِكم، وتُعطون الطاعةَ من أنفسكم، وتكونون يداً على مَن خالفكم، وسِلماً لمَن وافقكم، لا ترون شيئاً أبلغَ في صلاحكم من الأمر الجامعِ لأُلفتكم، ولا أحرَى لبوَاركم ممَّا دعا إلى شَتات كلمتِكم، ترون مَن رغب [عن][1] ذلك جائراً عن القَصْد، ومَن أمَّه على منهاج الحقّ، ولقد كانت الأئمةُ تُنزلكم من ذلك حيث أنزلتم أنفسَكم بقُربكم، حتى بلغ اللهُ بك من نفسك أنَّك كنت قَريعَ أهلِ دعوتك، والعَلَمَ القائمَ بمعظم أمر أئمَّتك، حتى حَلَلْتَ بالمَحَلِّ الأعلى، والمقامِ الأسنى، وإنَّ الله لا يغيِّر ما بقومٍ حتى يغيِّروا ما بأنفُسهم، وقد علمتَ ما أخذه أميرُ المؤمنين على الخاصَّة والعامَّة من العهود والمواثيق. وذكر كلاماً طويلاً.

وكان الفضلُ بن سهل قد دَسَّ دَسيساً إلى الفضل بنِ الربيع، فكان يثق به ويشاوره في أمره، وكان الدَّسيسُ يُطالع الفضلَ بن سهل بما يتجدَّد كلَّ وقت، فلما تيقَّن الفضلُ بن سهل أنه لابدَّ للأمين من الحرب، بعث إلى الدَّسيس يقول: تلطَّف للفضل بنِ الربيع وأَشِر عليه أن يكون المتولِّيَ لحرب المأمونِ عليُّ بن عيسى بنِ ماهان. وإنما خصَّ ابنَ ماهان لسوء برِّه[2] في أهل خراسان، وظلمِه لهم، وبغضِهم له. فشاور الفضلُ الدسيسَ في ذلك فقال: وأين أنت عن عليِّ بن عيسى في طول ولايتِه على خراسانَ، وسخائه وصنائعِه فيهم! ثم هو شيخُ الدعوة وبقية الشِّيعة[3].

فاتفق الفضلُ ومحمَّد وبكرٌ وغيرهم على توجيهه، فدعاه الأمين، فعقد له خمسين

(١) ما بين حاصرتين من تاريخ الطبري ٨/ ٣٩٧.
(٢) في تاريخ الطبري ٨/ ٣٩٩: أثره.
(٣) في تاريخ الطبري: المشايعة.

ألفَ فارس وراجلٍ من أهل بغداد، ومكَّنه من الأموال والخزائن، فأعطاه لنفسه مئتي ألفِ دينار، ولابنه خمسين ألفاً، وأعطاه لأجل الإنفاقِ في الجند ألف ألفِ دينار، ومن السيوف المُحَلَّاة ألفي سيف، ومن الثياب ستةَ آلاف ثوبٍ للخلع، وسلاحاً كثيراً وخِيَماً وخيلاً، وغيرَ ذلك، وعقد له على كُور الجبال وهَمَذانَ والرَّيِّ ونَهاوَنْدَ وقُمَّ وقاشانَ وأصبهانَ وجميعِ خراسان.

فخرج من بغدادَ ليلةَ الجمعةِ لأربعَ عشرةَ خلت من جُمادى الآخرة، وأعطاه الأمينُ قيداً من ذهب وقَيْداً من فضَّة ليقيِّدَ بهما المأمون. وقيل: خرج لسبع ليالٍ خلون من شعبان، فعسكر بالنَّهْرَوان، ولمَّا أراد الخروج، جاء إلى باب أمِّ جعفرٍ يودِّعها، فقالت له: يا علي، إنَّ أمير المؤمنين وإن كان ولدي، إليه تناهت شَفَقتي، وعليه تكامل حَذَري، فإنِّي على عبد الله مُنْعَطفةٌ مُشْفِقة؛ لما يحدث عليه من مكروهٍ وأذى، وإنما ابني مَلِكٌ نافس أخاه في سلطانه، وزاحمه على مافي يده، فاعرف لعبد اللهِ حقَّ والدِه[١] وإخوته، وإن قَدَرْتَ عليه فلا تَجْبَهْهُ بالكلام فإنَّك لست بنظيره، ولا تقتسرْه اقتسارَ العبيد، ولا توهنه بقيدٍ ولا غُلّ، ولا تمنع منه جاريةً ولا خادماً، ولا تعنِّف عليه في السَّير، ولا تساوِه في المسير، ولا تركب قبله، وإن خسّ[٢] عليك فلا ترادَّه. فقال: أَفعل جميعَ ما أردتِ به. ثم جلس محمَّد يومَ الجمعة في المقصورة، وجمع القوَّاد وبني هاشمٍ وأظهر خلعَ المأمون.

وقال الفضل بنُ الربيع: إنَّ عبد الله خالف الإمامَ وقطع عنه البريد، وأزال اسمَه من الدراهم والدنانيرِ والطُّرُز، وليس لأحدٍ في الخلافة حقٌّ مع أمير المؤمنين، لا لعبد اللهِ ولا لغيره، فبايِعوا لموسى ابنِ أمير المؤمنين، فبايَعوا، فقسم فيهم أموالاً كثيرة، ولمَّا خرج ابنُ ماهان، خرج معه الأمين يشيِّعه، وحشد معه الصنَّاع والفَعَلة وآلاتِ الحرب، فكان عسكرُه فراسخ[٣]، ولم يرَ أهلُ بغدادَ مثل ذلك العسكر.

ولمَّا سار عليُّ بن عيسى عن النَّهْرَوان، ودَّع الأمين، وترجَّل وقبَّل رِكابه، فترجَّل له

(١) في (خ): ولادته، والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ٤٠٦ .
(٢) في تاريخ الطبري: سفه.
(٣) في تاريخ الطبري: فرسخاً.

الأمين، ثم أوصاه بوصايا، منها أنَّه قال له: امنع جندَكَ من العَبَث والفسادِ بالرعية، والغارةِ على أهل القرى، وقطعِ الشجر وفسادِ الثمر، والتعرُّض للحريم، ومَن جاءك من أهل خُراسانَ فأكرِم مثواه، وأحسن جائزتَه، ولا تعاقب الأخَ بأخيه، وضع عنهم رُبعَ الخراج، ولا تؤمِّن أحداً رماك بسهمٍ أو طعنَ في أصحابك برمح، ولا تأذن لعبد اللهِ في المقام أكثرَ من ثلاثةٍ من اليوم الذي تظفر به فيه، وإن قاتلك فناجزْه، وإن هرب إلى خراسانَ فاتبَعْه بنفسك.

ولما أراد عليٌّ المسير قال له منجِّمه: لو انتظرتَ بمَسيرك صلاحَ القَمَر! فقال: أنا لا أدري ما ذلك، ومَن حاربَنا حاربناه، ومَن سالَمَنا سالمناه. وسار، فلمَّا جاوز حُلْوان، لقيته قوافلُ من خراسان، فقال: ما الخبر؟ فقالوا: إنَّ طاهر بنَ الحسين مقيمٌ بالرَّيِّ، يَعرض أصحابه ويتهيَّأ للقائك، فضحك عليٌّ وقال: وما طاهر! واللهِ ما هو إلَّا شوكةٌ من أغصاني، أو شَرارةٌ من ناري، وما مثلُ طاهرٍ من يتولَّى الحروب، وإنَّ السِّخال لا تقوى على النِّطاح للكِباش، وإنَّ الثعالب لا صبرَ لها على لقاء الأُسد.

ثم كتب كتاباً إلى ملوك الدَّيلم وجبالِ طَبَرِستان وما والاها من الملوك، يَعِدُهم بالصِّلات والجوائز، وأَهدى إليهم التيجانَ والأساورَ والسيوف المحلَّاة وغيرَها، وأمرهم أن يقطعوا طريقَ خُراسان، وأن يمنعوا المَدد أن يصلَ إلى طاهر، فأجابوه.

وكتب الأمين إلى أبي دُلَف العِجليِّ يأمره أن ينضمَّ بمن مَعه إلى عليّ، فأجابه، واجتمع مع عليٍّ خلقٌ عظيم، ولمَّا قَرُب من الرَّيِّ على يومين أو ثلاثة، قال له صاحب مقدَّمته: الرأي التحفُّظ وإذكاءُ العيون[1] والطلائع، وضربُ الخنادق؛ خوفاً من تبييت طاهر؛ فإنَّ ذلك أبلغُ في الرأي، وآنَسُ لقلوب الجند، فقال له عليّ: اسكت، فليس مثلُ طاهرٍ مَن يُستعَدُّ له بالمكايد، بل إنَّ حال طاهرٍ يؤول إلى أحد أمرين: إما أن يتحصَّن بالرَّي، فيبيِّته أهلها، فيكفونا مؤونتَه، أو يُدْبرَ راجعاً وقد قَرُبنا منه، فنأتي عليه. فقال له: إنَّ العساكر والحروبَ لا تُدَبَّر بالاغترار، والثقةُ الاحتراز، ولا تقل: المحاربُ لي طاهر؛ فإنَّ الشرارةَ الخفيةَ قد تصير ضِراماً، والبَلَّة[2] من السَّيل ربَّما

(١) إذكاء العيون: إرسالها. المعجم الوسيط (ذكو).

(٢) في تاريخ الطبري: الثلمة.

صارت بحراً، وقد قربنا من طاهر، فلو كان همُّه الهرب، لم يتأخَّر إلى يومه هذا. فقال ابنُ ماهان: إنما تتحفَّظ الرجال إذا لقيت أقرانَها، وتستعدُّ إذا كان المناوئُ لها أكفاءَها ونظراءها.

ثم سار حتى صار بينه وبين الرَّيِّ عشرةُ فراسخ، فسدَّ طاهرٌ أبواب الرَّي، وأذكى العيون، واستعدَّ لمحاربته، واستشار أصحابه فقالوا: الرأيُ مقامنا بالرَّي، وندافع بالقتال إلى أن يأتيَنا المَددُ من خُراسان، فإنَّ مقامنا بالري أرفقُ بنا. فقال طاهر: ليس هذا برأي؛ فإنَّ أهل الريِّ[1] لابن ماهانَ هائبون، ومن سَطوته مُشفقون، ومعه مَن قد علمتم من أعراب البوادي، وصعاليكِ الجبل، ولفيفِ القُرى، ولست آمَن أن يهجمَ الريَّ فيُعينه أهلُها علينا خوفاً منه، مع أنَّه لم يكن قومٌ قطُّ زوحموا في ديارهم إلا ذلُّوا ووهنوا، وذهب عزُّهم[2] واجترأ عليهم عدوُّهم، والرأي أن نخرجَ من الريِّ ونجعلَها وراءَ ظهورنا، فإن أعطانا اللهُ الظَّفَر، وإلَّا دخلنا فتحصَّنَّا بها إلى أن يأتيَنا المددُ من خراسان. فقالوا: الرأيُ ما رأيت.

فخرج بأصحابه، فعسكر على خمسة فراسخَ من الرَّيِّ بقرية يقال لها: كلوص[3]، وقال عليُّ بن عيسى لأصحابه: بادروا القوم؛ فإنَّ عددهم قليل، ولو قد زحفتم إليهم لم يكن لهم صبرٌ على طعن الرِّماح وحرارة السيوف.

ثم عبَّأ جنده ميمنةً وميسرةً وقلباً، وصيَّر في كلِّ ناحيةٍ من النواحي جمعاً عظيماً، وتقابل الفريقان، وقد رتَّب عليُّ بن عيسى أصحابه كراديسَ كراديس، وقدَّم بين يديه عشرَ رايات، في كلِّ راية رجالٌ[4] من أهل النَّجدة، راية خلف راية، وجعل أبا دُلَفٍ العجليَّ في الميمنة، وقائداً كبيراً في الميسرة، ووقف هو في القلب.

وجعل طاهرٌ على ميمنته المأموني، وعلى ميسرته الرُّسْتُمي، ووقف هو في القلب، وكان جميعُ عسكرِ طاهر أربعةَ آلاف، وعسكرُ ابنِ ماهان يقارب ثمانين ألفاً، وجعل

---

(١) في (خ): الرأي. والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ٤٠٩.

(٢) في (خ): غيرهم. والمثبت من تاريخ الطبري.

(٣) في تاريخ الطبري: كلواص، وفي نسخة منه: كلوص، كما هنا.

(٤) في تاريخ الطبري ٨/ ٤١٠: ألف رجل، وفي الكامل ٦/ ٢٤٣: مئة رجل.

طاهرٌ يمرُّ[1] بين الصفوف والكَراديسِ ويقول: يا أهلَ الوفاءِ والشكر، إنَّكم لستم كهؤلاء أهلِ الغَدْر والنَّكْث، إنَّ هؤلاء ضيَّعوا ما حفظتم، وصغَّروا ما عظَّمتم، ونكثوا الأَيمان التي[2] رعيتم، وإنَّما يقاتلون على الباطل والجهل، أصحابُ نهب وسلب، فجاهِدوا طواغيتَ الفتن، ويعاسيبَ النار، وادفعوا بحقِّكم باطلَهم، وإنمَّا هي ساعةٌ حتى يحكمَ اللهُ بيننا وهو خيرُ الحاكمين.

فبينما هم كذلك، وَثَب أهل الرَّي فأغلقوا أبوابَ المدينة، فنادى طاهر: يا أولياءَ الله، اشتغلوا بمن أمامَكم عمَّن وراءكم؛ فإنَّه لا يُنجيكم إلا الصدقُ والصبر.

ثم اقتتلوا قتالاً شديداً، وصبر الفريقان، فقال أحمدُ بن هشامٍ لطاهر: دعني أذكِّر ابنَ ماهانَ العهودَ والمواثيق التي أخذها علينا المأمون، يعني أهلَ خراسان، فقال: افعل، فجعل الورقةَ التي فيها البيَعة والأَيمان على رأس رمح، ووقف بين الصفَّين ونادى: يا ابنَ ماهانَ، ألا تتَّقي الله! أما هذه العهود التي أخذتَها علينا للمأمون، خَفِ الله، فقد بلغت بابَ قبرك.

وكان ابنُ ماهانَ قد ضربه ألفَ سَوط[3]، فقال: مَن جاء به فله ثلاثةُ آلافِ درهم، فرجع إلى عسكر طاهر، وبرز رجلٌ من عسكر ابنِ ماهان يقال له: حاتم الطائي، من أشدِّ الناس، فشدَّ عليه طاهرُ بن الحسين وقد أمسك سيفَه بيديه، فضربه فقدَّه نصفين، فكان الفتحُ في تلك الضَّربة، وفي ذلك اليومِ لقِّب طاهرٌ ذا اليمينين؛ لأنَّه أخذ السيفَ بكلتا يديه جميعاً.

وحمَلت ميمنةُ ابنِ ماهان على ميسرة طاهرٍ ففضَّتها، وميسرتُه على ميمنة طاهرٍ فأزالتها عن مواضعها، فقال طاهر: هذا ما لا قِبَلَ لنا به، فاقصدوا القلبَ بأجمعنا، واحملوا على أصحاب الرَّايات، وجعل بين يديه ألفين من الرُّماة الخُوارِزْميَّة، فحملوا، فرجعت أوائلُ الراياتِ على أواخرها، وانهزموا وكَثُرَ فيهم القتل.

ورجعت الرايات إلى عليٍّ وهو في القلب، فجعل ينادي: أين أصحابُ الحفاظ،

(١) في (خ): يميز، والمثبت من تاريخ الطبري.

(٢) في (خ): الذي.

(٣) في تاريخ الطبري ٨/ ٣٩٣: أربع مئة سوط.

أين أصحاب الأساور [و] الأكاليل؟! يا معاشرَ الأبناء، الكَرَّةَ بعد الفَرَّة. فما عرَّجوا عليه، وأخذتهم السيوفُ والرماح، وهبَّت ريحٌ شديدة، فكانت الدَّبْرة على ابن ماهان، وكان على فرسٍ أَرحَل(١) - حمله عليه محمَّد، وذلك يُكره في الحرب ويدلُّ على الهزيمة - فحمل عليه رجلٌ يقال له: داود سياه وهو لا يعرفه، فضربه بالسيف فصرعه، ورآه طاهرُ بن التاجيّ - ويسمَّى طاهراً الصغير - فعرفه، فقال: أنت عليُّ بنِ عيسى؟ قال: نعم، ظناً منه أنَّه يهابه، فنزل فذبحه وجاء برأسه إلى طاهر بنِ الحسين، فلما رآه نزل فسجد وأعتق كلَّ مملوكٍ له ممَّن كان بحضرته، وتبعهم عسكرُ طاهرٍ فرسخين، واستولى طاهرٌ على الأموال والسلاحِ والخزائن والرَّقيق والدوابِّ وغيره، وأخذ جُثَّةَ ابن ماهان، فلفَّها في لِبْدٍ وألقاها في بئر، وكتب إلى المأمون بالفتح، وبعث برأس ابن ماهانَ وخاتمِه إليه، وكانت الوقعةُ بمكان يقال له: مُشْكُويه، بينه وبين الرَّيِّ سبعُ فراسخ، فسار البريد من الرَّيِّ إلى مروَ في أربعة أيام(٢)، وبينهما [خمسون] ومئتا فرسخ، ورجع طاهرٌ إلى الريِّ بعد أن نادى: مَن طرح سلاحَه فهو آمن، ففعلوا ونزلوا عن دوابِّهم، وكان عبدُ الله بن عليِّ بنِ عيسى قد ألقى نفسَه بين القتلى، فلمَّا جاء الليل، قام من بينهم، وتبع(٣) جماعةً فلحق، وكان أكبرَ أولادِ علي(٤).

وقيل: إنَّ طاهرَ بن الحسين إنَّما كتب بالفتح إلى ذي الرِّياستين: أطال اللهُ بقاءك، وكبت أعدائك، وجعل مَن شَناك فِداك، كتبت إليك ورأسُ عليِّ بن عيسى بين يدَيّ، وخاتمُه في إصبعي(٥)، والحمدُ لله ربِّ العالمين. فدخل على المأمون فبشَّره، فأيَّد طاهراً بالرجال، وسمَّاه ذا اليمينين، وأمر بإحضار أهلِ بيته وقوَّاده ووجوهِ الناس، فدخلوا وسلَّموا عليه بالخلافة، وأعلن يومئذٍ بخلع محمَّد، وردَّ عليه رأسَ ابن ماهان،

(١) فرس أرحل: أبيض الظهر فقط. القاموس المحيط (رحل).
(٢) في الكامل ٦/ ٢٤٥: ثلاثة أيام. وما سيأتي بين حاصرتين منه، وانظر تاريخ الطبري ٨/ ٣٩٤.
(٣) في (خ): وتبعه، وهو خطأ، وفي تاريخ الطبري ٨/ ٤١١: فانضم إلى جماعة من فل العسكر ومضى إلى بغداد.
(٤) في تاريخ الطبري: وكان من أكابر ولده.
(٥) في (خ): إصبعه، والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ٣٩٤ والمنتظم ١٠/ ١٣.

فطيف به في كُوَرخُراسان، فقال [شاعرٌ من أهل خراسان][(١)]: [من السريع]

أصبحت الأمَّة في غِبطةٍ من أمر دنياها ومن دينها
إذ حفظت عهدَ إمامِ الهدى خيرِ بني حوَّاءَ مأمونِها

من أبيات، ولقَّب الفضلَ بن سهل ذا الرِّياستين، وفوَّض إليه أمورَه.

وقال جبريلُ بن بختيشوع: سمعت المأمونَ يقول: كان لي بخُراسان يومٌ عجيب، فأَولاني اللهُ فيه جميلاً؛ وذلك لأنَّه لَمَّا توجَّه طاهر بن الحسين للقاء عليِّ بن عيسى بن ماهان، على ما عرفتم من ضعف طاهرٍ وقوَّة ابن ماهان، فوقع في نفس عسكري أنَّ طاهراً ذاهب، وأنَّ ابن ماهانَ هو الغالب، ولحق عسكري إضاقةٌ شديدة، ونفذ ما كان بيدي، فلم يبق معي قليل ولا كثير، ولم أدرِ إلى أين أهرب، ولا إلى أين أجدّ، وكنت نازلاً في دار أبوابُها من حديد، ولي فيها مُسْتَشْرَفٌ أقعد فيه، وعددُ غلماني ستةٌ[(٢)] لا أملك غيرهم، فشَغَب الجندُ والقوَّاد، وطلبوا أرزاقهم، ووافَوا باب الدارِ يشتموني شتماً قبيحاً، وكان الفضلُ بن سهل جالساً عندي، فأمر بإغلاق الأبواب، وقال لي: قم واصعد إلى المستشرف، فقلت: وما ينفعني وهم يهجمون عليّ؟! فقال: قم واصعد، فو الله ما تنزل إلَّا خليفة، فجعلت أهزأ به، وطلبت أهرب من بعض الأبواب، فلم أجدْ سبيلاً، فقال: قم فاصعد، فصعدت، فلمَّا علم الجندُ بصعودي ازدادوا شتماً وسبًّا، فقلت للفضل: أنت الذي غَرَرْتَني بالصعود ولم تدعْني أعمل برأيي، فقال: واللهِ ما تنزل إلَّا خليفة، فازداد غيظي.

ونقبوا الجندُ الجدار، وجاؤوا بالشوك وأَحرقوا بعضَ الدار، ووصلت النارُ إلي، وخفت من الحريق، وهممت أن أُلقيَ نفسي بينهم لعلَّ إذا رأوني يستحيون مني، وجعل الفضل يقبِّل يدي ورِجلي ويقول: واللهِ ما تنزل إلَّا خليفة، والاسطرلابُ بيده، فلما اشتدَّ الأمر واستحكم الناس، قال لي: أتاك الفَرَج، أرى في الصحراء شيئاً قد أقبل ومعه فَرَجُنا فازددت غيظاً، وإذا بذلك الشيءِ قد قرب وهو يصيح: البشارة لي، قُتل عليُّ بن عيسى، وهذا رأسُه معي في المِخْلاة، فلمَّا رأى الجندُ ذلك سكنوا وخجلوا،

(١) ما بين حاصرتين من تاريخ الطبري ٨/ ٤١١.
(٢) في الفرج بعد الشدة ٢/ ٣٥١: ستة عشر غلاماً.

وأقبلوا على الدعاءِ والسرورِ بالفتح، وكان أوَّل من دخل عليَّ من القواد عليُّ بن عبد اللهِ الخُزاعي[١]، فقبَّل يدي وسلَّم عليَّ بالخلافة، وفعل الجميعُ كذلك، وأطفأ اللهُ النائرة، ووهب السلامةَ والعافية، وجاءتني الخلافة، وظَفِرت من أموال عليٍّ بن عيسى ما أصلحت به الجندَ وغيرهم.

ذِكر وصولِ الخبر إلى بغداد:

ووصلت الفلولُ إلى بغدادَ في شوَّال، وندم محمَّد على ما كان من غدره بأخيه.

وقال محمَّد بنُ يحيى النَّيسابوري: لما جاء نعيُ ابنِ ماهان إلى بغداد، كان محمَّد جالساً على جانب دجلةَ يصيد السمكَ هو وكوثرٌ خادمه، فأخبره بعضُ الخدم، فقال: دعني الساعة؛ فإنَّ كوثراً قد صاد سمكتين وأنا ما صدت شيئاً بعد[٢].

وأرسل الفضلُ بن الربيع إلى نوفلٍ خادمِ المأمون ووكيلِه على ولده وعيالِه وأهله فحبسه، وأخذ منه مئةَ ألفِ دينار، وقيل: ألفَ ألفِ درهم، وقبض ضياعَه وغلَّاتِه بالسَّواد وغيره، وولَّى عليها من قِبَله يُمْن الخادم، ودخل خُزَيْمَةُ بن خازم على الأمين وهو واجم، فقال له: ألم أنهَك عن خلع أخيك والبغيِ عليه ونقضِ العهود، وأن تجرِّئَ القوَّاد عليك وعلى مَن بعدك، وتحملَهم على النَّكث في الأيمان؟! فإنَّ الناكث مغلول، والغادرَ مجدول، وما نصحك مَن كذبك، ولا غشَّك مَن صدقك. ثم خرج وهو يقول: [من البسيط]

قد ضيَّع اللهُ ذَوداً أنت راعيها[٣]

ولما قُتل ابن ماهان قال القوَّاد: لا نشكُّ أنَّ محمَّداً سيحتاج الرجال، فلْيأمر كلُّ واحد منكم جندَه بالشَّغب وطلبِ الأرزاق والجوائز، فأصبحوا كلُّهم بباب الجسر، وشغبوا وطلبوا الأرزاقَ والجوائز، فركب خزيمةُ بن خازم[٤] في عسكره ونهاهم، فلم ينتهوا، واقتتلوا بالآجُرِّ والنُّشَّاب، وسمع محمَّد التكبيرَ والضجيج، فأُخبر الخبر، فأمر

(١) في الفرج بعد الشدة ٢/ ٣٥٣: عبد الله بن مالك الخزاعي.
(٢) تاريخ الطبري ٨/ ٣٩٥.
(٣) تاريخ الطبري ٨/ ٣٩٥.
(٤) كذا، والذي في المصادر: عبد الله بن خازم، انظر الحاشية التالية.

لهم بأرزاق أربعةِ أشهر، وأمر للقوَّاد والخواصِّ بالجوائز والصِّلات، فسكنوا وانصرفوا.

ثم وجَّه الأمينُ عبدَ الرَّحمن بن جَبَلَةَ الأنباريَّ[1] لحرب طاهرٍ في عشرين ألفاً من الأنبار، وقوَّاه بالأموال والسلاح، وولَّاه ما بين حُلوانَ إلى ما غلب عليه من أراضي خراسان، وندب معه أهلَ التدبير والنَّجدة، فسار حتى سبق طاهراً إلى هَمَذان، فنزل بها وخندق عليها، وحصَّنها وسدَّ ثُلَمها، واستعدَّ للقاء طاهر، وجاء طاهرٌ فحصره، فكان يخرج ويقاتله، وأقام أيَّاماً على القتال، وقطع عنهم المادَّة، وتأذَّى أهل همذانَ بالحصار، وخاف عبدُ الرَّحمن أن يثبوا به، فأرسل إلى طاهرٍ فطلب الأمانَ له ولمن معه، فأمَّنهم، فخرجوا من همذان، واستولى طاهرٌ عليها.

وفي رواية: قال عبدُ الرَّحمن لأصحابه: واللهِ إنَّ القتل أهونُ عليَّ من أمان طاهرٍ أو الهزيمة، ولكن اخرجوا بنا فلْنقاتل، فإنْ مِتنا متنا كراماً. فخرج بخواصِّه فاقتتلوا، فترجَّل هو وأصحابُه [وكسروا][2] جفونَ سيوفهم وقاتلوا، فقُتل عبدُ الرَّحمن، وكان شجاعاً، وقال بعضُ أصحابه يرثيه: [من الطويل]

ألَا إنَّما تبكي العيون لفارسٍ ... نفى العارَ عنه بالمَناصِل والقَنا
تجلَّى غبارُ الموت عن حُرٍّ وجهه ... وقد أحرز العَلْياءَ والمَجدَ واقْتَنى
فتًى لا يبالي إنْ دنا من مُروءَةٍ[3] ... أصاب مَصونَ النَّفْس أو ضَيَّع الغِنى
يقيم لأطراف الذَّوابل[4] سُوقَها ... ولا يَرْهَبُ الموتَ المُتاحَ إذا دنا

وقال الطبري: إنما قُتل عبد الرَّحمن بحُلوان، تبعه عسكرُ طاهرٍ فقاتل حتى قُتل، ورجع عسكرُه إلى بغداد، واستولى طاهرٌ على همذان، وطرد عمَّالَ محمَّد عن الجبال وتلك النواحي، ولم يبقَ لمحمَّد إلَّا من بغدادَ إلى حُلوان[5].

---

(١) كذا في الكامل ٦/ ٢٤٦، ونسخة من تاريخ الطبري ٨/ ٣٩٥، والمنتظم ١٠/ ١٤، وفي مطبوع الطبري ٨/ ٣٩٥ و٤١٢، وتاريخ الإسلام ٤/ ١٠٣٦، والبداية والنهاية ١٤/ ٦٢: الأبناوي.

(٢) ما بين معكوفين زيادة يقتضيها السياق، وانظر تاريخ الطبري ٨/ ٤١٦.

(٣) في (خ): لا يبالي إذن من مروءة، والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ٤١٧ .

(٤) الذابل من القَنا: الرقيق. اللسان (ذبل).

(٥) الذي في تاريخ الطبري ٨/ ٤١٢، ٤١٦: أن محمداً الأمين لما انتهى إليه قتل علي بن عيسى وجه عبد الرحمن =

وفيها ظهر السُّفياني بدمشقَ والشام -واسمُه عليُّ بن عبد اللهِ بن خالدِ بن يزيدَ بن معاويةَ بنِ أبي سفيان، [وكنيته][1] أبو الحسن- في ذي الحِجَّة، وطرد عاملَ محمَّد عنها -وهو سليمانُ بن أبي جعفر- بعد أن حصره بدمشقَ ثم أفلت منه.

وقال ابنُ عساكر: بويع له بالخلافة بدمشقَ في ذي الحِجَّة [من هذه السَّنة] وكانت دارُه بدمشقَ غربيَّ الرَّحبة[2]، ويُعرف بأبي العَمَيْطَر، وأمُّه نفيسةُ بنت عبيدِ الله بن العبَّاس بن عليِّ بنِ أبي طالب، وكان يقول: أنا السُّفياني، أنا ابن العِير والنَّفير، وابن شيخَي صِفِّين[3] [وسنذكره في سنة ثمانٍ وتسعين ومئة] فبعث إليه محمَّد الحسينَ بن عليِّ بنِ عيسى بن ماهان، فخاف منه، فأقام بالرقَّة ولم يقطع الفرات.

وحجَّ بالناس داودُ بن عيسى بنِ موسى بن محمَّد بن عليٍّ بن عبد الله بنِ العباسِ، وكان والياً على مكةَ والمدينة، وكان العاملَ على الكوفة العباسُ بن موسى الهادي، وعلى البصرة منصورُ بن المهدي، والمأمونُ بخراسان.

فصل وفيها توفي

إسحاقُ بن يوسفَ

ابنِ محمَّد، أبو محمَّد، الأزرقُ الواسِطيُّ[4].

كان من الثِّقات الصالحين، الفقهاءِ المحدِّثين، أقام عشرين سنةً لم يرفع رأسَه إلى السماء حياءً من الله تعالى. وكانت وفاتُه بواسط.

وكان ثقة، سئل عنه الإمامُ أحمد رحمةُ الله عليه: أثقةٌ هو؟ فقال: إي واللهِ ثقة.

قالت له أمُّه: يا بُني، قد عزمت على الحجِّ، وقد بلغني أنَّ بالكوفة رجلاً يستخفُّ

= في عشرين ألف رجل، وولاه حلوان إلى ما غلب عليه من أرض خراسان، فالتقى طاهراً بهمذان، ثم طلب منه الأمان فأمنه، ثم نكث وقاتل طاهراً، فقتل وهربت فلول جيشه إلى بغداد.

(١) ما بين حاصرتين من (ب).

(٢) رحبة الزبيب، كما في تاريخ دمشق ٥١/ ٢٣ .

(٣) يعني عليا ومعاوية ﵄. وانظر تاريخ دمشق.

(٤) تاريخ بغداد ٧/ ٣٢٤، المنتظم ١٠/ ١٥، تاريخ الإسلام ٤/ ١٠٦٩، السير ٩/ ١٧١، وهذه الترجمة والتي تليها ليستا في (ب).

بأصحاب الحديث، فأسألك بحقِّي عليك ألَّا تسمعَ منه شيئاً. قال إسحاق: فدخلتُ الكوفة، فإذا الأعمشُ قاعدٌ وحده، فوقفت على باب المسجدِ وقلت: أمِّي والأعمش، وقد قال النبيُّ ﷺ: «طلبُ العلم فريضةٌ على كلِّ مسلم»[١] فدخلت المسجد، فسلَّمت وقلت: يا أبا محمَّد، حدِّثني فإني رجلٌ غريب، قال: من أين أنت؟ قلت: أنا من واسط، قال: وما اسمُك؟ قلت: إسحاقُ بن يوسفَ الأزرق، قال: فلا حُيِّيتَ ولا حُيِّيت أمُّك، أليس حرَّجت عليك ألَّا تسمعَ مني شيئاً؟! قلت: يا أبا محمَّد، ليس كلُّ ما بلغك يكون حقًّا، قال: لأُحدثنَّك بحديثٍ ما حدَّثت به أحداً قبلك. فحدَّثني عن ابن أبي أَوفَى قال: سمعت رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «الخوارجُ كِلابُ أهلِ النار»[٢].

أسند إسحاقُ عن الأعمش والثوريِّ وخلقٍ كثير، وروى عنه الإمامُ أحمدُ رحمه الله وابنُ مَعين في آخَرين.

بكَّار بن عبدِ الله

ابن مصعبِ بن ثابت بن عبد الله بن الزُّبير، وأمُّه عبيدة[٣]، وهي أمُّ عبد الله بنتُ طلحةَ بنِ عبد الله بن عبد الرَّحمن بن أبي بكرٍ الصِّدِّيق.

وكان بكَّار مِدْرَهَ قريش، شرفاً وبياناً وجاهاً ولساناً. وكان عظيماً عند الرشيد، ولَّاه المدينة، فأَقام عليها والياً اثنتي عشرةَ سنةً وشهوراً، وكان الرشيد من إعجابه به يكتب إليه: من عبد الله هارونَ أميرِ المؤمنين إلى أبي بكرٍ[٤] بن عبد الله.

وكان جواداً مُمَدَّحاً، وكان عمَّاله على المدينة وجوه أهلها، فقهاً وعلماً ومروءةً وشرفاً، وكان متفضِّلاً على أهل المدينة، أخرج لهم ثلاثَ أُعطيات مقدارُها ألفُ ألفِ دينار ومئتا ألفِ دينار، كلُّ عطاء أربعُ مئة ألفِ دينار، وكلُّ ذلك على يده، ولم يكن بالمدينة بيتٌ إلا وقد دخله منه صَنيعُه. وكانت وفاتُه في ربيعٍ الآخِرِ[٥] رحمةُ الله عليه.

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٢٤) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد (١٩١٣٠)، وابن ماجه (١٧٣).

(٣) في (خ): عبدة، والمثبت من جمهرة نسب قريش ١/ ١٥٦.

(٤) في (خ): بكار، والمثبت من الجمهرة ١/ ١٦٤، والمنتظم ١٠/ ١٦، وتاريخ الإسلام ٤/ ١٠٨٦.

(٥) في المنتظم ١٠/ ١٦: الأول، وهو خطأ، فقد حدده الزبير بن بكار في جمهرته ١/ ١٨٧ فقال: توفي أبو بكر ابن عبد الله بن مصعب ليلة الاثنين لعشر بقين من شهر ربيع الآخر من سنة خمس وتسعين ومئة.

السنة السادسة والتسعون بعد المئة

فيها سار طاهرٌ يطوي البلاد، فنزل حُلوانَ بقريةٍ يقال لها: شلاشان[(١)]، فخندق بها[(٢)].

وفيها جهَّز الأمينُ أحمدَ بن مَزْيَدٍ وعبدَ الله بنَ حُمَيد بنِ قَحْطَبة. قال أسدُ بن يزيدَ بن مزيد الشَّيباني: دخلت على الفضل بنِ الربيع بعد ما قُتل عبدُ الرَّحمن الأنباريُّ وبيده رُقعةٌ قد قرأها، واحمرَّت عيناه واشتدَّ غضبه، وهو يقول: ينام نومَ الظَّرِبَان[(٣)]، وينتبه انتباهَ الذئب، همُّه بطنه، يُخاتل الرِّعاء والكلابُ تَرْصُده، لا يفكِّر في زوال نعمة، ولا يروِّي في إمضاء رأيٍ ولا مكيدة، قد ألهاه كأسُه، وشَغَله قَدَحُه، فهو يجري في لهوه، والأيام تُوضِع في هلاكه، قد شمَّر له عبدُ الله عن ساقه، وفوَّق له أصوبَ[(٤)] أسهُمه، يرميه على[(٥)] بعد الدِّيار بالحتف النافذ، والموتِ الناقع، قد عبأ له المنايا على متون الخيل، وناط له البلايا في أسِنَّة الرماح وشِفار السيوف، ثم استرجع وتمثَّل بشعر البَعيث[(٦)] من أبيات: [من الطويل]

طوَاه طِرادُ الخيل في كلِّ غارةٍ ... لها عارضٌ فيه الأسنَّة تُرزِمُ[(٧)]
يُقارع أبطالَ[(٨)] ابنِ خاقانَ ليلةً ... إلى أن دنا الإصباحُ ما يَتَلَعْثَمُ
فيُصبح من طُول الطِّراد مُسَهَّداً ... وأُضحي في طيب النَّعيمِ أُصَمِّمُ[(٩)]

(١) في (ب) و (خ): شاسلان، والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ٤١٧ و٤٣٢، وابن الأثير ٦/ ٢٦٢.
(٢) من هنا إلى قوله بعد صفحات: وفيها ولى الأمين عبد الملك بن صالح الجزيرة، ليس في (ب).
(٣) دويبة كالهرة منتنة. القاموس المحيط (ظرب).
(٤) في (خ): أصيب، والمثبت من تاريخ الطبري وابن الأثير ٦/ ٢٥٢.
(٥) في (خ): عن.
(٦) في (خ): العتب، والمثبت من تاريخ الطبري وابن الأثير.
(٧) في (خ): تردم، والمثبت من الطبري وابن الأثير. أرزم الرعد: اشتد صوته. القاموس المحيط (رزم).
(٨) في تاريخ الطبري وابن الأثير: أتراك.
(٩) في تاريخ الطبري ٨/ ٤١٩:

=

أُباكِرُها صَهْباءَ كالمِسْك ريحُها لها أَرَجٌ في دَنِّها حين تَرْشُمُ[(١)]
فشَتَّان ما بيني وبين ابن خالدٍ أُميَّةَ في الرِّزق الذي اللهُ يَقسم

ثم قال: يا أبا الحارث، إنا وإياك نجري إلى غايةٍ، إن قصَّرنا عنها ذُمِمْنا، وإن اجتهدنا [في] بلوغها قصَّرنا وانقطعنا، وإنما نحن شِعْبٌ من أصل، إنْ قوي قوينا، وإن ضَعُفَ ضَعُفْنا، وإنَّ هذا الرجلَ قد ألقى بيده إلقاء الأَمَة الوَكْعاء[(٢)]، يُشاور النِّساءَ في أمره، قد أمكن مَسامعَه من أهل اللهوِ والجَسارة واللَّعب، فهم يَعِدونه الظَّفرَ، ويمنُّونه النَّصر، والهلاكُ أسرعُ إليه من السَّيل إلى قِيعان الرَّمْل، وقد خشيتُ أن نهلكَ بهلاكه، ونَعْطَبَ بعطَبه، وأنت فارسُ العرب وابنُ فارسها، وقد فزع إليك هذا الرجل، وأطمعه[(٣)] فيما قِبَلك أمران، أحدهما: صدقُ طاعتك وفَضْلُ نصيحتك، والثاني: شدَّة بأسِك وشَرَفُ نفسك، وقد أمرني بتجهيزك، وإزالة عِلَّتك، وبسطِ يدك فيما أحببت، غير أنَّ الاقتصاد رأسُ النصيحة، ومفتاح اليُمن والبركة، فأَنجِزْ حوائجك، وعجِّل المُبادرةَ إلى عدوِّك، فإني أرجو أن يوليَك اللهُ شرفَ هذا الفتح، ويَلُمَّ بك شعثَ الخلافةِ والدولة.

قال أسد: فقلت: أنا لطاعة أميرِ المؤمنين وطاعتك مُقَدِّم، وعلى ما أدخل الوهنَ والذُّلَّ على عدوِّه وعدوِّك حريص، غير أنَّ المحارِبَ لا يعمل بالغرور [ولا يفتتح] أمرَه بالتقصير والخَلَل، وإنما مِلاكُ المحارب الجنود، وملاكُ الجنودِ المال، وقد ملأ أميرُ المؤمنين أيديَ مَن شهد العسكر من جنوده، وتابع لهم الأرزاقَ الدارَّةَ، والصِّلاتِ الجَزيلةَ، والفوائدَ التامَّة، فإن سرتُ بأصحابي وقلوبُهم متطلِّعة إلى مَن خلفهم من إخوانهم، لم أنتفعْ بهم في لقاء مَن أمامي، والذي أسأله أن يؤمرَ لأصحابي برزق سَنة، ويحملَ معهم مثل ذلك، ولا أُسأل عمَّ افتتحتُ من البلاد والكُوَر. فقال: قد أَشْطَطْتَ،

= فيصبح من طول الطراد وجسمه نحيل وأضحي في النعيم أصمصم
وانظر الكامل ٦/ ٢٥٣.

(١) في (خ): بوسم، وفي الكامل: يرسم، والمثبت من تاريخ الطبري. وترشم: تختم. مختار الصحاح (رشم).

(٢) في (خ): الكوعاء، والمثبت من تاريخ الطبري وابن الأثير. والوكعاء: الحمقاء الوجعاء. القاموس المحيط (وكع).

(٣) في (خ): وأطمعه، والمثبت من تاريخ الطبري وابن الأثير.

ولا بدَّ من مُطالعته بما قلت.

ثم ركب وركبتُ معه، فدخل قبلي على محمَّد ودخلتُ بعده، فما دار بيني وبين محمَّد سوى كلمتين حتى غضب وأمر بحبسي.

وقيل: إنَّ أسداً قال لمحمَّد: ادفع إليَّ ولدَي المأمون [حتى] يكونا أسيرَين في يدي، فإن أطاعني وألقى إليَّ بيده، وإلَّا عملتُ فيهما بحُكمي، وأنفذتُ فيهما أمري. فقال له محمَّد: أنت أعرابيٌّ مجنون، أدعوكَ إلى ولاية أعِنَّة العربِ والعجم، وأُطعمك خراجَ كُوَر خُراسانَ والجبال، وأرفع منزلتَك على نُظَرائك من أبناء القوَّاد والملوك، وتدعوني إلى قتل ولدي، وسفكِ دماءِ أهل بيتي، إنَّ هذا لَخُرْقٌ وتخليط. وأمر بحبسه. وكان للمأمون ابنان مع أمِّهما أمِّ عيسى بنتِ موسى الهادي.

ولما غضب محمَّد على أسدٍ وحبسه، سأل: هل في أهل بيته مَن يقوم مَقَامَه؟ وقال محمَّد: أكره أن أستفسدَهم مع سابقتهم وما تقدَّم من نُصحهم وطاعتهم، فقالوا: نعم فيهم أحمدُ بن مزيد، وهو أحسنُهم طريقة، وأصلحُهم نية، وله بأسٌ ونَجْدة في الحروب، وبَصَرٌ بسياسة الجنود، وكان قد خرج إلى ضَيعة له، فبعث خلفه بَريداً ولم يصل بعدُ إلى ضيعته، فرُدّ. قال أحمد: فلمَّا دخلت بغدادَ بدأتُ بالفضل بنِ الربيع، فإذا عنده عبدُ الله بنُ حُمَيد بنِ قَحْطَبة، وهو يريده إلى المسير إلى طاهر، وعبد الله يشتطُّ عليه في طلب المالِ والرجال، فلما رآني، رحَّب بي، وأخذ بيدي حتى رفعني معه إلى صدر المجلس، وأنشد: [من البسيط]

إنَّا وَجَدْنا [لكم] إذ رَثَّ حَبْلُكمُ ... مِن آل شَيبانَ أُمًّا دونكمْ وأبا
الأكثرون إذا عَدُّوا الحَصَى[1] عَدَداً ... والأقربون إلينا منكمُ نَسَبا

فقال عبد الله: إنَّهم لكذلك، وإنَّ فيهم لسدَّ الخَلَل، ونكايةً في العدوّ، ودفعَ معرَّة[2] أهلِ المعصية عن أهل الطاعة.

قال أحمد: فأقبل عليَّ الفضلُ وقال: إنَّ أمير المؤمنين أجرى ذِكرك، فوصفتُك له

(١) في تاريخ الطبري ٨/ ٤٢١، وابن الأثير ٦/ ٢٥٥: عد الحصى. وما بين حاصرتين منهما.
(٢) في (خ): معيرة.

بحُسن الطاعة، وفضلِ النصيحة، والشدَّة على أهل المعصية، والتقدُّم بالرأي، فأحبَّ اصطناعك، والتَّنويهَ باسمك، وأن يرفعَك إلى منزلة لم يبلغْها أحدٌ من أهل بيتك.

ثم قام وقمتُ معه، فأدخلني على محمَّد وهو في صحن دارِه على سريرٍ له، فأدناني حتى كدت أن أُلاصقَه، وقال: قد كثر عليَّ[1] تخليطُ ابنِ أخيك وتنكُّره وخلافه، حتى أوحشني ذلك منه، وولَّد في قلبي التُّهَمة له، فأصاره التأديبُ على ذلك إلى الحبس، فلم أكن أحبُّ ذلك، وقد وُصفتَ لي بخير، ونُسِبت إلى جميل، وقد أحببتُ أن أرفعَ قَدْرَك، وأقدِّمَك على أهل بيتك، وأولِّيك جهادَ هذه الفئةِ الباغية النَّاكِثة، وأعرِّضَك للأجر والثوابِ في قتالهم، فانظر كيف تكون، وصحِّح نيَّتك، وأَعِن أميرَ المؤمنين، وسُرَّه في عدوِّه، ليعمَّ سرورُك وتشريفك.

قال أحمد: فقلت له: سوف أبذُل في طاعة أميرِ المؤمنين -أعزَّه الله- مُهْجَتي، وأبلغ من جهاد عدوِّه أفضلَ ما أمَّله عندي، ورجاه من نهضتي وكفايتي إن شاء اللهُ تعالى. ثم قال: يا فضل، جهِّزه، فقال: سمعاً وطاعة. فعرض الرجالَ، وأزال الشكاوى، فكانوا عشرين ألفاً.

قال أحمد: ولمَّا ودَّعتُه قلت: أَوصِني يا أميرَ المؤمنين، فقال: إياك والبغيَ؛ فإنَّه عِقالُ النصر، ولا تقدِّم قَدَماً إلَّا بالاستخارة، ولا تَشهَر سيفاً إلَّا بعد الإعذار، ومهما قدرتَ عليه باللِّين فلا تتعدَّه إلى الخُرْق والشدَّة، وأحسن صَحابةَ مَن معك من الجند، وطالعني بأخبارك في كلِّ يوم، ولا تخاطرْ بنفسك في طلب الزُّلفى عندي، ولا تستَبْقها فيما تتخوَّف رجوعَه عليّ، وكن لعبد اللهِ أخاً مُصافياً، وقريناً بَرًّا، وأَحسِن صحبتَه ومعاشرته، ولا تخذلْه إن استنصرك، ولا تُبطئ عليه إن استصرخك، ولتكن أيديكما واحدة، وكلمتُكما متَّفقة، ثم قال: سلْ حوائجك، وعجِّل السَّراحَ إلى عدوِّك. فقال أحمد: يا أميرَ المؤمنين، حاجتي أن تُكثرَ لي من الدُّعاء، ولا تقبل فيَّ قولَ باغٍ ولا حاسد، ومُنَّ عليَّ بالصفح عن ابن أخي. قال: قد فعلت ثم أرسل إلى أسد، فحلَّ قيودَه وأطلقه.

وسار أحمدُ بن مزيد في عشرين ألفاً من العرب، وسار عبدُ الله بن حُمَيد بنِ قَحْطَبة

(١) في (خ): عليك، والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ٤٢٢.

في عشرين ألفاً من الأنبار[١]، وأمرهما أن ينزلا حُلْوانَ ويدفعا طاهراً عنها، وأوصاهما بالتودُّد والتَّحابُب واجتماعِ الكلمة، فسارا حتى نزلا خانِقِين، وأقام طاهرٌ بحُلْوانَ وخندق عليه، ودسَّ الجواسيسَ إلى عسكرهما، فكانوا يأتونهم بالأراجيف، ويُخبرونهم أنَّ محمَّداً قد وضع العطاءَ لأصحابه، ولم يزل يحتال في وقوع الخلافِ بين أحمدَ وعبدِ الله حتى أَوقع بينهما، فقاتل بعضُهم بعضاً، ووقع السيفُ بينهم، فانتقض أمرُهم، ورجعوا من خانِقِين إلى بغداد، ولم يلقَوا طاهراً، وأقام طاهرٌ بحلوان، فبينما هو كذلك، إذ قدم هَرْثَمةُ بن أَعْينَ من خُراسانَ بكتاب المأمون وذي الرِّياستين يأمرانه بتسليم ما حوى من المدن والكُوَرِ إليه، وأن يتوجَّه طاهرٌ إلى الأهواز، ففعل، وأقام هرثمةُ بحُلْوان.

وفيها رفع المأمونُ منزلةَ الفضلِ بن سهل، وعقد له على المَشْرق طولاً وعرضاً، وجعل مَغَلَّه ثلاثةَ آلاف ألفِ درهم، وكتب على سيفه ذا الرِّياستين، من جانب: رياسةُ الحرب، ومن جانب: رياسةُ العلم والتدبير[٢]، فقام بأمور المأمونِ كما يحبّ، وولَّى المأمونُ أخاه الحسنَ بن سهل دواوينَ الخراج.

وفيها ولَّى الأمين عبدَ الملك[٣] بنَ صالح الجزيرةَ والشام[٤]. وسببه: لمَّا قوي طاهرٌ واستفحل أمرُه وهزم مَن هزم، قال عبدُ الملك للأمين: يا أميرَ المؤمنين، إنَّك قد أحسنت إليّ، وإنِّي أرى الناسَ قد طمعوا فيك، وقد عوَّدتَ العساكرَ جودَك وسماحتك، فإن استمرَّيتَ على عادتك، أفسدتهم وأبطرتهم، وإن منعتهم العطاء، أسخطتَهم وأغضبتهم، وليس تُملَك الجنودُ بالمنع من العطاء، ولا تبقى الأموالُ مع البذل والإنفاق، ومع هذا فجندُك قد أَرعبتْهم الهزائم، وأضعفتهم الوقائع، ونَهَكَتْهُم الحروب، وملأت قلوبَهم الهَيْبة، فنكلوا عن لقاء عدوِّهم، وكلَّما سيَّرتهم إلى طاهرٍ

(١) في تاريخ الطبري ٨/ ٤٢٣: الأبناء.

(٢) في المنتظم ١٠/ ٢٣: وسماه ذا الرئاستين، وكان على سيفه مكتوب من جانب: رئاسة الحرب، ومن جانب: رئاسة التدبير. وانظر تاريخ الطبري ٨/ ٤٢٤، وابن الأثير ٦/ ٢٥٧.

(٣) في (خ): عبد الله، والمثبت من (ب) والمصادر.

(٤) بعدها في (ب): وفيها خلع الأمين وبويع للمأمون ببغداد، ثم أعيد الأمين، وحج بالناس العباس بن موسى ابن عيسى، وكان المأمون قد أعيد إلى الخلافة بمكة والمدينة. اهـ. واختصرت بذلك أحداث هذه السنة.

غلب بقليل ما معه كثير ما معك، وأهلُ الشام قومٌ قد ضَرَسَتْهم الحرب، وأدَّبتهم الشدائد، وكلُّهم مُسارعٌ إلى طاعتي، فإن اتخذتَ منهم جنداً، كان أعظمَ في النِّكاية في العدوّ. فقال محمَّد: ولَّيتك ذلك، فعجِّل الخروج، واعمل برأيك.

وكتب عهده على الجزيرة والشام، فسار إليها، فنزل الرقَّة، وكتب إلى أمراء الأجنادِ والعربِ ووجوهِ الناس، فأَقبلوا عليه من كلِّ وجه، فأَحسن إليهم، ووصلهم بالأموال والخِلَع، فبينا رجلٌ من الأبناء من أهل خراسانَ يمشي، إذ نظر إلى دابَّة كانت له أُخذت في بعض وقائع أبي العَمَيطَر تحت رجلٍ من أعراب الناس، فتعلَّق به، واجتمع جماعةٌ من الأبناء وجماعةٌ من أهل الشام، وتَلاحَوا وتنادَوا، فنَشِبَت الحربُ بينهم، وعلى[1] الأبناء الحسينُ بن عليِّ بنِ عيسى بن ماهان، وعلى أوباش الشام جماعةٌ منهم العباسُ ابن زُفَر، واقتتلوا قتالاً عظيماً، فقُتل من الفريقين خلقٌ عظيم، وانهزم أهلُ الشام وتفرَّقوا في كلِّ وجه، وانتقض ما كان عبد الملك دبَّره، وقال: أردنا أمراً وأراد اللهُ غيرَه، ومات عبدُ الملك بعد الوقعةِ بأيام.

وفيها خُلع الأمينُ وبويع للمأمون ببغداد، ثم أُعيد الأمين.

وسبب ذلك أنَّ عبد الملكِ لمَّا مات بالرقَّة، كان في جنده الحسينُ بن عليٍّ بن عيسى ابنِ ماهان، فجمع الأبناءَ واستقلَّ بالأمر، وأنفق فيهم الأموال، وسار بهم نحوَ بغداد، فقدمها، فاستقبله الأشرافُ والقوَّاد ووجوهُ الناس، وضُربت له القِباب، ونزل في داره على أكملِ هيبة، وذلك في رجب، وكان يوماً مَشهوداً، فلمَّا كان في الليل، بعث الأمينُ بطلبه، فأَغلظ لرسوله، وقال: ما أنا مغنٍّ ولا مُسامرٌ ولا مُضحك حتى يطلبني في هذه الساعة، [انصرف][2] حتى إذا أصبحتُ غَدوت عليه.

فلما طلع الفجر، ركب في الموالي، وجاء حتى وقف بباب الجسر، واجتمع إليه الناس، فقال: يا معشرَ الأبناء، إنَّ خلافة اللهِ لا تُجاور بالبَطَر[3]، ونِعَمه لا تُسْتَصْحَب

(١) في (خ): ونعلهم على؟! وفي المصادر: وقام بأمر الأبناء، انظر تاريخ الطبري ٨/ ٤٢٦، والكامل ٦/ ٢٥٨، وتاريخ الإسلام ٤/ ١٠٤٠.

(٢) ما بين حاصرتين من تاريخ الطبري ٨/ ٤٢٨، وابن الأثير ٦/ ٢٥٩.

(٣) في (خ): إن في خلافة الله تجاوز بالبطر، والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ٤٢٨، والمنتظم ١٠/ ٢٤، وتاريخ الإسلام ٤/ ١٠٤١.

بالتكبُّر، وإنَّ محمَّداً يريد أن يَنْكُثَ بَيعتكم، ويفرِّقَ جمعكم، وينقلَ عزَّكم إلى غيركم، وقد رأيتم فِعلَه مع أهل الشامِ بالأمس، وإن وجد قوَّةً من أمره ليرجعنَّ وبالُ ذلك عليكم، فاقطعوا أثرَه قبل أن يقطعَ آثاركم، وضعوا عزَّه قبل أن يضعَ عزَّكم، فواللهِ لا ينصره ناصرٌ إلا خُذل، ولا يمنعه مانعٌ إلا قُتل، ولقد علمتم نقضَه للعهود ونكثَه، وما عند اللهِ لأحدٍ هوادة، ولا يراقب على الاستخفاف [بعهوده والحنث بأيمانه].

ثم عبر الجسرَ واجتمع إليه أهلُ الأرباض، وجاءت خيلٌ من عند محمَّد، فقاتلوه، فهزمهم حتى تفرَّقوا عن باب الخُلدِ ومحمَّد فيه، فخلع الحسينُ محمَّداً يوم الأحدِ لإحدى عشرةَ ليلةً خلت من رجب، وأخذ البيعةَ للمأمون، وأخرج محمَّداً من قصر الخلدِ فحبسه في قصر أمِّ جعفر، وقال العباسُ بن موسى بنِ عيسى لأمِّ جعفرٍ زبيدة: أُخرجي من هذا القصر، فأبت، فقنَّعها بالسَّوط وسبَّها سبّاً قبيحاً، وحمُلت إلى مدينة أبي جعفر.

ثم أصبح الناسُ قد ماج بعضُهم في بعض، واجتمعوا إلى محمَّد بنِ أبي خالد، فقال لهم: أيها الناس، والله ما أدري بأيِّ سببٍ يتأمَّر علينا الحسينُ بن ماهانَ ويتولَّى هذا الأمرَ دوننا، وليس هذا بأكبرنا سِنًّا ولا أكرمنا[1] حَسَباً، ولا أعظمنا منزلة.

وقال أسدٌ الحربي: يا معاشرَ الحربية، هذا يومٌ له ما بعده، إنَّكم قد نمتم وطال نومُكم، وتأخَّرتم فقدم عليكم عدوُّكم، ومحمَّد قد خُلع وأُسر، فاحملوا في إطلاقه.

وقال لهم بعضُ الشيوخ: هل تعلمون أنَّ محمَّداً قطع أرزاقكم؟ قالوا: لا، قال: فهل قصَّر في حقِّ أحدٍ من رؤسائكم وكبرائكم؟ قالوا: لا، قال: فما بالُكم خذلتموه وأعنتم عدوَّه حتى خُلع وأُسر؟! أما واللهِ ما قتل قومٌ خليفتهم إلَّا سلَّط الله عليهم السيفَ القاتل والحَتْفَ الزاحف، انهضوا إلى قصر خليفتِكم.

فنهضوا ونهض معهم أهلُ الأرض، فقاتلوا الحسينَ بن علي، فقتلوا من أصحابه مَقتلةً كبيرة، وأسروا الحسين، ودخلوا على محمَّد، ففكُّوا قيودَه وأعادوه إلى مجلس الخلافة، وأُتي بالحسين أسيراً إلى بين يديه، فعاتبه وقال له: ألم أقدِّم أباك على

(١) في (خ): أكبر منا، والمثبت من الطبري ٨/ ٤٢٩، وما بين حاصرتين منه.

الناس، وولَّيته أعِنَّةَ الخيل، وملأت يدَه من الأموال ورفعتُ أقدارَكم ومنازلَكم على غيركم؟! قال: بلى، قال: فما الذي استحققتُ به منك أن تخلعَ طاعتي وتندب الناسَ إلى قتالي؟ قال: الثقةُ بعفوك، وحسنُ الظنِّ بصَفْحك، قال: قد عفوت عنك، وولَّيتك الطلبَ بثأر أبيك.

ثم خلع عليه وحمله على مركبٍ من مراكبه، وولَّاه ما وراء بابِه، وأمره بالمسير إلى حُلوانَ لقتال طاهر، فعبر على جسر بغدادَ إلى الجانب الشرقي، فلمَّا جاوز الجسر قطعه وهرب، فنادى محمَّد في الناس، فركبوا في طلبه، وكان في نَفَرٍ من خدمه ومواليه، ولحقه الناس، فجعل يحمل عليهم، فيهزمهم ويقتل فيهم، فعثر فرسُه فسقط، وحمل عليه الناسُ فقتلوه، وجاؤوا برأسه إلى محمَّد، فقال عليُّ بن جَبَلَةَ الحَرْبي[1]:

ألا قاتل اللهُ الأُلى كفروا به ... وفازوا برأس الهَرْثَميِّ حسينِ
لقد أورَدُوا منه قَناةً صَليبةً ... بشِطْبٍ[2] يَمانيٍّ ورمح رُدَيني
رجا في خلاف الحقِّ عزًّا وإمرةً ... فألبسه التَّأميلُ خُفَّ حُنين

وكان قتل الحسينِ في النِّصف من رجبٍ في مسجد كَوْثر الخادم، وهو على فرسخ من بغدادَ في طريق النَّهرين. واختفى الفضلُ بن الربيع في تلك الليلة. وجُدِّدت البَيعة لمحمَّد يوم الجمعة لستَّ عشرةَ خلت من رجب، وكان حبسُه في قصر أبي جعفرٍ يومين.

وفيها توجَّه طاهرٌ إلى الأهواز من حُلوانَ لمَّا نزلها هَرْثَمة، وكان بالأهواز محمَّد بن يزيدَ بنِ حاتمٍ المُهَلَّبي عاملُ محمَّد، فتوجَّه في جمعٍ عظيم، فنزل قريباً من جُنْدَيْسابور، وهي حدُّ ما بين الأهوازِ والجبل، وجهَّز إليه طاهرٌ القوَّاد ومعهم الجيوش، فلمَّا أشرفوا عليه قال محمَّد لأصحابه: ما ترون؟ فقالوا: الرأي ألَّا نلقاهم، ونرجعَ إلى الأهواز فنقيمَ بها، ونستمدَّ العساكرَ من البصرة وغيرِها.

وبلغ طاهراً، فأمر جماعةً من أصحابه أن يسبقوه إلى الأهواز، فسبقه قريشُ بن

---

(١) نسبة إلى الحربية محلة كبيرة ببغداد. انظر الأغاني ٢٠/ ١٤ . والأبيات في تاريخ الطبري ٨/ ٤٣١، وذيل الديوان ص١٢٢ منسوبة له أو للخريمي.

(٢) الشطب: السيف. القاموس المحيط (شطب).

شبل، فبادره محمَّد ودخل المدينة، ودعا بالأموال فصُبَّت بين يديه، وجاء قريش، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وظهر قريشُ بن شبل عليهم، وتراجع الناس، فقال محمَّد بن يزيد لمواليه ونفرٍ كانوا معه: ما رأيكم؟ فإنِّي لستُ آمَن خذلانَ مَن معي، وقد عزمت على القتال بنفسي حتى يقضيَ اللهُ ما أحبّ، فمَن أراد منكم الانصرافَ فلينصرف، فو الله العظيم لأن تبقَوا أحبُّ إليَّ من أن تموتوا. فقالوا: لا والله ما أنصفناك إذ قد أعتقتَنا من الرِّقِّ، ورفعتَنا بعد الضَّعَة، وأغنيتَنا بعد الفقرِ ثم نَخذلك، لا واللهِ بل نتقدَّم أمامك، ونموت تحت رِكابك، فقبَّح اللهُ الدنيا والعيشَ بعدك.

ثم نزلوا فعَرْقَبوا دوابَّهم، وحملوا على أصحاب قريشٍ حملةً مُنْكَرة، فأكثروا فيهم القتل، وانتهى بعضُ أصحاب طاهرٍ إلى محمَّد بنِ يزيد، فطعنه وصرعه، وتبادروه فقتلوه، وكان محمَّد بنُ يزيدَ جواداً ممدَّحاً شجاعاً، فقال بعض أهل البصرةِ يَرثيه: [من المنسرح]

مَـن ذاق طـعـمَ الـرُّقـاد مـن فَـرَحٍ ... فـإنَّـنـي قـد أضَـرَّنـي سَـهَـري
ولَّـى فـتـى الـرُّشْـدِ فـافـتـقـدتُ بـه ... قـلـبـي وسـمـعـي وغـرَّنـي بـصـري
كـان غِـيـاثـاً لـدى الـمُـحـولِ فـقـد ... ولَّـى غَـمـامُ الـرَّبـيـع بـالـمَـطَـرِ[1]

وقال بعضُ المَهالبة في تلك الواقعةِ وكان قد جُرح وقُطعت يده: [من الطويل]

فـمـا لُـمـتُ نـفـسـي غـيرَ أنِّـيَ لـم أُطِـق ... حَـرَاكـاً وأنِّـي كـنـتُ بـالـضَّـرب مُـثْـخَـنـا
ولـو سَـلِـمـت كـفَّـايَ قـاتـلـتُ دونـه ... وضـاربـتُ عنه الـطَّـاهـريَّ[2] الـمُـلَـعَّـنـا
فتًى لا يرى أن يَخْذِلَ السيفَ في الوَغى ... إذا ادَّرَع الـهَـيْـجـاءَ في الـنَّـقْـعِ واكـتـنـى

ودخل عُيينة[3] المُهَلَّبي على طاهرٍ فأنشده: [من المنسرح]

مَـن آنـسَـتْـه الـبـلادُ لـم يَـرِمِ ... مـنـهـا ومَـن أوحـشَـتْـه لـم يُـقِـمِ

إلى قوله:

(١) الأبيات في تاريخ الطبري ٨/ ٤٣٤، وابن الأثير ٦/ ٢٦٣.
(٢) في (خ): الطاهر بن الملعنا.
(٣) كذا في (خ)، وفي تاريخ الطبري وابن الأثير: ابن أبي عيينة، وفي الشعر والشعراء ٢/ ٨٧٢: عبد الله بن محمد بن أبي عيينة، وفي الأغاني ٢٠/ ٧٥: محمد بن أبي عيينة.

مـا سـاء ظـنِّـي إلَّا لـواحـدةٍ   في الـصَّـدر مَـحْـصـورةٍ عـن الـكَـلِـمِ

يشير إلى قتل محمَّد، فقال طاهر[١]: واللهِ لقد ساءني ما ساءك، وآلَمَني ما آلمك، ولقد كنت كارهاً لما كان، غير أنَّ الحتفَ واقع، والمنايا نازلة، ولابدَّ من القيام للخلافة بحُسن الطاعة.

ثم أقام طاهرٌ بالأهواز وبعث عمَّاله إلى كُوَرِها، وولَّى على اليَمامة والبحرين وعُمان، ثم توجَّه إلى واسِط وبها السِّنديُّ بن يحيى الحَرَشي والهيثمُ خليفةُ خُزَيْمةَ بنِ خازم، فلمَّا رأيا عساكرَ طاهر -وكانا على عزم القتال- خافا فهربا، ودخل طاهرٌ واسطاً، وبعث أحمدَ بن المُهَلَّب أحدَ قوَّاده إلى الكوفة، وعليها يومئذٍ العباسُ بن موسى الهادي، فخلع العباسُ محمَّداً، وكتب إلى طاهرٍ بالبيعة للمأمون، وقيل: إنَّ الذي كان على الكوفة من قِبَل محمَّد الفضلُ بن موسى بنِ عيسى، وكان منصورُ بن المهديِّ عاملَ محمَّد على البصرة، فكتب إلى طاهرٍ بالبيعة للمأمون، وخلع الجميع محمَّداً في هذه السَّنة في رجب.

وسار طاهرٌ من واسطٍ يطوي المنازلَ حتى نزل جَرْجَرايا، وولَّى طاهرٌ داودَ بن عيسى ابنِ موسى بن محمَّد بن عليِّ بن عبد الله بن عباسٍ مكةَ والمدينة -وقيل: إنما ولَّاه محمَّد فأقرَّه طاهرٌ على ولايته، وهو الصحيح، لما نذكر- ويزيدَ بن جرير[٢] القَسْريَّ اليمن، وبعث الحارثَ بن هشامٍ وداودَ بن موسى إلى قصر ابنِ هُبَيْرَة، وسار من جَرجرايا فنزل المَدائن، فهرب عمَّال محمَّد، ثم صار منها إلى صَرْصَر، فعقد بها جسراً.

وفيها خلع داودُ بن عيسى الأمينَ، والسببُ في ذلك أنَّ الأمين لمَّا ولي الخلافة ولَّى مكةَ والمدينةَ لداود بنِ عيسى، وعزل محمَّد بن عبد الرَّحمن المَخْزومي عاملَ الرشيد على مكَّةَ، وأقرَّه على القضاء، فأقام داود الحجَّ للناس سنةَ ثلاثٍ وتسعين، وسنةَ خمس وتسعين، فلمَّا دخلت سنةُ ستٍّ وتسعين، بلغه خلعُ عبدِ الله المأمونِ أخاه وقتلُ ابنِ ماهان.

وكان محمَّد قد كتب إلى داودَ يأمره بخلع المأمونِ والبيعة لابنه موسى بنِ محمَّد،

---

(١) في (خ): محمد، وهو خطأ، والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ٤٣٤.

(٢) في (خ): حرب، والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ٤٣٦، وابن الأثير ٦/ ٢٦٤، وتاريخ الإسلام ٤/ ١٠٤٣.

وبعث محمَّد فأخذ الكتابين اللذين كانا في الكعبة ومزَّقهما، فجمع داودُ أشرافَ مكة من قريشٍ، وحَجَبة البيتِ، ومَن كان بها من العلماءِ، ومَن في الكتابين ـ وكان داودُ أحدَ الشهود ـ فقال لهم: قد علمتم ما أخذ هارونُ علينا وعليكم من العهود والمواثيقِ عند بيت اللهِ الحرام حين بايعنا لابنَيه: لنكوننَّ مع المظلوم منهما على الظالم، ومع المبغيِّ عليه على الباغي، ومع المَغْدورِ به على الغادر، وقد بدأ محمَّد بهذه الأشياء كلِّها على أخويه المأمونِ والقاسم، وخلعهما وبايع لابنه طفلٍ صغيرٍ رضيعٍ لم يُفطم، واستخرج الكتابين من الكعبة غاصباً ظالماً، فحرقهما بالنار، وقد وجب خلعُه والبيعةُ لأخيه المأمون، فأجابه القومُ وقالوا: رأيُنا رأيك، ونحن لك تَبَع. فوعدهم صلاةَ الظهر، وأرسل إلى حُجَّاج(١) مكةَ صائحاً يصيح: الصلاةُ جامعة، فاجتمعوا، وذلك يومَ الخميس لسبعٍ وعشرين ليلةً خلت من رجب. فخرج داودُ وصلَّى بالناس الظهر، ووُضع المنبرُ بين الرُّكن والمقام، وصعده -وكان خطيباً- فقال: الحمدُ لله ﴿مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٢٦]الآية، وصلَّى على النبيِّ ﷺ ثم قال: أما بعد،يا أهلَ مكة، فأنتم الأصلُ والفرع، والعِشرةُ والأُسرة، والشركاءُ في النعمة، إلى بلدكم يَفدُ وفدُ الله، وبقِبلتكم يأتمُّ المسلمون، وقد علمتم ما أخذ هارونُ رحمه الله حين بايع لابنَيه محمَّد وعبدِ الله علينا وعليكم من العهود والمواثيق. وذكر بمعنى ما تقدَّم ثم قال:

وقد غدر محمَّد ونكث وظلم وبغا، وخالف الشروطَ التي أعطاها من نفسه في جوف بيتِ الله الحرام، وقد حلَّ لنا ولكم خلعُه [من الخلافة](٢) وتصييرُها إلى المظلوم، ألا وإني قد خلعت محمَّد بن هارون كما خلعت قَلَنْسُوتي هذه من رأسي، وخلع قلنسوتَه ورمى بها إلى بعض الخدَّام، وكانت من بُرد حِبَرة(٣)، وأتى بقَلَنسوة سوداءَ هاشميةٍ فلبسها، ثم قال: وقد بايعتُ عبدَ الله المأمونَ فبايعوه. وكان ابنُه سليمانُ على المدينة، فكتب إليه ففعل كذلك.

---

(١) في تاريخ الطبري ٨/ ٤٣٩: فجاج، وفي تاريخ ابن الأثير ٦/ ٢٦٦: شعاب.

(٢) ما بين حاصرتين من تاريخ الطبري.

(٣) الحبرة: ضرب من برود اليمن. القاموس المحيط (حبر).

ثم دخل داودُ من مكةَ إلى البصرةِ ومعه جماعةٌ من ولده، فقدم البصرة، ثم سلك على فارسَ وكَرْمانَ فقدم على المأمون بمرو، فأكرمه ووصله وأحسنَ إليه، وتيمَّن ببَيعته له بمكةَ والمدينة، وأقام داودُ عنده حتى قرب موسمُ الحج، فكتب معه كتاباً إلى أهل المدينة ومكةَ يَشكرهم ويَعِدهم الخير، وأضاف إلى داودَ ولاياتٍ أخر، وكتب له إلى الرَّيِّ بخمس مئةِ ألف درهم معونة، وخرج داودُ مسرعاً ومعه ابنُ أخيه العباسُ بن موسى بنِ عيسى، وعقد المأمونُ للعباس على الموسم، فسارا حتى نزلا بغدادَ وطاهرٌ يحاصرها، فأكرمهما وأحسن معونتَهما، وجهَّز معهما يزيدَ بن جريرٍ[١] بن خالد القَسري، وسارا جميعاً فشهدوا الموسم.

وحجَّ بالناس العباسُ بن موسى، ودعا للمأمون، وهو أوَّل موسمٍ دُعي له فيه بالخلافة بمكَّة والمدينة، فلما صدروا من الحجّ، انصرف العباسُ بن موسى إلى بغدادَ وطاهرٌ يحاصرها، وأقام داودُ على عمله، ومضى يزيدُ إلى اليمن، فأخذ البيعةَ للمأمون، وسار فيهم بأحسنِ سيرة.

وفيها عقد محمَّد نحواً من أربع مئة لواءٍ لقوَّادٍ شتى، وأمَّر عليهم عليَّ بن محمَّد بنِ عيسى بن نَهيك، فالتقَوا بهَرْثَمةَ على النَّهْرَوان، فهزمهم، وأسر ابنَ نَهيكٍ، وبعث به إلى المأمون، وذلك في رمضان، ونزل هرثمةُ النهروان.

وفيها استأمن إلى محمَّد جماعةٌ من جند طاهر، فأعطاهم أموالاً عظيمة، وغلَّف لِحاهم بالغالية، وكانوا خمسةَ آلافٍ من جند خراسان، فسُرَّ بهم محمَّد، وجهَّزهم مع جندٍ من عسكره إلى قتال طاهر، فالتقاهم طاهر، فهزمهم وغنم ما في عسكرهم، وبلغ محمَّداً، فأخرج ما في خزائنه وذخائرِه، وفرَّق الصِّلات، وجمع أهلَ الأرباض، فأعطاهم ووصلهم، وأعطى كلَّ واحدٍ منهم خمسَ مئةِ درهمٍ وقارورةَ غالية، ولم يُعطِ أصحابه شيئاً، وبلغ طاهراً، فكتب إليهم فاستمالهم، فشَغَبوا على محمَّد، وذلك في ذي الحِجَّة، فقال شاعرٌ من أهل بغداد: [من السريع]

قُل لأمينِ اللهِ في نفسِهِ ... ما شَتَّتَ الجُندَ سوى الغاليهْ

(١) في (خ): حرب، والمثبت من تاريخ الطبري وابن الأثير.

وطـاهـرٌ[١] نـفـسـي تـقـي طـاهـراً بـرُسْـلـه والـعُـدَّةِ الـكـافـيـه
أضـحـى زِمـامُ الـمُـلْـكِ فـي كـفِّـه مُـقـاتـلاً لـلـفـئـة الـبـاغـيـه
يـا نـاكِـثـاً أسـلَـمَـه نَـكْـثُـه عـيـوبُـه مـن خُـبْـثـه فـاشـيـه
قـد جـاءك الـلَّـيـثُ بـشَـدَّاتـه مُـسْـتَـكْـلِـبـاً فـي أُمَّـةٍ ضـاريـه
فـاهـربْ ولا مَـهْـرَبَ مِـن مـثـلـه إلَّا إلـى الـنـارِ أو الـهـاويـه

فلمَّا شغب الجندُ على محمَّد، قال له خواصُّه وقوَّاده: تدارك أمرَك؛ فإنَّ بهم قِوامَ مُلكك، وهم أزالوه في أيَّام الحسين، وهم ردُّوه[٢] عليك، وهم مَن قد عرفتَ نجدتَهم وبأسهم، فلم يلتفت ولجَّ في أمرهم، وبعث إليهم الجندَ ومَن استأمن إليه من أصحاب طاهر، فقاتلوهم، فبعثوا إلى طاهرٍ وأعطَوه رهائنَهم على طاعته وقتالِ محمَّد، فبعث إليهم بالأموال.

ثم رحل من صَرْصَر، فنزل البستانَ الذي على باب الأنبارِ يومَ الثُّلاثاء لاثنتي عشرةَ ليلةً خلت من ذي الحِجَّة بجيوشه وقوَّاده، وخرج إليه من أصحاب محمَّد مَن استأمن إليه، فأكرمهم وأعطاهم الأموال، وضاعف للقوَّاد وأولادِهم العطاء، ونقب أهلُ السجن السجونَ وخرجوا منها، وفُتن الناس، ووثب الدُّعَّار وأهل الفساد والشُّطَّار على أهل الصَّلاح، وعزَّ الفجَّار، وذلَّ المؤمنون، وساءت أحوالُ الناس إلَّا مَن كان في عسكر طاهر؛ لتفقُّده أمرهم، وأخذِه على أيدي سفهائهم، وخَرِبَت بغداد، ونُهبت الأموال، وهُتك الحَريم، وقتل الأخُ أخاه والابنُ أباه، وجرت أحوالٌ لا توصف.

وحجَّ بالناس العباسُ بن موسى، وقد ذكرناه.

فصل وفيها توفي

عبدُ الله بن مَرْزوق

أبو محمَّد، الزَّاهدُ البغدادي.

[قال أبو عبد الرَّحمن السُّلَمي:][٣] كان وزيرَ الرشيد، فخرج من ذلك وتخلَّى عن

(١) في (خ): وطاهراً، والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ٤٤٣، والبداية والنهاية ١٤/ ٩١.
(٢) في (خ): يردوه، والمثبت من تاريخ الطبري.
(٣) ما بين حاصرتين من (ب)، ونقله عن السُّلمي ابن الجوزي في المنتظم ١٠/ ٣٢، وليس في طبقاته.

ماله وتزهَّد، وكان كثيرَ البكاءِ والحزن.

[وقال الخطيب:][(١)] سبب تزهُّده وتخلِّيه عن الدنيا: أنَّه نام يوماً عن صلاة الظُّهر، وكانت له جاريةٌ صالحة، فعَمَدت إلى جَمْرةٍ من نارٍ فوضعتها على قدمه، فانتبه فَزِعاً وقال: ما هذا؟! فقالت: هذه نارُ الدنيا، فكيف بنار الآخرة! فقام ودخل على هارونَ فاستعفاه، فأعفاه.

[وروى ابنُ أبي الدنيا عن محمَّد بن إدريسَ، عن عبد الله بن السَّري، عن] سلامةَ[(٢)] قال: [قال] عبدُ الله في مرضه الذي مات فيه: يا سلامة، إنَّ لي إليك حاجة، قلت: وما هي؟ قال: تحملني فتطرحني على تلك المَزْبَلة، لعلي أموت عليها فيرى ذلِّي ومكاني فيرحمني. فلم أفعل. وكانت وفاتُه ببغداد [في هذه السَّنة].

عبدُ الملك بنُ صالح

ابنِ عليِّ بن عبد الله بنِ عباس، أبو عبد الرَّحمن الهاشمي[(٣)].

كان شريفاً في بني هاشم، رئيساً نبيلاً، وأمُّه أمُّ ولد لمروانَ بنِ محمَّد، فتَسَرَّاها صالحُ أبوه، فحملت به، ويقال: إنَّها حملت بعبد الملكِ من مروان؛ ولهذا قال له الرشيدُ لمَّا نقم عليه: ما أنت لصالح، قال: فلمن أنا؟ قال: لمروان، قال: ما أبالي أيّ الفحلَين غلب عليّ.

وولَّاه هارونُ دمشقَ سنة سبعٍ وسبعين، ولما ودَّعه قال له هارون: هل من حاجة؟ قال: نعم، بيني وبينك بيتُ ابن الدَّئِنَة[(٤)] حيث يقول: [من الطويل]

فكوني على الواشين لدَّاءَ شَغْبةً ... كما أنا للواشي ألدُّ شَغوبُ

فنُقل إلى هارونَ أنَّه يُطمع نفسَه في الخلافة، فعزله عن دمشقَ في سنة ثمانٍ وسبعين، فكانت إقامتُه عليها أقلَّ من سنة، ثم أَقدمه بغداد، وكان قد كتَب إلى هارونَ

(١) ما بين حاصرتين من (ب)، ولم نقف على كلام الخطيب، والقصة في الوافي بالوفيات١٧/ ٦٠١.

(٢) في (خ): وقال سلامة، والخبر في المنتظم ١٠/ ٣٢ـ٣٣.

(٣) تاريخ دمشق ٤٣/ ١٥٣، وتاريخ الإسلام ٤/ ١١٥٩، والسير ٩/ ٢٢١. وهذه الترجمة ليست في (ب).

(٤) في (خ): ابن الدنية، والمثبت من تاريخ دمشق ٤٣/ ١٥٥، والبيت في قصيدة ابن الدمينة الطويلة، انظر ديوانه ١١٢.

قبل أن يُشخِصَه إلى العراق: [من الطويل]

أخِلَّايَ بي شَجْوٌ وليس بكم شجو ... وكلُّ امرئٍ من شجو صاحبه خِلْوُ
مِنَ ايِّ نواحي الأرضِ أبغي رضاكمُ ... وأنتم أناسٌ ما لمَرْضاتكمْ نحوُ
فلا حَسَنٌ نأتي به تَقبلونَه ... ولا إن أسأنا كان عندكمُ عفوُ[1]

من أبيات، فقال هارون: واللهِ لئن كان أنشأها لقد أحسن، ولئن كان رواها لقد أحسن.

وَلِيَ عبدُ الملك الجزيرةَ مرتين، وأقام بالصائفة سنةَ ثلاثٍ وسبعين ومئة، وغزا الرومَ سنةَ خمسٍ وسبعين ومئة، فأخذ سبعةَ عشرَ ألفَ رأسٍ من الروم، وقال: أميرُ السرية كالمضارِب الكيِّس، إن رأى ربحاً تاجر، وإلَّا حفظ رأسَ ماله، ولا يطلب الغنيمةَ حتى يحوزَ السلامة.

ومات لهارونَ ولدٌ وولد له ولدٌ في ليلة، فدخل عليه عبدُ الملك فقال: يا أميرَ المؤمنين، آجرك اللهُ فيما ساءك، ولا ساءك فيما سرَّك، وجعل هذه بتلك جزاءً للشاكرين وثواباً للصابرين.

وكان لعبد الملكِ لسانٌ وبيان على فأفأةٍ فيه[2].

وقال إسحاق الموصلي: كان لجعفرِ بن يحيى يومٌ يخلو فيه بنفسه مع خواصِّه، ويَلبَس الثيابَ المُعَصْفَرات، ويلبَس ندماؤه كذلك، فجلس يوماً على مسرَّته، وقال للبوَّاب: إحفظ البابَ إلَّا من عبد الملك بن بحران، فوقع في أذن البوابِ عبدُ الملك فقط، وبلغ عبدَ الملك بن صالحٍ جلوسُ جعفرٍ في منزله، ولم يعلم على أيِّ حال، فجاء إلى الباب، فلم يمنعْه البوَّاب ظنًّا منه أنَّه المطلوب، فدخل فرأى جعفراً على تلك الحال، فاسودَّ وجهُ جعفر، وكان عبدُ الملك لا يشرب، وكان ذلك سببَ مَوجِدة هارونَ عليه، فلمَّا رآهم على تلك الحال، قام فخلع سَوادَه وقال: افعلوا بنا مثلَ ما فعلتم بأنفسكم، فقام جعفرٌ وأخرج له ثياباً معصفرة، فلبسها، وقدَّم إليه رطلاً من

(١) تاريخ دمشق ٤٣/ ١٥٥، والوافي بالوفيات ١٩/ ١٦٩. والبيت الأول مطلع قصيدة لأبي العتاهية، وهي في ديوانه ص٦٧٢.

(٢) في تاريخ الطبري ٨/ ٣٠٢: وكان لابنه عبد الرحمن، ومن طريقه في تاريخ دمشق ٤٣/ ١٦١.

النبيذ، فشربه وقال: واللهِ ما شربته قطّ، فلمَّا أراد الانصراف، قال له جعفر: ما حاجتُك؟ فقال: في قلب أميرِ المؤمنين مني هَنَة، فسلْه الرِّضى عني، فقال: قد رضي عنك، قال: وعليَّ أربعةُ آلاف ألفِ درهم دَين، فسله أن يقضيَها عني، قال: قد قضاها عنك، قال: وابني إبراهيمُ أُحِبُّ أن يشتدَّ ظهرُه بمُصاهَرة أميرِ المؤمنين، قال: قد زوَّجه ابنتَه الغالية[1]، قال: وأحبُّ أن يخفقَ اللواءُ على رأسه، قال: وقد ولَّاه أميرُ المؤمنين مصر، فأخذ يدعو لجعفر، فقال له: هذا الذي أحاطت به مَقدرتي مكافأةً لك على صَنيعك.

قال إسحاق: وانصرف عبدُ الملك ونحن نعجب من إقدام جعفرٍ على قضاء حوائجِه من غير إذنِ هارون، وقلنا: هَبْ أنه يقضي حوائجَه، فكيف بالتزويج؟! فلمَّا كان من الغد، وقفنا بباب هارون، ودخل جعفر، فلم يلبث أن دُعي بأبي يوسفَ القاضي ومحمَّد بن الحسن وإبراهيمَ بن عبد الملك، فدخل وخرج وقد خلع عليه، وعلى رأسه لواءٌ عقده هارونُ بيده على مصر، وزوَّجه ابنته، وخرجت البِدَرُ[2] إلى عبد الملك.

قال: وخرج جعفر، فمَشَينا معه، فلمَّا خَلَونا به قال: لمَّا دخلت على أمير المؤمنين أخبرتُه بما فعل عبدُ الملك، قال: أَحسنَ والله، فما صنعتَ أنت؟ فأخبرته بما ضَمِنْتُ، فقال: أحسنت، ثم دعا بإبراهيمَ فزوَّجه ابنتَه، وولَّاه مصرَ، وقضى دَين عبدِ الملك.

وكان عبدُ الملك محبوساً عند الفضل بنِ الربيع حتى مات هارون، فأطلقه محمَّد، فحلف له إنْ مات محمَّد وهو حيٌّ لا يعطي المأمون طاعةً أبداً.

وكان يقول: واللهِ إنَّ الملك لشيءٌ ما نَويتُه قطّ، ولو أردتُه لكان أسرعَ إليَّ من الماء إلى الجذور، ومن النار إلى يَبِس العَرْفَج[3]، وإني مأخوذٌ بما لم أَجنِ، ومسؤولٌ عما لم أعرف، ولكن لمَّا رآني هارونُ بالمُلك جديراً، وللخلافة خطيراً، ورأى لي يداً تنالها إذا مُدَّت، وكفًّا تبلغها إذا انبسطت، ونفساً تكمل بخصالها[4]، وتستحقُّها

(١) كذا في (خ)، وفي تاريخ دمشق ٤٣/ ١٥٩، ووفيات الأعيان ١/ ٣٣١: العالية. بالمهملة، وقد سلف في ترجمة الرشيد أن من بناته: أمَّ الغالية. والله أعلم.

(٢) جمع: بَدرة: وهي عشرة آلاف درهم. مختار الصحاح (بدر).

(٣) شجر سهلي. القاموس المحيط (عرفج).

(٤) في (خ): بخلاصها، والمثبت من تاريخ دمشق ٤٣/ ١٦٤.

بفعالها، واللهِ ما ترشَّحت لها في السِّرّ، ولا أشرتُ إليها في الجهر، فإن كان إنَّما حبسني لأنِّي أصلح لها، فليس ذلك بذنبٍ جنيتُه فأتوبَ منه، ولا تطاولتُ له فأحطَّ نفسي عنه، وإن كان قصد أن أخرجَ له من حدِّ العلم إلى الجهل، أو من الدِّين إلى ضدِّه، فذلك أمرٌ لا يقتضيه العقلُ والحزم، وإن كان عاقبني على نسبي وحسبي ومحبَّة الناسِ لي، فذلك أمرٌ لا أقدر على زواله، واللهِ لو أردتُها لأَعجلته عن التفكير، ولَشغلته عن التدبير.

وتوفِّي عبدُ الملك بالرقَّة.

أبو معاوية

محمَّد بن خازم الضرير، مولى بني عَمرو بنِ سعد بن زيد مناة التَّميمي [الكوفي السَّعدي، وذكره ابنُ سعد][(١)] في الطبقة السابعةِ من أهل الكوفة.

[وقال الخطيب:] وُلد سنةَ ثلاثَ عشرةَ ومئة، وذهب بصرُه وله أربعُ سنين، فأقام أهلُه عليه مأتماً[(٢)].

و[حكى عنه أيضاً][(٣)] قال: حَجَجْتُ مع جدِّي لأمِّي وأنا غلام، فرآني أعرابيّ، فقال لجدِّي: ما يكون هذا الغلامُ منك؟ فقال: ابني، فقال: ليس بابنك، فقال: ابنُ بنتي، فقال: صدقت، ولَيكوننَّ له شأنٌ من الشأن، وليطأنَّ بقدميه هاتين بساطَ الملوك.

[قال:] فلمَّا قدم هارونُ بعث إلي، فلمَّا دخلت عليه، ذكرت قولَ الأعرابي، فأقبلت ألتمس برجلي البساط، فقال هارون: لم تفعل هذا؟ فحدَّثته الحديث، فأُعجب به. قال: وحرَّكني شيء، فقلت: يا أميرَ المؤمنين، أَحتاج إلى الخلاء، فقال للأمين والمأمون: خذا بيد عمِّكما فأرياه الموضع، فأخذا بيدي فأَدخلاني الخلاء، فشممت رائحةً طيِّبة، فقالا: يا أبا معاوية، هذا الموضعُ فشأنك، فقضيت حاجتي [وكان

---

(١) في طبقاته ٨/ ٥١٥، وما بين حاصرتين من (ب)، وانظر في ترجمته: تاريخ بغداد ٣/ ١٣٤، وتهذيب الكمال، والمنتظم ١٠/ ٢١، وتاريخ الإسلام ٤/ ١٢٦٧، والسير ٩/ ٧٣.

(٢) تاريخ بغداد ٣/ ١٣٤-١٣٥. وما بين حاصرتين من (ب).

(٣) ٣/ ١٣٥.

هارونُ يصبُّ على يديه الماء، وقد ذكرناه](١).

وقال هارون: لا يُثبت أحدٌ خلافةَ علي بنِ أبي طالبٍ إلا قتلتُه، قال أبو معاوية: فقلت: فلمَ يا أميرَ المؤمنين؟ قالت تَيم: منا خليفة، وقالت عَدِي: منا خليفة، وقال بنو أمية: منا خليفة، فأين حظُّكم يا بني هاشمٍ من الخلافة إلا عليَّ بن أبي طالب؟! فقال: صدقت، لا ينفي أحدٌ عليًّا من الخلافة إلَّا قتلته.

[واختلفوا في وفاته، قال الواقديُّ وابن المَديني: سنةَ ستٍّ وتسعين ومئة(٢). وقال ابنُ سعد(٣): سنةَ خمسٍ وتسعين ومئة، وكذا قال الخطيب(٤): في آخر صفرٍ أو أوَّل(٥) ربيعٍ الأول. وقيل: مات في سنة أربعٍ وتسعين ومئة](٦) وقدم بغداد، وحدَّث بها عن الأعمش، وكان قد لزمه عشرين سنة، وكان أثبتَ أصحابه، وروى عن هشام بنِ عروة وليثِ بن أبي سُليم في آخَرين، وروى عنه الإمامُ أحمد رحمةُ الله عليه وابن مَعين والحسنُ بن عَرَفَةَ في آخرين. وكان يحفظ القرآن، وهو ثقة. قال ابنُ سعد: [كان ثقةً إلَّا أنه] كان يدلِّس، وكان مُرجئاً، فلم يشهد وكيعٌ جنازته(٧).

قال المصنِّف رحمه الله(٨): وقد ظنَّ قومٌ أن أبا معاويةَ الضريرَ هو أبو معاويةُ الأسود، وليس كذلك، فإنَّ [أبا معاوية] الأسودَ اسمُه اليمان [وقيل: اسمُه كنيته] نزل طَرَسوس، وصحب سفيانَ الثوريَّ وابن أدْهَمَ والفُضَيل، وكان عظيماً في الزُّهد والوَرَع، وكان أسودَ اللون من موالي بني أمية، وكان ابنُ مَعين يقول: إنْ كان بقي أحدٌ

(١) ما بين حاصرتين من (ب).

(٢) لم نقف على هذا القول لأحد، والمنقول عن ابن المديني أنه توفي سنة ١٩٥ كما هو مذهب الجمهور. وعبارة (خ): وتوفي في هذه السنة، وقيل: سنة خمس وتسعين ومئة. وانظر تاريخ خليفة ص٤٦٦، والمنتظم ١٠/ ٢١-٢٢، وتهذيب الكمال، والسير ٩/ ٧٧، وتاريخ الإسلام ٤/ ١٢٦٩.

(٣) في طبقاته ٨/ ٥١٥ .

(٤) في تاريخه ٣/ ١٤٦، وأسنده عن محمد بن فضيل.

(٥) في (ب): وأول، والمثبت من تاريخ بغداد.

(٦) هو قول محمد بن عبد الله بن نمير، كما في تاريخ بغداد وغيره.

(٧) طبقات ابن سعد ٨/ ٥١٥، وما بين حاصرتين من (ب).

(٨) في (ب): قلت.

من الأبدال فأبو معاويةَ الأسود[١]. وذهب بصرُه [أيضاً][٢] في آخر عمره، فكان إذا أراد أن يقرأَ في المصحف، ردَّ اللهُ عليه بصره، فإذا ترك القراءةَ ذهب بصره.

[وحكى عنه ابن ماكويه الشِّيرازيُّ أنه كان] يلقط الخِرَق من المَزابل ويَرقع بها ثوبَه. وسنذكره في سنة ثمانٍ ومئتين [وقد حكى عنه أحمد بن أبي الحَوَاري وأقرانه.]

أبو الشِّيص

[الشاعر، واسمُه] محمَّد بن رَزِين[٣].

شاعرٌ فصيح [كان يقول: قول الشعر أهونُ عليَّ من شرب الماء].

قال أبو بكر ابنُ الأنباري[٤]: اجتمع أبو الشِّيص ودِعْبِلٌ وأبو نُوَاس ومسلمُ بن الوليد [الملقَّبُ بصَريع الغَواني] في مجلس، فقالوا لِيُنْشِدْ كلُّ واحد منا أحسنَ ما قال من الشعر، وهناك رجلٌ فقال: أنا أُخبركم بما ينشد كلُّ رجلٍ منكم، قالوا: هات، فقال لصريع الغواني مسلم بن الوليد: كأنِّي بك تُنشد: [من الطويل]

إذا ما عَلَت منا ذُؤابةُ واحدٍ ... وما كان[٥] ذا حِلْمٍ دَعَتْه إلى الجَهْلِ
هل العَيْشُ إلَّا أن تَروحَ مع الصِّبا ... وتغدو صَريعَ الكأْسِ والأَعيُنِ النُّجْلِ

[وقد ذكرنا أنَّ الرشيد سمَّاه صريعَ الغواني بهذا البيت] فقال: صدقت، ثم أقبل على أبي نُواسٍ وقال: كأنِّي بك وقد أنشدت: [من البسيط]

لا تبكِ ليلى ولا تطربْ إلى هند ... واشربْ على الوَرْد من حمراءَ كالوردِ
تَسقيك من عَينها خَمْراً ومن يدها ... خمراً فمالك من سُكرَين من بُدِّ[٦]

(١) قائله يحيى بن يحيى النيسابوري، كما في تاريخ دمشق ١٩/ ١٨٠، وتاريخ الإسلام ٤/ ١٢٦٩، والعبارة فيهما: فحسين الجعفي وأبو معاوية الأسود.
(٢) ما بين حاصرتين من (ب).
(٣) ويقال: محمد بن عبد الله بن رزين، انظر الشعر والشعراء ٢/ ٨٤٣، والأغاني ١٦/ ٤٠٠، وتاريخ بغداد ٣/ ٣٩٤، والمنتظم ١٠/ ٣٣، وتاريخ الإسلام ٤/ ١١٩٧. وما بين حاصرتين من (ب).
(٤) في (ب): وحكى أبو بكر بن الأنباري قال، والمثبت من (خ)، والخبر في المنتظم.
(٥) في الأغاني ١٦/ ٤٠٢: وإن كان، ورواية الديوان ص٤٢:
إذا ما علت منا ذؤابة شارب ... تمشت به مشي المقيد في الوحل
(٦) ديوانه ص١٨٠.

فقال له: صدقت، ثم أقبل على دِعْبلٍ فقال: كأنِّي بك تنشد: [من الكامل]

أيـن الشَّـبـابُ وأيَّـةً سَـلَـكـا ... لا أيـنَ يُـطـلَـب ضَـلَّ بـل هَـلَـكـا
لا تَـعـجَـبـي يـا سَـلْـمُ مـن رجـلٍ ... ضَـحـك الـمَـشيبُ برأسه فبكى[1]

فقال: صدقت، ثم أقبل على أبي الشِّيص وقال: كأنِّي بك تنشد: [من الكامل]

لا تُـنـكـري صَـدِّي ولا إعـراضـي ... لـيس الـمُـقِلُّ عن الـزمـان بـراضـي[2]

فقال أبو الشِّيص: لا، ما أردتُ هذا، ولا هذا أجود شعرٍ قلت، قالوا: فأنشدنا ما بدا لك، فأنشدهم: [من الكامل]

وقف الهوى بي حيثُ أنتِ فليس لي ... مُـتـأخَّـرٌ عـنـه ولا مُـتـقَـدَّمُ
أجِـدُ الـمَـلامـةَ فـي هَـواكِ لَـذيـذةً ... حُـبًّـا لـذِكـرك فـلْـيَـلُـمْـنـي الـلُّـوَّم
أشـبَـهْـتِ أعـدائـي فـصـرتُ أُحـبُّـهـمْ ... إذ كـان حـظِّـي مـنـكِ حـظِّـي مـنـهـمُ
وأهَـنْـتِـنـي فـأهَـنْـتُ نـفـسـي صـاغِـراً ... مـا مَـن يَـهـونُ عـلـيـكِ مـمَّـن يُـكـرَم

فقال الجماعة: أحسنتَ واللهِ وأجدْتَ، وتوفِّي وقد ذهب بصرُه رحمةُ الله عليه.

وَكيع بن الجَرَّاح

ابن مَليح بن عَدي، أبو سفيان الرُّؤاسي[3].

[ذكره ابنُ سعد] في الطبقة السابعة من أهل الكوفة [ونسبه فقال: وكيع بن الجراح ابن مَليح بن عديٍّ بن الفرس بن سفيانَ بنِ الحارث بنِ عَمرو بن عُبيد الله[4] بن رُؤاس ابن كِلاب بن ربيعةَ بن عامر بنِ صَعْصَعَة].

حجَّ سنةَ ستٍّ وتسعين، ثم انصرف من الحجِّ، فمات بفَيْد في المحرَّم سنةَ سبع وتسعين ومئة [في خلافة محمَّد بن هارون]، وكان ثقةً مأموناً عالماً رفيعاً كثيرَ الحديث حُجَّة.

---

(١) ديوانه ص٢٠٣-٢٠٤.

(٢) في (ب) و (خ): ليس الزمان عن المقل براضي. والمثبت من الشعر والشعراء ٢/ ٨٤٥، والأغاني ١٦/ ٤٠٢، والمنتظم ١٠/ ٣٤، والوافي بالوفيات ٣/ ٣٠٣.

(٣) تاريخ بغداد ١٥/ ٦٤٧، وتاريخ دمشق ١٧/ ٧٨٣ (مصورة دار البشير)، والمنتظم ١٠/ ٤٢، وتهذيب الكمال، وتاريخ الإسلام ٤/ ١٢٣٠، والسير ٩/ ١٤٠.

(٤) في طبقات ابن سعد ٨/ ٥١٧: عبيد. وما بين حاصرتين من (ب).

[هذا قولُ ابن سعد، وقال غيرُه: كان أبوه الجرَّاحُ على بيت مالِ الكوفة] ومولدُ وكيعٍ في سنة تسعٍ وعشرين ومئة. وقيل: إنه وُلد في سنة ثمانٍ وعشرين ومئة [قال ابنُ عساكر: كان يُفتي على مذهب أبي حنيفةَ، وأخذ عن أبي حنيفة شيئاً كثيراً[١]].

وقد ذكرنا أنَّ هارونَ أقدمه إلى بغدادَ وعرض عليه القضاء فامتنع. وحكى الخطيبُ عن أبي نُعيم أنه قال: ولد وكيعٌ سنةَ ثلاثين ومئة][٢].

وكان جواداً حليماً، جاءه رجلٌ فقال: إني أَمُتُّ إليك بحُرمة، قال: وما حرمتُك؟ قال: كتبتَ من مِحبَرتي في مجلس الأعمش، فقام وكيعٌ ودخل منزله فأخرج صُرَّة فيها دنانيرُ وقال: أُعذرني فما أملك غيرَها.

[وقال الخطيب: جاء رجلٌ إلى وكيع] فأغلظ[٣] له، فدخل بيتاً، وعفَّر وجهَه في التراب، ثم خرج فقال للرَّجل: زِدْ وكيعاً، فلولا ذنبُه ما سُلِّطت عليه.

[وروى أبو نُعيم عن] سالم بنِ جُنادة [قال][٤]: جالست وكيعاً سبعَ سنين، فما رأيته بَصَق، ولا مسَّ بيده حَصاة، وما رأيته إلَّا مستقبلَ القبلة، وما سمعتُه يحلف بالله[٥].

وكان يصوم الدهرَ ويختم القرآن كلَّ ليلة. وقال الإمام أحمدُ رحمه الله[٦]: حجَّ وكيعٌ سبعين حجَّة، فما اتّكأ، ولا نام في مَحْمِل.

وقال: مَن قال: إنَّ القرآنَ مخلوق، فهو كافرٌ بالله العظيم. وكان يقول: زكاة الفطرِ لشهر رمضانَ كسجدتي السَّهوِ للصلاة، تَجْبُر نقصانَ الصوم كما تجبر سجدتا السهو نقصانَ الصلاة.

---

(١) تاريخ دمشق ١٧/ ٧٩٢.

(٢) كذا في (ب)، وفي (خ): ولد سنة تسع وعشرين، وقيل: سنة ثمان وعشرين ومئة، وقيل: سنة ثلاثين. والذي في تاريخ بغداد ١٥/ ٦٦٦: قال أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن حنبل: وكيع كان بينه وبين أبي نعيم سنة . . . ولد وكيع سنة تسع وعشرين، وأبو نعيم سنة ثلاثين.

(٣) في (خ): وجاءه رجل إليه فأغلظ، والخبر في تاريخ بغداد ١٥/ ٦٥٦.

(٤) في (خ): وقال سالم بن جنادة.

(٥) حلية الأولياء ٨/ ٣٦٩.

(٦) في (ب): وحكى الحافظ ابن عساكر عن أحمد بن حنبل قال، والمثبت من (خ).

و[قال هشام بنُ عمار:][1] قدَّم رجلٌ رجلاً إلى شريكٍ القاضي، فادَّعى عليه بمئة ألفِ دينار، فأقرّ، فقال شريك: لو أنكر لم أقبلْ عليه إلَّا شهادةَ وكيعٍ وعبدِ الله بن نُمَير.

وقال وكيع: أتيت الأعمشَ فقلت: حدِّثني، فقال: ما اسمُك؟ قلت: وكيع، قال: اسمٌ نبيل، وما أظنُّك إلَّا سيكون لك نبأ، أين تنزل من الكوفة؟ قلت: في بني رُؤاس، قال: أين من منزل الجرَّاح بنِ مَليح؟ قلت: ذاك أبي -وكان أبي على بيت المال- فقال: اذهب وجئني بعطائي وتعالَ حتى أحدِّثَك بخمسة أحاديث، فجئت أبي وأخبرته، فقال: خذ نصفَ العطاءِ واذهب به، فإذا حدَّثك بالخمسة فخذ النصفَ الآخرَ فاذهب به حتى تكونَ عشرة، قال: فأتيتُه بنصف عطائه، فأخذه فوضعه في كفِّه ثم سكت، فقلت: حدِّثني، فأملى عليَّ حديثين، فقلت: وعدتني بخمسة، قال: فأين عطائي كلُّه؟ أَحسِبُ أنَّ أباك أمرك بهذا ولم يعلم أنَّ الأعمشَ مدرَّب قد شهد الوقائع، اذهب فجئْ بتمامه، وتعالَ حتى أحدِّثَك بخمسة أحاديث، فجئتُه بعطائه، فحدَّثني بخمسة أحاديث، فكنت إذا كان أوَّل كلِّ شهر آتيه بعطائه فيحدِّثني بخمسة أحاديث.

أسند وكيعٌ عن أبيه، وعن سفيانَ الثوريِّ وغيرِهما، وروى عنه الإمام أحمدُ رحمه اللهُ وغيره.

واتَّفقوا على صدقه وثقته، وكان الإمام أحمدُ يقول: عليكم بوكيع؛ فإنه حافظٌ حافظ، وعليكم بمصنَّفاته.

وقال الإمام أحمدُ رحمةُ الله عليه لعباس الدُّوري: لو رأيتَ وكيعاً لعلمتَ أنَّك لم ترَ مثله، وما رأت عيناي مثلَ وكيعٍ قطّ، يحفظ الحديثَ جيِّداً، ويذاكر بالفقه فيُحسن، مع ورعٍ واجتهاد، ولا يقع في أحد.

وقيل للإمام أحمدَ رحمه الله: أيُّما أحبُّ إليك، وكيعُ بن الجرَّاح أو عبد الرَّحمن بن مَهْدي؟ فقال: أما وكيع، فصديقُه حفص بنُ غياث، ولي القضاءَ فما كلَّمه وكيعٌ حتى مات، وأما ابنُ المهدي، فصديقه معاذُ بن معاذٍ العَنْبَري، ولي القضاءَ فما فارقه حتى مات[2].

(١) ما بين حاصرتين من (ب).
(٢) ما بعد هذا إلى نهاية الترجمة من (ب).

[واختلفوا في وفاته، فحكينا عن ابن سعد: في سنة سبعٍ وتسعين ومئة، وقال الواقدي: في سنة ستٍّ وتسعين ومئة، وقال إبراهيمُ الحربي: حجَّ فأخذه البطن، فما زال به إلى فَيْد، فكان ينزل في كلِّ ميلٍ مراراً، فمات بفَيد، ودُفن في الجبل آخرَ القبور في سنة ثمانٍ وتسعين ومئةٍ في المحرَّم[١] وله ستٌّ وستون سنة. وقال الخطيب[٢]: حدَّث وكيع وهو ابنُ ثلاثٍ وثلاثين.

قلت: وقد أخرج له جدِّي في «المنتظم»[٣] أثراً فقال: حدَّثنا أبو منصور بنُ خَيْرون بإسناده عن إسماعيلَ بنِ أبي خالد[٤]، عن عبد الله، أنَّ رسولَ الله ﷺ لمَّا مات لم يُدفن حتى ربا بطنُه وانثنت خِنْصِراه. قال قتيبة[٥]: حدَّث بهذا الحديثِ وكيعٌ وهو بمكة، وكانت سنة حجَّ فيها هارونُ الرشيد، فقدَّموه إليه، فدعا هارونُ سفيانَ بن عيينةَ وعبدَ المجيد بنَ عبد العزيز بن أبي رَوَّاد فقال: ما تقولون في هذا؟ فأما عبدُ المجيد فقال: يجب أن يُقتلَ هذا؛ لأنَّه ما رواه إلا وفي قلبه غشٌّ للنبي ﷺ، وأما ابنُ عيينة فقال: لا يجب عليه القتل؛ لأنه رجلٌ سمع شيئاً فرواه، إنَّ المدينة شديدة الحرّ، ورسولُ الله ﷺ إنما توفِّي يومَ الإثنين ونزل في قبره ليلةَ الأربعاء؛ لأن القومَ كانوا في إصلاح أمرِ الأمَّة، واختلفت قريشٌ والأنصار؛ فلذلك تغيَّر.

قلت: اعتذار سفيانَ أكبرُ من ذنب وكيع؛ لأنَّا قد روينا في صدر الكتابِ في آخر سيرةِ النَّبي ﷺ حديثَ أوس بنِ أوسٍ الثقفي، أخرجه أحمدُ في «المسند»[٦] قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ يومَ الجمعة خَلَقَ الله آدم، وفيه قُبض، وفيه النفخة، وفيه الصَّعقة، فأكثروا عليَّ، من الصلاة فيه، وإنَّ صلاتكم معروضةٌ عليّ، قالوا: يا رسولَ الله،

---

(١) في تاريخ بغداد ١٥/ ٦٦٦: في آخرها. وليس فيه قوله بعده: وله ست وستون سنة، بل خرجه ١٥/ ٦٦٧ من قول الإمام أحمد رحمه الله تعالى.

(٢) خرجه عن إبراهيم الحربي ١٥/ ٦٤٩.

(٣) ١٠/ ٤٣-٤٤، وأخرجه ابن عساكر ١٧/ ٨٠٥، وانظر السير ٩/ ١٦٠، وتاريخ الإسلام ٤/ ١٢٣٧ وكلامه فيهما.

(٤) وهو شيخ وكيع في هذا الأثر.

(٥) هو الراوي عن وكيع هذا الأثر.

(٦) برقم (١٦١٦٢).

وكيف تُعرَض عليك صلاتُنا وقد أَرَمْتَ! -أي بليت- فقال: إنَّ الله حرَّم على الأرض أن تأكلَ أجسادَ الأنبياء». وأخرجه أبو داودَ في «السُّنن»[١] فكيف يتصوَّر أنه يتغيّر؟! وقد روينا عن أحمدَ في «المسند»[٢] من حديث أبي هريرةَ عن النبِّي ﷺ أنَّه قال: «ما من أحدٍ يسلِّم عليَّ إلَّا ردَّ اللهُ إليَّ روحي حتى أردَّ عليه».

وإذا كان البدن قد بلي واضمحلّ، فما بقي شيءٌ ترجع الروحُ إليه، وقد كان الواجبُ الإعراضَ عن رواية مثلِ هذه الآثار، التي لها في القلب آثار، ومذهبُ جماعةٍ من العلماء أنَّ النبيَّ ﷺ حيٌّ في قبره، والواجب الإقْرارُ[٣] بمثل هذا لرسول اللهِ ﷺ وتعظيماً لقدره.

قلت: ووقفت بعد هذا التاريخِ على كتابٍ من تصنيف الحافظِ أبي بكر أحمدَ بن الحسين بن عليٍّ البيهقيِّ سمَّاه كتابَ «حياة الأنبياءِ في قبورهم» بعث به إلى أبي سليمانَ خالدِ بن يوسفَ النابُلُسي المحدِّث، وهو سماعُه من . . .[٤] وفيه أخبار، من جُملتها ما رواه أنسٌ عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «الأنبياءُ أحياءٌ في قبورهم يصلُّون»[٥] وفي روايةٍ[٦] عن أنسٍ عن النبيِّ ﷺ قال: «إنَّ الأنبياءَ لا يُترَكون في قبورهم بعد أربعين ليلة، ولكنهم يصلون في قبورهم بين يدي الله تعالى حتى يُنفَخ في الصُّور» ومعناه: لا يُتركون ولا يصلُّون إلى هذا المقدار.

ورَوَى عن سفيانَ الثوريِّ قال: قال سعيدُ بن المسيَّب[٧]: ما مكث نبيٌّ في قبره أكثرَ من أربعين ليلةً حتى يُرفع. وذَكَرَ حديث المعراجِ وأن نبيَّنا ﷺ مرَّ بموسى وهو قائمٌ يصلِّي في قبره، وهو في الصحيح][٨].

(١) برقم (١٠٤٧) و (١٥٣١)، والنسائي ٣/ ٩١، وابن ماجه (١٠٨٥) و (١٦٣٦).
(٢) برقم (١٠٨١٥)، وأخرجه أبو داود (٢٠٤١).
(٣) غير واضحة في (خ)، ولعل المثبت هو الصواب.
(٤) كلمة غير واضحة.
(٥) حياة الأنبياء بعد وفاتهم (١).
(٦) برقم (٤).
(٧) في حياة الأنبياء (٥): قال شيخ لنا عن سعيد بن المسيب.
(٨) صحيح مسلم (٢٣٧٥) من حديث أنس رضي الله عنه.

السَّنة السابعة والتِّسعون بعد المئة

فيها لحق القاسمُ بن هارونَ بالمأمون من بغداد، ومنصورُ بن المهديِّ من البصرة، فبعث المأمونُ أخاه القاسمَ إلى جرجان، وأقام منصورٌ عنده.

وفيها حاصر طاهرٌ وهَرْثَمةُ وزهير بنُ المُسَيَّب الضَّبي بغداد من كلِّ جانب، ونزل زهيرٌ بكَلْواذَى، وهرثمةُ بالنَّهْرُبِيْن، وطاهرٌ بباب الأنبار، وحفر الخنادق، ونصب زهيرٌ المجانيق و العرَّادات[١] ورمى بها، وبلغ من الناس كلَّ مبلغ، وهرثمة يمدُّه بالعساكر، وجعل يَعشُر التجَّارَ[٢] في السفن ويبالغ في الفساد، [فقال شاعرٌ من أهل الجانب الشرقيِّ في كَلْواذى في زهيرٍ وقتلِه الناسَ بالمجانيق[٣]: [من المنسرح]

لا تَقرَبِ المَنْجَنيقَ والحَجَرا ... فقد رأيتَ القتيلَ إذ قُبرا

يا صاحبَ المنجنيقِ ما فعلَتْ ... كفَّاك لم تُبقيا ولا تذرا]

ونزل عبيدُ الله[٤] بن الوضَّاح الشَّمَّاسِيَّة، وضايقوا بغدادَ من كلِّ جانب، وأُسقط في يدي الأمين، وتفرَّق ما كان بيده من الأموال، وضاق ذَرْعاً، وضرب ما كان في الخزائن من آنية الذهبِ والفضَّة دنانيرَ ودارهمَ وأنفقها في الجند، ورمى مَحلَّة الحَرْبيةِ بالمجانيق والنيران؛ لأنَّهم صاروا مع العدو، فقتل جماعةً من أهلها، وخرج النساءُ من الخُدور حَاسرات، فقال عَمرو بن عبد الملك: [من مجزوء الرمل]

يا رُماةَ المَنْجَنيقِ ... كلُّكم غيرُ شَفيقِ

ما تُبالون صَديقاً ... كان أو غيرَ صديق

وَيْحَكم تَدرون مَن تَرْ ... مون مُرَّارَ الطَّريق

رُبَّ خَودٍ ذاتِ دَلٍّ ... وهْي كالغُصْن الوَريق

---

(١) العرادة: شيء أصغر من المنجنيق. القاموس المحيط (عرد).

(٢) أي: يأخذ عشر أموالهم.

(٣) في (ب): بالمناجيق، والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ٤٤٥ .

(٤) في (خ)، والمنتظم ١٠/ ٣٦ عبد الله، وليس في (ب)، والمثبت من تاريخ الطبري، وابن الأثير ٦/ ٢٧١، وتاريخ الإسلام ٤/ ١٠٤٦.

لـم تـكـن تَـعـرفُ بـاب الـدَّارِ مـن خَـوفِ الـشَّـقـيـق
أُخـرِجَـتْ مـن قَـعْـر خِـدرَيـهـا[١] ومـن عَـيْـشٍ أنـيـق
لـم تـجـد مـن ذاك بُـدًّا أُخـرِجَـت[٢] يـومَ الـحَـريـق

واشتدَّت شوكة طاهرٍ على محمَّد، وتفرَّقت عنه عساكره وقوَّاده، واستولى الخرابُ والهدم والحريقُ على بغداد، ودَرَست مَحاسنُها، وكان الناسُ يبكون عليها، وأصبح ما حولَها بَلابلَ وخراباً، وأكثر الشعراءُ فيما أصابها [فقال عَمرو بن عبد الملكِ هذه الأبيات: [من البسيط]

مَـن ذا أصـابَـكِ يـا بَـغـدادُ بـالـعَـيْـن ... أَلـم تـكـونـي زَمـانـاً قُـرَّةَ الـعَـيـنِ
أَلـم يـكـن فـيـكِ أقـوامٌ لـهـمْ شَـرَفٌ ... بـالـصَّـالـحات وبـالـمَـعروف يَـلْـقَـوني
أَلـم يـكـن فـيـكِ قـومٌ كـان مَـسْـكَـنُـهـمْ ... وكـان قُـربُـهـمْ زَيْـنـاً مـن الـزَّيـن
صاح الزَّمانُ[٣] بهمْ بالبَيْن فافترقوا ... مـاذا لَـقِـيـنـا بـه مـن لَـوْعَـة الـبَـيـن
أسـتـودِعُ اللهَ قـومـاً مـا ذكـرتُـهـمُ ... إلَّا تَـحَـدَّر مـاءُ الـعَـيْـن مـن عَـيـنـي
كـانـوا فـفـرَّقـهـمْ دَهْـرٌ وصَـدَّعـهـمْ ... والـدَّهـرُ يَـصـدَعُ مـا بـيـن الـفـريـقَـين
يـا مَـن يُـخـرِّب بـغـداداً لـيَـعـمُـرَهـا ... أهـلـكـتَ نـفسَك ما بـيـن الـطَّـريـقَـين
لـمَّـا أتـيـتَـهـمُ فـرَّقـتـهـمْ فِـرَقـاً ... والـنـاس طُـرًّا جـمـيـعـاً بـيـن قَـلْـبَـين

ورثاها جماعةٌ من الشعراء][٤].

ولمَّا ضايق طاهرٌ بغداد، أرسل إلى أهل الأرْباضِ من باب الأنبارِ وباب الكوفةِ وغيرِها، فمَن أجابه أحسن إليه، ومن خالفه أحرق منزلَه، وسمَّى طاهر الأرباضَ التي خالفه أهلُها ومدينةَ أبي جعفرٍ والكَرْخَ وما حولها والمدينةَ الشَّرقية دارَ النّكث، وقبض ضياعَ بني هاشمٍ وغلَّاتهم، وأموالَ الذين في مدينة المنصور، فذَلُّوا وخَضَعوا، وتقاعدوا عن القتال، فانتدب الشُّطَّار وأهلُ السجون والأوباشُ والرَّعاع لقتال طاهرٍ

(١) في تاريخ الطبري: أخرجت من جوف دنياها.
(٢) في تاريخ الطبري: أبرزت.
(٣) في تاريخ الطبري ٨/ ٤٤٧، والبداية والنهاية ١٤/ ٩٥: الغراب.
(٤) ما بين معكوفين من (ب)، وبعدها: فصل وحج بالناس، واختصرت فيها الأحداث الآتية.

في كلِّ يوم، وهو يحرق ويخرب ويهدم ما قدر عليه من القناطر وغيرِها.

وفيها كانت على طاهرٍ وقعةٌ عظيمة بقصر صالح، لمَّا ضايق طاهرٌ بغداد، صابرها حتى ملَّ أهلُها من قتاله، وكان الأمينُ قد وكَّل بالجسور من ناحية قصر صالحٍ عليَّ بن فراهمرد، وعلى الجسور المجانيق والعرَّادات، فاستأمن عليٌّ إلى طاهر، وسلَّم إليه الجسورَ وما عليها، وبعث إليه الجندَ من أصحابه، وذلك ليلةَ السبت النصفَ من جُمادى الآخرة، ثم استأمن إلى طاهرٍ محمَّد بن عيسى صاحبُ شرطة محمَّد، وكان قد استظهر على طاهرٍ بأهل السُّجونِ والشُّطَّار، فلمَّا استأمن هذان أيقن محمَّد بالهلاك واستسلم، وجاء فوقف على باب قصرِ أمِّ جعفر، وجاء طاهرٌ وأصحابه، وغضب لمحمَّد الشطارُ والعيَّارون[1]، فقاتلوا عنه داخل قصرِ صالحٍ إلى ارتفاع النهار، فقتلوا أعيانَ أصحابِ طاهر، منهم الباذَغِيسيُّ وجماعةٌ من القواد، ورجع طاهرٌ بمن بقي معه مُنهزمين، ولم يكن على طاهرٍ وَقْعةٌ أشدُّ منها، قُتل معظم أصحابِه وجُرح البعض، وسُرَّ محمَّد، وفرَّق في الشطَّار أموالاً، فقال الخَليع: [من مجزوء الوافر]

أمـيـنَ الله ثِـقْ بـالـلـ ... ـهِ تُـعْـطَ الـصَّـبـرَ والـنُّـصْـرَهْ
كِـلِ الأمـرَ إلـى الله ... كَـلاكَ اللهُ ذو الـقُـدره
لـنـا الـنَّـصـرُ بـعَـوْن الـلـ ... ـهِ[2] والـكَـرَّةُ لا الـفَـرَّه
ولـلـمُـرَّاق أعـدائـ ... ـك يـومُ الـسَّـوء والـدَّبْـره
وكـأسٌ تَـلْـفِـظُ الـمَـوتَ ... كَـريـهٌ طَـعْـمُـهـا مُـرَّه
سُـقـيـنـا وسَـقـيـنـاهـمْ ... ولـكـنْ بـهـم الـحَـرَّه
كـذاك الـحـربُ أحـيـانـاً ... عـلـيـنـا ولـنـا مَـرَّه

ولما تمَّ على طاهرٍ ما تمّ، كاتب القوَّاد والهاشميين، فلحق به جماعة، منهم عبدُ الله ابن حُمَيد بن قَحْطَبة الطائي وإخوتُه، وولد الحسنِ بن قحطبة، ويحيى بنُ عليٍّ بن

(١) العيار: الكثير المجيء والذهاب، والذكي الكثير التطواف. وقال ابن الأعرابي. والعرب تمدح بالعيار وتذم به، يقال: غلام عيار: نشيط في المعاصي، وغلام عيار: نشيط في طاعة الله عز وجل. القاموس والتاج (عير).

(٢) في (خ): لنا العون بنصر الله، والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ٤٥٥، ومروج الذهب ٦/ ٤٥٨، وفي الأغاني ٧/ ٢٠٧: لنا النصر بإذن الله.

ماهان، وغيرهم. وأقبل محمَّد بعد وقعة طاهرٍ على اللهو والشرب، وفوَّض أموره إلى محمَّد بن عيسى بن نَهيك وإلى الهِرْش[١]، يحفظا الأبواب والفُرَض[٢] والأرباضِ وسوق الكَرْخ وما والاها.

وفيها كانت وقعةُ الشمَّاسِيَّة، كان هَرْثَمَةُ كارهاً لحرب محمَّد، وكان يأتي أحياناً فيقف بباب خُراسانَ، فيَشْتُمه الجُندُ وأهل العسكر، وكان الأمينُ قد قدَّم على العُراة والشطَّار حاتمَ بن الصَّقْر، فبيَّت عُبيد الله بن الوضَّاح ليلاً، فانهزم وترك خيلَه وسلاحَه ومتاعه، فنهبه حاتمٌ والعُراة، فأقبل هَرْثَمَةُ في نُصرته، ونشبت الحرب، فأسر رجلٌ من العراة هَرْثَمَةَ ولم يعرفه، فحمل بعضُ أصحاب هَرْثَمَةَ على الرجل، فقطع يدَه وخلَّصه منه، فانهزم هَرْثَمَة، ومضى أصحابُه إلى طريق حُلوانَ مُنْهَزمين، وحال بين هَرْثَمَةَ وأصحابِ محمَّد الليلُ عن الطلب، ولم يرجع إلى هَرْثَمَةَ أصحابُه إلَّا بعد يومين.

وقوي الشطَّار بما أصابوا من مال هَرْثَمَةَ وابنِ الوضَّاح، وبلغ طاهراً، فاشتدَّ ذلك عليه، وعقد جسراً فوق الشمَّاسية على دجلة، وكان قد استولى على بغدادَ، وقطع القَنْطَرَتين اللتين على الصَّراة بباب البصرة، ثم وجَّه أصحابه فعبروا إلى الشماسية على الجسر، وقاتلوا أصحابَ محمَّد قتالاً شديداً، فأزالوهم عن الشماسية، وعاد إليها جندُ هَرْثَمَة، وأحرقوا لمحمَّد بالشماسية قُصوراً غَرِم عليها عشرين ألفَ ألفِ درهم، وبلغ محمَّداً فشقَّ عليه، وقال أو قيل على لسانه: [من الوافر]

مُنيتُ بأشْجَعِ الثَّقَلَينِ قَلْباً ... تزول له الجبالُ ولا يزولُ[٣]
فليس بمُغْفِلٍ أمراً عَناه ... إذا ما الأمرُ ضَيَّعه الغَفول
له مع كلِّ ذي بَدَنٍ رَقيبٌ ... يُشاهِدُه ويَعلَمُ ما يقول
إذا ما الرَّأيُ قَصَّر عن أُناسٍ ... فرأيُ الأعورِ الباغي يَطولُ

يعني طاهراً.

(١) في (خ): الهراس، والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ٤٥٦، وابن الأثير ٦/ ٢٧٣، وتاريخ الإسلام ٤/ ١٠٤٦.
(٢) في تاريخ الطبري: فرض دجلة. وفرضة النهر: ثلمته التي يستقي منها. مختار الصحاح (فرض).
(٣) في زهر الآداب ١/ ٥٤١: تزول الراسيات وما يزول، وفي تاريخ الطبري ٨/ ٤٦٧، والبداية والنهاية ١٤/ ٩٧: إذا ما طال ليس كما يطول.

وضَعُف أمر محمَّد، وفَرَغَت خزائنُه، وأيقن بالهلاك، وهرب عبد الله بنُ خازم بنِ خُزَيْمةَ[(١)] إلى المَدائن؛ لأن محمَّداً اتَّهمه وسلَّط عليه الغَوْغاء، فأقام بالمدائن حتى انقضى أمرُ بغداد. وقيل: إنَّ طاهراً كتب إليه وخوَّفه.

وبينما محمَّد يوماً جالسٌ في قصره، إذ سمع ضَجَّة على باب القصرِ وضجَّةً في عسكر طاهر، فقال: ما هذا؟ قالوا: الجندُ على بابك يطلبون أرزاقَهم وأصحابُ طاهرٍ قد ظفروا، فقال: قاتل اللهُ الفريقين معاً، أمَّا الذين معي فيريدون مالي، وأمَّا الذين عليَّ فيريدون دمي.

ودخلت عليه أمُّه زبيدةُ باكية، فقال: يا أمَّاه، ليس بجَزَع النساءِ تُشفى الصُّدورُ وتُساس الأمور، وللخلافة سياسةٌ تلين مرةً وتَخْشُن أخرى، لا تَسَعُها القلوبُ، ولا تُحْفَظ بالإضاعة. وأيقن محمَّد بالهلاك وطاهرٌ بالظَّفَر.

وحجَّ بالناس العباسُ بن موسى بنِ عيسى، بعثه طاهرٌ بأمر المأمون، وكان على مكةَ والمدينةَ داود بنُ عيسى.

فصل وفيها توفي

بَقيَّة بنُ الوليد

ابن صائد بنِ كعب، أبو محمَّد، وقيل: أبو يُحْمِد -بضمِّ الياء- الكَلاعي.

[ذكره ابن سعدٍ[(٢)] في] الطبقة السادسةِ من أهل الشام، وكان ثقةً في روايته عن الثقات، ضعيفاً عن غيرهم [، ومات في سنة سبع وتسعين ومئة.

وهذا قول ابن سعد، وقال غيره:] وُلد سنةَ عشر ومئة.

[وقال البخاري كنيته أبو يُحْمِد.[(٣)]

وقال الخطيب:] وقدم بغدادَ وحدَّث بها[(٤)].

(١) في (خ): عبد الله بن خزيمة بن خازم، والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ٤٦٧، وابن الأثير ٦/ ٢٧٦، والمنتظم ١٠/ ٣٨، وتاريخ الإسلام ٤/ ١٠٤٧.

(٢) في طبقاته ٩/ ٤٧٤ . ومابين حاصرتين من (ب)، وانظر في ترجمته تاريخ بغداد ٧/ ٦٢٣، وتاريخ دمشق ٣/ ٣٩١ (مخطوط)، والمنتظم ١٠/ ٢٩، وتهذيب الكمال، وتاريخ الإسلام ٤/ ١٠٨٢، والسير ٨/ ٥١٨.

(٣) التاريخ الكبير ٢/ ١٥٠، وعنه تاريخ دمشق ٣/ ٣٩٤.

(٤) تاريخ بغداد ٧/ ٦٢٣.

ودخل على شعبةَ فلم يلتفت إليه، فسئل شعبةُ عن رجلٍ ضُرب في رأسه، فادَّعى المضروبُ أنه ذهب شَمُّه، فلم يكن عند شعبةَ ولا أصحابِه جواب، فقال بقية: يُدَقُّ الخَرْدَلُ ويَشَمُّه، فإن دمعت عيناه فهو كاذب، وإن لم تدمعْ أُعطي الدِّيَة. فقرَّبه شعبةُ وأسمعه الحديث[١].

ومات بقيةُ بحمصَ في هذه السَّنة، وقيل: في سنة ثمانٍ أو تسعٍ وتسعين[٢].

أسند عن خلقٍ كثير، منهم إبراهيمُ بن أدهمَ والأوزاعيُّ ومالك بنُ أنس وغيرهم، وروى عنه سفيانُ بن عيينةَ[٣] وغيره، وأخرج له مسلمٌ حديثاً واحداً، وقد تكلَّموا فيه.

[وقال الحافظ ابن عساكر: كان له ابن اسمه عطية قال:][٤] دخل أبي يوماً على هارون، فقال له: يا بقية، إنِّي أحبُّك فحدِّثني، فقال: حدَّثني محمَّد بنُ زيادٍ الألْهاني، عن أبي أُمامةَ الباهِليِّ قال: قال رسول الله ﷺ: «وعدني ربِّي أن يُدخلَ الجنةَ من أمَّتي سبعين ألفاً، مع كلِّ واحدٍ سبعين ألفاً، وثلاثَ حَثَيات من حثيات ربِّي»[٥] فامتلأ هارونُ فرحاً وقال: يا غلام، ناولني الدواةَ لأكتبها، وكان الفضلُ بن الربيع بعيداً عن هارون، فقال له الفضل: يا بقية، ناول أميرَ المؤمنين الدواة، فقال: ناوله أنت يا هامان، فقال الفضل: أسمعت يا أميرَ المؤمنين ما قال؟! فقال له: اسكت، فما كنتَ عنده هامانَ حتى كنت أنا فرعون.

وقال قوم: الحاصلُ أن بقيةَ كان ثقةً صدوقاً، وإنَّما كان يُدَلِّس بقَصْد ترويجِ حديثه لعلوِّ الإسناد.

شُعَيْب بن حَرْب

أبو صالحٍ المدائنيُّ الزَّاهد[٦]. كان من أبناء خُراسان، وكان يُعَدُّ من أهل بغداد،

---

(١) تاريخ دمشق ٣/ ٣٩٦.

(٢) في (ب): واختلفوا في وفاته؛ فحكينا عن ابن سعد أنه مات في هذه السنة، وقيل: في سنة سبع أو ثمان أو تسع وتسعين ومئة بحمص. والمثبت من (خ).

(٣) وهو أكبر منه.

(٤) في (خ): وقال عطية بن بقية، والمثبت من (ب)، والخبر في تاريخ دمشق ٣/ ٤٠٢-٤٠٣ (مخطوط).

(٥) وأخرجه أيضاً الترمذي (٢٤٣٧) وابن ماجه (٤٢٨٦). وله شواهد.

(٦) تاريخ بغداد ١٠/ ٣٣٠، المنتظم ١٠/ ٣٩، تاريخ الإسلام ٤/ ١١٢٦، السير ٩/ ١٨٨، وهذه الترجمة ليست في (ب).

فتحوَّل إلى المدائن فنزلها واعتزل بها، وكان ثقةً له فضل، ثم خرج إلى مكةَ فنزلها إلى أن مات بها.

وقال طيِّب بن إسماعيل: ذهبنا إلى المدائن إلى شُعيب بنِ حَرْب، وكان قاعداً على شطِّ دِجلةَ قد بنى كوخاً وله خبزٌ مُعلَّق، وإنما كان جِلْداً وعَظْماً، فقال: أرى ها هنا بعدُ لحماً، واللهِ لأعملنَّ في ذَوَبانه حتى أدخلَ القبر وأنا عظامٌ تَتَقَعْقَع، أريد السِّمنَ للدود والحيَّات؟! فبلغ الإمامَ أحمد رحمه الله قولُه فقال: شعيب بنُ حرب حمل على نفسِه في الوَرَع.

وجاء رجلٌ إليه وهو بمكَّة، فقال: ما جاء بك؟ فقال: جئت أؤنسك، قال: جئتَ تؤنسني وأنا أُعالج الوَحْدةَ منذ أربعين سنة؟!.

قال شعيب: لا تجلس إلَّا إلى أحد رجلَين: رجل يعلِّمك خيراً فتقبل منه، أو رجل تعلِّمه خيراً فيقبل منك، والثالثُ اهرب منه.

وقال ابنُ ناصر[1]: خرج قومٌ من بغداد إلى المدائن لزيارة شعيب، فأقاموا عنده يستقون الماء، فلم يرجعوا إلى دُورهم، فكان شعيبٌ يقول لبعضهم: لو رآك سفيان الثوريُّ لقرَّت عينه.

وخرج إلى مكَّة، وحجَّ في تلك السنةِ هارون، فإذا به في الطريق، فناداه شعيب: يا هارون، أتعبتَ الناسَ والبهائم، فقال: خذوه، فلمَّا نزل دعاه وقال: ما الذي أقدمك عليَّ؟ قال: حقٌّ وجب عليَّ لله تعالى، قال: فلمَ دعوتني [باسمي][2]؟ قال ما أنت خيرٌ من محمَّد ﷺ وقد سمَّاه اللهُ باسمه، وكنى عدوَّه أبا لهب.

وقال: مَن أراد الدُّنيا فلْيَتَهيَّأ للذُّلّ.

وأراد أن يتزوَّج امرأة، فقال لها: أنا سيِّئ الخُلق، فقالت: أسوأُ خُلُقاً منك مَن أحوجك إلى أن تكونَ سيِّئَ الخلق، فقال: أنتِ إذن امرأتي.

وقال: مَن طلب الرِّئاسةَ ناطَحَتْه الكِباش، ومَن رضي أن يكونَ ذَنَباً أبى اللهُ إلَّا أن يجعلَه رأساً.

---

(١) هو شيخ ابن الجوزي في هذه الرواية كما في المنتظم ١٠/ ٤٠، ساقها من طريقه إلى عبد الوهَّاب، ثم ذكر القصة.

(٢) ما بين حاصرتين من تاريخ بغداد ١٠/ ٣٣١.

وقال سَرِيٌّ السَّقَطي: أربعةٌ طلبوا الحلالَ وجَدُّوا فيه: وُهَيب بن الوَرْد، وشُعَيبُ بن حَرْب، ويوسُفُ بن أسباط، وسالمٌ[1] الخوَّاص.

أسند شعيبٌ عن شعبةَ والثوريِّ وزهير بنِ معاوية، وروى عنه الإمام أحمدُ رحمه الله وابن مَعين وابنُ المديني[2]، وكان من الثِّقات العلماءِ، الآمرين بالمعروف، المُدَقِّقين في طلب الحلال.

عبدُ الله بن وَهْب

ابنِ مسلم أبو محمَّد، مولى قريش[3].

[ذكره ابنُ سعد] في الطبقة السادسةِ من أهل مصر [وقال:] كان كثيرَ العلم، ثقةً فيما قال [: حدثنا][4] وكان يُدَلِّس.

[وهذا قول ابن سعد، وقال غيره:] وُلد سنةَ خمسٍ وعشرين ومئة في ذي القَعدة، وطلبَ العلمَ وهو ابن سبعَ عشرةَ سنة، وكان إماماً عالماً زاهداً وَرِعاً.

[قال أبو نُعيم الأصفهانيُّ[5] بإسناده إلى أحمدَ بن سعيدٍ الهَمْدانيِّ قال:] دخل [ابنُ وهب] الحمَّام، فسمع قارئاً يقرأ: ﴿وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ﴾ [غافر: ٤٧] فسقط مغشيًّا عليه، فغُسلت عنه النُّوْرَة وهو لا يَعْقِل.

[قلت: وقولُه: وغُسلت عنه النُّورة، يعني الكلس والزرنيخ؛ لأنَّ السلف كانوا يستعملونها ويقصدون السُّنَّة؛ فإنَّ في حديث عائشة ﵂ عن النبيِّ ﷺ أنَّه كان تَنَوَّرَ[6].

وقال أبو عبد الله الحاكم: سمعتُ أبا إسحاقَ المُزَكِّي[7] يقول: سمعت محمَّدَ بن

---

(١) في المصادر: سليمان. انظر تاريخ بغداد ١٠/ ٣٣٣، وصفة الصفوة ٣/ ٧، ووفيات الأعيان ٢/ ٤٧١، وتهذيب الكمال، وسير أعلام النبلاء ٩/ ١٨٩-١٩٠.

(٢) لم تذكر المصادر يحيى بن معين وعلي بن المديني، المذكور فيها يحيى بن أيوب المقابري ومحمد بن عيسى حيان المدائني.

(٣) طبقات ابن سعد ٩/ ٥٢٦، تهذيب الكمال، المنتظم ١٠/ ٤٠، السير ٩/ ٢٢٣، تاريخ الإسلام ٤/ ١١٤٣.

(٤) قوله: حدثنا، من طبقات ابن سعد ٩/ ٥٢٦.

(٥) في حلية الأولياء ٨/ ٣٢٤، وما بين حاصرتين من (ب).

(٦) لم نقف عليه من حديث عائشة ﵂، وأخرجه ابن ماجه (٣٧٥١) من حديث أم سلمة ﵂، وفيه انقطاع.

(٧) في (ب): المزني، وهو خطأ، وليس في (خ)، وأبو إسحاق المزكي شيخ الحاكم هو إبراهيم بن محمد بن يحيى النيسابوري، انظر ترجمته في السير ١٦/ ١٦٣، والخبر في المنتظم ١٠/ ٤١، وتهذيب الكمال.

المسيب يقول: سمعت يونسَ بن عبدِ الأعلى يقول: كتب الخليفة إلى عبد الله بن وهب] في ولايته القضاء على مصر، فجنَّن نفسه ولزم البيت، فاطَّلع عليه رِشدين بنُ سعدٍ من السطح[١] فقال: يا أبا محمَّد، ألا تخرج إلى الناس فتحكم بينهم كما أمر الله ورسوله؟! فقال له: ويحك إلى ها هنا انتهى عقلُك! أما علمت أنَّ القضاةَ يُحشَرون يوم القيامة مع السلاطين، والعلماءَ مع الأنبياء؟! [وفي رواية: مع النبيين.]

وكانت وفاته بمصر في شعبان. [وروى أبو نُعيم قال:] قُرئ [على عبد الله بنِ وهب][٢] كتاب فيه أهوالُ القيامة، فخرَّ مَغْشياً عليه، فأقام أياماً لا يتكلَّم بكلمةٍ حتى مات.

أسند عن الثوريِّ ومالك بنِ أنس وشعبةَ وغيرهم.

قاضي جَبُّل

واسمُه عبد الرَّحمن بن مُسْهِر بنِ عمرو، أبو الهيثم الكوفي[٣].

قال: ولَّاني أبو يوسفَ القضاءَ على جَبُّلَ -وهي قريةٌ بين بغدادَ وواسِط- وبلغني أن الرشيدَ منحدرٌ إلى البصرة، فسألت أهل جَبُّل أن يُثنوا عليَّ عند أميرِ المؤمنين، فوعدوني أن يفعلوا ذلك إذا انحدر، فلمَّا قَرُب منا سألتهم الحُضور، فلم يفعلوا وتفرَّقوا، فلمَّا آيسوني من أنفسهم سرَّحتُ لحيتي، وخرجت فوقفت له، فوافى وأبو يوسفَ معه في الحَرَّاقة، فقلت: يا أميرَ المؤمنين، نِعمَ القاضي قاضي جَبُّل، قد عدل فينا، وفعل وصنع، وجعلت أُثني على نفسي، ورآني أبو يوسف، فطأطأ رأسَه وضحك، فقال له الرشيد: ممَّ ضحكت؟ فقال: إنَّ المُثني على القاضي هو القاضي، فضحك هارونُ حتى فَحَص برجليه، وقال: شيخٌ سخيف سَفِلة فاعزله. فعزلني، فلمَّا رجع جعلت أختلف إليه وأسأله أن يولِّيني قضاءَ ناحيةٍ أخرى، فلم يفعل، فحدَّثت

(١) في (ب): رشيد بن سعيد بن السطح، وهذا تخليط من الناسخ، وفي (خ): رشد، والمثبت من تهذيب الكمال والمنتظم.

(٢) في حلية الأولياء ٨/ ٣٢٤: قرأ عبد الله بن وهب. وما بين حاصرتين من (ب).

(٣) تاريخ بغداد ١١/ ٥٠٩، والمنتظم ١٠/ ٤١، وتاريخ الإسلام ٤/ ٩٠٧، وهذه الترجمة وتاليتها ليست في (ب).

الناس عن مُجالدٍ، عن الشَّعبيِّ أن كُنية الدجَّال أبو يوسف، وبلغه ذلك فقال: هذه بتلك فحسبُك، وصِرْ إليَّ حتى أولِّيَك ناحيةً أخرى، وفعل، فأمسكتُ عنه.

حدَّث عن هشام بنِ عروةَ وغيرِه، وقد تكلَّموا فيه.

وَرْش المُقرئ

أبو سعيد، عثمانُ[1] بن سعيد.

أخذ القراءةَ عن نافع، وهو أحد الأئمَّة في القراءة، واختياراتُه مشهورة، ووفاتُه بمصر، وهو من الأئمَّة الأبدال.



(١) في (خ): عمار، وهو خطأ، والمثبت من المنتظم ١٠/ ٤٢، وتاريخ الإسلام ٤/ ١٢٢٩، والسير ٩/ ٢٩٥، والبداية والنهاية ١٤/ ٩٨.

السَّنة الثامنة والتِّسعون بعد المئة

فيها استأمن خُزَيْمةُ بن خازم إلى طاهر، وملك هَرْثَمَةُ جانب بغدادَ الشرقي، واستأمن إلى طاهرٍ محمَّد بن عليِّ بن عيسى بن ماهانَ وقوَّادُ محمَّد، وكان طاهرٌ قد كاتبهم ورغَّبهم، وخوَّفهم وهدَّدهم، وعلموا أنَّ محمَّداً قد ضعف، وأنه لم يبقَ له حيلة.

فلمَّا كانت ليلةُ الأربعاءِ لثمانٍ بقين من المحرَّم، قطع خُزَيْمةُ ومحمَّد بن عليٍّ الجسر، وخلعا محمَّداً، ودعَوَا للمأمون، وغدا طاهرٌ إلى بغدادَ بعساكره، فضايقها وباشر القتالَ بنفسه، وأحاط بمدينة أبي جعفر، وأخلَوا قصر الخُلْد وقصرَ زُبَيدة، ونصب طاهرٌ المجانيق على السُّور، فكانت الحجارةُ تصل إلى محمَّد، وتفرَّق عنه أصحابه، وخرج نساؤه وجواريه سارحاتٍ في الأزقَّة والسِّكك، وتفرَّق الغَوْغاء والسَّفِلة، وأمر محمَّد ببُسطه وآلاته فأُحرقت، وغرق في الصَّراة[1] خلقٌ كثير من أصحاب محمَّد، وتحصَّن بمدينة أبي جعفر، وثبت معه على قتال طاهرٍ حاتمُ بن الصَّقْر والهِرْش[2]، وأخذ طاهرٌ عليه الأبواب، وقطع عنه الخبزَ والماء.

قال طارقٌ الخادم: جاع محمَّد يوماً وهو مَحْصور، فسألني أن أُطعمه شيئاً، فدخلت المطبخ فلم أجد شيئاً، فجئت إلى جَمْرةَ وكانت جاريةَ الجوهر، فقلت لها: إن أميرَ المؤمنين جائع، فهل عندكِ شيء؟ فقالت لجاريةٍ لها: أَيش عندك؟ فقالت: دجاجةٌ ورغيف، فأتيته بهما، فأكل منهما وطلب ماءً يشربه فلم يجد في الخزانة ماء، فصبر وخرج في تلك الليلةِ إلى هَرْثَمَة، فقُتل ولم يشرب.

وقال إبراهيم بنُ المهدي: لما نزل طاهرٌ على بغداد، اشتغل محمَّد بما هو فيه عن الشُّرب وغيره، وكان قبل ذلك يجلس للنُّدماء، ويسمع الغناءَ، ويُطلق الجوائز.

وقال أبو الحسن المدائني: ولمَّا كان ليلة الجمعة لسبعٍ بقين من المحرَّم سنة ثمانٍ وتسعين ومئة، دخل محمَّد مدينةَ السلام هارباً من قصر الخُلد ممَّا كان يصل إليه من

(١) الصَّراة: نهر بالعراق. القاموس المحيط (صرو).

(٢) في (خ): الهراس، والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ٤٧٤، وابن الأثير ٦/ ٢٧٩.

حجارة المجانيق، وأمر بمَجالِسِه وبُسُطه أن تُحْرقَ فأحرقت.

وفيها(١) قُتل محمد الأمين وولي المأمون.

الباب السابع في خلافة المأمون

هو عبدُ الله بن هارونَ الرشيد، المأمونُ على دِين الله، وكنَّاه أبوه أبا العباس، فلمَّا ولي الخلافةَ اكتنى بأبي جعفر؛ لِعظَم المنصور عندهم تفاؤلاً بطول عمره، وأمُّه أمُّ ولد يقال لها مراجل، تركية، وقيل: رومية، وقيل: باذَغيسية، ومولدُه بقصر الخُلْدِ ببغداد، وقيل: بالياسِريَّة، منتصفَ ربيع الأوَّل سنةَ سبعين ومئة، وماتت أمُّه في نِفاسها، وقيل: بعد ولادتِه بأيام، فضمَّه هارونُ إلى سعيدٍ الجوهريِّ مولاهم، فأرضعته امرأته حيةُ بِلبان ابنها يحيى بنِ سعيد، ثم ترعرع، فجمع له أبوه العلماءَ من الآفاق، وأدَّبه أبو محمَّد اليزيدي، وبرع في العلوم، وحفظ القرآنَ والحديثَ والفقه والعربيةَ والطبَّ والنجوم وعلومَ الأوئل، فأُعجب به أبوه، واستخلفه على الرقَّة لما غزا الرومَ سنةَ إحدى وثمانين ومئةٍ وهو ابن إحدى عشرة سنة، ثم غزا معه هِرَقْلةَ سنة إحدى وتسعين أو سنة تسعين ومئة.

[وحكى الخطيب(٢) عن القاسم بنِ محمَّد بن عبادٍ قال: سمعت أبي يقول:] لم يحفظ القرآنَ من الخلفاء سوى اثنين: عثمان بن عفان، والمأمون(٣).

[ذكر صفة المأمون:

روى ابنُ أبي الدنيا أنَّه كان] رَبْعَة(٤) أبيضَ طويلَ اللحية، في عينيه كسرة، تعلوه صُفرة، على خدِّه خالٌ أسود، قد وَخَطَهُ الشيب. وقيل: كانت ساقاه من دون جسده صفراوين كأنَّهما طُليا بزَعْفَران.

و[قال الهيثم:] كان أحول، وسمِّي المحدود، وسببُه أنَّه دخل يوماً(٥) على أبيه

---

(١) من بداية السنة إلى هنا ليس في (ب).

(٢) في تاريخه ١١/ ٤٤٠، وعنه تاريخ دمشق ٣٩/ ٢٢٩، والمنتظم ١٠/ ٥٢، وما بين حاصرتين من (ب).

(٣) تعقب هذا القول ابن كثير في البداية والنهاية ١٤/ ٢١٨، والسيوطي في تاريخ الخلفاء ص٢٦.

(٤) في (خ): وكان المأمون ربعة، والمثبت من (ب)، والخبر في تاريخ بغداد ١٠/ ٤٣٢.

(٥) في (ب): ويسمى بسبب حده قال الصولي: دخل يوماً ...

وعنده جاريةٌ تغني، فلَحَنت، فكسر المأمونُ عينه، فظنَّ أبوه أنَّه قد غَمزها، فتغيَّر وجه هارونَ وضربه عشرين سَوطاً. وقيل: إنَّ الجارية كانت تصبُّ على يد هارونَ الماء، فنظر إليها المأمون، فظنَّ أبوه أنَّه يغمزها فضربه(١).

ذِكر بيعته:

[ذكر عليُّ بن الجَعْد قال:] كانت له بَيعةٌ في حياة أخيه بخُراسانَ عند مقتل ابنِ ماهان، وبيعةٌ بعد مقتل أخيه في ذي الحِجَّة(٢) سنة ثمانٍ وتسعين ومئة. ولمَّا بويع كان له تسعٌ وعشرون سنة(٣).

وكان(٤) غزيرَ العقل، كبيرَ الفضل، وافرَ العفو، حسنَ التدبير، [كان] يختم القرآنَ في شهر رمضان ستين ختمة(٥) [أما سمعتم في صوته بُحَّة؛ لأنَّ اليزيديَّ كان في أذنه صَمَم، فكان يرفع صوتَه ليسمعَه، وكان يقرأ عليه].

ولما قُتل أخوه محمَّد استقامت له الدنيا [وسنذكر تمامَ ترجمة المأمونِ فيما بعد](٦).

ولمَّا بويع بالخلافة ولَّى الحسن بنَ سَهْل جميع ما افتتحه طاهرٌ من فارسَ والبصرةِ والكوفة والأهواز والحجازِ واليمن وبغداد، وكتب إلى طاهرٍ أن يسلِّمَ ذلك الحسنَ، ويتوجَّهَ إلى الرقَّة لحرب نصرِ بن شَبَث(٧)، وولى طاهراً الجزيرةَ والشامَ والمغرب.

ولما ولَّى المأمونُ الحسنَ بن سهلٍ الأماكن التي ذكرناها، لم يَقدَم من خُراسان، بل

---

(١) انظر تاريخ بغداد ١١/ ٤٣١.

(٢) في المصادر: المحرم. انظر تاريخ الطبري ٨/ ٦٥١، وتاريخ بغداد ١١/ ٤٣١، وتاريخ دمشق ٣٩/ ٢٢٧، والمنتظم ١٠/ ٥١-٥٢، والكامل ٦/ ٢٨٨-٢٨٩. وما سلف بين حاصرتين من (ب).

(٣) في تاريخ بغداد وتاريخ دمشق: وهو ابن سبع وعشرين سنة وعشرة أشهر وعشرة أيام.

(٤) قبلها في (ب): وقال ذو الرئاستين. وكلام ذي الرئاستين يبدأ من قوله: كان يختم القرآن ...، كذا في تاريخ بغداد ١١/ ٤٤٠، وتاريخ دمشق ٣٩/ ٢٣٤.

(٥) في تاريخ بغداد وتاريخ دمشق: ختم في شهر رمضان ثلاثاً وثلاثين ختمة، وما بين حاصرتين من (ب).

(٦) عند وفاته في سنة ٢١٨. وما بين حاصرتين من (ب)، وليس فيها ما بعدها إلى ترجمة سفيان بن عيينة.

(٧) في (خ): سبيب، والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ٥٢٧، وابن الأثير ٦/ ٢٩٧، وقال ابن الأثير: بفتح الشين المعجمة والباء الموحدة والتاء المثلثة.

وجَّه عليَّ بن سعيدٍ الوَرَّاق(١) نائباً عنه، فدافع طاهرٌ بتسليم الخراجِ إليه حتى وفَّى الجُنْدَ أرزاقَهم، ثم سلَّم إليه العمل، وكتب المأمونُ إلى هَرْثَمَةَ أن يلحقَ به بخُراسان.

ولما قُتل الأمين خرج خارجيٌّ يقال له: الهِرْش(٢)، وانضمَّ إليه خلقٌ كثير، فجبى العراقَ وأخذ أموالَ التجار وغيرَها، وأقام بالنِّيل من أرض العراقِ فقُتل.

وحجَّ بالناس العباسُ بن موسى بنِ عيسى بن موسى بن محمَّد بن علي.

فصل وفيها توفي

سفيانُ بن عُيَيْنة

ابنِ أبي عِمْران، أبو محمَّد الهِلالي.

[ذكره ابنُ سعد](٣) في الطبقة الخامسةِ من أهل مكَّة، وهو مولى بني عبدِ الله بن رُوَيبة من بني هلال بنِ عامر بن صَعْصَعة.

[وقال غيرُ ابن سعد:](٤) هو مولًى لبني هاشم. وقيل: مولى للضحَّاك بن مزاحم. وقيل: مولى مِسعَر بن كِدَام.

[وحكى ابنُ سعد عن الواقديِّ قال: أخبرني سفيانُ بن عيينةَ أنه] وُلد سنةَ سبعٍ ومئة بالكوفة، ثم نقله أبوه إلى مكَّة، وكان أصلُه من الكوفة، وأبوه من عمَّال خالد [بنِ عبد الله] القَسْرِيّ، فلما عُزل خالدٌ عن العراق وولي يوسفُ بن عمرَ الثَّقفي هرب منه، فلحق بمكَّة فنزلها.

وكان سفيانُ إماماً مقدَّماً على الأئمَّة، حافظاً مُتْقِناً. قال: لمَّا بلغتُ(٥) خمسَ عشرةَ

(١) كذا في (خ) والمنتظم ١٠/ ٥٢، وفي تاريخ الطبري: علي بن أبي سعيد، وفي الكامل: علي بن أبي طاهر سعيد.

(٢) في تاريخ الطبري ٨/ ٥٢٧، وابن الأثير ٦/ ٣٠١: الحسن الهرش، وفي تاريخ الإسلام ٤/ ١٠٥٥: الحسن الهرج.

(٣) في طبقاته ٨/ ٥٩، وما بين حاصرتين من (ب)، وانظر في ترجمته تاريخ بغداد ١٠/ ٢٤٤، والمنتظم ١٠/ ٦٦، وتهذيب الكمال، وتاريخ الإسلام ٤/ ١١١٠، والسير ٨/ ٤٥٤.

(٤) في (خ): وقيل ...

(٥) في (خ): بعث، والمثبت من المنتظم ١٠/ ٦٧.

سنةً دعاني أبي فقال: يا سفيان، قد انقطعت عنك شرائعُ الصِّبا، فاحتفظ بالخير تكن من أهله، ولا يَغُرَّنك من اغترَّ بالله فمدحك بما تعلم خلافَه منك؛ فإنَّه ما من أحدٍ يقول في أحدٍ من الخير إذا رضي إلَّا وهو يقول فيه من الشرِّ مثلَ ذلك إذا سَخِط، فاستأنس بالوحدة من جلساءِ السوء، ولن يسعدَ بالعلماء إلَّا مَن أطاعهم. قال: فجعلتُ وصيةَ أبي نُصبَ عيني.

وقال النَّضر الهِلاليّ: كنت[1] في مجلس ابنِ عيينة، فدخل صبيٌّ إلى المسجد، فتهاونوا به لصغر سِنِّه، فقال سفيان: ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٩٤]. ثم قال لي: يا نضر، لو رأيتني ولي عشرُ سنين، طولي خمسةُ أشبار، ووجهي كالدِّينار، وأنا كشعلة نار، ثيابي صِغار، وأكمامي قصار، وذيلي بمقدار، ونعلاي كآذان الفار، أختلف إلى علماءِ الأمصار، مثل الزُّهريِّ وعَمرو بن دينار، أجلس بينهم كالمسمار، مِحبرتي كالجوزة، ومقلَمتي كالموزة، وقلمي كاللَّوزة، فإذا دخلت المجلسَ قالوا: وسِّعوا للشيخ الصغير. ثم تبسَّم ابن عيينةَ وضحك.

وقال بِشْر بن مَطَر[2]: كنَّا على باب سفيانَ بن عُيينة، فجاءت طائفةٌ فدخلوا، وطائفة فدخلوا، فصحنا وقلنا: يدخل أصحابُ الدنانير والدراهِم ونُمنع ونحن الفقراءُ وأبناء السبيل؟! فخرج إلينا سفيانُ وهو يبكي وقال: قد أصبتم مقالاً، هل رأيتم صاحبَ عيالٍ أفلح؟ ثم أُعلمكم أني كنت أُوتيت فهمَ القرآن، فلمَّا أخذت مالَ أبي جعفرٍ مُنعت.

[وروى الخطيب[3] عن سفيانَ أنَّه قال:] رأيت[4] كأنَّ أسناني كلَّها سقطت، فذكرت ذلك للزُّهري، فقال: تموت أسنانُك وتبقى أنت، فكان كما قال.

---

(١) في (ب): وروي عن عمار بن علي اللوري يقول: سمعت أحمد بن النضر الهلالي يقول: سمعت أبي يقول: كنت، والمثبت من (خ)، والخبر في المنتظم ١٠/ ٦٧، والسير ٨/ ٤٥٩.

(٢) في (خ): مطير، والمثبت من المنتظم ١٠/ ٦٧.

(٣) في تاريخه ١٠/ ٢٤٩.

(٤) في (خ): وقال سفيان: رأيت.

[وروى ابنُ سعد عنه أنه قال:][١] أوَّل ما جالست من الناس عبدُ الكريم أبو أمية وأنا ابنُ خمس عشرةَ سنة، ومات في سنة ستٍّ وعشرين ومئة، وحججتُ سنةَ ستَّ عشرةَ ومئة، ثم سنةَ عشرين ومئة، وذهبت إلى اليمن سنةَ خمسين ومئة، وسنةَ اثنتين وخمسين، ومَعْمَر حيّ، وذهب الثوريُّ قبلي بعام، وجاءنا الزهريُّ إلى مكةَ مع ابن هشامِ بن عبد الملك سنةَ ثلاثٍ وعشرين ومئة، وسألته وسعدُ بن إبراهيمَ عنده فلم يُجبني في الحديث، فقال له سعد: أَجب الغلامَ عمَّا سألك، فقال: أما أنا سأعطيه حقَّه، قال سفيان: وأنا يومئذ ابنُ ستَّ عشرةَ سنة.

وقال: مَن زيد في عقله نَقَص من رزقه بقَدْر ذلك. وقال: أرفعُ الناس منزلةً مَن كان بين الله وبين عباده، وهم الأنبياءُ ثم العلماء.

وقال حَرْمَلَة بنُ يحيى: أخذ سفيانُ بيدي فأقامني ناحية، وأخرج من كُمِّه رغيفَ شعيرٍ وقال: هذا قُوتي منذ ستِّين سنة، فدعْ ما يقول الناس.

[وحكى أبو نُعيم[٢] عن] منصور بنِ عمارٍ [قال[٣]]: تكلَّمت في مجلسٍ فيه سفيانُ ابن عيينة وابنُ المبارك وفُضَيلُ بن عِياض، فأما ابنُ المبارك فسالت دموعُه، وأما الفضيلُ فانتحب، وأما ابن عيينةَ فتغرغرت عيناه، ثم نشف دموعَه بكمِّه[٤]. فلما انقضى المجلسُ قلت لابن عيينة: يا أبا محمَّد، مامنعك أن يجيءَ منك مثلُ ما جاء من صاحبك؟! فقال: هذا أَكْمَدُ للحزن، إنَّ الدمعَ إذا خرج استراح القلب.

وكان سفيان يتمثَّل لما أسنّ: [من الوافر]

يُعَمَّر واحدٌ فيَغُرُّ قوماً ويُنسى مَن يموت من الصغارِ[٥]

و[قال أبو نعيم:][٦] كان [سفيانُ] يقول: إذا كان نهاري نهارَ سفيهٍ وليلي ليلَ

(١) في (خ): وقال سفيان، والمثبت من (ب)، والخبر في طبقات ابن سعد ٨/ ٥٩ .
(٢) في الحلية ٧/ ٣٠٢ .
(٣) في (خ): وقال منصور بن عمار.
(٤) في حلية الأولياء: ثم نشفتا من الدموع.
(٥) حلية الأولياء: ٧/ ٢٧٧، وصفة الصفوة ٢/ ٢٣٤ .
(٦) في الحلية ٧/ ٢٧١ . وما بين حاصرتين من (ب).

جاهل، فما أصنعُ بالعلم الذي كتبت؟!

[قال:][1] وكان يقول: مَن رأى نفسَه خيراً من غيره فقد استكبر؛ لأنَّ إبليسَ ما منعه من السجود لآدمَ إلا استكبارُه.

و[روى أبو نُعيم أيضاً عن سفيانَ أنه] قال: أوحى اللهُ إلى موسى: إنَّ أوَّل مَن مات إبليس، فقال: يا ربِّ، كيف وهو حيّ؟! فقال: لأنَّه أوَّلُ مَن عصاني، وإنما أَعدُّ مَن عصاني مع الموتى.

وقال[2]: بلغني أن الناسَ يخرجون من قبورهم وهم يصيحون: الماءَ الماء؛ العَطَش العطش.

وقال[3]: أصابني ذاتَ يوم رِقَّة، فبكيت، فقلت في نفسي: لو كان فلانٌ هاهنا لرقّ، ثم نمت، فأتاني آتٍ في منامي فرَفَسني وقال: سفيان، اذهب فخذ أجرَك ممَّن أحببتَ أن يَراك.

وكان يقول: جعل اللهُ كلَّ عدوٍّ لي محدِّثاً.

وقال: أشدُّ الناس حَسْرةً يومَ القيامة رجلٌ كان له عبدٌ فجاء يومَ القيامة أفضلَ عملاً منه، ورجلٌ له مالٌ فلم يتصدَّق منه، فمات فورثه غيرُه فتصدَّق منه، ورجل عالمٌ لم ينتفع بعلمه، فعلَّم غيرَه فانتفع به.

وقال عبد الله بنُ ثعلبةَ لسفيان: يا أبا محمَّد، واحُزناه على الحُزْن، فقال سفيان: يا عبدَ الله، هل حزنت قطُّ لعلم اللهِ فيك؟ فقال عبدُ الله: تركتَني لا أفرح أبداً.

وقال سفيان: كنت إذا خرجتُ إلى المسجد أتصفَّح وجوهَ الخلق، فإذا رأيتُ مشيخةً وكُهولاً جلست إليهم، وإني اليومَ قد اكتنفني هؤلاء الصِّبيان، ثم أنشد: [من الكامل]

خَلَتِ الدِّيارُ فسُدْتُ غيرَ مُسَوَّدِ ... ومن العَناءِ تَفَرُّدي بالسُّؤدَدِ[4]

(١) في الحلية ٧/ ٣٠٤. وما بين حاصرتين من (ب).
(٢) في (ب): وروى أبو نعيم عنه أنه قال، ولم أقف عليه في ترجمته في حلية الأولياء.
(٣) في (ب): وروى الخطيب عن سفيان قال، ولم أقف عليه في تاريخ بغداد في ترجمته.
(٤) حلية الأولياء ٧/ ٢٩٠، وتاريخ بغداد ١٠/ ٢٤٩، ووفيات الأعيان ٢/ ٣٩٢.

ويقول: دخلتُ الكوفةَ(١) في يومٍ مَطير، وإذا بكَنَّاس قد فتح كَنيفاً وهو يكنُسه ويقول:

وأُكـرم نـفـسـي إنَّـنـي [إنْ](٢) أهـنـتُـهـا

وفي رواية: [من الخفيف]

جَـنِّـبـانـي ديـارَ لـيـلـى وهـنـدٍ ... لـيـس مـثـلـي يَـحُـلُّ دارَ هَـوانِ

فاطَّلعتُ في البئر وقلت: أيُّ هوانٍ أعظمُ ممَّا أنت فيه؟! فرفع رأسَه وقال: الحاجةُ إلى مثلك، وأنشد: [من الخفيف]

[بـلـدٌ طـيِّـب وربٌّ غَـفـور(٣) ... هـذه رَوْضـةٌ وهـذا غَـديـرُ

وأنشد أيضاً:] [من الخفيف]

لا تـلُـمْـنـي فـإنَّـنـي نَـشْـوانُ ... أنـا فـي الـمُـلْـكِ مـا سَـقَـتْـني الـدِّنـانُ

[قال:] فاستحييتُ وانصرفت.

ذِكر وفاته:

[حكى أبو نُعيم(٤) عنه أنَّه] قال: شهدتُ ثمانين موقفاً بعرفات.

[وقال ابنُ سعد: أخبرني الحسنُ(٥) بن عمرانَ بنِ عيينة بن أبي عمرانَ ابن أخي سفيانَ قال:] حججتُ(٦) مع عمِّي سفيان آخر حجَّة حجَّها سنةَ سبعٍ وتسعين ومئة، فلمَّا كنا بجَمْع، استلقى على فراشه ثم قال: قد وافيتُ هذا الموضعَ سبعين عاماً، أقول في كلِّ عام: اللهمَّ لا تجعله آخرَ العَهْد من هذا المكان، وإنِّي قد استحييتُ من الله من كثرة ما أسأله ذلك، فرجع فتوفي في [السنة الداخلة في](٧) رجب سنة ثمان وتسعين ومئة،

(١) في (ب): وحكى الباهلي قال دخلت الكوفة، والمثبت من (خ).

(٢) ما بين حاصرتين من الأغاني ١/ ٤١٥ . وفي (ب): لا أهينها. وهو خطأ. وعجز البيت: وحقك لم تكرم على أحد بعدي.

(٣) في العقد الفريد ٦/ ٤٤٩: ويوم مطير. وما بين حاصرتين من (ب).

(٤) في حلية الأولياء ٧/ ٢٨٩ . وما بين حاصرتين من (ب).

(٥) في (ب) و(خ): الحسين، والمثبت من طبقات ابن سعد ٨/ ٥٩، وتاريخ بغداد ١٠/ ٢٥٦ .

(٦) في (خ): وقال الحسين بن عمران بن عيينة: حججت ...

(٧) ما بين حاصرتين من (ب) والمصادر.

ودُفن بالحَجون وهو ابنُ إحدى وتسعين سنة. وقيل: توفِّي يومَ السبت أوَّلَ يوم من رجب. وقيل: مات في جمادى الأُولى[(١)].

وأدرك ستةً وثمانين من أعلام التابعين، وأسند عن جمهورهم، كعَمرو بن دينارٍ والثوريِّ، والزهري، وحدَّث في مجلس الأعمشِ وهو ابنُ ثلاثين سنة، وروى عنه الأعمشُ والثوريُّ وشعبةُ وابن المباركِ ووكيعٌ وابن مهديٍّ والشافعيُّ والإمام أحمدُ وابن مَعين رحمةُ الله عليهم أجمعين.

وقال الإمام أحمدُ بن حنبل: كنت أشتهي لقاءَ الثوري، فعوَّضني اللهُ بابن عيينة، وما رأينا مثلَه.

و[قال الخطيب:][(٢)] كان هارونُ يقول: سيِّد الناس اليومَ ابنُ عيينة.

وقال الشافعي: لولا سفيانُ بن عيينةَ ومالكُ بن أنسٍ لذهب علمُ الحجاز.

واتَّفقوا على صدقه وثقتِه وأَمانته وعدالته وزَهادته، وكان ثَبْتاً كثيرَ الحديث حجَّة، وكان له تسعةُ إخوة، حدَّث منهم أربعة: محمَّد، وآدم[(٣)]، وعمران، وإبراهيم.

عبدُ الرَّحمن بن مَهْديٍّ

ابن حسَّان، أبو سعيدٍ[(٤)]، العَنْبَريُّ [البَصْري.

ذكره ابنُ سعدٍ[(٥)] في أوَّل] الطبقة السابعةِ من أهل البصرة [وقال:] كان ثقةً كثيرَ الحديث، وُلد سنةَ خمسٍ وثلاثين ومئة، وتوفِّي بالبصرة في جمادى الآخرة [سنةَ ثمانٍ وتسعين ومئة] وهو ابنُ ثلاث وستِّين سنة. [وهذا قولُ ابنِ سعد.

وكان] من كبار العلماءِ وأحد المذكورين بالحفظ والثِّقة.

---

(١) في (ب): وقال الهيثم: توفي يوم السبت . . . وقال الحميدي: مات في جمادى الأولى.

(٢) في تاريخه ١٠/ ٢٥٠-٢٥١ وما بين حاصرتين من (ب).

(٣) في (ب) و (خ): ودارم، والمثبت من تاريخ بغداد ١٠/ ٢٤٥، والمنتظم ١٠/ ٦٦، وتهذيب الكمال.

(٤) في (خ): ابن سعيد، والمثبت من (ب)، وانظر تاريخ بغداد ١١/ ٥١٢، والمنتظم ١٠/ ٦٩، وتهذيب الكمال، وتاريخ الإسلام ٤/ ١١٥٢، والسير ٩/ ١٩٢.

(٥) في طبقاته ٩/ ٢٩٩، وما بين حاصرتين من (ب).

[وروى الخطيبُ[١] أنه] قيل له: أيُّما أحبُّ إليك، يغفر اللهُ لك ذنباً أو تحفظ حديثاً؟ [فقال: أحفظ حديثاً. وكان شديدَ الحبِّ لحفظ الحديث].

وقال القَواريري: أملى عليَّ عبدُ الرَّحمن بن مَهدي عشرين ألفَ حديثٍ من حفظه.
وقال محمَّد بنُ يحيى: ما رأيت في يد عبدِ الرَّحمن كتاباً قطّ، وكلُّ ما سمعتُه[٢] منه سمعته حفظاً.

و[روى الخطيبُ[٣] أنه] كان يختم القرآنَ في كلِّ ليلتين، وكان وِردُه في كلِّ ليلة نصفَ القرآن.

وقال ابن المَديني: كان ابنُ مهديٍّ أعلمَ الناس، ولو حلفتُ بين الرُّكن والمقامِ بالله أني لم أرَ أحداً قطُّ أحفظَ منه للحديث، لكنت بارًّا[٤].

وقال الإمام أحمدُ رحمة اللهِ عليه: إذا حدَّث ابنُ مهدي عن رجلٍ فهو حجَّة.
[وحكى أبو نُعيم عنه أنَّه قال:][٥] لولا أنِّي أكره أن يُعصى اللهُ بسببي، لتمنَّيت ألَّا يَبقى في المِصْر أحدٌ إلَّا اغتابني، فأيُّ شيءٍ أهنأُ من حسنة يجدها الرجلُ في صحيفته يومَ القيامة لم يعملْها ولم يَهُمَّ بها؟

وأراد أن يبيعَ أرضاً له، فقال له الدلَّال: قد أعطيت في الجَرِيب خمسين[٦] ومئتي دينار، وهي أرضٌ خراب، أسمِّدها لأبيعَ الجريبَ[٧] بفضل خمسين ديناراً، فتصير تساوي أربعةَ آلافِ دينار؟ فغضب وقال: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ﴾ [المائدة: ١٠٠] الآية، ثم قال: واللهِ لو بيعت بمئة ألفِ دينارٍ ما سمَّدتها.

---

(١) في تاريخه ١١/ ٥١٥ . وما بين حاصرتين من (ب).
(٢) في (خ): ولا سمعته، والمثبت من تاريخ بغداد ١١/ ٥٢١ .
(٣) في تاريخه ١١/ ٥٢٢ . وما بين حاصرتين من (ب).
(٤) العبارة في المصادر: لو أخذت فحلفت بين الركن والمقام، لحلفت بالله أني لم أرَ أحداً قط أعلم بالحديث من عبد الرَّحمن بن مهدي. انظر الجرح والتعديل ١/ ٢٥٢، وتاريخ بغداد ١١/ ٥١٩، والمنتظم ١٠/ ٦٩، والسير ٩/ ١٩٧-١٩٨، وشرح العلل لابن رجب ١/ ١٩٧ .
(٥) حلية الأولياء ٩/ ١١ . وفي (خ): وقال عبد الرحمن، والمثبت من (ب).
(٦) في (خ): خمسون، والمثبت من حلية الأولياء ٩/ ١١، وصفة الصفوة ٤/ ٦ .
(٧) في (خ): أشهرها لأبيع الجريد. وانظر الحلية وصفة الصفوة.

أسند عن الثوريِّ وغيره، وروى عنه الإمام أحمدُ بن حنبلٍ رحمةُ الله عليه وغيرُه، وقال الإمامُ رحمةُ الله عليه: كان حافظاً يتوقَّى كثيراً، وكان يحبُّ أن يتحدثَ باللفظ، وما رأيت بالبصرة مثلَه.

وكان يعرف الرجالَ كما يعرف الطبيبُ الأمراض، وما رُئي في يده كتاب قطُّ، وإنما كان حفظَه.

واتفَّقوا على صدقه وأمانتِه وثقته، حتى قال الخطيب(١): كان من الربَّانيين في العلم، وممَّن بَرَع في معرفة الأثَر، وطُرُقِ الروايات، وأحوالِ الشيوخ.

[وفيها توفي]

عليُّ بن عبدِ الله

ابن خالد بن يزيدَ بن معاويةَ بن أبي سفيان، أبو الحسن السُّفياني(٢). وأمُّه نَفيسة بنت عُبيد(٣) الله بنِ العباس بن عليِّ بن أبي طالب عليه السلام، [وقد ذكرنا استيلاءه على دمشقَ في سنة خمسٍ وتسعين ومئة](٤).

ويلقَّب بأبي العَمَيْطَر؛ لأنَّه قال لأصحابه يوماً: أَيش كنيةُ الحِرْذَون؟ فقالوا: لا ندري، فقال: أبو العَمَيْطَر، فلقَّبوه به [فكان يغضب.

وقال ابنُ عساكر:](٥) وكانت داره بالمِزَّة، وله دارٌ أخرى برَحْبَة البَصَلِ بدمشق، [قال:] ولمَّا خرج بدمشقَ ودعا إلى نفسه، كان ابنَ تسعين سنة، وبويع بالخلافة في سنة خمسٍ وتسعين ومئة، وأقام متغلِّباً على دمشق. واشتغل عنه محمَّد بحرب أخيه، وطرد عمَّال محمَّد. [قال:] وكان الوليدُ بن مسلم يقول: والله لَيخرجنَّ السفيانيُّ في سنة خمسٍ وتسعين ومئة. فكان كما قال.

(١) في تاريخه ١١/ ٥١٣.
(٢) في (ب): بن أبي سفيان بن [صوابه أبو] العَمَيطر، وكنيته أبو الحسن، والمثبت من (خ).
(٣) في (خ): عبد الله، والمثبت من (ب) وهو الموافق لما في تاريخ دمشق ٥١/ ٢٤، والكامل ٦/ ٢٤٩، والسير ٩/ ٢٨٥، وتاريخ الإسلام ٤/ ١٢٦٥.
(٤) ما بين حاصرتين من (ب).
(٥) في تاريخه ٥١/ ٢٥، ٢٣. وما بين حاصرتين من (ب).

[وحكى الحافظ ابنُ عساكرٍ[١] أيضاً عن أحمدَ بن حنبلٍ أنه سأل] الهيثمَ بن خارجةَ: كيف كان مخرجُه، فوصفه الهيثم بهيئة جميلةٍ واعتزالٍ للشرِّ قبل خروجه، ثم وصفه بالظُّلم بعد خروجه.

قال: وأرادوه على الخروج [مِراراً] فأبى، فحفر له خطابٌ الدمشقيُّ[٢] ـ ويُعرف بابن وَجْه الفلس مولى الوليدِ بن عبد الملك بنِ مروان ـ وأصحابُه سَرَباً تحت بيته، ودخلوه في الليل ثم نادَوه: اخرج، فقد آنَ لك أن تخرج، فقال: هذا شيطان، ثم أتَوه في الليلة الثانيةِ والثالثة فنادَوه كذلك، فوقع في نفسه، فخرج لمَّا أصبح. فقال الإمام أحمدُ رحمه الله: أفسدوه.

[وحكى ابنُ عساكر عن] عبد الحميدِ المَيْمونيِّ [قال][٣]: ولَّى محمَّد بن زبيدةَ سليمانَ بن أبي جعفرٍ حمصَ ودمشق، فوثب به الخطَّابُ، فخلع سليمانَ وبايع السُّفياني، وبايعه أهلُ الشام وحمصَ وقِنَّسرين والسواحلِ إلَّا القيسية، فنهب دورَهم وأحرقها وقاتلهم، وكانت مضرُ معه عليهم، وكان أصحابه ينادون في أسواق دمشق: قوموا فبايعوا المهديَّ المختار، الذي اختاره اللهُ على بني هاشمٍ الأشرار.

ولما صعد منبرَ دمشق، قام إليه مجنونٌ كان في الجامع فقال: أسخن اللهُ عينَك يا أبا العَميطَر، لقد ألقيتَ نفسَك وألقيتنا معك في حُفْرةِ سَوء.

وكان محمَّد بنُ صالح بنِ بَيْهَس الكِلابيُّ من وجوه قيس، فاجتمعت قيسٌ إليه، وقاتل أبا العَميطر والمُضَريةَ بين سَكَّاء وقَرَحْتا، وكانت بينهم وقائعُ كثيرة، ومرض ابنُ بيهس، فأمر القيسية أن يبايعوا مَسْلمةَ بن يعقوبَ بنِ عليِّ بن محمَّد بنِ سعيد بن مسلمةَ ابنِ عبد الملك بنِ مروان، فبايعوه، فقاتل مسلمةُ أبا العميطر، فهزمه وقتل أصحابَه، ودخل دمشق فأخذ أبا العميطر فأوثقه، وعوفي ابنُ بيهس، فأراد الحكم على مسلمة، فعصى عليه، فأرسل ابنُ بيهس إلى القيسية، فخامروا على مسلمة وفتحوا له بابَ كَيْسان، فدخل ابنُ بيهس إلى البلد، وخرج مسلمةُ وأبو العميطر إلى المزَّة في زِيٍّ النساء، وذلك في سنة ثمانٍ وتسعين ومئة، فأقاما بها أياماً، ومات أبو العَميطَر، فصلَّى

---

(١) في تاريخه ٥١/ ٢٥ .

(٢) في (خ): فحفر له خطاب بن وجه الفلس الدمشقي ...، والمثبت من (ب)، وهو الموافق لما في تاريخ دمشق.

(٣) تاريخ دمشق ٥١/ ٢٦، وفي (خ): وقال عبد الحميد الميموني، والمثبت من (ب).

عليه مسلمةُ وقال: يرحمك الله، لقد ظلمتني وظلمتَ نفسك، ثم مات مسلمةُ بعده[(١)]، وأقام ابنُ بيهس متغلِّباً على دمشقَ عشرَ سنين [من سنة ثمانٍ وتسعين ومئة][(٢)] إلى سنة ثمانٍ ومئتين، فقدم عبدُ الله بن طاهرٍ والياً على الشام ومصرَ، ومضى إلى مصرَ وعاد في سنة عشرٍ ومئتين، فحمل معه محمَّد بنَ بيهس إلى العراق، فكان آخرَ العهد به.

وحكى ابنُ عساكر أنَّ أبا العميطر صحب محمداً المهديّ بن المنصور[(٣)]، وقال: سأل المهديُّ ابنَ عُلاثةَ وأنا حاضر: بمَ رددتَ شهادةَ محمَّد بن إسحاقَ بن يسار؟ قال: لأنَّه ما كان يرى الجمعة، قال: وكان أصحابُ ابنِ إسحاق يعتذرون عنه ويقولون: قد روى عن عليٍّ عليه السلام أنَّه قال: لا جمعةَ ولا تشريقَ ولا فطرَ ولا أضحى إلَّا في مصرٍ جامع وإمامٍ عادل[(٤)].

[وفيها توفِّي]

محمَّد بنُ مُناذِر

أبو ذَريح، وقيل: أبو عبد الله، الشاعرُ البصري، مولى سليمانَ القَهْرَماني، والقهرمانُّي مولى عُبيد اللهِ[(٥)] بن أبي بَكْرة.

مدح المهديَّ وغيره، وكان فصيحاً. قدم بغدادَ وتنسَّك [ولازم المسجد][(٦)]، ثم عاد إلى البصرة، فابتُلي بمحبَّة عبد المجيدِ بن عبد الوهَّابِ الثَّقفي[(٧)]، فسقط عبد المجيد فمات، فرثاه ابنُ مناذرٍ [بهذه الأبيات] فقال: [من الخفيف]

---

(١) الذي في تاريخ دمشق ٦٧/ ١٩٥ أن المتوفى أولاً مسلمة وصلى عليه أبو العميطر وقال ما قال، ثم مات بعده بقليل أبو العميطر، ودفنه أهل المزة في حانوت. وانظر ٦٢/ ٣٢٥.

(٢) ما بين حاصرتين من (ب).

(٣) في (خ): وكان السفياني قد صحب المهدي، والمثبت من (ب)، والخبر في تاريخ دمشق ٥١/ ٢٣.

(٤) نص الحديث في تاريخ دمشق: لا جمعة إلا في مصر مع إمام عادل. والحديث أخرجه أيضاً عبد الرزاق (٥١٧٥)، وابن أبي شيبة (٥٠٩٨) و (٥٠٩٩)و(٥١٠٦)، والبيهقي ٣/ ١٧٩، دون قوله: مع إمام عادل.

(٥) في (خ): عبد الله، والمثبت من (ب)، وهو الموافق لما في الأغاني ١٨/ ١٦٩، والمنتظم ١٠/ ٧١، ومعجم الأدباء ١٩/ ٥٨، وبغية الوعاة ١/ ٢٥٠.

(٦) في (ب) وما بين معكوفين منها: قال الخطيب: قدم بغداد وتنسك، ولم أقف عليه في تاريخ بغداد، ولم أجد أحداً نقله عنه.

(٧) في (ب): بمحبة عبد المجيد بن المنصور، والمثبت من (خ).

إنَّ عبدَ المجيدِ يومَ تولَّى هدَّ رُكناً ما كان بالمَهْدودِ
ما درى نَعْشُه ولا حامِلوه ما على النَّعش من عفافٍ وجُود

ثم مات بعده بيسير.

وقال الثوري[١]: سألت أبا عُبيدةَ مَعْمراً عن اليوم الثاني من أيام النَّحْر: ما كانت العربُ تُسمِّيه؟ فقال: لا أعلم، فلقيت ابن مناذرٍ فأخبرته، فقال أَخَفي هذا على أبي عبيدة! هذه أيامٌ متواليات كلُّها على حرف الراء، فالأول يومُ النحر، والثاني يوم القَرّ، والثالث يوم النَّفْر، والرابع يوم الصَّدر. قال: فلقيت أبا عبيدةَ فأخبرته، فكتبه عني عن محمَّد بنِ مناذر.

أسند ابنُ مناذر عن شعبةَ وابنِ عيينة وغيرِهما، وقد أسقط يحيى بنُ معين روايتَه وقال: كان صاحبَ شعر لا صاحبَ حديث، كان يتعشَّق عبدَ المجيد ويقول فيه الشِّعر، ويُشَبِّب بنساء ثَقيف، فطردوه من البصرة، فخرج إلى مكَّة، فكان يرسل العقاربَ في المسجد الحرام يَلْسَعْنَ الناس، ويَصُبُّ المِدادَ بالليل في الأماكن التي يتوضَّأ الناسُ منها حتى تَسْوَدَّ وجوهُهم، لا يروي عنه رجلٌ فيه خير.

[قلت: ولابن مناذر قصة نذكرها في ترجمة أبي نواس في سنة مئتين.]

محمَّد الأمينُ

ابن هارونَ الرشيدِ بن محمَّد المهديِّ بن أبي جعفر المنصورِ بن محمَّد بن عليّ بن عبدِ الله بن عباس[٢].

قد ذكرنا طَرَفاً من أخباره [وسنذكر الباقي، قد تقدَّم تاريخُ مولده في سنة سبعين ومئة، وقيل: سنة إحدى وسبعين ومئة، وبويع في سنة ثلاثٍ وتسعين ومئة. و] كان أصغر من المأمون بستَّة أشهر و [قد ذكرنا وقائعَه مع أخيه إلى أن قُتل في هذه السنة.

وحكى الهيثم بن عَدِيٍّ عن الأصمعيِّ قال:][٣] كان فيه خِلالٌ لم تكن في غيره، كان

---

(١) كذا في (ب خ) والمنتظم ١٠/ ٧١، وهو تصحيف، صوابه التوَّزي كما في الأغاني ١٨/ ٢٠٦.

(٢) انظر في ترجمة الأمين: تاريخ الطبري ٨/ ٤٩٨، ومروج الذهب ٦/ ٤١٥، وتاريخ بغداد ٤/ ٥٤١، والمنتظم ٩/ ٢١٨ و١٠/ ٧٠، وتاريخ الإسلام ٤/ ١٢٠١، والسير ٩/ ٣٣٤.

(٣) ما بين حاصرتين من (ب).

أحسنَ الناس وجهاً، وأسخاهم نَفْساً، وأشرفَهم أباً وأمًّا، أديباً فصيحاً، عارفاً بأيَّام الناس والشِّعر والعلوم، لكنه هان عليه القبيحُ فلَجِجَ في بحر هواه وبغيه وغدرِه بأخيه، وكان سخيًّا بالدينار والدرهمِ بخيلاً بالطعام(١).

[وحكى الخطيبُ عن الصوليِّ قال:](٢) كان له خادمٌ اسمه كوثر، وكان يحبُّه حبًّا شديداً، فلَها به عن الرَّعية، فتوقَّفت أحواله وأحوالُهم [وقال فيه الشِّعر] ومن شعره فيه: [من مجزوء الرمل]

مـا يُـريـد الـنـاسُ مـن صَـبْـ ـبٍّ بـمَـن يَـهـوى كـئـيـبِ
كـوثـرٌ ديـنـي ودنـيـا يَ وسُـقـمـي وطَـبـيـبـي
أعـجـزُ الـنـاسِ الـذي يَـلْـ ـحَـى مُـحـبًّـا فـي حَـبـيـب
لـيـس إنْ قـيـس خـلـيًّـا قـلـبُـه مـثـل الـقـلـوب

و[حكى الخطيب(٣) أيضاً عن الصُّولي قال:] خرج كوثرٌ يوماً في حرب طاهر، فأُصيب في وجهه، فرجع والدمُ يسيل عليه، فجعل محمَّد يمسح الدمَ عنه ويقول: [من مجزوء الرمل]

ضـربـوا قُـرَّةَ عـيـنـي ومـنَ اجـلـي ضـربـوهُ
أخـذ اللهُ لـقـلـبـي مـن أُنـاسٍ أحـرقـوه

وأراد زيادةً فلم يؤاتِه طبعُه، فقال: مَن بالباب من الشعراء؟ قالوا: عبدُ الله بن أيوبَ التَّيْمي، فلمَّا دخل من الباب قال له: قل عليها، فقال:

مَـن رأى الـنـاسُ لـه الـفَـضْـ ـلَ عـلـيـهـم حَـسَـدوهُ
مـثـلَـمـا قـد حـسَـدَ الـقـا ئـمَ بـالـمـلـك أخـوه

فأَوقر له ثلاثةَ أَبغُلٍ دراهم.

---

(١) بعدها في (ب): وله في البخل على الطعام حكايات ذكرها الطبري وليس فيها ما يستظرف. ولم نقف عليها في تاريخ الطبري.

(٢) انظر تاريخ بغداد ٤/ ٥٤٣-٥٤٤ و ٥٤٧ . وما بين حاصرتين من (ب).

(٣) في تاريخه ٤/ ٥٤٣-٥٤٤ .

وقال عبدُ الله المذكور: أنشدتُ الأمينَ أوَّل [ما][(١)] ولي الخلافة: [من المنسرح]

لا بدَّ من سَكرةٍ على طَرَبِ ... لعلَّ روحاً تُدال من كُرَبِ

فعاطنيها صَهباءَ صافيةً ... تضحك من لؤلؤ على ذَهَب

خليفةَ الله أنت مُنتَخَبٌ ... لخير أمٍّ من هاشمٍ وأب

فأمر لي[(٢)] بمئتي ألفِ درهم، فصالحوني على مئة ألفِ درهم.

وغنَّى إبراهيم بنُ المهديِّ[(٣)] ليلةً بين يدي محمَّد وكانا في حرَّاقة: [من الطويل]

هجرتُكِ حتى قيل لا يعرف الرِّضا ... وزرتُكِ حتى قيل ليس له صبرُ[(٤)]

فملأ له الحرَّاقةَ ذهباً.

ومرَّ[(٥)] محمَّد ليلةً بجاريةٍ له سكرى، فراودها، فقالت: لا أفعل على هذه الحال إلى غد. فلمَّا كان من الغد أتاها، فامتنعت عليه، فقال لها: هذا الميعاد، فقالت: أما سمعتَ المَثل السائر: كلامُ الليل يمحوه النهار؟ [فقال: مَن ببابي من الشعراء؟ فقال: أبو نُواس والرَّقاشي ومصعب[(٦)]، فأَمر بهم فأُدخلوا عليه، فقال: قولوا شعراً في معنى: كلامُ الليل يمحوه النهار][(٧)] فقال الرَّقاشي: [من الوافر]

متى تصحو وقلبُك مستطارٌ ... وقد مُنع القَرارُ فلا قَرارُ

وقد تركَتْكَ صَبًّا مُستهاماً ... فتاةٌ لا تَزور ولا تُزار

إذا استَنْجَزْتَ منها الوَعْدَ قالت ... كلامُ الليلِ يمحوه النهار

وقال مصعب:

---

(١) ما بين حاصرتين من تاريخ بغداد ٤/ ٥٤٣ .

(٢) في (خ): له، والمثبت من تاريخ بغداد.

(٣) في (ب): وقال الصولي: غنى علي بن المهدي، والمثبت من (خ)، وهو الموافق لما في تاريخ الطبري ٨/ ٥٢٠ .

(٤) هو في أمالي القالي ١/ ١٥٠، والبيت في ديوان الهذليين ٢/ ٩٥٧ ضمن قصيدة لأبي صخر، وروايته:

وصلتك حتى قلت لا يعرف القلى ... وزرتك حتى قلت ليس له صبر

(٥) قبلها في (ب): وقال الصولي أيضاً، وفي العقد الفريد ٦/ ٤٠٩: حدث أبو جعفر قال ... ثم ذكر القصة، وفي مرآة الجنان ١/ ٤٥٤ أن صاحب القصة هارون الرشيد.

(٦) في مرآة الجنان: أبو مصعب.

(٧) في العقد الفريد ومرآة الجنان: يكون آخره: كلام الليل يمحوه النهار. وما بين حاصرتين من (ب).

أَتَعذُلُني وقلبكَ مُستطارٌ كئيبٌ ما يَقِرُّ له قرارُ
بحبِّ مَليحةٍ صادت فؤادي بألحاظٍ يخالطها[(١)] احْوِرار
ولمَّا أن مَددتُ يدي إليها لألمسَها بدا منها نِفار
فقلتُ لها عديني منكِ وَعْداً فقالت في غدٍ منك المَزار
فلمَّا جئتُ مُقْتَضياً أجابت كلامُ الليل يمحوه النَّهار

وقال أبو نُواس:

وليلةَ[(٢)] أقبلَتْ في القصر سَكرَى ولكن زيَّن السُّكرَ الوَقارُ
وهزَّ السُّكرُ أردافاً ثِقالاً وغُصْناً فيه رُمَّانٌ صِغار
وقد سَقط الرِّدا عن مَنْكِبَيها من التَّجْمِيش[(٣)] وانْحَلَّ الإزار
فقلت الوعدَ سيِّدتي فقالت كلامُ الليل يمحوه النهار

فقال له الأمين: أخزاك الله، أكنت مُطَّلعاً علينا! فقال: عرفتُ ما في نفسك فأعربتُ عمَّا في ضميرك. فأمر لكلِّ واحدٍ على كلِّ بيت بألف دينار[(٤)].

[وحكى أبو الفرج الأصفهانيُّ قال:][(٥)] جرى بين محمَّد وإبراهيمَ بنِ المهديِّ كلامٌ على مجلس الشراب، فوجد محمَّد عليه وصرفه، وأمر أن يُحجبَ عنه، فبعث إليه إبراهيمُ بهدية وألطاف، فلم يقبلْها، فبعث إليه بوَصيفة بارعةِ الجمال، وبعث معها عود الغناء من العود القماري مُكَلَّلاً بالجواهر، وألبسها حُلَّةً مَنسوجة بالذهب، وعلمها أبياتاً وقال: غني بها عنده. فلما دخلت عليه غنت: [من المتقارب]

تمادى بي الأمرُ حتى ظَنَنْتُ وكشَّفَ هَجْرُكَ لي فانكشفْ
فإنْ كنتَ تُنكر شيئاً جرى فهبْ للقرابة ما قد سَلَفْ
وجُدْ ليَ بالعفو عن زلَّتي فبالفضل يؤخَذ أهلُ الشرف

فقال: أحسنت، فما اسمُك؟ قالت: هدية، فقال: أنت كاسمك أم عاريَّة؟ فقالت:

(١) في (ب) و (خ): يلاحظها، والمثبت من العقد الفريد.
(٢) في العقد الفريد: وخود.
(٣) التجميش: المغازلة والملاعبة. القاموس المحيط (جمش).
(٤) في العقد الفريد: بأربعة آلاف درهم.
(٥) ما بين حاصرتين من (ب).

بل كاسمي، قال: فلمَن هذا الشِّعر؟ قالت: لعبدك وعمِّك إبراهيمَ بنِ المهدي، فرضي عنه وأمر له بخمسين ألف دينار، وردَّه إلى منزلته.

ونقم الناسُ على محمَّد تقريبه الخِصْيانَ، والمغالاةَ في أثمانهم، وسمَّى طائفةً منهم الجَرادية[1]، وطائفةً الغُرابية، حتى رُمي بهم، وقال الناسُ فيه الأشعار، فمن ذلك قولُ ابنِ مطير[2]: [من الوافر]

فأمَّا نوفلٌ فالشأنُ فيه ... وفي بدرٍ فيا لَك من جَليسِ
وما للغانيات لديه حظٌّ ... سوى التَّقطيبِ بالوَجْه العَبوس
إذا كان الرئيسُ كذا سَقيماً ... فكيف صلاحُنا بعد الرئيس
فلو علم المُقيمُ بدار طوسٍ ... لعَزَّ على المُقيم بدار طُوس

ثم هجر النساءَ الحرائرَ والإماء، واستُهتر بالخدَّام، واحتجب عن خواصِّه وقوَّاده وإخوتِه وأهل بيته، واستخفَّ بهم، وقسم ما في بيوت الأموالِ والجواهر في خِصيانه وحُبْشانه، وأمر ببناء القصورِ على دجلةَ وغيرها، وأنفق عليها الأموال، وجمع عنده الوحوشَ والسِّباع والطيور، وغرق في لهوه، فضجَّ الناس منه.

وكان العباسُ بن عبد اللهِ بن جعفر بن أبي جعفرٍ المنصورِ من رجالات بني هاشمٍ عقلاً وفضلاً وجُوداً، وكان له خادمٌ يقال له: منصور، من آثر خدمِه عنده، وجد عليه يوماً، فهرب إلى محمَّد، فقَبِله وحَظي عنده، فركب يوماً في جماعةٍ من خدم محمَّد، وقصد أن يعبرَ على باب أستاذِه العباسِ ليُريَ خدم العباسِ ما هو فيه، وبلغ العباس، فخرج فجذبه فألقاه وأخذ بشَعره، فحامى عنه الخدم، فضربهم، فانهزموا إلى محمَّد فأخبروه، فقال: احرقوا دارَ العباسِ واسحبوه راجلاً إلى بابي، وأمر بقتله، وبلغ زُبَيدةَ، فدخلت على محمَّد، ونشرت شعرَها بين يديه، وبكت، فأمر بحبسه، ثم خلَص بعد ذلك.

وعمل حَرَّاقات على صورة الأسد، وعلى صورة الفيل، وعلى صورة الفَرَس، وعلى صورة الحية، وأنفق عليها أموالاً عظيمة، وقال أبو نواس: [من الخفيف]

---

(١) في (خ): الجوادمة، والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ٥٠٨، وابن الأثير ٦/ ٢٩٣.
(٢) الأبيات في تاريخ الطبري وابن الأثير دون ذكر القائل.

سَخَّر اللهُ للأمين مَطايا لم تُسخَّر لصاحب المحرابِ
فإذا ما رِكابُه سِرْنَ بَرًّا سار في الماء راكباً ليثَ غاب
أسداً باسطاً ذراعَيه يَهوي أهْرَتَ[1] الشِّدْقِ كالحَ الأنياب
لا يُعانيه باللِّجام ولا السَّوطِ ولا غَمْزِ رِجلِه في الرِّكاب

من أبيات.

وكان محمَّد إذا بلغه لَومُ الناس له على شُربه ولَهوِه يقول: ما ضرَّ يزيدَ بن معاويةَ لعبُه ولهوه، ولا نفع عبدَ الله بنَ الزبير خيرُه ودينه، وما قضى اللهُ فهو كائن. وبلغ المأمونَ فقال: تبًّا للمخلوع، وأيُّ ضرر أبلغُ من ذمِّ الناس ليزيد؟! وأيُّ فخر أعظمُ من فخر ابنِ الزبير وقد أقام تسع سنين عائذاً بحرم اللهِ تعالى، مشغولاً بعبادته، حتى قُتل شهيداً؟!! وأمَّا يزيد، فأقام ثلاثَ سنينَ فعل فيها ما فعل من استهتاره بالدِّين، وإصرارِه على فسقه، وأيُّ مناسبة بين الرَّجلين؟! وقرأ المأمون: ﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الجاثية: ٢٣].

[وقال محمد بن سلام:] جلس الأمينُ يوماً مع ندمائه، فتنفَّس نَفَساً عالياً، فقالوا: يا أميرَ المؤمنين، ما هذا التنفُّس؟! فقال: ذكرت قولَ ابنِ بُقَيلة[2]: [من البسيط]

إنْ كان دهرُ بني ساسانَ خانَهُمُ فإنَّما الدَّهرُ أطواراً دَهاريرُ
وربَّما أصبحوا يوماً بمَنْزلةٍ يَهابُ صَولَتَها الأُسْدُ المَهاصير

فقُتل بعد أيام.

ذِكر مقتله:

لمَّا انتقل محمَّد من قصر الخُلْد إلى مدينة أبي جعفرٍ، ولم يبقَ عنده مالٌ ولا عُدَّة للحصار، دخل عليه قوَّاده، منهم حاتم بنُ الصَّقْر و[محمَّد بن][3] إبراهيمَ بنِ الأغْلَب الإفريقي، فقالوا: لقد رأيت ما آل فيه حالُك وحالنا، وقد رأينا رأياً نَعرضه عليك، فانظر

(١) في (خ): أهدب، والمثبت من الديوان ص٨٣، وتاريخ الطبري ٨/ ٥٠٩. وأهرت الشدق: واسعه. اللسان (هرت).

(٢) في (خ) والعقد الفريد ٦/ ٤٠٦: نفيلة، وفي (ب): ابن أبي مقيلة، وكل ذلك خطأ، وهو عبد المسيح بن بقيلة الغساني. انظر العقد الفريد ٢/ ٢٩-٣٠، والتذكرة الحمدونية ٨/ ١١.

(٣) ما بين حاصرتين من تاريخ الطبري ٨/ ٤٧٨، والمنتظم ١٠/ ٤٦، والكامل ٦/ ٢٨٢، وتاريخ الإسلام ٤/ ١٠٥٠.

فيه واعتزمْ عليه؛ فإنَّا نرجو أن يكونَ صواباً ويجعلَ الله فيه الخِيرَة، فقال: وما هو؟ قالوا: قد تفرَّق عنك الناس، وأحاط بك عدوُّك من كلِّ جانب، وقد بقي عندك من خيلك ألفُ فرسٍ من خيارها وجيادها، فنحمل عليها مَن قد عرفناه بمحبَّتك ومُناصَحتك من الأبناء، ونخرج من بعض الأبواب ليلاً، فنلحقُ بالجزيرة والشام ونصير في مملكةٍ واسعة، ويقضي اللهُ ما يشاء، فقال لهم: نِعْمَ ما رأيتم. وعزم على ذلك.

وكتب إلى طاهرٍ عيونُه بذلك، فكتب إلى سليمانَ بن أبي جعفرٍ ومحمَّد بن عيسى بن نَهيك والسِّندي بنِ شاهك يقول: واللهِ لئن لم تَصدِفوه عن هذا الرأيِ لأفعلنَّ بكم ولأصْنَعَن، وتهدَّدهم بأخذ الضِّياع وقتلِ النفوس، فدخلوا على محمَّد وقالوا: تذكَّر اللهَ في نفسك، فإنَّ الذين أشاروا عليك بهذا قد انتشر عنهم أنَّهم باشروا الحربَ وجدُّوا في قتال طاهر، ولا أمانَ لهم عنده، ولسنا نأمن أنَّك إذا حصلت في أيديهم أن يأخذوك أسيراً فيتقرَّبوا بك إلى عدوِّك، فقال: ما أخرج.

وكان حاتم بنُ الصقر والإفريقيُّ ومَن أشار على محمَّد بالخروج في الرِّواق يسمعون ما يقول سليمانُ وأصحابه لمحمَّد، وهم معه في بيت، فقال حاتمٌ والإفريقي: ادخلوا بنا نقتل سليمان وأصحابه؛ فإنَّهم مع طاهرٍ في الباطن، فقال بعضهم: ما هذا مصلحة، نحن في حربٍ من خارجٍ ونعمل لنا حرباً من داخل؟! فكفُّوا.

ووقع في قلب محمَّد ما قالوه، فرجع عمَّا كان قد عزم عليه، وأشار عليه سليمانُ وأصحابه بطلب الأمانِ والخروجِ إلى هَرْثَمَة، وقالوا: إنَّما قُصارى ذلك السَّلامة، وأن يُنزلَك أخوك في مكانٍ تراه، ويجعلَ لك كلَّ ما يُصلحك، وليس عليك منه بأس.

فعزم على الخروج إلى هَرْثَمَة، وأشار عليه بعضُهم بالخروج إلى طاهر، فقال محمَّد: إنِّي أكره الخروج إلى طاهر، ونفسي تأبى ذلك؛ لأنِّي رأيت في منامي كأنِّي قائم على حائطٍ من آجُرّ، وهو شاهقٌ في السماء وعريضُ الأساس وَثيق، لم أرَ في الدنيا شيئاً يُشبهه في طوله وعرضه، وعليَّ سَوادي ومِنْطَقَتي وسيفي وقَلَنسُوَتي، وطاهر قائمٌ في أصل الحائطِ وبيده مِعوَل، فما زال يضرب أصلَ الحائط حتى سقط وسقطت، ونَدَرَتْ قَلنسوتي عن رأسي، وأنا أتطيَّر من طاهرٍ وأَستوحش منه لذلك، وأما هَرْثَمَةُ فهو مولانا وبمنزلة الوالدِ عندي، فأنا به أشدُّ أنساً وأوثقُ نفساً من طاهر.

ولما اشتدَّ الحصار على محمَّد، فارقه سليمانُ بن أبي جعفر وإبراهيم بنُ المهديِّ ومحمَّد بنُ عيسى بن نَهيك، ولحقوا بعسكر المأمون، ولمَّا عزم محمَّد على الخروج إلى هَرْثَمَةَ، وأجابه هَرْثَمَةُ إلى ما أراد، اشتدَّ ذلك على طاهر، وأبى أن ينامَ عنه ويدعَه يخرج إلى هَرْثَمَة، وقال: هو في جِيرتي وجانبي، ولا أرضى أن يخرجَ إلى هَرْثَمَةَ فيكونَ الاسمُ والفتح له.

ولما رأى هَرْثَمَةُ ذلك، اجتمع هو والقوَّاد في منزل خُزَيْمةَ بن خازم، وجاء طاهرٌ، وسليمان بنُ أبي جعفرٍ، والسنديُّ بن شاهكَ، ومحمَّد بنُ عيسى بنِ نهيك، وأداروا الرَّأيَ بينهم، وقالوا لطاهر: إنَّه لا يخرج إليك أبداً، فدعْه يخرج بنفسه إلى هَرْثَمَةَ إذا كان يأنس به ويثق بناحيته، وهو مُسْتَوحشٌ منك، ويدفع إليك الخاتمَ والبُردة والقضيب، فهو عبارةٌ عن الخلافة، ولا تُفسد هذا الأمر، واغتنمه إذ يسَّره الله.

فأجاب طاهرٌ إلى ذلك ورضي به، ثم كتب الهِرْشُ إلى طاهرٍ يُخبره أنَّ الذي جرى بينهم مَكْر، وأنَّ البردة والقضيبَ والخاتَم تخرج مع محمَّد إلى هَرْثَمَة، فقبل ذلك طاهر، وكَمَنَ حول قصرِ أمِّ جعفرٍ والخُلدِ ومعه أصحابُه بالسلاح، وذلك ليلةَ الأحد لخمسٍ بقين من المحرَّم في خمسٍ وعشرين من أيلول.

ولما اشتدَّ الأمرُ بمحمَّد، كتب إلى طاهرٍ يقول: إنَّ الأمر قد خرج بيني وبين أخي إلى كشف السُّتورِ وهَتْك الحَريم، ولست آمَنُ أن يطمعَ في هذا الأمرِ البعيدُ السَّحيق، فإن رأيتَ أن تؤمنِّي لأخرجَ إلى أخي، فإن تفضَّل عليَّ فهو أهل لذلك، وإن قتلني فصَمْصَامةٌ كسَرتْ صَمصامة، ولأن تفترِسَني السِّباعُ أحبُّ إلي من أن يَنْبَحَني الكلاب.

وبعث به مع خادم، فقال طاهرٌ للخادم: الآن حين أَسلمه فُسَّاقه، وخذله سُرَّاقه، وبقي مَخْذولاً مَغْلولاً يَلوذ بالأمان، لا والله أو يجعلَ في عُنقه ساجوراً[1] ويقول: قد نزلت على حكمك. فلما بلَّغ الخادمُ محمَّداً ما قاله: قال: كذب عبدُ السُّوء العاضُّ لَهازِمَه[2]، واللهِ ما أبالي أَوَقَعَ عليَّ الموتُ أو وقعتُ عليه، ما شاء الله كان.

---

(١) الساجور: خشبة تجعل في عنق الكلب. مختار الصحاح (سجر).

(٢) في (خ): لهزامه، ولعل الصواب ما أثبته، واللهازم: جمع لِهْزِمة: وهو الناتئ تحت الأذن. القاموس المحيط (لهزم).

وقال طارقٌ الخادم: لما همَّ محمَّد بالخروج إلى هَرْثَمَةَ عطش، فطلبت له ماء فلم أجده، ولمَّا أمسى ركب يريد هَرْثَمَة وبين يديه شَمْعَة، فقال: اسقني من جِباب الحَرَس، فناولتُه كُوزاً، فعافه لزُهومَته ولم يشرب، وصار إلى هَرْثَمَة، فوثب به طاهر، فلمَّا صار في الحَرَّاقة، رمَوه بالسِّهام والحجارة، فانكفأت الحرَّاقة، فغرق محمَّد وهَرْثَمَة، فسبَح محمَّد حتى عبر إلى بستان موسى، وظنَّ أن غرقَه كان حيلةً عليه، ولما صار إلى قرب الصَّراة[1]، وكان على مَسْلَحة طاهرٍ إبراهيمُ بن [جعفر][2] البَلْخيّ، ومحمَّد بن حُمَيد ابنُ أخي شَكلة، فعرفه، فنزل هو وأصحابه فأخذوه، وحملوه على بِرذَونٍ، وألقَوا عليه إزاراً، وأردفوا خلفه رجلاً يُمسكه، وصاروا به إلى منزل إبراهيمَ البلخي.

قال خطاب بنُ زياد: وبادر طاهرٌ إلى بستان مؤنسة بإزاء بابِ الأنبار موضع عسكره؛ لئلَّا يُتَّهم بغرق هَرْثَمَة، فلحقه محمَّد بنُ حميد، فدنا من طاهرٍ وأخبره أنَّه أسر محمَّداً، وأنه في منزل إبراهيمَ البلخي، فدعا طاهرٌ مولًى له يقال له: قُريش الدَّنْداني، فأمره بقتل محمَّد.

وقال محمَّد بنُ عيسى الجُلوديّ: لما عزم محمَّد على الخروج إلى هَرْثَمَةَ، تهيَّأ بعد العشاءِ الآخرة ليلةَ الأحد، فجلس في صَحْن القصرِ على كرسيٍّ، وعليه ثياب بَيَاض وطَيْلَسانٌ أسود، وبين يديه جماعةٌ بالأعمدة، فجاء كتلةُ الخادم فقال: أبو حاتم يُقرئك السلام -يعني هَرْثَمَة- ويقول: قد وافيتُ لميعادك إلى المكان، ولكنِّي أرى ألَّا تخرجَ الليلة، فإنِّي قد رأيت في دجلةَ على الشطِّ أمراً قد رابني، ولكن أقم الليلةَ مكانَك حتى أرجعَ، فأستعدَّ ثم آتيك القابلةَ ومعي رجالي، فإن حوربتُ دونك حاربت ومعي رجالٌ وعُدَّتي. فقال له محمَّد: ارجعْ إليه وقل له: لا تَبرَحْ، فإني خارجٌ الساعةَ لا مَحالة، ولست أقيم إلى غدٍ وقد تفرَّق عني أصحابي.

ودعا بفرسٍ أدْهَمَ أغرَّ[3] مُحَجَّل كان يُسمِّيه الزُّهيري[4]، ثم دعا بابنيه، فضمَّهما

---

(١) في (خ): قرن الغراة، والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ٤٨٢ .

(٢) ما بين حاصرتين من تاريخ الطبري ٨/ ٤٨٢، والمنتظم ١٠/ ٤٧ .

(٣) في (خ): وادعى. . . مغر، والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ٤٨٣ .

(٤) كذا في مروج الذهب ٦/ ٤٧٦، وتاريخ الإسلام ٤/ ١٠٥١، وفي تاريخ الطبري: الزهري.

إليه وشمَّهما وقبَّلهما وبكى، وقال: أستودعكما الله، ثم ركب وخرج بين يديه شمعة، فنزل إلى الشطِّ، وركب في الحرَّاقة مع هَرْثَمَة.

قال أحمد بنُ سلامٍ صاحبُ المظالم: كنت مع هَرْثَمَةَ فيمن كان معه من القوَّاد في الحرَّاقة، فلما دخل محمَّد الحراقةَ قمنا إعظاماً له، وجثا هَرْثَمَةُ على ركبتيه وقال له: يا سيِّدي، لا أقدر على القيام؛ للنِّقْرِس[1] الذي بي، فاحتضنه وصيَّره في حجره، وجعل يقبِّل يديه ورِجليه وعينيه ويقول: يا سيِّدي ومولاي وابن مولاي. وأمر هَرْثَمَةُ بالحراقة أن تُدفع، فبينا نحن على ذلك، إذ شدَّ علينا أصحابُ طاهرٍ في الزَّواريق والسُّفن، ورمَوا بالنُّشَّاب والحجارة، فانكفأت الحرَّاقة، فغرق هَرْثَمَةُ وغرق محمَّد، فأما هَرْثَمَةُ فإنَّ الملَّاح تعلَّق بشَعره فأخرجه، وأما محمَّد فشقَّ ثيابه وسبح.

قال أحمد بنُ سلام: وتعلَّق بي رجلٌ من أصحاب طاهر، فمضى بي إلى رجلٍ قاعد على شاطئ دجلةَ على كرسيٍّ من حديدٍ وبين يديه نارٌ توقد، فقال الذي أخذني: هذا كان في الحرَّاقة فيمن غرقَ فأخذته، فقال لي الرجل: من أنت؟ قلت: من أصحاب هَرْثَمَة، أنا أحمد بنُ سلامٍ مولى أميرِ المؤمنين صاحبُ المظالم، فقال: كذبتَ فاصدقني، فقلت: قد صدقتك، قال: فما فعل المخلوع؟ قلت: رأيته شقَّ ثيابَه ورمى بنفسه في الماء، قال: فركب دابَّته، وجعل في عُنقي حَبْلاً، وجنبوني إلى جانب رجل، ومضى وأنا أعدو، فتعبتُ من العَدْو، فقمت، فقال الذي يجنبني: قد قام الرجلُ وليس فيه ما يَعْدو[2]، فقال: انزل حُزَّ رأسه، فقلت: لِمَ تقتلني وأنا رجلٌ من الله في نعمةٍ ولا أقدر على العَدْو؟! وأنا أفدي نفسي بعشرة آلاف درهم، قال: وكيف لي بها؟ قلت: تحبسني عندك حتى أُرسلَ إلى وكيلي في عسكر المهديِّ في منزلي يحملها إليك، وإن لم آتِك فاضرب عنقي، فقال: قد أنصفت.

ثم مضى بي [إلى] دار أبي صالح الكاتب، فأدخلني الدار، وأمر غلمانه أن يحتفظوا بي، وتفهَّم مني خبرَ محمَّد ووقوعَه في الماء، ومضى إلى طاهرٍ يُخبره خبرَه، فإذا هو إبراهيمُ البلخي.

---

(١) النقرس: ورم ووجع في مفاصل الكعبين وأصابع الرجلين. القاموس المحيط (نقرس).

(٢) في تاريخ الطبري ٨/ ٤٨٥: قد قام هذا الرجل وليس يعدو.

قال: وحبسني غِلمانُه في بيت من بيوت الدارِ فيه بوارٍ ووسائد، وفي زاويته(١) حُصُرٌ مُدرجة، وأوقدوا عليَّ سراجاً، فلمَّا ذهب من الليل ساعة، إذا بحركة الخيلِ ودقِّ الباب، ففُتح، فدخلوا وهم يقولون: بِسَر(٢) زُبَيدة، فأُدخل محمَّد وهو عُريانُ عليه سراويلٌ وعمامة مُتَلثِّم بها، وعلى كتفيه خرقةٌ خَلَقة صغيرة، وخرجوا، فنظر إلي، فبكيت، فقال: مَن أنت؟ قلت: مولاك، قال: وأيُّ الموالي؟ قلت: أحمد بنُ سلام صاحبُ المظالم، فقال: أعرفك، قد كنتَ تأتيني بالرقَّة ثم تُلطفني، وقال: لستَ مولاي، بل أنت أخي ومني، ثم قال: يا أحمد، أدنُ مني وضمَّني إليك، فإني أجد وَحْشةً شديدة، قال: فضممته إلي، فإذا قلبه يخفق خفقاناً شديداً، فلم أزل أضُمُّه حتى سكن.

ثم قال: ما فعل أخي عبدُ الله؟ أحيٌّ هو؟ قلت: نعم، قال: قبَّح الله صاحبَ البريد ما أكذبَه، كان يقول: إنه مات، شِبهَ المُعْتَذِر من مُحاربته، قال: فقلت: بل قبَّح اللهُ وزراءك؛ فإنَّهم هم الذين أوردوك هذا المَوْرِد، فقال: يا أخي، لا تقل في وزرائي إلَّا خيراً، ما لهم ذنب، ولستُ أوَّلَ مَن طلب أمراً ففاته، وليس هذا بمَوْضع عِتاب، ثم قال: يا أحمد، ما تراهم يصنعون بي؟ أيقتلوني أم يَفون لي بأمانهم؟ قلت: بل يَفون لك يا سيِّدي، قال: وعليه خِرقةٌ لا تُواريه، وجعل يضمُّها بيديه لئلَّا تقعَ عن كتفه، وعليَّ مبطنة، فنزعتها وقلت: اِلبسها يا مولاي، فقال: لا أفعل، مَن كانت هذه حالتَه فهذه الخِرقة له كثير، وبكى وبكيت، وجعل يستغفر ويتوب ويذكر الله.

فبينا نحن على ذلك، إذا بداقٍّ يدقُّ الباب، فدخل، فإذا به محمَّد بن حُمَيد الطَّاهري، فنظر في وجهه وخرج، فعلمت أنه مقتولٌ لا محالة، فلمَّا كان بعد ساعةٍ وقد قمت لأُوترَ وهو يقول: يا أحمد، لا تبعد عني، وصلِّ قريباً مني، فإنِّي أجد وحشة، وإذا بحركة الخيل ودقِّ الباب، ففتح ودخل أصحابُ طاهرٍ من العجم وبأيديهم السيوف مُسْلَلة، فلما رآهم محمَّد قام قائماً، وجعل يسترجع ويقول: ذهبتْ نفسي في سبيل الله، أمَا من حيلة! أما من مُغيث! أما من مُجير؟! وجاؤوا حتى قاموا على باب

---

(١) في تاريخ الطبري ٨/ ٤٨٥: فيه بوار ووسادتان أو ثلاث، وفي رواية.

(٢) أي: ابن، بالفارسية. المعجم الذهبي ص١٥٧.

البيتِ الذي نحن فيه، وأحجموا عنه، وقمت خلف الحُصُر التي[١] في البيتِ، وأخذ محمَّد بيده وِسادةً وجعل يقول: ويحكم أنا ابنُ عمِّ رسولِ الله ﷺ، أنا ابنُ هارون، أنا أخو المأمون، اللهَ اللهَ في دمي.

فدخل عليه رجلٌ يقال له: خُمارويه، غلامٌ لقريشٍ الدنداني مولى طاهر، فضربه على رأسه بالسيف، وضربه محمَّد بالوسادة في وجهه، واتَّكأ عليه ليأخذَ السيف منه، فصاح خُمارويه[٢] بالفارسية: قتلني قتلني، فدخل عليه جماعة، فنخسه واحدٌ منهم بالسيف في خاصرته فوقع، وركبوه فذبحوه ذبحاً من قفاه، وأخذوا جُثَّته وتركوها في جلٍّ[٣] وحملوها، فلما طلع الفجرُ قالوا: هاتِ العشرةَ آلاف درهم، فأخذوها وخلَّوا سبيلي.

قال أحمد: وبعث هَرْثَمَةُ إلى طاهرٍ عبدَ السَّلام بنَ العلاء صاحبَ حرسه يقول له: ما خبرُك؟ فقال طاهر: يا غلام، هات الطَّست، فجاء به وفيه رأسُ محمَّد فقال: هذا خبري، فأَعلِمْه. فلما عاد الرسولُ إلى هَرْثَمَةَ وأخبره بكى وقال: لعن اللهُ الأعور، فعلها. وأقام أياماً حزيناً باكياً، ثم أصبح طاهرٌ فنصب رأس محمَّد على البستان الذي يلي بابَ الأنبار، وفتحَ الباب، وخرج أهلُ بغدادَ ينظرون إليه وطاهرٌ يقول: هذا رأسُ المَخْلوع، وفي وجهه ضربةٌ وفي رأسه ضربة.

وبعث طاهر بالرأس والقضيبِ والبُردة والخاتَم والمصلَّى -وكان من سَعَفٍ مُبَطَّن- إلى المأمون مع محمَّد بنِ مصعب[٤] ابنِ عمِّ طاهر، فأَدخل الحسنُ بن الفضل الرأسَ على تُرْس إلى بين يدي المأمون، فلمَّا رآه سجد، وأمر للذي جاء به بألف دينار[٥].

وقال رجلٌ[٦] من أهل خُراسان: مَن قتله؟ قالوا: قُريش الدَّنداني، فقال: سبحانَ

(١) في (خ): الذي.

(٢) في (خ): حمرويه، وفي المنتظم ١٠/ ٤٧: حميرويه، والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ٤٨٧، وتاريخ الإسلام ٤/ ١٠٥٢.

(٣) الجلّ: ما تلبسه الدابة لتصان به، يضم ويفتح. القاموس المحيط (جلل).

(٤) كذا في تاريخ الإسلام ٤/ ١٠٥٣، والوافي بالوفيات ٥/ ١٣٨، وفي تاريخ الطبري ٨/ ٤٨٨: محمد بن الحسن بن مصعب، وفي الكامل ٦/ ٢٨٧: محمد بن الحسين بن مصعب.

(٥) في تاريخ الطبري وتاريخ الإسلام والوافي: ألف ألف درهم.

(٦) في (خ): لرجل، وما أثبتناه الصواب، وانظر تاريخ الطبري وابن الأثير.

الله! كنَّا نرى أنَّ قريشاً تقتله، فكنَّا نذهب إلى القبيلة، فوافق الاسمُ الاسمَ.

ولمَّا وصل الرأس إلى مَروَ ورآه الفضلُ بن سهل، بكى وقال: لعن اللهُ الأعور، لقد سلَّ إلينا ألْسُنَ الناس وسيوفَهم، أمرناه أن يبعثَ به إلينا أسيراً، فبعث به إلينا عَقيراً، فقال له المأمون: قد كان ما كان، فاحتلْ في الاعتذار منه.

وذكر الصُّولي أنَّ الرأس لما حضر عند المأمون، بكى وتحسَّر وتلهَّف، فقال له الفضل بنُ سهل: اِحْمَد اللهَ الذي أراك عدوَّك في حالة يودُّ لو رآك في مثلها، فقال: أنا ومحمَّد كنا كما قال زهير[١]: [من الوافر]

شفيتُ النَّفْسَ من حَمَل بن بدرٍ وسيفي من حُذَيفَة قد شفاني
فإنْ أكُ قد بَرَدْتُ بهم غَليلي فلم أقطعْ بهم إلَّا بَناني

ثم قال المأمون: إنِّي تذكَّرت قليلَ محمَّد مع كثرة عُقوقه لي، أمر لي الرشيدُ يوماً بمئة ألفِ دينار وله بمئتي ألف دينار، فأتيته فبشَّرته، فقال: يا أخي لعل في نفسك من تفضيلي عليك ما تتأثَّر به، وقد وهبتُ لك الجميع، فأعطاني إياها. فقال له الفضل: كيف تَحْمَد على بَذْلِ المال مَن شَّح على بقاءِ النفْس؟ فقال: فذاك الذي يُسلِّيني عنه. وأمر بالرأس فطِيف بها في خُراسان.

وكتب طاهرٌ إلى المأمون: أما بعد: فالحمد لله الكبيرِ المتعال، ذي العزَّة والجلال، الذي إذا أراد أمراً فإنَّما يقول له: كن فيكون، وكان مما قدَّر [اللهُ][٢] وأحكم ودبَّر انتكاثُ المخلوع ببيعته، وارتكاسُه[٣] في فتنته، وقضاؤه عليه بالقتل بما كسبت يداه، وأنَّ الله ليس بظَلَّام للعبيد، وقد كتبتُ إلى أمير المؤمنين أُخبره بإحاطة جند الله ببغداد، وإحداقِهم بطُرقها ومَسالكها، وسفنِها ومَعابرها ومَسالحِها، وحَذْري السفنَ والزَّواريق والمجانيقَ والمقاتلة إلى ما واجه الخُلدَ وبابَ خُراسان؛ تحفظاً بالمخلوع، وتخوُّفاً من أن يروغَ مَراغاً، أو يَسلكَ مَسلكاً يجد به السبيل إلى إقامة الفتنِ

(١) كذا في (خ)، والصواب: قيس بن زهير العبسي. انظر شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ١/ ٢٠٣، والتذكرة السعدية ص٦٣.

(٢) ما بين حاصرتين من تاريخ الطبري ٨/ ٤٨٩.

(٣) في (خ): ارتكابه، والمثبت من تاريخ الطبري.

وسفك الدِّماء، بعد أن خذله اللهُ وحصره، وبمتابعة[١] الرسلِ لي بما يعرض عليه هَرْثَمَةُ ابن أعين، ويسألني من تخلية الطريقِ له في الخروج إليه، وكراهيتي ما أحدث وزراؤه في أمره بعد أن قطع الله رجاءه من كلِّ حيلة، وانقطاعِ المنافع عنه، وحيل بينهم وبين ما يشتهون من الماءِ وغيره، حتى همَّ به خدمه وأشياعُه من أهل المدينة، وعزموا على الوثوب به للدِّفاع عن أنفسهم.

ثم إنِّي فكَّرت وروَّيت الفكر فيما دبَّره هَرْثَمَةُ في أمر المخلوع، وما عرض عليه وأجابه إليه، فوجدت الفتنةَ قائمة في تخلُّصه من موضعه الذي أنزله فيه الذُّلَّ والصَّغار، وصيَّره فيه الضيقُ والحصار، لا يزيد ذلك أهلَ التربُّص في الأطراف إلَّا طمعاً وعتوًّا وانتشاراً، فأنكرت على هَرْثَمَةَ ما أطمعه فيه وأجابه إليه، فقال: لا سبيلَ إلى الرجوع عمَّا أعطيته.

ثم اتَّفقوا على أن يسلِّمَ إليَّ رداءَ رسولِ الله ﷺ وسيفَه وبُرْدَه والقَضيبَ والخاتم قبل خروجه، وأُخَلِّيَ له طريقَ الخروج إلى هَرْثَمَة، كراهيةَ أن يكون بيني وبينه اختلافٌ نصير منه إلى أمر يُطمع الأعداءَ فينا، واتفقنا على أن نجتمعَ عشيةَ السبت.

فتوجَّهت في خاصَّة ثقاتي الذين أعتمد عليهم وأثق بهم إلى باب خُراسان، وكنت قد أعددت حرَّاقاتٍ لأركبَها بنفسي لوقت الميعادِ الذي بيني وبين هَرْثَمَة، فركبت فيها، وركبت معي خاصَّتي، وجعلت بين باب خُراسانَ والمَشْرعةِ فرساناً ورجَّالة، وأقبل هَرْثَمَةُ حتى سار بقرب مشرعةِ باب خُراسانَ مُعِدًّا مُسْتَعدًّا، وقد خاتلني بالرِّسالة إلى المخلوع؛ ليخرجَ إليه ويحملَ معه البردةَ والقضيب والخاتمَ فيسلِّم الجَميع إلى هَرْثَمَة، فلمَّا وافى المخلوعُ باب خُراسان، مرَّ بالذين وكَّلتهم بحفظ المشرعة، وكنت قد تقدَّمت إليهم ألَّا يمكِّنوا أحداً من العبور إلَّا بأمري، فبادرهم نحوَ المشرعة، وقرَّب هَرْثَمَةُ إليه الحرَّاقة، فسبق الناكثُ أصحابي إليها، وتأخَّر كوثرٌ عنه ومعه رداءُ رسول اللهِ ﷺ والسيفُ والبُردة والقضيب والخاتَم، فظفر بكوثرٍ بعضُ أصحابي، وهو قريشٌ مولاي، فأخذه وأخذ ما معه.

(١) معطوف على قوله: أخبره بإحاطة جند ...

فنفر بعضُ أصحاب المخلوعِ عندما رأوا من إرادة أصحابي منعَ المخلوع من الخروج، فبادر بعضُهم حراقةَ هَرْثَمَة، فتكفَّأت بهم، فغرق بعضُهم، ورمى المخلوعُ بنفسه من الحرَّاقة في دجلةَ متخلِّصاً إلى الشطّ، نادماً على ما كان من خروجه، ناقضاً للعهد، داعياً بشعاره، فابتدره عدَّة من أوليائي عَنوةً وقهراً، بلا عقدٍ ولا عهد، فعرض عليهم مئةَ حَبَّة، ذُكر أنَّ قيمة كلِّ حبةٍ ألفُ درهم[١]، فأبوا إلا الوفاءَ لخليفتهم، وصيانةً لدينهم، وإيثاراً للحقِّ الواجب عليهم، فتعلَّقوا به كلٌّ يريد الحُظْوةَ عندي، وازدحمت عليه أسيافُهم، فأُتيح له مُتَغَيِّظ لله ودينه ورسولِهِ وخليفته، فأتى عليه، وأصبح الناسُ بين مكذِّب ومصدِّق، فأزلتُ الشبهةَ بأن نصبتُ رأسه، فنظروا إليه ليَصِحَّ يقينُهم[٢]، وتنقطعَ أطماع نَغَل القلوب، فلْيهنِ أميرَ المؤمنين هذا الفتحُ العظيم، وأسأل اللهَ العظيم أن يجمعَ له خيرَي الدنيا والآخرة.

وبلغ إبراهيمَ بن المهديِّ كتابُه فقال: كذب الأعور، واللهِ ما قتله إلَّا عناداً لله ولرسوله، وما ارتكب محمَّد ما يُستباح به دمُه، وإنَّ الأعور لتحدِّثه نفسه بأمورٍ سوف يُظهرها، وإنَّ في رأسه لغَدرة، أليس هو القائل مُفْتَخراً: [من الوافر]

مَلَكْتُ الناسَ قَهْراً واقتِساراً ... وأذْلَلْتُ[٣] الجَبابرةَ الكِبارا
ووَجَّهْتُ الخلافةَ نحو مَرْوٍ ... إلى المأمون تَبتَدِرُ ابتدارا
حَصَرْتُ المُتْرَفَ المَخلوعَ حتى ... نَسَجْتُ من الدِّماء له إزارا
فتَكْتُ به بِرَغْمِ أُنوفِ قومٍ ... ولو نَطَقوا لصاروا حيث صارا

وهو القائل: [من المتقارب]

قتلتُ الخليفةَ في داره ... وأنْهَبْتُ بالسَّيف أموالَه[٤]

وقال الصُّولي: تواترت على محمَّد أسبابٌ قبل قتله تدلُّ على إدبار أمره، جلس ليلةً وعنده إبراهيمُ بن المهديِّ في مَنْظَرةٍ بالخُلد، وكانت ليلةً مُقْمِرة، فاستدعى جاريةً له

(١) في تاريخ الطبري ٨/ ٤٩١: مئة ألف درهم.
(٢) في تاريخ الطبري ٨/ ٤٩٢: بعينهم.
(٣) في تاريخ الطبري ٨/ ٤٩٩: قسراً واقتدار وقتَّلت.
(٤) تاريخ الطبري ٨/ ٤٩٩.

اسمُها ضَعْف، قال إبراهيم: فتطيَّرتُ من اسمها، فقال لها: غنِّي، فغنَّت بأبيات النابغة[(١)]: [من الطويل]

كُلَيبٌ لَعَمْري كان أكثرَ ناصراً وأيْسَرَ ذنباً منك ضُرِّج بالدَّمِ

فتطيَّر وقال: غنِّي غيرَ هذا، فغنَّت: [من البسيط]

أبكى فراقُهمُ عيني فأرَّقها إنَّ التفرُّق للأحباب بكَّاءُ
ما زال يعدو عليهمْ رَيْبُ دهْرِهمُ حتى تفانَوا وريبُ الدهر عدَّاءُ[(٢)]

فقال لها: لعنكِ الله، أما تعرفين غيرَ هذا! فقالت: ما تغنَّيت إلَّا بما ظننت أنَّك تحبُّه، فقال: غنِّي، فغنَّت: [من المنسرح]

أما وربِّ السُّكون والحَرَكِ إنَّ المنايا كثيرةُ الشَّرَكِ[(٣)]
ما اختلف الليلُ والنهارُ ولا دارت نجومُ السَّماءِ في فَلَكِ
إلَّا بنَقْل السُّلطانِ من مَلِكٍ عانٍ بحبِّ الدُّنا إلى مَلِك[(٤)]
ومُلْكُ ذي العرشِ دائماً أبداً ليس بفانٍ ولا بمشتَرَك

فلعنها وأقامها، وبين يديه قدحُ بلَّور طويلٌ من عجائب الأقداحِ صنعةً كان يسمِّيه زُبَّ رُبَّاح[(٥)]، فعثرت الجاريةُ به فانكسر، فقال: يا إبراهيم، أما ترى؟! ما أظنُّ أمري إلَّا قد قرب، وإذا بصوتٍ من دجلة يُسمع ولا يُرى له شخص: ﴿قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ [يوسف: ٤١] فقُتل بعد يومين.

وقال السِّندي: جلس محمَّد ليلةً على بِساطٍ مُرَصَّع بالجواهر، وبين يديه عدَّةُ مُغَنِّيات، فغنَّت واحدةٌ وقالت: [من الطويل]

---

(١) هو النابغة الجعدي، والبيت في ديوانه ص١٤٣، وتاريخ الطبري ٨/ ٤٧٦ و٥١٣.

(٢) تاريخ الطبري ٨/ ٤٧٧، والأغاني ١/ ٥٢، ومصارع العشاق ١/ ١٤٤، وتاريخ دمشق ٦٥/ ٢٤٣ دون نسبة.

(٣) كذا في تاريخ الخلفاء ص٣٠٠، وفي تاريخ دمشق ٦٥/ ٢٤٢: سريعة الدرك.

(٤) في المصادر اختلاف في رواية الشطر الثاني: انظر إضافة إلى المصدرين السابقين ديوان أبي العتاهية ص٢٧٤، وعيون الأخبار ٢/ ٣٠٧، والأغاني ٤/ ١٠٥.

(٥) وهو ضرب من تمور البصرة. تاج العروس (ربح).

هـمُ قـتـلـوه كـي يـكـونـوا مـكـانَـه كـمـا غَـدَرتْ يـومـاً بـكـسـرى مَـرازِبُـهْ(١)

فتطيَّر منها وسبَّها، وقال لأخرى: غنِّي، فغنَّت: [من الكامل]

مَـن كـان مَـسـروراً بـمَـقْـتَـل مـالـكٍ فـلْـيَـأتِ نِـسـوَتَـنـا بـوَسْـط نـهـارِ
يَـجِـدِ الـنِّـسـاءَ حَـواسـراً يَـنْـدُبْـنَـه قـد قُـمْـنَ قـبـل تَـبَـلُّـج الأسـحـار(٢)

فبكى وقام، ورمى البِساطَ في دجلةَ وقال: [من مجزوء الكامل]

يـا نَـفْـسُ قـد حَـقَّ الـحَـذَرْ أيـن الـمَـفَـرُّ مـن الـقَـدَرْ
كـلُّ امـرئٍ مـمَّـا يـخـا فُ ويَـرْتَـجـيـه عـلـى خَـطَـر
مَـن يَـرتَـشِـفْ صَـفْـوَ الـزَّمـا نِ يَـغَـصُّ يـومـاً بـالـكَـدَرْ

وقال السِّندي: ومع هذا فما كان يصرف زمانَه إلَّا في اللَّهو واللعب، ولقد جلس يوماً على بِركةٍ فيها سَمَك، ورمى الشِّصَّ(٣) ليصيدَ، وحجارةُ المجانيق تقع بين يديه، فقيل له: قم من ها هنا، فقال: حتى أتمِّمَ صيدي.

واشتدَّ القتالُ يوماً على باب قصرِ الخُلد، وجاءت حجارةُ المنجنيق والشطَّارُ بين يديه يقاتلون، فقال لهم: تنحَّوا من هاهنا لئلَّا تُصيبَكم الحجارة؛ شفقةً عليهم. فقالوا له: إذا لم نقاتلْ نحن فقل لزبيدةَ تخرج تقاتل، فتمثَّل بقول الأفْوَهِ الأَوْدي وقال: [من البسيط]

لا يَصلُحُ الناسُ فَوضى لا سَراةَ لهمْ ولا سَـراةَ إذا جُـهَّـالُـهـمْ سـادوا
تُهدَى الأمورُ بأهل الرأي ما صَلَحت فـإنْ تَـوَلَّـت فـبـالأشـرار تَـنْـقـاد(٤)

وقال المأمونُ للفضل بنِ سهل: قد كان لأخي رأيٌ لو عَمل به لظَفِر، قال: وما هو؟ قال: لو كتب إلى البلاد التي تحت أيدينا: خُراسانَ وطَبَرِسْتان والرَّيِّ وغيرِها بوضع

---

(١) انظر تاريخ الطبري ٨/ ٥١٣، والبيت في أنساب الأشراف ٥/ ٢٤٨، والكامل ٢/ ٩١٦، والأغاني ٥/ ١٢٠ ضمن قصيدة للوليد بن عقبة بن أبي معيط في عثمان بن عفان ﷺ. والمرازب: جمع مَرْزُبان: وهو رئيس الفرس، أو الفارس الشجاع المقدم على القوم، وهو دون الملك في الرتبة. المعجم الوسط (رزب).

(٢) البيتان للربيع بن زياد العبسي، وهما في ديوان الحماسة ٢/ ٩٩٥ (بشرح المرزوقي)، وتاريخ الطبري ٨/ ٥١٢-٥١٣، والأغاني ١٧/ ١٧٨، والخزانة ٨/ ٣٦٩.

(٣) الشص: حديدة عقفاء يصاد بها السمك. القاموس المحيط (شصص).

(٤) الديوان ص١٠ (الطرائف الأدبية)، والشعر والشعراء ١/ ٢٢٣، والأمالي ٢/ ٢٢٥، والحماسة البصرية ٢/ ٦٩.

الخراجِ سنة؛ لأنَّا كنا بين أمرين، إنْ طلبناه منهم قاتلونا، وإن لم نطلبه ضَعُفنا فتفرَّق الجندُ عنا، فقال الفضل: الحمدُ لله الذي ستر عنه هذا الرأي[١].

وقُتل محمَّد في المُحَرَّم لستٍّ بقينَ منه سنةَ ثمانٍ وتسعين ومئة.

[قال الصُّولي:] وبويع في جُمادى الأولى سنةَ ثلاثٍ وتسعين ومئة، فكانت خلافتُه أربعَ سنينَ وثمانيةَ أشهرٍ وأياماً.

[وقال الخطيب:][٢] وسبعةَ أشهرٍ وثمانيةَ أيام. و[قال الصُّولي:] خُلع لعشرٍ خلون من رجبٍ سنةَ ستٍّ وتسعين [ومئة]، وذلك بعد ثلاث سنينَ وخمسةٍ وعشرين[٣] يوماً من خلافته، وحُبس يومين بالقبَّة الخضراء، فلم يجدوا مَن يرضون به، فأعادوه إلى الخلافة ببيعةٍ ثانية، ولم يزل في حربٍ وحصار سنةً وثلاثةَ عشرَ يوماً، ولم يُعلم خليفةٌ قبل محمَّد خلع وحُبس[٤] سواه.

[قال: وطلب ماءً يشربه وكان قد عطش، فلم يجدوا ماء يسقونه به إلَّا في مَطْهرة.][٥] وقُتل وله ثمان وعشرون سنة.

وكان على قضائه إسماعيلُ بن حمَّاد بنِ أبي حَنيفة، ثم أبو البَخْتَرِيّ وَهْبُ بن وهب، ومحمَّد بن سَمَاعة.

وكتب المأمونُ إلى طاهر: اكتب إليَّ سيرةَ محمَّد، فكتب إليه: كان واسعَ الطَّرَب، ضَيِّقَ الأدب، تبيح[٦] نفسُه ما تَعافُه هِمَمُ ذَوي الأقدار، يجمع الكتائبَ بالتَّبذير، ثم يُفرِّقها بسوء التدبير[٧]، وكنَّا في وجهه أُسوداً ضاريه، تُمسي وفي أشداقها خَلوقُ النَّاكثين، وتُصبح وتحت صدورِها صدورُ المارقين، وإنَّ الله يأخذ بدمه يومَ القيامة

(١) من قوله: ذكر مقتله . . . إلى هنا ليس في (ب).
(٢) في (خ): وقيل. وكلام الخطيب في تاريخ بغداد ٤/ ٥٤٢.
(٣) في (خ): وسبعين، والمثبت من (ب)، وهو الموافق لما في تاريخ بغداد ٤/ ٥٤١.
(٤) بعدها في (ب): يومين أو ثلاثة.
(٥) ما بين حاصرتين من (ب).
(٦) في (خ): نعب، والمثبت من زهر الآداب ١/ ٥٣٩.
(٧) في (خ): يجمع الكتائب بالتدبير ثم يفرقها بالتدبير، والمثبت من زهر الآداب.

ثلاثة، لا أنا ولا أنت منهم، الفضلُ بن الربيع، وعليُّ بن عيسى بن ماهان، وبكرُ بن المُعْتَمِر.

ذِكْر مراثيه:

[قد رثى محمَّداً جماعة، قال عمر بن شَبَّة:] تزوَّج الأمينُ لُبابةَ بنت عليِّ بن المهدي، فقُتل قبل أن يدخلَ بها، فقالت ـ وقيل: إنَّهما لابنة عيسى بنِ جعفر، و[الأصحُّ أن البيتين لها؛ لأنَّها][(1)] كانت مُمْلَكة عليه ولم يدخلْ بها -: [من المنسرح]

أبكيكَ لا للنَّعيم والأنسِ ... بل للمَعالي والرُّمح والفَرَسِ[(2)]
أبكي على هالكٍ فُجِعْتُ به ... أَرْمَلَني قبل ليلةِ العُرس

وقيل للُبابة: ألا ترين توانيَ محمَّد واشتغالَه عن عَدوِّه بلَهْوه ولَعِبه؟! فقالت: مَن ستر عينيه جريانُ القدر عن طريق الحَذَر، ألهاه الأمَلُ عن الفكر في الأجل، وللخلق غايةٌ هم بالغوها، عن نعيمٍ أو بؤس، كلُّ ذلك بتقدير العزيزِ العليم، في لوحٍ محفوظ، تتنزَّل به أقضيتُه على مَن يشاء من خلقه.

وقال الحسين بن الضحَّاك مولى باهلة [وكان من ندمائه هذه الأبيات][(3)]:

يا خيرَ أُسرتِه وإن زعموا ... إنِّي عليك لَمُشْفِقٌ أسِفُ
اللهُ يعلم أنَّ لي كَبِداً ... حرَّى عليك ومُقْلَةً تَكِف
هلَّا بقيتَ لسَدِّ فاقتِنا ... أبداً وكان لغيرك التَّلَف
فلقد خَلَفتَ خلائفاً سلفوا ... ولسوف يُعوِزُ بعدك الخَلَف
هَتَكوا بحُرْمَتك التي هُتِكَت ... حُرَمَ الرَّسول ودونها السُّجُف
هيهات بعدك أن يدومَ لنا ... عِزٌّ وأن يَبقى لنا شَرَف
قد كنتَ لي أملاً غَنِيتُ به ... فمضى وحلَّ مَحَلَّه الأَسَف

(1) ما بين حاصرتين من (ب).

(2) في تاريخ الطبري ٨/ ٥٠١، ومروج الذهب ٦/ ٤٨٥: والترس. والمثبت موافق لما في البيان والتبيين ٣/ ٢٠٢، والحيوان ٣/ ٩٠، والكامل ٣/ ١٤٦٤، والعقد الفريد ٣/ ٢٧٧، والمنتظم ١٠/ ٧٠.

(3) ما بين حاصرتين من (ب)، وانظر الأبيات في تاريخ الطبري ٨/ ٥٠١-٥٠٢، وابن الأثير ٦/ ٢٨٩. والبيت الثالث والرابع في الأغاني ٧/ ١٤٨ أيضاً.

من أبيات. وقال أيضاً: [من الطويل]

أَطِل حَزَناً وابْكِ الأمينَ محمَّدا ... وإنْ خِفْتَ أن تلقى حُساماً مُهَنَّدا
لحا اللهُ قوماً أسلموك وظاهروا ... عليك لَعيناً فاسِقاً مُتَمَرِّدا
فلا وَجدوا للعَيْش بعدك لَذَّةً ... ولا بَرِحوا من حُرمَةِ الخَوف والرَّدى
فقد كنتَ خيرَ الناس غيرَ مُدافَعٍ ... وأشرفَهم نَفْساً وأزكاه مَحْتِدا
وأكرمَه عَفْواً وأعلاه هِمَّةً ... وأسبقَه جُوداً وأجودَه يدا
ولا تمَّت الأشياءُ بعد محمَّد ... ولا زال شَمْلُ المُلك فيه مُبدَّدا
ولا فرح المأمونُ بالمُلك بعده ... ولا زال في الدنيا طَريداً مُشَرَّدا[1]

وقال أبو نُواس: [من الطويل]

طَوى الموتُ ما بيني وبين محمَّد ... وليس لما تطوي المَنيَّةُ ناشرُ
وكنتُ عليه أحْذَرُ [الموتَ][2] وَحْدَه ... فلم يَبقَ لي شيءٌ عليه أُحاذِرُ
لَئن عَمَرتْ دورٌ بمَن لا أُحبُّه ... لقد عَمَرت ممَّن أحبُّ المقابر

وهذا المعنى أخذه أبو نُواسٍ من امرأة، فإنَّه اجتاز بمَقبُرة، فرأى امرأةً تبكي عند قبرٍ قد مات ولدُها وهي تقول: إنَّ فقدي إياك أنساني فقدَ سواك، وإنَّ مُصيبتي بك هَوَّنت عليَّ المصائب، ثم قالت: [من مجزوء الكامل]

كنتَ السَّوادَ لمُقْلَةٍ ... فبكى عليك النَّاظِرُ[3]
مَن شاء بعدك فلْيَمُتْ ... فعليك كنتُ أُحاذِرُ

وقال إبراهيم بنُ المهدي وكتب بها إلى المأمون يُخبره أنَّهم ذبحوه من خلفِ قفاه، ولفُّوا جُثَّته في [جُلٍّ وألقَوه] في دِجلة[4]: [من السريع]

---

(١) انظر بعض هذه الأبيات في الأغاني ٧/ ١٥٠و١٦٥-١٦٦، والتذكرة الحمدونية ٢/ ١٣١، وتاريخ الإسلام ٥/ ٣٥٦.

(٢) ما بين حاصرتين من (ب)، وهو الموافق للديوان ص٣٤٢.

(٣) في (ب) و(خ): تبكي عليك وناظر، والمثبت من ديوان إبراهيم الصولي ص١٦٩ (الطرائف الأدبية)، والعقد الفريد ٣/ ٢٥٤، والبصائر والذخائر ٨/ ١٤٢، والتذكرة الحمدونية، ووفيات الأعيان ١/ ٤٧.

(٤) في (خ): وألقوا جثته في دجلة.

لم يَكْفِهِ أن حَزَّ أوداجَه ... نحْرَ الهدايا بمُدى الجازِرِ
حتى انْبَرى يسْحَبُ أوصالَه ... في شَطَنٍ يُفني مَدَى السَّائر
فأَبلِغا المأمونَ عنِّي فقد ... زيد على المأمورِ والآمر[1]
قولا له يا ابنَ سَليلِ الهُدى[2] ... طَهِّرْ بلادَ اللهِ من طاهر

من أبيات. فلمَّا قرأها المأمونُ اشتدَّ عليه.

وقالت زُبيدة [أمُّ الأمين][3] -وقيل: إنَّ خُزَيْمة بنَ الحسن قالها على لسانها: [من المديد]

قد رأيتُ الخُلْدَ يُنْتَهَبُ ... وأجيجُ النَّارِ تلتَهِبُ
[وبه الأبكارُ صارخةٌ ... ضجَّ منها الوَيْلُ والحَرَب]
وأميرُ المؤمنين على التُّرْبِ والأوداجُ تَنْشَخِبُ[4]
ضربوه فوق مَفْرِقه ... وَيْحهم يَدرون مَن ضربوا
لو يكن بالرُّوم مَقتَلُه ... لَبَكَتْه الرومُ والصُّلُب
أبصرتْ عيناي ويحهما ... عَجَباً ما مثلُه عَجَب
جسمَ روحٍ لا صَريخَ له ... رأسَه للناس قد نَصَبوا
[فأتى ما لا أُقَدِّره ... وحُتوفُ المرء تُجْتَلب
فصَبَرْتُ النَّفْسَ كارهةً ... ودموعي الدَّهرَ تَنْسَكِبُ][5]
فحَياتي ما حَييتُ كُدًى ... أو تواريْ وَجْهيَ التُّرُبُ
فعليه ما بدا فَلَقٌ ... رَحْمةُ الرَّحمن تُرْتَقَبُ

وقال عن لسانها -وكتبت بها إلى المأمونِ أخي الأمين[6]: [من الطويل]

---

(١) رواية الطبري ٨/ ٤٨٩، وابن الأثير ٦/ ٢٨٨:
وأبلغا عني مقالاً إلى الـ ... مولى على المأمور والآمر
(٢) في تاريخ الطبري: ولي الهدى، وفي تاريخ ابن الأثير: أبي الناصر.
(٣) ما بين حاصرتين من (ب).
(٤) أي: تنفجر. مختار الصحاح (شخب).
(٥) الأبيات التي بين حاصرتين من (ب). ولم نقف على القصيدة.
(٦) نسبت القصيدة لخزيمة بن الحسن في تاريخ الطبري ٨/ ٥٠٦، وابن الأثير ٦/ ٢٩٠، ونسبت في العقد الفريد ٣/ =

لِخيرِ إمامٍ قام من خير عُنْصُرٍ ... وأفضلِ سامٍ فوق أعوادِ مِنْبَرِ
لِوارث علمِ الأوَّلين ومَلْكِهم ... إلى المَلِك المأمون من أمِّ جعفرِ
كتبتُ وعيني تَسْتَهِلُّ دُموعُها ... إليك بحُزني[1] من جُفوني ومَحْجِري
وقد مَسَّني ضُرٌّ وذُلٌّ ونَكْبَةٌ[2] ... وأرَّق عَيني حَسْرَتي وتَذَكُّري[3]
سأشكو الذي لاقيتُ من بعد فَقْدِه ... إليك شَكاةَ المُسْتَضام[4] المُقَهَّر
أُصِبْتُ بأدنى الناس منكَ قَرابةً ... ومَن هو لي رُوحٌ فعِيلَ تَصَبُّري[5]
أتى طاهرٌ لا طهَّر اللهُ طاهراً ... فما طاهرٌ فيما أتى بمُطَهَّر
فأبْرَزَني مَكشوفةَ الوجهِ حاسِراً ... وأنْهَبَ أموالي وأحرق آدُري[6]
وعزَّ على هارونَ ما قد لقيتُه ... وما مرَّ بي من ناقِصِ الخَلْقِ أعور
فإنْ كان ما أسدى[7] بأمرٍ أمَرْتَه ... صَبَرْتُ لأمرٍ من قديرٍ مُقَدِّر
وإنْ تكن الأُخرى فغيرُ مُدافَعٍ ... إليك أميرَ المؤمنين فغيِّرِ
تذكَّر أميرَ المؤمنين قَرابتي ... فدَيْتُك من ذي حُرْمَةٍ مُتَذَكِّر

فلمَّا قرأها المأمونُ بكى وتلهَّف.

ذِكرُ أزواجه وأولاده:

كان له من الولد موسى وعبدُ الله وعيسى وإبراهيم. وأمَّا نساؤه، فقد ذكرنا اثنتين لم يدخلْ بهما، وكان له عدَّة سراري. وأسند الحديثَ عن أبيه عن جدِّه.

[قال علماء السير:] لما قُتل محمَّد، أعطى طاهرٌ الأمان للناس عامَّة، ودخل يومَ الجمعة مدينةَ المنصور، فخطب بالناس وصلَّى بهم، فكان من خطبته -وقد حضرها بنو

= ٢٦١، والأغاني ٢٠/ ٣٠٤ -ولم يذكر إلا البيت الأول- لأبي العتاهية، وهي في تكملة ديوانه ص٥٤٩-٥٥٠.

(١) في المصادر: ابن عمي، وفي العقد الفريد: ابن يعلى.

(٢) في تاريخ الطبري وابن الأثير: ذل كآبة. والبيت غير موجود في باقي المصادر.

(٣) في تاريخ الطبري وابن الأثير: يابن عمي تفكري.

(٤) في تاريخ ابن الأثير: المستضيم، وفي بعض نسخه وتاريخ الطبري: المستهام.

(٥) هذا البيت ليس في تاريخ الطبري وابن الأثير، وفي باقي المصادر اختلاف عما هنا.

(٦) كذا في تاريخ الطبري، وفي باقي المصادر: أدوري. وكلاهما جمع دار.

(٧) في (خ): يأتي، وفي تاريخ ابن الأثير: أبدى، والمثبت من تكملة الديوان وتاريخ الطبري ومروج الذهب ٦/ ٤٨٦.

هاشم والقوَّاد وغيرهم: الحمدُ لله ﴿مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٢٦]الآية. وحضَّ على الطاعة، ونهى عن الفتنة. ثم قال: إنَّ الله لا يُصلح عملَ المفسدين، ولا يَهدي كيدَ الخائنين، إنَّ ظهورَنا لم يكن عن أيدٍ منا، بل اختيار اللهِ عزَّ وجلّ، ونُصرتُه لخلافته التي جعلها عماداً لعباده، وقواماً لبلاده، وضبطاً لأطراف الثُّغور، وسدَّها، وجمعَ الفيءِ والغنائم، وإنفاذَ الأحكام، وإقامةَ العدل، وإحياءَ السنَّة، بعد جرِّ أذيال الفتنةِ والبطالة، والتلذُّذِ بالشهوات، وغمز محمَّداً، وحثَّ على طاعة المأمون، ثم نزل.

ولمَّا كان بعد مقتل محمَّد بخمسة أيام، وثب الجندُ بطاهرٍ وشغبوا عليه، ولم يكن في يده مال، فانهزم من البستان، ونهبوا متاعَه، فهرب إلى عَقْرَقُوف، وكان قد أمر بحفظ أبوابِ بغدادَ، والاحتياطِ على أمِّ جعفرٍ وموسى وعبدِ الله ابني محمَّد، ثم بعث بهما بعد ذلك إلى المأمون.

ولما وثب الجندُ بطاهر، أحرقوا بابَ الأنبار وبابَ البستان وشهروا السلاح، ونادَوا موسى بنَ محمَّد: يا منصور، ورجع طاهرٌ من عقرقوف لقتالهم، وعلموا أنَّ موسى وعبدَ الله قد بعث بهما طاهرٌ إلى خُراسان، فيئسوا، فعادوا إلى صلح طاهر، فعفا عنهم وشرط عليهم ألَّا يخرجوا عليه.

[يحيى بنُ سعيد

ابن فَرُّوخ القَطَّان. ذكره ابنُ سعد في الطبقة السادسةِ من أهل البصرة، قال: ويُكنى أبا سعيد، وكان ثقةً مأموناً رفيعاً، وتوفِّي يحيى بنُ سعيد بالبصرة في صفرٍ سنةَ ثمانٍ وتسعين ومئة في خلافة عبد الله بنِ هارون.

هذا صورةُ ما ذكر ابنُ سعد[١]، وذكره الخطيبُ[٢] فقال: هو مولى بني تميم، ولد سنةَ عشرين ومئة، وكان عالماً فاضلاً عابداً.

(١) في طبقاته ٩/ ٢٩٤ . وهذه الترجمة ليست في (خ)، وانظر المنتظم ١٠/ ٧٢، وتاريخ الإسلام ٤/ ١٢٤٤.
(٢) في تاريخه ١٦/ ٢٠٣ .

وحكى الخطيب[(١)] [عن] ابن مَعينٍ قال: أقام يحيى يختم القرآنَ كلَّ ليلة عشرين سنة، ولم يَفُته الزَّوالُ في المسجد أربعين سنة، وما رُئي يطلب جماعةً قط. ولم يدخل حمَّاماً، ولا ادَّهن ولا اكتحل، ولا ضحك إلَّا متبسِّماً، وكان يتواجد إذا سمع القرآن.

قال أبو نعيم بإسناده إلى علي بن عبد الله قال: كنا عند يحيى بن سعيد، فقال لرجل: اقرأ، فقرأ: حم الدخان، فتغير وجه يحيى، فلما وصل: ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَـٰتُهُمْ﴾ [الآية: ٤٠] صَعِقَ يحيى وغُشي عليه، وارتفع صدرُه من الأرض، تقوَّس وانقلب، فأصاب الباب فَقَار ظهره[(٢)]، وسال الدم، وصرخ الناس، فما زالت به تلك القَرحةُ حتى مات.

وسئل الإمامُ أحمد بن حنبلٍ فقيل له: إنَّ أناساً يُغشى عليهم ويَصعَقون عند سماع القرآنِ والوعظ؟ فقال: لا بأسَ به، قد فعله يحيى بنُ سعيد القطان، ولو كان به بأسٌ ما فعله.

وقال أبو نُعيم[(٣)]: قيل ليحيى في مرضه: يعافيك الله، فقال: أَحبُّه إليَّ أَحبُّه إليه.

واتَّفقوا على أنَّه مات في هذه السَّنة بالبصرة. وروى الخطيب عن [عبد الله بنِ][(٤)] سَوَّار بن عبد الله قال: رأيتُ في المنام كتاباً معلَّقاً بين السماء والأرض، فقرأته، فإذا فيه: هذا كتابُ براءةٍ من الله تعالى ليحيى بنِ سعيدٍ القطَّان الأحول، قال الخطيب: وكان أحول.

واتَّفقوا على صدقه وورعه وثقته.]



(١) في تاريخه ١٦/ ٢١٢.

(٢) في الحلية ٨/ ٣٨٢: فغار صدره، والمثبت موافق لما في السير ٩/ ١٨٤.

(٣) في الحلية ٨/ ٣٨١.

(٤) ما بين حاصرتين من تاريخ بغداد ١٦/ ٢١٣.

السَّنة التاسعة والتِّسعون بعد المئة

فيها قدم الحسنُ بن سَهْلٍ من عند المأمونِ إلى بغدادَ مُستَقلًّا بالولايات.

وشخص طاهرٌ إلى الرقَّة في جُمادى الأولى، وشخص هَرْثَمَةُ إلى خُراسان.

وفيها خرج بالكوفة محمَّدُ بن إبراهيمَ [بنِ إسماعيلَ بن إبراهيم][١] بن الحسن بنِ الحسن بن عليِّ بن أبي طالب يوم الخميس لعشرٍ خَلَون من جمادى الآخرة، يدعو إلى الرِّضا من آل محمَّد ﷺ والعملِ بالكتاب والسنَّة. ومحمَّد هذا يقال له: ابن طَبَاطَبَا، وكان القيِّمَ بأمره في الحرب وغيرِها أبو السَّرايا [واسمه] السَّريُّ بن منصور، ويزعم أنَّه من ولد هانئ بن قَبِيصةَ [بن هانئ بن مسعود بن عامر بن عمرو بن أبي رَبيعة بن ذُهْل بن شَيبان] الشَّيباني.

و[اختلفوا في] سبب خروجه [يعني خروج ابن طباطبا، فقال بعضُهم: سببه][٢] صَرْفُ المأمون طاهراً عن العراق، وتوليةُ الحسن بنِ سهل [أخي الفضل بن سهل] العراق، وأنَّ الفضل بنَ سهل قد غلب على المأمون، وأنَّه أنزله قصراً حجبه فيه عن أهل بيته وقوَّاده وخاصَّته، وتحدَّث الناس بذلك في العراق [فيما بينهم]، وأنَّ الفضل يُبرم الأمور دون المأمون، فغضب مَن بالعراق من بني هاشمٍ ووجوهِ الناس، وأَنِفوا من غلبة الفضلِ على المأمون، ووقع الخُلفُ، وهاجت الفتنُ في الأمصار، فكان ابن طَبَاطَبَا أولَ خارجٍ بالكوفة، فغلب عليها وعلى سوادها، وأجابه الأعرابُ من كلِّ مكان.

وقيل[٣]: كان أبو السَّرايا من أصحاب هَرْثَمَة، طلب منه رزقَه فمَطَله، فغضب ومضى إلى الكوفة، فبايع ابنَ طباطَبا، وأطاعه أهلُ الكوفة [وبلغ الخبرُ إلى الحسن بنِ سهل] وكان على الكوفة سليمانُ بن أبي جعفرٍ المنصور من قِبَل الحسن [بن سهل] فعنَّف الحسنُ [سليمانَ] على تخلُّفه وضعْفه، وبعث [الحسنُ] زُهَيرَ بن المُسَيِّب في

(١) ما بين حاصرتين من (ب)، وهو الموافق لما في المصادر، انظر الطبري ٨/ ٥٢٨، والمنتظم ١٠/ ٧٣، وتاريخ الإسلام ٤/ ١٠٥٦.

(٢) ما بين حاصرتين من (ب).

(٣) في (ب): وقال آخرون.

عشرة آلافٍ إلى الكوفة، فخرج إليه أبو السَّرايا، فالتقاه على القَنْطرة يومَ الخميس لليلةٍ خلت من رجب، فهزمه أبو السرايا، واستباح عسكرَه، وأخذ ما فيه [من مال وسلاح] وهرب زهير، وأصبح محمَّد بن طباطَبا ميِّتاً ثانيَ يوم الوقعة، فيقال: إنَّ أبا السرايا أخذ الأموال، فطلبها منه محمَّد فمنعه إياها، وعلم أنَّه لا أمرَ له معه، فسمَّه وأقام مكانَه صبيًّا أمردَ حَدَثاً يقال له: محمَّد بنُ محمَّد بنِ زيد بن عليِّ بن الحسين بن علي بن أبي طالب، فكان أبو السرايا هو الذي يتولَّى الأمور، ومحمَّد بن محمَّد معه صورةً، ورجع زهيرٌ من يومه الذي هُزم فيه فأقام بقصر ابن هُبَيْرة.

وكان الحسن بن سهلٍ قد جهَّز عَبْدوسَ بن محمَّد بنِ أبي خالدٍ المَرْوَرُّوذي(١) إلى النِّيل، فلمَّا بلغه هزيمةُ زهيرٍ قصد الكوفةَ في أربعة آلاف، فلقيه أبو السرايا يومَ الأحد لثلاثَ عشرةَ بقيت من رجب، فقتله، وأسر هارونَ ابن أبي خالد، واستباح عسكره، ولم يُفلت من الأربعة آلافٍ أحد، كانوا بين قَتيلٍ وجَريح وأَسير، وبلغ زهيراً قتلُ عَبْدوس، فانحاز بمن معه إلى نهر الملك، وضرب أبو السَّرايا الدراهمَ ونقش حولها: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ۝٤﴾ [الصف: ٤] وانتشر الطالبيُّون في البلاد.

ثم خرج أبو السرايا من الكوفة، فنزل قصرَ ابن هبيرة، وكانت طلائعُه تصل إلى كُوْثَى ونهرِ الملك، وبعث [أبو السرايا](٢) جيوشاً إلى واسط والبصرة، وكان بواسطٍ عبدُ الله بن سعيدٍ الحَرَشيّ والياً عليها من قِبَل الحسن [بنِ سهل]، فخرج إليهم، فهزموه، فهرب إلى بغدادَ وقد قُتل من أصحابه جماعة وأُسر آخرون، فلمَّا رأى الحسن أنَّ أبا السرايا ومَن معه لا يَلقَون له جيشاً إلَّا هزموه، وليس معه من القوَّاد مَن يقوم بحربه، اضطرَّ إلى هَرْثَمَة.

وكان هَرْثَمَةُ لما قدم الحسنُ بغدادَ بيده أعمال، فسلَّمها إلى الحسن، ومضى مُغاضِباً له إلى خُراسان، فأرسل الحسنُ خلفه صالحاً صاحبَ المصلَّى، والسِّنديَّ(٣) وجماعةً من القوَّاد ليردُّوه إلى العراق، فصادفوه بحُلوان، وسألوه الرجوعَ إلى بغداد

(١) في (خ): المروزي، وفي (ب): البروري، والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ٥٣٠، وابن الأثير ٦/ ٣٠٥، وتاريخ الإسلام ٤/ ١٠٥٦، وانظر المنتظم ١٠/ ٧٤.

(٢) ما بين حاصرتين من (ب).

(٣) في (خ): صاحب المصلى السندي، والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ٥٣٠، والمنتظم ١٠/ ٧٥.

فامتنع، فلاطفه السِّندي، فعاد إلى بغدادَ في شعبانَ وتهيَّأ للخروج إلى أبي السرايا، وبعث الحسنُ عليَّ بن أبي سعيدٍ إلى المدائن وواسط، وبلغ أبا السَّرايا أنَّهم على عزم ذلك وهو بقصر ابنِ هُبَيْرة، فوجَّه بعضَ أصحابه إلى المدائن فدخلوها، وجاء بنفسه فنزل نهرَ صَرْصَرَ ممايلي طريقَ الكوفة في شهر رمضان.

وكان الحسن لمَّا تأخرَّ قدومُ هَرْثَمَةَ عليه أمر منصور بنَ المهديِّ أن يخرجَ فيعسكرَ بالياسرية[1] إلى حين قدومِ هَرْثَمَة، فخرج فعسكر بها، فلمَّا قدم هَرْثَمَة خرج فعسكر بين يدي منصور، ثم مضى حتى عسكر بنهر صَرْصَرَ بإزاء أبي السرايا والنهرُ بينهما، وكان عليُّ ابن أبي سعيدٍ قد عسكر بكَلْواذى، فشخص عليٌّ يوم الثلاثاء بعد الفطرِ بيوم، ووجَّه مقدِّمتَه نحو المدائن، فقاتلوا أصحابَ أبي السرايا غداةَ الخميس إلى الليل قتالاً شديداً، فانكشف أصحابُ أبي السرايا، وأخذ عليٌّ المدائن، وبلغ أبا السرايا أَخْذُ عليٍّ المدائن، فرجع يومَ السبت لخمسٍ خلون من شوَّالٍ إلى قصر ابنِ هبيرة فنزل به، ورحل هَرْثَمَةُ من صرصرَ طالباً له، فلقي في طريقه جماعةً كبيرة من أصحاب أبي السرايا، فقتلهم وبعث برؤوسهم إلى الحسن بنِ سهل، فلمَّا صار هَرْثَمَةُ إلى قصر ابنِ هبيرة، كانت بينه وبين أبي السرايا [وقعةٌ قُتل فيها من أصحاب أبي السرايا][2] خلقٌ كثير.

وانحاز أبو السرايا إلى الكوفة، ووثب محمَّد بن محمَّد ومَن معه من الطالبيين على دورِ مَن بالكوفة من بني العباس، ودورِ مَواليهم وأَتباعهم، فأنهبوها وهدموها وحرقوها، وأخرجوهم من الكوفة، وعملوا أعمالاً قبيحة، واستخرجوا الودائعَ التي كانت لهم عند الناسِ فأخذوها، وكان هَرْثَمَةُ يذكر أنَّه يريد الحجَّ في هذه السَّنة، فحبس حاجَّ خُراسانَ والجبالِ والعراق والجزيرة وبغداد، فلم يدعْ أحداً يخرج؛ رجاءَ أن يأخذَ الكوفة فيكونَ هو صاحبَ الموسم[3].

وبعث أبو السرايا إلى مكةَ حسينَ بن حسن بن عليٍّ [بن علي][4] بن حسين[5] بن

(١) في (خ): بالناس به، والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ٥٣١ .

(٢) ما بين حاصرتين من تاريخ الطبري ٨/ ٥٣١، وابن الأثير ٦/ ٣٠٦، وانظر المنتظم ١٠/ ٧٥.

(٣) من قوله: فلما رأى الحسن أن أبا السرايا ومن معه . . . إلى هنا ليس في (ب).

(٤) ما بين حاصرتين من الكامل ٦/ ٣٠٦، وتاريخ الإسلام ٤/ ١٠٥٧، ومطبوع البداية والنهاية ١٤/ ١١١ .

(٥) في (خ) و(ب): حسن، والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ٥٣٢، والمنتظم ١٠/ ٧٦، والكامل، وتاريخ الإسلام، والبداية والنهاية.

عليِّ بن أبي طالب، ويقال له: الأفطس[١]، وبعث إلى المدينة محمَّد بن سليمانَ بنِ داود بن الحسن بن الحسن بن عليِّ بن أبي طالب، وكان على مكةَ والمدينةِ داودُ بن عيسى بنِ موسى بن محمَّد بن عليّ.

فأمَّا محمَّد بنُ سليمان، فدخل المدينةَ ولم يقاتلْه أحد، وأما حسين بنُ حسن، فإنَّه لمَّا قرب من مكةَ توقَّف عن الدخول، لأجل داودَ بن عيسى ومَن فيها من الأشراف والجند، وكان داودُ لما بلغه وصولُ حسين بنِ حسن، جمع العبيدَ ومواليَ بني العباس، وكان مَسرورٌ[٢] الكبير قد حجَّ في هذه السَّنة ومعه مئتا فارسٍ من أصحابه، فقال مسرورٌ لداود: قف لأرى شخصَك، أو أَقِم بعضَ ولدك وأنا أكفيك قتالَهم، فقال داود: لا أستحلُّ القتال في حَرَم الله، ولئن دخلوا من هذا الفجِّ لأخرجنَّ من الفجِّ الآخرَ، فقال مسرور: تسلِّم سلطانَك وملكك إلى عدوِّك؟! فقال: وأيُّ ملك إليّ، واللهِ لقد أقمتُ معهم حتى شِخت، فما ولَّوني ولايةً حتى كبرت سنِّي وفني عمري، فولَّوني الحجازَ وليس فيه قُوت، وإنَّما هذا الملكُ لك ولأمثالك، فقاتِلْ إن شئت أو دَعْ.

وانحاز داودُ من مكةَ إلى ناحية المُشَاش، وشدَّ أثقالَه على الإبل واستقبل بها طريقَ العراق، وافتعل كتاباً من المأمون بتولية ابنه محمَّد بن داودَ على صَلاة الموسم، وقال له: اخرج فصلِّ بالناس الظهرَ والعصر والمغربَ والعشاء بمِنى، وبِتْ بها، وصلِّ بالناس الفجر، ثم انطلق إلى طريق عَرَفة، وخذ على يسارك في شعب عَمرٍو[٣] حتى تأخذَ على طريق المُشاش، والحقني ببستان بني عامر، ففعل محمَّد ذلك ولم يقف بعرفة.

وافترق الجمعُ الذين كان داودُ قد جمعهم من الموالي والعبيد، وخشي مسرورٌ إنْ قاتل الطالبيين أن يميلَ معهم أكثرُ الناس، فلحق بداودَ إلى بستان بني عامرٍ ولم يقف بعرفة، فلمَّا زالت الشمسُ تدافع قومٌ من أهل مكةَ الصلاة، وقال الناسُ لمحمَّد بنِ عبد الرَّحمن المخزوميِّ قاضي مكة: تقدَّم فاخطب وصلِّ بالناس الظهرَ والعصر، فإنَّك قاضي البلد، فقال: قد هرب الإمام، فلمن أدعو والطالبيُّون قد أطلُّوا علينا؟! وقالوا:

(١) الأفطس لقب والده الحسن، كما في المصادر، وما بعدها إلى الترجمة التالية ليس في (ب).
(٢) في (خ): مسور في الموضعين، والمثبت من المصادر.
(٣) في (خ): عمر، والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ٥٣٢، وتاريخ الإسلام ٤/ ١٠٥٨.

لا تدعُ لأحد. فأبى، فقدَّموا رجلاً من أهل مكَّة، فصلَّى بالناس الصلاتين بغير خُطبة.

ثم وقف الناس بعرفةَ بغير إمام، وحسينُ بن حسن واقف بسَرِف، فخاف أن يدخلَ مكة، فخرج إليه قومٌ من الطالبيين فأخبروه أنَّ البلد ليس فيه أحد، وأنهم قد خرجوا متوجِّهين إلى العراق، فدخل حسينٌ مكة يومَ عرفةَ قبل المغرب، ومعه أناسٌ دون العشرة، فطافوا بالبيت، وسعَوا بين الصَّفا المروة، ثم توجَّهوا إلى عرفةَ في الليل فوقفوا بها، ثم رجعوا إلى مزدلفة، فصلَّى حسينٌ بالناس الفجرَ بعد أن وقف على قُزَحَ[1] ساعة من الليل، ثم أقام بمِنى أيامَ الحجّ، ثم دخل مكَّة، فأقام بها حتى انقضت هذه السَّنة، وأقام محمَّد بن سليمانَ بالمدينة، وانصرف الناس من مكةَ وقد أفاضوا بغير إمام.

وأما هَرْثَمَة، فواقع أبا السَّرايا في المكان الذي واقع به أبو السرايا زهيراً، وقيل: عند قريةٍ يقال لها: شاهي، فكانت الهزيمة في أوَّل النهارِ على هَرْثَمَة، وفي آخره على أبي السرايا، وكان هَرْثَمَةُ حريصاً على الحج، فلمَّا رأى أنَّه لا يقدر عليه، خاف على الحاجِّ من أبي السرايا، فردَّهم إلى بغداد، وتفرَّقوا في كلِّ وجه، وشرع هَرْثَمَةُ فكاتب وجوهَ الكوفة وأشرافَها.

فصل وفيها توفي

سليمانُ بن أبي جعفرٍ المنصور

وكُنيته أبو أيوب. ولي دمشقَ وغيرها، وكانَ جَواداً. [قال الخطيب[2]: وإليه يُنسب دربُ سليمانَ ببغداد.

وروى أبو الفضل بنُ ناصرٍ له حكايةً فقال: حدَّثنا المبارك بنُ عبد الجبَّار بإسناده إلى محمَّد بنِ الحسن، عن أمِّ إبراهيمَ بنتِ جميل، عن] عُبيد اللهِ الشَّرَوي[3] قَهْرَمانِ [سليمانَ بن أبي جعفر][4]: مرض سليمان، فعاده الرشيد، فرأى عنده جاريةً فائقة

---

(١) جبل بالمزدلفة. القاموس المحيط (قزح).

(٢) في تاريخه ١٠/ ٣١، وما بين حاصرتين من (ب).

(٣) في (ب): السروري، والمثبت من (خ)، وهو الموافق لما في المنتظم ١٠/ ٧٨.

(٤) في (خ): قال عبيد الله الشروي قهرمانه ...

الجمالِ يقال لها: ضعيفة، فوقعت في قلبه، فطلبها منه، فدفعها إليه، واشتدَّ مرضُه لفراقها، فقال: [من مجزوء الكامل]

أشكو إلى ذي العرشِ ما لاقَيتُ من أمر الخليفهْ[١]
يَسَع البَرِيَّةَ عَدلُه ويُريد ظُلمي في ضَعيفه[٢]
عَلِقَ الفؤادُ بحبِّها كالحِبر يَعْلَق في الصَّحيفه

وبلغ هارونَ فردَّها عليه.

[حدَّث سليمانُ عن أبيه] وكانت وفاتُه في صفرٍ وهو ابنُ خمسين سنة.

وفيها توفي

أبو الحسن البَصْري

[عليُّ بن بَكَّار][٣] كان عالماً زاهداً متعبِّداً، انتقل من البصرة فنزل المِصِّيصة، فأقام بها، وكان صاحبَ كرامات.

[قال أبو نُعيم بإسناده عن موسى بنِ طريف[٤] قال:] كانت الجاريةُ تفرش له الفراش، فيلمسه بيده ويقول: واللهِ إنك لطيِّب، واللهِ إنَّك لبارد، واللهِ لا عَلوتُك الليلة. فكان يصلِّي الغداةَ بوضوء العَتَمة.

[وحدَّثنا جدِّي عن سعد اللهِ بن عليٍّ البزَّاز ومحمَّد بن عبد الباقي قال: حدَّثنا أحمدُ بن محمَّد بنِ حَسْنون بإسناده إلى أحمدَ بن مَرْزوق قال:][٥] خرج أبو إسحاقَ الفَزاريُّ وعليُّ ابن بكَّارٍ وأنا معهم إلى ظاهر المِصِّيصة نحتطب، فغاب عنَّا علي، فخفنا عليه، فجعلنا نطوف، وإذا به جالسٌ وفي حجْره رأسُ السَّبع، والسَّبُع نائم وهو يذبُّ عنه، فقال له أبو

(١) في أشعار أولاد الخلفاء ص١٢، والوافي ١٥/ ٣٩٤:
ربي إليك المشتكى ماذا لقيت من الخليفة
وفيهما أن القصة جرت مع المهدي لا مع الرشيد.
(٢) في أشعار أولاد الخلفاء والوافي: ويضيق عني في ضعيفه.
(٣) ما بين حاصرتين من (ب).
(٤) في حلية الأولياء ٩/ ٣١٨: طرفة. والمثبت موافق لما في صفة الصفوة ٤/ ٢٦٦، وما بين حاصرتين من (ب).
(٥) في (خ): وقال أحمد بن مرزوق ...

إسحاق[1]: ما قعودُك هاهنا؟! فقال: لجأ إليَّ هذا فرحمته، وأنا أنتظره حتى ينتبه.

وحكى أبو نُعيم قال: جاءه رجلٌ فقال له[2]: حُذَيْفةُ المَرْعَشيُّ يسلِّم عليك، قال: وعليه السلام، واللهِ إنِّي لأعرفه يأكل الحلالَ منذ ثلاثين سنة، ولا أحبُّ لقاءه، قال: ولمَ؟! قال: أخاف أن أتزيَّنَ له فأسقطَ من عين اللهِ عزَّ وجلّ.

وقال الخطيب[3]: بكى عليُّ بن بكَّار حتى عمي، وكانت الدموع قد أثَّرت في خدَّيه، وطُعن في بعض مغازيه، فخرجت أمعاؤه على السَّرج، فشدَّها بعمامته وردَّها إلى بطنه، وقتل ثلاثةَ عشرَ عِلْجاً. ومات بالمِصِّيصة [في هذه السَّنة].

أسند عن هشام بنِ حسَّان وأبي إسحاقَ الفَزاري وغيرِهما، وصحب إبراهيمَ بن أدهمَ وتأدَّب به.

عُمارة بن حَمْزةَ[4]

ابن مالك بن يزيدَ بن عبدِ الله، مولى العباسِ بن عبد المطَّلب.

أحدُ الكتَّاب البُلَغاءِ الأجواد. ويقال: هو من ولد عكرمةَ مولى بني العبَّاس. ولَّاه أبو جعفرٍ خراجَ البصرة. وكان فاضلاً، إلَّا أنه كان فيه تِيهٌ شديد، وبه يُضرب المثل، فيقال: أَتْيَهُ من عُمارة.

وقال إبراهيمُ بن داود: استأذن قومٌ عليه ليشفعوا إليه في برِّ قومٍ أصابتهم جائحة، فأمر لهم بمئة ألفِ درهم، فاجتمعوا ليدخلوا عليه في الشُّكر له، فقال لحاجبه: أَقرئهم سلامي وقل لهم: إنِّي قد رفعت عنهم ذلَّ المسألة، فلا أُحمِّلهم مؤونةَ الشكر.

وقال عبدُ الله بن أيُّوب: بعث أبو أيُّوبَ المكِّي بعضَ ولده إلى عُمارة، فأدخله الحاجبُ وعمارةُ مضطجع قد حوَّل وجهه إلى الحائط، فقال الحاجب: سلِّم، قال:

---

(١) في (خ): يا أبو إسحاق، وهو خطأ، والمثبت من (ب)، وانظر القصة في صفة الصفوة ٤/ ٢٦٧.

(٢) في (خ): وقال له رجل ....، والكلام في الحلية ٩/ ٣١٨-٣١٩.

(٣) لم نقف لعلي بن بكار على ترجمة في تاريخ بغداد.

(٤) سماه ابن الجوزي في المنتظم ١٠/ ٧٩ عامر بن حمزة، وانظر تاريخ بغداد ١٤/ ٢١٦، والسير ٨/ ٢٧٥. وهذه الترجمة ليست في (ب).

فسلَّمت فلم يردّ، فقال الحاجب: سَلْ حاجتَك، فقلت: لعله نائم، قال: لا، اذكر حاجتك، فقلت: جعلني اللهُ فداءك، أخوك يُقرئك السلامَ ويذكر دَيناً منعه من لقائك، ويسألك أن تكلِّم أميرَ المؤمنين في قضائه عنه، فقال: وكم دَين أبيك؟ قلت: ثلاثُ مئة ألفِ درهم، قال: وفي مثل هذا أكلِّمُ أمير المؤمنين! يا غلام، احمل معه ثلاثَ مئةِ ألف درهم، قال: وما التفت إليَّ ولا كلَّمني بغير هذا.

وقال الفضلُ بن الربيع: كان أبي يأمرني بملازمة عُمارة، وكان المهديُّ سيِّئ الرأي فيه، فمرض عمارة، فقال أبي للمهدي: يا أميرَ المؤمنين، مولاك عُمارة عَليل، وقد أفضى الأمرُ به إلى بيع فراشه وكِسوته، فقال المهدي: غَفُلْنا عنه، ما كنت أظنُّ أن الأمر يبلغ به إلى هذا، يا ربيع، احمل إليه خمس مئةِ ألف درهم، وأَعلِمْه أنَّ له عندي بعدها ما يحب. فحملها أبي من ساعته وقال: اذهبْ بها إلى عمِّك وأَقرئه عني السلام، وأخبره أنني عرَّفت أميرَ المؤمنين حالَك، فقال كذا وكذا، وأمر لك بهذه الدارهم.

قال: فأتيته وهو مُضْطَجعٌ ووجهُه إلى الحائط، فسلَّمت عليه، فقال: مَن أنت؟ قلت: ابن أخيك الفضلُ بن الربيع، قال: مرحباً بك، ما الذي جاء بك؟ قلت: أخوك أبي يقرئك السَّلام، ويقول: ذكرتُ لأمير المؤمنين أمرَك وما أنت فيه، فاعتذر من غفلته عنك، وأمر لك بخمس مئةِ ألف درهم، وقال: لك عندي ما تحبّ، وها هي على البغال واقفةٌ على الباب، فقال: قد كان طال لزومُك لنا، وكنا نحبُّ أن نكافئك على ذلك، ولم يمكِنَّا قبل هذا الوقت، انصرف بها فهي لك، قال: فهبته أن أردَّ عليه، فتركت البغالَ على بابه، وانصرفت إلى أن جئتُ إلى أبي فأَعلمته الخبر، فقال: يا بُني، خذها بارك اللهُ لك فيها، فإنَّ عمارةَ ليس ممن يُرادّ. فأخذتها فكانت أولَ مالٍ ملكته.

[يوسُفُ بن أسباط

أبو محمَّد الشِّيحي[١]. من قريةٍ من قرى أنطاكية. يقال: كان زاهداً عابداً، يسكن الثُّغور والعواصم.

وقال الحافظ ابنُ عساكر: كان أبوه أسباطُ بن واصلٍ الشَّيباني شاعراً، مدح يزيدَ

(١) حلية الأولياء ٨/ ٢٣٨، والمنتظم ١٠/ ٨١، والسير ٩/ ١٦٩، وتاريخ الإسلام ٤/ ١٢٥٥.

ابن الوليد النَّاقص، وكان قَدْرُ ما خلف أسباط مئةَ ألف درهم، لم يأخذْ منها يوسفُ درهماً، وكان يقول: أهل مِلَّتين لا يتوارثان.

وكان يوسفُ يَطْحَن الشعيرَ بيده فيأكل منه، ويَسُفُّ الخوصَ ويبيعه، ويُفطر على ثمنه، فإذا نَفِد الشعيرُ والخُوص استفَّ التراب. وكان يغزو ولا يأخذ من المَغْنَم شيئاً، ولم يأخذ من تَرِكة أبيه، ويقال: إنَّه أخذ مصحفاً، وكان يقول: في قلبي منه شيء. وصحب سفيانَ الثوريَّ وانتفع بصحبته.

وحكى أبو نُعيم[١] عنه أنَّه قال: لي أربعون سنةً ما ملكت قميصين. قال: وخرجت من شيحَ راجلاً إلى المِصِّيصة وجِرابي في عنقي، فدخلتها، فقام هذا من حانوته وقام هذا، فجعلوا يُسلِّمون علي، ودخلت المسجد، فأحدقوا بي، فقلت في نفسي: وكم بقاءُ قلبي على هذا، فرجعت إلى شيحَ، فما عاد قلبي إليَّ سنتين.

وحكى أبو نعيم عنه أنَّه قال: عجبتُ كيف تنام عينٌ مع المخافة أو تغفل[٢]. وقال: خلق اللهُ القلوبَ مساكنَ الذِّكر، فصارت للشَّهوات، ولا يمحو الشهواتِ عنها إلا خوفٌ مُزعج، أو شوقٌ مُقلق.

وقال: الزُّهد[٣] في الرئاسة أشدُّ من الزُّهد في الدنيا، ولي أربعون سنةً ما حكَّ صدري شيءٌ إلا تركته. وقال: أخاف أن يعذِّبَ اللهُ الناسَ بذنوب العلماء. وقال: قد رُفع الصدقُ من الأرض.

وقال أبو نُعيم[٤]: استأذن عبدُ الله بن المبارك على يوسفَ بنِ أسباطَ فلم يأذن له، وقال: أخاف ألَّا أقومَ بحقِّه ولا أفي بذلك، فآثم. وقال يوسف: إذا رأيتَ الرجلَ قد أَشِر وبَطِر فلا تَعِظْه؛ فليس فيه للوعظ مَطْمَع. وقال: إنَّ الدنيا لم تُخلَق لينظرَ إليها، بل ليُنْظَرَ بها إلى الآخرة.

وقال: وكان الفضيلُ بن عياضٍ يقول: ما بقي شيءٌ أتمنَّاه على ربِّي إلا خروجي إلى

(١) في حلية الأولياء ٨/ ٢٤٤.

(٢) انظر الأثر في حلية الأولياء ٨/ ٢٣٨.

(٣) في (ب): الزاهد، والتصويب من الحلية ٨/ ٢٣٨.

(٤) في الحلية ٨/ ٢٣٩.

الثَّغر، لا لأجل الجهاد، بل لأجل النَّظرِ إلى وجه يوسفَ بن أسباط.

وقال أبو نُعيم: صحب يوسفَ بن أسباطَ فتًى من أهل الجزيرة، فلم يكلِّمه الفتى عشر سنين، وكان مشغولاً بالخوف والبكاءِ والعبادة، فقال له يوسف: ما حالُك؟ فقال: كنت نبَّاشاً، فكنت أرى الوجوهَ قد حوِّلت إلى غير القِبلة، فاختلط يوسفُ من ساعته.

وكان يوسفُ يقول: أشتهي أن أموتَ ولا أتركَ درهماً، وكان معه بضعُ دراهمَ من سفِّ الخوص، فمات ولم يخلِّف سواها، فكفَّنوه منها، وكان قد أوصى بها لكفنه. وقيل: كان معه عشرةُ دراهم، فأنفق تسعةً في مرضه وبقي درهمٌ واحد، فمات، فاشتروا له به حَنُوطاً. وكانت وفاته بالمِصِّيصة في هذه السَّنة، وقيل: في سنة خمسٍ وتسعين ومئة.

أسند عن هشام بن عروةَ والثوريِّ وغيرهما، ثم اشتغل بالعبادة عن الرِّواية[1].

وفي الرُّواة ثلاثة اسمُ كلِّ واحدٍ يوسفُ بن أسباط: أحدُهم هذا، والثاني روى عنه يحيى بنُ عبد الملك، والثالث مَوْصِليّ، روى عنه أبو الفَتْح الأزْديُّ المَوْصلي. والحمدُ لله وحده، وصلى الله على سيِّدنا محمَّد وآله وسلَّم.]



(١) انظر التاريخ الكبير ٨/ ٣٨٥، ومشاهير علماء الأمصار ص١٨٦، وحلية الأولياء، وصفة الصفوة ٤/ ٢٦١، والسير ٩/ ١٦٩، وهذه الترجمة ليست في (خ).

السنة المئتان

فيها في أوَّل يوم من المحرَّم من السنة لمَّا انصرف الحاجُّ من مكة، أتى حسينُ بن حسنٍ الأفطس إلى الكعبة، فجرَّدها ممَّا عليها من الكسوة، فلم يُبقِ عليها شيئاً، وكساها ثوبَين رقيقين من قَزّ، كان أبو السَّرايا بعث بهما إليه، وعليهما مكتوب: هذا ممَّا أمر به الأصفرُ بن الأصفر أبو السرايا داعيةُ آلِ محمَّد لكسوة بيت اللهِ الحرام، وأن يُطرحَ عنه كسوة الظَّلَمة من ولد العباس؛ ليُطَهِّرَه من كسوتهم، وكتب في سنة تسعٍ وتسعين ومئة.

ثم أمر حسينُ بن حسن بالكسوة التي كانت على الكعبة فقُسمت بين أصحابه من العلويِّين وغيرِهم على قدر منازلهم عنده، وأخذ ما كان في خزانة الكعبة من المال، ولم يسمع بأحدٍ عنده وديعةٌ لأحد من ولد العباس وأتباعِهم إلَّا هجم عليه داره، فإنْ وجد عنده شيئاً أخذه وعاقب الرجل، وإنْ لم يجد عنده شيئاً، حبسه وعذَّبه حتى يفتديَ نفسَه على قَدْر حاله، ويشهد عليه أنَّ ما أخذه كان وَديعةً عنده لبعض بني العبَّاس. وكان المتولِّي لعذاب الناس محمَّد بن مَسْلَمَةَ الكوفي، كان ينزل في دارٍ خالصة عند الخيَّاطين(١)، ويقال لها: دارُ العذاب.

وعمَّ البلاءُ أهل مكة، فهرب منهم خلقٌ كثير لهم مال، فكان يهدم دورَهم، ويتعدَّى إلى حريم الناسِ وأبنائهم، وكانوا يحكُّون الذهبَ المنقوش في رؤوس أساطين المسجدِ الحرام، فيخرج من رأس الأسطوانة بعد التعبِ الشديد [مثقالُ](٢) ذهبٍ أو نحوه، وقلعوا الحديدَ الذي على شبابيك كُوى المسجدِ الحرام، وقلعوا شباكَ زمزم، وكان من خشب السَّاج، فبيع بأخسِّ ثمن.

وتغيَّر الناس على حسين بنِ حسن والطالبيِّين، وبينا هم على ذلك إذ وصل الخبرُ من الكوفة بأنَّ أبا السرايا قد انحلَّ أمره، وطُرد عن الكوفة والبصرةِ والعراق، وعاد الأمرُ

---

(١) في تاريخ الطبري ٨/ ٥٣٧: الحناطين.

(٢) ما بين حاصرتين من (ب).

إلى بني العباس، فاجتمعوا إلى محمَّد بنِ جعفر بن محمَّد بن عليٍّ بن الحسين بن عليٍّ ابن أبي طالب، وكان شيخاً وادعاً محبَّباً في الناس، مُفارقاً لما عليه كثيرٌ من أهل بيته من قُبح السيرة، وكان يروي العلمَ عن أبيه، وكان الناسُ يأخذون عنه، وكان له سَمْتٌ وزهد[١]، فقالوا: قد تعلمُ حالَك في الناس، فأبرِزْ لنا شخصَك نبايعْك بالخلافة، فإنَّه لا يختلف عليك اثنان، فأبى عليهم، فلم يزل به ابنُه عليٌّ وحسين الأفطس حتى غلباه على رأيه، فأقاموه بعد صلاة الجمعةِ لثلاثٍ[٢] خلونَ من شهر ربيعِ الأوَّل أو الآخِر، فبايعوه، وحشروا إليه الناسَ من أهلِ مكةَ والمجاورين فبايعوه طوعاً وكرهاً، وسمَّوه أميرَ المؤمنين، وأقام شهوراً ليس له سوى الاسم، والأمرُ لابنه عليٍّ وحسين الأفطس، أقاما على أقبح سيرةٍ مما كانا عليه، فوثب حسينُ الأفطس على امرأةٍ من قريش فِهْرية، وزوجُها من مَخْزوم، وكانت جميلة، فأرسل إليها، فامتنعت عليه، فأرسل غِلمانه، فكسروا بابَها وأخذوها قهراً وحملوها إلى حسين، وهرب زوجُها، وأقامت عند حسينٍ إلى حين خروجه من مكَّة، فهربت منه، ووثب عليُّ بن محمَّد على ابن قاضي مكَّة، وهو إسحاقُ بن محمَّد القُرَشي، وكان بارعَ الجمال، فاقتحم عليٌّ بنفسه عليه جهاراً في داره، وكانت بالصَّفا مُشْرفةً على المَسْعى، فحمله على فرسه في السَّرج، وركب عليٌّ على عَجُز الفرس، وخرج يشقُّ السوقَ حتى أتى به بئرَ ميمون، وكان ينزل في دار داودَ ابنِ عيسى في طريق مِنى.

فلمَّا رأى أهل مكةَ ذلك اجتمعوا في المسجد الحرام، واجتمع إليهم المجاورون والطائفون بالكعبة، وأتَوا باب محمَّد بنِ جعفرٍ فقالوا: إما أن تردَّ علينا الغلام، أو لَنَخْلَعَنَّك، أو لنقتلنَّك، فكلَّمهم من الشبَّاك وقال: واللهِ ما علمت، وكان في دارٍ يقال لها: دار العجلة، وشبابيكُها إلى المسجد، ودعا حسيناً الأفطس وقال: اذهب إلى عليٍّ فاستنقذ منه الغلام، فقال: واللهِ مالي بابنك طاقة، لو جئتُه لقاتلني، فقال محمَّد لأهل مكة: أمِّنوني حتى أركبَ بنفسي، وأمضيَ إليه، وأستنقذَ الغلامَ منه، فأمَّنوه،

---

(١) من هنا إلى قوله: وفيها خرج إبراهيم بن موسى بن جعفر؛ ليس في (ب).

(٢) كذا في المنتظم ١٠/ ٨٤، وفي تاريخ الطبري ٨/ ٥٣٨: لستٍّ

فركب ومضى إلى ابنه، فأخذ الغلامَ منه وسلَّمه إلى أهله، فلم يلبثوا إلَّا يسيراً حتى أقبل إسحاقُ بن موسى العباسيُّ من اليمن فنزل المُشَاش، فاجتمع الطالبيُّون إلى محمَّد ابن جعفرٍ وقالوا: الرأي أن نُخَنْدقَ على أعلى مكةَ خندقاً ونقاتل، وتُبرزَ لنا شخصَك ليراك الناس، ففعل.

[ثم إنَّ إسحاق كره القتالَ والحرب وخرج][1] يريد العراق، فلقيه وَرْقاءُ بن جَميل في أصحابه والياً على مكَّة، فقالوا له: ارجع معنا ونحن نكفيك القتال، فرجع، فنزلوا المُشاش، واجتمع إلى محمَّد بنِ جعفر غَوْغاءُ مكةَ وسُودانُ أهلِ المياه والأعراب، فعبَّأهم ببئر مَيْمون، ووقعت بينهم جراحاتٌ وقُتل جماعة، ورجع إسحاقُ وورقاءُ إلى منزلهم، ثم عاودهم اليومَ الثاني فقاتلوهم، فهزموا أهل مكَّة، ودخل محمَّد بنُ جعفرٍ مكة، وأرسل إليهم محمَّد قاضيَ مكةَ يطلب لهم الأمانَ حتى يخرجوا من مكَّةَ ويذهبوا حيث شاؤوا، فأجابوهم إلى ذلك، وخرجوا من مكةَ بعد ثلاثٍ وتفَّرقوا.

فأما محمَّد بنُ جعفر، فأخذ ناحية جُدَّة، ثم خرج يريد الجُحفة، فلحقه محمَّد بنِ حكيم بنِ مروانَ من موالي بني العباس، وكان الطالبيُّون قد انتهبوا دارَه بمكة وعذَّبوه عذاباً شديداً، وكان معه جماعةٌ من عبيد بني العباس، فلحق محمَّداً بعُسْفان، فأخذ ما كان خرج به من مكَّةَ، وجرَّده حتى أبقاه في السراويل، وهمَّ بقتله، ثم مَنَّ عليه وأعطاه ثوباً وعمامةً ودُرَيهمات، فخرج حتى أتى بلادَ جُهَينةَ على الساحل، فلم يزل مُقيماً بها وهو يجمع الجموعَ ويُجَيِّش الجيوش.

وكان بالمدينة هارونُ بن المسيِّب عاملُ المأمون، فجمع له وخرج إليه، فكانت بينهم وقعاتٌ عند الشجرةِ وغيرها، فقَتل من أصحاب محمَّد خلقاً كثيراً، وفقئت عينُ محمَّد بنُشَّابة، وأقام ينتظر مَن كان وعده من الأعراب أن يوافيَه بالموسم، فلم يوافِهِ أحد، فطلب الأمانَ من ورقاءَ ورجاءَ ابنِ عمِّ الفضل، فأمَّناه، ودخل مكةَ لعشرٍ بقين من ذي الحِجَّة، فأُتي بالمنبر فنُصب بين الرُّكن والمقامِ في المكان الذي بويع فيه، وصَعِد المِنْبَر، وخلع نفسَه، وبايع المأمون، وكان من جملة كلامه:

(١) ما بين حاصرتين من تاريخ الطبري ٨/ ٥٣٨، وانظر المنتظم ١٠/ ٨٤، وتاريخ الإسلام ٤/ ١٠٦٠.

أيها الناس: مَن عرفني فقد عرفني، ومَن لم يعرفني فأنا محمَّد بن جعفرِ بن محمَّد ابن عليٍّ بن حسين بن عليٍّ بن أبي طالب، وإنَّه كان لأمير المؤمنين عبدِ الله المأمونِ في رقبتي بيعة، وكنت أحدَ الشهودِ الذين شهدوا في الكعبة الشَّرْطَين لهارونَ على ابنيه محمَّد وعبد الله، ألا وقد كانت فتنةٌ[1] غَشِيت الأرضَ منَّا ومن غيرنا، وكان قد نُمي إلينا أنَّ المأمون توفِّي، فدعاني الناسُ إلى أن يبايعوني بإمرة المؤمنين، فأجبتُهم إلى ذلك، وقد صحَّ عندي الآن أنَّه حيّ، وأنا أستغفر اللهَ مما دعوتكم إليه من البَيعة، وقد خلعتُ نفسي كما خلعت خاتَمي هذا من إِصبعي، ولا بيعةَ لي في رقابكم.

ثم نزل، فخرج به عيسى بنُ يزيدَ الجُلوديُّ عامل مكةَ إلى العراق، واستخلف على مكةَ ابنَه محمَّد بنَ عيسى، فسلَّمه عيسى إلى الحسن بنِ سهل، فبعث به الحسنُ إلى المأمون مع رجاءَ بن أبي الضحَّاك، فقدم به خُراسانَ سنة إحدى ومئتين.

وفيها خرج إبراهيمُ بن موسى بنِ جعفر بن محمَّد بن عليٍّ بن حسين بن عليٍّ بن أبي طالبٍ باليمن، وكان بمكَّة حين خرج أبو السرايا بالكوفة، فلما قُتل [أبو] السرايا وانحلَّ نظام الطالبيين بالعراق، خرج إبراهيمُ من مكةَ بأهل بيتِه يريد اليمن، ووالي اليمن يومئذٍ إسحاقُ بن موسى بنِ عيسى، فلمَّا سمع بإقبال إبراهيمَ إلى قريبٍ من صَنْعاء، خرج من اليمن مُنْصرفاً في خيله ورَجله، فسلك النَّجْدِيَّة، وخلَّى اليمنَ لإبراهيم، وكره قتالَه، ونزل المُشاش، وأراد دخولَ مكة، فمنعه مَن كان بها من العلويِّين، وكانت أمُّ إسحاق متواريةً بمكَّة، فتلطَّف بعض أهلِ مكَّة فأخرجها، وصعد بها على رؤوس الجبال، فأوصلها إلى إسحاق. وكان يقال لإبراهيم: الجزَّار؛ لكثرة مَن قتل باليمن من الناس وسبى وأخذ الأموال.

وحجَّ بالناس أبو إسحاقَ بنُ الرشيد ومعه جندٌ كثيف، فيهم حمدويه بن عليٍّ بنِ عيسى بن ماهان، وكان الحسنُ بن سهل قد ولَّاه اليمن. وبعث إبراهيمُ [بن موسى بنِ جعفر][2] العلويُّ من اليمن رجلاً من ولد عَقيل بنِ أبي طالب في جندٍ كثير، وأمره أن يقيمَ الحجَّ للناس، فلما صار العَقيليُّ إلى بستان بني عامر، بلغه أنَّ أبا إسحاقَ قد ولي الموسم، وأنَّ معه [من] القوَّاد والعساكر ما لا قِبَلَ لأحدٍ به، فأقام ببستان بني عامر،

(١) في (خ): فيه، والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ٥٤٠.
(٢) ما بين حاصرتين من (ب).

فمرَّت به قافلةٌ من الحاجِّ والتجَّار، وفيها كسوةُ الكعبة وطيبُها، فأخذ الجميع، ووصل الحاجُّ إلى مكةَ عُراةً مَسلوبين.

وكان أبو إسحاقَ بنُ الرشيد بمكةَ نازلاً في دار القوارير، وذلك قبل يوم التروية بيوم[(١)]، فقال الجلوديّ: أنا لهم. فخرج في مئة فارس، فصبَّح العَقيليَّ وأصحابَه ببستان بني عامر، فأسر أكثرَهم، وهرب مَن هرب، وردَّ أموالَ التجار والكسوةَ والطِّيب إلى مكَّة، وأحضر مَن أُسر من أصحاب العَقيلي، وقنَّع كلَّ واحدٍ على رأسه عشرةَ أسواط، وقال: يا كلابَ النار، أُغربوا، فواللهِ ما في قتلكم عزّ[(٢)]، ولا في أسركم شَرَف. فرجعوا إلى اليمن يستطعمون [في الطريق][(٣)] فمات أكثرُهم جوعاً وعطشاً وعُرْياً.

وفيها وقع شَغْبٌ ببغدادَ بين الحَرْبيَّة والحسنِ بن سَهْل، وجاء الخبرُ بأنَّ زيد بن موسى بنِ جعفرٍ الخارجَ بالبصرة، وكان يُعرف بزيد النار من كثرة ما حرق من دُور الناس، وأنَّه أفلت من حبس عليِّ بن [أبي][(٤)] سعيد، فهرب وخرج بناحية الأنبارِ ومعه أخو أبي السرايا في ذي القَعدة، فبعثوا إليه، فأُخذ وأُتي به عليَّ بن هشام.

وفيها أُحصي ولدُ العباس، فكانوا ثلاثةً وثلاثين ألفاً ما بين ذَكَرٍ وأنثى.

وفيها بعث المأمونُ رجاءَ بن أبي الضحَّاك وفرناسَ الخادم ليُحضرا عليَّ بن موسى الرِّضا إلى خُراسان.

وفيها قتلت الرومُ ملكَها أليون، وملَّكوا عليهم ميخائيل [بنَ][(٥)] جورجس ثانية، وكان ملك أليونُ عليهم سبعَ سنين وستَّة أشهر.

وفيها دخل يحيى بنُ عامر بنِ إسماعيلَ على المأمون، فأغلظ له وقال: يا أميرَ الكافرين، فقتله بين يديه.

[فصل] وفيها توفِّي

(١) في تاريخ الطبري ٨/ ٥٤١: بيومين أو ثلاثة.
(٢) في تاريخ الطبري ٨/ ٥٤١: ما قتلكم وعر.
(٣) ما بين حاصرتين من تاريخ الطبري. وانظر الكامل ٦/ ٣١٤.
(٤) ما بين حاصرتين من تاريخ الطبري ٨/ ٥٤٤، والمنتظم ١٠/ ٨٦، وتاريخ الإسلام ٤/ ١٠٥٩.
(٥) ما بين حاصرتين من تاريخ الطبري ٨/ ٥٤٥، وابن الأثير ٦/ ٣١٩.

أَبانُ بن عبد الحميد

ابنِ لاحق [بن عُفَير، مولى بني رَقاش، البصري] وكان فاضلاً شاعراً(١).

[قال الخطيب:](٢) قدم بغدادَ، واتصل بالبرامكة، وانقطع إليهم، وله فيهم مدائح [وفي الرشيد أيضاً] وهو الذي عمل للبرامكة كليلةَ ودمنة [شعراً](٣).

[قال الخطيب: قرأتُ على الجَوْهَريّ، عن أبي عُبيد الله المَرْزُباني بإسناده عن ابنٍ لعبد الحميد اللاحقي قال: أحبَّ] يحيى بنُ خالد(٤) أن يحفظَ كتابَ «كليلة ودمنة»، فاشتدَّ عليه ذلك، فقال له أبان: أنا أجعله شعراً ليخفَّ على الوزير حفظُه، فنقله إلى قصيدةٍ مزدوجة عددُ أبياتها أربعةَ عشرَ ألفَ بيتٍ في ثلاثة أشهر، فأعطاه يحيى عشرةَ آلافِ دينار، وأعطاه الفضلُ خمسةَ آلاف دينار، وقال له جعفر [بنُ يحيى:] ألا ترضى أن أكونَ راويتَك لها؟ ولم يُعطِه شيئاً. فتصدَّق بثُلث المال الذي أعطاه يحيى والفضل.

وأوَّل القصيدة: [من الرجز]

هـــذا كـــتـــابُ أدبٍ ومِـــحْـــنـــهْ وهـــو الـــذي يُـــدعَـــى كـــلـــيـــلَـــه دِمـــنـــهْ

ويقال: كلُّ كلامٍ نُقل إلى شعرٍ فالكلامُ أفصح منه، إلَّا هذا الكتاب.

[قال الخطيب:](٥) وكان أبان حافظاً للقرآن عالماً بالفقه حسنَ السيرة، وكان يقول: أنا أرجو اللهَ وأسأله رحمتَه، واللهِ ما مضت عليَّ ليلةٌ قطُّ لم أصلِّ فيها تطوُّعاً. [وقيل: قال ذلك عند وفاتِه].

أبو نُوَاس الشاعر

واسمه الحسنُ بن هانئ بن صَبَّاح(٦) بن الجرَّاح بنِ(٧) عبد الله الحَكَمي البصري.

---

(١) تاريخ بغداد ٧/ ٥١٠، والمنتظم ١٠/ ٨٧، وتاريخ الإسلام ٤/ ١٠٦٥.

(٢) في تاريخه ٧/ ٥١٠، وما بين حاصرتين من (ب).

(٣) ما بين حاصرتين من المنتظم ١٠/ ٨٧، وانظر تاريخ الإسلام ٤/ ١٠٦٥.

(٤) في (خ): وكان يحيى بن خالد أحب ...، والمثبت من (ب)، وهو الموافق لما في تاريخ بغداد ٧/ ٥١١ .

(٥) في تاريخه ٧/ ٥١١، وما بين حاصرتين من (ب).

(٦) في (ب) و (خ): جناح، وكذا في مطبوع المنتظم ١٠/ ١٦، والمثبت من تاريخ بغداد ٨/ ٤٧٥، وتاريخ دمشق ٤/ ٦٠٦ (مخطوط)، ومختصره ٧/ ٧٧، والبداية والنهاية ١٤/ ٦٤، وانظر تاريخ الإسلام ٤/ ١٢٧٠، والسير ٩/ ٢٧٩ والمصادر في حواشيه.

(٧) في (خ): أبو، والمثبت من (ب)، وهو الموافق لما في المصادر.

و[اختلفوا في] معنى الحَكَمي [على قولين: أحدُهما أنه] نسبتُه إلى جدِّه [الأعلى، وهو] الجَرَّاحُ بن عبد اللهِ الحَكَمي والي خُراسان الذي استشهد، وقد ذكرناه [والحكم ابنُ سعدِ العشيرة. والثاني] أنَّه[١] كان مولى الجرَّاح. [ذكره الحافظ ابن عساكر.

وأبو نُواس لقبٌ[٢] له؛ لأن الحكمَ من ملوك اليمن، ومن ألقابهم: ذو نُواس وذو المَنار وذو نَفْر وذو يَزَن، وقد ذكرناهم في هذا الكتاب، قالوا: ولهذا أبو نواسٍ شديدُ العصبيَّة لليمن[٣].

قلت: وفي هذا القول نظر، لأنَّه لو كان كما قالوا، لقيل: ذو نواس، وإنَّما قيل: إنَّه كان له ذُؤابتان، فكُني بهما[٤].

والصحيح أنَّ كنيتَه أبو عبد الله[٥]، وقيل: أبو علي.

ونَسَبَه الخطيب[٦] فقال: الحسن بنُ هانئ بنِ صَبَّاح بن عبد الله بن الجرَّاح بن هِنْب ابن ذوة بن غَنْم بن سِلْهِم بن حَكَم بن سَعْد العَشيرة بن مالك بن عَمرو بن الغَوْث بن طَيِّئ بن أُدَد بن شَبيب بن عمرو بن سبيع بن الحارث بن زيد بن عَدي بن عوف بن زيد ابن الهَمَيْسَع بن عمرو بن يَشْجُب بن عَريب بن زيد بن كَهْلان بن سبأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قحطان. قال: ويقال: هو مولى الجرَّاح الحَكَمي.]

ووُلد بالأهواز بالقرب من الجبل المقطوعِ سنةَ ثلاثٍ وثلاثين[٧]، وقيل: سنةَ خمس وثلاثين ومئة[٨]، [وقيل: سنةَ ستٍّ وثلاثين ومئة][٩]، وقيل: سنةَ خمس وأربعين.

(١) في (خ): وقيل: إنه ...، والمثبت من (ب)، وما بين حاصرتين منه.
(٢) انظر تاريخ ابن عساكر ٤/ ٦٠٦.
(٣) في (خ): وكان شديد العصبية لليمن. وما بين حاصرتين من (ب).
(٤) كذا في وفيات الأعيان ٢/ ١٠٣، وتاريخ الإسلام ٤/ ١٢٧٠، وخزانة الأدب ١/ ٣٤٧.
(٥) لم نقف على هذا القول أصلاً حتى يكون هو الصحيح.
(٦) في تاريخه ٨/ ٤٧٥-٤٧٦.
(٧) هذا القول ليس في (ب)، ولم نقف عليه في المصادر.
(٨) نسبه في (ب) للخطيب، ولم نقف عليه في تاريخه، ولا في غيره من المصادر.
(٩) ما بين حاصرتين من (ب)، وهذا القول ذكره الخطيب عن غير واحد، وعلى هذا القول وما بعده اقتصرت غالب المصادر، وزاد ابن عساكر: سنة ١٤٠، واقتصر ابن المعتز في طبقاته ص١٩٤ على سنة ١٣٩. والله أعلم.

[وحكى الخطيب وابنُ عساكرٍ عن القاضي أحمدَ بنِ كامل قال:] كان[١] أبوه من أهل دمشقَ من جند مروانَ بنِ محمَّد، فصار إلى الأهواز، فتزوَّج امرأة من أهلها [يقال لها: جلبان، وقيل: صباح][٢] فولدت له أبا نواسٍ وأخاه [أبا] معاذ[٣]، ثم صار أبو نواس إلى البصرة، فنشأ بها، وقرأ القرآنَ على يعقوبَ الحضرمي، واختلف إلى أبي زيدٍ النحوي، وكتب عنه الغريبَ والألفاظ، ولزم خَلَفاً الأحمر، وصحب يونُسَ النحوي، ونظر في نحو سيبويه، وحفظ عن أبي عبيدةَ أيامَ الناس، ثم قدم بغدادَ والشامَ ومصر، ومدح الخلفاءَ والأمراءَ والأعيان، و[رحل إلى بغداد، فأقام بها.

قال الحافظ ابنُ عساكر[٤]: ما رأيتُ أحداً أعلمَ باللغة من أبي نُواس، ولا أفصحَ لهجة منه، مع حلاوةٍ وطيب سمعةٍ[٥] من الأعيان.

وحكى الخطيبُ[٦] عن أبي عبيدةَ قال:] كان [أبو نُواس] في المُحْدَثين كامرئ القيسِ في المتقدِّمين.

وقال أبو عَمرو بنُ العلاء[٧]: لولا أنه أفسد شِعرَه بهذه الأقذارِ لا حتَجَجْنا به في كتبنا.

وقال أبو نُواس: ما قلت الشِّعرَ حتى رويت لستِّين امرأةً من العرب، منهن الخنساءُ وليلى، فما ظنُّك بالرجال؟.

وقال [كُلثوم بن عمرو] العَتَّابي: لو أدرك الخبيثُ الجاهليةَ ما فُضِّل عليه أحد.

(١) في (خ): وقال الخطيب: كان، والمثبت من (ب)، ولم نقف عليه في ترجمته من تاريخ بغداد، وانظر تاريخ دمشق ٤/ ٦٣٨.

(٢) ما بين حاصرتين من (ب)، وقوله: وقيل: صباح، ليس في تاريخ دمشق.

(٣) في (ب) و (خ): وأخاه معاذاً، والمثبت من تاريخ دمشق. وانظر طبقات ابن المعتز ص١٩٤، ووفيات الأعيان ٢/ ٩٥ .

(٤) أخرجه في تاريخه ٤/ ٦٠٩ من طريق الخطيب عن الجاحظ، وهو في تاريخ بغداد ٨/ ٤٧٦، والمنتظم ١٠/ ١٦.

(٥) في (ب): وسمعة، وفي تاريخ دمشق: مع حلاوة ومجانبه الاستكراه.

(٦) في تاريخه ٨/ ٤٧٦ .

(٧) في تاريخ دمشق ٤/ ٦٠٨ أنه أبو عمرو الشيباني.

ذِكر طَرَفٍ من أخباره:

قال ابن مُناذر: دخل سليمانُ بن المنصورِ على الأمين، فرفع إليه أنَّ أبا نُواس هجاه وأنَّه زنديق، وأنشده من أشعاره المنكرة، فقال: يا عمّ، أَقتلُه بعد قوله: [من الكامل]

أُهدي الثناءَ إلى الأمين محمَّد ما بعده بتجارةٍ مُتَرَبِّصُ
صَدَقَ الثناءُ على الأمين محمَّد ومن الثناء تَكَذُّب وتَخَرُّص
قد يَنْقُص القمرُ المُنيرُ إذا استوى هذا ونورُ محمَّد لا يَنْقُص
وإذا بنو المنصورِ عُدَّ حَصَاهمُ فمحمَّد ياقوتُها المُتَخَلَّص(١)

فغضب سليمانُ وقال: واللهِ لو(٢) شكوتُ من عبد الله -يعني [ابن] الأمين(٣)- ماشكوتُ من هذا الكافر، لوجب أن تعاقبَه، فكيف منه! [فقال:] يا عمّ [فكيف] أعملُ بقوله:

قد أصبح المُلْكُ بالمُنى ظَفِرا كأنَّما كان عاشقاً قَدِرا
حسبُك وجهُ الأمين من قمرٍ إذا طوى الليلُ دُوْنَك القمرا
خليفةٌ يَعتني بأمَّته وإنْ أتَتْهُ ذُنُوبُها غَفَرا
حتى لو اسْطَاع من تَحَنُّنه دافع عنها القضاءَ والقَدَرا

فازداد سليمانُ غيظاً، فقال: يا عمّ، كيف أَصنعُ بقوله: [من المديد]

يا كَثيرَ النَّوْحِ في الدِّمَنِ لا عليها بل على السَّكَنِ
سُنَّة العُشَّاق واحدةٌ فإذا أحبَبْتَ فاسْتَنِنِ
ظَنَّ بي مَن قد كَلِفتُ به فهو يَجْفوني على الظِّنَن
تَضْحك الدُّنيا إلى مَلِكٍ قام بالآثار والسُّنن
سَنَّ للناس النَّدى فنَدُوا فكأنَّ البخلَ لم يكن
يا أمينَ الله عِشْ أبداً دُمْ على الأيّام والزَّمن
أنت تبقى والفَناءُ لنا فإذا أفنيتَنا فكن

(١) ديوان أبي نواس ص٣٩٨، وتاريخ بغداد ٤/ ٥٤٥، والمنتظم ١٠/ ١٧ .
(٢) في (خ): لقد، والمثبت من المصادر .
(٣) ما بين معكوفين من تاريخ بغداد.

فانقطع سليمانُ عن الرُّكوب، فأمر الأمينُ بحبس أبي نُواس، فلمَّا طال حبسُه كتب إليه: [من الطويل]

تَـذَكَّـر أمـيـنَ الله والـعَـهْـدُ يُـذكَـر ... مَـقـامـي وإنـشـادِيـكَ والـنـاسُ حُـضَّـرُ
ونَـثْـري عـلـيـك الـدُّرَّ يـا دُرَّ هـاشـمٍ ... فـيـا مَـن رأى دُرًّا عـلـى الـدرِّ يُـنْـثَـر
أبـوك الـذي لـم يَـمْـلـك الأرضَ مـثـلُـه ... وعـمُّـك مـوسـى عَـدْلُـه الـمُـتَـخَـيَّـر
وجـدُّك مَـهـديُّ الـهُـدى وشـقـيـقُـه ... أبـو أُمِّـك الأدنـى أبـو الـفَـضْـلِ جعفـر
ومـا مثلُ منصورَيك منصورُ هـاشمٍ ... ومـنـصـور قَـحْـطـانٍ إذا عُـدَّ مَـفْـخَـر
ومَن ذا الذي يَرمي بسَهْمَيك في العُلا ... وعـبـدُ مَـنـافٍ والـداك وحِـمْـيَـر
تـحـسَّـنـت الـدنـيـا بُـحـسـن خـلـيـفـةٍ ... هـو الـصُّـبـحُ إلَّا أنـه الـدَّهـرَ مُـسْـفِـر
يُـشـيـر إلـيـه الـجـودُ مـن وَجَـنـاتـه ... ويَـنـظـر مـن أعـطـافـه حـيـن يَـنْـظُـر
مَـضَـتْ لـي شـهـورٌ مـذ حُـبِـسْـتُ ثـلاثـةٌ ... كـأنـيَ قـد أذنَـبْـتُ مـا لـيـس يُـغْـفَـر
فـإنْ أكُ لـم أُذنـب فـفـيـمَ عـقـوبـتـي ... وإن كـنـتُ ذا ذَنْـبٍ فـعَـفْـوُك أكـبـر

فلمَّا قرأ محمَّد الأبياتِ قال: أَخرجوه وأَجيزوه ولو غضب ولدُ المنصور كلُّهم.

[منها ما رواه الطبري(١)، عن أحمد بن إبراهيم الفارسي قال: شرب أبو نواس الخمر، فرفع ذلك إلى محمد، فحبسه ثلاثة أشهر، ثم ذكره، فدعا به وعنده بنو هاشم، ودعا بالسيف والنِّطْع ليقتله، فأنشده:

تـذكـر أمـيـن الـلـه والـعـهـد يـذكـر ... مـقـامـي وإنـشـاديـك والـنـاس حـضـر
ونـثـري عـلـيـك الـدر يـا در هـاشـم ... فـيـا مـن رأى دراً عـلـى الـدر يـنـثـر

من أبيات، وزاد فيها شيئاً:

إمـامٌ يَـسـوسُ الـنَّـاس سـبـعـين حِـجَّـةً ... عـلـيـه لـه مـنـهـا لِـبـاسٌ ومـئْـزَرُ
أيـا خَـيـر مَـن يُـرْجـى نَـداه أنـا امـرؤ ... رَهـيـنٌ أسـيـرٌ فـي سُـجـونـك مُـقْـفِـرُ

---

(١) في تاريخه ٨/ ٥١٦، وهذا الخبر زيادة من (ب) ليس في (خ)، وكأن المصنف على عادته في حشد الأخبار في كتابه أورد أكثر من خبر، فأثبت مختصر (خ) الرواية الأولى عن الخطيب وابن الجوزي، وأثبت مختصر (ب) الرواية الثانية عن الطبري، فلذلك أثبتناهما.

فقال له محمد: فإن شربتها بعدها؟ فقال: دمي لك حَلال، فأطلقه، فكان أبو نواس يَشَمُّها ولا يَشْربها.

وفي رواية الطبري أيضاً: رفع إلى محمد أن أبا نواس يشرب الخمر، فطبق به محمد المُطْبِق، فأقام مدةً، وكان الفضل بن الربيع يَستعرض أهلَ السُّجون ويَتَفَقَّدُهم[١]، فدخل صاحبه حَبْسَ الزَّنادقة، فرأى أبا نواس ولم يكن يعرفه، فقال له: يا شاب، أنت مع الزنادقة؟ فقال: مَعاذ الله، قال: فلعلك ممَّن يَعبد الكَبْش؟ فقال: أنا آكل الكبش بصوفه، فقال: لعلك ممَّن يَعبد الشمس؟ قال: لا، إني لأتجنَّب القُعود فيها بُغضاً لها، قال: فبأيِّ جُرْمٍ حُبستَ؟ قال: في تهمة أنا منها بريء، قال: ليس إلا هذا؟ قال: نعم، فأخبر الفضل، فأمر بإحضاره، واستتابه عن شرب الخمر والذكران[٢] فبعث إليه فِتيانٌ من قريش، فحضر عندهم، فعَزموا عليه الشُّرب، فقال: لا والله، فلما دارت الكأس بينهم جعل يَشَمُّها ويقول:

أيُّها الرَّائحانِ باللَّوم لوما … لا أذوقُ المُدامَ إلا شَميما
نالَني بالمَلام فيه إمام … لا أرى لي خلافه مُسْتَقيما
فاصرفاها إلى سواي فإني … لستُ إلا على الحَديثِ نَديما

من أبيات.

[وحكى أيضاً] عن أبي الوَرْدِ السبعي أنَّه قال: كنت عند الفضلِ بن سَهْل[٣]، فذكر الأمينَ وقال: كيف لا يُستحلُّ قتالُ [محمَّد] وشاعره أبو نُواسٍ يقول في مجلسه: [من الطويل]

ألا فاسْقِني خَمْراً وقُلْ لي هي الخمرُ … ولا تسقني سرًّا إذا أمكن الجَهْرُ
ولا تسقِيَنْ منها المُرائين قَطْرةً … فإنَّ رياءَ الناس عندي هو الكفر[٤]

(١) في تاريخ الطبري ٨/ ٥١٦ أن الذي كان يستعرض السجون خال الفضل بن الربيع.
(٢) في الطبري: عن شرب الخمر والسكر.
(٣) في (ب): عن ابن أبي الزراد الشيعي أنه قال: كنا عند الفضل بن سهل، وفي (خ): وقال ابن أبي الزراد كنا عند الشعبي كنا عند الفضل بن سهل، والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ٥١٧.
(٤) هذا البيت ليس في الديوان، ولم نقف عليه في المصادر، وفي تاريخ الطبري البيت الأول فقط.

وبُحْ باسم مَن تهوى ودَعْني من الكُنى فلا خيرَ في اللَّذَّات مِن دونها سِتْر

الأبيات [وهي من ديوانه][(١)] وبلغ محمَّداً قولُ الفضل [بنِ سهل]، فأمر بحبس أبي نُواس.

وقال أبو نواسٍ: [من الطويل]

وقد زادني تِيهاً على الناس أنَّني أُراني أغناهُم إذا كنتُ ذا عُسْرِ
فلو لم أنَلْ فَخراً لكان صِيانَتي فَمي عن جميع الناسِ حَسْبي من الفَخْر
ولا يطْمَعَنْ في ذاك منِّي طامعٌ ولا صاحبُ التَّاجِ المُحَجَّبُ في القصر[(٢)]

وبلغ الأمينَ قولُه، فدعاه وعنده سليمانُ بن المنصور، فقال له: يا ابن اللَّخْناء، أنت تكتسب بشِعرك أوساخَ أيدي الناس اللئامِ ثم تقول: ولا صاحبُ التاج المحجَّبُ في القصر! واللهِ لا نلتَ مني شيئاً أبداً.

ولما دخل المأمونُ بغدادَ، اجتمع عنده الشُّعراء، فقال لهم: أيُّكم القائل: [من الطويل]

إذا نزلت دون اللَّهاةِ من الفتى دعا هَمُّه مِن صدره برحيلِ

قالوا: أبو نُواس، قال: فأيُّكم القائل: [من المديد]

وتَمَشَّت في مَفاصِلهم كتَمَشِّي البُرْء في السَّقَمِ[(٣)]

قالوا: أبو نواس، قال: فأيُّكم القائل: [من الطويل]

وما الناسُ إلَّا هالكٌ وابنُ هالكٍ وذو نَسَبٍ في الهالكين عَريقِ
إذا امتَحَنَ الدُّنيا لَبيبٌ تَكَشَّفتْ له عن عدوٍّ في ثيابِ صَديق

فقالوا: أبو نواس، فقال: هو أشعرُكم إذن.

وقال ابن عُيَينة لابن مُناذِر: أشعرُ الناس ظَريفُكم هذا، فقال ابنُ منادر: كأنك عنيتَ أبا نُواس؟ قال: نعم، فقال: لِمَ؟ فقال سفيان: بقوله: [من السريع]

يا قَمَراً أبْصَرتُ في مأتَمٍ يَنْدُب شَجْواً بين أترابِ

---

(١) ص٢٤٢، وما بين حاصرتين من (ب).
(٢) تاريخ الطبري ٨/ ٥١٨، وانظر الديوان ص٣٤٣.
(٣) انظر الخبر في تاريخ بغداد ٨/ ٤٨٧، وتاريخ دمشق ٤/ ٦٠٩.

أبـرز[ه][(١)] الـمـأتـمُ لـي كـارهـاً ... بـرَغْـم دايـاتٍ وحُـجَّـاب
يَـبـكـي فـيَـذْري الـدُّرَّ مـن عـيـنـه ... ويَـلْـطُـم الـوَرْدَ بـعُـنَّـاب
لا زال مَـوتـاً دأبُ أحـبـابِـه ... ولا تـزل رؤيـتُـه دابـي

وقال يزيد: لقيت أبا العتاهيةِ فقلت: مَن أشعرُ الناس؟ فقال: الشابُّ العاهر أبو نُواس حيث يقول: [من الوافر]

أزور مـحـمَّـداً فـإذا الـتـقـيـنـا ... تـعـاتَـبـت الـضَّـمـائـرُ فـي الـصُّـدورِ
فـأرجـعُ لـم ألُـمْـه ولـم يَـلُـمْـنـي ... وقـد قَـبِـل الـضَّـمـيـرُ عـن الـضَّـمـيـر

فلقيتُ أبا نواسٍ فقلت: مَن أشعرُ الناس؟ فقال: الشيخُ الطاهر أبو العتاهيةِ حيث يقول: [من مجزوء الكامل]

الـنـاسُ فـي غَـفَـلاتـهـمْ ... ورحـى الـمَـنـيَّـة تَـطْـحَـنُ

فقلت: من أين أخذه؟ قال: من قوله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝١﴾[(٢)] [الأنبياء: ١]

وقال أبو العتاهية: لقيت أبا نُواسٍ في المسجد، فعَذَلْتُه وقلت له: أَمَا آنَ لك أن ترعوي! فقال: [من مجزوء الرمل]

أتُـرانـي يـا عَـتـاهـي ... تـاركـاً تـلـك الـمَـلاهـي
أتُـرانـي مُـفْـسِـداً بـالـنُّـسْـكِ عـنـد الـقـومِ جـاهـي

فلمَّا ألْحَحْتُ عليه بالعَذْل قال:

لـن تـرجـعَ الأنـفُـسُ عـن غَـيِّـهـا ... مـا لـم يـكـن مـنـهـا لـهـا زاجـرُ

قال أبو العتاهية: فوددتُ أنِّي قلت هذا البيتَ بكلِّ ما قلتُه[(٣)].

وقال أبو العَتاهِيَة: قد قلتُ عشرين ألفَ بيتٍ في الزُّهد، ووَدِدْتُ لو أنَّ لي مكانَها أبياتَ أبي نُواس: [من مجزوء الرمل]

(١) ما بين حاصرتين من تاريخ بغداد ٨/ ٤٧٧.
(٢) تاريخ دمشق ٤/ ٦١١.
(٣) انظر تاريخ بغداد ٨/ ٤٨٧، وتاريخ دمشق ٤/ ٦٢٣، والمنتظم ١٠/ ١٩، ووفيات الأعيان ٢/ ١٠٢.

يا نُواسيُّ توقَّرْ وتَعَزَّ وتَصَبَّرْ
إنْ يكن ساءك دَهْرٌ فلَمَا سَرَّك أكثر
يا كبيرَ الذَّنْبِ عَفْوُ اللهِ عن ذنبك أكبر
ليس للإنسان إلَّا ما قضى اللهُ وقدَّر[(١)]

[وحكى ابنُ عساكرٍ عن عليٍّ] بن الأعرابي قال[(٢)]: أشعرُ الناسِ أبو نُواس حيث يقول: [من الطويل]

تَغَطَّيتُ من دَهْري بظِلِّ جَناحِه فعَينيْ ترى دَهْري وليس يراني
فلو تسألِ الأيامَ ما اسمي لَمَا دَرَتْ وأين مكاني ما عَرَفْنَ مكاني[(٣)]

وقال أبو العتاهِية: أشعرُ الناس أبو نواسٍ حيث يقول في المديح: [من الطويل]

إذا نحن أثْنَيْنا عليك بصالحٍ فأنت كما نُثني[(٤)] وفوق الذي نُثني
وإنْ جَرَت الألفاظُ يوماً بمِدْحَةٍ لغيرك إنساناً فأنت الذي نعني

وقال ابنُ عائشة: كنا عند عبدِ الواحد بن زيادٍ[(٥)] ومعنا أبو نُواس، فقال: [من مجزوء الرمل]

ولقد كنَّا رَوَيْنا عن سعيدٍ عن قَتادهْ
ورَوَيْناه قَديماً أنَّ سعدَ بنَ عُباده
قال مَن مات مُحِبًّا فله أجْرُ الشَّهاده

فقال عبدُ الواحد: أُغربْ يا خبيث، واللهِ لا حدَّثتك بعد اليومِ بحديثٍ واحد.

قال المصنِّف رحمه الله: لا وجهَ لإنكار عبدِ الواحد؛ لأنَّ النبيَّ ﷺ أشار إلى هذا المعنى، فروى ابنُ عباس عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «مَن عَشِق فعَفَّ فمات فهو شهيد»[(٦)].

---

(١) تاريخ بغداد ٨/ ٤٨٨.

(٢) في (خ): وقال ابن الأعرابي. والكلام في تاريخ دمشق ٤/ ٦١٠.

(٣) الديوان ص٦٥٠-٦٥١.

(٤) في (خ): فأنت الذي تثني، والمثبت من تاريخ دمشق ٤/ ٦١٠، والديوان ص٦٤٧.

(٥) في (خ): زيد، والمثبت من تاريخ بغداد ٨/ ٤٧٨، وتاريخ دمشق ٤/ ٦٢٢، والبداية والنهاية ١٤/ ٧٠.

(٦) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد ٣/ ١٦٥-١٦٦ وغيره، وانظر الكلام عليه في التلخيص الحبير ٢/ ١٤٢، =

وقال ابنُ عائشة: دخلت على إسحاقَ الأزرق، فقال: الساعةَ كان عندي أبو نُواس، ثم أخرج إليَّ رُقْعَة، وإذا فيها: [من المنسرح]

يا ساحرَ المُقلتَيْن والجِيدِ وقاتلي منه بالمواعيدِ
تُوعِدُني الوَصْلَ ثم تُخْلِفُني فوا بَلائي من خُلْفِ موعودي
حدَّثني الأزرقُ المُحَدِّثُ عن عَمرو بنِ شَمْرٍ عن ابن مسعود[1]
لا يُخْلِفُ الوَعْدَ غيرُ كافرةٍ وكافرٍ في الجَحيم مَصْمودِ[2]

ثم قال الأزرق: واللهِ كذب عليَّ وعلى التابعين وعلى أصحاب محمَّد ﷺ، ما حدَّثته بهذا قطّ.

ولقي شعبةُ أبا نواس، فقال: أنشدني من طُرَفك، فقال: [من السريع]

حدَّثني الخَفَّاف عن وائلٍ وخالدِ الحَذَّاء عن جابرِ
ومِسْعَرٌ عن بعض أشياخه يرفعه الشيخُ إلى عامر
قالوا جميعاً أيُّما طَفْلَةٍ عُلِّقها ذو خُلُقٍ طاهر
فواصلَتْه ثم دامت له على وصال الحافظِ الذَّاكر
كانت لها الجنةُ مَفْتوحةً ترتَع في مَرْتَعِها الزَّاهر
وأيُّ مَعْشوقٍ جَفا عاشقاً بعد وصالٍ دائمٍ ناضر
ففي عذاب اللهِ مَثْوًى له بُعداً له من ظالمٍ غادر

فقال له شعبة: إنَّك لَجميلُ الأخلاق، وإنِّي لأرجو لك[3].

قال المصنِّف رحمه الله: خاف شعبةُ من لسانه، وإلَّا فشعبةُ أشدُّ حالاً من الأزرق.

ودخل أبو نواسٍ يوماً على الأمين، فأنشده: [من الكامل]

= والمقاصد الحسنة ص٦٥٨.

(١) في البداية والنهاية ١٤/ ٧٢: شمر وعوف عن ابن مسعود، وما هنا موافق لما في تاريخ دمشق ٤/ ٦٢٥. والأبيات ليست في الديوان.

(٢) في تاريخ دمشق والبداية والنهاية: مصفود.

(٣) تاريخ بغداد ٨/ ٤٧٨-٤٧٩، والبداية والنهاية ١٤/ ٧١، باختلاف في البيت الأخير، والأبيات ليست في الديوان.

يـا دارُ مـا فَـعَـلـت بـكِ الأيّـامُ ... لـم تُـبْـقِ فـيـكِ بَـشـاشَـةً تُـسـتـامُ(١)

قال: فتَطيَّر الأمين وقال: ويحك ما هذا! فقال:

عَـرَمَ الـزَّمـانُ عـلـى الـذيـن عَـهِـدْتُـهـمْ ... بـكِ قـاطِـنـيـنَ ولـلـزَّمـان عُـرامُ

فلعنه الأمين، فلمَّا قال:

وإذا الـمَـطـيُّ بـنـا بَـلَـغْـنَ مـحـمَّـداً ... فـظُـهـوُرهـنَّ عـلـى الـرِّجـال حَـرامُ

قَـرَّبْـنَـنـا مـن خـيـر مَـن وَطـئَ الـحَـصـى ... فـلـهـا عـلـيـنـا حُـرْمَـةٌ وذِمـام

سُرِّي عنه وقال: ذاك رسولُ اللهِ ﷺ. ومنها:

وبَـلَـغـتُ مـا بـلـغ امـرؤٌ بـشَـبـابـه ... فـإذا عُـصـارَةُ كـلِّ ذاك أَثـامُ

وتَـجَـشَّـمـتْ بـي هـولَ كـلِّ تَـنـوفـةٍ(٢) ... هَـوْجـاءُ فـيـهـا جُـرْأةٌ إقـدام

تَـذَرُ الـمَـطـيَّ وراءهـا فـكـأنـهـا ... صَـفٌّ تَـقَـدَّمُـهُـنَّ وهـي إمـام

وإذا الـمَـطـيُّ بـنـا بَـلَـغْـنَ مـحـمَّـداً ... فـظُـهـورُهـنَّ عـلـى الـرِّجـال حَـرام

قـرَّبْـنَـنـا مـن خـيـرِ مَـن وَطـئَ الـحَـصـى ... فـلـهـا عـلـيـنـا حُـرْمَـةٌ وذِمـام

رُفِـعَ الـحِـجـابُ لـنـا فـلاح لـنـاظـري ... قَـمَـرٌ تَـقَـطَّـعُ دونـه الأوهـام

داوى بـه اللهُ الـقـلـوبَ مـن الـجَـوى ... حـتـى بَـرِئْـنَ ومـا بـهـنَّ سَـقـام

فـسَـلِـمْـتَ لـلـعِـلـم الـذي تُـهـدى بـه ... وتـقـاعَـسَـتْ عـن يـومـك الأيـام

ومن شِعره: [من السريع]

أيَّـةُ نـارٍ قَـدَح الـقـادحُ ... وأيّ جِـدٍّ مَـزح الـمـازحُ(٣)

لله درُّ الـشَّـيـبِ مـن نـاصِـحٍ ... وواعِـظٍ لـو قُـبـل الـنَّـاصِـح

يـأبـى الـفـتـى إلَّا اتِّـبـاعَ الـهَـوى ... ومَـنْـهَـجُ الـحَـقِّ لـه واضـح

فـاغْـمَـد بـعَـيْـنَـيْـك إلـى نِـسـوةٍ ... مُـهـورُهُـنَّ الـعـمـلُ الـصـالـح

لا يَـجْـتَـلـي الـعَـذْراءَ مـن خِـدْرِهـا ... إلَّا امـرؤٌ مـيـزانُـه راجـح

مَـن يَـتَّـقِ اللهَ فـذاك الـذي ... سِـيـقَ إلـيـه الـمَـتْـجَـرُ الـرَّابـح

---

(١) انظر طبقات الشعراء لابن المعتز ٢١١.

(٢) في (خ): في هول كل أنوفة، والمثبت من الديوان ٥٧٥، وطبقات ابن المعتز، والتنوفة: المفازة.

(٣) في تاريخ بغداد ٨/ ٤٨٢، ودمشق ٤/ ٦٢٤: بلغ المازح.

فاغْدُ فما في الدِّين أُغْلُوطَةٌ ... ورُح بما أنت له رائح

وقال مَسْعود بن بِشْر: لقيتُ ابنَ مُناذرٍ بمكة، فقلت: مَن أشعرُ الناس؟ فقال: مَن إذا شَبَّب كَعَب -يعني ذَكَرَ الكواعب- وإذا أخذ فيما قصد له جَدّ، قلت: مثلُ مَن؟ قال: جريرٌ حيث يقول: [من الكامل]

إنَّ الذين غَدَوا بلُبِّك غادروا ... وَشَلاً بعَيْنك لا يَزال مَعينا

غَيَّضْن من عَبراتهنَّ وقُلْن لي ... ماذا لَقِيتَ من الهوى ولقينا

ثم قال حين جدَّ:

إنَّ الذي حَرَمَ الخلافةَ[1] تغلباً ... جعل الخلافةَ والنُّبَّوة فينا

مُضَرٌ أبي وأبو الملوك فهل لكمْ ... يا خُزْرَ[2] تَغْلِبَ من أبٍ كأبينا

هذا ابن عمِّي في دمشقَ خَليفةٌ ... لو شئتُ ساقَكُمُ إليَّ قَطينا

ثم قال: ومِن هؤلاء المُحْدَثين هذا الخبيث -يعني أبا العَتاهِيَة- الذي يتناول الشِّعر مِن كُمِّه، حيث يقول: [من المنسرح]

اللهُ بيني وبين مَولاتي ... أبْدَتْ ليَ الصَّدَّ والمَلالاتِ

مَنَحْتُها مُهْجَتي وخالِصَتي ... فكان هِجْرانُها مُكافاتي

أقلقني[3] حبُّها وصيَّرني ... أُحدوثةً في جميع حالاتي

ثم جدَّ فقال:

ومَهْمَهٍ قد قطعتُ طامِسَه ... قَفْرٍ على الهول والمَخافات

بِبَكْرةٍ جَسْرةٍ عُذافِرةٍ ... خَوْصاءَ عَيْرانَةٍ عَلَنْداة[4]

تُبادر الشمسَ كلَّما طَلَعت ... بالسَّير تبغي بذاك مَرضاتي

يا ناقُ سيري بنا ولا تَعِدي ... نفسَك ممَّا تَرَينَ راحات

---

(١) في ديوان جرير ١/ ٣٨٧: المكارم.

(٢) جمع أخزر: وهو الذي في عينيه ضيق وصغر، وهذا وصف العجم، فكأنه نسبه إلى العجم وأخرجه عن العرب، وهو عند العرب من النقائص الشنيعة. قاله محقق الديوان.

(٣) في (خ): أقلني، والمثبت من تاريخ بغداد ٨/ ٤٨٥، وفي تكملة الديوان ص٥٠٦: هيمني.

(٤) هذا البيت وصف للناقة، فالعذافرة: العظيمة الشديدة، ومثله العلنداة، والخوصاء: غائرة العينين في ضيق وصغر، والعيرانة: الناجية في نشاط.

حـتـى تُـنـاخـي بـنـا إلـى مَـلِـكٍ تـوَّجـه اللهُ بـالـمَـهـابـات
عـلـيـه تـاجـانِ فـوق مَـفْـرِقـه تـاجُ جَـلالٍ وتـاجُ إخـبـات
يـقـول لـلـرِّيـح كـلَّـمـا نَـسَـمَـت هـل لـك يـا ريـحُ فـي مُـبـاراتـي
مَـن مِـثـل مَـن عـمُّـه الـرسـولُ ومَـن أخـوالُـه أكـرمُ الـخُـؤولات

قال مسعودُ بن بشر(١): فقلت: أنا أُنشدك أحسنَ ممَّا أنشدتني، فقال: هات، فقلت: [من الطويل]

ذكـرتُـم مـن الـتَّـرحـال أمـراً فـغـمَّـنـا فلو قد فعلتُمْ صبَّح الموتُ بعضَنا
زعـمْـتُـم بـأنَّ الـبَـيـن يُـحـزِنُـكـم نَـعَـمْ سيُـحـزنـكـم حُـزْنـاً ولا مثلَ حُـزْنِـنـا
أطالَ قصيرُ الليل يارَحمَ عندكمْ فـإنَّ قـصـيـرَ الـلـيـلِ قـد طال عـنـدنـا
خَـلـيُّـون مـن أوجـاعـنـا يَـعْـذِلـونـنـا يـقـولـون لِـمْ لـم تَـهـوَ قـلـنـا تـديُّـنـا(٢)
فلو شاء ربيِّ لابْتَلاهم بمثل ما ابـ ـتـلانـا فـصـاروا لا عـلـيـنـا ولا لـنـا
سأشكو إلى الفضل بنِ يحيى بن خالدٍ هـواكـمْ لـعـلَّ الـفـضـلَ يَـجْـمـع بـيـنـنـا
إلـيك أبـا الـعـبَّـاس مِـن بـيـن مَـن مشى عليها امتَطينا الحَضْرَميَّ المُلَسَّنا(٣)
قَلائصَ لم تَحْمل جَنيناً على طَلًا(٤) ولـم تَـدْرِ مـا قَـرْعُ الـفَـنـيـقِ ولا الـهِـنـا(٥)

فقال ابن مُناذر: أحسنَ واللهِ صاحبُك في التَّشْبيب، وأغْرَبَ علينا في النِّعال وتصييرِه إياها مَطايا، ثم قال: لمن هذا؟ قلت: لأبي نُواس، فقال: لعنه الله، وندم على تحسين الأبيات.

وقال وقد حَجَبه مالك بن طَوْق(٦): [من البسيط]

---

(١) في (خ): قال ابن مسعود، ولعله سبق قلم.

(٢) كذا في (خ)، وفي ديوان أبي نواس ص٦٥٢: يقولون لِمْ تهوون قلنا لذنبنا.

(٣) قال محقق الديوان: الحضرمي الملسن: النعل التي فيها طول كهيئة اللسان، استعاره للمطايا.

(٤) الطلا: ولد ذوات الظِّلف. وهذه رواية العمدة ١/ ٢٢٨، وتاريخ بغداد ٨/ ٤٨٦، ورواية الديوان: لم تسقط جنيناً من الوجى.

(٥) الفَنيق: الفحل المكرَم لا يؤذى لكرامته على أهله ولا يركب، والهِناء: القطران. القاموس المحيط (فنق)، (هنأ).

(٦) البيتان لأبي تمام لا كما ذكر المصنف، وهما في ديوانه ٣/ ٤٨ .

مالي أرى القُبَّة البيضاءَ[١] مُقْفَلَةً ... دوني وقد طالما استَفْتَحْتُ مُقْفَلَها
أظنُّها[٢] جنَّةَ الفِردوس مُعرضةً ... وليس لي عملٌ زاكٍ فأدخُلَها

[وروى الخطيبُ[٣] أن أبا نواسٍ دخل على الأمين، فقال له: يا حسن، بلغني أنَّك زنديق، فقال: يا أميرَ المؤمنين، كيف أكون زنديقاً وأنا القائل: [من الطويل]

أصلِّي الصلاةَ الخمسَ في حينِ [وقتها][٤] ... وأشهدُ بالتوحيد لله خاضعا
وأُحسِنُ غُسْلاً إن ركبتُ جَنابةً ... وإن جاءني المسكين لم أكُ مانعا

من أبيات، قال: صدقت، وأمر له بجائزة.

وقال محمَّد بن عُبيد الله العُتْبي: وقد نظم أبو نواسٍ قولَ النبيِّ ﷺ: «الأرواحُ جنودٌ مجنَّدة ...» الحديث[٥]، فقال: [من البسيط]

إنَّ القلوبَ لأجنادٌ مُجَنَّدة ... لله في الأرض بالآلاء[٦] تَعْتَرِفُ
فما تَناكَر منها فهو مُخْتلفٌ ... وما تعارف منها فهو مؤتَلِف

وقيل: لعليٍّ عليه السلام.

وأبو نُواسٍ فقد كان له لَهْوٌ ولَعِب أولَ زمانه، ثم تاب في آخر عُمره، وخصوصاً عند موته؛ لِمَا نذكر.

[وقال الخطيبُ[٧] بإسناده إلى أبي جعفرٍ الصَّائغ قال: لمَّا احتُضر أبو نواسٍ قال: اكتبوا هذه الأبياتَ على قبري:][٨] [من مجزوء الكامل]

وعَظَتْكَ أجْداثٌ صُمُتْ ... ونَعَتْكَ أزْمِنَةٌ خُفُتْ

(١) في الديوان: الحجرة الفيحاء.
(٢) في الديوان: كأنها.
(٣) في تاريخه ٨/ ٤٨٠، وما بين حاصرتين من (ب).
(٤) ما بين حاصرتين من تاريخ بغداد. والبيتان ليسا في الديوان.
(٥) أخرجه البخاري (٣٣٣٦) من حديث عائشة رضي الله عنها، وأخرجه مسلم (٢٦٣٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٦) في الديوان ص٤٢٣: بالأهواء، والمثبت موافق لما في تاريخ دمشق ٤/ ٦٢١، وهذا الخبر ليس في (خ).
(٧) في تاريخه ٨/ ٤٩٠، وما بين حاصرتين من (ب).
(٨) في (خ): وقال وأوصى أن يكتب على قبره، والمثبت من (ب).

وتَكلَّمتْ عن أوجُهٍ تَبلى وعن صُوَرٍ سُبُت
وأرتْك قبرَك في القبو رِ وأنت حيٌّ لم تَمُت
ياذا المُنى يا ذا المُنى عِشْ ما بدا لك ثم مُت

[وحكى المُعافَى بنُ زكريا عن] أبي العباس [قال:](١) أنشدتُ الإمامَ أحمد بنَ حنبلٍ رحمه الله قولَ أبي نُواس: [من الطويل]

إذا ما خَلوتَ الدهرَ يوماً فلا تَقُلْ خلوتُ ولكن قلْ عليَّ رقيبُ
ولا تَحْسبنَّ الله يَغْفُل ساعةً ولا أنَّ ما يَخْفى عليه يغيبُ
لَهَونا لَعَمْرُ اللهِ حتى تتابَعَتْ(٢) ذُنوبٌ على آثارهنَّ ذنوب
فياليت أنَّ اللهَ يَغفرُ ما مضى ويأذنُ في توباتنا فنتوب

فبكى الإمام أحمدُ رحمةُ الله عليه وجعل يُرَدِّدها(٣).

وقال [الخطيبُ(٤) بإسناده عن] عليِّ بن محمَّد بنِ زكريا [قال:] دخلتُ على أبي نواسٍ وهو يَكِيدُ(٥) بنفسه [فقال لي: أتكتب؟ قلت: نعم] فأنشأ يقول: [من الخفيف]

دَبَّ فيَّ الفَناءُ سُفْلاً وعُلْوا وأراني أموت عُضواً فعضوا
ذهبتْ شِرَّتي بجِدَّة نفسي(٦) وتذكَّرتُ طاعةَ اللهِ نِضْوا
ليس من ساعةٍ مَضَت بيَ إلَّا نَقَصَتْني بمَرِّها بيَ جُزْوا
لَهْفَ نفسي على لَيالٍ وأيَّا مٍ تَمَلَّيتُهنَّ لَعْباً ولَهوا
قد أسأْنَا كلَّ الإساءة ياربّ فَصَفْحاً عنا إلهي وعفوا

و[روى ابنُ عساكرٍ(٧) عن محمَّد بنِ أبي عُمير قال:] قال أبو نُواسٍ عند الموت: واللهِ ما خَلَعْتُ سراويلي على حرامٍ قطّ.

---

(١) في (خ): وقال أبو العباس.
(٢) رواية الديوان ص١٠٣: لهونا بعمر طال حتى ترادفت، والمثبت موافق لما في تاريخ دمشق ٤/ ٦٣٣.
(٣) بعدها في (ب): ذكر وفاته.
(٤) في تاريخه ٨/ ٤٨٩-٤٩٠، وما بين حاصرتين من (ب).
(٥) في (خ): يجود. وهما بمعنى.
(٦) في الديوان ص٦٩١: ذهبت جدتي بطاعة نفسي.
(٧) في تاريخه ٤/ ٦١٩، وما بين حاصرتين من (ب).

[روى الخطيبُ[١] عن الربيع بنِ سليمانَ، عن] الإمام الشافعيِّ رحمةُ الله عليه [قال:] دخلتُ على أبي نُواسٍ وهو يجود بنفسه، فقلت له: ما أعددتَ لهذا اليوم؟ فقال يُنشد[٢]:

ولـمَّا قَسا قلبي وضاقَتْ مَذاهبي ... جَعلْتُ رَجائي نحو عَفْوكِ سُلَّما
تَعاظَمَني ذَنْبي فلمَّا قَرنْتُه ... بعَفْوك ربِّي كان عَفْوُك أعْظَمَا
وما زلتُ ذا ذنبٍ عظيمٍ ولم تزل ... تجود وتعفو مِنَّةً وتَكَرُّما
فلولاك لم يقوى لإبليسَ عابدٌ[٣] ... فكيف وقد أغوى صَفِيَّك آدما

[وسنذكر الأبياتَ في ترجمة الشافعي].

واختلفوا في وفاته، فقيل: مات سنةَ ثمانٍ وتسعين، وقيل: سنةَ خمسٍ وتسعين، وقيل: سنة ستٍّ وتسعين ومئة. والأوَّل أصحّ، أنه مات سنةَ مئتين هو ومَعْروفٌ الكَرْخيُّ في يومٍ واحد[٤].

قال أحمد بن هارون: مات أبو نُواس في اليوم الذي مات فيه معروف، فأُخرجت جَنازة معروف، فغُلِّقت الأسواق ببغداد، ولم يبق بِكرٌ ولا عانس، فحُزر الجميعُ ثلاثَ مئةِ ألف، وأُخرجت جنازةُ أبي نواس، فلم يتبعْها سوى رجلٍ واحد، فلما رجع الناسُ من جنازة معروف، قال قائل: أليس قد جَمَعَنا وإياه الإسلام؟ فرجع الناس فصلَّوا عليه، فرُئي تلك الليلةَ في المنام وهو يقول: غُفر لي بصلاة الذين صلَّوا على معروف وعليّ.

---

(١) في تاريخه ٨/ ٤٨٩. وفي (خ): وقال الإمام الشافعي رحمة الله عليه ...

(٢) في (ب): فأنشأ وجعل يقول.

(٣) في (ب): فلولاك لم أهوي لإبليس عامداً، وفي تاريخ بغداد: فلولاك لم يقو بإبليس عابد.

(٤) في (ب): واختلفوا في وفاته، فذكر الخطيب قولين أحدهما أنه سنة ثمان وتسعين ومئة، والثاني سنة تسع وتسعين ومئة، وحكاهما جدي في المنتظم، وزاد قولاً هو سنة ست وتسعين ومئة، والأصح أنه مات في هذه السنة وهي سنة مئتين هو ومعروف الكرخي في يوم واحد. اهـ.

قلت: وهذا النقل عن الخطيب وابن الجوزي لا يسلم، فالذي في تاريخ بغداد ٨/ ٤٩٠ عن ابن أبي سعد أنه توفي سنة ١٩٨، وعن آخرين أنه توفي سنة ١٩٦، أو ١٩٥، والذي في المنتظم ١٠/ ٢٠: توفي سنة خمس وتسعين ومئة ـ وأورده في وفياتها ـ وقيل سنة ست، وقيل سنة ثمان. ولذلك أثبت سياق (خ).

[وقد أخرجه جدِّي في «فضائل معروف» فقال: حدَّثنا أبو الحسن محمَّد بن أحمدَ الصَّائغ وغيُره، عن أبي عبد اللهِ أحمدَ بن هارون ... وذكره، وفيه: رجع الناسُ من جنازة معروفٍ، فرأوا جنازةَ أبي نواس، فما التفتوا إليها، فقال قائل: أليس قد جمعنا وإيَّاه الإسلام؟! ولعل باطنَه كان أجملَ من ظاهره، فلا تُؤيسوه من رحمة اللهِ تعالى، فرجع الناس كلُّهم فصلَّوا عليه. ولم يذكر في هذه الرواية حديثَ المنام، وقد علَّق بعضُهم فقال: الذي مات يوم مات معروفٌ الكَرْخي رجلٌ يقال له الحسنُ بن هانئ، وكنيتُه أبو نواس. وليس كما ذكر؛ لأنَّ ما في الشعراء مَن اسمُه الحسن بنُ هانئ وكنيتُه أبو نواس غيره.

وذكر ابنُ الهَبَّارية في «فلك المعاني» عن الطائيِّ قال:][١] دخلتُ على أبي نُواس وهو مريض، فقلت: كيف تَجِدُك؟ فقال: [من الخفيف]

كلُّ يوم يَمُرُّ يأخذُ بعضي ... يُورث القلبَ حَسْرةً ثم يَمضي
نفسِ كُفِّي عن المعاصي وتوبي ... ما الخطايا على العباد بفَرْض[٢]

[وذكر ابنُ الهَبَّارية أيضاً عن الطائيِّ قال:][٣] جاءتني رُقْعةٌ من أبي نواسٍ مع رسوله يوم مماتِه، وقال: أَدرِكْه وإلَّا فاقرأ هذه على إخوانه. [قال:] فخرجتُ وإذا بجنازته، فقرأت الرُّقعة، فإذا فيها: [من الخفيف]

شِعْرُ مَيْتٍ أتاك من لَفْظ حيٍّ ... صار بين الحياةِ والموتِ وَقْفا
أنحَلَتْه يَدُ الحوادث حتى ... كاد عن أعيُن الحوادث يَخْفى
لو تأمَّلْتَني لتَنْظُرَ حالي ... لم تَجدْ من سُطور وَجْهيَ حَرْفا
ولَرَددْتَ طَرفَ عَيْنك فيمن ... دَرَسَتْه الأسقامُ حتى تعفَّا[٤]

(١) في (خ): وقال الطائي، وما بين حاصرتين من (ب).
(٢) البيتان ليسا في الديوان، وهما -باختلاف في الرواية- في الأمالي ٣/ ٢٢٢، والبيت الأول في الرسالة القشيرية ١/ ٢٥، دون نسبة عندهما.
(٣) في (خ): وقال الطائي أيضاً.
(٤) الديوان ص٤٣٣ باختلاف في الألفاظ.

وقال [الخطيبُ[١] بإسناده عن] محمَّد بنِ نافع [قال]: كان أبو نواسٍ صديقاً لي، فوقعت بيني وبينه هجرةٌ في آخر عمره، ثم بلغتني وفاتهُ، فتضاعف عليَّ الحُزْن، فبينا أنا بين النائمِ واليقظان، إذا أنا به، فقلت: أبو نُواس؟ قال: لاتَ حينَ كُنية، قلت: الحسنُ بن هانئ؟ قال: نعم، قلت: ما فعل اللهُ بك؟ قال: غفر لي بأبياتٍ قلتُها، وهي تحت وسادتي، قال: فأتيت أهلَه، فلما أَحسُّوا بي أجْهَشوا بالبكاء، فقلت لهم: هل قال أخي شِعراً قبل موته؟ قالوا: لا نعلم، إلَّا أنَّه دعا بدَواةٍ وقِرْطاسٍ وكتب شيئاً لا ندري ماهو [قال:] فرفعتُ وسادتَهَ، فإذا برُقعةٍ فيها مكتوب: [من الكامل]

يـا ربِّ إن عَـظُـمَـتْ ذنـوبـي كَـثْـرةً ... فـلـقـد عـلـمـتُ بـأنَّ عَـفْـوَك أعـظـمُ
إنْ كـان لا يَـرجـوك إلَّا مُـحْـسـنٌ ... فـمَـن الـذي يَـدعـو ويَـرجـو الـمُـجْـرم
أدعـوك ربِّ كـمـا أمَـرْتَ تَـضَـرُّعـاً ... فـإذا رَدَدْتَ يـدي فـمَـن ذا يَـرْحَـم
مـالـي إلـيـك وَسـيـلَـةٌ إلا الـرَّجـا ... وجَـمـيـلُ عَـفـوِك ثـم أَنِّـي مُـسْـلِـم[٢]

وقال أحمد بنُ هارون: رُئي أبو نواسٍ في المنام، فقيل له: ما فعل اللهُ بك؟ فقال: غفر لي بأبيات، وهي: [من الوافر]

تـأمَّـلْ فـي نـبـات الأرضِ وانـظـرْ ... إلـى آثـار مـا صَـنَـع الـمَـلـيـكُ
عـيـونٍ مـن لُـجَـيْـنٍ نـاظِـراتٍ ... بـأحـداقٍ لـهـا الـذَّهـبُ الـسَّـبـيـك
عـلـى قُـضُـبِ الـزُّمُـرُّد شـاهـداتٍ ... بـأنَّ اللهَ لـيـس لـه شـريـك[٣]

أسند أبو نُواس الحديثَ عن حَمَّاد بنِ زيد [ومعتمر بنِ سليمانَ وعبدِ الواحد بن زيادٍ[٤] ويحيى بن سعيد القطَّان] وغيرهم[٥]، غيرَ أنه ضيَّع ذلك بهنَاته.

[وحدَّثنا غيرُ واحدٍ عن أبي القاسم إسماعيلَ بن أحمدَ السَّمَرْقَنْدي بإسناده عن] محمَّد بنِ إبراهيمَ بنِ كثير [قال:][٦] دخلنا على أبي نُواسٍ في مرض موته، فقلنا له:

(١) في تاريخه ٨/ ٤٩١-٤٩٢، وما بين حاصرتين من (ب).
(٢) الديوان ص٥٨٧.
(٣) تاريخ دمشق ٤/ ٦٣٩ .
(٤) في (ب): زيد، والمثبت من تاريخ بغداد ٨/ ٤٧٥ .
(٥) في (خ): حماد بن زيد وغيره.
(٦) في (خ): وقال محمد بن إبراهيم بن كثير، والخبر في تاريخ بغداد ٢/ ٢٨٣، ٢٨٤، والمنتظم ١٠/ ١٧.

هذا آخرُ أيامك من الدنيا، وبينك وبين اللهِ هَنَات، فتُبْ منها، فقال: إيَّاي تُخَوِّفون بالله، أَسنِدوني، فأسندوه، فقال: حدَّثنا حمَّاد بن سلمة، عن يزيدَ الرَّقَاشي(١)، عن أنس بنِ مالكٍ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «ادَّخرتُ شفاعتي لأهل الكبائرِ من أُمَّتي» أَفتراني لا أكون منهم!

[قلت: وقد ضعَّفه الخطيبُ فقال: لم يروِه عن محمَّد بنِ إبراهيمَ غيُر إسماعيلَ بن عليٍّ الخزاعي، وكان غيَر ثقة(٢).

قال الخطيب:] ودُفن بمقابر الشُّونيزية [غربي بغداد بتلِّ اليهود](٣). وسنُّه أربعٌ وستُّون سنة، وقيل: تسع وخمسون سنة، رحمة الله عليه(٤).

مَعْروفٌ الكَرْخيّ(٥)

اختلفوا في نسبه فقال الخطيبُ: هو معروف بن الفَيْرُزان. وقيل: فَيْروز. وقيل: عليّ. وقال ابنُ خَميس في «مناقب الأبرار»: هو معروف بنُ فيروز. وقيل: ابن مرزان(٦). وقيل: ابن علي. ويُنسب إلى كَرْخ بغداد، وقبره معروفٌ يُزار إلى اليوم، ويقال له: كرخ باجَدًّا.

(١) الصواب: ثابت البناني، كما في تاريخ بغداد ٢/ ٢٨٤، والمنتظم ١٠/ ١٧، ويزيد الرقاشي راوي الحديث الذي قبله في المصدرين، وهو بالإسناد ذاته.

(٢) والحديث صحيح من طرق أخرى عن أنس ﷺ، كما في سنن أبي داود (٤٧٣٩) والترمذي (٢٤٣٥) ومسند أحمد (١٢٣٧٦) و (١٣٢٢٢)، وله شواهد.

(٣) تاريخ بغداد ٨/ ٤٩١، والمنتظم ١٠/ ٢٠.

(٤) في (ب): واختلفوا في سنه، فقال الخطيب: أربعة وستون سنة لأنه ولد سنة ست وثلاثين ومئة. قال جدي رحمه الله في المنتظم: وكان عمره تسعاً وخمسين سنة، هذا على تصحيح مولده، وقد ذكرناه. اهـ.
قلت: هذا الذي نقله عن الخطيب يخالفه ما في تاريخه ٨/ ٤٩١ فإنه قال: وكان عمره تسعاً وخمسين سنة، فجعله قولاً لابن الجوزي، وابن الجوزي إنما ينقل جُلّ تراجمه عن الخطيب، وانظر المنتظم ١٠/ ٢٠. وهذا ما جعلني أثبت سياق (خ)، وإن كان في (ب) زيادات مفيدة إلا أن الأوهام فيها كثيرة هذا أحدها.

(٥) طبقات الصوفية ٨٣، حلية الأولياء ٨/ ٣٦٠، تاريخ بغداد ١٥/ ٢٦٣، المنتظم ١٠/ ٨٨، صفة الصفوة ٢/ ٣١٨، مناقب الأبرار ١/ ١٢٠، تاريخ الإسلام ٤/ ١٢١٠، السير ٩/ ٣٣٩.

(٦) كذا في (ب)، وفي مناقب الأبرار ١/ ١٢٠: الفيرزان، وهو الصحيح.

وحكى الخطيبُ[١] عن محمَّد بن رِزْقٍ قال: سمعت أبا بكرٍ محمَّد بن الحسن النقَّاش المُقرئ، وسئل عن معروفٍ الكرخي فقال: سمعت إدريسَ بن عبد الكريمِ يقول: هو معروف بن الفَيْرُزان، وبيني وبينه قرابة، وكان أبوه صابئاً من أهل نهربان من قرى واسط، وكان في صغره يصلِّي بالصِّبيان ويعرض على أبيه الإسلامَ فيصيح عليه.

واختلفوا في كُنية معروفٍ على قولين: أحدهما: أبو مَحْفوظ، حكى بعضُ الأشياخ قال: خطر لي يوماً اسمُ معروف وكُنيته، فأخذني الطَّربُ وقلت: زِه[٢]، أبو محفوظ معروف، جُمع له بينهما.

والثاني: كُنيته أبو الحسن، ذكره الخطيب][٣]

[ذكر طرف من أخباره:

حكى عبدُ الكريم بن هَوازن القُشَيريُّ عن أبيه[٤]، عن أبي [عليٍّ][٥] الدَّقَّاق قال: كان معروفٌ أبواه نصرانيان، فسلَّما معروفاً إلى المؤدِّب وهو صبي، فكان يقول له: قل: ثالث ثلاثة، فيقول معروف: بل هو واحد، فضربه المعلِّم يوماً ضرباً مُبَرِّحاً، فهرب معروف، فكان أبواه يقولان: ليته يرجع إلينا على أيِّ دِينٍ شاء فنوافقَه عليه. ثم إنَّه أسلم على يد عليِّ بن موسى الرِّضا، ورجع إلى منزله، فدقَّ الباب، فقيل: مَن بالباب؟ فقال: معروف، فقالوا: على أيِّ دين؟ فقال على الدين الحَنيفي، فأسلم أبواه.

وحكى عليُّ بن عبدِ الله ابن جَهْضَمٍ الصُّوفيُّ، عن أحمد بنِ عطاء، عن أبي صالح] عبد الله بن صالح قال[٦]: كان أبو محفوظٍ معروف قد باداه اللهُ بالاجتباءِ في حال

---

(١) في تاريخه ١٥/ ٢٦٤-٢٦٥.

(٢) كلمة فارسية تستعمل للاستحسان. المعجم الذهبي ص٣١٨.

(٣) في (خ): معروف بن الفيرواني الكرخي، ينسب إلى كرخ بغداد، وكنيته أبو محفوظ، وقيل أبو الحسن، وقال بعض الأشياخ . . . جمع له بينهما. والمثبت من (ب).

(٤) كذا في (ب)، وهو وهم، فالقشيري يحدث عن أبي علي الدقاق شيخه مباشرة، لا عن أبيه. انظر الرسالة القشيرية ١/ ٨٠.

(٥) ما بين حاصرتين من الرسالة القشيرية.

(٦) في (خ): وقال عبد الله بن صالح، والمثبت من (ب).

الصِّبا. يُذكر أنَّ عيسى أخاه قال: كنت أنا وأخي معروفٌ في الكُتَّاب، وكنَّا نصارى، وكان المعلِّم يعلم الصِّبيان: أب وابن، فيصيح أخي معروف: أَحَدٌ أحد، فيضربه المعلِّم على ذلك ضَرْباً شديداً، فهرب على وجهه، فكانت أمُّه تبكي وتقول: لئن ردَّ اللهُ عليَّ ابني معروفاً لأتبعنَّه على أيِّ دين كان، فقدم عليها معروفٌ بعد سنينَ كثيرة، فقالت: يابُني، على أيِّ دينٍ أنت؟ قال: دينِ الإسلام، فقالت: وأنا أشهد أن لا إلهَ إلَّا اللهُ وأشهد أنَّ محمَّداً رسولُ الله ﷺ، فأسلمت أمِّي وأسلمنا كلنا(١).

[وقال ابنُ خميس في «المناقب»: كان معروفٌ] من جِلَّة(٢) مشايخهم وقدمائهم، والمشهورين بالزُّهد والورعِ والفتوَّة، مجابَ الدَّعوة، يُستسقى بقبره، ويقول البغداديون: قبرُه الدِّرْياق المُجَرَّب(٣) [قال: وهو من موالي عليِّ بن موسى الرضا، وذكر إسلامَه وأنَّ المعلِّم ضربه فهرب إلى عليِّ بن موسى الرِّضا فأسلم على يديه.

وقال السُّلمي:](٤) كان من العارفين بالله، المحبِّين له [وكان] صاحبَ كرامات وآيات، ذُكر عنده القرآنُ فقال: واغوثاه بالله [العظيم] القرآنُ كلام اللهِ غير مخلوق.

[ذِكر ثناءِ العلماءِ عليه:

روى الخطيبُ بإسناده عن] إسماعيلَ بن شدَّاد قال(٥): قال لنا سفيان بن عُيينة: من أين أنتم؟ قلنا: من بغداد، قال: ما فعل ذلك الحَبْرُ الذي فيكم؟ قلنا: مَن هو؟ قال: أبو محفوظٍ معروف، قلنا: بخير، [قال:] لا يزال أهلُ تلك المدينةِ بخير ما بقي فيهم.

[وروى ابنُ باكُويه الشيرازيُّ قال:](٦) ذُكر معروفٌ عند الإمام أحمدَ رحمه الله،

---

(١) بعدها في (خ): وكان أسلم على يد علي بن موسى الرضا. وقد مر ذكر ذلك من (ب) في الخبر السابق.

(٢) في (خ): وكان من جلة، وانظر مناقب الأبرار ١/ ١٢٠.

(٣) الدرياق والترياق واحد. وقد علق الذهبي رحمه الله على هذا في السير ٩/ ٣٤٣-٣٤٤ فقال: يريد -أي إبراهيم الحربي المنقول عنه هذا الكلام- إجابة دعاء المضطر عنده، لأن البقاع المباركة يستجاب عندها الدعاء، كما أن الدعاء في السَّحر مرجو، ودبر المكتوبات، وفي المساجد، بل دعاء المضطر مجاب في أي مكان اتفق، اللهم إني مضطر إلى العفو فاعفُ عني. اهـ. وانظر تاريخ الإسلام ٤/ ١٢١٣.

(٤) ما بين حاصرتين من (ب)، ولم نقف على كلام السلمي في طبقاته.

(٥) تاريخ بغداد ١٥/ ٢٦٦، وفي (خ): وقال إسماعيل بن شداد ...

(٦) ما بين حاصرتين من (ب).

فقال واحدٌ من الجماعة: هو قصيرُ العلم [قال عبدُ الله بن أحمدَ بنِ حنبل: فقال له والدي:](١) أَمسِك عافاك اللهُ، وهل يراد بالعلم إلَّا ما وصل إليه معروف! [ورواه الخطيب(٢) عن عبد اللهِ بن الإمام أحمدَ رحمه الله قال: قلت لأبي: هل كان مع معروفٍ شيءٌ من العلم؟ فقال: كان معه رأسُ العلم، خشيةُ الله تعالى.

[وروى أبو الحسين بن عمرَ القزوينيُّ قال:](٣) قيل لِبشر: إنَّ معروفاً يحضر الولائمَ ويأكل الطيِّباتِ ويقول: أنا ضيف، من أيِّ شيءٍ أطعمني أكلت، فقال بِشر: أعرف رجلاً يشتهي باذنجانةً من كذا وكذا سنة، ثم قال: أخي معروفٌ يأكل ببسط المعرفة، وأنا أترك بقبض الورع.

[وروى الخطيبُ بإسناده عن عبد الوهاب الورَّاق وقيل له:](٤) إنَّ معروفاً يمشي على الماء، فقال: لو قيل لي: إنَّه يمشي في الهواء لصدَّقت.

وقال زيد الحِمْيَري(٥): قال لي ثوبانُ الراهب: أَرِني معروفَكم هذا الذي تذكرون من فضله، فذهبنا إلى معروف، فلقيناه قد نزل من مسجده، فسلَّمت عليه وقلت: إنَّ ثوبانَ جاء ليسلِّمَ عليك، فقال له معروف: كيف تجدون الإسلامَ عندكم؟ قال: عظيماً، قال معروف: أيُّها الراهب، هو عند اللهِ أعظم، ثم قرأ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ [آل عمران: ١٩] الآيةَ، ثم قال: أيُّها الراهب، أَسلم، فإنَّ لك حقًّا، نقلتَ قدميك إلينا، فبكى الراهب ثم قال: قد وقع كلامُك في قلبي، ثم سلَّم وانصرفنا، ثم قال لي الراهبُ: يا زيد، ما أرى أنَّ في الدنيا مثلَ هذا، لو دعاني بكلمةٍ أخرى لأسلمت.

[ذِكر زيارة الأئمَّة له والتبرُّكِ بدعائه:

قد كان جماعةٌ من الأئمة والزهَّاد يتباركون بزيارته، منهم أحمد بنُ حنبلٍ ويحيى بن

---

(١) في (خ): فقال الإمام أحمد رحمه الله ...

(٢) ذكره في تاريخه ١/ ٢٦٦ دون إسناد. وفي (خ): وقال عبد الله بن الإمام أحمد رحمه الله ...

(٣) ما بين حاصرتين من (ب).

(٤) في (خ): وقيل لعبد الوهاب ...، والخبر في تاريخ بغداد ١٥/ ٢٧٢-٢٧٣.

(٥) في (ب): وروى الخطيب عن زيد الحميري قال، والمثبت من (خ)، ولم أقف عليه في ترجمته من تاريخ بغداد.

مَعين وبِشر الحافي وغيرُهم، وروى الخطيبُ[(١)] بإسناده إلى إدريسَ بنِ عبد الكريم قال:] جاء الإمام أحمدُ بن حنبلٍ رحمةُ الله عليه ويحيى بنُ معين يكتبان عنه، فقال ابن معينٍ للإمام أحمد: أريد أن أسألَه عن مسألة، فقال له أحمد: دَعْه، فسأله عن سجدتي السَّهو، فقال له معروف: عقوبةٌ للقلب، لِمَ اشتغل وغفل عن الصلاة؟ فقال له الإمامُ أحمد: خذها في كيسك، فإنَّه ليس من علمك ولا علمِ أصحابك.

[وفي رواية:][(٢)] قال له ابنُ معين: ما تقول فيمن نسي سجدتي السَّهوِ في الصلاة؟ قال: يعيد الصلاة، قال: ولم؟ قال: لأنه قلبٌ غفل عن الله، فقال ابنُ معينٍ للإمام أحمد: أكذا؟ قال: نعم، لقد أجابك بجواب الجواب[(٣)].

[ذكر نبذة من زهده وإيثاره:

روى ابن باكُويه الشيرازيُّ عن] ابن أختِ معروفٍ قال[(٤)]: قلت لخالي معروف: أراك تجيب كلَّ مَن دعاك! فقال: يا بُنيّ، إنما خالُك ضيفٌ ينزل حيث نزل.

[وروى أبو نُعيم عنه أنَّه قال:][(٥)] ما أبالي امرأةً لقيت أم حائطاً. وكان يؤْثِر بما يفتح به عليه ولا يدَّخر شيئاً. و[كان] يقول: أعوذ بالله من طول الأمل.

[قال:][(٦)] وأراق الماءَ يوماً وهو قريبٌ من دجلةَ فاستجمر[(٧)]، فقيل له: الماءُ قريبٌ منك! فقال: لَعلِّي لا أعيش حتى أصلَ إلى الماء.

[وروى أبو نُعيم أنَّه[(٨)]] كان يعاتب نفسَه ويقول: يا مسكين، كم تبكي! أَخلِصْ وتَخلص. [وفي رواية: وكان يضرب نفسَه ويقول: يا نفس، كم تبكين! أَخلِصي

(١) في تاريخه ١٥/ ٢٦٤-٢٦٥ . وما بين حاصرتين من (ب).

(٢) ما بين حاصرتين من (ب).

(٣) رواية القصة في (ب): ... قال: يعيد الصلاة، ولو سها في سجود السهو لا سهو عليه. لأن تكرار السهو في صلاة واحدة غير مشروع. وروى عن الكسائي أنه سأل محمداً عن هذا فقال له محمداً: معك [من] العربية مثله، قال: في أي مكان؟! قال: في باب الصغير لا يصغر. اهـ.

(٤) في (خ): وقال ابن أخت معروف.

(٥) في (خ): وقال معروف. والكلام في حلية الأولياء ٨/ ٣٦٦ .

(٦) ما بين حاصرتين من (ب).

(٧) في حلية الأولياء ٨/ ٣٦٤، قصد معروف الكرخي على شط الدجلة فتيمم.

(٨) في الحلية ٨/ ٣٦٧، وما بين حاصرتين من (ب).

وتخلَّصي[١].

وروى الخطيبُ[٢] عن عيسى أخي معروفٍ قال:] سأل رجلٌ معروفاً فقال: كيف تصوم؟ فقال: كان عيسى عليه السلامُ يصوم كذا وكذا، [قال: أَخبِرني عن صومك، قال: كان داودُ عليه السلام يصوم كذا وكذا][٣] قال: أَخبِرني عن صومك، قال: كان رسولُ اللهِ ﷺ يصوم كذا وكذا، قال: أَخبِرني عن صومك، قال: أمَّا أنا، فأُصبح الدهرَ كلَّه صائماً، فإن دُعيتُ إلى طعامٍ أَكلت ولم أقل: إنِّي صائم.

[وقال أبو نُعيم[٤]: كان الحجَّام يأخذ شارب معروفٍ وهو يسبِّح، فقال له الحجَّام: لا يتهيَّأ الأخذُ من شاربك وأنت تسبِّح، فقال معروف: أتعمل أنت وأبطل أنا؟!

ذِكر جملةٍ من كلامه ومواعظه وما أَنشد من الشِّعر:

روى ابنُ أبي الدنيا [عن] عَمرو[٥] بن موسى: قال: سمعت معروفاً] وذُكر عنده رجلٌ فجعل رجلٌ يغتابه، فقال له معروف: اذكر القطنَ إذا وضعوه على عينيك. وجعل يردِّده.

[وقال عليُّ بن الموفَّق: سمعت معروفاً يقول:][٦] إنَّ الله لَيبتلي العبد، فيجتمع إليه القوم، فيشكو إليهم، فيقول اللهُ تعالى: عبدي ما ابتليتُك إلا لأغسلَك من الخطايا، فلا تشكوني.

[قال:][٧] وقال: إنَّ لله عباداً إذا أقبلت الدنيا عليهم قالوا: ذنب عُجِّلت عقوبته، وإذا أدبرت قالوا: مرحباً بشعار الصالحين.

و[قال السُّلمي:] قال [معروف:] اِحفظ لسانَك من المدح كما تحفظه من الذَّمّ.

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب).

(٢) في تاريخه ١٥/ ٢٦٧-٢٦٨، وما بين حاصرتين من (ب).

(٣) ما بين حاصرتين من (ب) وهو الموافق لما في تاريخ بغداد.

(٤) في الحلية ٨/ ٣٦٢. وما بين حاصرتين من (ب).

(٥) في (ب): عمر، والمثبت من صفة الصفوة ٢/ ٣٢٠. ورواه أبو نعيم ٨/ ٣٦٤ عن موسى بن إبراهيم. ولفظة: عن، ساقطة من (ب).

(٦) في (خ): وقال معروف.

(٧) ما بين حاصرتين من (ب).

و[قال الخطيب:] قال [معروف:] النظرُ إلى المصحف وإلى الوالدين والقعودُ في المسجد عبادة. و[قال أبو نُعيم] : قال [معروف] ما أكثرَ الصالحين وأقلَّ الصادقين فيهم!

و[قال السُّلمي:][1] قال [معروف:] قلوبُ الصالحين تُزهر بالتقوى وتُسرج بالبِر، وقلوب الفجَّار تُظلم بالفجور وتَعمى بسوء النيَّة.

[وقال ابنُ جَهضَم: قيل لمعروف:][2] بأيِّ شيءٍ قدر القومُ على الطاعة لله تعالى؟ فقال: بخروج الدنيا من قلوبهم، ولو كانت في قلوبهم لَمَا صحَّت لهم سجدة.

وقال [السَّري: سمعت معروفاً يقول][3]: مَن كابر اللهَ صرعه، ومَن نازعه قمعه، ومَن ماكره خدعه، ومَن توكَّل عليه منعه، ومن تواضع له رفعه.

[وروى أبو نُعيم[4] عن يعقوبَ بنِ أخي معروف قال: سمعت عمِّي معروفاً يقول:][5] كلامُ العبد فيما لا يعنيه خِذلانٌ من الله[6]، ورجاؤك لمن لا يطيعه خذلان وحُمق. وقال: إذا أراد اللهُ بعبدٍ خيراً استعمله في الطاعة وأسكنه بين الفقراء، وإذا أراد به غيرَ ذلك منعه العمل، وابتلاه بالجدال، وأسكنه بين الإغنياء.

وقيل له: ما يُخرج الدنيا من القلب؟ فقال: صفاءُ الودِّ وحُسن المعاملة.

وجاءه رجلٌ فقال: قد بنيتُ داراً، وأحبُّ أن تدخلَها وتدعوَ لي بالبركة، فجاء فدخلها وقال: يا أخي، ما أحسنَها! ولكن ما يَدَعونك فيها.

[وروى ابنُ باكويه عن] القاسم بنِ محمد البغداديِّ قال[7]: كنت جارَ معروف، فسمعته ليلةً في السَّحَر يَنوح ويبكي ويُنشد: [من الخفيف]

---

(١) في طبقاته ص٩٠، وما بين حاصرتين من (ب).

(٢) في (خ): وقيل له.

(٣) ما بين حاصرتين من (ب).

(٤) في الحلية ٨/ ٣٦١.

(٥) في (خ): وقال ...

(٦) هنا ينتهي كلام معروف في الحلية، وفي طبقات الحنابلة ١/ ٣٨٣، والسير ٩/ ٣٤١ أيضاً.

(٧) في (خ): وقال القاسم بن محمد البغدادي.

أيَّ شـيءٍ تُـريـد مـنـي الـذُّنـوبُ ... عَـلِـقـت بـي فـلـيـس عـنـي تـغـيـبُ
مـا يَـضُـرُّ الـذنـوبَ لـو أعـتَـقَـتْـنـي ... رحـمـةً لـي فـقـد عَـلانـي الـمَـشـيـب[(١)]

وكان يتمثَّل دائماً ويقول: [من الخفيف]

لـيـس مَـن مـات فـاسـتـراح بـمـيْـتٍ ... إنَّـمـا الـمَـيْـت مـيِّـت الأحـيـاءِ

وهذا البيت لعَديِّ بن الرَّعلاءِ المازني، من أبيات، منها:

إنَّـمـا الـمَـيْـت مـن يـعـيـش ذلـيـلاً ... كـاسـفـاً بـالُـه قـلـيـل الـرَّجـاءِ
فـأُنـاسٌ يـمـصِّـصـون ثِـمـاراً ... وأُنـاس حـلـوقُـهـمْ فـي الـمـاء[(٢)]

ودخل عليه رجلٌ وهو يدور حول ساريةِ المسجد ويقول: [من مجزوء الرمل]

يـا حـبـيـبـي يـا حـبـيـبـي ... مَـن حـبـيـبـي أنـت تـدري[(٣)]

فقال له: علِّمني المحبَّة [فقال: هذا ما يجيءُ بالتعليم. وفي رواية][(٤)] فقال له: المحبَّة ليست من تعليم الخلق، وإنَّما هي من مواهب الحقّ.

وقال له رجل: أَوصِني، فقال: توكَّل على الله حتى يكونَ هو معلِّمَك ومؤنسَك وموضعَ شكواك؛ فإنَّ الناس لا ينفعونك ولا يضرُّونك.

وقال معروف: وجدتُ في بعض الكتب: يقول اللهُ تبارك وتعالى: يا ابن آدم، ما أجسَرك! تسألني فأمنعك، لعلمي بما يُصلحك، ثم تُلحُّ عليَّ في السؤال، فأجود عليك بكرمي، وأعطيك ما سألتني، فتستعين به على معصيتي، فأَهُمُّ بهتك سِترك [فتسألني] فأستر عليك، فكم من سترٍ جميلٍ أصنعه معك، وكم من قبيحٍ تعمله معي! يوشك أن

---

(١) صفة الصفوة ٢/ ٣٢١، وطبقات الأولياء ص٢٨٣.

(٢) الأصمعيات ص١٥٢، ومعجم المرزباني ص٨٦، والخزانة ٩/ ٥٨٣، ٥٨٥. ولم يذكر الأصمعي البيت الأخير.

(٣) لم نقف عليه، وفي صفة الصفوة ٤/ ٤١٧: عن ذي النون المصري قال: كنت في الطواف، فسمعت صوتاً حزيناً، وإذا أنا بجارية متعلقة بأستار الكعبة وهي تقول:

أنـت تـدري يـا حـبـيـبـي ... مـن حـبـيـبـي أنـت تـدري
ونـحـول الـجـسـم والـدمـ ... ـع يـبـوحـان بـسـري
يـا عـزيـزي قـد كـتـمـت الـ ... ـحـب حـتـى ضـاق صـدري

(٤) ما بين حاصرتين من (ب).

أغضبَ عليك غضبةً لا أرضى عليك بعدها أبداً. [والله أعلم.

ذِكر بعضِ كراماته:

روى الخطيبُ[١] عن] ابن شيرويه قال: كنت أجالس معروفاً كثيراً، فلمَّا كان ذات يومٍ قلت له: يا أبا محفوظ، بلغني أنَّك تمشي على الماء! فقال: ما فعلته قطّ، ولكن إذا هممت بالعبور، يُجمع لي طرفاها فأتخطَّاها. يعني دِجلة. وقيل له: إنَّك تمشي على الماء! فقال: هذا الماءُ وها أنا. وإنَّما أراد المعاريض.

وقال [الخطيبُ[٢] عن] محمد بنِ منصور [قال]: كنت عند معروفٍ يوماً، وجئته من الغد وإذا في وجهه أَثَر، فقلت: يا أبا محفوظ، كنت عندك أمسِ وما بك هذا الأثر، فما هذا؟! فقال: سَلْ عما يعنيك، فقلت له: بالله ما سببُه؟! فقال: ويحك، ما دعاك على أن تُقسمَ عليَّ بالله، وتغيَّر وجهه، ثم قال: صلَّيت البارحةَ ها هنا وأردت أن أطوفَ بالبيت، فمضيت إلى مكَّة، فطُفت، ثم مِلت إلى زمزمَ لأشربَ من مائها، فزلقت على الباب، فأصاب وجهي هذا.

[وروى الخطيبُ عن] الفضل بنِ محمد الرَّقاشي [قال][٣]: دخلتُ يوماً على معروفٍ وهو يبكي، فقلت: ما يبكيك؟! قال: ذهب الإخوان، وشحَّ الناس على الدنيا ونسُوا الآخرة. ثم قام ومشى، ومشيت معه إلى دكَّان أخيه، فسلَّم عليه وقعد، وكان أخوه دقَّاقاً، فقال له أخوه: اِجلس ساعة؛ فإنَّ لي شغلاً، وقام أخوه وذهب في حاجته، فرأى معروفٌ الصبيانَ والأرامل والضعفاءَ جلوساً، فأخذ يفرِّق عليهم الدقيقَ إلى أن نظَّف الدكان، وجاء أخوه فصاح وقال: أَفقرتَني، فقام معروفٌ ورجع إلى مسجده، ففتح أخوه الصُّندوق، فإذا هو مملوءٌ دراهم، فوزنها وإذا هو قد ربح لكلِّ درهمٍ سبعين، فقام يعدو إلى معروف، فقال: يا أخي، تجيءُ غداً إلى دكاني ساعة؟ فقال: هذا لا يجيء على التجربة[٤].

---

(١) في تاريخه ١٥/ ٢٧٢ . وفي (خ): وقال ابن شيرويه.

(٢) في تاريخه ١٥/ ٢٦٧ . وما بين حاصرتين من (ب).

(٣) في (خ): وقال الفضل بن محمد الرقاشي. ولم نقف على الكلام في تاريخ الخطيب البغدادي.

(٤) بعدها في (ب): ولا كرامة.

[وروي أنه استأذن أخاه في الدقيق وأن يتصدق به، ولما قال له: أريد أن أذهب في حاجة، اقعد مكاني. قال: على شرط ألا أمنع سائلاً، وأن أخاه اغتم، فقال له معروف: لا تغتم، فإن ثمن دقيقك في صندوق.

وروى الخطيبُ[(١)] عن] أبي العباس المؤدِّب قال: حدَّثني جارٌ لي هاشميٌّ بسوق يحيى، وكانت حالُه رقيقة، فقال: وُلد لي مولودٌ وليس عندنا شيء، فقالت زوجتي: لا بدَّ من قيام الصورة[(٢)]، ومن شيءٍ أتغذَّى به، ولا صبرَ لي على هذا. فخرجت بعد العشاءِ إلى بقَّال كنت أعامله، فعرَّفته حالي، وكان له عليَّ دَين، فلم يعطني شيئاً، ثم صِرت إلى آخَر، فلم يعطني شيئاً، فبقيت متحيِّراً لا أدري أين أتوجَّه، فصرت إلى دِجلة، وإذا بملَّاح ينادي: فُرضة عثمان، قصر عيسى. فصحت به، فقرب إلى الشطّ، فنزلت معه، فقال: أين تريد؟ فقلت: لا أدري، وقصصتُ عليه قصتي، فقال: لا تغتمّ، أنا أحملك إلى بُغيتك إن شاء اللهُ تعالى.

فوصلنا إلى مسجد معروف، فقال: ادخل وقصَّ عليه حالَك وسله أن يدعوَ لك، قال: فدخلنا المسجد، وإذا معروفٌ يصلي، فسلَّمت وصليت ركعتين، فسلَّم وقال: مَن أنت يرحمك الله؟ قلت: من سوق يحيى، وقصصت عليه قصَّتي، فسمع ذلك وقام يصلِّي، ومطرت السماءُ مطراً كثيراً، فاغتممت وقلت: كيف جئتُ إلى هاهنا ومنزلي بعيد! واشتغل قلبي. قال: فبينا أنا كذلك، إذ سمعت وَقْعَ حافرِ دابة، فقلت: في هذا الوقتِ من الليل! فدخل المسجدَ رجلٌ وسلَّم على معروف، فقال: مَن أنت؟ فقال: يسلِّم عليك فلان، ويقول: إني بتُّ الليلةَ أتقلَّب في نعم الله، فشكرتُ [الله][(٣)] وقد بعثت إليك بخمس مئةِ دينارٍ تدفعها إلى مستحقِّها، فقال: ادفعها إلى ذاك الرجل، فقال: إنها خمسُ مئةِ دينار! فقال: هكذا طلبنا له، فدفعها إليّ، فأخذتها ومضيت بها إلى سوق يحيى، فطرقت على البقَّال، فخرج إليّ، فقلت: هذه خمسُ مئة دينار، قد فتح اللهُ لي بها. وأوفيتُه ما كان له عندي، فأخذت عسلاً ودقيقاً وشَيْرجاً وما أحتاج

(١) في تاريخه ١٥/ ٢٦٨-٢٦٩ . وفي (خ): وقال أبو العباس المؤدب.

(٢) في تاريخ بغداد: هو ذا ترى حالي وصورتي.

(٣) ما بين حاصرتين من (ب).

إليه، وجئت إلى منزلي والبابُ مفتوح، وزوجتي قد كادت تتلف من الضَّعف، فقلت: هذا عسلٌ وما تحتاجين إليه، ولم أُعلمها بالدنانير، واشترينا بها عقاراً، فنحن نستغلُّه إلى اليوم، ونعيش فيه ببركة معروف [وفي رواية: فبكت المرأةُ وقالت: اللهمَّ لا تنس لمعروفٍ هذا.

وفي رواية الخطيبِ أيضاً][(١)] جاء رجلٌ إلى معروفٍ فقال له: وُلد لي البارحةَ مولود، وليس عندي شيء، فقال: اقعدْ وقلْ مئةَ مرة: ما شاء اللهُ كان، فقالها الرجل، فقال له: قل مرةً أخرى، فقالها، ففعل ذلك خمسَ مرات، فلمَّا استوفاها، إذا بخادم زبيدةَ أمِّ جعفرٍ قد دخل ومعه صُرَّة، فقال: ستُّنا تسلِّم عليك وتقول: ادفع هذه الصُّرَّةَ إلى قومٍ مساكين، فقال: ادفعها إلى ذاك الرجل، فقال يا أبا محفوظ، إنَّها خمسُ مئة دينار! فقال: قد قال خمسَ مئة مرة: ما شاء اللهُ كان، ثم قال للرجل: لو زدتنا لزدناك.

[وروى الخطيب[(٢)] عن] خليلٍ الصياد قال[(٣)]: غاب ابني إلى الأنبار، فوَجَدَتْ أمُّه وَجْداً شديداً، فأتيتُ معروفاً فأخبرته، فقال: فما تريد؟ فقلت: ادعُ اللهَ أن يردَّه عليها، فقال: اللهم إنَّ السماءَ سماؤك، وإنَّ الأرضَ أرضك، وما بينهما لك، فأْتِ به. قال خليل: فأتيت بابَ الشام، وإذا بابني قائمٌ مُنْبَهِر، فقلت: محمد! قال: نعم، قلت: مالَكَ؟! قال: الساعةَ كنت بالأنبار.

[وروى أبو نُعيم[(٤)] عن] يعقوبَ بنِ أخي معروف قال[(٥)]: قال لي عمِّي معروف: إذا كانت لك إلى الله حاجةٌ فأَقسِم عليه بي. [وكذا روى سَرِيٌّ السَّقَطي عنه[(٦)].

وروى ابن ناصرٍ بإسناده إلى] رَوح المُقرئ قال[(٧)]: نزل معروفٌ الماءَ ليتوضأ، ووضع ثوبَه ومصحفه، فجاءت امرأةٌ فأخذتهما، فتبعها يقول: يا أختي، تُحسنين

(١) في (خ): وقال الخطيب.
(٢) في تاريخه ١٥/ ٢٧٣ .
(٣) في (خ): وقال خليل الصياد.
(٤) في الحلية ٨/ ٣٦٤ .
(٥) في (خ): وقال يعقوب بن أخي معروف.
(٦) ما بين حاصرتين من (ب).
(٧) في (خ): وقال روح المقرئ.

تقرئي؟! خذي الثوبَ وردِّي المصحف [فلمَّا رآها لا تجيبه، سعى إليها فأخذ المصحف][1] وترك الثوب.

و[روى أبو نُعيم[2] عنه أنه] اجتاز بسقَّاء يقول: رَحِمَ اللهُ مَن شرب، فشرب معروف، فقيل له: ألست صائماً؟! قال: بلى، ولكن رجوت دعاءه.

[وروى ابنُ جَهضم عنه قال: رأيت في البادية شابًّا حسنَ الوجه، له ذؤابتان، على رأسه رداءُ قصب، وعليه قميص كتَّان، وفي رجلَيه نعلان طاق، قال معروف: فعجبت منه ومن زِيِّه في ذلك المكان، فسلَّمت عليه، فرد، فقلت: من أين؟ قال: يا عمّ، من مدينة دمشق، فقلت: متى خرجتَ منها؟ قال: ضحوةَ النهار[3]، قال معروف: فازددت تعجُّبًا، وكان بينه وبين الشامِ مراحلُ كثيرة، قلت: وأين المَقْصِد؟ قال: مكَّة، فعلمت أنَّه محمول، فودَّعته ومضى، ولم أره إلَّا بعد ثلاثِ سنين، فلما كان ذلك اليومُ وأنا في منزلي أتفكَّر في أمره، إذا بداقٍّ يدقُّ الباب، فخرجت إليه، وإذا بصاحبي، فسلَّمت عليه ورحَّبت به وأدخلته المنزل، فرأيته والهاً تالفاً، عليه زُرْمانِقة[4]، حافياً حاسراً، فقلت له: ما الخبر؟ فقال: يا أستاذ، لاطَفَني حتى أدخلني الشبكةَ فرماني، فمرةً يلاطفني ومرةً يتهدَّدني، ومرة يُجيعني ومرة يُكرمني، فليته أَوقفني على بعض أسرارِ أوليائه، ثم لْيفعل ما شاء.

قال معروف: فأبكاني كلامُه، فقلت: حدِّثني بالذي فعل بك منذ فارقتني، فبكى وقال: جوَّعني ثلاثين يوماً، ثم جئتُ إلى قرية فيها مِقْثَأة، وقد نبذوا منها المُدَوِّد وطرحوه، فأقعد فآكل منه، فبصر بي صاحبُ المِقثأة، فأتى إليَّ يضربني ويقول: يا لصّ، ما خرَّب مقثأتي غيرُك، كم أنا أُبصرك[5] حتى وقعتُ بك! فبينما هو يضربني، إذا بفارسٍ أقبل مسرعاً، فقصده وقلب السَّوطَ في رأسه وجعل يضربه ويقول: يا عدوَّ الله،

(١) ما بين حاصرتين من (ب).
(٢) في الحلية ٨/ ٣٦٥. وما بين حاصرتين من (ب).
(٣) في (ب): نهار، والمثبت من تاريخ دمشق ١٩/ ٣٦٥ (مخطوط)، والتوابين ص٢٨٩.
(٤) جبة صوف. مختار الصحاح (زرمق).
(٥) في المصدرين: أرصدك.

تعمد إلى وليٍّ من أولياء اللهِ فتقول له: يا لصّ! فأخذ صاحبُ المقثأة بيدي وذهب بي إلى منزله، فما أبقى من الكرامة شيئاً إلَّا عمله معي، واستحلَّني، وجعل مِقثأتَه لله ولأصحاب معروف، قال: فقلت له: صِفْ لي معروفاً، فوصفك لي، فعرفتك بما كنتُ قد شاهدته من صفتك، قال معروف: فما استتمَّ كلامه حتى دقَّ صاحبُ المقثأة البابَ ودخل عليّ، وكان موسِراً، فأخرج جميعَ ما كان له من المال فأنفقه على الفقراء، وصحب الشابَّ سنة، ثم خرجا إلى الحجّ، فماتا بالرَّبَذة].

ذكر وفاته:

[حكى أبو نُعيم[1] عنه أنه] قال: إذا مُتُّ فتصدَّقوا بقميصي هذا، لأخرجَ من الدنيا عُرياناً كما دخلت إليها عُرياناً.

[واختلفوا في سنة وفاتِه على أقوال: أحدُها: مات سنةَ مئتين. حكاه الخطيبُ. والثاني: سنةَ إحدى ومئتين. حكاه الخطيب أيضاً، وابن خميسٍ في «مناقب الأبرار». والثالث: سنةَ أربعٍ ومئتين. حكاه الخطيب[2]، ثم قال الخطيب: وسنة مئتين أصحّ. قال: ومات هو وأبو نُواس في يومٍ واحد] وصلَّى عليه ثلاثُ مئةِ ألف إنسان، فاطَّلع عليه راهبٌ من الدَّير الذي دُفن إلى جانبه [ويقال لها: مَقبرة الدَّير] فرأى كثرةَ الخلق، فقال: يا ويحَ هؤلاء، لو أنَّ أحدهم فعل ما فعله لكان مثلَه.

[وحدَّثنا غيرُ واحدٍ عن يحيى بن عليٍّ المدير بإسناده إلى] أبي بكر الخيَّاط قال[3]: رأيت كأنِّي دخلت المقابر، فإذا أهلُ القبور جلوسٌ على قبورهم بين أيديهم الرَّيحان، وإذا معروفٌ قائم بينهم يذهب ويجيء، فقلت: يا أبا محفوظ، أو ليس قد مُتَّ! قال: بلى، قلت: فما صنع بك ربُّك؟ قال: [من البسيط]

موت التَّقيِّ حياةٌ لا نَفادَ لها قد مات قومٌ وهم في الناس أحياءُ

[وقد رواه الخطيب[4]].

---

(١) في الحلية ٨/ ٣٦٢. وما بين حاصرتين من (ب).

(٢) في تاريخه ١٥/ ٢٧٤، وانظر مناقب الأبرار ١/ ١٢٠، والكلام مختصر في (خ)، وقد أثبت ما في (ب).

(٣) في (خ): وقال أبو بكر الخياط.

(٤) في تاريخه ١٥/ ٢٧٢ مختصراً.

وقال ابن باكُويه: رُئي معروفٌ وهو تحت العرش، والحقُّ جلَّت قدرته وعظمتُه يقول: يا ملائكتي، مَن هذا؟ قالوا: أنت أعلمُ يا ربَّنا، فقال: هذا معروف الكرخي، سكر من حبِّي، فما يُفيق إلَّا بلقائي.

و[روى الخطيب[١] عن معروفٍ أنه] رُئي في النوم فقيل له: ما فعل اللهُ بك؟ فقال: أباحني الجنَّة، غيرَ أنَّ في نفسي حسرة، حيث خرجت من الدنيا ولم أتزوَّج، ووددت أنِّي كنت فعلت ذلك.

[حدَّثنا غيرُ واحدٍ عن يحيى بنِ عليٍّ المدير بإسناده إلى محمد بن أحمدَ السراج قال: سمعت] أحمدَ بن الفتح يقول[٢]: رأيت بِشرَ بن الحارث الحافي في منامي وهو قاعدٌ في بستان، وبين يديه مائدةٌ وهو يأكل منها، فقلت: يا أبا نصر، ما فعل اللهُ بك؟ قال: رحمني وغفر لي، وأباحني الجنةَ بأسرها، وقال لي: كل من جميع ثمارِها، واشرب من أنهارها، وتمتَّع بجميع ما فيها، كما كنت تحرم نفسَك من الشَّهوات في دار الدنيا، فقلت: فأين أخوك أحمدُ بن حنبل؟ فقال: هو قائمٌ على باب الجنةِ يشفع لأهل السنَّةِ ممن يقول: القرآن كلامُ الله غيرُ مخلوق، فقلت: فما فعل معروفٌ الكرخي؟ قال: هيهات هيهات، حالت الحجبُ بيننا وبينه، إنَّ معروفاً لم يعبد اللهَ شوقاً إلى جنَّته، ولا خوفاً من ناره، وإنَّما عبده شوقاً إلى لقائه، فرفعه إلى الرَّفيع الأعلى، ورفع الحجبَ بينه وبينه، ذاك التِّرياق المجرَّب، فمن كانت له إلى الله حاجةٌ فليأتِ قبرَه وليدْع، فإنَّه يستجاب له إن شاء اللهُ تعالى.

[وروى أبو نُعيم[٣] عن] رجلٍ من أهل الشام أنه رأى[٤] في المنام قائلاً يقول له: اذهب إلى معروف، فسلِّم عليه وقل له: أنت معروفٌ في أهل السماءِ معروفٌ في أهل الأرض.

---

(١) في تاريخه ١٥/ ٢٧٢ . وما بين حاصرتين من (ب).

(٢) في (خ): وقال أحمد بن الفتح.

(٣) في الحلية ٨/ ٣٦٥ .

(٤) في (خ): ورأى رجل من أهل الشام.

[وروى أبو عبد الرحمن السُّلمي عن] أحمدَ بن العباس قال[1]: خرجت من بغدادَ أريد الحجّ، فاستقبلني رجلٌ عليه أثرُ العبادة، فقال: من أين؟ قلت: من بغداد، خرجت منها لِمَا رأيت فيها من الفساد، خفت أن يُخسفَ بأهلها، فقال: ارجع ولا تخف، فإنَّ فيها قبورَ أربعةٍ من الأولياء، هم حصنٌ لهم من جميع البلاء، قلت: مَن هم؟ قال: أحمدُ بن حنبلٍ، ومعروفٌ الكرخي، وبِشر بنُ الحارث، ومنصور بن عمار، فرجعت وزُرت تلك القبورَ، ولم أحجَّ في تلك السَّنة.

و[ذكر ابنُ خميس في «المناقب» والقشيريُّ] عن محمد بن الحسين[2]، عن أبيه قال: رأيت معروفاً في المنام، فقلت: ما فعل اللهُ بك؟ فقال: غفر لي، فقلت: بزهدك وورعِك؟ قال: لا، قلت: بماذا؟ قال: بقبول موعظةِ ابن السمَّاك ولزومي الفقرَ ومحبَّتي للفقراء، كنت يوماً مارًّا بالكوفة، فوقفت على ابن السمَّاك وهو يعظ الناس، فقال في خلال كلامه: مَن أقبل بقلبه على الله أقبل الله إليه برحمته، وأقبل بجميع وجوهِ الخلق إليه، ومَن أعرض عن الله بكلِّيته أعرض اللهُ عنه جملة، ومن كان مرة ومرة، فالله يرحمه. فوقع كلامه في قلبي، وأقبلت على الله وتركت جميع ما كنت عليه.

أسند معروفٌ الحديثَ عن بكر بن خُنَيس[3] وابنِ السمَّاك وعبدِ الله بن موسى وغيرهم، وصحب داودَ الطائيَّ[4] وعليَّ بن موسى الرِّضا، واشتغل بالعبادة عن الرواية. وقبرُه ببغدادَ ظاهرٌ يزار، وإلى جانبه قبرُ أخيه الحسن، وإلى جانبه الآخَرِ قبرُ ابنِ أخيه محمدِ بن الحسن.



(١) في (خ): وقال أحمد بن العباس.

(٢) في (ب) و (خ) ومناقب الأبرار ١/ ١٢٢: الحسن، والمثبت من الرسالة القشيرية ١/ ٨٢، ووفيات الأعيان ٥/ ٢٣٢، ومرآة الجنان ١/ ٤٦٣.

(٣) بعدها في (خ): العمي، وهي غير موجودة في المصادر. وفي (ب): أسند معروف الحديث عن جماعة.

(٤) قال الذهبي في السير ٩/ ٣٣٩، وتاريخ الإسلام ٤/ ١٢١١: وذكر السلمي أنه صحب داود الطائي، ولم يصح.

السَّنة الحاديةُ بعد المئتين[1]

فيها سأل أهلُ بغدادَ منصورَ بن المهدي أن يليَ الخلافةَ عليهم، فأبى، فقالوا: تكون أميراً علينا وتدعو بالخلافة للمأمون، فقال: نعم، فولَّوه عليهم.

وسببُ ذلك سوءُ سيرة الحسنِ بن سَهْل، ومعاملته الناسَ بالكبر والجَبروت وقطعِ الأرزاق، وكان الحسنُ مقيماً بالمَدائن لا يتجاسر أن يدخلَ بغداد، وأخرجوا نائبَه عليَّ ابن هشامٍ من بغداد، وهرب الحسنُ إلى واسط، وكان قد ضرب عبدَ الله بن عليِّ بن عيسى بنِ ماهان حدًّا، فغضب الأبناءُ وقالوا: لا نرضى أن يكونَ المجوسيُّ علينا، يعنون الحسن، وكان الفضلُ بن الربيع مُسْتَخفياً ببغداد.

وفيها استطال الفُسَّاق والدُّعَّار من أهل بغدادَ، ونهبوا المالَ والحَريم، ولم يمكن منصورَ بن المهدي الإنكارُ عليهم؛ لأنه كان يعتزُّ بهم، فتجرَّد له خالدٌ الدريوش من المطَّوِّعة وسهلُ بن سلامة، وقام معهما أهلُ الصلاح، وأمروا بالمعروف، وطلبوا من السلطان العملَ بكتاب الله وسُنَّة رسوله، وبايعهم الناس، فسكنت الفتن.

وفيها جعل المأمونُ عليَّ بن موسى الرِّضا وليَّ عهده بعد وفاته بإشارة الفضلِ بن سهل، وطَرح السَّوادَ ولبس الخُضْرة، وأمر جندَه بذلك، وكتب إلى الآفاق، وذلك يومَ الاثنين لليلتين خلتا من رمضان.

ولمَّا وصل عليُّ بن موسى من المدينة إلى بغدادَ تلقَّاه أهلها، فأقام أياماً، ثم توجَّه إلى مَرْو، فلمَّا وصل نَيْسابور، خرج إليه يحيى بنُ يحيى وإسحاقُ بن راهُويه ومحمد بن رافعٍ وغيرُهم لطلب الحديثِ منه، والروايةِ عنه والتبرُّك به، فأقام عندهم أياماً يحدِّثهم، ثم سار إلى المأمون، فتلقَّاه بنفسه وأَعظمه واحترمه، وعهد إليه، وضرب اسمَه على الدنانير والدراهم، وزوَّجه ابنته أمَّ حبيب، وزوَّج ولدَه محمد بن عليٍّ ابنتَه أمَّ الفضل، وعُمرُ محمدٍ يومئذ سبعُ سنين، وتزوَّج المأمونُ بوران بنتَ الحسن بنِ

(١) ليس في (ب) من أحداث هذه السنة غير حج إسحاق بن موسى.

سهل[(١)]، الجميعُ في وقت واحد، وكان الوليَّ في تزويج بُورانَ عمُّها الفضل بنُ سهل، ولم يدخل بها المأمونُ إلى سنة عشرٍ ومئتين، وقال ليحيى بن أكثم: تكلَّم، قال يحيى: فأجللته أن أقول: أنكحتُ ابنتَك، فقلت: يا أميرَ المؤمنين، أنت الحاكمُ الأكبر، فأنت أولى بالكلام، فقال: الحمدُ لله الذي تصاغرت الأمورُ لمشيئته، وأشهد أن لا إلهَ إلا اللهُ وحده لا شريكَ له، إقراراً بربوبيَّته، وصلى اللهُ على سيِّدنا محمدٍ وآله وعِترته، صلاةً وسلاماً دائمين إلى يوم حشرِه وجزائه، أما بعد: فإنَّ الله سبحانه جعل النكاحَ سبباً للمناسبة بين عباده، فقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ [الفرقان: ٥٤]. وقال ﷺ: «تناكحوا تناسلوا، تكثُروا، أباهي[(٢)] بكم الأممَ يومَ القيامة» وإنِّي قد زوَّجت ابنتي أمَّ حبيبٍ من عليِّ بن موسى، وأمَّ الفضل من ولد محمد، وأصدقت كلَّ واحدة منهما أربعَ مئة درهم، استناناً بالسنَّة الطاهرة، وهو حسبي ونِعمَ الوكيل.

ولمَّا عهد إلى عليِّ بن موسى كتب كتابَ العهد بخطِّه وإنشائه، وهو طويل، فمنه: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتابٌ كتبه عبد الله بنُ هارونَ أميرُ المؤمنين لأبي الحسن عليِّ بن موسى بنِ جعفر بن محمد بن عليٍّ زينِ العابدين، الرِّضا، من آل محمد ﷺ، وليِّ عهده من بعده، أما بعد: فإنَّ الله سبحانه اصطفى الإسلامَ ديناً، واختار له من عباده رسلاً دالِّين عليه وهادين إليه، يبشِّر أولُهم بآخرهم، ويصدِّق تاليهم ماضيَهم، حتى انتهت الدعوةُ إلى سيِّد المرسلين وخاتَم النبيِّين محمدٍ ﷺ، وذلك على فترةٍ من الرسل، ودروسٍ من العلم، واقترابٍ من الساعة، وانقطاعٍ من الوحي والحجَّة، فختم الله به النبيِّين، وجعله شاهداً لهم على الأمم، وأنزل عليه كتاباً عزيزاً لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه، تنزيلٌ من حكيم حميد، وإنِّي لم أزل منذ أَفْضَتْ إليَّ الخلافةُ

---

(١) في المصادر أن ذلك كان في سنة اثنتين ومئتين، انظر تاريخ الطبري ٨/ ٦٠٦، وابن الأثير ٦/ ٣٥٠، والمنتظم ١٠/ ١٠٩.

(٢) في (خ): تباهي، والمثبت من المصادر، والحديث أخرجه عبد الرزاق (١٠٣٩١) عن سعيد بن أبي هلال مرسلاً، وفيه انقطاع أيضاً. وذكر العراقي في تخريج الإحياء ٢/ ٢٢ أن ابن مردويه أخرجه في تفسيره من حديث ابن عمر بإسناد ضعيف. ويغني عنه حديث: «تزوجوا الودود الولود؛ فإني مكاثر بكم الأمم» أخرجه أبو داود (٢٠٥٠)، والنسائي ٦/ ٦٥-٦٦.

أنظر مَن أقلِّده أمرَها، وأجتهد فيمن أولِّيه عهدها، فلم أجد في العالَم مَن يصلح لها وينهض بأعبائها إلَّا أبا الحسن عليَّ بن موسى الرِّضا؛ لِمَا رأيت من فضله البارع، وعلمِه النافع، وورعه الباطنِ والظاهر، وتخلِّيه عن الدنيا وأهلها، وميلِه إلى الآخرة وإيثاره لها، وقد تحقَّق عندي وتيقَّنت ما الأخبارُ عليه متواطئة، والألسنُ عليه متَّفقة من فضائله، فعقدتُ له على العقد بعدي، واثقاً بِخيرَة اللهِ تعالى في ذلك، نظراً للمسلمين، وإيثاراً لإقامة شعائرِ الدِّين، وطلباً للنجاة يومَ يقوم الناسُ لربِّ العالمين. وكتب عبدُ الله بخطِّه في شهر رمضانَ سنة إحدى ومئتين، وقد بايعه أهلُ بيتي وولدي وخاصَّتي وعبيدي وغيرُهم، والسلام.

وكتب عليُّ بن موسى الرِّضا خلف الكتاب: أما بعد: فإنَّ أمير المؤمنين مَن عضده اللهُ بالسَّداد، ووفَّقه للعصمة والرَّشاد، عرف من حقِّنا ما جهله غيرُه، فوصل أرحاماً قُطعت، وأمَّن نفوساً ارتاعت، بل أحياها بعدما ماتت، متَّبعاً بذلك رضى ربِّ العالمين، وسيجزي اللهُ الشاكرين، ولا يضيع أجرَ المحسنين، وإنه أيَّده الله جعل إليَّ عهدَه، والأمرَ بعده، وقد أوجب الله عليَّ طاعتَه، وجنَّبني مخالفتَه، ولله عليَّ ألا أسْفِكَ دماً حراماً، ولا أُبيحَ فرْجاً ولا مالاً، وأن أتخيَّر الكفاءةَ جهدي وطاقتي، ولا أنالَ من الدنيا إلَّا ما تدعو إليه الضرورة، وقد جعلتُ اللهَ كفيلاً، فإن أحدثتُ أو غيَّرت أو بدَّلت كنتُ للعَزْل مُسْتَحقًّا، وللنَّكال مُعَرَّضاً، وأعوذ بالله من سَخَطه، والعاقبةُ للمتقين.

وشهَّد في الكتاب الفضلَ بن سَهْل وعبدَ الله بن طاهر وبشرَ بن المُعْتَمر وحمَّاد بن أبي حَنيفةَ ويحيى بن أكْثَمَ والصُّوليَّ وغيرهم، وجلس المأمون مجلساً عامًّا، وأجلس عليَّ بن موسى عن يمينه، فقام العبَّاسي الخطيبُ فخطب وأنشد: [من البسيط]

لا بدَّ للناس من شمسٍ ومن قمر فأنت شمسٌ وهذا ذلك القمرُ

وأجرى المأمونُ على عليِّ بن موسى في كلِّ سنةٍ ألفَ درهم، وبعث المأمونُ بكتابه إلى المدينة ومكَّة، فقُرئ في الكعبة الشريفة، وبين القبرِ الشريف والمنبرِ الشريف على صاحبهما أفضلُ الصلاة والسلام، وقُرئ في جميع الآفاق.

قال عمر بن شبَّة: وكان عيسى بنُ محمد بنِ أبي خالد ببغدادَ نائباً عن الحسن بنِ سهل، والحسنُ بواسط، فكتب إلى عيسى يخبره أنَّ المأمون قد عهد إلى عليِّ بن

موسى بعده، وأنَّه نظر بين بني العباسِ وبين بني عليٍّ فلم يرَ أحداً أحقَّ من عليِّ بن موسى، ولا أعلمَ ولا أورعَ منه، فمُر الناسَ برمي السوادِ ولُبس الخضرة، وأخذ البيعة على بني هاشمٍ والقوَّاد والجند.

فقرأ عيسى الكتابَ على أهل بغداد، فقال بعضُهم: لا نُبايع ولا نَلْبَس الخُضرة، ولا نُخرج هذا الأمرَ من بني العباس، وغضبوا واجتمعوا، وقالوا: نخلع المأمونَ ونولِّي بعضَنا، فبايعوا إبراهيمَ بن المهديِّ لخمسٍ بقين من ذي الحِجَّة، وأصعدوه المنبرَ بجامع المنصور، وسمَّوه المبارك، وعليه السواد، وكذا جميع بني هاشم، وجعلوا وليَّ عهده إسحاقَ بن موسى بنِ المهدي، وكثر الشَّغب في الجامع، فصلَّى الناس أربعَ ركعات، ولم يصلُّوا الجمعة، وبايعه منصور بن المهديِّ والسِّندي وصالحٌ المَوْصِلي[1] والمطَّلب بنُ عبد الله بنِ مالك -وهو الذي تولَّى إمرة البيعة- ونُصير الوصيف، والأعيانُ من الدولة، وقالوا: ما فعلنا هذا الأمرَ إلَّا حيث أخرج المأمونُ الأمرَ عن بني العباس.

وولَّى إبراهيمُ بن المهدي الجانبَ الشرقيَّ من بغدادَ العباسَ بن موسى الهادي، والجانبَ الغربيَّ إسحاقَ بن موسى الهادي، وقال إبراهيمُ بن المهدي: [من الطويل]

ألـم تـعـلـمـوا يـا آلَ فِـهـرٍ بـأنـنـي   شَريتُ بنفسي[2] دونكمْ في المهالكِ

وفيها تحرَّك بابَكُ الخُرَّمي في الجاويذانية أصحابِ جاويذان بنِ سهل صاحبِ البَذِّ، وادَّعى أن روحَ جاويذانَ انتقلت إليه، وشرع في الفساد، وهذا أوَّلُ بداية أمره.

وفيها افتتح عبدُ الله بن خُرداذبه والي طَبَرِسْتان بلادَ الدَّيْلَم من نواحي طبرستان، وأنزل عن[3] قلاعها شهريار بن شروين[4]، فقال سَلْمٌ الخاسر يخاطب المأمون: [من البسيط]

(١) في تاريخ الطبري ٨/ ٥٥٧، وابن الأثير ٦/ ٣٤١: صالح صاحب المصلى.
(٢) في (خ): نفسي، والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ٥٥٧.
(٣) في (خ): على، والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ٥٥٦، وابن الأثير ٦/ ٣٢٧-٣٢٨.
(٤) في (خ): شهروين، والمثبت من تاريخ الطبري وابن الأثير.

إنَّـا لَـنَـأمُـل فـتـحَ الـرُّوم والـصِّـيـنِ ... بـمَـن أذلَّ لـنـا مُـلـك ابـنِ شَـرْويـنِ
فـاشْـدُدْ يـديـك بـعـبـد اللهِ إنَّ لـه ... مـع الأمـانـة رأيٌ غـيـرُ مَـغْـبـونِ[1]

وأسر عبدُ الله مازيارَ بن قارن وأبا ليلى وجماعةً من ملوك الدَّيْلَم، وبعث بهم إلى المأمون.

وحجَّ بالناس إسحاقُ بن موسى بنِ عيسى بن موسى بن محمد بن عليٍّ بن عبد الله بن عباس.

[داود بن عيسى

ابن علي بن عبد الله بن عباس، الهاشمي]

كان[2] من نُبلاءِ بني العباس، وَلي الحَرَمين، فكان يقيم بمكةَ مدةً وبالمدينة مدة، فأقام بمكةَ مرةً عشرين شهراً، فكتب إليه أهلُ المدينة بأبياتٍ ليحيى بنِ مسكين بن أيوبَ ابن مِخْراق: [من المتقارب]

دوادُ قـد فُـزتَ بـالـمَـكْـرُمـات ... وبـالـعَـدْل فـي بـلـد الـمُـصْـطـفـى
ومـكـةُ لـيـسـت بـدار الـمُـقـام ... فـهـاجِـرْ كـهِـجْـرَة مَـن قـد مَـضـى
مَـقـامُـك عـشـريـن شـهـراً بـهـا ... كـثـيـرٌ لـهـم عـنـد أهـل الـحِـجَـى
فـقـبـر الـنَّـبـيِّ وآثـارُه ... أحـقُّ بـقُـربـك مـن ذي طُـوى

من أبيات. فأجابه عيسى بنُ عبد العزيز المكِّي:

أداودُ أنـت الإمـامُ الـرِّضـا ... وأنـت ابـنُ عـمِّ نـبـيِّ الـهُـدى
أتـاك كـتـابُ حَـسـود جَـحـودٍ ... أَسَـا فـي مَـقـالـتـه واعـتـدى
فـإن كـان يَـصـدق فـيـمـا يـقـول ... فـلا يَـسْـجُـدنَّ إلـى مـا هـنـا
وأيُّ بـلادٍ تـفـوق امَّـهـا ... ومـكَّـةُ مـكـةُ أمُّ الـقُـرى
وربِّـي دحـا الأرضَ مـن تـحـتـهـا ... ويـشـربُ لا شـكَّ مـمَّـا دحـا

---

(١) كذا؟! وفي تاريخ الطبري: موهون.

(٢) ما بين معكوفين من تاريخ دمشق ٦/ ٣٢ (مصورة دار البشير)، وانظر أخبار مكة ٢/ ٢٩٣، وأشعار أولاد الخلفاء ص٣١٢، ومعجم المرزباني ص٤٨٩-٤٩٠، وتاريخ الإسلام ٥/ ٧١.

ومَسجِدُها بيِّنٌ فَضلُه ... على غيره ليس في ذا مِرَا
ولولا زيارةُ قبر النبيِّ ... لكنتم كسائر مَن قد يُرى
وليس النبيُّ بها ثاوياً ... ولكنَّه في الجِنان العُلا

وحكى داودُ عن أبيه عيسى، عن أخيه محمدِ بن عليٍّ قال: دخلتُ يوماً على عمرَ بن عبد العزيز وعنده شيخٌ من النصارى، فقال له عمر: مَن تجدون الخليفةَ بعد سليمان؟ فقال: أنت، فالتفت عمرُ إلى محمد وقال: يا أبا عبدِ الله، دمي في ثيابك. قال محمد: فلمَّا كان بعد ذلك، لقيت النصرانيَّ في الطريق، فذهبت به إلى منزلي، وحادثته حتى أنِسَ بي، فسألتُه عمَّا يكون من خلفاءِ بني أميةَ واحداً بعد واحدٍ إلى مروان، فأخبرني[1] ثم قال: ومن بعد مروانَ ابنُك ابن الحارثية. قال داود: فأخبرتني مولاةٌ لنا قالت: وأبو العباس يومئذٍ حَمْل[2].

وتوفِّي داودُ في هذه السَّنة، وقيل: تأخَّر عنها. أسند عن أبيه وغيرِه، وروى عنه ابنُ ابنه محمدُ بن عيسى بنِ داود.

[وفيها توفِّي]

عبدُ الله بنُ الفَرَج

أبو محمدٍ القَنْطري، العابدُ الزاهد. كان من [العابدين] المجتهدين، وكان بِشرٌ الحافي يزوره ويحبُّه.

[قال الخطيب: مات في هذه السَّنة، فـ][3] رآه بعضُ إخوانه في المنام -وكان قد شهد جنازتَه- وهو جالسٌ في قبره وبيده صحيفةٌ ينظر فيها، قال: فقلت: ما فعل اللهُ بك؟ قال: غفر لي ولكلِّ مَن شيَّع جنازتي، قال: فقلت: فأنا شيَّعت جنازتَك، فقال: قف حتى أنظر، فنظر في الصَّحيفة فقال: هو ذا اسمُك فيها. روى عنه عليُّ بن الموفَّق وغيرُه.

[وفيها توفي]

(١) في تاريخ دمشق ٦/ ٣٣: وتجاوز عن مروان بن محمد.
(٢) في تاريخ دمشق: فأخبرتني مولاة لنا هي أثبت للحديث مني أنه قال: هو الآن حمل.
(٣) ما بين حاصرتين من (ب)، وقد أخرج الحكاية الخطيب في تاريخه ١١/ ٢٢٩، وعنه ابن الجوزي في المنتظم ١٠/ ١٠٢.

عليُّ بن عاصم

ابن صُهيب، [وكنيته] أبو الحسن، مولى قَرِيبة بنتِ محمد بن أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه، من أهل واسط(١).

وُلد سنةَ ثمانٍ أو خمسٍ ومئة، وسافر إلى البلاد، [فحكي عنه] قال: دفع إليَّ أبي مئةَ ألف درهمٍ وقال: اِذهب فلا أرى وجهَك إلَّا بمئة ألف حديث.

[قال الخطيب:](٢) قدم بغداد، فكان يجلس على سطحٍ ويجمع إليه أكثر من ثلاثين ألفاً يطلبون الحديث، وكان له ثلاثةُ مُسْتَملين. [قال:](٣) وصام ثمانين رمضاناً، ومات وهو ابنُ أربعٍ وتسعين سنة.

سكن بغدادَ وحدَّث بها عن داودَ بنِ أبي هند [وإسماعيلَ بن أبي خالد، وحُميدٍ الطويل، وابن جُرَيْج، ومحمدِ بن سُوقةَ وغيرهم(٤)].

وروى عنه الإمامُ أحمد وطبقتُه، إلَّا أنهم قالوا: كان يخطئ، فضعَّفوه.



(١) تاريخ بغداد ١٣/ ٤٠٧، والمنتظم ١٠/ ١٠٣، والسير ٩/ ٢٤٩، وتاريخ الإسلام ٥/ ١٢٥، وتهذيب الكمال.

(٢) في تاريخه ١٣/ ٤١٦، وما بين حاصرتين من (ب).

(٣) في تاريخه ١٣/ ٤٢٠، وما بين حاصرتين من (ب).

(٤) في (خ): وغيره.

السَّنة الثانيةُ بعد المئتين[١]

فيها شغب الجندُ على إبراهيمَ بن المهدي، وكان وعدهم لمَّا بايعوه برزق ستَّة أشهر، فلمَّا شغبوا أعطاهم رزقَ شهر، وقيل: أعطى كلَّ واحدٍ مئتي درهم، وكتب لهم إلى السَّواد بقيمة مالهم حِنطَةً وشعيراً، فخرجوا فنهبوا الحاصلَيْن[٢] وأموالَ الناس، واستولى إبراهيمُ على بغداد وسَوادِ العراق كلِّه والكوفة، وخرج فعسكر بالمَدائن.

وقال الخطيب[٣]: فيها بايع أهلُ بغدادَ إبراهيمَ في داره المَنْسوبةِ إليه في سوق العَطَش، وسمَّوه المبارك، وقيل: الرَّضي[٤]، وقيل: المرتضى، وذلك يومَ الجمعة لخمسٍ خلونَ من المحرَّم، فلم يزل كذلك إلى سنة ثلاثٍ ومئتين.

وفيها شغبت العامَّة بسبب بِشر المَريسي، فأمر إبراهيمُ أن يستتاب، فأُقيم يومَ الجمعة بجامع المهديِّ على صندوقٍ من صناديق الجامع، وكان قُتيبةُ بن زيادٍ القاضي حاضراً، واجتمع الناس، وقام أبو مُسلمٍ عبدُ الرحمن بن يونسَ مُسْتملي ابنِ عيينةَ، وهارونُ بن موسى مُستملي يزيدَ بن هارون، وقالا: قد أمر أميرُ المؤمنين إبراهيمُ بن المهدي قاضيَه قتيبةَ بن زيادٍ أن يستتيبَ بشرَ بن غياثٍ المريسي عن أشياء، وذكراها، منها القولُ بخلق القرآن، وأنَّه تائب، فرفع بِشرٌ صوتَه وقال: معاذَ الله! إنِّي لست بتائب. فكثَّر الناسُ عليه حتى كادوا يقتلونه، فأُدخل من باب الخدمِ الذي عنده الصناديق وتفرَّق الناس.

وفيها خرج مَهْديُّ بن عُلْوانَ[٥] الحَروريُّ بناحية الرَّاذانِ وطريق خُراسان، فغلب

---

(١) ليس في (ب) من أحداث هذه السنة سوى قوله: وفيها حج بالناس في هذه السنة إبراهيم بن موسى ... وسيأتي في آخر الأحداث.

(٢) أي: حاصل الفلاح والسلطان، كما في تاريخ الطبري ٨/ ٥٥٧، والمنتظم ١٠/ ١٠٦، والكامل ٦/ ٣٤١، والبداية والنهاية ١٤/ ١٢٢.

(٣) في تاريخه ٧/ ٦٨-٦٩.

(٤) في تاريخ بغداد: المرضي، ولم يذكر القول الثالث، وعنه في المنتظم ١٠/ ١٠٧.

(٥) في (خ): علوي، والمثبت من المصادر. انظر تاريخ الطبري ٨/ ٥٥٨، والمنتظم ١٠/ ١٠٧، وابن الأثير ٦/ ٣٤١.

على ما هنالك، فبعث إليه إبراهيمُ بن المهديِّ أبا إسحاقَ بنَ الرَّشيد في جماعةٍ من الموالي، فهزموه إلى حَوْلايا.

وفيها وثب أخو أبي السَّريا بالكوفة، فبيَّض[1]، واجتمع إليه جماعة، فلقيه غَسَّانُ بن الفَرَج، فقتله وبعث برأسه إلى إبراهيمَ بن المهديِّ في رجب.

وفيها أخذ سَهْلُ بن سلامةَ المطَّوِّعي. فاجتمع إليه جماعةٌ، وقاتلوا معه أصحابَ إبراهيم، ثم تخلَّى عنه العَوامّ، فأخذه أصحابُ إسحاقَ بن الهادي، فقال له إسحاق: حرَّضت علينا الناسَ وعِبتَ أمرنا، فقم فقل: إنَّ الذي كنت أدعو إليه باطل، فقام فقال: أيها الناس، إنَّما كنت أدعو إلى الكتاب والسُّنَّة وأنا على الحقّ، فضربوه وقيَّدوه وحبسوه، وخَفِي أمره.

وفيها شَخَص المأمونُ من مَرْوَ يريد العراق، وكانت الحربُ قائمةً بين الحسن بن سهلٍ وإبراهيمَ بنِ المهدي.

قال علماءُ السِّيَر: اجتمع عليُّ بن موسى الرِّضا بالمأمون، وأخبره بما فيه الناسُ من الفتن والقتالِ منذ قُتل الأمين، وبما كان الفضلُ بن سهلٍ يستره عنه من أخبار الناس، وأنَّ أهل بيتِه والناسَ يقولون: إنَّه مَسْحور مَسْجون، وأنهم بايعوا إبراهيمَ بن المهديِّ بالخلافة. فقال المأمون: لم يبايعوه بالخلافة، وإنما صيَّروه أميراً يقوم بأمرهم. فقال: كذَبك الفضلُ وغشَّك، والحربُ قائم بين الحسنِ وإبراهيم، والناسُ ينقمون عليك مكانَه ومكانَ أخيه ومكاني، وبيعتَك لي من بعدك. فقال له: ومَن يعلم هذا من عسكري؟ قال: وجوه أصحابك: يحيى بنُ معاذ، وعبد العزيز بن عمران، وعليُّ بن أبي سعيد -وهو ابن أختِ الفضل- وعدَّد جماعة. فقال المأمون: أَدخِلهم عليَّ لأسألَهم عمَّا ذكرت، فأدخلهم عليه، فسألهم، فأبَوا أن يخبروه حتى يجعل لهم الأمانَ من الفضل بن سهلٍ لا يتعرّض لهم، فأعطاهم، وكتب لكلِّ واحدٍ منهم أماناً بخطِّه، فأخبروه بما فيه الناسُ من الفتن، وبيَّنوا له ذلك، وأخبروه بغضب أهلِ بيته وقوَّاده ومواليه، وبما موَّه عليه الفضلُ من أمر هَرثمة، وإنَّما جاء هَرْثَمَةُ لينصحَه ويبيِّنَ له ما

(١) أي: لبس البياض، انظر تاريخ الإسلام ٥/ ٨، والطبري ٨/ ٥٥٨، والمنتظم ١٠/ ١٠٧.

يعملُ الفضلُ عليه، وأنه [إن][١] لم يتدارك أمرَه، خرجت الخلافةُ من أهل بيتِه ومنه، وأنَّ الفضل دسَّ إلى هَرْثَمَةَ مَن قتله، وأنَّ طاهر بنَ الحسين قد أَبلى في طاعته، وافتتح له ما افتتح، وقاد إليه الخلافةَ وهو بمَرْو، وأنَّ الفضل صيَّره في زاويةٍ من الأرض بالرَّقَّة، وقلَّ عليه المال، وضَعُف أمرُه، وشَغَب عليه جندُه، ولو كان مقيماً ببغدادَ لَما اجترأ أحدٌ على الخلافة، وأنَّ الدنيا قد تفتَّقت من أقطارها، فلو خرجتَ إلى بغدادَ لم يختلف عليك اثنان.

فلما تحقَّق ذلك، أمر بالرحيل إلى بغداد، وعلم الفضلُ بما جرى، فتعنَّتهم حتى ضرب بعضَهم بالسِّياط، وحبس بعضاً وعاقب بعضاً، فأَخبر عليُّ بن موسى الرِّضا المأمونَ وقال: إنما هم في أمانك، وخطُّك معهم، فاعتذر بأنَّه يداري ما هو فيه، ثم ارتحل من مَرْو، فلمَّا أتى سَرَخْس، دخل الفضلُ بن سهل الحمَّام، فدخل عليه قومٌ فضربوه بالسُّيوف حتى قتلوه، فقتلهم المأمون، لِمَا نذكر في ترجمة الفضل.

وفيها قدم المُطَّلبُ بن عبدِ الله من المدائن إلى بغداد، فجعل المطلبُ يدعو في السرِّ إلى المأمون، وأنَّ منصور بنَ المهديِّ خليفةُ المأمون، فأجابه منصورٌ وخُزَيْمة بن خازم وأعيان القوَّاد، وعلم إبراهيم، فسار من المدائن، فنزل بغدادَ من الجانب الغربيِّ في منتصف صفر، وكان المطلبُ ومَن سمَّينا بالجانب الشرقي، فأرسل إليهم إبراهيمُ يطلبهم، فتعلَّلوا عليه، فبعث إليهم عيسى بنَ [محمد بنِ][٢] أبي خالدٍ وإخوتَه، فأما منصورٌ وخُزَيْمةُ فأعطوا بأيديهم، وأما المطَّلب فقاتلهم بمواليه وأصحابه، وأمر إبراهيم: مَن أراد النَّهْبَ فعليه بدار المطلب، فجاءت الغَوْغاء فانتهبوها ودورَ أهله، وخرج المطلبُ على حامية، فلم يظفرْ به إبراهيم، وبلغ عليَّ بن هشام وحُميداً القائد - وكانا من أصحاب الحسنِ بن سهل- وهما بقصر ابن هُبَيْرةَ قد قطعا المادَّةَ عن إبراهيم، فساقا فأخذا المَدائنَ وقطعا الجسر، وندم إبراهيمُ على ما صنع وضعف أمرُه.

وحجَّ بالناس إبراهيمُ بن موسى بنِ جعفر بنِ محمد بن عليٍّ، أخو [عليِّ بن

(١) ما بين حاصرتين من تاريخ الطبري ٨/ ٥٦٤، وابن الأثير ٦/ ٣٤٧.
(٢) ما بين حاصرتين من تاريخ الطبري ٨/ ٥٦٦، وابن الأثير ٦/ ٣٤٢.

موسى][1] الرِّضا، ودعا للمأمون ولأخيه بعده بولاية العهد، ومضى إبراهيمُ بن موسى إلى اليمن، وكان قد غلب عليها حَمْدُويه بن عليٍّ بن عيسى بنِ ماهان.

وفيها توفِّي

الحسينُ بن الحسنِ

ابن عَطيَّةَ بن سعد بن جُنادة، أبو عبد الله، القاضي، العَوْفي، الكوفيُّ، الحَنَفي.

[قال الخطيب:][2] ولي قضاءَ الشَّرقية ببغدادَ بعد حَفْصِ بن غياث، ثم نُقل إلى قضاء عَسْكرِ المهدي.

[قال[3]: وكانت لحيةُ العوفيِّ طويلة جدًّا إلى ركبتيه. قال: وجاءته امرأةٌ فقالت: أيها القاضي، عَظُمَت لحيتُك فأفسدت عقلَك، وما رأيت ميِّتاً يحكم بين الأحياءِ قبلك، وكان ضعيفاً في الحكم، فقال لها: فتريدين ماذا؟ قالت: وتَدَعُك لحيتُك تكلمني؟! فقال بلحيته بيده كذا وقال: تكلمي.

وحكى[4] عن السَّاجيِّ قال: اشترى بعضُ أصحابه جاريةً فامتنعت عليه، فشكاها إلى العَوفي، فقال: أرسِلْها إلي، فأرسلها إليه، فقال لها العوفي: يا عَروب يا لَعوب، يا ذاتَ الجِلْباب، ما هذا التَّمانعُ المُجاوزُ للخيرات، والاختيارُ للأخلاق المَشْنوآت؟! فقالت: أيُّها القاضي، ليس لي فيه حاجة، فأْمُره يبيعني. فقال لها: يا هَنَة، أَمَا علمتِ أن فَرَطَ الاعتياصاتِ من المَوْمُوقات على طالبي المَوَدَّات مؤدِّياتٌ إلى عدم المَفْهومات؟! فأشارت الجاريةُ إلى لحيته وقالت: ليس في الدُّنيا أصْلَحُ لهذه العُثْنُوناتِ المُنْتَشِئات، على صَدْر أهل الرَّكاكاتِ، من المَواسي الحالقات، وضحكت وضحك العوفي.

وحكى الخطيبُ[5] عن الحارث بنِ أبي أسامةَ قال: حدَّثنا بعضُ أصحابنا قال:

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب).

(٢) في تاريخه ٨/ ٥٥٢، وانظر ترجمته في المنتظم ١٠/ ١٠١، والسير ٩/ ٣٩٥، وتاريخ الإسلام ٥/ ٥١.

(٣) في تاريخه ٨/ ٥٥٥.

(٤) في تاريخه ٨/ ٥٥٥-٥٥٦ .

(٥) في تاريخه ٨/ ٥٥٤ .

جاءت امرأةٌ إلى العوفيِّ ومعها رجلٌ وصَبي، فقالت: أعزَّ اللهُ القاضي، هذا زوجي وهذا ولدي منه، فقال له القاضي: هذه امرأتُك؟ قال: نعم، قال: وهذا ولدُك؟ قال: لا، أنا رجل خَصِيّ. فألزَمَه الولد، فأخذه فوضعه على عُنقه، فلقيه رجلٌ فقال: ما هذا الصَّبيُّ منك؟ قال: القاضي يُفرِّق أولادَ الزِّنى على الخِصيان.

وحكى الخطيبُ[1] عن طلحةَ بنِ محمد قال: كان العوفيُّ جليلَ القدر، من أصحاب أبي حنيفة، وكان سليماً مُغَفَّلاً، وكان يجتمع في مجلسه قومٌ يتناظرون وبين يديه كتابٌ ينظر فيه، ثم يُلقي منه المسائلَ ويقول لمن يلقي عليه: أخطأتَ وأصبت، من الكتاب].

وكان المهديُّ قد جعله على المَظالم، فحضر ليلةً عند المهدي، فصلَّى المغرب وقام يتنفَّل، فجذب العوفيُّ بثوبه، فقال: ما الذي بك؟! قال: أمرٌ أولى من النافلة، قال: وما هو؟ قال: سلامٌ مولاك، وكان سلامٌ واقفاً على رأسه، قال: ما الذي بك؟ قال: غصب بني فلانٍ ضَيعتهم، مُرْه بردّها، فقال: حتى نصبح، فقال: لا واللهِ إلَّا الساعة، فقال المهديُّ لبعض قوَّاده: اذهب فأَخرج مَن فيها من أصحاب سلامٍ وسلِّمها إلى أصحابها، فما أصبحوا حتى رُدَّت عليهم.

[ذِكْر وفاته:

ذكر خليفةُ أنَّه مات في سنة إحدى ومئتين[2]. وقال ابنُ سعد: سنةَ اثنتين ومئتين[3]] حدَّث العوفيُّ عن الأعمش ومِسْعرَ بن كِدَامٍ وغيرهما، وقد تكلَّموا فيه.

[وفيها توفي]

الحسينُ بن عليّ

أبو عبدِ الله الجُعْفي[4]. من الطبقة السابعةِ من أهل الكوفة، الزاهدُ العابد.

كان سفيانُ الثوريُّ والإمام أحمدُ رحمةُ الله عليهما إذا رأياه قاما إليه واعتنقاه وقالا: مرحباً بالعابد.

---

(١) في تاريخه ٨/ ٥٥٦.

(٢) طبقات خليفة ص٣٢٨، وكذا أورده ابن الجوزي في وفيات سنة (٢٠١ هـ).

(٣) ذكر ابن سعد في طبقاته ٩/ ٣٣٣ القولين على الشك.

(٤) طبقات ابن سعد ٨/ ٥١٩، المنتظم ١٠/ ١١٧، تهذيب الكمال، السير ٩/ ٣٩٧، تاريخ الإسلام ٥/ ٥٣.

وقال الإمام أحمدُ بن حنبلٍ رحمةُ الله عليه: ما رأيت بالكوفة أفضلَ من حسين الجُعفي، وكان يُشَبَّه بالرُّهبان.

[وكان هارونُ الرشيد إذا رآه قبَّل يديه. وحدَّثنا غيرُ واحد عن محمد بنِ أبي منصورٍ بإسناده عن أبي] بكر بنِ سَماعةَ قال[١]: كنا بمكَّة، فقدم الرشيدُ ومعه جعفر بنُ يحيى، فقال للخادم: سَلْ عن حسينٍ الجُعْفي، فسأل عنه، فقال رجل: الساعةَ يَطلع من الثَّنيَّة، وإذا بحسينٍ قد طلع على حمارٍ أسود، فلمَّا حاذى هارون، قال الخادم: هذا هو يا أميرَ المؤمنين، فجاءه هارون فقبَّل يده ورجله، فلم يلتفتْ إليه، فقال له جعفر: يا شيخ، أتدري من يسلِّم عليك؟! هذا أميرُ المؤمنين، فالتفت حسين إلى هارونَ وقال: وأنت هو يا حسنَ الوجه؟! إنَّ اللهَ سائلك غداً عن هذا الخَلقِ كلِّهم، فقعد هارونُ يبكي، ومضى حسين.

وقيل لسفيان بن عُيينةَ والفُضَيلِ بن عياض: قد قدم حسينٌ الجُعفي، فخرجا للقائه، فلمَّا رأياه قبَّلا يديه ورِجليه، وجعل الفضيلُ يبكي ويقول: بأبي وأمِّي، رجل علَّمني اللهُ القرآنَ علي يديه. ثم دخل المسجدَ فطاف بالبيت وصلَّى ركعتين، وأكبَّ الناسُ عليه.

وقيل: مات بمكَّة[٢] في ذي القَعدة سنةَ ثلاثٍ ومئتين[٣]، ودُفن بالمُعَلَّى.

حدَّث عن القاسم بنِ الوليد وغيرِه، وكان وَرِعاً صالحاً ثقة.

[قال ابنُ سعد:][٤] أقام مؤذِّناً بمسجد جُعفي بالكوفة ستِّين سنة، يؤذِّن ويُقرئ القرآن.

أسند عن لَيث بنِ أبي سُليم، والأعمشِ، وهشامِ بن عروةَ وغيرهم.

---

(١) في (خ): وقال بكر بن سماعة، والمثبت من (ب).

(٢) في طبقات ابن سعد ٨/ ٥١٩ : بالكوفة.

(٣) وهو قول الأكثر، ومنهم من قال سنة ٢٠٤ . انظر طبقات خليفة ص١٧١، وتاريخه ص٤٧١ ، والتاريخ الكبير ٢/ ٣٨١ ، والمعرفة والتاريخ ١/ ١٩٥ ، والمنتظم ١٠/ ١١٨ ، وتهذيب الكمال. والسير ٩/ ٤٠٠ ، وغير ذلك.

(٤) في طبقاته، وما بين حاصرتين من (ب) .

الحسين بن الوليد

أبو عليٍّ النَّيسابوري، وقيل: أبو عبد الله، القُرَشيّ.

من الطبقة الخامسةِ من أهل خُراسان، قدم بغدادَ وحدَّث بها، وكان يُطعم أهلَ الحديث الفالُوذج، وقرأ القرآنَ على الكِسائي، وكان له مالٌ يطعمه للعلماء، ويغزو الترك، ويحجُّ في كلِّ عام(١).

سمع إبراهيمَ بن أدهمَ، ومالكَ بن أنس، والثوريَّ وغيرهم، وروى عنه الإمام أحمدُ رحمةُ الله عليه، وابنُ مَعين(٢) وابن راهُويه في آخَرين، واتَّفقوا على صدقه وأمانته، حتى قال الإمامُ أحمد رحمةُ الله عليه: هو أوثقُ أهلِ زمانه.

الفَضْلُ بن سَهْل(٣)

ابنِ عبد الله، أبو العباس، الملقَّب بذي الرِّياسَتَين.

كان أبوه سهلٌ من أولاد ملوكِ المجوس، أسلم في أيام الرشيد، واتصل بيحيى بن خالدٍ البرمكي، واتصل ابناه الفضلُ والحسن بالفضل وجعفرٍ ابنَي يحيى بنِ خالد، فضمَّ جعفرُ بن يحيى الفضلَ بن سهل إلى المأمون وهو وليُّ عهد، فغلب عليه بخِلاله الجميلة، من الكرم والوفاءِ والبلاغة والبراعةِ والكتابة، وقد ذكرنا تدبيرَه لأمور المأمونِ إلى أن ولي الخلافة، ففوَّض إليه أمورَه كلَّها، ولقَّبه ذا الرِّياستين؛ لتدبيره أمرَ السيفِ والقلم.

واختلفوا في إسلامه، فقال الهيثم: أسلم على يد المأمون. وقيل(٤): لمَّا أراد أن يُسلم، أَنِفَ أن يسلمَ على يد الرشيدِ أو المأمون، فدخل الجامع يومَ الجمعة وحده وقد اغتسل، فأسلم وعاد إلى داره مسلماً.

---

(١) في المصادر أنه كان يغزو الترك في كل ثلاث سنين ويحج في كل خمس سنين. انظر تاريخ بغداد ٨/ ٧٢٥، والمنتظم ١٠/ ١١٨، والسير ٩/ ٥٢٠، وتهذيب الكمال، وتاريخ الإسلام ٥/ ٥٥.

(٢) كذا قال، وهو وهم، فقد صرح يحيى بن معين -كما في تاريخ بغداد ٨/ ٧٢٦-٧٢٧ وتهذيب الكمال- أنه لم يكتب عنه شيئاً. ولعل المصنف أراد يحيى بن يحيى النيسابوري فكتبها يحيى بن معين، والله أعلم.

(٣) تاريخ بغداد ١٤/ ٢٩٨، والمنتظم ١٠/ ١١٠، والسير ١٠/ ٩٩.

(٤) في (ب): وقال آخرون.

ذِكر طَرَفٍ من أخباره:

قال له رجل: أَسكتَني عن وصفك تساوي أفعالِك في السُّؤدَد، وحيَّرني فيها كثرةُ عددها، فليس إلى ذِكر جميعها سبيل؛ لأني كلَّما أردت وَصْفَ واحدةٍ اعترضت أختُها، إذ كانت الأولى ليست بأحقَّ بالذِّكر، فلست أصفها إلَّا بإظهار العجزِ عن وصفها. فحشا الفضلُ فاه دُرًّا وقال: هذا الكلامُ أحسنُ من الدُّرِّ.

وقال إبراهيمُ بن العباس الصُّولي: [من مجزوء المتقارب]

لِفَضْلِ بنِ سَهْلٍ يدٌ ... تقاصَرَ عنها المَثَلْ
فبَسْطَتُها للغنى ... وسَطْوَتُها للأجل
وباطِنُها للنَّدى ... وظاهرُها للقُبَل[1]

أخذه ابنُ الروميِّ[2] فقال في القاسم بنِ عبيد اللهِ الوزير: [من الكامل]

أصبَحْتُ بين خَصَاصةٍ وتَجَمُّلٍ ... والحُرُّ بينهما يموت هَزيلا
فامْدُدْ إليَّ يداً تَعوَّد بَطْنُها ... بَذْلَ النَّوال وظَهْرُها التَّقْبيلا

[روى الخطيب[3] بإسناده عن] إبراهيم بن العباس الصُّولي قال[4]: اعتلَّ ذو الرِّياستين بخُراسانَ ثم برئ، فجلس للناس، فهنَّؤوه بالعافية، وتصرَّفوا في الكلام، فلمَّا فرغوا أَقبل عليهم وقال: إنَّ في العِلل لَنعماً ينبغي للعقلاءِ أن يعرفوها: تمحيصُ الذنوب، والتعرُّض لثواب الصبر، وإيقاظٌ من الغَفْلة، وادِّكار النِّعمة في حال الصِّحَّة، واستدعاءٌ للتوبة، وحضٌّ على الصدقة. قال: فنسي الناسُ ما تكلَّموا به وانصرفوا بكلام الفضل.

و[وقال الصُّولي:] مرض الفضلُ، فكتب إليه المأمونُ ـ وهي له ـ هذه الأبيات[5]: [من الخفيف]

كيف أصبحتَ بالكرامة صُبِّحـ ... ـتَ وبالخير ربُّنا مَسَّاكا

(١) ديوانه ص١٣٦ (الطرائف الأدبية)، وتاريخ بغداد ١٤/ ٣٠١، وعنه المنتظم ١٠/ ١١١.
(٢) في (خ): ابن الوزير الرومي، وهو وهم، والبيتان لابن الرومي، وهما في ديوانه ٥/ ١٩٠١.
(٣) في تاريخه ١٤/ ٣٠٢.
(٤) في (خ): وقال إبراهيم بن العباس الصولي، والمثبت من (ب).
(٥) في (خ): فكتب إليه المأمون يقول. وما بين حاصرتين من (ب)، والأبيات في تهذيب الرياسة ٢٦٣.

لا أَرانـي الإلـهُ فَـقْـدَكَ يـا فـضـ ـلُ وعـافـاك عـاجـلاً وشَـفـاكـا
قـد أردتُ الـمـجـيء إذ غـلـب الـشَّـو قُ وقـلـبـي لـو يـسـتـطـيـع أتـاكـا
فـتـذكَّـرتُ إذ تـهـيَّـأتُ أنـي لـسـت أسـطـيـعُ أن أراك كـذاكـا
فـأَبِـنْ لـي وُقـيـت فـيـك حِـذاري كـيـف أنـت الـغـداةَ مـن شـكـواكـا

و[قال الصُّولي:] قال الفضل: رأيت البخلَ سوءَ الظنِّ بالله، والسخاءَ حُسنَ الظنِّ بالله، قال الله تعالى: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ [البقرة: ٢٦٨]، وقال: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ [سبأ: ٣٩] الآية.

ولإبراهيمَ بنِ العباس الصوليِّ فيه مدائح، منها[١]: [من الطويل]

لَـعـمـرُكَ مـا الأشـرافُ فـي كـلِّ بـلـدة وإن عَـظُـمـوا لـلـفـضـل إلَّا صـنـائـعُ
تـرى عُـظَـمـاءَ الـنـاس لـلـفـضـل خُـشَّـعـاً إذا مـا بـدا والـفـضـلُ لله خـاشـع
تـواضـعَ لـمَّـا زاده اللهُ رِفْـعَـةً وكـلُّ عـزيـزٍ عـنـده مـتـواضـع

ذكر مقتله:

[قد ذكرنا أنه قتل يوم الحمام بسَرَخْس، وقد حكاه الخطيبُ[٢] عن] أبي حسَّان الزِّياديِّ [قال[٣]: في سنة اثنتين ومئتين] قُتل [ذو الرِّياستين] يومَ الخميس[٤] لليلتين خلتا من شعبان، بسَرَخْس في الحَمَّام، اغتاله نَفَر، فدخلوا عليه فقتلوه، فقتل به المأمونُ عبدَ العزيز الطائيَّ، ومؤنسَ بن عمرانَ البصريَّ، وخلف بن عمرَ المصريَّ[٥] وعليَّ بن أبي سعيدٍ، وسراجاً الخادم.

وقال الطبري[٦]: كانوا أربعةً من حَشَم المأمون، وهم: غالبٌ المسعودي الأسود، وقُسطنطين الرُّومي، وفَرَج الدَّيْلَمي، ومُوَفَّق الصَّقْلَبي [قال:][٧] قتلوه وهو ابنُ ستِّين

(١) كذا قال المصنف رحمه الله تعالى، والصواب أن الأبيات لعبد الله بن أيوب التيمي، انظر الأغاني ٢٠/ ٥٣، وتاريخ بغداد ١٤/ ٣٠٠، وزهر الآداب ١/ ٣٠١، ووفيات الأعيان ٤/ ٤٣ .

(٢) في تاريخه ١٤/ ٣٠٢ . وما بين حاصرتين من (ب).

(٣) في (خ): وقال أبو حسان الزيادي.

(٤) في (خ): الجمعة، وكذا هو عند الطبري ٨/ ٥٦٥، والمثبت من (ب)، وهو موافق لما في تاريخ بغداد.

(٥) في (ب) و (خ): البصري، والمثبت من تاريخ بغداد وتاريخ الطبري.

(٦) في تاريخه ٨/ ٥٦٥ .

(٧) ما بين حاصرتين من (ب).

سنة -وقال الجاحظ[١]: كان عمرُه إحدى وأربعين سنة وخمسةَ أشهر- وهربوا، فبعث المأمونُ في طلبهم، وجعل لمن جاء بهم عشرةَ آلافِ دينار، فجاء بهم العباسُ بن الهيثمِ الدِّينوري، فأمر بقتلهم، فقالوا للمأمون: أنت أمرتنا بقتله، فقتلهم وبعث برؤوسهم إلى الحسن بنِ سهل إلى واسط، وأعلمهُ بما دخل عليه من المصيبة بقتل الفضل، وأنه قد صيَّره مكانه، ووصل الكتابُ إلى الحسن في رمضان.

[وفيها توفي]

محمدُ بن جعفر

[ابنِ محمد][٢] بن عليِّ بن الحسين بن عليٍّ عليه السلام. الخارجُ بالحجاز [ومكَّة.

قال الخطيب: وكان] يلقَّب بالدِّيباج لحسن وجهه [وهو أخو إسحاقَ وموسى وعليٍّ بني جعفر. قال: وكان] يصوم يوماً ويُفطر يوماً. وقد ذكرناه، وأنَّ المعتصم حجَّ وأخذه، فبعث به إلى المأمون، فعفا عنه.

وكان عابداً جَواداً مُمَدَّحاً، ما خرج من منزله وعليه ثوبٌ فرجع وهو عليه.

وقيل[٣]: إنَّه مات سنةَ أربعٍ ومئتين، فخرج المأمونُ في جنازته حافياً ماشياً، وحمل سريرَه على عاتقه مسافة كبيرةً إلى قبره، فقيل له: لو صلَّيت عليه ورجعت، فقال: [هذه][٤] رَحِمٌ قُطعت منذ مئتي سنة، وصلناها اليوم.

وقال الصُّولي: لمَّا خرجوا بجنازته كان المأمونُ راكباً، فلما رآه ترجَّل ودخل بين العمودين وحمله، وذلك بخُراسان.

وقيل: إنَّه جامع وافتصد ودخل الحمَّام في يومٍ واحد، فكان سببَ موته.

حدَّث عن أبيه، وروى عنه جماعة.

---

(١) انظر كلامه في تاريخ بغداد ١٤/ ٣٠٣.

(٢) ما بين حاصرتين من (ب)، وانظر ترجمته في تاريخ بغداد ٢/ ٤٧٥، والمنتظم ١٠/ ١٢٠، وتاريخ الإسلام ٥/ ١٧٥، والسير ١٠/ ١٠٤.

(٣) قبلها في (ب): وقال الخطيب. ولم نجده في تاريخه، ولا في غيره من المصادر، بل لم نجد من ذكر وفاته في هذه السنة أصلاً، وذكروا وفاته في سنة ٢٠٣.

(٤) ما بين حاصرتين من (ب).

أبو محمدٍ اليَزيدي النَّحْوي

وقيل: أبو عبد الله[١]، العَدَوي، البَصْري، مولى بني عَديٍّ بن عبد مَناة، واسمه يحيى بنُ المبارك بنِ المغيرة، وقيل: محمد بنُ أبي محمدٍ يحيى[٢]، وسمِّي اليزيدي لأنَّه كان مُنقطعاً إلى يزيد بن منصورٍ الحِمْيَري خال المهدي، يؤدِّب ولده.

وكان صاحبَ أبي عَمرو بنِ العلاء، أخذ عنه اللغةَ، وعن الخليل وغيرهما، وسكن بغداد، واتصل بهارونَ وأدَّبه وأولادَه، وكان أحد القرَّاءِ الفُصحاء، عالماً باللغات، وله ديوان شعرٍ وكُتُبٌ حِسان، وأخذ عنه المأمونُ حرفَ أبي عمرو.

وحج اليزيديُّ مُعادلاً لهارونَ مراراً، فلم يكلِّمه إلا جواباً.

ودخل اليزيديُّ على الخليل، فأجلسه إلى جانبه، فقال له: أَحسبني قد ضيَّقت عليك، فقال الخليل: ما ضاق مكانٌ على صاحِبَيْن، والدنيا لا تَسَع مُتباغضَين.

أنشد اليزيدي: [من الطويل]

إذا نَكَباتُ الدَّهرِ لم تَعِظِ الفَتى ... ويَحْذرُ منها[٣] لم تَعِظْه عواذِلُهْ
ومَن لم يُؤدِّبه أبوه وأمُّه ... تؤدِّبْه رَوْعاتُ الرَّدى وزَلازِلُهْ
فدعْ عنك ما لا تستطيع ولا تُطِع ... هواك ولا يُغلَبْ بحقِّك باطلُهْ

وسأل المأمونُ اليزيديَّ عن شيء، فقال: لا، وجعلني اللهُ فداءك، فقال المأمون: لله دَرُّك، ما وُضعت الواوُ في موضعٍ أحسنَ من موضعها ها هنا. ووصله بمال.

وقال اليزيدي: التَّمْتَمَةُ في المَنْطق: التردُّد في التاء، والفأفأة: التردُّد في الفاء، والحُبسة: احتباس اللسانِ عن إرادة الكلام بشبه كلامِ العجم، واللُّكْنَة: أن يَعرضَ في اللغة العربية الأعجمية، واللُّثغة: أن يعدلَ بحرفٍ إلى حرف، وأما كَشْكَشةُ تميم، فإنَّ بني عَمرِو بن تميمٍ إذا ذكرتْ كافَ المؤنَّث أبدلوا منها شيناً، كقول القائل: [من الطويل]

---

(١) لم نقف على هذا القول، انظر تاريخ بغداد ١٦/ ٢٢٠، والمنتظم ١٠/ ١١٢، ومعجم الأدباء ٢٠/ ٣٠، والأغاني ١٩/ ٢١٦، وتاريخ الإسلام ٥/ ٢٢٦، والسير ٩/ ٥٦٢. ولليزيدي ابن اسمه محمد وكنيته أبو عبد الله، فلعله اختلط على المصنف أو المختصر. وهذه الترجمة ليست في (ب).

(٢) هو ابن المترجم، ولعل في الكلام سقطاً، والله أعلم.

(٣) في تاريخ بغداد ١٦/ ٢٢٢: وتقرع منه، وفي المنتظم ١٠/ ١١٣: وتفرغ منه، وفي معجم الأدباء ٢٠/ ٣٢: وأفزع منها.

فعيناشِ عيناها وجيدُشِ جيدُها ولكنَّ عَظْمَ السَّاقِ مِنشِ دَقيقُ[(١)]

وأما الطُّمْطُمانية، فكقول عنترة[(٢)]: [من الكامل]

تَبري له حُولُ النَّعَام كأنها[(٣)] حِزَقٌ يَمَانِيَةٌ لأعْجَمَ طِمْطِمِ[(٤)]

أسند اليزيديُّ عن أبي عَمرو وابن جُرَيج، والخليل بنِ أحمد، وروى عنه ابنُه محمد، والقاسمُ بن سلَّام، والدُّوري[(٥)]، في آخرين.

ومن شعره[(٦)]: [من الرمل]

الهوى أمرٌ عَجيبٌ شأنُه تارةً يأسٌ وأحياناً رَجَا

ليس فيمن مات منه عَجَبٌ إنَّما يُعْجَب ممَّن قد نجا

[أبو إسحاقَ الدُّولابي]

من أهل الرَّي، كان من الأبدال، صاحبَ كرامات.

قال الخطيبُ[(٧)] بإسناده عن محمد بنِ منصورٍ الطُّوسي قال: جئت مرَّة إلى مَعْروفٍ الكَرْخيِّ لأزورَه، فعضَّ أناملَه وقال: هاه، لو لحقتَ أبا إسحاقَ[(٨)] الدولابي، كان هاهنا الساعةَ، جاء يسلِّم عليَّ، قال: فذهبتُ أقوم، فقال: اجلس لعله قد بلغ الساعة منزلَه بالرَّيّ.]



(١) البيت لمجنون ليلى قيس بن الملوح، وهو في ديوانه ص٢٠٧، والكامل ٢/ ١٠٣٨، وسر صناعة الإعراب ١/ ٢٠٦، ودرة الغواص ص٢٥١، والخزانة ١١/ ٤٦٤.

(٢) الطمطمانية: أن يكون الكلام مشبهاً لكلام العجم. وقول عنترة ليس شاهداً عليها، وإنما هو ذِكر للرجل الطمطماني. انظر الكامل ٢/ ٧٦٢، ٧٦٧.

(٣) الحول: التي لا بيض لها، ورواية الديوان ص٢٠: تأوي له قلص النعام كما أوت.

(٤) الحزق: الجماعات، شبه اجتماعهن إلى الظليم [ذَكَر النعام] بقوم من أهل اليمن قد اجتمعوا إلى رجل من العجم لا يدرون ما يقول. شرح القصائد التسع المشهورات ٢/ ٤٨٣.

(٥) هو أبو عمر حفص بن عمر الدوري.

(٦) الشعر لابنه محمد في تاريخ بغداد ٤/ ٦٥٢، وذم الهوى ٣١٨.

(٧) في تاريخه ١٦/ ٦٠٢، وعنه في المنتظم ١٠/ ١١٤، والترجمة ليست في (خ).

(٨) في (ب): أبا الحسن، وهوخطأ.

السَّنة الثالثةُ بعد المئتين

فيها توفِّي عليُّ بن موسى الرِّضا.

[قال علماء السِّيَر:] لمَّا سار المأمونُ من سَرَخْسَ إلى طُوس، نزل عند قبرِ أبيه، فأقام أياماً، ثم إنَّ عليَّ بن موسى أكل عِنَباً فأكثر منه، فمات فَجأةً في آخر صفر، فصلَّى عليه المأمون، ودفنه عند قبرِ الرشيد، وكتب إلى الحسن بنِ سهل يخبره بموته، وكتب إلى بني العبَّاس والموالي وأهلِ بغدادَ يُعلمهم بموت عليِّ بن موسى، وأنهم إنَّما نَقَموا عليه بيعتَه له من بعده، ويسألهم الدخولَ في طاعته، فأجابوه بأقبحِ الأجوبة، فرحل إلى الرَّي، فلمَّا صار بها، أَسقط من خراجها عن أهلها ألفي ألفِ درهم.

وفيها غلبت السَّوداء على الحسن بنِ سهل، وتغيَّر عقله بالمرض، فكُبِّل بالحديد وقيِّد، وحُبس في بيتٍ بواسط، وكتب قوَّاده إلى المأمون يُخبرونه خبرَه، فكتب إليهم بأن يكونَ على عسكره دينارُ بن عبد الله، ويعلمهم أنَّه واصلٌ على إثْر كتابه.

وفيها ضرب إبراهيمُ بن المهديِّ عيسى بنَ محمد بن [أبي](١) خالدٍ وحبسه. وسببُه: أنه كان يكاتب الحسنَ بن سهل وحُمَيْداً، وكانا بواسطَ على حرب إبراهيم، وكان إبراهيمُ يقول لعيسى: أُخرج فقاتل الحسنَ وحميداً، فيتعلَّل عليه تارةً بالنَّفَقة في الجند، وتارةً بإدراك الغِلال.

ثم اتفق مع الحسن وحُميدٍ أن يُسلمَ إبراهيمَ إليهما يومَ الجمعة لانسلاخ شوال، وبلغ إبراهيمَ، فلمَّا كان يومُ الخميس، جاء عيسى إلى باب الجسر، وأمر بحفر الخنادقِ بباب الجسر وبابِ الشام، وعزمَ على أخذ إبراهيم، فأرسل إليه إبراهيم يطلبه، فامتنع، فأرسل إليه ثانياً، فجاء، فعاتبه وحبسه وضربه، فثار إخوةُ عيسى ومواليه وشَغَبوا، وقطعوا الجسرَ بينهم وبين إبراهيم، وكان إبراهيمُ بقصر الرُّصافة، وكاتبوا حُميداً ليقدَمَ عليهم، فجاء فنزلَ صَرْصَر، ثم اجتمع القوَّاد وخلعوا إبراهيمَ بن المهدي، فاختفى ليلةَ الأربعاء لثلاثَ عشرةَ بقيت من ذي الحِجَّة، ويقال: إنه صلَّى الجمعةَ

(١) ما بين حاصرتين من تاريخ الطبري ٨/ ٥٦٩، والمنتظم ١٠/ ١١٥.

بجامع المهديِّ، ثم مضى إلى قصره واختفى في الليل، فكانت أيّامه سنةً وأحدَ عشرَ شهراً وأياماً.

وقال أبو معشر: لم يزل يُخطب لإبراهيمَ على المنابر حتى قارب المأمونُ بغداد، فضعف أمرُه وتفرَّق عنه الناس.

وفيها كُسفت الشمسُ ليلةَ الأحد لليلتين بقيتا من ذي الحِجَّة [حتى ذهب ضوءُها، وغاب أكثرُ من ثُلثيها، فأظلمت الدنيا إلى الظهر، ثم انْجَلَت، وكان انكسارُها في][1] أوَّل النهار.

[وذكر جدِّي في «التلقيح»[2] وقال: وفي سنة ثلاثٍ ومئتين] زُلزلت[3] مَرْوُ حتى سقطت مَنارةُ الجامع، وسقط المسجدُ الجامع ببَلْخَ، ونحوٌ من رُبع المدينة.

وحجَّ بالناس سليمانُ بن عبدِ الله بنِ سليمانَ بن عليّ.

[وفيها توفِّي

خُزَيْمةُ بن خازم

القائدُ النَّهْشَلي، وقد ذكرنا تقدُّمَه عند بني العباس، وتوليةَ الخلفاء له الولايات، وهو الذي ولَّاه الأمينُ الجزيرةَ ونزح عنها القاسمَ بن هارون، وهو الذي عاب على الأمين غدرَه بالمأمون، وقال: سوف ترى.

وكان خُزَيْمةُ شجاعاً جَوَاداً، وكان ببغدادَ دربٌ يُعرف بدرب خُزَيْمة.

وكانت وفاتُه في شعبانَ ببغداد، وكان قد ذهب بصره. وله روايةٌ في الحديث عن مالك بن أنسٍ[4] وابن أبي ذئب وغيرِهما.]

وفيها توفِّي

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب).

(٢) ص٨٨.

(٣) في (خ): وفيها زلزلت ...

(٤) لم تذكر الكتب التي بين يدي رواية له عن مالك رحمه الله تعالى. انظر تاريخ بغداد ٩/ ٣٠١، والأنساب ١٠/ ٣٤، والمنتظم ١٠/ ١١٨، وتاريخ الإسلام ٥/ ٦٨ .والترجمة غير موجودة في (خ).

عليُّ بن موسى

ابنِ جعفر بن محمد بن عليِّ بن الحسين بن عليِّ بن أبي طالب، أبو الحسن، وهو الرِّضا، ويلقَّب بالوليِّ والوفي، وأمُّه الخَيْزُران[١] أمُّ ولد، وهو من الطبقة الثامنةِ[٢] من أهل المدينة، وكان يفتي بمسجد النبيِّ ﷺ وهو ابن نيِّف وعشرين سنة.

وقد ذكرنا إشخاصَ المأمونِ له من المدينة [إلى مَرْو مع فرناس الخادم وابن أبي الضحاك] وأنه ولَّاه العَهْدَ [وشغب بني العباسِ ببغداد، وأنه][٣] سار معه من مروَ يريد العراق، فلمَّا وصل إلى طُوسَ مرض أياماً، فتأخَّر رحيلُ المأمون بسببه.

وقيل: لم يمرض، وإنَّما دخل الحمَّام وخرج، فقُدِّم إليه طَبَقٌ فيه عِنَب مسمومٌ سمًّا لم يظهر فيه، فيقال: إنَّهم أدخلوا فيه الإبرَ المسمومة، فأكله فمات.

وقال جدِّي رحمه اللهُ تعالى في «المنتظَم»[٤]: لمَّا رأوا أن الخلافةَ قد خرجت إلى أولاد عليِّ بن أبي طالب، سقَوا عليَّ بن موسى الرِّضا السمّ، فتوفِّي بقريةٍ من قرى طوسَ يقال لها: سَنَاباذ في رمضان.

قال المصنِّف رحمه الله: وقد زعم قومٌ أن المأمونَ سمَّه، وليس كما ذكروا؛ فإنَّ المأمون حزن عليه لمَّا مات حُزْناً لم يحزنْه على أحد، وكتب إلى الآفاق يعزُّونه فيه [ولو أنه سُمَّ مَن يوثق به؟ فإن الطبريَّ قال[٥]: مات فجأةً، أكل عِنَباً فأكثر منه].

وكان عليُّ الرِّضا -كما سمِّي- رضاً، جواداً، زاهداً، عابداً، مُعرِضاً عن الدنيا، ولولا خوفُه من المأمون ما أجاب إلى ولاية العهد.

وقيل لأبي نُواس: ألا تمدحه؟ فقال: [من الخفيف]

---

(١) كذا قال رحمه الله تعالى، وفي السير ٩/ ٣٨٧ أن اسمها سكينة، وانظر الوافي ٢٢/ ٢٤٨، والمنتظم ١٠/ ١١٩، وتهذيب الكمال، وتاريخ الإسلام ٥/ ١٢٨.

(٢) في (ب): وقد ذكره خليفة في الطبقة الثامنة. اهـ. ولم أقف عليه في طبقات خليفة، وذكره في تاريخه ٤٧١ في وفيات سنة (٢٠٣ هـ).

(٣) ما بين حاصرتين من (ب).

(٤) ١٠/ ١٢٠، وفي (خ): وقال الشيخ أبو الفرج بن الجوزي رحمه الله، والمثبت من (ب).

(٥) في تاريخه ٨/ ٥٦٨. وما بين حاصرتين من (ب).

قـيـل لـي أنـت أوحـدُ الـنـاس فـي كـلِّ كـلامٍ مـن الـمَـقـال بَـديـهِ
لـك فـي جَـوْهـر الـكـلامِ فُـنـونٌ تَـنْـثُـر الـدُّرَّ مـن يَـدَي مُـجْـتَـنـيـه[1]
فـعَـلامَ تـركـتَ مـدحَ ابـنِ مـوسـى والـخـصـالَ الـتـي تـجـمَّـعـن فـيـه
قـلـت لا أهـتـدي لـمـدح إمـامٍ كـان جـبـريـلُ خـادمـاً لأبـيـه

وكان سنُّ عليٍّ خمساً وخمسين سنة، وقيل: تسعٌ وأربعون سنة.

وكان أخوه زيدُ بن موسى قد خرج على المأمون، فظَفِر به، فأرسله إلى عليٍّ وعفا عنه، فعاتبه أخوه ووبَّخه، وقال له: سَوءةً لك يا زيد، ما أنت قائلٌ غداً لرسول اللهِ ﷺ إذ سفكتَ الدماءَ وأخفت السبيلَ وأخذت المالَ من غير حِلِّه؟! غرَّك حمقى أهلِ الكوفة وقد قال النبيُّ ﷺ: «إنَّ فاطمةَ أحْصَنَتْ فَرْجَهَا، فحرَّم اللهُ ذُرِّيَّتها على النار»[2] وهذا لمن خرج من بطنها، مثلِ الحسنِ والحسين، لا لمثلي ومثلِك، وما نالوا ذلك إلَّا بطاعة الله، فإن أردتَ أن تنالَ بمعصية اللهِ ما نالوه بطاعته، فحينئذٍ أنت أكرمُ على الله منهم؟! سوءةً لك!

ذِكر أولاده:

كان له محمدٌ الإمام، والنسلُ له، وأبو جعفرٍ الثاني، وجعفر، والحسن، وإبراهيم، وابنةٌ واحدة[3].

أسند الحديثَ عن أبيه وجدِّه وعمومتِه وغيرهم.

وذكر شيخنا موفَّق الدِّين رحمه اللهُ حديثاً عن محمد بن عليٍّ بن موسى، عن أبي[4]

---

(١) في المصادر اختلاف في رواية هذا البيت. انظر المنتظم ١٠/ ١٢٠، ووفيات الأعيان ٣/ ٢٧٠، والسير ٩/ ٣٨٩، وتاريخ الإسلام ٥/ ١٢٩، والوافي ٢٢/ ٢٤٩.

(٢) أخرجه البزار (١٨٢٩)، والطبراني في الكبير ٢٢/ ٤٠٦ (١٠١٨)، والحاكم ٣/ ١٥٢ من حديث عبد الله بن مسعود وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وتعقبه الذهبي فقال: بل ضعيف، تفرد به معاوية بن هشام، وفيه ضعف، عن ابن غياث، وهو واه بمرَّة. انظر الكلام عليه في موضوعات ابن الجوزي (٥٧٦) و(٥٧٧)، ولسان الميزان ٦/ ١٣١، وتنزيه الشريعة ١/ ٤١٧-٤١٨.

(٣) واسمها عائشة.

(٤) في (خ): أبيه، والتصويب من حلية الأولياء ٣/ ٢٠٣، وقد أخرجه من هذا الطريق وقال: هذا حديث صحيح ثابت، روته العترة الطيبة. وقال ابن حجر في اللسان ١/ ٥١٧: أخرجه أبو نعيم في الحلية بسند له فيه =

جعفر، عن أبيه محمد، عن أبيه عليِّ بن الحسين، عن أبيه، عن عليِّ بن أبي طالب كرَّم الله وجهَه، عن النبيِّ ﷺ، وقال: هذا إسنادٌ لو قرئ على مجنونٍ لبرئ.[1] والحديثُ قولُه ﷺ: «شاربُ الخمرِ كعابد وَثَن».

[وفيها توفِّي

عمرُ بن سعد

أبو داودَ، الحَفَري، الكوفي. وذكره ابنُ سعد[2] في الطبقة الثامنةِ من أهل الكوفة. وحَفَر موضعٌ. وكان عالماً زاهداً ورعاً.

وروى أبو الفضل بنُ ناصرٍ بإسناده إلى المَرْوَزيِّ قال: سمعت أحمدَ بن حنبلٍ يقول: رأيت أبا داودَ الحَفَريَّ الكوفي وعليه جُبَّةٌ مُخَرَّقة قد خرج القُطنُ منها، يصلِّي ما بين المغربِ والعشاءِ وهو يَتَرجَّح من الجوع.

قال: وبلغني عن عباسٍ[3] الدُّوري: لو رأيتَ أبا داودَ رأيت رجلاً كأنه اطَّلع في النار فرأى ما فيها.

وما كان يقبل برَّ أحد. وكانت وفاتُه في هذه السَّنة. أسند عن الثوريِّ وأقرانه، وكان صدوقاً ثقة.

قال ابنُ سعد[4]: كان ناسكاً له فضلٌ وتواضع وزهد، وكان من أصحاب سفيانَ الثوري. والحمدُ لله وحده، وصلَّى اللهُ على أشرفِ خلقه محمدٍ وآله وصحبِه وسلَّم].



= من لا يعرف حاله، والمتن أورده ابن حبان في صحيحه [٥٣٤٧] من حديث ابن عباس، وفي سنده مقال.اهـ.

قلت: وأورده أحمد (٢٤٥٣) من وجه آخر عن ابن عباس، وفي سنده انقطاع. وفي الباب عن أبي هريرة رضي الله عنه عند ابن ماجه (٣٣٧٥)، والبخاري في التاريخ الكبير ١/ ١٢٩، قال البخاري: ولا يصح حديث أبي هريرة في هذا.

(١) انظر التبيين ١٣٣.

(٢) في طبقاته ٨/ ٥٢٧، وانظر ترجمته في تهذيب الكمال، والمنتظم ١٠/ ١١٩، على تحريف وتصحيف فيه، والسير ٩/ ٤١٥، وتاريخ الإسلام ٥/ ١٣٤.

(٣) في (ب): ابن عباس، والتصويب من المنتظم ١٠/ ١١٩، وصفة الصفوة ٣/ ١٧٨.

(٤) في طبقاته ٨/ ٥٢٧.

السَّنة الرابعةُ بعد المئتين

فيها دخل المأمونُ بغدادَ لأربعَ عشرةَ خلت من صفرٍ يومَ السبت، وكان قد نزل النهروانَ يوم السبت، فأقام به ثمانيةَ أيام، وكان قد كتب إلى طاهر بنِ الحسين ليوافيَه بالنَّهروان، فوافاه.

وقال أحمد بنُ أبي خالدٍ الأحول كاتبُ المأمون: لمَّا قربنا من بغداد، قلت له: يا أميرَ المؤمنين، كيف يكون حالُنا إن هاج هائجٌ أو تحرَّك متحرِّك علينا والفتنُ قائمة ببغداد؟! فقال لي: صدقت، قلت: ما معنا سوى خمسين ألفَ درهم، فقال: الناسُ في بغدادَ على ثلاث طبقات، ظالم، ومظلوم، ولا ظالمٌ ولا مظلوم، فأما الظالم فيتوقَّع عفوَنا[1] وسكوتَنا عنه، والمظلوم يتوقَّع منا الإنصاف، وأما القسم الآخَر فيسعه بيتُه. فكان كما قال.

ودخل المأمون بغدادَ ولباسُه ولباس أصحابِه [وأقبيتهم وقلانسهم وأعلامهم] الخُضرة، فنزل [المأمون] قصرَ الرصافة، وأمر طاهراً فنزل الخيزُرانية، وأمر القوَّاد فنزلوا في عساكرهم، وكانوا يختلفون إلى قصره كلَّ يوم، وتحوَّل فنزل شاطئَ دجلةَ في قصره، ووافقه بنو هاشم وأهلُ بغدادَ بأسرهم في لباس الخُضرة، وكان أصحابه يخرقون كلَّ شيء يرونه من السَّواد على الناس.

ذِكر رمي المأمونِ الخضرةَ ولُبسِه السَّواد:

واختلفوا في سببه على أقوال:

أحدُها: أنَّ المأمونَ قال لطاهر: سَلْ حوائجك، فقال: يا أميرَ المؤمنين، أهمُّ حوائجي حفظُ هذا البيت، قال: نعم، وبمَ ذا؟ قال: بخلع هذه الخضرةِ وعودِك إلى شعار آبائك وأهلك، فقال: نعم.

والثاني أنَّ بني [هاشم من بني] العباسِ قالوا له: يا أميرَ المؤمنين، تركتَ لباسَ أهل بيتِك وزيِّهم ولبست الخُضرة، ارجع إلى لباس أهلك.

---

(١) في (خ): عقوبتنا، والمثبت من المصادر، انظر تاريخ الطبري ٨/ ٥٧٥، والمنتظم ١٠/ ١٢٧، والكامل ٦/ ٣٥٨.

والثالث [حكاه الصُّولي](١): أن المأمون لمَّا دخل بغدادَ وعليه الخضرة، عزَّ على بني العباس، فاجتمع وجوهُهم إلى بنت سليمانَ بن عليٍّ بن عبد اللهِ بن عباس، وكانت في القُعْدُد(٢) مثلَ المنصور، وسألوها أن تدخلَ على المأمون وتسألَه الإضرابَ عن لبس الخُضرة، وعزل من ولَّاه مَن ولد عليٍّ عليه السلام، وأن يعودَ إلى لُبس السواد، وكان قد عزم على تولية العهدِ لمحمد بن عليٍّ بن موسى بعد أبيه، وإنما شغله شغبُ بني العباسِ عليه وولايةُ إبراهيمَ بن المهدي، وأقام ينتظر الفرصةَ في البَيعة لمحمد بنِ علي، فدخلت عليه زينبُ بنت سليمان، فقام لها وأكرمها واحترمها، فقالت له: يا أميرَ المؤمنين، إنَّك على بِرِّ أهلك من آل أبي طالبٍ والأمرُ في يدك أَقدرُ منك على برِّهم والأمرُ في يد غيرك، فعُدْ إلى شعار آبائك ولا تُطمعنَّ أحداً فيما كان منك.

فعجب المأمونُ من كلامها وقال: يا عمَّة، ما كلَّمني أحدٌ بكلام هو أوقعُ من كلامكِ في قلبي، ولا أقصد لِمَا أردت، ولكن أنا أحاكم أهلَ بيتي إليك، قالت: وما ذاك؟ قال: ألست تعلمين أن أبا بكرٍ ﵁ لمَّا ولي الخلافةَ لم يولِّ الخلافةَ أحداً من بني هاشم؟ قالت: بلى، قال: ثم وَلِي عمرُ ﵁ فكان على ذلك، ثم ولي عثمانُ فأقبل على أهله من بني عبد شمسٍ فولَّاهم الأمصارَ ولم يولِّ أحداً من بني هاشم، ثم ولي أميرُ المؤمنين عليٌّ كرَّم الله وجهه فأقبل على بني هاشم، فولَّى عبدَ الله بنَ عباس البصرة، وعبيدَ الله بنِ عباس اليمن، ومعبداً مكَّة، وقُثَماً البحرين، ولم يتركْ أحداً من بني العباسِ إلا ولَّاه ولاية؟ فكانت [له] هذه في أعناقنا، فكافأتُه في ولده على ما فعل [معنا].

[قال الصولي:] وأنشد المأمونُ لنفسه: [من الطويل]

ألام على شكر الوصيِّ أبي الحسنِ ... وذلك عندي من عجائب ذا الزَّمنْ
ولولاه ما عُدَّت لهاشم إمرةٌ ... وكانت على الأيام تُقضى وتُمتهن
فولَّى بني العباسِ ما اختصَّ غيرهمْ ... ومَن منه أولى بالتكرُّم والمِنَن
فأوضح عبدُ الله بالبَصرة الهدى ... وفاض عبيدُ الله جُوداً على اليمن

(١) ما بين حاصرتين من (ب).

(٢) في (ب) و (خ): التعدد، والقعدد: القريب الآباء من الجد الأكبر، والبعيد أيضاً، ضد. القاموس المحيط (قعد).

وقسَّم أعمالَ الخلافةِ بينهمْ وها أنا مربوطٌ[1] بذا الشُّكر مرتهن

فقالت له زينب: فللّه دَرُّك يا بُنيَّ ممَّا فعلتَ! ولكن المصلحةَ لبني عمِّك من ولد أبي طالبٍ ما ذكرته لك، قال: ما يكون إلَّا ما تحبِّين ويحبُّون. ثم فكَّر في عاقبة الأمر، فرأى أن القواعدَ تنخرم عليه، وربَّما خرج الأمرُ من يد بني العباسِ وآل أبي طالب؛ لاختلافهم، وفي الأرض بقايا من بني أميَّة، فربما وجدوا الفرصةَ في تفريق الكلمة [وإثارةِ الفتن وسفكِ الدماء][2] فجلس للناس جلوساً عامًّا، ودعا وجوهَ بني هاشم[3]، واستحضر حُلَّةً سوداء، فلبسها ورمى الخُضرة، وخلع على طاهرٍ مثلَها، وعلى وجوه بني هاشم، ورمى الناسُ الخضرةَ ولبسوا السواد، وطابت قلوبُهم.

وأقام المأمونُ ببغدادَ وعليه الخضرةُ تسعةً وعشرين يوماً، وقيل: ثمانيةَ أيام.

و[قال الصولي:][4] لمَّا رأى المأمون كراهيةَ الناس الخضرةَ قال: واللهِ ما دخلت بغدادَ وهي عليَّ إلا ليعلمَ بنو العباسِ أنني ما انزعجت لقولهم، ولولا سؤالُ زينبَ لما خلعتها.

ولما دخل المأمونُ بغدادَ تلقَّاه أهلها، فقال له رجلٌ من الموالي: يا أميرَ المؤمنين، بارك اللهُ لك في مَقدَمك، وزاد في نعمك، وشكرك عن رعيَّتك، فقد فُقتَ مَن قبلك، وأتعبتَ من بعدك، وآيستَ أن يُعتاضَ عنك؛ لأنه لم يكن مثلُك، ولا عُلِم شَبَهك، أمَّا فيمن مضى فلا يعرفونه، وأمَّا فيمن بقي فلا يرجونه، فهم بين دعاءٍ لك، وثناءٍ عليك، وتمسُّك بك، أخصب جنابُك، واحْلَولَى لهم ثوابُك، وكَرُمت مقدرتُك، وحسنت أَثرتُك[5]، فجبرتَ الفقير، وفككتَ الأسير، فأنت كما قيل: [من المنسرح]

ما زلتَ في البذل والنَّوالِ وإطـ ـلاقٍ لِعانٍ بجُرمه غَلِقِ[6]

---

(١) في المنتظم ١٠/ ١٢٨: فلا زلت مربوطاً.

(٢) ما بين حاصرتين من (ب).

(٣) في (خ): بني العباس.

(٤) ما بين حاصرتين من (ب).

(٥) في (خ): أثرك، والمثبت من تاريخ بغداد ١١/ ٤٣٥، والمنتظم ١٠/ ١٢٩.

(٦) الغلق: المتروك لا يفك. شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٤/ ١٦٢٠.

حتى تمنَّى البِراءُ[١] أنَّهمُ عندك أمسَوا في القيد[٢] والغَلَقِ[٣]

فقال له المأمون: مِثلُك يَعيب مَن لا يصطنعه، ويعتب[٤] مَن يجهل قدرَه، فاعذِرني في سالفك؛ فإنَّك ستجدني في مستأنَفك.

ذِكر اجتماعه بزُبيدة:

[اختلفوا في كيفية اجتماعِها به، فروى أبو الفضل بنُ ناصرٍ عن] المعافى بنِ زكريا قال[٥]: لمَّا دخل المأمونُ بغداد، دخلت عليه أمُّ جعفرٍ فقالت: أهنِّئك الخلافة، قد هنَّأتُ بها نفسي [عنك] قبل لقائك، ولَئن كنتُ فقدت ابناً خليفةً ولدته، فقد عوَّضني الله خليفةً لم أَلده، وما خسر مَن اعتاض مثلَك، ولا ثكلت أمٌّ ملأت راحتيها منك، وأنا أسأل اللهَ أجراً على ما أخذ، وإمتاعاً بما عوَّض. فقال المأمون: ما تلد النساءُ مثلَ هذه، ما أبقت بعد هذا الكلامِ لبلغاء الرِّجال؟ [وفي رواية]: فحشا فاها بالدُّرّ.

قال الصُّولي: لمَّا قدم من خُراسان [إلى بغداد][٦] لم تدخلْ عليه [زبيدة] وكتبت إليه بشعرٍ عمله بعضُ شعرائها، وهو: [من الطويل]

لِخَيْرِ إمامٍ قام من خير عنصرٍ وأفضلِ راقٍ كان أعوادَ منبرِ

الأبياتِ المتقدِّمة [عند مقتلِ الأمين][٧] فلمَّا قرأها [المأمون] بكى وقال: أنا واللهِ طالبٌ ثأرَ أخي، قتل اللهُ قَتَلَته، وكتب إليها في ظهرها يقول: [من الوافر]

يَعزُّ عليَّ ما لاقيتُ فيه وأنتِ الأمُّ خيرُ الأمَّهاتِ
ولم أرضَ الذي فعلوا بتِربي من القتل المبرِّح والشَّتات
أمرتُ بأخذ هذا الأمرِ منه وقبضِ يديه عن تلك الهَنَات

(١) في (خ): البرايا، والمثبت من المصادر. انظر العقد الفريد ٢/ ١٣٥، وشرح ديوان الحماسة، وتاريخ بغداد ١١/ ٤٣٥، والتذكرة الحمدونية ٤/ ١١٤، والوافي ٧/ ٢٥٣ . والبيتان لأبي دَهْبَل الجمحي كما في الحماسة والتذكرة الحمدونية.

(٢) في (خ): القدر، والمثبت من المنتظم، وفي باقي المصادر: القد.

(٣) في المصادر: والحلق.

(٤) في تاريخ بغداد: ويَعُزُّ، وفي المنتظم: ويعز.

(٥) في (خ): وقال المعاف بن زكريا.

(٦) ما بين حاصرتين من (ب).

(٧) انظر الصفحة ٣١٦.

وإنـي مِـثـلُـه لـك فـاعـلـمـيـهِ على ما كان ما بَقِيَت حياتي
وثـأرٌ[1] بـعـد ثـأر الله فـيـه سيذهب بالجبابرة العُتاةِ
بنى لكِ جعفرٌ بيتاً رفيعاً وشيَّده بأعلى المَكرُمات
أميرَ المؤمنين ورثتُ حقًّا وأنتِ أميرةٌ للمؤمنات

[وقام المأمون] فدخل عليها فعزَّاها وأكثر البكاءَ معها، وسألته أن يتغدَّى معها، ففعل [وأخرجتْ][2] له جاريةً من جَواري الأمين تغنِّيه، فغنَّت بشعر الوليدِ بن عقبةَ في عثمان [بنِ عفان] رضي الله عنه: [من الطويل]

هـمُ قـتـلـوه كـي يـكـونـوا مـكـانَـه كما غَدَرت يوماً بكسرى مَرازِبُهْ
فـإلَّا تـكـونـوا قـاتـلـيـه فـإنَّـه سواءٌ علينا ماسكوه[3] وضاربه

فتغيَّر وجهُ المأمون وقام مغضَباً، فقالت زبيدة: يا أميرَ المؤمنين، حرمني اللهُ أجرَه إن كنتُ علمتها أو دسست إليها، فصدَّقها [وعجب من هذا الاتِّفاق][4].

وقال الهيثم [بن عَدِي]: لما قرب المأمونُ من [باب] بغداد، خرجت زبيدةُ حاسرةً ناشرة شعرَها بين جواريها، فلما وقعت عينُها على المأمون صاحت: واوجداه! واولداه! واقتيلاه! فبكى المأمونُ وجميع مَن حضر، وكان يوماً عظيماً، وترجَّل المأمون ومشى إليها وقبَّل رأسها، وقال: لعن اللهُ قاتله، واللهِ ما أمرتُه ولا رضيت به، ولأقتلنَّ قاتلَه. فقالت: يا أميرَ المؤمنين، لي حاجة، فقال: حوائجُك مقضيَّة عندي، قالت: لا ينزل أحدٌ في قصور ابني، وتأذنُ لي في خرابها، فقال: قد فعلت.

وكان محمدٌ لما ولي الخلافةَ بنى قصوراً على شاطئ دِجلة، منها عند الخلد وعند الحريم، ومقابلُها في الشمَّاسية، وغير ذلك. فكانت زبيدةُ تخرج في كلِّ يوم ومعها النوائح، فينُحنَ في قصرٍ وتهدمه، حتى أتت على الجميع، فقال السنديُّ بن شاهك: رحم

(١) في المنتظم ١٠/ ١٣٠: وثأري.
(٢) ما بين حاصرتين من (ب).
(٣) في أنساب الأشراف ٥/ ٢٤٨: ممسكاه. والبيت الأول سلف في مقتل الأمين.
(٤) ما بين حاصرتين من (ب).

اللهُ يحيى بنَ خالدٍ البرمكي، فلقد أخبر بهذا يومَ قتل هارونُ ولدَه جعفراً؛ فإنَّه قيل له: قد أمر بقتل ولدِك، فقال: يُقتل ولده، فقيل له: قد أمر بهتك حريمه، فقال: يُهتك حريمُه، فهُتكت زبيدة، فقيل له: قد أمر بخراب دورِك، فقال: تخرب دورُه. فكان كما قال.

ولما دخل المأمونُ بغداد، أمر بمقاسمة أهلِ السَّواد على الخُمسَين، وكانوا يقاسمون على النِّصف.

وولَّى المأمونُ أبا عيسى بنَ الرشيد الكوفة، وصالحَ بن الرشيد البصرة، وعبيدَ الله ابنَ الحسن بنِ عبيد الله بن العباس بن عليٍّ بن أبي طالبٍ الحرمين، فحجَّ بالناس في هذه السَّنة.

أبو داودَ الطَّيالسي

واسمه سليمانُ بن داود [بنِ][1] الجارود، مولى قريش، من الطبقة السابعةِ من أهل البصرة.

كان كثيرَ الحديث، ثقةً إماماً حافظاً متقناً، وله التصانيفُ الكثيرة، وربَّما غلط.

وقدم بغدادَ وحدَّث بها، وكان يجتمع في مجلسه ستةُ آلاف مِحبرة، وحدَّث بأصبهانَ أربعين ألفَ حديثٍ من حفظه، وكان قد شرب البلاذُرَ[2] هو وعبدُ الرحمن بن مهدي، فجُذِمَ أبو داودَ وبَرِصَ عبدُ الرحمن.

ومات أبو داودَ في صفر، وقيل: في ربيعٍ الأول، بالبصرة، وهو ابنُ اثنتين وسبعين سنة.

أسند عن خلق، منهم شعبةُ والثوريُّ وهمَّام بن يحيى، وروى عنه الإمامُ أحمد رحمه الله وابنُ المدينيِّ وغيره، واتَّفقوا على صدقه وثقتِه وورعه، وكان الإمام أحمدُ يثني عليه.

---

(١) ما بين حاصرتين من تاريخ بغداد ١٠/ ٣٢، والمنتظم ١/ ١٣٣، وغيرهما، ولم ترد هذه الترجمة في (ب).

(٢) ثمر شجر في داخله شيء شبيه بالدم، نافع لجودة الحفظ. المعتمد في الأدوية المفردة ص٣١.

السِّنديُّ بن شاهك

مولى [أبي جعفرٍ] المنصور [وقد ذكرناه في عدَّة مواضع.

وقال ابنُ ماكولا:][(١)] كان رجلاً دميمَ الخلق من السِّند، وكان أميراً على دمشق، فأخرب سورَها في فتنة أبي الهَيذامِ سنة ستٍّ وسبعين ومئة [في خلافة هارون.

حكى عنه الصوليُّ أنه] قال: كنت بخُراسانَ والياً عليها، فبعث إليَّ المأمونُ فطلبني على البريد، فطويت المراحلَ حتى قدمت بغدادَ على آخر نفَس، فأتيت بابَه، فوجدته نائماً، وهاج بي الدم، فقلت: أَحتجم وأعود، فمضيت إلى داري وطلبت حجَّاماً لا يكون فضوليًّا، فأُتيت بحجَّام، فشرع يحجمني وقال: هذا وجهٌ ما رأيته قطّ، فمن أنت؟ قلت: السِّندي بن شاهك، قال: ومن يكون السِّندي؟ قلت: قائد من قوَّاد أميرِ المؤمنين، قال: وأين كنت؟ قلت: بخُراسان، قال: وما الذي كنت تعمل؟ قلت: والياً عليها، قال: ففي أيِّ شيءٍ قدمت؟ قلت: على البريد، قال: وفي كم جئت؟ قلت: في عشرة أيام، قال: وما الذي يريد منك؟ قلت: إذا فرغت من الحجامة عرَّفتك.

فلمَّا فرغ من الحجامة قلت للغلمان: مدُّوه، فمدُّوه، فضربته عشرةَ أسواط، فقال: ما هذا؟ قلت: هذا عن سؤالك عن اسمي، ثم ضربته أخرى، فقال: ما هذا؟ قلت: عن قولك: أين كنت؟ ولم أزل أضربه وأعدُّ عليه وأقول: خرجت من خُراسانَ في يومِ كذا على طريق كذا والسياطُ تأخذه، فقال الحجَّام: [فإلى] كم تضربني؟ قتلتني! فقلت: حتى أصلَ إلى بغدادَ وأجتمعَ بأمير المؤمنين وأقولَ لك ما أراد مني، قال: فأموت أنا بعدُ وأنت في الطريق، فقلت: تتوب، لا تسأل أحداً بعد اليومِ وأدعك؟ فقال: واللهِ لا سألتُ أحداً بعد اليوم، فأطلقته وأعطيته دنانير، ودخلت على المأمون فأخبرته خبرَه، فقال: وددت واللهِ أنك بلغت به بغدادَ ورجعت إلى خُراسانَ حتى تأتيَ على نفْسه.

وقال الخطيب[(٢)]: ولي السِّندي القضاءَ ببغداد، وكان لا يستحلف المُكاريَ ولا

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب)، وينظر الخبر في مختصر تاريخ دمشق لابن منظور، عند ترجمته.

(٢) لعل الصواب: الجاحظ، كما في تاريخ الإسلام ٥/ ٨٧، والوافي ١٥/ ٤٨٧.

الملَّاح ولا الحائك، ويجعل القولَ قولَ المدَّعي، ويقول: اللهمَّ إنِّي أستخيرك في معلِّم الكُتَّاب. وكانت وفاتُه ببغداد. حكى عن المنصور والمهديِّ وهارونَ وغيرهم.

الإمام أبو عبدِ الله محمدُ بن إدريسَ [الشافعي رضي الله عنه]

ونسبه المشهور أنه محمد بن إدريس] ابنِ العباس بن عثمانَ بن شافعِ بن السائب بن عُبيد بن عبد يزيدَ بن هاشم بن المطَّلب بن عبد مَناف بن قُصَيٍّ بن كِلاب بن مُرَّةَ [أبو عبد الله] المطَّلبي. وكناه مسلمٌ أبا عبد الرحمن[1]. [وقال عبد الرحمن بن حازم] هو مكِّيُّ الأصل، مصريُّ الدار.

[وقال الخطيب[2]: سمعتُ القاضي أبا الطَّيب الطبريَّ يقول:][3] شافعُ بن السائب [الذي ينسب إليه الشافعي] لَقِيَ النبيَّ ﷺ وهو مُتَرعْرِعٌ، وأسلم أبوه السائبُ يومَ بدر، فإنَّه كان صاحبَ رايةِ بني هاشم، فأُسر وفدى نفسَه، ثم أسلم، فقيل له: لمَ لمْ تُسلم قبل أن تفديَ نفسك؟ فقال: ما كنت لأحرمَ المسلمين طمعاً لهم فيّ.

قال المصنِّف رحمه الله: وقد زعم بعضُهم أنَّ الشافعيَّ كان عبداً، واحتجَّ بأن جدَّه أُسر يومَ بدر، وليس هذا بشيء؛ لأنه قد شرى نفسَه، ولما نُقل إلى هارونَ أن الشافعيَّ يميل إلى [آل] أبي طالب، قال له: يا أمير المؤمنين، لَأَن أعيشَ مع قومٍ يرون أني منهم أحبُّ إليَّ من أن أعيشَ مع قومٍ يرون أني عبدُهم. وكان السائب يُشبَّه برسول اللهِ ﷺ.

[قال الخطيب[4]: وقال أبو الطيِّب الطبري:] وقد وصف بعضُ أهل العلم بالنَّسب الشافعيَّ رحمه اللهُ فقال: هو شقيقُ رسولِ الله ﷺ في نسبه، وشريكُه في حَسَبه، لم تَنَلْ رسولَ الله ﷺ طهارةٌ في مولده، وفضيلةٌ في آبائه، إلَّا وهو قسيمُه فيها، إلى أن افترقا في عبد مَناف، فإن المطَّلب زوَّج ابنَه هاشماً الشِّفاءَ بنت هاشم بن عبد مناف، فوَلدت له عبدَ يزيد، وكان يقال له: المَحْضُ لا قذًى فيه، فقد وَلَدَ الشافعيَّ الهاشمان: هاشمُ

(١) كذا قال، ولم نقف على من ذكره، بل في الكنى والأسماء لمسلم ١/ ٥٠٣: أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي ...إلخ.

(٢) في تاريخه ٢/ ٣٩٥.

(٣) في (خ): قال أبو الطيب الطبري.

(٤) في تاريخه ٢/ ٣٩٥. وما بين حاصرتين من (ب).

ابن المطَّلب[١]، وهاشم بن عبدِ مناف.

والشافعيُّ ابن عمِّ رسول اللهِ ﷺ وابنُ عمَّته؛ لأن المطَّلب عمُّ رسول الله ﷺ، والشفاءَ [بنت هاشم] أختُ عبد المطلبِ عمَّةُ رسولِ الله ﷺ.

[قال:][٢] و [أما] أمُّ الشافعيِّ رحمةُ الله عليه [فهي] أَزْدية، وقد قال ﷺ: «الأَزْدُ جُرثومةُ العرب»[٣].

[قلت: وقد اختلفوا في أمِّ الشافعيّ، فقال أبو عبد الرحمن السُّلَمي: هي] أَسدية[٤]، وقيل: أَسْديةٌ وأَزْدية سواء. ذكره الخطيب[٥].

وقال محمد بن إسحاقَ بن خُزيمة[٦]: أمُّ الشافعيِّ فاطمةُ بنت عُبيد اللهِ بنِ الحسن بنِ الحسن بن عليِّ بن أبي طالب. وهو وهم، والأصحُّ أنَّها أزدية، قال يونُس بن عبدِ الأعلى: لا نعلم هاشميًّا ولدته أزديةٌ غيرَ الشافعي[٧].

وقال ابنُ عبد الحكم: لما حملت أمُّ الشافعيِّ به، رأت في منامها كأنَّ المشتريَ خرج من فرجها حتى انقضَّ بمصر، ثم وقع في كلِّ بلدة منه شظيَّة، فأخبرت المعبِّرين، فقالوا: يخرج منها عالمٌ يتفرَّق علمُه في البلاد ويخصُّ أهلَ مصرَ ويُقبر عندهم.

---

(١) في (خ): عبد المطلب. وهو خطأ.

(٢) في تاريخه ٢/ ٣٩٥، وما بين حاصرتين من (ب).

(٣) الجرثومة: الأصل، والحديث لم نقف عليه بهذا اللفظ مسنداً، وأخرج الترمذي (٣٩٣٧) عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الأزد أسد الله في الأرض، يريد الناس أن يضعوهم ويأبى الله إلا أن يرفعهم، وليأتين على الناس زمان يقول الرجل: يا ليت أبي كان أزدياً، ياليت أمي كانت أزدية» قال: هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وروي هذا الحديث بهذا الإسناد عن أنس، موقوف، وهو عندنا أصح. اهـ.

(٤) في (خ): وقيل: أسدية.

(٥) لم نقف عليه في تاريخه، وانظر تاريخ دمشق ٦٠/ ٣٩٣، وطبقات الشافعية للسبكي ٢/ ١٧٨.

(٦) نقله ابن خزيمة عن يونس بن عبد الأعلى، كما في تاريخ دمشق.

(٧) في تاريخ دمشق: لا أعلم هاشميًّا ولدته هاشمية إلا علي بن أبي طالب، ثم الشافعي. اهـ. وهذا الكلام جزء من كلام يونس السابق الذي نسبه المصنف لابن خزيمة، ففيه تأكيد على أن أمه هاشمية، لا كما توهم المصنف. ثم إن الحافظ ابن عساكر بعد أن أورد كلامه تعقبه بقوله: كذا حكي عن يونس، وأغفل الحسن والحسين، وعقيلاً وجعفراً؛ فإن أميهما هاشميتان: فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وفاطمة بنت أسد.

وقد أثنى الأئمة على الشافعي رحمه الله، قال الخطيب[١]: الإمامُ الشافعي زينُ الفقهاءِ وتاجُ العلماء، ولد بغزَّةَ سنةَ خمسين ومئة. وقيل: بعسقلان. وقيل: باليمن، ثم حُمل إلى مكَّة، فنشأ بها، وكتب العلمَ بمدينة النبيِّ ﷺ، وقدم بغدادَ مرتين، وحدَّث بها، وسمَّوه فيها ناصرَ الحديث [وفي رواية أنَّه حُمل إلى مكَّة وهو ابن ستِّ سنين، ولم يكن له مال].

ذِكر بدايته لطلب العلم:

[قال الخطيب[٢] بإسناده عن محمد بنِ عبد الله بن عبد الحكم قال: قال لي محمدُ ابن إدريسَ الشافعي:] وُلدت[٣] بغزَّة، وحُملت إلى مكةَ وأنا ابنُ سنتين، [قال:] ولم يكن لي مال[٤]، فكنت أذهب إلى الدِّيوان أستوهب الظهورَ أكتب فيها. [وفي رواية عن الشافعيِّ قال:] حفظت القرآنَ وأنا ابن سبعِ سنين، وحفظت «الموطَّأ» وأنا ابن عشرِ سنين، وما أفتيت حتى حفظت عشرةَ آلافِ حديث.

[وحكى أبو نُعيم[٥] عن حسين الكرابيسيِّ عن الشافعيِّ قال:] كنت[٦] امرأً أكتب الشِّعر، فآتي البواديَ فأسمع منهم، فقدمت مكَّةَ مرة وأنا أتمثَّل بشعر لبيد، فضربني رجلٌ من الحَجَبة من ورائي وقال: رجلٌ من قريشٍ ثم من بني المطَّلب يطلب الشعرَ ويرضى من دِينه ودنياه أن يكونَ معلِّماً! ما الشِّعر! الشعر إذا استحكمتَ فيه قعدتَ معلماً، تفقَّهْ لعلَّ اللهَ أن ينفعَك وينفعَ بك. فانتفعت بكلامه، فجالست ابنَ عُيينة ما شاء الله، وكتبت عنه وعن مسلم بن خالدٍ الزَّنجي، ثم قدمت المدينةَ على مالك بنِ أنس، فكتبت موطَّأه، وقلت: يا أبا عبدِ الله، أقرؤه عليك؟ فقال: يا ابنَ أخي، نأتي برجلٍ يقرؤه [عليك] وأنت تسمع، فقلت: ألا أقرؤه عليك؟ فقال: اقرأ، فقرأتُ حتى بلغت كتاب السِّيَر، فقال [لي]: تفقَّه تَعْلُ.

---

(١) في تاريخه ٢/ ٣٩٢-٣٩٣.
(٢) في تاريخه ٢/ ٣٩٦. ومابين حاصرتين من (ب).
(٣) في (خ): وقال: ولدت ...
(٤) في تاريخ بغداد: قال: وأخبرني غيره عن الشافعي قال: لم يكن لي مال ...
(٥) في الحلية ٩/ ٧٠.
(٦) في (خ): وقال مما روي عنه: كنت ...

وروى أبو نُعيم [أيضاً] عنه قال(١): كنت أُكثر الخروجَ إلى البادية في طلب الشِّعر، فلقيني أعرابيٌّ فقال: ما تقول في امرأةٍ تحيض يوماً وتطهر يوماً؟ فقلت: لا أدري، فقال: يا ابنَ أخي، ارجع فاطلب الفريضةَ وَدَعِ النافلة، فهو أَولى بك. فخرجت إلى مالك بنِ أنس، فقرأت عليه «الموطَّأ» حفظاً، فقال لي: قد آن لك أن تُفتيَ الناس.

[وحكى أبو نُعيم عن الرَّبيع عن الشافعي](٢) قال: كنت في الكتَّاب أسمع المعلمَ يلقِّن الصبيَّ الآية، فأحفظها، فإلى أن يفرغَ المعلِّم من الإملاء عليهم قد حفظت كلَّ ما أملى، فقال لي ذات يوم: ما يحلُّ لي أن آخذَ منك شيئاً.

ثم خرجت إلى بادية مكَّة، فلزمت هُذيلاً، فكنت أتعلَّم لغتَها وآخذ من طبعها، وكانوا أفصحَ العرب، فبقيت عندهم سبعةَ عشرَ سنة، أرتحل لرحيلهم وأنزل لنزولهم، ثم رجعت إلى مكَّة، فكنت أُنشد الأشعارَ وأذكر أيامَ العرب وفنونَ الأدب، فمرَّ بي رجلٌ من آل الزُّبير فقال لي: يا أبا عبدِ الله، عزَّ عليَّ ألا يكونَ مع هذه الفصاحة والذكاء فقه، فتكون قد سدتَ أهل زمانك، قلت: ومَن بقي يُقصد؟ قال: مالكُ بن أنس سيِّد المسلمين اليوم، فوقع كلامُه في قلبي، فعمدت إلى «الموطَّأ» فحفظته في تسع ليال، ثم أخذت كتابَ والي مكةَ إلى والي المدينةِ وإلى مالك بنِ أنس، فقدمت المدينة، فناولت واليَها الكتاب، فقرأه وقال: واللهِ إنَّ مشيتي من المدينة إلى مكةَ راجلاً أهونُ عليَّ من المشي إلى باب مالك، فإني لست أرى الذُّلَّ حتى أقفَ ببابه.

ثم قام معي إلى باب مالكٍ وطلبنا الإذنَ عليه، فخرجت جاريةٌ سوداءُ فقالت: إنَّ مولاي يقرأ عليك السلامَ ويقول: إنْ كانت مسألة فارفعوها في رقعةٍ ليخرجَ إليكم الجواب، وإن كنتم قد جئتم للحديث فقد عرفتم يومَ الخميس، [قال:] فقلنا لها: قولي له: معنا كتابٌ من والي مكةَ في حاجة مهمَّة، فدخلت ثم خرجت وبيدها كُرسيّ، فوضعته، ثم خرج مالكٌ وعليه المهابةُ والوقار، شيخٌ طويل مستوي اللحيةِ عليه طَيلسان، فدفع الوالي إليه كتابَ والي مكَّة، فقرأه حتى بلغ إلى قوله: هذا رجلٌ حاله كذا وكذا فتحدِّثه، فرمى الكتابَ من يده وقال: سبحانَ الله! وصار علمُ رسولِ الله ﷺ

(١) لم نقف عليه في الحلية، وأورده ابن عساكر في تاريخ دمشق ٦٠/ ٤٠٩.

(٢) ما بين حاصرتين من (ب)، ولم نقف على الكلام في الحلية، وأورده ابن عساكر في تاريخ دمشق ٦٠/ ٤٠٣.

يؤخذ بالرسائل! قال: فتهيَّبه الوالي أن يكلِّمَه، فقلت: رحمك الله، إني رجل مطَّلبي، ومن حالي ومن قصَّتي، فنظر إليَّ ساعةً -وكانت له فراسة- وقال: ما اسُمك؟ قلت: محمد، فقال: يا محمد، اتَّقِ اللهَ تعالى واجتنب المعاصي؛ فإنَّه سيكون لك شأنٌ من الشأن.

فقرأت عليه «الموطَّأ» في أيامٍ يسيرة، وأقمت عنده بالمدينة حتى توفِّي، ثم خرجت إلى اليمن.

وروى ابنُ عساكرٍ[1] عنه أنَّه قال: كنت ألتقط العظامَ من مكةَ والأكتافَ فأكتب فيها، ولم يكن لأمِّي ما تعطي المعلِّم، وكان قد رضي مني أن أخلفَه في الصِّبيان وأقومَ عليهم.

[وحكى المُزَنيُّ عن] الشافعيِّ رحمه الله قال[2]: رأيتُ أميرَ المؤمنين عليًّا عليه السلامُ في المنام، فسلَّم عليَّ وصافحني، وخلع خاتَمَه فجعله في إصبعي، فعبرها عمِّي وقال: أما مصافحتُه إياك فأمانٌ من العذاب، وأما جعلُ خاتمِه في إصبعك، فسيبلغ اسمُك ما بلغ اسمُه في المشرق والمغرب.

ذكر صفته:

اتَّفقوا على أنَّه كان نحيفاً خفيفَ العارضَين يخضب بالحنَّاء.

ذِكر طرفٍ من أخباره [وذِكرُ عبادته وفقهِه وفهمه:

حكى الربيعُ أنه][3] كان يختم القرآنَ في كلِّ ليلة ويختم في رمضانَ ستِّين ختمة، وكان حسنَ الصوت، كلُّ مَن يسمعه يقرأ يبكي، وكان ينام ثلثَ الليل، ويصلِّي ثلث الليل، ويكتب العلمَ ثلث الليل، وصار بعد ذلك يحيي الليلَ كلَّه إلى أن مات، وكان يصوم الدهر، ولا يصلِّي التراويحَ في المسجد مع الناس ويصلِّي في بيته، وكان كثيرَ العبادة.

[وذكر أبو بكر بنُ بدران المعروفُ بخالويه في كتاب «فضائل الشافعي» عن] الربيع

---

(١) في تاريخه ٦٠/ ٤٠٠.

(٢) في (خ): وقال الشافعي رحمه الله.

(٣) ما بين حاصرتين من (ب).

أنَّ الشافعيَّ كان[(١)] عند مالكٍ وعنده سفيانُ بن عُيينة والزَّنجي، فأقبل رجلان، فقال أحدهما: أنا رجلٌ أبيع القَمَاري، وقد بعتُ هذا قُمْريًا[(٢)] وحلفت له بالطلاق أنَّه لا يهدأ من الصِّياح، فلمَّا كان بعد ساعة، أتاني وقال: قد سكت فرُدَّ عليَّ دراهمي، وقد حنثت، فقال مالك: بانت منك امرأتُك، فمرَّا بالشافعي رحمةُ الله عليه فشرحا له القصَّة، فقال للبائع: أردتَ لا يهدأ أبداً أو أنَّ كلامه أكثرُ من سكوته؟ فقال: بل أردتُ أن كلامَه أكثرُ من سكوته، لأنِّي أعلم أنَّه يأكل ويشرب وينام، فقال الشافعي: رُدَّ عليك امرأتَكَ فإنَّها حلال، وبلغ مالكاً، فقال للشافعي: من أين لك هذا؟! قال: من حديث فاطمةَ بنتِ قيس؛ فإنها قالت: يا رسولَ الله، إنَّ معاويةَ وأبا جهمٍ خطباني، فقال لها: «إنَّ معاويةَ رجلٌ صُعلوك، وإنَّ أبا جهمٍ لا يضع عصاه عن عاتقه»[(٣)] وقد كان أبو جهمٍ ينام ويستريح، وإنَّما خرج كلامهُ على الغالب، فعجب مالك، وقال الزَّنجي: أَفتِ، فقد آن لك أن تُفتي، فأفتى وهو ابنُ خمسَ عشرةَ سنة.

[وقال أبو عبدِ الرحمن:][(٤)] قال الشافعيُّ رحمةُ الله عليه بمكَّة: سلوني عمَّا شئتم أُخبركم من كتاب اللهِ وسنَّة رسوله، فقال له رجل: ما تقول في مُحرِمٍ قتل زُنْبوراً؟ فقال: قال الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر: ٧]، وحدَّثنا سفيان بن عُيينةَ، عن عبد الملك بن عُمير، عن رِبعي، عن حذيفةَ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «اِقتدوا باللَّذَين من بعدي: أبي بكرٍ وعمر»[(٥)]، وحدثنا سفيانُ عن مسعر بن كِدام، عن قيس بنِ مسلم، عن طارق[(٦)] بنِ شهاب، عن عمرَ رضي الله عنه أنَّه أمر المُحرمَ بقتل الزُّنبور.

[وروى الخطيب عن المُزَني، عن] الشافعيِّ رحمه الله قال[(٧)]: خرجتُ إلى اليمن

---

(١) في (خ): وقال الربيع: كان الشافعي ...، وانظر المنتظم ١٠/ ١٣٦.

(٢) ضرب من الحمام، جمعه: قَماري وقُمر. القاموس المحيط (قمر).

(٣) أخرجه مسلم (١٤٨٠).

(٤) ما بين حاصرتين من (ب).

(٥) أخرجه الترمذي (٣٦٦٢) من طريق الحسن بن الصباح البزار، عن سفيان بن عيينة، به.

(٦) في (خ): روق، وكذا في المنتظم ١٠/ ١٣٧، والتصويب من سنن البيهقي ٥/ ٢١٢، وتاريخ دمشق ٦٠/ ٣٨٩.

(٧) في (خ): وقال الشافعي رحمه الله.

وكان بها والٍ غَشومٌ من قِبَل هارون، فكنت أمنعه من الظُّلم وآخذ على يده، وكان باليمن سبعة -فتحرَّكوا- من العلوية، فكتب إلى هارونَ يقول: عندنا رجلٌ من ولد شافع، وإنه قد اتَّفق مع العلوية، ولا أمرَ لي معه ولا نهي، فكتب هارونُ إليه بحملنا جميعاً،فحملنا، فضرب رقابَ العلوية، ونظر إليَّ فوعظته، فبكى وقال: مَن أنت؟ فقلت: المطَّلبي، فأَعجبه كلامي وأعطاني خمسين ألفاً، ففرَّقتها في حُجَّابه وأصحابِه ومَن على بابه، وقال لي: الزم بابي ومجلسي.

وكان محمدُ بن الحسن صاحبُ أبي حنيفةَ جيِّدَ المنزلة عنده، فجالسته وعرفت قولَه، ووقعت منه موقعاً، فكان إذا قام ناظرتُ أصحابه، فقال لي يوماً: ناظِرني، قلت: أُجلُّك عن المناظرة، قال: لا: [قل]، قلت: ما تقول في رجلٍ غصب ساحةً فبنى عليها [بيتاً][(١)] قيمتُه ألفُ دينار، فجاء صاحبُها فأقام البيِّنة أنها ساحتُه؟ قال: له قيمتُها ولا تُقلع، قلت: ولم؟ قال: لقوله عليه الصلاة السلام: «لا ضررَ ولا إضرارَ في الدِّين»[(٢)] قلت: الغاصبُ أَدخلَ الضررَ على نفسه.

ثم قال محمد: ما تقول فيمن غصب خيطَ إبْرِيْسَمَ فخاط به بطنَ نفسِه، فجاء إنسانٌ فأقام البيِّنة أنَّ هذا الخيطَ له؟ أَيُنزع من بطنه؟ قلت: لا، قال: ناقضتَ أصلَك وتركت قولَك، فقلت: لا تعجلْ، هاهنا الضررُ أعظم، وأوردتُ عليه لوحَ السفينةِ ومسائلَ من هذا الجنس. [وهي مناظرةٌ طويلة.

وروى أبو نُعيم الأصفهانيُّ عن الرَّبيع قال:][(٣)] قال الشافعيُّ رحمةُ الله عليه: وددت أنَّ الخلق يتعلَّمون مني ولا يُنسب إليَّ منه شيء، وما ناظرتُ أحداً فأحببتُ أن يُخطئ، بل أحبُّ أن يوفَّق ويسدَّدَ، وما أبالي بيَّن اللهُ الحقَّ على لساني أو على لسانه.

[وروى الخطيبُ عن المُزَني عن الشافعي] قال: مَن تعلَّم القرآنَ عظمت قيمتُه، ومن نظر في الفقه نَبُلَ قدرُه، ومن تعلَّم اللغة رقَّ طبعُه، ومن تعلَّم الحساب جزل رأيُه، ومن

(١) ما بين حاصرتين من (ب).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢٣٤١) وأحمد (٢٨٦٥) من حديث ابن عباس ﷺ، وأخرجه ابن ماجه (٢٣٤٠) من حديث عبادة بن الصامت ﷺ، وليس فيهما: في الدين.

(٣) ما بين حاصرتين من (ب).

كتب الحديثَ قويت حجَّته، ومن لم يَصُن نفسَه لم ينفعْه علمُه.

[وحكى الربيعُ عنه أنه] قال: ما أوردتُ الحجَّة على أحدٍ فقبلها مني إلَّا هبتُه، ولا دفع الحجَّةَ وكابرني إلَّا سقط من عيني، وما ناظرت أحداً فأحببتُ أن يخطئ، إلا صاحبَ بدعة؛ فإني أحبُّ أن ينكشفَ أمرُه إلى الناس.

[ذِكرُ شدَّته على أهل البدعِ واعتقادِه:

ذكر الكرابيسيُّ عن الشافعيِّ أنه] ناظر حفصاً الفردَ فقال له: ما تقول في القرآن؟ فقال حفص: مخلوق، فقال له الشافعيّ: كذبتَ وكفرتَ بالله العظيم. [قال]: وكان الشافعيُّ يقول: واللهِ لقد سمعت من حفص -قاتلَه الله- كلاماً ما سمعتُه من أحدٍ قطّ، ولا أفلح صاحبُ كلامٍ قطّ، ورأيي في أهل الكلامِ والبدعِ أن يركبوا على الجِمال ويُضربوا بالجريد، ويطافَ بهم في القبائل ويقال: هذا جزاءُ مَن عدل عن كتاب اللهِ وسنَّة نبيِّه ﷺ إلى علم الكلام.

وقال [أبو إسحاقَ الثعلبيُّ بإسناده إلى][1] الربيع بنِ سليمان: كنت ذاتَ يوم عند الشافعيِّ وجاءه كتابٌ من الصعيد يسألونه عن قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥﴾ [المطففين: ١٥].

فكتب فيه: لمَّا حجب عنه أقواماً بالسَّخط، دلَّ على أنَّ أقواماً يَرَوْنَهُ بالرِّضا، فقلت: أَتدين بهذا أو توقن به يا سيِّدي؟ فقال: واللهِ لو لم يوقنْ[2] محمد بنُ إدريسَ أنه يرى ربَّه في المعاد لَمَا عبده في الدنيا.

قال المصنِّف رحمه الله: والشافعيُّ إنَّما أخذ هذا المعنى من مالك بنِ أنس؛ فإنَّه قال في تفسير هذه الآية: لمَّا حجب أعداءَه فلم يَرَوْهُ، تجلَّى لأوليائه حتى رَأَوْهُ. [وقد حكاه الثعلبيُّ أيضاً، إلا أنَّ قول الشافعيِّ وقولَ مالكٍ أوجز.

وحكى الثعلبيُّ عن] الحسين بنِ الفضل البَجَليِّ أنه قال[3]: لمَّا حجبهم في الدنيا عن توحيده، حجبهم في الآخرة عن رؤيته.

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب).

(٢) في (خ): يؤمن.

(٣) في (خ): وقال الحسين بن الفضل البجلي، وما سلف نقله عن الثعلبي هو في تفسيره ٦/ ٤٠٣-٤٠٤.

[ذِكر جُودِه وسماحته:

ذكرنا أنَّ هارونَ أعطاه خمسين ألفاً ففرَّقها على أصحابه][١].

وقال الحُميدي: قدم الشافعيُّ من اليمن إلى مكةَ ومعه عشرون ألفَ دينار، فضرب خيمةً ظاهرَ مكةَ وفرَّق الجميع.

[وحكى الحُميديُّ أيضاً عن] محمد ابنِ بنت الشافعيِّ قال[٢]: باع جدِّي الشافعيُّ ضيعةً بعشرة آلافِ دينار، ففرَّقها في الأشراف والعلماء، بَسَطَ نِطْعاً[٣] وقسمها عليه، فبقيت منها بقيَّة، فجاء أعرابيٌّ فقال: يا ابنَ أخي، لي عندك يدٌ فكافئني عليها، قال: وما هي؟ قال: حضرت الموسمَ مع عمومتك وهم يشترون أُضحية، فضربتَ بيدك إلى شاةٍ وقلتَ لي: يا عمّ، اشترِ لي هذه الشاة، فقلتُ لصاحبها: أَحسِنْ إلى الفتى في الثمن، فأحسنَ إليك بقولي، فقال الشافعي: يدٌ جليلة، خذ النِّطعَ وما عليه.

[ذِكر نُبذةٍ من كلامه:

حكى الحُميديُّ عن محمد ابنِ بنت الشافعيِّ قال: قال جدِّي رحمه الله:][٤] العلمُ علمان: علمُ الأبدان، وعلمُ الأديان، فعلم الأبدانِ الطِّبّ، وعلمُ الأديان الفقه. [قال:][٥] وكان يتطيَّر من الأعور والأحولِ والأعرج والأحدبِ والأشقر جدًّا.

[وقال الحُميدي: ومن أحسنِ ما نُقل عنه أنه] قال: كلَّما طالت اللحيةُ تكوسجَ[٦] العقل.

[وروى ابن ناصرٍ بإسناده إلى الربيع قال] قال [الشافعي]: إياكم وأصحابَ العاهات، فإنَّ معاملتهم عَسِرة. وأشدُّ الأعمال ثلاثة: الجودُ من قلَّة، والورعُ في

(١) ما بين حاصرتين من (ب).
(٢) في (خ): وقال محمد ابن بنت الشافعي.
(٣) النِّطع: بساط من الأديم. القاموس (نطع).
(٤) في (خ): وقال الشافعي رحمه الله.
(٥) ما بين حاصرتين من (ب).
(٦) أي: قَصُرَ أو خَفَّ. المعجم الوسيط (كسج).

خلوة، وكلمة حقٍّ عند مَن يُخاف ويُرجى.

وقال: مَن طلب الرئاسةَ فرَّت منه، ومَن هرب منها تَبِعَتْه.

وقال: ليس من المروءة أن يُخبرَ الرجلُ بسنِّه [أو بمولده] ؛ لأنَّه إن كان صغيراً احتقروه، وإن كان كبيراً استهرموه.

[قلت: وقد نُقل مثلُه عن مالك بن أنس، سأله سائل، فقال له: أَقبِلْ على شأنك، وذكره].

وقال: لو أنَّ الماء الباردَ ينقص من مروءتي ما شربتُه.

وقال: قَبول السِّعاية أقبحُ منها، لأن السعايةَ دلالة، والقبولَ إجازة، وليس من دلَّ على شيءٍ كمَن قَبِلَ وأجاز.

وقال الربيع: ذَكَرَ رجلٌ عنده محمدَ بن الحسن بكلمة سَفَه، فقال له: مَهْ، لقد تلمَّظت بمضغةٍ طالما لفَظَها الكرام. [وكان يحبُّ محمداً ويثني عليه، وقد ذكرناه في ترجمة محمد][1].

وقال الربيع: ما دخل الشافعيُّ بغدادَ إلَّا ومشى إلى قبر أبي حنيفةَ وزاره، ودعا عنده فتُقضى حاجتُه.

[وروى الخطيبُ عن] أبي نُعيم قال[2]: دخل الشافعيُّ يوماً دارَ هارون، فأَقعده سراجٌ الخادمُ ليستأذنَ له، وكان هناك [أبو[3]] عبد الصمد مؤدِّب أولادِ الرشيد، فقال سراجٌ الخادم: هؤلاء أولادُ أميرِ المؤمنين، وهذا مؤدِّبهم، فلو أوصيتَه بهم. فأقبل الشافعيُّ على المؤدِّب وقال: إن أوَّلَ ما تبدأ به صلاح نفسك، فإنَّ أَعيُنَهم ممدودةٌ إليك، فالحَسَنُ عندهم ما تستحسنه، والقبيحُ ما تكرهه، علِّمهم كتابَ الله، ولا تُكرهْهم عليه فيملُّوه، ولا تَتْرُكْهم عنه فيهجروه، ثم روِّهم من الشِّعر أعفَّه، ومن الحديث أشرفَه، ولا تُخرجهم من علمٍ إلى غيره حتى يُحكموه، فإنَّ ازدحامَ الكلام في

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب).

(٢) في (خ): وقال أبو نعيم.

(٣) ما بين حاصرتين لم يرد في النسخ، واستدرك من المنتظم ١٠/ ١٣٩، وحلية الأولياء ٩/ ١٤٧، وتاريخ بغداد ٤/ ٣٠٦.

السمع مَظلمةٌ[(١)] للفهم.

قال المصنِّف رحمه الله: قولُه: سراجٌ الخادم، وَهَم؛ فإنَّ المأمونَ قتله لمَّا قتل الفضلَ بنَ سهل، وإنَّما الواقعةُ مع حسين الخادم.

قلت: لا وجهَ لهذا الانتقاد؛ فإنَّ الفضلَ بن سهلٍ إنما قُتل في السَّنة الثانيةِ بعد المئتين، وقُتل سراجٌ بعده كما تقدَّم، وقولُ سراجٍ للشافعيِّ رحمه الله ما قال واستئذانُه له كان على هارون، وهارونُ مات سنةَ ثلاثٍ وتسعين ومئة، فبين استئذانِ سراجٍ للشافعيِّ رحمه اللهُ وقتلِه سنونَ كثيرة[(٢)].

[ذِكرُ ما نُسب إليه من الشِّعر:

ذكر الحافظُ ابن عساكرٍ في تاريخه[(٣)] عن] الربيع بنِ سليمانَ قال[(٤)]: خرجنا مع الشافعيِّ من مكةَ نريد مِنى، فلم ينزل وادياً ولم يصعد شِعباً إلَّا وسمعتُه يقول: [من الكامل]

يا راكباً قفْ بالمحصَّب من مِنًى ... واهتِفْ بقاعدِ خَيْفها والناهضِ
سَحَراً إذا سار الحجيجُ إلى مِنًى ... فيضاً كملتطِم الفراتِ الفائض
إنْ كان رفضاً حبُّ آلِ محمَّدٍ ... فليشهد الثَّقَلانِ أنِّي رافضي

وقال المُزَني: كان الشافعيُّ يتشيَّع[(٥)].

وقال المزني: كان للشافعيِّ صديقٌ بمصرَ يتولَّى مكاناً يقال له: السِّيبَين[(٦)]، واسمُ الرجل حصين، فطلب من الشافعيِّ رجلٌ شفاعةً إليه، فكتب الشافعيُّ إليه: [من الكامل]

---

(١) في (ب): مصلحة. والمثبت من (خ)، وفي المنتظم: مصدّ. وفي تاريخ بغداد والحلية: مضلة.
(٢) من قوله: قلت: لاوجه لهذا الانتقاد . . . إلى هنا، لم يرد في (ب).
(٣) ٦٠/٤٣٨ . وما بين حاصرتين من (ب).
(٤) في (خ): وقال الربيع بن سليمان.
(٥) لم نقف على كلام المزني، ونسبه الذهبي في تاريخه ٥/١٦٩ للعجلي وقال: معنى هذا التشيع هو حبّ علي رضي الله عنه وبغض النواصب، أما من تعرض إلى أحد من الصحابة بسبّ فهو شيعي غالٍ نبرأ منه ... الخ، وقال في السير ١٠/٥٨: من زعم أن الشافعي يتشيع فهو مفتر لا يدري ما يقول.
(٦) السيب: كورة من سواد الكوفة، وهما سيبان: الأعلى والأسفل. معجم البلدان.

إذهبْ فإنَّك من ودادي طالقٌ ... منِّي وليس طلاقَ ذاتِ البَينِ
فإن ارعويتَ فإنَّها تطليقةٌ ... وتُقيم وُدَّك لي على ثِنتين
وإذا أبيتَ شفَعْتُها بمثالها ... فيكون تطليقَينِ[1] في حيضَين[2]
وإذا الثلاثُ أتتكَ منِّي بتَّةً ... لم تُغنِ عنك شفاعةُ الثَّقلَين[3]

وله: [من المتقارب]

إذا[4] المشكلاتُ تصدَّينَ لي ... كشفتُ حقائقَها بالنَّظرْ
ولستُ بإمَّعةٍ في الرِّجال ... أُسائل هذا وذا ما الخبر
ولكنَّني مِدْرَهُ الأصغرَين[5] ... أَقيس بما قد مضى ما غبر[6]

[قال: وقال الثعلبيُّ في تفسيره عن] المزنيِّ قال[7]: سمعته رحمةُ اللهِ عليه ينشد: [من المتقارب]

فما شئتَ كان وإن لم أشأ ... وما شئتُ إنْ لم تشأْ لم يكنْ
خلقتَ العبادَ على ما أردتَ ... ففي العلم يجري الفتى والمُسِنّ
على ذا مننتَ وهذا خذلتَ ... وهذا أعنتَ وذا لم تُعِن
فمنهم شقيٌّ ومنهم سعيدٌ ... ومنهم قبيحٌ ومنهم حَسَن

وأنبأنا غيرُ واحدٍ عن محمد بنِ أبي منصورٍ قال: قرأتُ في كتاب طاهرِ بن محمدٍ النيسابوريِّ للشافعيِّ بخطِّه[8]: [من الكامل]

إنَّ امرأً وجد اليسارَ ولم ينلْ ... حمداً ولا شكراً لَغيرُ موفَّقِ

---

(١) في (خ): تطليقتين، والمثبت من تاريخ بغداد ٦/ ١٢٩، وتاريخ دمشق ٤٩/ ٤٩.
(٢) في (خ): حيضتين، والمثبت من العقد الفريد ٥/ ٢٩٧، وتاريخ دمشق. وفي تاريخ بغداد: قرئين.
(٣) في تاريخ دمشق: ولايةُ السِّبيين.
(٤) في (خ): وإذا، وهو خطأ، والمثبت من تاريخ دمشق ٦٠/ ٤٩٩، ومعجم الأدباء ١٧/ ٣٠٩، والسير ١٠/ ٥٠.
(٥) المِدْرَه: زعيم القوم والمتكلِّم. الصحاح (دره)، والأصغران: القلب واللسان.
(٦) من قوله: وقال المزني: كان الشافعي يتشيَّع ... إلى هنا، لم يرد في (ب).
(٧) في (خ): وقال المزني. والكلام في تاريخ دمشق ٦٠/ ٤٣٦، وليس فيه ذكر للثعلبي.
(٨) في (ب) و (خ): النيسابوري الشافعي بخطه، والمثبت من صفة الصفوة ٢/ ٢٥٧، وفيه: محمد بن طاهر، بدل: طاهر بن محمد.

الـجِـدُّ يـدنـي كـلَّ شـيءٍ شـاسـعٍ والـحظُّ[1] يـفـتـح كـلَّ بـابٍ مُـغْـلَـق
وأحـقُّ خَـلـقِ الله بـالـهـمِّ امـرؤٌ ذو هِـمَّـة بـبـلاءِ عـيـشٍ ضـيِّـق
وإذا سـمـعـتَ بـأنَّ مـجـدوداً أتـى عـوداً فـأورقَ فـي يـديـه فـصـدِّق
وإذا سـمـعـتَ بـأنَّ مـحـرومـاً أتـى مـاءً لـيـشـربَـه فـغـاض فـحـقِّـق
ومـن الـدلـيـل عـلـى الـقـضـاءِ وكـونـه بؤسُ اللبيبِ وطيبُ عيشِ الأحمق

وممَّا يُعزَى إلى الشافعيّ:

يـقـولـون لـي فـيـك انـقـبـاضٌ وإنَّـمـا رأوا رجلاً عن موقف الذُّلِّ أحجما

وليست له، وإنَّما هي للقاضي الجُرجاني[2] [وسنذكرها في سنة اثنتين وتسعين وثلاثِ مئة.

وروى الخطيبُ عن] أبي سعيدٍ المكِّيِّ[3] قال[4]: سمعتُ الشافعيَّ يُنشد: [من الطويل]

رأيتُ مُنى نفسي تتوق إلى مِصر ومِن دونها عَرْضُ المهامهِ والقَفرِ
ووالله مـا أدري أَلِـلـعـزِّ والـغـنـى أُقـاد إلـيـهـا أم أُقـاد إلـى قـبـري

وقال يونُس بنُ عبد الأعلى: كان الشافعيُّ يتمثَّل دائماً بقول ابنِ حازم: [من الوافر]

إذا أصـبـحـتُ عـنـدي قـوتُ يـومٍ فـخـلِّ الـهـمَّ عـنِّـي يـا سـعـيـدُ
ولـم تـخـطُـرْ هـمـومُ غـدٍ بـبـالـي لأنَّ غـداً لـه رزقٌ جـديـد
أُسـلِّـم إنْ أراد اللهُ أمـراً وأتـرك مـا أُريـد لـمـا يـريـد[5]

وكان يقول: قد أَنِستُ بالفقر حتى ما أستوحشُ منه، وأنشد: [من البسيط]

---

(١) في المصادر: والجد، انظر العمدة في محاسن الشعر ص٤٠، وتاريخ دمشق ٦٠/ ٥٤٠، وصفة الصفوة، والوفيات ٤/ ١٦٦، والوافي ٢/ ١٧٨، وطبقات الشافعية الكبرى ١/ ٣٠٤، وتوالي التأسيس ص١٤٢.

(٢) وهو: علي بن عبد العزيز بن الحسن، والبيت في التمثيل والمحاضرة ص١٢٤، ومعجم الأدباء ١٤/ ١٧، ووفيات الأعيان ٣/ ٢٧٨، منسوب إليه.

(٣) رواه في تاريخ بغداد ٢/ ٤١٠ عن الربيع بن سليمان. وما بين حاصرتين من (ب).

(٤) في (خ): وقال أبو سعيد المكي.

(٥) الأبيات في تاريخ دمشق ٦٠/ ٥١٨ ضمن قصة رواها إبراهيم بن خالد الكلبي، وهي في محاضرات اليوسي ص١٩٦ كما هنا، وأورد البيتين الأول والثاني ابنُ عبد ربّه في العقد الفريد ٣/ ٢٠٥ ونسبهما للبحتري.

يا لهفَ نفسي على مالٍ أُفرِّقه ... على المقلِّين من أهل المروءاتِ
إنَّ اعتذاري إلى مَن جاء يسألني ... ما ليس عندي لَمِن إحدى المصيبات[١]

[ذِكر قصَّته مع الشيخ التَّيمي:

حكى الحافظ ابنُ عساكرٍ في تاريخه[٢] عن] الربيع بنِ سليمان، عن الشافعيِّ قال[٣]: ذهبتُ إلى صنعاءِ اليمن لأسمعَ على عبد الرزاق، فمررتُ بباب دار، ، وإذا بشيخٍ كبير جالسٍ على الباب يدقُّ خبزاً يابساً في هاوَن[٤]، فقلت له: ما تصنع؟ قال: أدقُّ قُوتاً لزوجتي، فقلت: إنَّ حقَّها عليك لَواجب، فقال: إي وأبيك، أَقِم عندي ترَ العجب.

قال: وإذا بخمسة مشايخَ بيضِ الرؤوس واللِّحى في صورةٍ واحدة، كأنَّما مسح على رؤوسهم بيدٍ واحدة، وقد أقبلوا فقبَّلوا رأسَ الشيخ وسلَّموا عليه، فقال: أُدخلوا فسلِّموا على أمِّكم، فدخلوا الدار، فقلت: هؤلاء أولادُك منها؟ قال: نعم، فقلت: بارك اللهُ لك، فلقد رأيتَ قرَّةَ عين، ثم نهضتُ لأقوم، فقال: أَقم ترَ العجب، فلم يكن بأسرعَ من أن أقبل خمسةُ كهولٍ على صورةٍ واحدة [كأنَّما مسح على رؤوسهم بيدٍ واحدة][٥] فسلَّموا عليه وقبَّلوا رأسَّه، فقال: أُدخلوا فسلِّموا على أمِّكم، فدخلوا، ثم أقبل خمسةُ رجالٍ سودُ الرؤوس واللِّحى، ففعلوا كذلك، ثم أقبل خمسةٌ مُرْدٌ خُضرُ الشوارب، ففعلوا كذلك، ثم أقبل خمسةٌ صغارٌ على صدورهم المِداد، ففعلوا كذلك.

قال [الربيع بنُ سليمان:][٦] فهؤلاء خمسةٌ وعشرون ذَكَراً، ولولا أن الشافعيَّ أخبرنا بهذا ما قبلناه [وصدقناه].

وفي [غير] رواية [ابنِ عساكر] أنَّ الشيخَ أرى الشافعيَّ خمسةً في المهود [فصاروا

(١) البيتان في تاريخ دمشق ٦٠/ ٥٢٦، وطبقات الشافعية ١/ ٣٠١.
(٢) ٢/ ٩٥ (مخطوط) ترجمة إسحاق بن يعقوب الكفرسوسي.
(٣) في (خ): وقال الربيع بن سليمان: قال الشافعي.
(٤) الهاون والهاوُون: الذي يُدق فيه الدواء وغيره، فارسيته: هاون. معجم الألفاظ الفارسية المعرَّبة ص١٥٩، وينظر المصباح المنير (هون)، والمعرَّب للجواليقي ص٣٩٤.
(٥) ما بين حاصرتين من (ب)، وهو موافق لما في تاريخ دمشق.
(٦) ما بين حاصرتين من (ب)، ووقع في هذا الموضع اضطراب في (خ)، فأثبت ما في (ب).

ثلاثين ذَكَراً] وقال [الشافعي]: وَلَدت كلَّ خمسةٍ في بطنٍ واحد.

قال المصنِّف رحمه الله: [وبهذه الواقعةِ أخذ الشافعيُّ] في مسألة الحمل، وهو إذا مات رجلٌ وامرأتُه [حامل] يوقَف أمرُ الحاملِ حتى تضع؛ فإنَّه يجوز أن تلدَ أكثرَ من أربعة[(١)].

[واختلفت الفقهاءُ في المسألة: فقال أبو حنيفةَ: ومَن مات وترك حملاً وُقف مالُه حتى تضعَ امرأتُه، على رواية القُدُوري[(٢)]. وروى ابنُ المبارك عن أبي حنيفةَ أنَّه يوقَف للحمل ميراثُ أربعِ بنين؛ لأنه يُتصوَّر، ولأنَّ أربعةً في بطن واحدٍ يُوقِف نصيبَ أربعة، وبه قال ابنُ المبارك وشريكُ بن عبد اللهِ النَّخَعي[(٣)] ومالك، وقال شريك: رأيتُ بالكوفة امرأةً وَلَدت أربعةً في بطن واحد. وروى هشامٌ عن أبي يوسفَ ومحمدٍ أنَّه يوقف للحمل ميراثُ اثنين؛ لأنَّه هو المعتادُ غالباً. وذكر الخصَّاف عن أبي يوسفَ أنَّه يوقَف ميراثُ واحد، قال: وعليه الفتوى؛ لأنَّه المعتادُ، إلَّا أنه يؤخذ من الورثة ضمين؛ لأنَّها ربَّما تلد أكثرَ من ذلك.

وذكر العالِمُ في «المختلف»[(٤)] هذه المسألة، فذكر أنَّه يوقف ميراثُ أربعِ بنينَ عند أبي حنيفة، وعند أبي يوسفَ ميراثُ واحد، وعند محمد بنِ الحسن نصيبُ اثنين، وهذا كلُّه إذا طلب الورثةُ القسمة، فإنْ لم يطلبوه، فيجب التوقُّف حتى تضعَ الحمل؛ لتقعَ القِسمةُ على اليقين، فلو مات الرجلُ وترك امرأةً حاملاً وابناً، فعلى رواية ابن المبارك عند أبي حنيفةَ يُدفع إلى الابن خُمسُ المال، ويُجعل كأنَّ الحملَ أربعُ بنين [وعلى رواية هشام][(٥)] يُدفع إلى الابن ثُلثُ المال، ويُجعل كأنَّ الحملَ اثنان، وعلى رواية الخصَّاف يُدفع للابن نصفُ [المال] ويُجعل كأنَّ الحمل ابنٌ واحد. وتمامُه في الفرائض.

(١) وفي المسألة خلاف عند الشافعية، راجعه في كتبهم. وما سيأتي بين حاصرتين من (ب).
(٢) في الكتاب (اللباب شرح الكتاب ٣/ ٢٤٢).
(٣) في (ب): والنخعي. وهو نفسه شريك.
(٤) مختلف الرواية؛ للشيخ علاء الدين محمد بن عبد الحميد المعروف بالعلاء العالم، المتوفى سنة (٥٥٢هـ). كشف الظنون ٢/ ١٦٣٦.
(٥) وقع في (ب) هنا خلل واضطراب، قوّمته من المبسوط ٣٠/ ٥٢، وما بين حاصرتين منه.

خروجه إلى مصرَ المرَّة الثانية:

قد ذكرنا أنَّه قدم بغدادَ وخرج عنها إلى مصرَ واليمن، ثم قدم بغدادَ ثم خرج.

وقال الحافظ ابنُ عساكر: سببُ خروجه إلى مصرَ ما رواه الحافظُ عبد الرحمن بنُ أبي حاتم عن الشافعيِّ قال: كنت مع محمد بنِ الحسن بالرقَّة، فمرضتُ، فعادني [العوَّاد] فلمَّا انتبهت[1] أخذتُ كتاباً لمالك بنِ أنس، فنظرتُ في صلاة الكسوف، ثم خرجتُ إلى المسجد وإذا بمحمد بنِ الحسن جالس، فجلست إليه، وكان محمدٌ حديداً قَلِقاً فقلت: جئتك لأُناظِرَك في صلاة الكسوف، فقال له: قد عرفتَ قولَنا فيه، فقلت له: على ألَّا تقلقَ ولا تحتدَّ، واجتمع الناسُ علينا، فقلت: هذا هشامُ بن عروةَ عن أبيه عن عائشة، وزيدُ بن أسلمَ عن عطاء بنِ يسارٍ عن ابن عباس، فقال: هل زدتَني على أن جئتَني بصبيٍّ وامرأة، فقلت: لو غيرُك قال هذا، فقمت مغضَباً وقلت لغلامي: اشدُدْ رواحلَك، واجعل الليلَ لنا جَمَلاً. قال: وخرجتُ إلى مصر.

قلت: كذا حكى ابنُ عساكر، ولم يبيِّن معنى الكلام، وأما حكايتُه عن محمد: جئتَني بصبيٍّ وامرأة، فمن تحريف الرُّواة، لأنَّ محمداً رحمه الله كان يعظِّم الصحابة، خصوصاً عائشةَ رضي الله عنها.

وقال ابنُ عساكر: وهذه الروايةُ تدلُّ على أن الشافعيَّ دخل مصرَ مرَّتين: مرةً من الشام، ومرةً من اليمن ومكَّة] [2].

ذِكر مصنَّفاته:

ومصنَّفاته كثيرة، منها: الأُمّ، وكتابُه في الفروع، رواه عنه الزَّعفراني في نيِّف وعشرين جزءاً. وقال [أبو محمد الحسنُ بن إبراهيم] ابنِ زُولاق المصريُّ: صنَّف [الشافعيُّ][3] بمصرَ نحواً من مئتي جزء، ومنها الأمالي الكبيرُ ثلاثون جزءاً، والأمالي الصغيرُ اثنا عشرَ جزءاً، وكتاب السُّنن ثلاثون جزءاً، وغيرُ ذلك.

ذكر مرضِه ووفاتِه رضي الله عنه:

[حكى أبو نُعيم عن] الرَّبيع بنِ سليمان قال[4]: كان بالشافعي عِلَّةُ البواسير، ولا

(١) في تاريخ دمشق ٦٠/ ٣٨٧: نقهت.

(٢) لم يذكر ابن عساكر اليمن. وهذه الفقرة كلها ليست في (خ).

(٣) ما بين حاصرتين من (ب).

(٤) في (خ): قال الربيع بن سليمان.

يبرح الطَّست تحته، وفيه لِبْدة محشوَّة، وما لقي أحدٌ من السُّقم ما لقي.

[وقال أبو نُعيم: حدَّثنا محمدُ بن إبراهيم[١] قال: سمعت محمدَ بن عبدِ الرحيم يحكي عن] المُزَني قال[٢]: دخلتُ على الشافعيِّ في عِلَّته التي مات فيها، فقلت له: كيف أصبحت؟ فقال: أصبحتُ من الدنيا راحلاً، ولإخواني مفارقاً، ولكأس المنيَّة [ذائقاً أو] شارباً، ولسوء أعمالي ملاقياً، وعلى اللهِ وارداً، فلا أدري رُوحي تصير إلى الجنَّة فأهنِّيها، أم إلى النَّار فأعزِّيها، ثم بكى وقال: [من الطويل]

ولمَّا قسا قلبي وضاقَتْ مذاهبي ... جعلتُ رجائي نحو عفوِك سُلَّما
تعاظَمَني ذنبي فلمَّا قرنتُه ... بعفوك ربِّي كان عفوُك أعظما
وما زلتَ ذا عفوٍ عن الذَّنْب لم تزل ... تجود وتعفو مِنَّةً وتكرُّما

[وقد تقدَّمت الأبياتُ في ترجمة أبي نُواس][٣].

وقال البخاريّ: توفِّي الشافعيُّ ليلةَ الجمعةِ أو ليلةَ الخميس بمصرَ في آخر يوم من رجبٍ سنةَ أربعٍ ومئتين[٤]. قال الربيع: لمَّا دفنَّاه رأينا هلالَ شعبان. وعاش أربعاً وخمسين سنة.

أسند عن إبراهيمَ بن سعد، ومالكِ بن أنس، وعليه تفقَّه، وأقوالُه القديمة مذهبُ مالك، وأسند عن سفيانَ بنِ عُيينة [وعبدِ العزيز بن محمد الدَّراورديِّ، وعبدِ العزيز المكِّي، ومسلم بن خالد الزَّنجي، وعمِّه محمدِ بن عليٍّ بن شافع، وإسماعيلِ ابن عُلَيَّة] وخلقٍ كثير.

وروى عنه الإمامُ أحمد بنُ حنبل، وأبو ثور ـ و[اسمُه][٥] إبراهيم بنُ خالد ـ و[الحسنُ بن محمدٍ الزعفراني، وأبو عُبيد] القاسمُ بن سلَّام [والحسين بنُ عليٍّ

(١) هنا كلمة غير مقروءة في (ب)، واستدركت من المنتظم ١٠/١٣٨.
(٢) في (خ): وقال المزني.
(٣) ما بين حاصرتين من (ب).
(٤) في التاريخ الكبير ٢/٤٢: محمد بن إدريس أبو عبد الله الشافعي القرشي. سكن مصر، مات سنة أربع ومئتين، سمع مالك بن أنس، حجازي. اهـ.
(٥) ما بين حاصرتين من (ب).

الكرابيسي، وأبو إبراهيمَ إسماعيلُ بن يحيى المُزَني، والرَّبيع بنُ سليمانَ الجِيزي[١]، وأبو يعقوبَ يوسفُ بن يحيى البُوَيطي، وإبراهيمُ بن المنذر الحِزامي، ويونُسُ بن عبدِ الأعلى، وعبد الله بن الزُّبير الحُمَيدي] في آخَرين.

[قلت:] ولم يُخرج عنه البخاريُّ ولا مسلم، ولا أبو داودَ ولا التِّرمذي ولا أربابُ السُّنن المشهورة، ولعلهم وقع لهم أعلى روايةً منه[٢].

و[روى الخطيبُ عن الشافعيِّ أنه][٣] قال: إذا رويتُ لكم حديثاً صحيحاً عن رسول اللهِ ﷺ ولم آخذْ به، فاعلموا أنَّ عقلي قد زال، ومتى قلتُ قولاً وخالفه حديثُ رسول الله ﷺ، فأنا أوَّلُ راجعٍ إلى الحديث، واضربوا بقولي عُرضَ الحائط. [قلت: وقد أخذ جماعةٌ من أصحابه بقوله في هذا المعنى، منهم الماورديُّ صاحب «الحاوي»، وغيرُه].

ذِكر ثناءِ العلماءِ عليه:

[حكى أبو نُعيمٍ[٤] عن] إسحاقَ بنِ راهُويَه قال[٥]: كنت مع أحمدَ بنِ حنبل بمكَّة، فقال لي: تعالَ أُريك رجلاً لم ترَ عيناك مثلَه، فأراني الشافعيّ.

[وقال عبدُ الله بن أحمدَ بنِ حنبل: قال لي أبي: ستَّةٌ أدعو لهم عند السَّحَر - أو في السَّحر- منهم الشافعي.

وحكى الخطيب[٦] عن] عبدِ الله بنِ الإمام أحمدَ رحمهما الله قال[٧]: قلت لأبي: يا أَبَة، أيَّ رجلٍ كان الشافعي؟ فقال: كالشَّمس للدنيا والعافيةِ للناس، فانظرْ هل لأحدٍ من هذين خَلَفٌ أو عِوَض. وقال [عبد الله بن أحمد]: قال أبي: إنِّي لأَدعو للشافعيِّ في

(١) وهو غير الربيع بن سليمان المرادي راويته الشهير.

(٢) في هذا نظر، فقد روى له أبو داود والترمذي وغيرهما من أصحاب السنن والمسانيد. انظر تهذيب الكمال، وتقريب التهذيب، والسير ١٠/ ٩٦، وغير ذلك.

(٣) ما بين حاصرتين من (ب).

(٤) في الحلية ٩/ ٩٧ .

(٥) في (خ): قال إسحاق بن راهويه.

(٦) في تاريخه ٢/ ٤٠٦ . وما بين حاصرتين من (ب).

(٧) في (خ): وقال عبد الله بن الإمام أحمد رحمهما الله تعالى.

السَّحَر منذ أربعين سنة.

وحكى البيهقيُّ عن عبد اللهِ بن أحمدَ [عن أبيه](١) قال: قال لي الشافعيّ: يا أبا عبدِ الله، أنتم أعلمُ بالأخبار منَّا، فإذا كان خبرٌ صحيح، فأخبِرني به حتى أذهبَ إليه. قال البيهقيّ: إنَّما أراد الشافعيُّ أحاديثَ أهلِ العراق، أما أحاديثُ أهلِ الحجاز، فالشافعيُّ أعرفُ بها من غيره؛ لأنَّها بلدُه ومنشؤه.

[وقال عبدُ الله بن أحمدَ بنِ حنبل: قال أبي:](٢) قد روى أبو هريرةَ عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «يبعث اللهُ لهذه الأمَّةِ على رأس كلِّ مئةِ سنةٍ مَن يجدِّد لها دينَها»(٣). قال أحمد: فنظرنا في رأس المئةِ الأول، فإذا هو عمرُ بن عبدِ العزيز، ونظرنا في الثانية فإذا هو الشافعيّ.

[وروى الخطيبُ بإسناده عن] الرَّبيع قال(٤): كنَّا جلوساً في حَلْقة الشافعيِّ بعد موته بيسير، فوقف علينا أعرابيّ، فسلَّم علينا وقال: أين قمرُ هذه الحلقةِ وشمسُها؟ قلنا: توفِّي. فبكى بكاءً شديداً وقال: رحمه اللهُ وغفر له، فلقد كان يفتح ببيانه مُغْلَقَ الحجَّة، ويسدُّ على خصمه واضحَ المحجَّة، ويغسل من العارِ وجوهاً مسودَّة، ويوسع بالرأي أبواباً منسدَّة. ثم انصرف.

[وذكر الخطيبُ(٥) عن] الرَّبيع بنِ سليمانَ قال(٦): رأيتُ الشافعيَّ بعد موتِه في المنام، فقلت: ما فعل اللهُ بك؟ فقال: أجلسني على كرسيٍّ من ذهب، ونثر عليَّ اللؤلؤَ الرَّطب.

وقال الخطيب(٧): كان للشافعيِّ ولدٌ اسمه محمدُ بن محمدِ الشافعي، وكُنْيته أبو عثمان، سمع أباه وسفيانَ بن عُيينة، [قال الخطيب:] وذَكَرَ لي الحسنُ بن أبي طالبٍ أنَّه ولي القضاءَ ببغداد، وليس بصحيح، وإنَّما ولي القضاءَ بالجزيرة وأعمالِها. وهو

(١) زيادة يقتضيها السياق.
(٢) في (خ): وقال الإمام أحمد.
(٣) أخرجه أبو داود (٤٢٩١).
(٤) في (خ): وقال الربيع.
(٥) في تاريخه ٢/ ٤١١.
(٦) في (خ): وقال الربيع بن سليمان.
(٧) في تاريخه ٤/ ٣٢٣. وما بين حاصرتين من (ب).

الذي قال له الإمامُ أحمد بنُ حنبل: أبوك من الستَّة الذين أدعو لهم وقتَ السَّحر. [قال:][(١)] وكان الإمامُ أحمد إذا سئل عن مسألةٍ يقول لمحمد: هذا ممَّا علَّمنا أبو عبدِ الله. يعني الشافعيَّ رحمه الله.

[قال الخطيب] ولمحمَّد بن [إدريسَ][(٢)] الشافعيِّ ولدٌ [آخَر] اسمُه محمد أيضاً، [وهذا ذكره أبو سعيد بنُ يونسَ في «تاريخ مصرَ» وقال:][(٣)] قدم مصر مع أبيه وهو صغير، فتوفِّي [بعد][(٤)] سنة أربعين ومئتين.

قال المصنِّف رحمه الله: سمعت جدِّي رحمه اللهُ يُنشد في مجالس وعظِه: [من الخفيف]

مَـن أراد الـهُـدى بـقـول ابـنِ إدريـ ـسَ هـداهُ وأيـن كـالـشَّـافـعـي
وشـفـاءُ الـعَـيِّ الـسـؤالُ وأنَّـى بـإمـامٍ سـواه كـشَّـاف عِـيِّ[(٥)]

[فصل:

وفي الرُّواة جماعةٌ كلُّ واحدٍ منهم اسمُه محمد بنُ إدريس، منهم:

محمدُ بن إدريسَ بنِ إبراهيمَ الأصفهاني، وكُنْيته أبو الحسن[(٦)].

والثاني: محمدُ بن إدريسَ بنِ المنذر، أبو حاتمٍ الرازي. توفِّي سنةَ سبعٍ وسبعين ومئتين[(٧)].

والثالث: محمدُ بن إدريسَ أبو بكرٍ الشعراني، حدَّث عن أبي نصرٍ التمَّار[(٨)] وغيرِه.

---

(١) في تاريخه ٤/ ٣٢٥ . وما بين حاصرتين من (ب).
(٢) ما بين حاصرتين من تاريخ بغداد.
(٣) ما بين حاصرتين من (ب).
(٤) ما بين حاصرتين من تاريخ بغداد. وهذا تاريخ وفاة أبي عثمان الذي ذكره أولاً، وأما محمد الآخر فتوفي سنة (٢٣١هـ)، كما في تاريخ بغداد ٤/ ٣٢٥.
(٥) وأوردهما عنه أيضاً الصفدي في الوافي بالوفيات ٢/ ١٨٠.
(٦) ترجمته في تاريخ ابن عساكر ٦٠/ ٣٨٢.
(٧) ترجمته في السير ١٣/ ٢٤٧.
(٨) في (ب): النزار، والمثبت من تاريخ بغداد ٢/ ٤٢٢، وقد ترجم له ولمحمد بن إدريس بن المنذر، ولمحمد بن =

والرابع: محمدُ بن إدريسَ بنِ الحجَّاج الأنطاكي، قدم دمشقَ وحدَّث بها عن المسيَّب بنِ واضح وغيرِه، وروى عنه ابنُ أبي العقب وغيرُه.

والخامس: محمدُ بن إدريسَ الصُّوري، حدَّث عن هشام بنِ عمار، وحدَّث عنه أبو طالبٍ محمدُ بن زكريا المقدسي.

والسادس: محمدُ بن إدريس، أبو بكرٍ الحافظ، سمع بدمشقَ محمدَ بن أحمد الجلَّاب، وروى عنه عبدُ الصمد بن أبي صالحٍ البخاري.

انتهت ترجمةُ محمدِ بن إدريسَ الشافعيّ.

فصل وفيها توفي][١]

محمدُ بن عُبيد

ابن أبي أميةَ عبدِ الرحمن، أبو عبدِ الله الطَّنافسي الإياديُّ الكوفي.

من الطبقة السابعةِ من أهل الكوفة، ولد سنةَ سبعٍ وعشرين ومئة، وكان قد نزل بغداد، ثم رجع إلى الكوفة، فمات بها في هذه السَّنة، وقيل: تأخَّرت وفاتُه إلى سنة تسعٍ ومئتين[٢].

وكان ثقةً عُثمانيًّا[٣] أسند عن هشام بنِ عروةَ [ومحمدِ بن إسحاقَ والأعمش] وغيرِهم[٤].

= إدريس بن وهب الأعور، وهذا الأخير لم يذكره المصنف هنا، وقد ترجم ابن عساكر في تاريخه ٦٠/ ٣٨٢-٣٨٣، ٦١/ ١-١٤ لهؤلاء الذين ذكرهم المصنف عدا محمد بن إدريس أبا بكر الشعراني.

(١) ما بين حاصرتين من (ب).

(٢) الذي توفي سنة (٢٠٩هـ) أخوه يعلى بن عبيد، أما المترجم فقد اختلف في وفاته، فقيل: (٢٠٣)، وقيل: (٢٠٤)، وقيل: (٢٠٥هـ). انظر طبقات ابن سعد ٨/ ٥٢٠، وتاريخ خليفة ص٤٧٢، والتاريخ الكبير ١/ ١٧٣، وتاريخ بغداد ٣/ ٦٤٣، وتهذيب الكمال، والسير ٩/ ٤٣٦-٤٣٨.

(٣) في (خ): عمانياً، وفي (ب): وكان صاحب سنة وجماعة. والمثبت من المصادر، ومعنى عثمانيًّا: تقديم عثمان على علي ﵄، وهو معنى كونه صاحب سنة وجماعة، وإنما ذكر ذلك لأنه كوفي، والغالب على أهل الكوفة تقديم علي ﵁. انظر السير.

(٤) في (خ): أسند عن هشام بن عروة وغيره.

[وحكى الخطيبُ عن الدارَقُطنيِّ قال: يَعلى ومحمدٌ وعمرُ وإدريسُ وإبراهيم[١] بنو عُبيد كلُّهم ثقات، وأبوهم ثقة].

ومن شِعره: [من مجزوء الكامل]

أَقلِلْ زيارتَك الصَّديـ ـقَ يراك كالثَّوب استجدَّهْ
إنَّ الصديق يُمِلُّهُ ألَّا يزالَ يراك عندهْ[٢]

[وفيها توفي]

هشامُ بن محمد

ابن السائب بن بِشر بن عَمرو بن الحارث بن عبد الحارث بن عبد العُزَّى بن امرئ القيس بن عامر بن النُّعمان بن عامر بن عبد وُدٍّ بن كِنانةَ بن عوف بن عُذْرة بن زيد اللات ابن رُفَيدة[٣] بن ثَور بن كَلْب [، الكلبيُّ الكوفي، صاحبُ التفسير[٤] والنَّسب والمغازي وأيامِ العرب.

وقال الجوهري:][٥] كلبٌ: حيٌّ من قُضاعة [وروى الخطيبُ عن محمد بنِ أبي السَّري[٦]] قال [لي] هشام: حفظتُ ما لم يحفظْه أحد، ونسيتُ ما لم ينسه أحد، كان لي عمٌّ يعاتبني على حِفظ القرآن، فدخلتُ بيتاً وحلفت ألَّا أَخرجَ منه حتى أحفظَ القرآن، فحفظتُه في ثلاثة أيام، ونظرت يوماً في المرآة، فقبضتُ على لحيتي لآخذَ ما دون القبضةِ فأخذت ما فوقَها[٧].

---

(١) في (ب): وغيرهم، والمثبت من تاريخ بغداد ٣/ ٦٣٨.
(٢) تاريخ بغداد ٣/ ٦٤٠، وعيون الأخبار ٣/ ٢٧، وروضة العقلاء ص١١٧، ودلائل الإعجاز ص٤٩٨، ولم يرد البيتان في (ب).
(٣) في (خ): زفيرة، والمثبت من تاريخ بغداد ١٦/ ٦٩.
(٤) صاحب التفسير أبوه محمد بن السائب، ينظر السير ١٠/ ١٠٢.
(٥) في الصحاح (كلب)، وما بين حاصرتين من (ب).
(٦) في (ب): السير، والمثبت من تاريخ بغداد ١٦/ ٦٩. وما بين حاصرتين من (ب).
(٧) قال الذهبي في السير ١٠/ ١٠٢: اتُّهم في قوله هذا.
(٨) لم نقف على هذا الكلام للخطيب، ولم نقف على من ذكر المترجم بتعديل.

قال الخطيب: وكان مع فضله فيه غفلة[١].

و[اختلفوا في وفاته، فقيل:][٢] توفِّي في هذه السَّنة. وقيل: سنةَ ستٍّ ومئتين.

حدَّث [هشام] عن أبيه فأكثرَ [ومعظمُ رواياته عنه] وحدَّث أيضاً عن جماعة، وروى عنه ابنُه العباس، [وخليفةُ بن خيَّاط ومحمدُ بن سعد كاتبُ الواقديِّ وغيرُهم].

وقد تكلَّموا فيه، وقال الإمامُ أحمد رحمةُ الله عليه: ليس هشامُ [بن محمد الكلبي] مَن يحدَّث عنه، إنَّما هو صاحبُ سَمَر ونَسَب، وما ظننت أنَّ أحداً يحدِّث عنه.

[قلت:] قد حدَّث عنه جماعةٌ من الأئمة [فأكثروا، وإنَّما كان الغالبَ عليه الأسماءُ والأنساب.

وفي الرُّواة رجلٌ آخَرُ اسمُه هشام بن محمدِ بن أحمد، أبو محمد التَّيْمُلي[٣]، كوفيٌّ أيضاً. قدم بغدادَ وتوفِّي بها سنةَ اثنتين وثلاثين وأربعِ مئة.

تكلَّموا فيه لأنَّه روى عن عمَّار بنِ ياسرٍ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «إنَّ حافظَي عليِّ ابنِ أبي طالبٍ لَيفخرانِ على سائر الحَفَظة؛ لكونهما مع عليّ، ولم يَصْعدَا لله بعملٍ يُسخطه»[٤] فلمَّا روى هذا الحديثَ أنكروا عليه].



(١) ما بين حاصرتين من (ب).

(٢) في (ب): البنكي، وهو تحريف. وهو في بعض المصادر: التيمي، وفي بعضها: التميمي. انظر تاريخ بغداد ١٦/ ٧٣، والأنساب ٣/ ١١٤-١١٥، والموضوعات ٢/ ٤٩٥، والميزان ٤/ ٣٠٥، والمغني ٢/ ٧١٢، ولسان الميزان ٨/ ٣٣٩، وتنزيه الشريعة ١/ ١٢٣ .

(٣) أخرجه الخطيب في تاريخه، ومن طريقه ابن الجوزي في الموضوعات. وقال الخطيب: هو حديث لا أصل له.

السَّنة الخامسةُ بعد المئتين

فيها ولَّى المأمونُ طاهرَ بن الحسينِ من مدينة السلامِ إلى أقصى عملِ المشرق، خُراسانَ وغيرِها، وكان إليه قبل ذلك الجزيرةُ وشُرطةُ المأمونِ وجانبا بغدادَ والسَّواد[١].

وسببُ توليتِه ما حكاه بِشرٌ المَرِيسيُّ قال: حضرتُ عند المأمونِ أنا وثُمامةُ ومحمدُ ابن أبي العباسِ وعليُّ بن الهيثم، فتناظروا في التشيُّع، فنصر محمدٌ الإمامِيَّة، ونصر عليٌّ الزَّيدية، وجرى الكلامُ بينهما إلى أن قال محمدٌ لعلي: يا نَبَطي، ما أنت والكلامُ في هذا! وكان المأمون متّكئاً، فجلس وقال: الشَّتم عِيّ، والبذاءُ لؤم، وإنَّا قد أبحنا الكلام، وأظهرنا المقالات، فمَن قال الحقَّ حمدناه، ومَن جهله وقفناه، ومَن جهل الأمرَين حكمنا فيه بما يجب، فاجعلا بينكما أصولاً وفروعاً.

فناظره محمدٌ فعاد إلى مقالته الأولى، قال له عليّ: واللهِ لولا جلالةُ مجلسِ أميرِ المؤمنين وما وهب اللهُ له من الرَّأفة، ولولا ما نهى عنه لأَعرقتُ جبينَك، وبحسبك من جهلك غسلُ منبر رسولِ الله ﷺ بالمدينة[٢]. فقال المأمون: وما غسلُ المنبر! ألتقصيرٍ منِّي في أمرك، أو التقصيرُ من المنصور في أمر بيتِك[٣]؟ ولو لا أنَّ الخليفةَ إذا وهب شيئاً استحى أن يرجعَ فيه، لَكان أقربَ شيءٍ بيني وبينك [إلى] الأرض [رأسُك] قُمْ وإياك أن تعود.

فخرج ومضى إلى طاهر، وكان زوجَ أخته، فأخبره، فركب طاهرٌ إلى دار المأمون، فلمَّا دخل عليه قال: اجلس، فجلس، فقال له: يا أميرَ المؤمنين، ليس لصاحب الشُّرطةِ أن يجلسَ بين يدي سيِّده، فقال له المأمون: ذاك في مجلس العامَّة، وأمَّا مجلسُ الخاصَّة فلا، وكان المأمونُ على حال، ثم بكى وتغرغرت عيناه بالدُّموع، فقال

---

(١) في تاريخ الطبري ٨/ ٥٧٧، والكامل ٦/ ٣٦٠: ومعاون السواد.

(٢) في (خ): لا عرفت جبينك من عقلك غسل منبر رسول الله ﷺ بالمدينة. والتصويب من تاريخ الطبري ٨/ ٥٧٧.

(٣) كذا في (خ)، ولم يرد الخبر في (ب)، والذي في تاريخ الطبري: أمر أبيك. وكذا وردت في تجارب الأمم لمسكويه، أحداث سنة (٢٠٥هـ).

له طاهر: لم تَبكِ؟ لا أبكى اللهُ لك عيناً، واللهِ لقد دانت لك البلاد، وأذعنَ لك العباد، وصرتَ إلى ما تحبُّ في كلِّ أمرك، فقال: أبكي لأمرٍ ذِكرُه ذُلّ، وسَتره الحزن، ولن يخلو أحدٌ من شجو، فتكلَّم بحاجةٍ إن كان لك، فقال: يا أميرَ المؤمنين، محمدُ بن أبي العباسِ أخطأ، فأَقِلْه عَثْرَته وارضَ عنه، فقال: قد رضيتُ عنه وأمرتُ بصلته ورددتُه إلى مرتبته، ولو كان من أهل الأُنس لأحضرتُه. وانصرف طاهر.

وكان حسينٌ الخادمُ صاحبَ شرابِ المأمون، فأرسل إليه طاهرٌ مئتي ألفِ درهم، وإلى كاتبه محمدِ بن هارونَ مئةَ ألفِ درهم، وقال: سَلِ المأمونَ لمَ بكى لمَّا دخلتُ عليه. فلما تغدَّى المأمونُ قال للحسين: اسقني، قال: لا أفعلُ حتى تُخبرَني لمَ بكيتَ لمَّا دخل طاهر، فقال له: مالك ولهذا! قال: غممتني بذلك، فقال: واللهِ لئن خرج من رأسك لأَقتلنَّك، فقال: يا سيِّدي، ومتى أذعتُ لك سرًّا ! فقال المأمون: لمَّا دخل طاهرٌ ذكرتُ ما نال أخي محمداً من الذُّلِّ والهوان، فخنقتني العَبرة، ولن يفوتَ طاهراً منِّي ما يكره.

فأخبر حسينٌ طاهراً، فاجتمع طاهرٌ بأحمدَ بنِ أبي خالدٍ كاتب المأمون فقال له: إنَّ المعروفَ عندي ليس بضائع، والثناءَ مني ليس برخيص، فغيِّبْني عن عينه، فقال: سأفعل. فأَصبح ابنُ أبي خالدٍ إلى المأمون فقال له: مانمتُ البارحة، قال: ولم؟ قال: ولَّيتَ غسانَ بن عبادٍ[1] خُراسان، و[هو و][2] مَنْ معه أَكَلَةُ رأس، وأخاف أن تخرجَ عليه خارجةٌ من التُّرك فتصطلمَه[3] ومَن معه، قال: لمن ترى بخُراسان؟ قال: طاهر، فقال: ويحك، إنَّه واللهِ خالع، وفي رأسه غَدرة. فقال: أنا ضامنٌ له، فقال: ولِّه، فولَّاه، وبعث طاهرٌ إلى ابن أبي خالدٍ بمئة ألفِ دينار[4]، وسار إلى خُراسانَ من بغدادَ يومَ الجمعةِ لليلةٍ بقيت من ذي القَعدة. وغسانُ بن عبادٍ[5] هو ابن عمِّ الفضلِ بن سهل.

---

(١) في (خ): بن أبي خالد، وهو خطأ، والمثبت من المصادر.

(٢) ما بين حاصرتين من تاريخ الطبري ٨/ ٥٧٩ .

(٣) في (خ): فيستطلمه، والمثبت من تاريخ الطبري، وتحرفت في المنتظم ١٠/ ١٤٢ إلى: فتصطلحه. وفي الكامل ٦/ ٣٦١: فتهلكه.

(٤) في تاريخ الطبري ٨/ ٥٧٩ : فحمل إليه في كل يوم ما أقام فيه مئة ألف، فأقام شهراً، فحمل إليه عشرة آلاف ألف التي تحمل إلى صاحب خراسان.

(٥) في (خ): وغسان بن أبي خالد. وهو خطأ.

وفيها قدم عبدُ الله بنُ طاهرٍ بغدادَ منصرفاً من الرقَّة، وكان أبوه قد استخلفه عليها لقتال نصر بن شَبَث، وكان طاهرٌ يكره قتالَه لحقارته، وكان الحسنُ بن سهلٍ لمَّا قدم بغدادَ جهَّز طاهراً لقتال نصر، فقال طاهر: حاربتُ خليفةً وسُقت الخلافةَ إلى خليفةٍ وأُومَر بمثل هذا! وإنَّما كان ينبغي أن يوجِّهَ إليه قائداً من قوَّادي، وصارم طاهرٌ الحسنَ على هذا، فلمَّا ولي خُراسانَ قيل له: تخرج إليها وأنت مصارم الحسن؟! فقال: ما كنت لأَحُلَّ عقدةً عقدها الحسنُ لي في مصارمته.

وفيها ولَّى المأمونُ عيسى [بنَ محمد][1] بنِ أبي خالدٍ إرمينيةَ وأَذْرَبِيجانَ ومحاربةَ بابك[2].

وفيها مات داودُ بن يزيدَ عاملُ السِّند، فولَّاها المأمونُ بِشرَ بن داودَ على أن يحملَ إليه في كلِّ سنةٍ ألفَ ألفِ درهم[3].

وحجَّ بالناس عُبيد اللهِ بنُ الحسن، وهو والي الحرمين.

وفيها توفِّي

بشرُ بن بكرٍ

الدمشقيُّ بدمياط. ولد سنةَ أربعٍ وعشرين ومئة [وكان أكثرُ مُقامه][4] بتنِّيس ودِمياط، وتوفِّي بدمياط مرابطاً مجاهداً، وكان صالحاً فاضلاً.

أسند عن الأوزاعيِّ وغيره، وروى عنه الشافعيُّ، وعبدُ الله بنُ وهب، وهما أقدمُ [وفاةً][5] منه. وكان ثقة.

[فصل] وفيها توفِّي

---

(١) ما بين حاصرتين من المصادر.
(٢) من قوله وسبب توليته . . . إلى هنا لم يرد في (ب).
(٣) في (خ): ستة آلاف ألف درهم، والمثبت من (ب) وهو الموافق للمصادر.
(٤) ما بين حاصرتين من المصادر. انظر تاريخ دمشق ٣/ ٣٠٩ (مخطوط)، وتهذيب الكمال، والسير ٩/ ٥٠٨. والترجمة كلها ليست في (خ).
(٥) ما بين حاصرتين من تاريخ دمشق.

أبو سليمان الدَّاراني

[واسمهُ][١] عبدُ الرحمن [واختلفوا في اسم أبيه، والمشهورُ أنه عبدُ الرحمن] بنُ أحمدَ بنِ عطية [وقيل: عبدُ الرحمن بن عطية]، وقيل: عبدُ الرحمن بنُ عسكرٍ العَنْسي.

ويقال: أصلُه من واسط، وانتقل إلى الشام فنزل دارَيَّا، قرية غربيَّ دمشقَ معروفة.

وهو من الطبقة السادسة من أهل الشام، [وكان] كبيرَ الشأنِ في علوم الحقائقِ والورع، وأثنى عليه الأئمَّة [فقال أبو عبدِ الرحمن السُّلَمي:][٢] كان له الكلامُ المتين والأحوالُ السَّنية والرِّياضاتُ والسِّياحات [وهو أستاذُ أحمدَ بن أبي الحواري.

وقال الخطيب[٣]: كان أبو سليمانَ أحدَ] عبادِ الله الصالحين[٤] والزُّهَّاد والمتعبِّدين، ورد بغداد، فأقام بها مدَّة، ثم عاد إلى الشام، فأقام بداريَّا حتى توفِّي بها[٥].

ذِكر طَرَفٍ من أخباره [وما لقي في سياحاته:

قال الخطيبُ[٦] بإسناده إلى إسحاقَ بنِ إبراهيمَ بنِ أبي حسَّان الأنماطيِّ قال: حدَّثنا أحمدُ بن أبي الحَوَاري قال: سمعت أبا سليمانَ يقول:] سمعتُ [أبا جعفر] المنصورَ[٧] يبكي في خُطبته يومَ الجمعة، فغضبتُ، فقلت: أقوم فأَعظه بما أعرف من فعله، فتفكَّرت أن أقومَ إلى خليفةٍ فأعظَه والناسُ جلوسٌ يرمقوني بأبصارهم فيعرضَ لي تزيُّن[٨]، فيأمرَ بي فأُقتلَ على غير تصحيح، فسكتُّ.

وقال: لولا الليلُ ما أحببتُ البقاءَ في الدنيا، واللهِ ما بقائي فيها لشَقِّ الأنهار وغرسِ

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب).

(٢) ما بين حاصرتين من (ب). ولم نقف على كلامه في طبقاته.

(٣) في تاريخه ١١/ ٥٢٣، وما بين حاصرتين من (ب).

(٤) في (خ): وهو من عباد الله الصالحين.

(٥) بعدها في (خ): في هذه السنة، وقيل: سنة خمسين، وقيل: سنة خمس وثلاثين، والأول أصح، وقبره ظاهر يزار. اهـ وسيأتي مفصلاً من (ب) في آخر الترجمة. وقوله هنا: سنة خمسين، لم أجد من ذكره.

(٦) في تاريخه ١١/ ٥٢٤، وينظر صفة الصفوة ٤/ ٢٢٣، وما بين حاصرتين من (ب).

(٧) في (خ): قال: سمعت المنصور، والمثبت من (ب).

(٨) في تاريخ بغداد وصفة الصفوة: تزنن.

الأشجار.

و[وروى أبو نُعيم[١] عن أحمدَ بن أبي الحواريِّ قال] قال [أبو سليمان:] كنتُ في ليلةٍ باردةٍ في المحراب، فخبأت إحدى يديَّ من البرد، وبقيت الأخرى ممدودة[٢]، فغلبتني عيني، فهتف بي هاتف: قد وضعنا في هذه ما أصابها، ولو كانت الأخرى مكشوفةً لَوضعنا فيها ما أصاب هذه، فآليت ألَّا أُخبئَ يدي أبداً.

و[روى أبو نُعيم[٣] أيضاً عن أحمدَ بنِ أبي الحَوَاري عن أبي سليمانَ] قال: نمتُ ليلةً عن وِرِدي، فإذا بحوراءَ تنبِّهني وتقول: أتنام وأنا أُربَّى لك في الخدور منذ خمسِ مئةِ عام! [وقد رواه الإسماعيليُّ، وفيه: بينما أنا ساجدٌ وذهب بي النوم، وإذا بحوراءَ قد ركضتني وقالت: حبيبي، أترقد عيناك والمَلِكُ يقظانُ ينظر إلى المتهجِّدين! بؤساً لعينٍ آثرتْ نومَة على مناجاةِ العزيز، قُمْ فقد دنا الفراغ، ولقي المحبُّون بعضَهم بعضاً. قال: فانتبهتُ وحلاوةُ منطِقها لَفي سمعي وقلبي[٤].

وروى أبو نُعيم عن] أحمدَ بنِ أبي الحواريِّ قال[٥]: قام أبو سليمانَ ليلةً إلى الوضوء، فأدخل يدَه في الإناء، وبقي على حاله حتى طلع الفجر، وخشيتُ أن تفوتَني الصلاة، فقلت: [رحمك اللهُ] ما هذا! الصلاةَ رحمك الله! فاسترجع وقال: يا أحمد، أدخلتُ يدي في الإناء، فعارضني عارضٌ من سرِّي: هَبْ أنك غسلتَ بالماء ما ظهر، فبمَ تغسل قلبَك؟ فبقيت مفكِّراً[٦].

[وحكى أبو نُعيم[٧] أيضاً عن] أحمدَ بن أبي الحواريِّ قال[٨]: حججتُ مع أبي سليمان، فلمَّا أراد أن يلبِّيَ غُشي عليه، فلمَّا أفاق قلت: ما هذا؟! قال: بلغني أنَّ

---

(١) في الحلية ٩/ ٢٥٩، وينظر صفة الصفوة ٤/ ٢٢٦ وما بين حاصرتين من (ب).

(٢) وهذا أثناء الدعاء، كما في الحلية.

(٣) في الحلية ٩/ ٢٥٩ . وما بين حاصرتين من (ب).

(٤) ينظر صفة الصفوة ٤/ ٢٢٤_٢٢٥.

(٥) في (خ): وقال أحمد بن أبي الحواري. ما بين حاصرتين من (ب).

(٦) ينظر صفة الصفوة ٤/ ٢٢٦_٢٢٧.

(٧) في الحلية ٩/ ٢٦٣-٢٦٤، وينظر صفة الصفوة ٤/ ٢٢٨.

(٨) في (خ): وقال أحمد بن أبي الحواري.

الرجل إذا حجَّ من غير حلِّه فقال: لبَّيك، قال له الله: لا لبَّيكَ ولا سعدَيك، هذا حجُّك مردودٌ عليك إنْ لم تردَّ ما في يديك، فما الذي يؤمنني أن يقالَ كذلك.

فلمَّا[١] دخلنا مكَّة، قيل له: إنَّ هاهنا فتًى متعبِّداً لا يشرب إلَّا من زمزم، فجاء إليه أبو سليمانَ وقال: يا فتى، بلغني عنك كذا وكذا! قال: نعم، قال: أرأيتَ لو غارت زمزمُ فمن أين كنت تشرب؟ فقام الفتى وقبَّل رأسَ أبي سليمانَ وقال: جزاك اللهُ خيراً، فلقد أرشدتني، فإنِّي إنَّما كنت أعبد زمزمَ ولا أعلم.

[وحكى عنه أحمدُ بن أبي الحَوَاريِّ قال:][٢] بينا أنا في طريق بيتِ المقدس، إذا بامرأةٍ عليها جبَّةُ صوفٍ ورأسُها بين ركبتيها وهي تبكي، فسلَّمت عليها فردَّت، فقلت: ممَّ تبكين؟ قالت: وكيف لا أبكي وأنا أحبُّ لقاءه! قلت: لقاءَ مَن؟ قالت: وهل يحبُّ المحبُّ إلا لقاءَ حبيبه؟! فقلت: مَن محبوبُك؟ فصاحت صيحةً عظيمة وقالت: يا فارغَ القلب، وهل ثَمَّ محبوبٌ على الحقيقة إلا علَّامُ الغيوب! ثم بكت وقالت: إنك إذا صفَّيت قلبَك من العيوب، جال في رياض المَلَكوت، فعند ذلك تصل إلى [محبَّة][٣] المحبوب، فقلت: فكيف يكون أهلُ المحبَّة في محبَّتهم؟ فقالت: أبدانُهم نحيلة، وألوانهم متغيِّرة، وعيونُهم هاطلة، وقلوبُهم واجفة، وأرواحهم ذائبة، وألسنتهم بذكر محبوبِهم لَهِجة[٤]، فقلت: من أين هذه الحكمةُ التي تنطقين بها؟ فقالت: إنَّ الحكمة لا تجيءُ بطول العُمر، بل بصفاء الوُدِّ وحسنِ المعاملة، ثم صاحت: آه آه، ودَخَلت بين الجبالِ وهي تقول وقد غابت عنِّي: [من الخفيف]

قد كتمتُ الهوى فبُحْنَ[٥] بسرِّي عَبَراتٌ من الجفون تسيلُ
كتب الدمعُ فوق خدِّي سطوراً كلُّ وجدٍ بمَن هويتَ قليل

---

(١) تتمة الحكاية ليست في الحلية، وأوردها ابن خميس في مناقب الأبرار ١/ ٢٢٦.
(٢) في (خ): وقال أبو سليمان.
(٣) ما بين حاصرتين من (ب)، وهو الموافق لما في مناقب الأبرار ١/ ٢٣٠، وطبقات الأولياء لابن الملقن ص٣٩١.
(٤) في (خ): رطبة، والمثبت من (ب).
(٥) في طبقات الأولياء: فباح.

فـاعـذِرونـي إذا بـكـيـتُ[١] مـن الـوجــ ـد فـمـا لـي إلـى الـعـزاءِ سـبـيـل
إنَّ دمـعـي لَـشـاهـدٌ لـي عـلـى الـحـ ـبِّ دلـيـلٌ بـأنَّ حـزنـي طـويـل

[وحكى عنه أحمدُ بن أبي الحواريِّ قال][٢]: دخلت جبلَ اللُّكَّام، فسمعت صوتَ حزينٍ في ظلام الليلِ يقول: يا أَمَلي ويا مؤمَّلي، ومَن برضاه تمامُ عملي، أعوذ بك من بدنٍ لا ينتصب[٣] بين يديك، ومن قلبٍ لا يشتاق إليك، ومن عينٍ لا تبكي عليك. فعلمت أنَّه كلامُ عارف، فدنوت منه، وإذا بفتًى تُشرق أنوارُه في ظلمة الليل، فسلَّمت عليه فردَّ، فقلت: إنَّ للعارفين مقامات، وإنَّ للمشتاقين علامات. فقال: ويحك يا دارانيّ! وما هي؟ قلت: كتمانُ المصائب، وصيانةُ الكرامات، فقال: أحسنتَ زدني، فقلت: لا تُرِدْ غيرَه، ولا ترجُ سواه، وإيَّاك والدنيا، واتخذ الفقرَ غنى، والبلاءَ شفاء، والتوكُّلَ عليه معاشاً، والحبيبَ عدَّة. فقال: أحسنت، ثم حُجب عنِّي[٤].

[وقال أحمد: خرجتُ مع أبي سليمانَ إلى بيت المقدس، فبينما نحن بجُبِّ يوسفَ عليه السلام، إذا أنا بشابٍّ نحيلِ الجسم كثيرِ الهمّ، فسلَّم على أبي سليمانَ وقال: أنت المذكورُ بالمعرفة، فهل لك أن تكسبَ أجري؟ قال: اسأل، قال: ما علامةُ المريد؟ فقال: إقبالُه على ما يريد وتركُه كلَّ خليطٍ لا يريد، قال: فصاح وغُشي عليه، فرقَّ له أبو سليمانَ وقعد عند رأسِه، فلمَّا أفاق قال له: أنا ميِّت القلب قليلُ الفهم، فارفقْ بي، قال: قل، قال: متى يعلم المريدُ أنَّه مريد؟ وفي رواية: مراد، فقال: [إذا][٥] أنزل نفسَه منزلةَ راكبِ البحر، فهو يتوقَّع موجاً يُغرقه أو ريحاً تُعطبه. ثم غُشي عليه وفاته صلوات، فلمَّا أفاق قال له: أَعِد ما فاتك من الصَّلوات، قال: كلِّي فائت، ثم أخذ في البكاء، فقمنا وتركناه].

وقال أحمد: اشتهى أبو سليمانَ رغيفاً حارًّا بملح، فجئت به إليه، فعضَّ منه ثم

---

(١) في طبقات الأولياء: بليت.
(٢) ما بين حاصرتين من (ب).
(٣) في (ب): ينصب.
(٤) مناقب الأبرار ١/ ٢٣٠.
(٥) ما بين حاصرتين يقتضيه سياق الكلام، والحكاية ليست في (خ).

قال: إلهي عجلتَ لي بشهوتي، لقد أطلتَ شِقوتي. ثم بكى بكاءً شديداً وقال: واللهِ لا ذقتُ مِلحاً أبداً حتى ألقاك[١].

[ذِكر نُبذةٍ من كلامه:

روى الخطيبُ[٢] عن أحمدَ بنِ أبي الحواريِّ قال: سمعت أبا سليمانَ يقول[٣]:] مفتاحُ الدنيا الشِّبع، ومفتاحُ الآخرة الجوع، وأصلُ كلِّ خيرٍ في الدنيا والآخرةِ الخوفُ من الله تعالى، وإنَّ اللهَ تعالى يعطي الدنيا من يحبُّ ومَن لا يحب، ولا يعطي الآخرةَ إلا مَن يحبّ. لَأن أتركَ من عَشائي لقمةً أحبُّ إليَّ من قيام ليلة.

و[حكى الخطيبُ[٤] عنه أنَّه] قال: كلُّ ما شغلك عن الله من مالٍ وولدٍ وأهلٍ فهو عليك مشؤوم.

و[حكى عنه أبو نُعيم[٥] أنَّه] قال: كلَّما ارتفعت منزلةُ القلبِ كانت العقوبةُ إليه أسرع.

وقال [أبو سليمان]: ربما مثَّلت رأسي بين جبلَين من نارٍ وأنا أهوي فيها حتى أبلغَ قَعرَها، فكيف يتهنَّأ بالعيش مَن هذه حالُه!

[وحكى أبو نعيم[٦] أيضاً عن أحمدَ بن أبي الحَوَاري قال لأبي سليمان: لقد غبطتُ بني إسرائيل، يبقى أحدُهم في الدنيا سنين كثيرةً يتعبَّد حتى يصيرَ مثل الشَّنِّ البالي، فقال: ظننتُ أنك جئتنا بشيء، إنَّ اللهَ لا يريد منا أن تيبسَ جلودُنا على عظامنا، وإنما يريد منا الصِّدق، قال: أحدٌ منَّا إذا صدق عشرةَ أيامٍ لله تعالى نال ما نال أولئك في سنينَ كثيرة.]

وقال: الهالكُ مَن هلك في آخر سفرِه وقد قارب المنزل.

---

(١) الخبران في مناقب الأبرار ١/ ٢٢٩، ٢٣١.

(٢) في تاريخه ١١/ ٥٢٥ . وما بين حاصرتين من (ب).

(٣) في (خ): وقال أبو سليمان.

(٤) في تاريخه ١١/ ٥٢٥ . وما بين حاصرتين من (ب).

(٥) في الحلية ٩/ ٢٥٧، ٢٦١ .

(٦) في الحلية ٩/ ٢٦٣.

[وروى أبو نُعيم(١) أنَّ رجلاً سأله فقال:](٢) ما أقربُ ما يتقرَّب به العبدُ إلى الله تعالى؟ فبكى وقال: مِثلي يُسأل عن هذا! أقربُ ما يَتقرَّبُ به العبدُ إلى الله تعالى أن يطَّلعَ على قلبه فيرى أنَّه لا يريد من الدنيا والآخرةِ سواه.

و[حكى عنه أيضاً أنَّه](٣) قال: إذا اعتادت النفوسُ تركَ الآثام، رتعت في عالَم المَلَكوت ورجعتْ بطرائف الحكمة.

و[روى ابنُ أبي الدنيا أنَّه] قال: إذا كانت الدُّنيا في قلبٍ لم تزحمها الآخرة، وإذا كانت الآخرةُ في قلب زَحَمَتْها الدنيا؛ لأنَّ الدنيا لئيمة، والآخرةَ كريمة.

وسئل عن الرِّضا فقال: أمَّا نحن، فقد انتهى قدمُنا إلى مكانٍ لو أمر بنا إلى النار لَمشينا إليها على رؤوسنا، فإذا قال [لنا]: لِمَ فعلتم هذا؟ [قلنا]: لأنَّه منتهى إرادتِك فينا. و[في رواية] قال: لو أسكنني النارَ لكنتُ أرضى ممَّن هو في الفِردوس الأعلى.

و[حكى عنه ابنُ باكويه الشيرازيُّ أنه] قال: يوحي اللهُ إلى جبريل: اسلُبْ عبدي حلاوةَ مناجاتي، فإن تضرَّع إليَّ فردَّها إليه، وإلَّا فلا.

وقال: [وكان يقول:] وعزَّتِك لَئن طالبتني بذنوبي طالبتُك بعفوك، ولئن أسكنتَني النارَ بين أعدائك لأحدثنَّهم أنِّي أحبُّك(٤).

[قال:] وقال: الصادقُ مَن تعظك رؤيتُه قبل كلامه. [قال:] وقال: ما يسرُّني أن تكونَ لي الدنيا حلالاً وأنا أُسأل عنها يومَ القيامة.

[وحكى أيضاً ابن باكُويه عن] أحمدَ بنِ أبي الحواريِّ قال(٥): دخلتُ على أبي سليمانَ وهو يبكي، فقلت له: ما يبكيك؟ فقال: كيف لا أبكي وإذا جنَّ الليلُ ونامت العيون، وخلا كلُّ حبيب بحبيبه، وافترش أهلُ المحبَّة جباهَهم، و[نصبوا] أقدامَهم،

---

(١) في الحلية ٩/ ٢٥٦.
(٢) في (خ): وسأله رجل فقال.
(٣) ما بين حاصرتين من (ب).
(٤) أخرجه عنه أبو نعيم في الحلية ٩/ ٢٥٥، والبيهقي في شعب الإيمان (١٠٤٠).
(٥) في (خ): وقال أحمد بن أبي الحواري.

وجرت دموعُهم(١) على خدودهم، وقطرتْ في محاريبهم، أشرف الجليلُ سبحانه وتعالى عليهم فيقول: يا جبريل، بعيني مَن تلذَّذ بكلامي، واستراح إلى مناجاتي، نادِ فيهم: ما هذا البكاء؟! هل رأيتم حبيباً يعذِّب أحبابَه، أم كيف يَحسُن بي أن أعذِّبَ أقواماً إذا جنَّهم الليلُ تملَّقوا لي! فَبِي حلفت، لَأكشفنَّ لهم عن وجهي إذا وردوا إليّ، فأنظر إليهم وينظرون إليّ.

وكان يقول: إذا ذكرتُ ذنوبي لم أحبَّ الموت، وأقول: لعلِّي أن أبقى حتى أتوب.

[وهذه رواياتُ ابنِ أبي الدنيا وابنِ باكُويه وأبي نُعيم والخطيب. وقد حكى أبو عبدِ الرحمن وابنُ خميسٍ في كتاب «مناقب الأبرار» وغيرُهم جملةً من كلامه، فمن ذلك أنَّه](٢) قال: ربَّما يقع في قلبي النكتةُ من نُكَت القومِ أياماً، فلا أقبلها إلَّا بشاهدين عَدْلَين من الكتاب والسُّنَّة.

وقال: إذا غلب الرجاءُ على الخوف فسد القلب، ومَن صارع الدنيا صرعتْه، ومَن أحسن في ليله كوفئ(٣) في نهاره، ومَن أحسنَ في نهاره كوفئ في ليله، ومَن صدق في ترك شهوة، أذهبها اللهُ عن قلبه.

وقال: إنَّ اللهَ يفتح للعارف على فراشه ما لا يفتح له وهو قائمٌ يصلِّي.

وقال: الصوتُ الحسن لا يدخل القلب، ولكن يحرِّك ما فيه.

وقال أحمدُ بن أبي الحَوَاري: سألت أبا سليمانَ فقلت: كيف تقوى قلوبُهم على ما يَرِد عليهم من الواردات الإلهية؟ فقال: هو أكرمُ من أن يبلِّغَهم منزلاً لا تقوى عليه قلوبُهم.

وقال: الاحتلامُ عقوبةٌ من الله تعالى، ألا ترى أن أنبياءَ الله عُصموا منه؟ وقال: ليت قلبي في القلوب مثلُ ثوبي في الثِّياب. وقال: القلبُ إذا جاع وعطش صفا ورقّ، وإذا شبع قسا وعَمِي.

---

(١) في (خ): عيونهم، والمثبت من (ب)، وهو الموافق لما في مناقب الأبرار ١/ ٢٢٣، وصفة الصفوة ٤/ ٢٢٩، وما بين حاصرتين من (ب).

(٢) ما بين حاصرتين من (ب)، وانظر طبقات السلمي ص٧٧-٧٨، ومناقب الأبرار ١/ ٢٢١ وما بعدها.

(٣) في (خ): عوفي، في الموضعين والمثبت من (ب)، وهو الموافق لما في طبقات السلمي ص٧٧، ومناقب الأبرار ١/ ٢٢١ وما بعدها.

وقال: من أحسن المعاريضِ قولُه تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣] هدَّد بلطف.

وقال: مَن أراد واعظاً فصيحاً، فلْينظر إلى اختلاف الليلِ والنهار. وقال: علِّموا النفوسَ الرِّضا بمجاري الأقدار، فلَنِعْمَ الوسيلةُ هو إلى درجات المعرفة.

وقال: مَن أظهر الانقطاعَ إلى الله تعالى وجب عليه خلعُ ما دونه، ومَن كان الصدقُ وسيلتَه، كان الرِّضا من الله جائزتَه، ولو بكى باكٍ أو محزونٌ في أمَّة، لَرحم اللهُ تلك الأمَّةَ ببكائه.

وقال: لا يأتي الوسواسُ إلا إلى كلِّ قلبٍ عامر، أرأيتَ لصًّا يأتي خربةً فينقبها! إنَّما ينقب بيتاً فيه رُزَم.

وقال: يلبَس أحدُكم عباءةً قيمتُها ثلاثةُ دراهمَ وفي قلبه شهوةٌ بأربعة دراهم! أفما يستحي أن تجاوزَ شهوتُه لباسَه! ولو ستر حالَه بثوبين أبيضَين كان أسلمَ له، وإذا لم يبقَ [في][1] قلبه شيءٌ من الشهوات، جاز أن يتدرَّعَ عباءة؛ فإنَّ العباءةَ عَلَمٌ من أعلام الزُّهد.

[وقال أحمدُ بن أبي الحَوَاري: قال لي: كن كوكباً، فإن لم تكن فكن قمراً، فإن لم تكن فكن شمساً. قال: فقلت: بيِّن لي ما تقول، فقال: قم من أوَّل الليلِ إلى آخره، فإن لم تقوَ على قيام الليل كلِّه فكن كالقمر، يطلع في بعضه ويغيبُ في بعضه، فنم بعضَ الليل وقم بعضَه، فإن لم تقدرْ على قيام بعضِ الليل فلا تعصِ اللهَ في النهار[2].

وقال: لو نُقشت المعرفةُ على بناء، لكان كلُّ مَن رآها مات من حُسنها وجمالها][3].
وقال يوماً: الناسُ في الدنيا رجلان: رجلٌ أحبَّ اللهَ فأحبَّ الموتَ شوقاً إلى لقائه، ورجلٌ أحبَّ البقاءَ لإقامة حقِّ الله. فقام فتًى فقال: يا أبا سليمان، ورجلٌ ثالث، قال: مَن هو؟ قال: من لا يختار هذا ولا هذا بل يختار ما اختار اللهُ له، فقال: احتفظوا

(١) ما بين حاصرتين من (ب)، وانظر مناقب الأبرار ١/ ٢٢٤، وتاريخ دمشق ٩/ ٨٣٧ (مخطوط).
(٢) حلية الأولياء ٩/ ٢٦١، ومناقب الأبرار ١/ ٢٢٤_٢٢٥.
(٣) ما بين حاصرتين من (ب)، وانظر مناقب الأبرار ١/ ٢٢٥ .

بالغلام[١] فإنَّه صِدِّيق.

وقال: الزهَّاد بخُراسان، والفقهاءُ بالعراق، والأبدالُ بالشام.

[وقال: لما كلَّم اللهُ موسى، جاءه إبليسُ فوسوس له وقال: إنَّ الذي يكلِّمك شيطان، فأوحى اللهُ إليه: ياموسى، ارفع رأسَك، فرفع رأسَه، فإذا بالسماء قد كُشطت، والعرشِ قد برز، والملائكةِ قيامٌ في الهواء.

ذِكر وفاته:

اختلفوا -فيما ذكر الخطيبُ- على ثلاثة أقوال[٢]: أحدها في هذه السَّنة. والثاني: في سنة خمسَ عشرةَ[٣] ومئتين، وذكره السلمي وابن خَميس في «المناقب»[٤]. والثالث: في سنة خمسٍ وثلاثين ومئتين[٥]. ثم قال الخطيب: والقول الأوَّل أصحّ، يعني سنةَ خمس ومئتين؛ لأنَّه قول أهلِ الشام، وهم أعرفُ بهذا من غيرهم.

وقال جدِّي في «المنتظم»[٦]: وقد قيل: إنَّه مات في سنة خمسَ عشرةَ ومئتين، ولا يصحُّ، والأصحُّ أنه في سنة خمسٍ ومئتين[٧]. ودُفن بداريا وقبرُه بها ظاهرٌ يزار.

وحكى الحافظُ ابن عساكرٍ[٨] عن] أحمد بن أبي الحَوَاري قال[٩]: رأيت أبا سليمانَ في المنام بعد وفاته بسنة، فقلت: يا معلِّم الخير، ما فعل اللهُ بك؟ فقال: لي سنةٌ في

---

(١) في (ب): احفظوا نبذ الغلام.

(٢) القول الثالث لم يذكره الخطيب، انظر تاريخه ١١/ ٥٢٥-٥٢٦ .

(٣) في (ب): خمس وثلاثين. ولعله سهو، وهو القول الثالث كما سيذكر. وانظر ما سلف أول الترجمة.

(٤) طبقات الصوفية ص٥٧، ومناقب الأبرار ١/ ٢٢١..

(٥) كذا في معجم البلدان ٢/ ٤٣١، رقماً لا كتابة، وفي تاريخ دمشق ٩/ ٨٤٢ عن أحمد بن أبي الحواري: مات أبو سليمان سنة خمس ومئتين وثلاثين (كذا)، ثم قال ابن عساكر: كذا قال، وقوله: وثلاثين، وهم، والله أعلم.اهـ. قلت: ويؤيد كونه وهماً أن الخطيب أخرجه عن أحمد بن أبي الحواري ولم يذكر فيه: وثلاثين.

(٦) ١٠/ ١٤٦ .

(٧) وقال ابن عساكر في تاريخه ٩/ ٨٤١-٨٤٢: بلغني عن محمد بن يوسف الهروي أن أبا سليمان مات سنة أربع ومئتين. وفي فوات الوفيات ٢/ ٢٦٦: مات سنة خمس وعشرين ومئتين. وهذا القولان لم يذكرهما المصنف.

(٨) في تاريخه ٩/ ٨٤٢ . وما بين حاصرتين من (ب).

(٩) في (خ): وقال أحمد بن أبي الحواري.

الحساب، قلت: ولم؟ قال: خرجتُ يوماً من دارنا أريد دمشق، فلمَّا قربت من الباب الصغير، إذا بِحِملِ شِيح، فأخذت منه عوداً، فلا أدري أتخلَّلته أم رميتُه، فأنا منذ متُّ أُحاسَب عليه.

أسند عن عبد الواحد بنِ زيد [وصالحِ بن عبد الجليل وعليِّ بن الحسنِ بن أبي الربيع] وغيرِه [وجالس سفيانَ الثوريَّ بمكَّة. وروى عنه أحمدُ بن أبي الحواري، وكان خصيصاً به، وهو الذي دوَّن كلامه، وإسحاقُ بن عبد المؤمن الدِّمشقي، وعبدُ الرحيم[١] بن صالحٍ وحميدُ بن هاشم الدارانيَّان، وذكر الحافظ ابن عساكر[٢] جماعةً آخرين.

وقال الخطيب[٣]: لم يُسنِد أبو سليمانَ، إلَّا حديثاً واحداً. وقد ذكره الخطيب، وقد أخرج له جدِّي في «الصَّفوة»[٤] أحاديث].

وكان له ولدٌ اسمه سليمان، به كان يُكنى، وكان على منهاج أبيه في الزُّهد والورع، توفِّي بعد أبيه بيسير.

[فصل وفيها توفي]

نُمير الكوفيُّ المصاب

[حدّثنا غيرُ واحد عن أبي الفضل بنِ ناصرٍ بإسناده إلى العباس بنِ محمد بنِ عبد الرحمن الأشهلي: حدَّثني أبي عن] ابن نُميرٍ قال[٥]: كان لي ابنُ أخت سمَّتْه أختي باسم أبي نمير، وكان من نسَّاك أهلِ الكوفة [قد سمع سَماعاً حسناً وكان حسن الطهور للصلاة، يراعي الشمس للزوال][٦] فعرض له عارضٌ فذهب عقله، فكان لا يُؤويه سقفُ بيت، إذا كان النهارُ فهو في الجَبَّانة، وإذا كان الليلُ ففي السطح قائماً على رِجلَيه في البرد والمطرِ والريح، فنزل يوماً بُكرةً يريد المقابر، فقلت: يا نمير، ألا تنام؟! قال: لا، قلت: أيُّ شيءٍ يمنعك [من النوم]؟ فقال: هذا البلاءُ الذي تراه،

(١) في (ب): عبد الرحمن، والتصويب من المصادر. والكلام ليس في (خ).
(٢) في تاريخه ٩/ ٨٢٣.
(٣) في تاريخه ١١/ ٥٢٣.
(٤) ٤/ ٢٣٢-٢٣٤.
(٥) في (خ): قال ابن نمير. وانظر المنتظم ١٠/ ١٤٦، وصفة الصفوة ٣/ ١٨٦، وعقلاء المجانين ص١٠٣-١٠٤.
(٦) ما بين حاصرتين من (ب)، وهو الموافق للمنتظم وصفة الصفوة.

[قال] فقلت: [يا نمير] ألا تخاف الله؟ قال: بلى، ثم قال: أليس يقال: «أشدُّ الناسِ بلاءً الأنبياءُ ثم الأمثلُ فالأمثل»[1]؟ قلت: أنت أعلمُ منِّي.

قال: وصعدت إليه ليلةً باردة وهو قائم في السطح وأمُّه تبكي وهي قائمة، فقلت: يا نمير، بقي منك شيءٌ لم تنكرْه؟ قال: نعم [قلت: وما هو؟ قال]: حبُّ الله ورسولِه.

قال: وصعدت إليه ليلةً في رمضان، فقلت له: لو أفطرتَ معنا[2]، قال: ولم؟ قال: أحبُّ أن تراكَ أختي تأكل معنا، فقال: نعم، فلمَّا فرغنا [من الأكل][3] رحمتُه [من أن يراني مولّياً وهو في الظُّلمة والريح فبكيتُ][4] فغضب فقال: إنَّ لي ربًّا هو أرحمُ بي منك، وأعلمُ بما يصلحني، فدعْه يتصرَّف فيَّ كيف شاء، فإني لا أتَّهمه في قضائه، فقلت: لَئن كنتَ في ظلمة [الليلِ إنَّ جدَّك في ظلمة] اللَّحد، أريد أن أعزِّيه وأطيِّبَ نفسه، فقال: ما جعل روحِ رجلٍ [صالح] مثلَ روحِ رجل متلوِّث[5]، ثم قال: أتاني البارحةَ أبي وأبوك عبدُ الله بن نمير [فأشار إلى موضعٍ كان يصلِّي فيه أبي، قال:][6] فقال لي: يا نمير، أما إنَّك ستأتينا يومَ الجمعة شهيداً.

قال: فأخبرت أمَّه، فقالت: واللهِ ما جرَّبت عليه كذباً قطّ، وما قال إلا حقًّا، وكانت هذه المقالةُ عشيةَ الأربعاء، فجعلنا نتعجَّب ونقول: غداً الخميس [وبعد غدٍ الجمعة، فهبْه مرض غداً ومات بعدَ غد، فأين الشهادة!] فلمَّا كان ليلة الجمعة، سمعنا هدَّةً وسطَ الليل، فإذا هو قد هاج به ما كان يهيج، فبادر الدَّرجة، فزلَّت قدمُه فسقط فاندقَّت عُنقه، فحفرتُ له إلى جانب أبي ودفنته [وانكببتُ على قبر أبي وقلت: يا أبي، قد أتاك نميرٌ وجاورك] وانصرفت.

فلمَّا كان من الليل نمتُ، فرأيتُ أبي في النوم قد دخل من باب البيتِ وقال [لي]: يا بُني، جزاك اللهُ خيراً [لقد] آنستَني بنمير، إنَّه منذ أتيتمونا به إلى أن جئتُك يزوَّج بالحور العِين.

---

(١) هو حديث أخرجه الترمذي (٢٣٩٨)، وابن ماجه (٤٠٢٣) عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه مرفوعاً.

(٢) في المصدرين: يا نمير لم أفطر.

(٣) زيادة من المصدرين يقتضيها السياق.

(٤) ما بين حاصرتين من (ب)، وهو موافق للمصدرين.

(٥) في (ب): منكوب.

(٦) ما بين حاصرتين من (ب)، وهو الموافق للمصدرين.

السَّنة السادسةُ بعد المئتين

فيها مدَّت الفراتُ ودجلة، وغرق السوادُ ومعظمُ بغداد، وفسدت الزروع، وظهر اليَرَقانُ[1] على الناس، وجاء الجراد.

وفيها ولَّى المأمونُ عبدَ الله بنَ طاهر الجزيرةَ والشام ومصر، وقتالَ نصرِ بن شبث، وكان قد ولَّى يحيى بنَ معاذ الجزيرة، فمات في هذه السَّنةِ، واستخلف ابنَه أحمد على الجزيرة، فقال المأمونُ لعبدالله بنِ طاهر: إني منذ شهرٍ أستخير اللهَ وأرجو أن يخيرَ اللهُ لي، ورأيت الرجلَ يصف ولدَه ليُطريَه؛ لرأيه فيه، وليرفعَه، ولقد رأيتك فوق ما يصف أبوك لي فيك، وقد مات يحيى واستخلف ابنَه أحمد، وليس بشيء، وقد رأيت توليتَك الجزيرةَ والشام ومحاربةَ نصر بنِ شبث، فقال: السمعُ والطاعة لله ولأمير المؤمنين، وأرجو أن يجعلَ اللهُ لأمير المؤمنين الخِيرةَ وللمسلمين.

فعقد له لواءً وكتب عليه: يا منصور، وكان في طريقه حِبالُ القصَّارين، فأمر المأمونُ بأن تُقطعَ لأجل اللواء، وذلك في رمضانَ هذه السَّنة، وقيل: سنةَ سبعٍ ومئتين، وكان طاهرٌ لما ولي ابنه عبدُ الله ديارَ ربيعةَ كتب إليه كتاباً طويلاً يتضمَّن الوصية، فمنه ـ بعد الحمد لله والصلاة على رسوله ﷺ:

أما بعد، فإني أُوصيك بتقوى اللهِ وطاعتِه وخشيته ومراقبته، والذِّكرِ لمعادك وما أنت صائرٌ إليه ومسؤولٌ عنه؛ فإنَّ اللهَ قد أحسن إليك، فأَوجب عليك الرأفةَ والرحمةَ لمن استرعاك من عباده، وألزمك العدلَ فيهم، والقيامَ بحقِّهم، والذَّبَّ عنهم، والكفَّ عن حريمهم، وحقنَ دمائهم، وأمنَ سبيلهم، ولْيكن أولَ ما تُلزم به نفسَك المواظبةُ على ما افترض اللهُ عليك من الصلواتِ الخمس في مواقيتها، والأمرُ بالمعروف والنهيُ عن المنكر، والأخذُ بما أنزل اللهُ في كتابه من أمره ونهيه وحلالِه وحرامه، واتِّباعُ سنَّة رسوله، واقتفاءُ آثاره وآثارِ أصحابه من بعده، وعليك بإجلال أهلِ القرآن وحَمَلةِ العلم، وعليك بالعلم والفقه؛ فإنَّهما أحسنُ ما تزيَّن بهما المرء، وعليك بالأعمال

(١) اليرقان: آفة تصيب الزرع، وداء يصيب الإنسان. مختار الصحاح (يرق).

الصالحةِ وطلبِ الآخرة؛ لتحظى بمرافقة أولياءِ الله في دار كرامته، وأَحْسِن الظنَّ بالله، والْتَمِس الوسيلةَ إليه في الأمور كلِّها، وعليك بإقامة الحدودِ ومجانبةِ البدع؛ ليسلمَ لك دينُك، وإذا عاهدتَ عهداً فعليك بالوفاء به، وإذا وعدت وعداً في الخير فأَنجِزْه، وإذا وعدت بالشرِّ فأخِّره، واقبل الحسنةَ وتجاوز عن السيِّئة، وغمِّض عينيك عن كلِّ عيب من رعيَّتك، وأحسن لسانَك عن الكذب(١) وأَبْغض أهلَه، وأَقصِ أهلَ النميمة؛ فإنَّ أوَّل ما يُفسد أمرَك تقريبُ الكذب، وإنه رأسُ المآثم، وعليك بالحِلم والوقارِ والتردُّد في الأمور، واجتنب العجلةَ فإنَّها من الشيطان، وإياك والغضبَ والغرورَ ونحوه، وذكر ألفاظاً كثيرة.

ولمَّا شاع الكتابُ طلبه المأمون، فلمَّا وقف عليه قال: ما ترك أبو الطيِّب من أمور الدِّين والدنيا والتدبيرِ والسياسة والرأيِ وإصلاح الملكِ والرعيَّة وتقويمِ الأمور إلَّا وقد ذكره وأَحكمه.

ولما شخص عبدُ الله إلى الجزيرة والشام، جعل الخليفةَ ببغدادَ على الشُّرطة إسحاقَ ابن إبراهيم(٢).

ولمَّا فتح عبدُ الله مصر، سوَّغه المأمونُ خراجَها سنةً، وأجاز به كلِّه، وهو ثلاثةُ آلاف دينار، وكان قد سخط على معلَّى الطائي، وكنيتُه أبو السمراء، فجاء معلَّى فأنشده في ملأٍ من الناس: [من البسيط]

يا أعظَمَ الناسِ عفواً عند مقدرةٍ ... وأظلَمَ الناس عند الجُود بالحالِ
لو يصبح النيلُ يجري ماؤه ذهباً ... لَما أشرْتَ إلى خَزْنٍ بمثقال
تفكُّ باليُسر كفَّ العُسر من زَمَنٍ ... إن استطال على قومٍ بإقلال
إنْ كنتُ منك على بالٍ مننتَ به ... فإنَّ شكرك من حمدي على بال

فقال: يا أبا السمراء، ما بقي من خراج مصر شيء، فأقرِضْني عشرةَ آلافِ دينار،

(١) كذا، وفي تاريخ الطبري ٨/ ٥٨٥، وابن الأثير ٦/ ٣٦٨: واشدد لسانك ...

(٢) في (خ): الحسن بن إسحاق بن إبراهيم، والتصويب من المصادر. انظر تاريخ الطبري ٨/ ٥٩٢، وابن الأثير ٦/ ٣٦٣، وتاريخ الإسلام ٥/ ١٦.

فأقرضه إياها، فقال: خذها لك، ودفعها إليه[١].

وحجَّ بالناس عُبيدُ الله[٢] بنُ الحسن وهو والي الحرمين.

وفيها توفي

بهيمٌ العِجلي

[وكنيته] أبو بكر، الزاهدُ، العابد.

[قال ابن أبي الدنيا بإسناده إلى معاذ بن زياد قال: لما اتُّخذت عبَّادان سكنها قومٌ نُسَّاك، فيهم رجل يقال له: بهيم،] وكان رجلاً حزيناً يزفر الزَّفرةَ فيُسمع زفيرُه.

وقال [محمد: وحدَّثني] مِخول [قال]: جاءني بهيمٌ يوماً فقال لي: تَعْلَمُ رجلاً من إخوانك [أو جيرانك] يريد الحجَّ، ترضاه يرافقني؟ قلت: نعم. فذهبت به إلى رجلٍ من الحيِّ له صلاحٌ ودين، فجمعت بينهما، وتواطأا على المرافقة، [ثم انطلق بهيم إلى أهله] فلمَّا كان بعد [أيام]، أتاني الرجلُ فقال: يا هذا، أُحبُّ أن تزويَ عني صاحبَك وتطلبَ له رفيقاً غيري، فقلت: ويحك ولِم؟! فوالله ما أعلم بالكوفة له نظيراً في حسن الخُلق والاحتمال[٣]، ولقد ركبتُ معه البحرَ فلم أرَ منه إلَّا خيراً، فقال: قد حُدِّثتُ أنه طويلُ البكاء لا يكاد يفتر، فهذا ينغِّص عليَّ العيش [سفرَنَا كلَّه]، فقلت: وأنت ما تبكي أحياناً؟ قال: بلى، ولكن بلغني عنه أمرٌ عظيم من كثرة بكائه، فقلت: اصحبْه لعلَّك تنتفع به، فقال: أَستخير الله.

فلما كان اليومُ الذي أرادا أن يخرجا فيه، جيء بالإبل ووُطئ لهما، فجلس بهيمٌ في ظلِّ حائط، ووضع يَده تحت لحيته و[جعلت] دموعُه تسيل على خدَّيه ثم نزلت إلى الأرض، فقال صاحبي: يا مخول، قد ابتدأ صاحبُك، واللهِ ليس هذا لي برفيق، فقلت له: ارفقْ لعلَّه ذَكَر عيالَه وفراقه إياهم [فرقَّ]، وسَمِعَنا بهيم فقال: يا أخي، واللهِ ماهو ذاك، وإنما ذكرتُ بها الرحلةَ إلى الآخرة، وعلا صوته بالنَّحيب، [وقال: يقول لي

(١) الأغاني ١٢/ ١٠٢، والمنتظم ١٠/ ١٥٠، والوافي بالوفيات ١٧/ ٢٢١.

(٢) في (ب) و (خ): عبد الله، والمثبت من المصادر.

(٣) في (خ): الإجمال، والمثبت من (ب)، وهو الموافق لما في المنتظم ١٠/ ١٥٢، وصفة الصفوة ٣/ ١٨٠، وتنظر ترجمته أيضاً في تاريخ الإسلام ٥/ ٤٢ـ٤٣.

صاحبي: والله ما هي بأول عداوتك لي وبغضك إيايّ] فقال الرجل: أنا مالي ولبهيم، إنما كان ينبغي أن ترافق بين بهيم وبين داودَ الطائيِّ وسلَّامٍ أبي الأحوص، يبكي بعضُهم إلى بعض، حتى يَشتفوا أو يموتون جميعاً.

فلم أزل أرفقُ به، وقلت: ويحك لعلَّها خيرُ سفرةٍ سافرتَها، [قال: وكلُّ هذا الكلام] وبهيمٌ لا يعلم بشيءٍ، ولو علم بشيءٍ لَما صاحبه، قال: فخرجا إلى الحجّ، فلمَّا عادا، أتيت إلى جاري أسلِّم عليه، فقال [لي: يا أخي] جزاك اللهُ عني خيراً، ما ظننتُ أنَّ في الدنيا [أو في هذا الخَلْق] مثلَ أبي بكر، كان واللهِ يتفضَّل عليَّ في النفقة وهو مُعدم وأنا موسِر، ويخدمني وأنا شابٌّ قوي وهو شيخٌ ضعيف، ويطبخ لي وأنا مفطرٌ وهو صائم، فقلت: كيف كان أمرُك معه في الذي كنت تكره من طول بكائه؟ فقال: أَلِفتُ واللهِ ذلك [البكاء]، حتى كنت أساعده، حتى كان يتأذَّى الرفقةُ بنا، ثم أَلِفوا ذلك، فجعلوا إذا سمعونا نبكي بكَوا معنا، ويقول بعضُهم لبعض: ما الذي جعل هؤلاء أَولى بالبكاء منَّا والمصيرُ واحد؟! فكانوا يبكون ونبكي.

قال: وخرجت من عنده فأتيتُ بهيماً، فسلَّمت عليه وقلت: كيف رأيت صاحبَك؟ فقال: خير صاحب، كثير الذِّكر لله تعالى، طويل التلاوة للقرآن(١)، سريع الدَّمعة، محتمل لهَفَوات الرفيق، جزاك اللهُ عنِّي خيراً.

[فصل وفيها توفِّي

أبو حُذيفةَ(٢) البُخاري

صاحبُ كتاب «المبتدأ» و«الفتوح» وغيرهما.

واسمه إسحاقُ بن بشرِ بن محمد، مولى بني هاشم.

قال الخطيب: وُلد ببلخَ واستوطن بخارى، فنُسب إليها، وتوفِّي بها في هذه السَّنة في رجب.

---

(١) في (خ): طويل القراءة. وكلّ ماورد بين حاصرتين من (ب)، وهو موافق للمنتظم.

(٢) في (ب): عبيدة البخاري، والمثبت من تاريخ بغداد ٧/ ٣٣٦، وتاريخ دمشق ٢/ ٧٤٥ (مخطوط)، والمنتظم ١٠/ ١٥١، والسير ٩/ ٤٧٧ـ٤٧٩ وغيرها. وهذه الترجمة ليست في (خ).

أسند عن الثوريِّ، والأوزاعيِّ، والأعمشِ، ومالك بنِ أنس، ومقاتلِ بن سليمانَ، ومحمد بن إسحاقَ صاحب «المغازي»، وابنِ عُيينة، والفضيلِ بن عياض، وشعبة، وابن جُرَيج، وابن أبي العَروبة، وغيرهم.]

الحكمُ بن هشام

ابن عبد الرحمن الداخل الأُموي، والي الأندلس، وكنيتُه أبو العاص.

بويع له يومَ مات أبوه هشامٌ في صفرٍ سنةَ ثمانين ومئة وعُمرُه اثنتان وعشرون سنة [وكانت وفاته في ذي الحِجَّة، فأقام والياً سبعاً وعشرين سنة][(١)] وشهراً وأياماً، ولقَّب نفسَه بالمُرْتَضى، وأمُّه أمُّ ولد اسمها زُخرف، وكان له يومَ مات اثنتانِ وخمسون سنة، وقيل: تسعٌ وأربعون سنة[(٢)]، والرجوعُ في ذلك إلى مولده.

وكان شجاعاً فاتكاً [وكان قد][(٣)] ربط ألفَ فرس على باب قصرِه، عليها عشرةٌ من العُرفاء، تحت يد كلِّ عَرِيفٍ مئةُ فرس، فإذا أثار عليه خارجيٌّ في طرفٍ من الأطراف عاجله قبل استحكامِ أمره، فلا يشعر حتى يُحيطَ به.

[وذكره عليُّ بن أحمدَ بن حَزْمٍ في «تاريخ الأندلس» وقال:][(٤)] كان الحَكَمُ من المجاهرين بالمعاصي، السفَّاكين للدماء، وله آثارٌ قبيحة، كان إذا بلغه عن حَدَثٍ مشهورٍ بالجمال في مملكته أرسل إليه فأخذه من بين أهلِه، وخصاه وجعله في قصره.

قال: ويقال له: الرَّبَضي؛ لأنَّه أوقع بأهل الرَّبَضِ الوقعةَ المشهورة، وكانت الربض محلَّةً كبيرة متصلةً بقصره، فهدمها وقتل أهلَها وأحرق مساجدَها، وصلب من أهلها خَلْقاً كثيراً، وكان قد بلغه أنَّهم عزموا على الإِيقاع به في قصره [لفساده] ففرَّقهم تفرُّقَ أيدي سَبَا [فسمِّي الحكم الرَّبَضي].

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب)، وانظر تاريخ الإسلام ٥/ ٦٠، والسير ٩/ ٥٢٢.

(٢) بعدها في (ب): وقيل: تسع وثلاثون سنة. ولم أقف على هذا القول، ولا الذي قبله، والمذكور في المصادر: (٥٠ أو ٥٢ أو ٥٣) .انظر العقد الفريد ٤/ ٤٩٠، والكامل لابن الأثير ٦/ ٣٧٧، والسير ٨/ ٢٦٠ و ٩/ ٥٢٢، وتاريخ الإسلام ٥/ ٦٠-٦١، والوافي ١٣/ ١١٨ .

(٣) ما بين حاصرتين من (ب).

(٤) في (خ): وقال ابن حزم. وانظر نقط العروس في تواريخ الخلفاء ٢/ ٧٥ (ضمن رسائل ابن حزم)، وجمهرة أنساب العرب ص٩٥، وجذوة المقتبس ١٠، وبغية الملتمس ١٤.

ثم إنَّ اللهَ بعد هذه الوقعةِ امتحنه بأمراضٍ صعبة باطنةٍ وظاهرة، من البواسير ووجعِ القلب والكَبِدِ ونَتْن الأطراف، وطالت به أربعةَ أعوام، فندم على ما بدا منه، وأخذ في قراءة القرآنِ والذِّكر، فبعضُهم [كان] يرجو له خيراً [وبعضُهم كان يَحكم عليه بالنار، لما فعل واستحلَّ من الفروج والدِّماء].

وكان له قاضٍ يقال له: سعيد بن بشير، كان عادلاً منصفاً، وكان الحَكَم في الميدان يوماً يلعب بالصَّوالجة، فجاءه الخبرُ أن جابرَ بن لبيدٍ يحاصر جَيَّان، فركب في [ألف فرسٍ من] الخيل التي أعدَّها [على باب قصرِه] فلم يشعر به جابرٌ إلا وقد غشيه، فهرب.

والحَكَمُ له أشعار، منها: [من الطويل]

وما زلتُ للعِلَّات بالسيف راقعاً[1] وقدماً لَأَمتُ الشِّعْب مُذْ كنتُ يافعا
فسائلْ ثُغوريْ هل بها اليومَ ثَغْرةٌ أُبادرُها مُسْتَنْضيَ السيفِ دارعا
ولـمَّا تَساقَينا سِجالَ حروبِنا[2] سقيتُهمُ سُمًّا من الموت ناقعا

ولما مات قام بعده ولده عبد الرحمن [ابن الحكم بن هشام].

محمدُ بن المُسْتَنير

أبو عليٍّ البصري، ويلقَّب بقُطْرب -النَّحوي- لقَّبه سيبويه؛ سمِّي بذلك لمباكرته إياه[3].

نزل بغدادَ، وأقرأ بها العربيةَ والنحو، وكان مُوَثَّقاً فيما يرويه، وهو صاحب «المُثلَّث».

يزيدُ بن هارونَ

ابنِ زاذي بن ثابت، أبو خالدٍ الواسطي، مولى بني سُليم.

---

(١) في المصادر: رأبت صدوع الأرض بالسيف راقعاً. انظر العقد الفريد ٤/ ٤٩٢، والمغرب في حلى المغرب ١/ ٤٤، والوافي ١٣/ ١١٩، ونفح الطيب ١/ ٣٤٢، ولم ترد الأبيات في (ب).

(٢) في (خ): حربنا، والمثبت من العقد الفريد والمغرب.

(٣) القطرب: دويبة تدبّ ولا تفتر، كما في تاريخ بغداد ٤/ ٤٨٠، وتنظر ترجمته أيضاً في معجم الأدباء ١٩/ ٥٢، وإنباه الرواة ٣/ ٢١٩، وبغية الوعاة ١/ ٢٤٢، وهذه الترجمة ليست في (ب).

كان عالماً فاضلاً زاهداً وَرِعاً عابداً خائفاً.

[وذكره ابنُ سعد[١] فيمن كان بواسطَ من الفقهاء والمحدِّثين بعد الصحابة، وقال:] وُلد سنةَ ثماني عشرةَ ومئة [وقال الخطيب: وُلد] سنةَ ستَّ عشرةَ[ومئة][٢]، وأصلُه من بُخارى، حدَّث ببغداد، وكان يُحْزَرُ مجلسُه تسعين ألفاً.

[وقال عليُّ بن المَديني: لم أرَ أحفظَ من يزيدَ بن هارون.

وروى الخطيبُ[٣] عن] أحمدَ بنِ سنانَ قال[٤]: ما رأيتُ عالماً قطُّ أحسنَ صلاةً من يزيدَ بن هارون، يقوم كأنَّه أسطوانة، وكان يصلِّي بين الظُّهر والعصرِ والمغرب والعشاءِ، لا يفتُر من الصلاة ليلاً ولا نهاراً.

وقال الخطيب[٥]: صلَّى يزيدُ الغداةَ بوضوء العَتَمة أربعين سنة. وقال له رجل: كم جزؤكَ من الليل؟ فقال: أَوَ أنام منه شيئاً! لا أنام اللهُ عيني.

[وروى الخطيبُ[٦] عن] الحسنِ بن عَرَفةَ [العَبْديِّ قال:][٧] رأيتُ يزيدَ بن هارونَ بواسطَ من أحسن الناسِ عينين، ثم رأيتُه بعد ذلك وقد ذهبت عيناه، فقلت: يا أبا خالد، ما فعلتْ تلك العينان الجميلتان؟! قال: ذهب بهما بكاءُ الأسحار.

وقال ابنُ المَديني: كان يزيدُ يقول: أحفظ ثلاثين ألفَ حديث. وفي رواية: خمسةً وعشرين ألفَ إسنادٍ، ولا فخر. وكان يصلِّي الضُّحى ستَّ عشرةَ ركعة.

[وروى بإسناده[٨] إلى] يحيى بنِ أكثمَ قال[٩]: قال لي المأمون: لولا مكانُ يزيدَ بن

(١) في طبقاته ٩/ ٣١٦. وما بين حاصرتين من (ب).

(٢) ذكر في تاريخه ١٦/ ٤٩٤، ٥٠٤ قولين في ولادته: ١١٨ و ١١٧، وما ذكره المصنف لم أجده في تاريخه. وفي (خ): وقيل: سنة ست عشرة، وتنظر ترجمته أيضاً في السير ٩/ ٣٥٨، وبقية مصادر ترجمته ثمَّة.

(٣) في تاريخه ١٦/ ٤٩٧. وما بين حاصرتين من (ب).

(٤) في (خ): وقال أحمد بن سنان.

(٥) في تاريخه ١٦/ ٤٩٨.

(٦) في تاريخه ١٦/ ٤٩٩. وما بين حاصرتين من (ب).

(٧) في (خ): وقال الحسن بن عرفة.

(٨) تاريخ بغداد ١٦/ ٤٩٩.

(٩) في (خ): وقال يحيى بن أكثم.

هارون لَأظهرتُ القولَ بخلق القرآن، فقال بعضُ جلسائه: يا أميرَ المؤمنين، ومَن يزيدُ ابن هارون حتى يُتَّقى؟! فقال: أخاف أن يردَّ عليّ، فيختلف الناسُ وتكون فتنة، وأنا أكره الفتن. فقال له رجل: فأنا أختبر ذلك منه، قال: فافعل.

فخرج إلى واسط، ودخل على يزيدَ فقال له: يا أبا خالد، إنَّ أمير المؤمنين يُقرئك السلامَ ويقول: إنِّي أريد أن أُظهرَ القولَ بخلق القرآن، فقال له: إذا اجتمع الناسُ فأَعِد قولك إن كنتَ صادقاً. فلمَّا كان من الغد واجتمع الناس، قام الرجلُ فأعاد كلامَه، فقال له يزيد: كذبتَ على أمير المؤمنين، إنَّ أميرَ المؤمنين لا يحمل الناسَ على ما لا يعرفونه وما لم يقلْ به أحد.

قال: فقدم الرجلُ على المأمون فقال: يا أميرَ المؤمنين، أنت أعلم. وقصَّ عليه القِصَّة، فقال: ويحك، إنَّه تلاعب بك، ألم أقلْ لك؟

و[قال الخطيب:](١) كان يزيدُ يقول: لعن اللهُ جَهْماً ومَن يقول بقوله، ولعن اللهُ مَن يقول: إنَّ القرآن مخلوق.

[قال:] وسأله قومٌ عن شيءٍ وهو ساكت، فأنشد: [من الوافر]

تركتَ عيادتي ونَسيتَ بِرِّي ... وقِدْماً كنتَ بي بَرًّا حَفِيّا
فما هذا التَّغافُلُ يا ابنَ عيسى ... أظنُّك صرتَ بعدي واسِطيّا(٢)

يريد المثلَ السائر: تغافل كأنَّه واسطي.

و[قال الخطيب:](٣) قدم يزيدُ بغداد، فحدَّث بها، ورجع إلى واسط فتوفِّي بها [في هذه السَّنة] وهو ابنُ ثمانٍ وثمانين سنة في غُرَّة ربيعِ الآخر، وكان يَخْضب بالحِنَّاء.

أسند عن [يحيى بنِ سعيد الأنصاري، وسليمانَ التَّيْمي، وعاصم الأحول، وحُمَيْد الطويل، وداودَ بن أبي هند، وعبدِ الله بن عَوْن، وحسين المُعلِّم، وشعبة، والحمَّادَين، و] خلقٍ كثير.

---

(١) في تاريخه ١٦/ ٤٩٩-٥٠٠ . وما بين حاصرتين من (ب).

(٢) اضطرب المؤلف في النقل هنا، فليس في تاريخ بغداد ١٦/ ٥٠٢-٥٠٣ أن يزيد بن هارون أنشد البيتين، بل أوردهما الخطيب في حكاية أخرى ليبين بهما معنى المثل: تغافلْ كأنك واسطي؛ لأن جواب يزيد كان: إنا واسطيون. والبيتان أوردهما صاحب الخزانة ١١/ ١٣٧ وقال: وأنشد التنوخي لفضل الرقاشي ... ثم ذكرهما.

(٣) في تاريخه ١٦/ ٤٩٤. وما بين حاصرتين من (ب).

وروى عنه الإمامُ أحمد بن حنبلٍ رحمةُ الله عليه [وعليُّ بن المَديني، والحسن بن عَرَفة، والحارثُ بن أبي أسامة][١].

واتَّفقوا على صدقه ودينِه وأمانته وفضله، وكان الإمامُ أحمد يصفه ويقول: ما كان أفطنَه وأذكاه، جمع بين الدِّين والصلاةِ وحفظِ الحديث وحُسن المذهب، وكان بعدما ذهب بصرُه إذا سئل عن حديث، أمر الجاريةَ فتقرؤه من كتاب، فيتدبَّره احترازاً من الغلط.

[وروى الخطيبُ[٢] عن] أيوبَ[٣] ابنِ بنت يزيدَ بن هارونَ قال[٤]: كنت عند أحمدَ ابن حنبلٍ وعنده رجلان، فقال أحدُهما: يا أبا عبدَ الله، رأيت يزيدَ بن هارونَ في المنام، فقلت له: ما فعل اللهُ بك؟ قال: غفر لي وشفَّعني وعاتبني، وقال لي: يا يزيد، أتحدِّث عن حَرِيز بنِ عثمان! قال: قلت: يا ربّ، ما علمتُ إلا خيراً، قال: يا يزيد، إنَّه كان يتنقص أبا الحسنِ عليَّ بن أبي طالب.

وقال الآخَر: وأنا واللهِ رأيت يزيدَ بن هارونَ في المنام، فقلت له: هل أتاك مُنكر ونكير؟ قال: إي والله، وسألاني: مَن ربُّك؟ وما دينُك؟ ومن نبيُّك؟ فقلت لهما: أَلِمثلي يقال هذا، وأنا أعلم الناس بهذا في دار الدُّنيا منذ ثمانين سنة[٥]!؟ فقالا: صدقت، نَمْ نَوْمَةَ العروس، ولا بأسَ عليك بعد اليوم.

[وليس في الرُّواة مَن اسمُه يزيدُ بن هارون سوى رجلين: أحدُهما هذا، والثاني: يزيدُ بن هارون، أبو خالدٍ المدائني. حدَّث عن مُعاذٍ العَنْبري، وروى عنه عبدُ الله بن رَوح المدائني.][٦]



(١) في (خ): وغيره، وما بين حاصرتين من (ب).
(٢) في تاريخه ١٦/ ٥٠٤ . وما بين حاصرتين من (ب).
(٣) في تاريخ بغداد: أبو نافع.
(٤) في (خ): وقال أيوب ...
(٥) قوله: منذ ثمانين سنة، ليس في تاريخ بغداد.
(٦) ما بين حاصرتين من (ب)، والترجمة في تاريخ بغداد ١٦/ ٥٠٥ .

فهرس الموضوعات

السنة السابعة والتسعون بعد المئة ٢٧٢

السنة الثامنة والتسعون بعد المئة ٢٨٢

السنة التاسعة والتسعون بن المئة ٣١٩

السنة المئتان ٣٢٩

السنة الحادية بعد المئتين ٣٦٧

